الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم: اللغة العربية وآدابها

بلاغة الخطاب النثري عند أبي حيان التوحيدي

"رسالة الصداقة والصديق أنموذجا"

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي

تخصص: نظرية الأدب والمناهج النقدية المعاصرة.

إعداد الطالبة:

– جوهري سعاد

إشراف الدكتور:

– بوجمعة عمارة

لجنة المناقشة

■ أ.د. بركة لخضر	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
■ د. بوجمعة عمارة	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
■ د. غروسي قادة	أستاذ محاضر –أ–	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
■ د. قندسي عبد القادر	أستاذ محاضر –أ–	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
■ د. قوتال فضيلة	أستاذة محاضرة –أ–	جامعة تيارت	عضوا مناقشا
■ د. دردار البشير	أستاذ محاضر –أ–	المركز الجامعي تيسمسيلت	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2016–2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله القائل في كتابه الكريم :

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾. [سورة النمل، الآية 19]

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ... وبعد

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لمن كان له الدور الأكبر في توجيهي وإرشادي لاختيار موضوع رسالتي الدكتور " **عمارة بوجمعة"** الذي لم يبخل علي بتوجيهاته القيمة ورعايته للبحث مذ كان فكرة ، ولم يتوان في مدّ يد المساعدة بالتوجيه والإرشاد حتى استوى هذا البحث على سوقه . فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر والعرفان لكل من أسدى لي نصحا وإرشادا خاصة الدكتور "**برادي بغداد"** . ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر للأساتذة الأجلاء، **أعضاء لجنة المناقشة** على تحملهم قراءة هذه الرسالة وتقويم اعوجاجها، و تكرمهم لمناقشتها وإثرائها بالملاحظات والتوجيهات.

الطالبة جوهري

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى :

- ✓الغائب الحاضر في قلبي وذاكرتي دوما ... والدي رحمه الله تعالى .
- ✓نبع العطاء والحنو ... الصابرة المحتسبة والدتي . حفظها الله ورعاها .
- ✓رفيقي في الحياة ... زوجي حفظه الله .
- ✓زهرة حياتي وفرحة عمري ... ابنتي نضال فرح .
- ✓من لهم في قلبي مكانة وفي نفسي منزلة...أختاي وإخوتي وكل العائلة .
- ✓من كانوا عونا لي طيلة سنوات الدراسة والبحث... عائلة عمي" بحوص ".
- ✓من كانوا أطيب صحبة وأجمل رفقة ... صليحة ،حبيبة ، مولود ، إبراهيم ، عبد الصمد ... زملائي في الدفعة .

محبتي واحترامي...

مقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي لا منتهى لعطاياه ومنحه، حمدا يقوم بما أوجبه علينا من شكره والثناء عليه بما هو أهله .والصلاة والسلام على من وُسِمَ بشمولية دعوته،وبعالمية نهجه، وخصوصية منهجه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

و بــعد :

عَرَفَ العرب فن الكتابة قديما في قصصهم وحكمهم وأمثالهم وخطبهم ورسائلهم ووصاياهم، لكنهم لم يهتدوا إلى تدوينها وحفظها حتى نزول القرآن الكريم الذي تحدى بإعجازه كلام العرب وفصاحته، فأثّر في أساليبهم ومعانيهم، وقضى على جفاف ألفاظهم وغرابتها، وكان الحديث النبوي بفصاحة ألفاظه وبلاغة معانيه لبنة جديدة في صرح الكتابة.فقد شجع النبي صلى الله عليه وسلم على تعلم الكتابة بطرق مختلفة، فشاع استخدامها لا في كتابة القرآن الكريم فحسب بل في شؤون الدولة الإسلامية المختلفة، من هنا انطلقت الكتابة في رحلتها لغايات شريفة تحفظ لغتهم وعلومهم وفنونهم.

وفي عصر بني أمية حيث كثرت الدواوين تطورت أساليب الكتابة متأثرة بالقرآن الكريم والحديث الشريف،وتنوعت فنونها وغاياتها إلى أن بلغت علياء المجد والرفعة في العصر العباسي أين اتضحت فيه مناهج أدبية ومدارس فنية، واتسع نطاق النثر الفني باستكمال أدواته وتعدد مجالاته، وتشعب أغراضه، واتساع مسالكه، فأصبح ينازل الشعر ويطاوله، وظهرت طبقة رفيعة من الكتاب والأدباء والمترجمين تنافس الشعراء وتزاحمهم المكانة، بل إن من هؤلاء من تقلدوا مناصب في الوزارة والدواوين فزاد ذلك في علو شأن الكتابة التي أغنت الأدب العربي وورثت ثروة عظيمة لا تزال لحد الآن مادة أساسية للبحث والدراسة .

والقرن الرابع الهجري خاصة هو فترة مشرقة من التراث العربي،إذ نضجت فيه العلوم وتطورت، وزاد الاهتمام بالترجمة والتعريب، وامتزجت الثقافة بالأدب مستعينة بالتراث اليوناني، وشهد هذا العصر ازدهارا في حركة الفلسفة والعلم والأدب... كما أنّه قد خضع في تركيبته لشروط سياسية واجتماعية واقتصادية .فكان عصر التناقضات بحق،الزاهي بالعلم والأدب، والمظلم بالانقسام والظلم الاجتماعي والفساد .

في هذا القرن كان التوحيدي علما من أعلام الفكر والأدب استطاع بفكره أن ينطلق من هذه الشروط بل يتجاوزها ليضع لنفسه مكانا في عوالم الإبداع، إذ تميز بثقافة موسوعية وبمزاج خاص أكسب مؤلفاته طابعا خاصا، وقد عني الكثير من الباحثين بدراسة التوحيدي حياته ومصنفاته، فهو شخصية تغري الباحث لما فيها من عمق ولما تمتلكه من قوة أسلوب وتمكن في الكتابة،كانت كتاباته مستمدة من البيئة العربية من جهة، ومنفتحة على الوافد عليها إثر الامتزاج الثقافي آنذاك،كما كانت انتقادا صريحا للواقع الاجتماعي الذي كان يعاصره، بل كانت نقدا للكتابة النمطيّة التقليدية المنبهرة بالزخرفة والتنميق، والمحتفية بالسجع والمحسنات، الأمر الذي قلّل من شأن الكتابة وأفرغها من حمولتها الفكرية والثقافية في هذه الفترة من تاريخ الأدب العربي.

هذه الأفكار غذت رغبتي في البحث **ودفعتني** للتنقيب في المتون التراثية في ضوء نظرية الأدب والمناهج النقدية المعاصرة، وبتوجيه من الأستاذ المشرف عمارة بوجمعة بضرورة العودة إلى التراث العربي وسبر أغواره . وإخراج درره المكنونة، والتعرف على ما يحويه الخطاب الأدبي التراثي من زخم فكري ومعرفي وثراء إبداعي وجمالي، كان نصيبي من البحث ولوج عوالم الكتابة الفنية ممثلة في أدب الرسائل التراثية، هذا الفضاء الكتابي الذي يتسم بالغنى المعرفي والمنهجي ويجمع الكثير من الفنيات والجماليات . لهذه الأسباب انتهى بي التفكير إلى **اختيار الموضوع** الذي يجعل الرسالة متنا

للدراسة،و تحليل الخصائص والسمات منهجا، فجمعت موضوع دراستي تحت عنوان "**بلاغة الخطاب النثري عند أبي حيان التوحيدي** .

اخترت موضوع بحثي **مدفوعة بجملة من الأسباب** ذاتية وموضوعية، أولها يعود لإعجابي بهذه الشخصية المتناقضة المثيرة للجدل، ورغبتي في الولوج إلى عوالم هذه النفس المضطربة، والتعرف على هذه الشخصية النادرة التي تثير الفضول والاستغراب، فقد ظل سوء الحظ والبؤس يطاردانه في حياته وبعد مماته، والغموض واللبس يكتنفان جوانب حياته من ميلاده إلى وفاته، ومتناقضات حياته تثير الدهشة وتدعو إلى العجب، هذه الذات المختلفة التي أحرقت ذاتها في آخر عمرها، وأما الموضوعية، تلك الشخصية الأدبية التي تمكنت وسط مجتمع تنهار قيمه وأسسه الاجتماعية والاقتصادية أن ترتفع عاليا بكتابات أقل ما يقال عنها قمة الإمتاع والإقناع،جمعت بين علياء الفكر وسقطات الوجدان،وكيف استطاع هذا الأديب البائس أن يستوعب الزخم الفكري والثقافي والرقي العقلي في ذلك العصر ويعبر عنهما تعبيرا صادقا رفيعا، وينقل ثقافة عصر متناقض متضارب في كتاباته التي شكلت صورة متميزة وفريدة من صور الخطاب النثري التراثي.

حظي الكاتب باهتمام الدارسين في العصر الحديث والمعاصر وشكّل رهانا حقيقيا أمام النقد والمناهج المعاصرة.فما هي الطريقة المثلى التي نقرأ بها هذه النصوص التراثية ؟وكيف يمكننا استنطاق مكنوناتها ؟ هل تكون قراءتها بالنظر في سياقها الذي وضعت فيه ؟ أم بإقحامها في دائرة المنجزات المعرفية المعاصرة ؟وإذا كان التوحيدي صورة لهذا التراث كيف يمكننا أن نقرأ خطابه النثري ؟ ثمّ ما هي خصائص هذا الخطاب عنده ؟ هل تمكّن التوحيدي من قراءة عصره والمزيج الثقافي فيه وتحويله إلى متون إبداعية ؟ وما مدى تأثر جنس الرسالة من بين خطاباته النثرية بالخصائص الفنية والجمالية للأدب في القرن الرابع الهجري ؟ ثم ماهي المضامين التي حملها الخطاب(الرسالة) عند أبي حيان التوحيدي؟

على أساس هذه التصورات **انتظمت دراستي** في ثلاثة فصول بين مقدمة وخاتمة:

جاء **الفصل الأول** حول مفهوم الخطاب النثري أو ما يعرف بالنثر الفني في محاولة لمعرفة (ماهيته، نشأته وتطوره) إلى غاية العصر العباسي أين عرف رقيا وازدهارا في أشكال الكتابة وسط زخم المعارف والعلوم التي صبغته بألوان شتى من الفنون والأشكال، كما اتسم النثر الفني خلال مراحل تطوره بداية من العصر الجاهلي الذي احتدم الصراع بين المؤرخين حول نشأته وتنوع فنونه وأغراضه، ثم العصر الأموي والتجديد الذي لحقه من خلال تأثره بالقرآن الكريم ،ليتوج النثر الفني في العصر العباسي برفعته وسمو أغراضه واحتفائه بأمرائه الأفذاذ الذين أبدعوا في كتاباتهم الأدبية والنقدية، وأسهموا في إثرائه من خلال المدارس التي حملت خصائص الكتابة عند كل أمير منهم، وكان أهم هؤلاء عبد الحميد الكاتب، ثم ابن المقفع وصولا إلى الجاحظ هذا العلم الذي ما زالت أفكاره النيرة تشد الدارسين إليها، وهو العلم الذي استحوذ على فكر التوحيدي حتى لقب بالجاحظ الثاني.

وفي الفصل الثاني أين وقفت على القرن الرابع الهجري أين عرفت الكتابة الفنية منحى جديدا مثله أبو حيان التوحيدي من خلال التجربة الذاتية حيث أسس لنفسه منهجا جديدا ينحرف به عن معاصريه من أصحاب الصنعة و الزخرف، ويجعل من آرائه الفلسفية وتوجهاته الفكرية نمطا مغايرا في الكتابة وخصائصها الجمالية، سنعرف من خلالها المعايير والشروط التي تبناها التوحيدي ليكون كاتبا موسوعيا، كما سنحاول تأطير فكره بالظروف والايدولوجيات وعرض أهم آرائه في قضايا الفكر والأدب واللغة، مساهمة منه في إثراء النقد العربي مما حوته بطون مؤلفاته النفيسة سواء في الفلسفة أو الأدب أو في الفكر .

ليكون **الفصل الثالث** استثمارا للمتن (رسالة الصداقة والصديق) في محاولة تطبيقية لقراءته وإخضاعه للدراسة والتحليل والتأويل بما يناسب المتن وطبيعته.ومن خلاله عرضت لمفهوم الصداقة

كخلق إنساني، ثم انتقلت إلى تعريف المدونة ـ الرسالة محل الاشتغال (رسالة الصداقة والصديق) ـ وقبل محاولة الكشف عن مضامين الرسالة وسماتها الفنية، وأهم تفاصيلها كان لا بد من التعرض لبلاغة الخطاب قبل تدوينه كونه في الأصل خطابات مجالس جمعها التوحيدي في رسالته تحقيقا لطلب الوزير ابن سعدان،إنّه كان من الضروري الكشف عن الخطاب وسماته الفنية في نمطه الشفهي ثم التوغل في استراتيجية الكتابة التي نهجها التوحيدي اقتداء بالجاحظ خلال كتبه : البخلاء والحيوان وغيرها . ثم عرضت لطريقته في تشكيل الخطاب المكتوب،وتطرقت لقراءة عتبات الرسالة باعتبارها مفاتيح لمغاليقها، ووقفت عند الأجناس الأدبية التي تداخلت في متونه وشكلت حوارية عجيبة مع نصوص أخرى للتعرف علة ماهيتها وسماتها .وأخيرا ختمت العمل بأهم الاستنتاجات التي حصدتها في رحلتي .

بعد ذلك وجدت من المناسب أن أضع ملحقا في آخر العمل ليكون ترجمة لأبي حيان التوحيدي،حاولت من خلاله أن أجمع سيرته : مولده ونشأته وظروف حياته ومؤلفاته والتي وجدتها مبثوثة في الكثير من الدراسات التى تناولت حياته وما أكثرها، وملحقا آخر للرسالة محققة .

هذا وقد اعتمدت في هذا العمل على **المنهج الوصفي** للخصائص البلاغية للخطاب النثري و**الاجرائي التحليلي** للظاهرة الإبداعية للتوحيدي ممثلة في رسالة الصداقة والصديق واستنطاقه لسبر أغواره ومعرفة تفاصيله ومقاربتها بقراءة هذا الأنموذج النثري قراءة حجاجية بلاغية، حيث استثمرت التحليل البلاغي في الكشف عن سمات الخطاب البلاغية التي وظفها التوحيدي كالإطناب والازدواج والإيقاع البلاغي للنثر الترسلي، كما اعتمدت إجراءات الشعرية ضمن الكشف عن جمالية التناص في الرسالة وحوارية الخطابات، والتداخل الأجناسي داخلها والتي وظفها كآلية من الآليات الحجاجية للوصول إلى استمالة المتلقي.

أردت بهذا البحث أن أتمكّن من إثبات أن في التراث العربي ممارسة فعلية للنظريات الأدبية بكل حيثياتها، وأن الرسائل التراثية خاصة هي الشكل الحقيقي للكتابة الفنية الجادة التي تجمع أروع الأساليب وأجود المعاني،كما أن النقد التراثي الذي يسير والأدب العربي يمنح الدارس المفاهيم والأدوات الإجرائية التي تعمل على الكشف عن المعاني والدلالات في النص الإبداعي،و الكشف عن المضامين الأدبية والخصائص الشعرية والجمالية للخطاب النثري عند التوحيدي. كما **أهدف** إلى قراءة مواطن الأدبية في الخطاب الرسائلي من خلال التداخل الأجناسي .

هذا وقد اهتديت في رحلتي **بأمهات الكتب ونفائس الدراسات** التي تناولت جوانب هذه الشخصية : النفسية والاجتماعية، والإيمانية (الصوفية) وكان من بينها : **معجم الأدباء**(ياقوت الحموي)، و **أبوحيان التوحيدي** أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء (زكريا إبراهيم)، **وأبوحيان التوحيدي** (أحمد الحوفي)، وأبو حيان التوحيدي سيرته وآثاره لعبد الرزاق محي الدين، **والتوحيدي**(إحسان عباس)، والأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي(علي الدب)، **أمراء البيان** (محمد كرد علي)، كما كانت كتب تاريخ الأدب العربي والعباسي خاصة معينا لي في دراسة النثر العربي،وخصائصه الفنية والجمالية، كما كانت دراسة صالح بن رمضان **للرسائل الأدبية في الأدب العربي القديم** عونا لي من خلال دراسته للتداخل الأجناسي في الخطاب الرسائلي، بالإضافة إلى دراسات حول العتبات النصية .و استندت ايضا على **مجموعة مقالات** جمعها النقاد والدارسون في ظل الاحتفال بمئوية التوحيدي ضمن **مجلة فصول**.

وعن الصعوبات التي اعترضتني في البحث لم تكن شح المصادر والمراجع بل كانت على النقيض متوفرة جعلتني أغوص فيها، لكن مع هذه الوفرة واجهتني صعوبة العثور على دراسات في خصائص الرسائل الأدبية .ـ وخاصة رسالة الصداقة والصديق ـ غير الرسالة محققة من طرف الكيلاني التي استفدت منها، فقد فصل المحقق بين موضوعات الرسالة المتداخلة، التي شكلت عقبة

أمامي،إذ أن ما يميّز أسلوب التوحيدي الذي ينحو فيه منحى الجاحظ في الاستطراد والإطناب والتكرار أنّه لا يتحدث عن موضوع إلا قطعه ليعرض موضوعا آخر ثم يعود إليه من جديد مما يتطلب من الباحث دقة التركيز والمتابعة .

وأخيراً من حق الوفاء عليّ **شكر** من تابعني مُعيناً بعد الله بروحٍ أبوية خالصة صادقة،و مُوجهًا ومُصححًا بثراء علميّ أغنى الدراسة حتى النهاية ، و مرشدا برعاية مسؤولة وأخلاق عالية من لدن أستاذي **الدكتور عمارة بوجمعة** الذي أشرف على هذه الرسالة حتى استوت على يديه بهذا الشكل، جزاه الله عني وعن أهل العلم خير الجزاء ووهبه الصحة والعافية، اللهم إني قد اجتهدت لأجعل هذا العمل نافعا فإن وفقت فاجعل اللهم أجري في آخرتي وإلّا فحسبي أني حاولت ... ورحمتك وسعت كلّ شيء.

الطالبة جوهري سعاد

البيـض

28 أكتوبر 2016

الفصل الأوّل

بلاغة الخطاب النثري

ما قبل التوحيدي

الفصل الأول

بلاغة الخطاب النثري ما قبل التوحيدي

تمهيد

أولا– ماهية النثر

1- لغة

2- اصطلاحا

3-نشأة النثر الفني

ثانيا– الإطار الحضاري للعصر العباسي

1- سياسيا

2- اجتماعيا

3- ثقافيا

ثالثا–الكتابة الفنية في العصر العباسي

1- الخطابة

2-الرسائل :الديوانية ـ الاخوانية ـ الأدبية

3- القصص والمقامات

رابعا –خصائص النثر الفنية

خامسا – مدارس النثر الفني

1-مدرسة الترسل الطبيعي

2- مدرسة التفريع والتحليل والاستطراد

3- مدرسة السجع والبديع

تمهيد

إنّ المتصفح لأهم كتب النقد والبلاغة العربية تصادفه ظاهرة قلة العناية النقاد العرب القدامى بالنثر في حين أنهم أمعنوا النظر في الشعر واحتضنوه بالعناية والدرس والتدوين في جميع ألوانه وأغراضه، ولم يكن النثر ليأخذ حيز الدراسة إلّا في أبواب مقارنته بالشعر بل ظلّ يحتل مرتبة ثانية بعد الشعر، إلا أن بدأت الحياة العربية تدخل عهدا جديدا من التعقيد الفكري والاجتماعي . في العصر العباسي . عند ذلك أخذ النثر مكانه الحقيقي، واتسعت مساحته في ساحة الفكر والثقافة والحياة، وشارك الشعر بل تفوق عليه أحيانا. في تناول جميع المظاهر الاجتماعية والمناسبات الخاصة والعامة، وتصوير عواطف الأفراد وأفكارهم، ومعالجة همومهم وآمالهم، حتى أضحى هذا الفن الأدبي يسجل أكبر حضور له على الساحة الأدبية في عصر الازدهار الفكري والأدبي في القرن الرابع الهجري من خلال قدرته على احتواء الكلام والتعبير من خطابة ورسائل ومقامات وقصص...

إنّ الخوض في دراسة هذا الفن كتصور وماهية ومنبع للكتابة الأدبية ، وتحديد معالمه ورسم حدوده الاصطلاحية في الدرس الأدبي والنقدي التراثي يلزم الباحث في دلالته الوقوف على الجذر اللغوي لمصطلح نثر في معاجمنا اللغوية، والتي في حقيقتها تقصر ماهيته على الدلالة المادية الحسية، ثم الوصول به تدريجيا إلى أن يصبح ذلك الفن القولي لا ينفك أن يكون ضدا للشعر في المباحث الأدبية التراثية .

أولا– ماهية النثر :

1– لغة:

ورد في **لسان العرب** :"نثر الليث، النثر، نثرك الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل الجوز واللوز والسكر، ولذلك نثر الحب إذا بذر وهو النثار والنُثار "[1]. وفعل النثر بهذا المعني يعني جعل الشيء متفرقا مبعثر الأجزاء . ومنه نثر ينثره ونثره فانتثر وتناثر والنثارة ما تناثرت منه الأجزاء، وهي الدلالة التي تذهب إليها صيغة افتعل انتثر إذ يقال:"انتثر القوم وتنثر إذا تفرق"[2]. وهو ما يعني الانتشار في الأرض وعدم الاتحاد وفي سياق آخر تقترن دلالة نثر بالكلام فيقال رجل نثر " مهذار ومذياع للأسرار، ورجل نثر كثير الكلام [3]، فالنثير يبسط القول ويجعله في متناول الأسماع لأنه يعشق الإسهاب في الكلام والإطالة فيه . ويضيف **الزمخشري** في مادة نثر ما يزيد في وضوح هذا المعنى ونمائه وثرائه فيقول: "نثر اللؤلؤ وغيره وقد انتثر وتناثر ودر منثور ونثير ...[4] والنثر على هذا النحو هو الكلام الكثير المتفرق المنتج على غير نظام، تشبيها بنثر الدّر أو اللؤلؤ...

وفي **مقاييس اللغة** نجد :" نثرت الشاة، طرحت من أنفها الأذى ويسمى الأنف النثرة من هذا لأنه ينثر ما فيه من الأذى ، هذه المعاني المختلفة لكلمة النثر في المعاجم اللغوية العربية تتفق على أن أصل النثر مادي حسي، ويقوم على التفرقة و التوزع ، أي أن الشيء كان مجتمعا ثم تفرق وتبعثر دون نظام يحكمه غير أن هذا الأمر لا يكون في المعاني كلها، فانتثار الكواكب يدل على أن وجودها ليس عبثا بل وفق قوانين تنظم سيرها، فنحن ندرك مما جاء في الآية الكريمة " **وَإِذَا**

[1] ـ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، م 10،دار صادر بيروت، لبنان، دت،ص191.

[2] ـ أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت،دت، ص446.

[3] ـ المصدر نفسه، ص446.

[4] ـ نفسه، الصفحة نفسها.

الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ" [1] أن للكون نظام يسير وفقه، وإن بدت الكواكب منتشرة في الكون والفضاء، فهي تخضع لنظام معين .

2- اصطلاحا :

النثر في المعنى العام هو الكلام المرسل الذي أطلق من قيود الوزن والقافية. وهو على أنواع نثر عادي ونثر علمي ونثر فني* ، وهذا الأخير هو ما دخل حيز الدرس النقدي والأدبي، وهو ما تعنينا دراسته والبحث في فنونه وسماته الأدبية . وهو ما يرتفع به أصحابه عن لغة الحديث العادية، ولغة العلم الجافة إلى لغة فيها مهارة وفن وروية، وهي لغة الأدب التي تتحقق معها جمالية التأثير والاستجابة في المتلقي ...

جاءت أغلب مباحث مصطلح "نثر فني" في التراث النقدي العربي تدور كلها في رحاب المفاضلة بين الشعر والنثر. ولم يعثر في الدراسات على تعريف مضبوط للنثر إلّا مقابلا لمصطلح الشعر، والدارسون لم يصلوا إلى معان واضحة وحدود فاصلة إلّا في عقدهم مقارنات بينه وبين النظم "الشعر " في أبواب المفاضلة بينهما أيهما أشرف ؟ وأيهما أسبق للوجود من الآخر ؟

استقرت لفظة نثر في استعمال النقاد والأدباء على مفهوم الكلام الفني غير المنظوم الذي يقابل المنظوم (الشعر أو النظم) جاء في كتاب البرهان :"واعلم أنّ سائر العبارة في كلام العرب إمّا أن يكون منظوما أو منثورا ، والمنظوم هو الشعر والمنثور هو الكلام "[2] جاعلا النثر كل كلام غير الشعر، وهو ما يذهب إلى معناه ابن خلدون عندما يعرض قوله :" اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين : في الشعر المنظوم، وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه ما كانت أوزانه كلّها على روي

[1] ـ سورة الانفطار، الآية رقم 2 .

* ـ يطلق على النثر الفني في الدرس النقدي العربي : النثر الأدبي و الكتابة الفنية والخطاب النثري الفني والانشاء.

[2] ـ ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفي محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، 1969، ص127.

واحد وهو القافية، وفي النثر وهو الكلام غير الموزون ".[1] ثم يفصل الحديث مبيّنا ما يختص به كل فنّ من فنون الكلام :" واعلم أنّ لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله لا تصلح لفنّ آخر، ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر، والحمد والدعاء المختص بالخطب، والدعاء المختص بالمخاطبات وأمثال ذلك "[2]. ويعتمد ابن خلدون على الوزن والقافية في التفريق بين الشعر والنثر :" وصار هذا النثور إذا تأملته في باب الشعر وفنّه لم يفترقا إلّا في الوزن " [3].

ما يجعل النثر نثرا عند القدامى هو عدم إلحاقه بعناصر الإيقاع الخارجية، وعدم اقترانه بالوزن يعني أنّه كلام غير منظوم وبسببه أضحى كلاما متفرقا موزعا يشبه اللؤلؤ المنثور ومن ذلك ما جاء به مسكويه :" فكذلك النظم والنثر يشتركان في الكلام الذي هو جنس لهما، ثم ينفصل النظم عن النثر بفضل الوزن الذي صار به المنظوم منظوما "[4]، لكن النثر إن خلا من الوزن والقوافي. لا يخلو من العناصر الجمالية إما في اللفظ أو في المعنى أو فيهما معا ليحقق أدبيته، هذه النظرة الجزئية للنثر تقوم على المفاضلة بينه وبين الشعر لكن هذا الأخير يشترك مع النثر في جانب المعنى، بينما ينفرد هو بالوزن ويفضل به، فالنثر عند ابن مسكويه هو كلام فيه معنى غير أنّ مقوماته الجمالية لا تصل إلى مستوى الشعر المميز بالوزن والإيقاع " ولما كان الوزن حيلة زائدة وصورة فاضلة على النثر، صار الشعر أفضل من النثر من جهة الوزن، فإن اعتبرت المعاني، كانت المعاني مشتركة بين النظم والنثر " [5].

[1] ـ عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2004م ، ص566 .

[2] – المرجع نفسه،ص 567.

[3] – نفسه.

[4] – أبوحيان التوحيدي، الهوامل والشوامل، الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، الإصدار الثالث،2003، ص554.

[5] – المصدر نفسه،ص554.

والجاحظ من جهته حاول أن يعيد للنثر اعتباره من هذا الاتجاه حين نسب الأفضلية للنثر في حفظ المعارف الإنسانية وتقييدها فيقول :" فقد صح أنّ الكتب أبلغ في تقييد مآثر الأمم من الشعر"[1]، وفي دور النثر وأفضليته على الشعر يتحدث ابن سنان الخفاجي ي الحاجة إلى الكتابة ونفعها يقول :"وأما الذي نقوله في تفضيل النثر على النظم فهو : أنّ النثر يعلم فيه أمور لا تعلم في النظم كالمعرفة وبالمخاطبات وبينة الكتب والمعاهدات والتقليدات، وأمور تقع بين الرؤساء والملوك يعرف بها الكاتب أمورهم ويطّلع على خفي أسرارهم وأنّ الحاجة إلى صناعة الكتابة ماسة والانتفاع بها في الأغراض ظاهر ."[2]

ومصطلح (كتابة) هنا يقصد به النثر الفني الذي يشير إليه أبو هلال العسكري بقوله: "وأن يسلك في تأليف الكلام الذي يخرجه عن حكم الكلام المنثور العاطل الذي يستعمله العامة في المخاطبات والمكاتبات إلى حكم المؤلف الحالي بحلي البلاغة والبديع كالاستعارات والتشبيهات والأسجاع والمقابلات وغيرها ..."[3] هذا هو النثر الإبداعي الذي تكون لغته ذات سحر خاص، قادرة على إثارة الدهشة والانفعال العميق، وإثارة المتعة الفنية في المتلقي (قارئا أو سامعا)، أو بعبارة أخرى هو الكلام الذي يشتمل على جمالية فنية في صياغته وأسلوبه، هو كما يقولون:"نثر كنثر الورد، نثر كالسحر أو أدق ... نثر سحره كالبيان، نثر كالحديقة تفتحت أحداق وردها "[4] ، هذا الكلام يشير إلى أنّ صناعة النثر الفني (الكتابة الفنية)تقوم على عناصر فنية وخصائص جمالية أوردها النقاد مشتركة بين الشعر والنثر على شاكلة ما جاء في حدّ النثر ومفهومه، كما

[1] – أبو عثمان عمرو بن بحرالجاحظ، كتاب الحيوان، تح عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1965، ص86.

[2] – ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، المجمع الثقافي، الامارات العربية المتحدة، الاصدار الثالث، 2003، ص 491.

[3] ـ أبو عباس أحمد على القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 10، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر، دط،دت، ص323.

[4] ـ أبو إسحاق الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، شرحه الدكتور زكي مبارك، مج 1، دار الجيل، بيروت لبنان، ط5، 1999، ص164.

أشرنا سابقا حيث لم يخضعوا لكل واحد من الفنين حديثاوإنما جاءت تنظيراتهم في باب واحد، أين يتفقان ويشتركان في وجوه البيان وفصاحة الألفاظ وبلاغة وجودة المعاني، ودليل ذلك قول ابن وهب في البرهان :" وقلنا إنّ الشعر كلام مؤلف، فما حسن فيه فهو في الكلام حسن وما قبح فيه فهو في الكلام قبيح، فكل ما ذكرناه هناك من أوصاف الشعر فاستعمله في الخطابة والترسل، وكل ما قلناه من معايبه فتجنبه ها هنا "[1]، ولا يكون العمل الأدبي شعرا كان أو نثرا عملا فنيا تتحقق من خلاله شعرية وجمالية تصل المتلقي إلا إذا توفرت فيه عناصر البلاغة والفصاحة وما يتعلق بهما.

صحيح أن العرب القدامى كثيرا ما أشاروا إلى أنّ الشعر مثل النثر في القيم الفنية والجمالية، واتفقوا على العناصر التي تحقق جماليتها، وهي ما يطرب السامع بعد إفهامه والوصول به إلى الفهم مع بلاغة وبيان في الأسلوب، فالبلاغة هي المعنى الجيد الموافق للعقل، حيث لا يكتفي بنقل المعنى على أكمل وجه، بل يحقق الإطراب بما يقدمه من صور وإيقاع وموسيقى تثير العواطف النبيلة، مما يؤدي إلى التطهير الذي تحدث عنه أرسطو [2].

هذا مما تشاكل فيه النظم والنثر في المباحث النقدية غير أنّ للنثر عناصر فنية خاصة تحقق شعريته وجماليته، ولعل أولها "الإيقاع " لكنه ليس إيقاع الأوزان والقوافي بل هو إيقاع من نوع آخر، والأساس بضرورة توفر الإيقاع في النثر ترجع للنقاد القدامى ومن بينهم ابن الأثير الذي يرى أنّ :" من له أدنى بصيرة يعلم أن للألفاظ في الأذن نغمة لذيذة كنغمة الأوتار...وأن لها في الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل، ومرارة كمرارة الحنظل، وهي على ذلك تجري مجرى النغمات والطعوم"[3]، فالألفاظ عند دخولها في التركيب تتصل مع ما قبلها وما بعدها في خلق إيقاع داخلي للنص، ولابدّ من تجنب التنافر الصوتي بين الكلمات وحروف الكلمة الواحدة، لأن ذلك أبعد ما يكون عن

[1] ـ ابن وهب، البرهان، ص151.

[2] ـ ينظر : حسين الصديق، فلسفة الجمال ومسائل الفن، دار القلم العربي ودار الرفاعي، حلب، سوريا، ط1، 2003، ص270 .

[3] ـ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، القاهرة، دط،ص221.

الانسياب الإيقاعي في النص، فـ " تنافر الألفاظ من أكبر عيوب الكلام "[1]،كما أنه يشعر المتلقي بالتكسر ولا استرسال في تركيب الجمل والعبارات، والإيقاع ليس مجرد علامة جمالية خارجية فقط، بل هو وسيلة تبليغية يستدعيها الناثر لإثارة المتلقي ومن ثمّ فهو استدعاء للمعاني إذ أنها تحدده وتضبطه فيصبح للإيقاع وظيفة دلالية تضاف للوظيفة الجمالية .

هذا الإيقاع وما يحققه من جمالية ودلالية للنثر الفني له عناصره التي تجسده، وقد اتفق البلاغيون عليها قديما وجعلوها متعارفة بينهم، ويكمن مبعثها في :" المناسبة والموازنة بين الألفاظ في الجمل والعبارات، أو بين الجمل والعبارات أنفسها، وهذا التناسب قد يكون لفظيا أو قد يكون معنويا ..."[2]. فالإيقاع في النثر مرده التناسب بين الألفاظ في الجمل والعبارات، وهذا التناسب يكون في الألفاظ يتمثل في السجع والازدواج، فأما السجع فهو :" تواطؤ الفواصل في الكلام المنظور على حرف واحد "[3]، ومعناه أن يكون الكلام المنثور على فواصل مشابهة للقافية في المنظوم .وللسجع أنواع و تعاريف جال فيها القدماء في باب البحث في علم البديع .

وأما الازدواج فهو :"عبارة عن تقسيم الكلام إلى فقر متساوية متوازنة في الطول والقصر، وقد تكون متوازنة في الوزن أيضا "[4]، وله أيضا أضرب لا حاجة لنا بالتفصيل فيهما الآن، وإذا كان كل من السجع والازدواج يحققان التناسب اللفظي، فالتناسب المعنوي عند النقاد يتحقق بأن يكون :" معنى كل لفظة من اللفظتين المتناسبتين مقاربا أو مطابقا لمعنى الأخرى، أو أن يكون مضادا لها، أو قريبا من ذلك، وقد اتفق أكثر النقاد على تسمية هذا النوع بالطباق أو التضاد، أما النوع الأول

[1] ـ أبوهلال العسكري، الصناعتين في الكتابة والشعر، تح د مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981، ص160.

[2] ـ ينظر : عثمان موافي، في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، ج1، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص97

[3] ـ المرجع نفسه، ص 30 .

[4] ـ عثمان موافي، نظرية الأدب، ص99.

فقد أسموه جناسا "[1] وهما متعلقان بمعاني الكلمات لا بشكلها .بالإضافة إلى المقابلة وهي " في أصلها ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطي أول الكلام ما يليق به أولا، وآخره ما يليق به آخرا، ويأتي في الموافق بما يوافقه وفي المخالف بما يخالفه "[2]، وهذا يمكن المتلقي من الحصول على إيقاع موحد بفضل تكرار الألفاظ وما يقاربها فيحدث انسجاما واسترسالا عذبا للمعاني والأفكار ما توافقت مع المعنى في القوة واللين وتجنبت الإفراط في التكلف والتصنع.

هذه العناصر المحققة للإيقاع الداخلي للنثر الفني،تحقق إلى جانب الفصاحة والبلاغة والمجاز شعرية النثر الفني، وتخلف بعدا دلاليا ونفسيا في المتلقي .

هذا ما اجتمع عليه النقاد العرب في مسائل جمالية النثر، إلى جانب مسائل أخرى شكلت محور المباحث النقدية هي : باب تفضيل الشعر على النثر أو العكس،إذ تبارى النقاد القدامى على إظهار محاسن هذا على ذاك،كما كانت لقضية اللفظ والمعنى مساحة شاسعة في النقد العربي القديم.

هذه محاولة لرصد مفهوم النثر الفني في تصانيف النقد العربي القديم، واستقراء ماهيته ضمن تعاريف للخطاب الشعري والتي لم يعثر فيها على مفهوم محدد يخرج به النثر الفني مستقلا عن ماهية النظم وخصائص الشعر غير أن الباحثين في العصر الحديث لهم محاولات جادة لتعريف النثر الفني وتحديد مفهومه، فقد ذهب عمر فروخ مثلا إلى :" أن النثر هو الكلام هو الكلام الذي يجري على السليقة من غير التزام الوزن، وقد يدخل السجع والموازنة والتكلف الكلام، ثم يبقى نثرا إذا بقي مجردا من الوزن"[3]، والنثر عنده أسبق أنواع الكلام للوجود وهو نوعان:مسجّع إذا التزم كل فقرتين

[1] ـ عثمان موافي، نظرية الأدب، ص101.

[2] ـ ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج2 مطبعة السعادة،القاهرة، دت، ص15.

[3] ـ عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي (من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية)، دار العلم للملايين، ط4، 1981،ص45/44.

أو أكثر قافية، أو مرسل إن كان غير ذلك* وهذا يحيلنا إلى وجود أنماط للنثر الفني ، وهو ما عرف بمدارس النثر الفني في العصر العباسي سنأتي على ذكرها لاحقا بالتفصيل .

أما شوقي ضيف فيعرفه بالقول:"النثر الذي يقصد به صاحبه التأثير في نفوس سامعيه والذي يحتفل فيه من أجل ذلك بالصياغة وجمال الأداء"[1]، بمعنى ذلك النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة ... وهو الكتابة الفنية التي تشمل القصص المكتوب، كما تشمل الرسائل الفنية المحبرة، وقد تتسع فتشمل الكتابة التاريخية المنمقة[2]، كما نجد الدكتور طه حسين يطلق على الأدب " مأثور الكلام نظما ونثرا " فيقول في النثر :"هو هذا الكلام الذي يعنى به صاحبه عناية خاصة، ويتكلفه تكلفا خاصا، ويريد أن يأخذك بالنظر فيه والتعويل عليه، كما يعنى الشاعر بشعره، ويحاول أن يؤثر به في نفسك "[3]. أي أنه قائم على مظاهر الجمال من جهة، وقصدية التأثير في النفس من جهة أخرى، لذلك وجب على الأديب أن يعنى في نثره بالتفكير والجمال في الآن ذاته.

من خلال هذه الجملة من الآراء يتبين أن النثر أو الكتابة الفنية إنما هو تشكيل لغوي يتجاوز خاصية الإفهام إلى ما وراءه من الحسن والإثارة، فهو يسعى هذه اللغة إلى تحقيق وظيفة إبلاغية و دلالية، ويتجاوزهما إلى وظيفة جمالية تأثيرية تبنى بين المبدع والمتلقي وهنا تتجلى الأدبية.

بعد أن حاولنا رصد الآراء النقدية في دلالة مصطلح النثر الفني عند القدامى والمحدثين، نرى ألاّ نخرج عن تصانيفهم في التأصيل لتاريخ الأدب العربي وبالخصوص النثر الفني، وتتبع نشأته ومراحل تطوره عبر العصور الأدبية التي وضعوها واصطلحوا عليها لنهتدي بها في سيرنا من خلال هذا البحث . ولنبدأ بالنشأة والتطور.

---

* ـ هذا ما أورد أيضا أحمد حسن الزيات في كتاب :تاريخ الأدب العربي.

[1] ـ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، دار المعارف، القاهرة، ط17، دت، ص398.

[2] ـ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط12، دت، ص 15.

[3] ـ طه حسين، في الأدب الجاهلي،دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973 ط1،، ص328.

3-نشأة النثر الفني :

يتناول هذا القسم من البحث النشأة والتطور من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي، وتكفينا لمحة يسيرة عن الجذور الأولى للنثر الفني والخطوط العريضة لملامح تطوره من العصر الجاهلي حتى العصر الأموي[1]

3-1 النثر الفني في العصر الجاهلي :

شكلت نشأة النثر الفني في هذه الفترة (ما قبل الإسلام) محل جدل وموضع اختلاف بين الباحثين في الأدب العربي، إذ تباينت الآراء واشتجرت العقول بين مؤيد لوجوده وناف لظهوره، حيث يرى الدكتور زكي مبارك مدافعا عن وجهة نظره أن للعرب في جاهليتهم نثر فني له خصائصه وقيمته الأدبية، وأنّهم بلغوا فيها شأنا كبيرا لا يقل عما وصلت إليه الأمم من الفرس واليونان بل أنّهم استقلوا بإنتاجهم الأدبي في النثر عن هذه الأمم، وإن كانت الظروف المختلفة لم تساعد على بقاء هذا التراث، فيقول :" كان للعرب في الجاهلية نثر فنيّ يتناسب مع صفاء أذهانهم وسلامة طباعهم، ولكنه ضاع لأسباب شيوع الأمية وقلة التدوين "[2]، ويستدل زكي مبارك ليدحض حجج الرافضين بالقرآن الكريم .

يرى زكي مبارك أنّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب لإرشادهم وتنظيم حياتهم، ولم يخاطبهم إلا بأسلوب يفهمونه ويتذوقونه، بل إنه تحداهم في محاكاته والإتيان بسورة من مثله، ولا يكون التحدي إلا لقوم بلغوا درجة من بلاغة القول وفصاحة اللسان و الخلاصة أن القرآن نثر، إنه دليل على أن العرب كان لهم نثر فني قبل الإسلام، فكان بذلك لهم وجود أدبي متين قبل أن يتصلوا بالفرس

[1] ـ ينظر للاستزادة مؤلفات العرب : تاريخ الآداب للزيات، تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان . النثر الفني لزكي مبارك ...

[2] ـ زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ج1، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، د ت، ص، 34.

واليونان "[1]، ويذهب محمد عبد المنعم خفاجي بالرأي نفسه إذ يقر بوجود نثر فني في العصر الذي يسبق الإسلام [2].

وهنا يقف زكي مبارك وغيره ندا لطه حسين الذي ذهب بقوله أن العرب في الجاهلية كانوا يعيشون عيشة بدائية أولية وهذا لا يتطلب النثر الفني، لأنّ النثر لغة العقل عكس ما يتطلبه الشعر من لغة العاطفة والخيال، ذلك لأنّ طه حسين يرى أنّ النثر :" لا يظهر حتى تقوى هذه الملكة المفكرة التي نسميها العقل، وحين تظهر وتشيع هذه الظاهرة الاجتماعية التي نسميها الكتابة "[3] ، من وجهة نظر طه حسين أن النثر الفني ـ كما أشرنا سابقا ـ تعبير جميل رصين محكم يستدعي الروية والتفكير وهذا لا يتلاءم مع حياة العرب في جاهليتهم بل يذهب في نفيه إلى القول بأن ما وصلنا من خطب ووصايا وغيرها لا يمثل نثر الجاهليين بل هو منحول [4]، ويؤيده هذا الرأي مارون عبود في كتابه (أدب العرب).[*]

و يتحدث شوقي ضيف عن نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي فيقول : " نحن لا نغلو هذا الغلو الذي جعل بعض المعاصرين يذهب إلى القول أّن العرب عرفوا الكتابة الفنية أو النثر الفني منذ العصر الجاهلي، فما تحت أيدينا من وثائق ونصوص حسية لا يؤيد ذلك إلاّ إذا اعتمدنا على الفرض والظنّ، والحق أّن ما بين أيدينا من النصوص الوثيقة يجعلنا نقف في مرحلة وسطى بين

[1] ـ زكي مبارك، النثر الفني، ص43.

[2] ـ ينظر محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، دار التأليف، القاهرة، ط1، 1952، ص78.

[3] ـ طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص369.

[4] ـ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[*] –ينظر: أدب العرب لمارون عبود في حديثه عن النثر في العصر الجاهلي،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر،دط، 2014، ص85.

الرأيين فلا نتأخر بنشأة الكتابة الفنية عند العرب إلى العصر الجاهلي بل نضعها في مكانها الصحيح الذي تؤيده المستندات والوثائق و هو العصر الإسلامي " [1] .

ولعل مرد هذه الآراء هو عدم وجود أي كتاب أو مدون يحتوي على نصوص هذا النثر، لأنّ العرب كانت تحفظ تراثها وتتناقله عبر الرواية ، أي أنّ ما ورد تحكمه الشفهية (المشافهة)، لذلك كان تعرضه للضياع والانتحال بدرجة أكبر من الشعر بحكم سهولته على الذاكرة في الحفظ إذ "لم يعن الرواة من منثورهم على كثرته إلّا ما علق بالأذهان لنفاسته وبلاغته وإيجازه "[2]، ونستند في هذا إلى ما أورده الجاحظ نقلا عن بن الفضل بن عيسى الرقاشي بقوله : "ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره "[3]، على أن التدوين لم يكن إلّا في العصر الأول من العصر العباسي وهذا الأمر . بلا شك . يحط من مصداقية النصوص التي وصلت إلينا بعد تلك المرحلة، مع هذا كلّه لا يدل عدم وصول نماذج صحيحة عن هذا العصر على جهل العرب بهذا الفن، ويبدو أنّ هذا الرأي هو أقرب إلى الدقة والموضوعية، فالبيئة العربية آنذاك كانت منشأ الفصاحة والبلاغة، فقد كان عرب البادية إذا سمعوا قولا يحكمون بصوابه أو خطئه عند النحويين والبلغاء .

ولئن كان ذلك النزر اليسير لا يمكّن من إدراك خصائص النثر في تلك الفترة، فإنه . مع ذلك . أثرت عن الجاهليين أجناس نثرية منها الخطابة كخطب الوفود العربية عند كسرى ملك الفرس، وهي خطب مطولة مثبتة في الجزء الأول من العقد الفريد [4]، ويلحق بالخطابة الأمثال والحكم وسجع الكهان، والمفاخرات والمنافرات، يضاف إليها نزر قليل من الرسائل والكتب

[1] ـ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص 104.

[2] ـ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط2، دت، ص18 .

[3] ـ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين،ج1، تح، عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950،ص287.

[4] ـ ينظر : زكي مبارك ، النثر الفني ، ص37

وبعض القصص التي يروونها في أسمارهم حول أيامهم وحروبهم مما هو مبثوث في مصادر تراثنا الأدبي.

الخطابة:الخطبة قطعة من النثر، وهي أقدم فنونه،و أطولها عمرا، وأكثرها التصاقا بحياة العرب منذ أمد بعيد، اهتمّ بها العرب فجعلوا لها شروطا وتقاليد، وحرصت القبائل على تدريب فتيانها أصول الخطابة حتى أن منزلة الخطباء فاقت منزلة الشعراء بسب كثرة الشعراء وتدنيهم وتفريطهم في القيم الأخلاقية[1] ، ويورد الجاحظ قوله :"كان الشاعر أرفع قدرا من الخطيب ، وهم إليه أحوج لرد مآثرهم عليهم، وتذكيرهم بأيامهم، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر، صار الخطيب أرفع قدرا من الشاعر[2]، ومن أشهر خطبائهم . عمرو بن كلثوم، وقس بن ساعدة ، و أكثم بن صيفي ...أمّا عن مميزاتها يقول الزيات "وأمّا أسلوبها فكان رائع اللفظ، خلاب العبارة، واضح المنهج، قصير السجع،كثير الأمثال، وهم إلى قصارها أميل لتكون أعلق بالصدور وأذيع ..."[3] . ويشير الزيات إلى تقاليد العرب في الخطيب وهيئته وشروط وقفته، إذ لا بد من توفرها حتى يكون للخطبة حقها من الفهم والشيوع .

الأمثال: قول محكم الصياغة، قليل اللفظ، موجز العبارة، بليغ التعبير وهي " جملة مقتطعة من قول أو مرسلة بذاتها تنقل عمن وردت فيه إلى مشابهه دون تغيير، وهذا النوع خاص بالعرب لانتزاعه من حياتهم الاجتماعية، وحوادثهم اليومية " [4]، لذلك هي أصدق تعبير على العرب وتفكيرهم وعاداتهم، وهي أيضا تصوير للمجتمع أتم تصوير، وحسب إبراهيم النظام :" يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام :إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية فهو

1 ـ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص 19.

[2] ـ الجاحظ، البيان والتبيين،ج4، ص83.

[3] ـ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص20 .

[4] ـ المرجع نفسه، ص18.

نهاية البلاغة "[1]، والمثل من الأنواع التي شاع استعمالها عند العرب في الخطب والمواقف " وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ولم يكن الناس جميعا ليمتثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع " [2] ومن أشهر أمثال العرب ما جادت به قريحة الأكثم بن صيفي وقس بن ساعدة وأوس بن حارثة ...

الوصايا:هي قول حكيم يصدر عن مجرب خبير يوجهه إلى من يحب لينتفع به ، وهي تشبه الخطب إلا أنها أقصر منها كما أنّها توجه إلى قريب أو أخ أو صديق في حين أنّ الخطب توجه لعامة الناس، كوصايا الآباء للأبناء في الجاهلية التي تعنى بالآداب الأخلاقية، والتي تنظم صلة المرء بغيره من أهله أقاربه وأبناء مجتمعه، من ذلك وصية زهير من جناب الكلبي لبنيه، ووصية أمامة بنت الحارث لابنتها ، ووصية ذي الأصبع وغيرها ...[3]

الحكم:هي قول موجز مشهور يتضمن معنى مسلّما به، يهدف إلى الخير والصواب،تحمل تجربة إنسانية عميقة، وهي "قول موافق للحق، سالم من الحشو،وهي ثمرة الحنكة ونتيجة الخبرة وخلاصة التجربة، كقولهم : الخطأ زاد العجول ."[4]

سجع الكهان:هو ظاهرة ارتبطت بطقوس الكهان والسحر والمعتقدات، وهو ضرب من الخطابة عرف بالقوافي المكررة والتكلف والغموض، و يذكر الجاحظ أنّ كهان الجاهلية التزموا السجع : "وكان الذي كرّه الأسجاع بعينها أن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة،إنّ كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم، وكانوا يدعون الكهانة، وإنّ مع كل واحد منهم بريئا من الجن

[1]ـ ينظر : مجمع الأمثال، ج1، ص5 ـ 6، نقلا عن، حسن نصار، في النثر العربي، مكتبة الأسرة، القاهرة دط، 2000، ص60 .

[2]ـ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 271 .

3 ـ أحمد حسن الزيات، تاريخ الادب العربي، ص18.

[4] ـ المرجع نفسه، ص19

مثل جازي وجهينة، ومثل شق وسطيح، وغرى سلمة وأشباههم،كانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع ..."[1] وانقرض هذا النوع من النثر بظهور الإسلام .

وعلى العموم تميز النثر الفني في الجاهلية سواء كان خطبة أو مثلا أو حكمة :" بجريانه على الطبع، فليس فيه تكلف ولا زخرف ولا غلو ... يسير مع أخلاق البدوي وبيئته، فهو قوي اللفظ، متين التركيب، قصير الجملة، موجز الأسلوب قريب الإشارة، قليل الاستعارة ..."[2].

3-2 النثر الفني في صدر الإسلام :

جاء الإسلام دينا للبشرية ففتح صفحة جديدة أشرقت في تاريخ العرب فأخرجتهم من الظلمات إلى النور، ومن القبلية والعصبية البغيضة إلى الإنسانية العالمية، والحياة المتحضرة الكريمة فهذّب النّفوس، وأقام الأخلاق وغيّر حياة الجاهلية إلى الأفضل والأكمل، ولما كان الأدب والنثر صورة تعكسها البيئة، ازداد اهتمام العرب بالكتابة بعدما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى تعلّمها لأن " الثورة الكتابية الأولى التي نشأت في وجه الخطابة والشعر هي كتابة القرآن الكريم، فالقرآن نهاية الارتجال والبداهة، وهو بمعنى آخر نهاية البداوة، وبدء المدنية، ويمكن القول تبعا لذلك إنّه بداية المعاندة والمكابدة وإجالة الفكر "[3]، كما أنّ القرآن بإعجازه الذي تحدى به الله العرب وهم أمة الفصاحة والبلاغة ، فعجزت على الإتيان به [4]، وإعجازه يظهر في ألفاظه ومعانيه وأساليبه، فالقرآن " مصدر العرب في لغتهم إذ لم يتح لأمة من الأمم كتاب مثله ، لا ديني ولا دنيوي من حيث البلاغة والتأثير في النفوس والقلوب "[5].

---

[1] ـ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص ص289 ـ 290 .

[2] ـ أحمد حسن الزيات، تاريخ الادب العربي،ص 19 .

[3] ـ أدونيس، الثابت والمتحول، دار العودة، بيروت،ط4، 1983، ص23.

[4] ـ يراجع في ذلك الآية 88 من سورة الاسراء .

[5] ـ شوقي ضيف، العصر الاسلامي، دار المعارف القاهرة، ط11، دت، ص30 .

من هنا يفهم أنّ الحياة الأدبية تعرضت لانقلاب شامل وتطور بعيد المدى ولم يكن ثمة بدّ من أن يتأثر الأدب بالحياة الجديدة، وأن يكون صدى لأحداثها واتجاهاتها، هذا وكان مظهر التطور في النثر أوضح منه في الشعر لأنّ الشعر فن تقيلدي يرتسم فيه الشاعر خطا سابقيه، ويلتزم أصولا محددة ولذلك يكون أبطأ من النثر استجابة لدواعي التطور[1]، فلا ريب أنّ الشعر قد تراجع وخفت صوته لقلة الدواعي إليه بالإضافة إلى موقف الإسلام منه، كما لم يعد للشعر وظيفة للعلم والمعرفة بل انتقلت وظيفته إلى فن آخر ظهر وتطور بظهور الحضارة ومعرفة الكتابة هو الكتاب، وصار الكتاب أو الرسالة هي التي تحمل رسالة الفكر والمعرفة لا الشعر، ولا عجب إذن أن قيل أنّ الشعر قد تخلف وتنازل عن بعض سلطانه ووظائفه للكتابة ، لكنه مع ذلك تواجد في صادق المدح والرثاء، كما أن السبب الأول لتراجع الشعر آنذاك هو بلاغة القرآن الكريم وإعجازه اللغوي والبياني .

أمّا أغراض النثر العربي ومعانيه فإنها بلا شك تغيرت بظهور الإسلام ، فقد تغير وجه النثر، وإن ظلت بعض ملامح الفنون السابقة مميزة له، إلّا أنّ مضامين تلك الفنون اختلفت وأخذت طابعا إسلاميا يختلف عن سابقه الجاهلي، فقد نقل القرآن الكريم بلاغة العرب ونثرهم إلى مستوى رفيع من روعة الأداء الفني، إذ " تلون النثر في هذا العهد بجميع ألوان الحياة الجديدة فكان خطابة وكتابة ورسائل، وكان على كل حال أدبا مطبوعا، وامتاز النثر في هذا العهد بالإيجاز على سنة الطبعة العربية الأصيلة[2].

شكل القرآن الكريم ومن بعده الحديث الشريف تصورا جديدا للنثر، إذ نشط الخطاب النثري ذو الصبغة الشفهية الممثل في الخطابة وذو الصبغة الكتابية الممثل في الترسل ليكونا أهم وسيلتين في تأدية وظيفة تبليغ تعاليم الدين الجديد، فالخطابة شهدت في صدر الإسلام تطورا

[1] ـ ينظر : مواكب الادب العربي عبر العصور، عمر الدقاق، طلاس، دمشق، ط1، 1988، ص77.

[2] ـ حنا فاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، منشورات ذوي القربى ، ط3، 2006/ 1426، ص322.

واسعا، حيث بلغت غاية كمالها لشرف أغراضها، فالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحثّ الناس على مناهضة المشركين، وقمع الفتن، وردع البدع [1]، كل هذا جعلها تلبس مظهرا جديدا غير ما عهده العرب، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون على رأس الخطباء آنذاك .

وما ميّز الخطابة في تلك الفترة عذوبة اللفظ ومتانة الأسلوب وقوة التأثير التي تكتسبها من الاقتباس من آي القرآن الكريم، كما انتهجت سبيل الإقناع والإرشاد من خلال حجج القرآن الذي شكلت معينا لا ينضب، وموردا لا ينفذ[2] وميزها الابتداء بحمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما كان للرسالة نفس ما هيأت له الخطابة إذ شكل الخطاب النثري في الرسالة مظهرا فنيا آخر أضافه الإسلام نظرا لتعلم الكتابة، ومن ذلك رسائل النبي إلى ملوك الأرض يدعوهم للتوحيد، ونهج نهجه الخلفاء من بعده في مراسلة الولاة في الأمصار، ولم تخرج الرسالة في أسلوبها عن البيان القرآني والإيجاز في اللفظ ودقة المعاني وجزالة الأسلوب والحجاج من القرآن الكريم ، وهي كما يقول الزيات " فأما أسلوبها فكان جزل الألفاظ فحم التراكيب، واقفا عند الغرض، خاليا من التطويل والتجميل والمبالغة، وكانت تبدأ بالبسملة وتختم بالسلام "[3].

إلى جانب الخطب والرسائل. عرف صدر الإسلام فنون كتابية لم يعهدها العرب من قبل الإسلام كالمعاهدات والبيوع، والعهود السياسية والمواثيق، وكل ما من شأنه تنظيم أمور الدولة الجديدة، كما اتخذت الوصايا لونا آخر اصطبغ بروح الدين الإسلامي وهي العظات التي تبنى على الترغيب والترهيب ، والدعوة إلى الزهد في الدنيا، والتحبيب في الآخرة والعمل لها، ووفقت الأمثال والحكم إلى جانبها في تعليم المسلمين وتوجيههم .

[1] ـ أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي، ص176.

[2] ـ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ـ نفسه، ص196 .

هكذا اصطبغ النثر الفني في عهد الرسول والخلفاء الراشدين صبغة دينية، حيث أتاح ظهور الإسلام من الدواعي والأغراض غير ما عهده في العصر الجاهلي ، وإذا ما حاولنا رصد خصائص النثر الفني في صدر الاسلام و أثّره في الحياة الأدبية من ناحية الألفاظ، تأثرت لغتهم ببلاغة القرآن وفصاحته، وإعجازه وأورثهم أروع الأساليب وأدّقها وضوحا وتصويرا وأرقها[1]. ولعلّ التأثير يتّضح في معاني اللّغة من حيث الدّقة والتفكير والفهم والعمق، بما استفادوه من ثقافة الدين،كما ساعد اتساع مادة المعاني والأغراض باتساع المشاهدات والمناظر والمعقولات والمعنويات، وتعددت صور الخيال في روعة وجمال التعبير بتجدد وتعدد الصور التي انتزع منها، والتي كانت مادة له" .[2] غير أنّ النسق البياني العام لا يكاد يختلف عن سابقه في النثر الجاهلي . عدا الأغراض والمواضيع . من حيث سهولة اللفظ وجزالته والتعبير عن المعاني بلا زيادة ولا نقصان، أي يكون اللفظ مناسبا للمعنى ، بلا إغراب في الخيال ولا مبالغة في التصوير . والأسلوب جزل قوي (قوة البيان القرآني) محكم البناء، متين الصياغة، خال من الصناعة اللفظية التي يتكلف فيها السجع والبديع والزخرف، وإنّما كان النثر في صدر الاسلام يخرج من الطبع والفطرة، ولم يكن صناعة فنية تجتلب إليها الحلي والمحسنات. كما سيكون فيما يأتي من العصور بل كان يقع بريئا من التكلّف، بعيدا عن القصد والتعمّل.

سينتقل النثر بعدها الى مرحلة جديدة، وسيدخل الدواوين ويصاحب السياسة .إذ يكون لتعدد الأحزاب والفرق الأثر الواضح على تطوره .

[1] ـ أحمد أمين، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط10، 1969، ص195.

[2] ـ في هذا ينظر : محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار الجيل، بيروت 1990، ص 17 .

3-3 النثر الفني في عصر بني أمية :

يزخر عصر بني أمية بنثر فني متميز، مما جعله محطّ اهتمام النقاد والدارسين، ومن أشهرهم ابن عبد ربه (العقد الفريد) والمبرد (الكامل في اللغة والأدب) والجاحظ (البيان والتبيين)، وقد شملت هذه الكتب جمعا ودراسة لأنماط النثر الفني في هذا العصر خاصة : الرسائل والخطب والتوقيعات والأمثال والحكم . وكان الاسلام أحد أهم أسباب هذا الازدهار لا من ناحية شريعته وعقيدته وروحه فحسب، بل ما نشأ عنه من فتوحات إسلامية وخروج العرب إلى مختلف البلدان، وما نتج عنه من اختلاطهم بالأجناس المتعددة وتأثرهم بالمدنيات والعقليات المختلفة [1].

كما كان للخصومة على الإمامة أثر كبير في نشوب ذلك الجدل العنيف بين الفرق الأربع التي أوجدتها الخصومة بين على ومعاوية [2]، حيث اتّسع الجدل واتسعت معه أفق الذهن العربي في تحبير الرسائل السياسية، واستعمال الشعر في الخصومات، وعقد المناظرات، وكان لذلك أثر على قوة الخطابة وانتشارها فقد عادت العصبية القبلية. وانبرى كل خطيب يدافع عن حزبه، ويتعرض للأمور السياسية و الدينية والاجتماعية، فقد كان للأمويين حزب يناصر معاوية، وللشيعة خطباء يؤيدون حقهم في الخلافة وينكرون موقف معاوية، وللخوارج من برعوا في إثارة المشاعر بالدعوة إلى المساواة الدينية...[3] فكان هذا كلّه من دواعي ذيوع الخطب وقوة انتشارها في هذا العصر .

كما شهد هذا العصر توسع انتشار الخط واستعمال الكتابة وازدهرت الدواوين، وأصبحت الكتابة ضرورة إدارية ملحة، فنمت نموا واسعا وارتقت، حيث ظهر الكتَاب بشكل ملفت بعد تعريب الدواوين، فأتقن الموالي اللغة العربية، وأجادوا في الكتابة، وعرف العرب حينها فكرة الكتاب فألفوا كتبا كثيرة بعضها ديني، يتصل بالفقه والتشريع الإسلامي، وبعضها تاريخي، والبعض الآخر

[1] ـ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص 84 ـ 85.

[2] ـ المرجع نفسه، ص85 .

[3] ـ أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج1،مكتبة البابي، مصر،دط ،1971، ص ص212/ 225.

سياسيّ يصدر عن الخلفاء والأمراء، وشاع في هذا العصر الرسائل الشخصية بحكم تباعد العرب مع اتساع الرقعة الإسلامية، فكانت إمّا تهنئة أو تعزية أو عتاب ...[1]

كانت أول البدايات الحقيقية لتطور النثر في هذا العصر ما أحدثه سالم مولى هشام بن عبد الملك. و بعده تلميذه الذي يعد نقطة تحول هامة في مسار الكتابة الفنية، إنّه عبد الحميد الكاتب الذي وضع الأساس لهذا المنهج الكتابيّ. واقتفى أثره الكتاب من بعده وهو " أبلغ كتاب الدواوين في العصر الأموي، وأشهرهم وقد ضربت ببلاغتها الأمثال "[2]، وتدخل بهذا الرجل الكتابة الفنية عالما آخر جديدا، بل ستبدأ به كما جاء في الأثر أن الكتابة بدئت بعبد الحميد الكاتب* ، هذا الرجل الذي قيل عنه : "أول من فتق أكمام البلاغة وسهل طرقها ، وفكّ رقاب الشعر "[3]، وهو من " عرف بترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات، ثم انتهى إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام مثلما تهيأ له في الأولى، ألا ترى أن عبد الحميد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي"[4]، وهذا القول يشير إلى أنّ عبد الحميد قد تأثر بعناصر أجنبية (الفارسية) في أسلوبه كالإطناب واستعمال المنطق والتسلسل في الأفكار لكن توظيفه للتوازن والازدواج والسجع كان من جنس العربية الأصيلة لأنّ العرب من تاريخهم الأول بالكتابة قد عرفوها في منثورهم، كما أنّ القرآن الكريم حفل بها في محكم آياته في حدود الاعتدال والقصد .

[1] ـ رفيق خليل عطوي، فن النثر في العصر الأموي، الأكادمية اللبنانية للكتاب، بيروت،ط1، 2002،ص ص 50 / 60 .

[2] ـ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، في النثر العربي، ص125.

*ـ أبو غالب عبد الحميد بن يحي بن سعد مولى العلاء بن وهب العامري، فارسي الأصل، شامي النشأة، تمرس في الكتابة على يد أستاذه سالم مول هشام، كان معلما للصبيان حتى اتصل بديوان الخلافة، قلّده الخليفة مروان شؤون الرسائل . و قتل معه مع قيام الدولة العباسية .

[3] ـ ابن عبد ربه أحمد بم محمد الأندلسي، العقد الفريد ، ج2،تح محمد سعيد العريان، لبنان دار الفكر، ص202.

[4] ـ العسكري، الصناعتين، ص51 .

ومن الواضح في كتابات عبد الحميد أنّه اعتمد الإطناب في أسلوبه، القائم على جزالة اللفظ وترادف الجمل والطباق، كما كان يستعين بالمكملات كالحال والتمييز والجار والمجرور ... ومن أسلوبه المنطقي ربط الأسباب بمسبباتها، والنتائج بمقدماتها ويظهر ذلك مثلا في رسالته إلى الكتاب :

(... ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم، وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسموا إليه همتكم، ولا تضيعوا النظر في الحساب، فإنه قوام كتاب الخراج، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع : سنيها ودنيها، وسفساف الأمور ومحاقرها، فإنها مذلّة للرقاب، مفسدة للكتاب، ونزهوا صناعتكم عن الدناءات، واربئوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات، وإيّاكم والتكبر والصلف والعظمة، فإنها عداوة مجتلبة من غير إحنة)[1]، وكان هذا السبيل في الكتابة مزيج من بلاغة العرب والعجم، تفنن فيه عبد الحميد ولزمه الكتاب من بعده والمترسلون البلغاء في العصر العباسي، وكان ممن ارتسم خطاه أبو عثمان الجاحظ لكن صديقه ابن المقفع زهد في بلاغة أجداده الفرس وآثر الأسلوب المرسل في كتاباته .

[1] ـ ابن خلدون، المقدمة، ص275.

ثانيا – الإطار الحضاري للعصر العباسي :

لن يخرج العصر العباسي عن القاعدة التي تقول أن الأدب لسان حال العصر وترجمان المجتمع، لأنه يتلون بالحياة فيه ويعكس روحه وحضارته، فإن شئنا أن ندرس الحياة الأدبية في هذا العصر علينا أن نوطئ له بدرس حضارته وظروفه الاجتماعية والسياسية والفكرية .

العصر العباسي هو الفترة الممتدة من زوال حكم بني أمية (132هـ) إلى زوالها على يد التتار(656هـ)، وهي مدة ليست بالهينة فقد امتدت لأكثر من خمسة قرون متتالية، ولطول هذه الفترة من التاريخ الإسلامي قسمها المؤرخون إلى عصور فرعية، فمنهم من جعلها عصرين أولا وثانيا، ومنهم من جعلها ثلاثة، ومنهم من جعلها أربعة، وسنلتزم منهج الأغلبية في تقسيم العصر العباسي إلى عصرين: الأول والثاني[**] .

العصر العباسي الأول : (132هـ ـ343هـ): تعرف هذه الفترة بالعصر الذهبي، فترة المنعة والقوة، كان فيها الخليفة عزيز السلطان مهيب الجانب. وعرف هذا العصر ترفا في كل الميادين، أيام الرشيد والمأمون، أما المعتصم فقد توالت في عهده الانتصارات العسكرية واستمر ذلك إلى عهد الواثق والمتوكل[*] وانعكس كل هذا على الفكر والأدب بفعل التمازج والترجمة فاكتسبت الحضارة بهرجا ثقافيا أثرى العصر بالكتابة والترجمة والتأليف. أما العصر العباسي الثاني:(334هـ ـ 656هـ): هو عصر الانحلال والتفكك السياسي والانقسامات إلى دويلات: بداية من مرحة النفوذ التركي

[*] - يسير على هذا التقسيم أغلب الباحثين العرب منهم : جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية وتاريخ الأدب العربي لحسن الزيات، وضحى الإسلام لأحمد أمين... وغيرهم ممن ربطوا العصور التاريخية للعصر العباسي بالتطور السياسي والأدبي. الأول عهد ازدهار سياسي واجتماعي وفكري، والثاني تدهورت فيه الأوضاع كلها . غير أن الأدب له منطق أخر في تقسيمه إذ أن الانحطاط السياسي والاجتماعي لم ينعكس على نموه ونهضته،كما يشير إلى ذلك أغلب الباحثين والدارسين للأدب العربي .

[**] - أسهب الدكتور شوقي ضيف في أحوال العصر العباسي الأول ونظام الحكم والسياسة فيه، وتتبع كل عهد مصورا الأحداث التي ميزت هذه الفترة . ينظر : شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)،ج3،دار المعارف القاهرة، ط8،1966، ص35/9.

حتى عام 334هـ، ثم مرحلة النفوذ البويهي الفارسي حتى عام 447هـ، ليبدأ نفوذ السلاجقة الأتراك وينتهي على يد المغول وتسقط بغداد عام 656هـ.

ـ **سياسيا**:تميزت الفترة الأولى من العصر بقوة الخلافة، ومجد الدولة، ففيه توطدت أركانها وثبتت قواعدها على يد أبي جعفر المنصور، الذي اتخذ من بغداد عاصمة لها،وأطلق عليها اسم **دار السلام** مقتبسا ذلك من القرآن الكريم، وكان العباسيون من قبل بالكوفة ثم انتقلوا إلى بغداد [1]، فأصبحت من أكبر مدن العالم الإسلامي وأفخمها، حيث تألقت بحضارتها، وعظمت بهيبتها رغم نفوذ العنصر الفارسي " فالدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس، حافظة لهم هذا الصنيع، فأفسحت لهم المجال، وأطلقت أيدهم في تصريف الأمور ... وكان لهم بصر بشؤون الملك وتدبيره فقد ساسوا البلاد بحكمة وسداد، وتجلّت مواهبهم في شتى الميادين "[2]، لكن الرأي الأعلى والكلمة النافذة كانت للخليفة العباسي، وكان من الممكن أن تدوم السيطرة الفارسية على حكم العباسيين لكن الخليفة أوجس منهم خيفة فبطش بهم، ذلك أنّ أطماعهم ومآربهم الخفية بدأت في الظهور، فتم التخلّص منهم.[3] مثلما فعل السفاح بأبي مسلم الخرساني،و الرشيد بالبرامكة، والمأمون بالفضل بن سهل ...

عمر العباسيون بغداد فبنيت فيها القلاع والجسور، وأقيمت حولها الآبار والسدود ونشرت في ربوعها الشوارع والأسواق، فما لبثت المدينة أنّ عمّرت بالمساجد والمكتبات، فتقاطر إليها الناس للاسترزاق بالتجارة أو الصناعة، وأمّها أهل العلم والأدب والشعر[4]، إلى جانب البصرة والكوفة من مدائن العراق الإسلامية، فقد كانتا آهلتين بالناس على اختلاف نحلهم وأجناسهم وعناصرهم، كما

[1] ـ زغلول سلام، دراسات في الأدب العربي، العصر العباسي، ص 12.

[2] ـ محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، دراسة تحليلية لتطور الأساليب، مكتبة الإسكندرية، ط2، 1986/1406، ص75.

[3] ـ محمد نبيه حجاب،بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ص78.

[4] ـ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ج1، جمعها وعلق عليها شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، ط2،د ت،ص19.

شكلا مجتمعا لأهل العلم والأدب والشعر قبل أن تعمر بغداد وتصبح أهم المدائن الإسلامية، وبؤرة للعلم وملتقى للعلماء والأدباء، هذا وقد غلب على بغداد العنصر الفارسي فاصطبغت الدولة العباسية بها، ذلك لأن الفرس هم الذين أوجدوها وأيّدوها، وطغت الحضارة الفارسية على المجتمع العربي بوضوح في حياة الناس وأحاديثهم، وفي نظم العيش و العادات والتقاليد وحتى في المسكن والمأكل [1]... غير أنّ الأمر لم يقتصر على الفرس بل جمعت بغداد عناصر أخرى حيث بدأ الروم والأتراك يزدادون شيئا فشيئا في قصور الخلفاء وكبار القوم بعد أن استقدمهم الخليفة المعتصم لخدمة الجيش، وتعاظم وجودهم بعد ذلك ليشكلوا تهديدا للخلافة العباسية فيما بعد .

اجتماعيا: ظهرت في المجتمع العباسي طبقات : طبقة عليا وهي طبقة الأشراف وتضم الخلفاء والأمراء وكبار الرؤساء والوزراء،وكبار التجار وزعماء القبائل، وطبقة دنيا من الكادحين من الرقيق وأصحاب المهن والحرف . وبينهما طبقة وسطى من صغار التجار وصغار الموظفين في الدواوين ورجال الشرطة وغيرهم ممن كانت رواتبهم تكفي حاجاتهم اليومية ولا فائض لديهم لحياة الدعة والشرف، هذا الانقسام الطبقي في المجتمع العباسي ظهر إلى جانبه تمازج في الأجناس والملل والنحل ممن وفدوا على المجتمع العباسي من الشرق والغرب، ففي بغداد " التقى العربي والفارسي والرومي والنبطي والتركي والهندي والبربري والزنجي... وفيهم المسلم والنصراني واليهودي والصابئ والسامري والمجوسي والبوذي وغيرهم ..."[2]. وقد عرفت كل فئة بأشياء خاصة بهم في فن أو علم أو طبع، ومما نقله زغلول سلام في دراساته عن الأدب العباسي عن الجاحظ قوله :" فالزنوج أطبع الخلق على الرقص والطرب والطبل على الإيقاع الموزون من غير تأديب ولا تعليم " وعن أهل الصين ينقل قوله

[1] ـ زغلول سلام، دراسات في الأدب العربي، العصر العباسي، ص13.

[2] ـ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص18.

أيضا:"وميزة أهل الصين الصناعة فهم أصحاب السبر والصباغة و الأصباغ العجيبة والنحت والتصوير " وعن اليونانين الحكم والآداب" وأما الفرس ميزتهم مباشرة الملك والسياسة ".[1]

اضطربت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي وكان من مظاهرها الثراء الفاحش الذي انتشر بين الخلفاء والأمراء ومن التف حولهم من الأعوان وأهل المهن وحتى أهل الشعر والأدب والطرب، "فتحرروا في القول والعمل ومالوا إلى المتعة، وأقبلوا على الدنيا، فتفننوا في ضروب الاستمتاع والتلذذ في المأكل والملبس والمشرب والغناء"[2] ، فتفشى بذلك الانحلال الخلقي بما عرف بظاهرة المجون في بداية القرن الثاني الهجري، وساعد على انتشاره كثرة الرقيق و الجواري والقيان ودور النخاسة، وللجاحظ "رسالة القيان" التي عرض فيها هذا الوضع كما لأبي الفرج الأصفهاني كتاب بعنوان " أخبار القيان" فضلا عن كتاب الأغاني الذي يصور مظاهر الانحلال الاجتماعي في هذا العصر[3]، وشاعت اختلاط الخلفاء بالجواري وكان أكثر أبنائهم من الجواري الفارسيات والبربريات والتركيات فاختلطت الدماء العربية بغيرها بالتناسل والتزاوج، وظهر جنس ثالث هو جنس الموالي الذي أوجد مشكلة أعادت المجتمع العباسي إلى سابق العهد وهي مشكلة التعصب للعروبة . وفي مقابلها انبثقت ظاهرة الشعوبية التي أثّرت تأثيرا كبيرا في الحياة وتعني التعصب الفارسي على العرب، وكان البرامكة وآل سهل ممن ذكوا نار الشعوبية في الفرس، وتصدى لهذه النزعة الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، وابن قتيبة في مبحث سماه كتاب العرب أو الرد على الشعوبية"[4] والتوحيدي أيضا ـ سنأتي على ذكره لاحقا ـ في كتاب الإمتاع والمؤانسة ما يرد به في بيان تفوق العرب على الفرس.

[1] ـ هذا ما أورده زغلول سلام عن الجاحظ دون ذكر مصدره، ص15 .

[2] ـ المرجع نفسه، ص21.

[3] ـ ينظر :الأصفهاني، الأغاني، ج10 دار الثقافة، بيروت، 1962، ص162 .

[4] ـ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص79

كل هذه التغيرات التي طرأت في المجتمع العباسي نتيجة لأسباب عديدة سبق ذكرها ولدت ظاهرتين متناقضتين في الحياة العامة آنذاك، وهما المجون والزندقة من جهة وتقابلها الزهد والتصوف من جهة ثانية، فالزندقة حركة فكرية اجتماعية سميت بالزندقة أطلقت على جماعة من الفرس وغالبا من الشعوبية[1] ممن اعتنقوا الإسلام في الظاهر، وأضمروا في الباطن دياناتهم القديمة أو التجاهر بالإثم، وإظهار الاستهتار بالقيم والمقدسات الدينية، وقد أُتهم بالزندقة رجال العلم والأدب كابن المقفع والتوحيدي وكان الخليفة المهدي ممن حارب الزنادقة بالسيف، كما نصب لهم المتكلمون يجادلونهم ويناقضون آراءهم المشبوهة بالبرهان القاطع والدليل الساطع، فصنفوا في ذلك الرسائل والكتب الطوال واغتنت المكتبات بها ومن ذلك كتاب الحيوان للجاحظ أين يورد رد أستاذه النظّام وغيره من المعتزلة والمتكلمين ممن يردون على هؤلاء الزنادقة ويناظرونهم ليبينوا للعامة من الناس والخاصة ما في عقائدهم من زيف وتمويه. [2]

وفي مقابل تيار اللهو والمجون الذي شهدته الخاصة من الناس في العصر العباسي من المترفين ومن حولهم، أو من الفرس الذين شاع بينهم الإلحاد والزندقة، يظهر تيار نقيض لهما بين فئة عامة الناس التي كانت تعيش على الكفاف أو ممن يعيشون البؤس والضنك وهو تيار الزهد والتصوف، وعلى هذا كانت المدنية العباسية ككل المدنيات ذات صنوف وألوان ساهر في تهجد، وساهر في طرب، وتخمة من غنى، ومسكنة من إملاق، وشك في دين، وإيمان في يقين [3] ، فإذا كانت الحانات ودور النخاسة اكتظت بالجواري والإماء والقيان فالمساجد كانت عامرة بعبّاد والنّساك وأهل التقوى والصلاح، تأكيدا على التمسك بقيم الدين ومكارم الأخلاق الإسلامية، وكان من أسباب انتشاره

[1] ـ ينظر في هذا الباب ما رصده الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص ص 74ـ 75.

[2] ـ شوقي ضيف، تاريخ الأدب، العصر العباسي، ص81 .

[3] ـ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط، دت، ص ص 160-161.

أيضا اضطراب الحياة السياسية وما ظهر فيها من صراعات وفتن وثورات ضد العلويين أو الخوارج[1]...

ثقافيا:وكان طبيعياً في غمار هذا التنوع والتعدد والغنى في الوضع السياسي والاجتماعي أن ينطوي ذلك المجتمع الجديد على تمازج في العادات والثقافات، وأن يؤثر في ثقافة وفكر أهله، وأن يفرز هذا العصر أصنافاً من العلوم وألواناً من الآداب، وأن يعكس ذلك على كل صعيد في الحياة العامة وفي جملتها الحياة الأدبية، ولاسيما بعد انقضاء طور الفتوح والقضاء على الفتن، قد ساعد على الالتفات إلى شؤون الأدب والعلم وقضايا الفلسفة والفكر، وجعل الظروف ملائمة لتدفق العطاء وتفجر الإبداع، وكان مما عرف على بني العباس أن يولي الخلفاء والأمراء كل ذلك اهتمامهم وإكرامهم و حرصهم على تشجيع ذوي المواهب من العلماء والأدباء، يعينهم على ذلك ثراء كبير تجمع في خزائنهم من موارد البلاد الواسعة بل إنّ من الخلفاء أنفسهم من كان معروفاً بميله إلى الأدب وحبه للعلم مثل المهدي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والمتوكل.[2]

تلاقت في الحضارة الإسلامية في الدولة العباسية شتى الثقافات التي تمثل حضارات الأمم العريقة من الفرس واليونان والهند و غيرها، فكانت مزيج ثقافات وعلوم وآداب وفنون...واتسعت دائرة الثقافة في العصر ونشطت حركة الترجمة من الثقافات الأجنبية، حيث شكلت رافدا من روافد الفكر والثقافة، وإحدى ضرورات الحركة العلمية والفكرية وعادت على لغة العرب الأصيلة بالنفع العظيم، فقد نقل عن الفرس وكانت أكثرها شيوعا السير والآداب والحكم والتاريخ ، وعن اليونان الفلسفة والطب والهندسة والمنطق، وعن الهنود الطب والعقاقير والحساب والنجوم ... وكان لهذه الثروات الفكرية والعلمية أثرا في الآداب الاجتماعية والآراء والأفكار، إلاّ أن الثقافة التي كان لها الأثر الكبير في الأدب هي الثقافة الإسلامية التي تقوم على القرآن الكريم وما يتصل به من علوم

[1] ـ شوقي ضيف، العصر العباسي الأول،ص85.

[2] ـ ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية،ص20 .

الدين والشريعة، وعلى ديوان العرب (الشعر) وما يتصل به من علوم لسانية كالنحو واللغة وغيرها.[1] كما امتدت إلى الدراسات التاريخية من أخبار الرسل والملوك والبلدان وغيرها .

كل هذه العوامل ساهمت في ازدهار الحركة العقلية والفكرية في العصر العباسي، وإزاء هذا الفيض من العلوم وازدهار المعارف حفل التاريخ الإسلامي بأعداد وفيرة من العلماء والكتاب، والوعاظ والفقهاء وعلماء الكلام والفلاسفة والمفسرين، وعلماء البلاغة والبيان والنقاد وأعلام الفكر وأنباه التأليف في مختلف العلوم في الطب والرياضيات والكيمياء والهندسة ... وغيرها من ميادين العلم والمعرفة .[2]

[1] ـ عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص27 .

[2] ـ ينظر: الفهرست لابن نديم، وفيات الأعيان لابن خلكان،نقلا عن الحياة الأدبية لمحمد عبد المنعم خفاجي، ص ص30-32.

ثالثا–الكتابة الفنية في العصر العباسي:

زخر العصر العباسي بالأحداث التاريخية والتقلبات السياسية، كما حفل بالتعقيدات الاجتماعية التي نقلت العرب من حال إلى حال، وقد كان لكل هذا ـ فضلا على نضج العقول بالثقافة، واتساع المدارك بالتجارب ـ أثر واضح في تطوير الحياة الأدبية عامة والكتابة بصفة خاصة.

شكلت الترجمة إحدى ضرورات الحركة العلمية التي نشطت بفضل فئة نابهة من الأعاجم يتألف معظمها من السريان والفرس، وبذلك انصبت في بحر الثقافة العربية جداول شتى من تلك الثقافات الوافدة، وعادت حركة النقل بالخير على لغة العرب الأصيلة وأدت إلى ازدهار أنماط من النثر، وتعددت وجوهه وموارده، وغدت الكتابة وعاء لعلوم العصر الكثيرة ومعارفه الغزيرة، بعد أن دخل العرب عوالم التدوين والتأليف والترجمة من أوسع الأبواب[1]، وليس الغرض هنا التوقف عند الكتابة الديوانية التي شاع أمرها في الأوساط الرسمية الإدارية مما يتصل بشؤون البلاغات والبيانات والمواثيق والصكوك والتولية والعزل.

ولما كانت الكتابة مظهرا للعقول ومرآة للنفوس تتأثر بما ينال المدارك والمشاعر من عوامل الحضارة، وازدهار العلوم، وتطور ظواهر العمران ، ظهر على أقلام الكتاب وألسنة الخطباء الأثر العظيم للحضارة العباسية وما لحق المجتمع من تطورات فكان النثر العربي صورة صادقة تنقل هذا التطور وهذه التقلبات[2]. أثمرت فيه الفنون الإسلامية وزهت الآداب العربية، ونقلت العلوم الأجنبية، ونضج العقل العربي فوجد سبيلا للبحث ومجالا للتفكير"[3] فتهيأت للنشر أسباب كثيرة ودوافع قوية لينمو ويزدهر.

[1] ـ شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص442.
[2] ـ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص ص 215 ـ 216 .
[3] ـ المرجع نفسه، ص 210.

كان النثر في العصر العباسي متنوعا متعدد الأشكال والفنون، ارتبط في بعض صوره بالنثر القديم وكان امتداد له، وعرف في بعض صوره الأخرى ابتكارا وتجديدا، حتى عدّ ديوان للعرب يجمع مآثرهم وعلومهم، ويخلد مظاهر حياتهم وملامح اجتماعهم. ففي أول العصر ازدهرت **الخطابة** واحتلت مكانة كبيرة في النفوس لاعتماد الخلفاء العباسيين عليها في تثبيت ملكهم فاتخذوها وسيلتهم في إثبات حقهم في الخلافة،وفي دعوة الناس إلى القضاء على الخوارج والعلويين وغيرهم ممن جهروا بالعداء لبني العباس، وكان الخلفاء الأوائل كالسفاح والمنصور والمهدي وهارون الرشيد خطباء بارعون، فازدهرت الخطابة على ألسنتهم فتنوعت بين خطب سياسية في الثورات، أو خطب دينية في الأعياد والجمع.

امتازت الخطب في أوائل هذا العصر بجزالة الألفاظ، والبعد عن التكلف، وعدم التزام السجع وغلبة الايجاز إلّا ما تدعو فيه الضرورة إلى الإطناب، وكثرة الاستشهاد والحجج والبراهين من القرآن الكريم والاقتباس منه [1]، حتى إذا تضاءلت الفتن وهدأت الحروب واستقرت أمور الدولة وثبت الحكم، تضاءلت الخطب السياسية وخطب المحافل وتخلى عنها الخلفاء لغيرهم، وثبت الأمر على خطب الدين والوعظ. [2]

وانتشر إلى جانب الخطباء جماعة من القصاص يقصون على الناس في المساجد، ويفسرون لهم آي القرآن الكريم، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الباب دور المتكلمين وخاصة المعتزلة أمثال إبراهيم النظام والجاحظ،وأبو الحسن الأشعري في النهوض بالنثر العربي نهضة قوية من خلال ما قدموه من المناظرات الكلامية[3] للرد على المخالفين من الزنادقة، والمرجئة والدهرية وغيرهم، واتسعت

[1] ـ شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص450.

[2] ـ ينظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص 527.

[3] ـ يورد الجاحظ في البيان والتبيين صحيفة بشر بن المعتمر والتي تعتبر أروع ما أثر عن المعتزلة في أصول البلاغة، ويؤيد ذلك كلامه في الجزء الأول من البيان والتبيين ص137 : " أما أنا لم أرى قط أمثل في البلاغة من الكتاب، فإنهم التمسوا ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا ".

مناظراتهم إلى فن نثري يعتمد القياس المنطقي، وطرق الاستدلال والتعليل ساعدهم على مدّ بحوثهم في العقائد الإيمانية مستندين على الفلسفة اليونانية، كما عنوا بالبلاغة عناية فائقة، واحتفظوا بمقومات اللغة من الوضوح والبعد عن الألفاظ الغامضة ، والمعاني المبهمة، والحرص على الأداء البليغ بحيث يروق للمتكلم والكاتب والمترجم والسامع عذوبة منطقها، وتلذ الآذان بسماعها كما تلذ العقول والقلوب .

أما الكتابة الفنية أو(النثر الفني) فتكاد تكون قبل العصر العباسي عموما محصورة في الدواوين، وإنشاء الرسائل ـ كما أسلفنا الذكر ـ وظلت تسير على نهج عبد الحميد الكاتب، وأسلوبه في الإيجاز ، والقصد في الغلو والتنميق ، فاعتمده الخلفاء في كتابة رسائلهم أو الرد على رسائل غيرهم . لكن ما لبثت أن حلت الكتابة محل الخطابة في العصر الأموي، والشعر في العصر الجاهلي، و اتخذت من التأنق والاتّجاه إلى الجمال الفني والإطالة صورة لها بفعل ميل العرب إلى الترف وتوسع اختلاطهم بالفرس ، كما كان لتشجيع الخلفاء والوزراء والرؤساء للأدب والكتاب باعثا على النهوض بالكتابة، داعيا إلى ارتفاع شأنها وسمو منزلتها، ثم كان التنافس القوي بين الأدباء وتسابقهم إلى خدمة الخلفاء والرؤساء حافزا على تجويدها والتأنق في أساليبها "[1]، ولكي يحقق الكتاب والأدباء وحتى الشعراء أهدافهم في الظفر بالوظائف المرموقة والمناصب العليا كان عليهم أن يتقنوا صناعة الكتابة ويخرجوا عن أساليب القدماء في كتاباتهم،فأخذوا " يتأنقون ويطيلون ... وعقبوا الجمل على المعنى الواحد، ورأوا ذلك التكرار أبلغ للمعنى، وأوقع في النفس... ومالوا إلى الازدواج والسجع، وتضمين الأشعار والأمثال، وكل ذلك جار مجرى الطبع لحسن التصرف في المعنى وقلة التكلف في اللفظ "[2].

[1] ـ محمد الخفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، دار الجيل، بيروت،د ط، 1990، ص312.
[2] ـ جرجي زيدان، تاريخ الأدب العربي، ص 216.

إذن لم يحافظ النثر العربي على ما ورثه من الكتاب في العصور التي سبقته بل قد اتجه إلى الكثير من الأغراض والموضوعات الشخصية والاجتماعية والإنسانية [1]، ولم يكن تطوره في المواضيع والأغراض فحسب وإنّما اتسعت معانيه وتعمقت أفكاره وشحنت أخيلته بمشاهد العصر ومقوماته وملامحه، كما لم يقتصر على إنشاء الرسائل بل خرج إلى أصناف أخرى لم يكن للعرب عهد بها من قبل وهي " التصنيف والترجمة والمقالات والمقامات والعهود والوصف والمناظرة وإنشاء الكتب في الإهداء والاستهداء والتعارف قبل اللقاء، والشكر والعتاب والتعازي والتهاني والاستعطاف، وغير ذلك من المعاني الحضرية "[2]، فحلّ لون جديد من النثر بالإضافة إلى نثر الدواوين (الرسائل) الصادر عن رجال الخلافة أو الوارد إليهم، ونثر الترسل بين الناس والذي يحمل أغراض الشعر، ونثر التأليف في الموضوعات الأدبية والعلمية والوعظ والإرشاد، والنثر الوصفي وفيه تناول الكتاب الشعر والنثر بالنقد .

هذا وقد تعددت فروع النثر وتنوعت مذاهبه فأصبح فيه "النثر العلمي، والنثر الفلسفي، والنثر التاريخي على شاكلة ما كان عند الأمم القديمة "[3] ،إلى جانب النثر الفني العربي الخالص، والذي كان إمّا امتدادا للنثر القديم في بعض صوره، أو ما لحقه من الابتكارات على شاكلة الرسائل الأدبية والإخوانية المطولة، وكان لذلك الأثر البالغ في توليد نثر جديد ، يقوم أسلوبه على هجر الألفاظ البدوية، ويرتفع عن الألفاظ العامية المبتذلة، ويعتني بفصاحته ورصانته، يهتم بالملائمة الدقيقة بين الكلمة والكلمة في الجرس الصوتي[4]، وعلى هذا التنوع القائم في النثر تختلف الأساليب من كاتب إلى آخر فمنهم من كان يوجز ومنهم من كان يطنب، ومنهم من ينمق ويسجع، ومنهم من كان يرسله على السّجية والطبع لا تكلّف ولا تصنّع .

[1] ـ عبد الحكيم بلبع، النثر الفني واثر الجاحظ فيه ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1975، ص148.

[2] ـ جرجي زيدان، تاريخ الأدب العربي، ص215 .

[3] ـ شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص442.

[4] ـ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ص121 ـ125.

أما النثر الأدبي الحقيقي فلم يتوطد إلا بفضل الكاتب المنشئ عبد الله بن المقفع (ت142هـ) بعد أن تسلم شعلة هذا الفن من صديقه الناثر الرائد عبد الحميد الكاتب الذي لقي مصرعه في إثر الثورة العباسية، ولم يقيض له المضي إلى شوط أبعد في هذا المضمار، فقد تجلى فن النثر في أدب الرسائل أول الأمر في نهايات العصر الأموي وبدايات العصر العباسي، وفن الرسالة لا يختلف في جوهره عن فن الخطابة إلا من حيث الحجم فللخطبة حيز محدود من الزمان على حين قد تطول الرسالة لتقرأ بأناة وتمعن، فهما نمطان أو لونان من النثر الأدبي فقد درج العرب على أن يكتبوا الرسالة في المقصد الكبير ويلقوا الخطبة في الحدث الجليل. ويمكن القول مع ذلك أن الكتابة نسجت على منوال الخطابة، وإنّه على طريق الخطباء مشى الكتّاب حتى غدت الكتابة آخر الأمر الوريث الشرعي للخطابة.

والرسالة في العصر العباسي حفلت بها صناعة الكتابة، قامت على أنواع هي : الرسائل الديوانية (الرسمية) والتوقيعات، والرسائل الإخوانية (الشخصية) والرسائل الأدبية العامة وهي ما أصبح يدعى في عصرنا بالمقالات .

– الرسائل الديوانية والتوقيعات:

هي نمط في الكتابة اقتضته ضرورة الملك،ونشطت إثر تعقد الدواوين وكثرتها، وهي" تتناول تصريف أعمال الدولة، وما يتصل بها من تولية الولاة، وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهود، ومن الفتوح والجهاد ومراسم الحج والأعياد، وأخبار الولايات والأمصار وأحوالها، وعهود الخلفاء ووصاياهم في تدبير السياسة والحكم [1].

وكان مم أحدث تطورا في هذا النمط من الكتاب تباري الكتاب في بلوغ الإتقان المنشود من حيث الوضوح والجمال الفني، وقد كان الجاحظ يشيد ببراعة كتاب الرسائل في القول وعذوبة

[1] ـ شوقي ضيف العصر العباسي الأول، ص ص465 ـ 490 . والعصر الثاني، ص551.

أدائهم وطلاوة صياغتهم فيقول :" إنهم لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة، والمعاني المنتخبة وعلى المخارج السهلة، والديباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام له ماء ورونق، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم، وفتحت للسان باب البلاغة، ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ وأشارت إلى حسان المعاني"[1] هذه السمات البارزة في أدب الرسائل الرسمية التي يلخصها الجاحظ من حسن تخيّر اللفظ ودقة المعنى وإصابته، يجب أن يتوفر الكاتب على إتقان جملة من المعارف كعلوم اللسان والفقه والفلسفة ما تكتمل به صورة الإبداع في الألفاظ والمعاني .

وتراوحت رسائل الديوان في هذا العصر ما بين الإيجاز والطبع، وبين الإطالة والتصنيع، حتى طغى السجع وانتشر فيما بعد، وقد ارتبط بهذه الرسائل الصادرة من دواوين الحكم ضرب من التعليقات الكتابية الموجزة ، كان الخلفاء والأمراء يثبتونها في آخر رسائلهم، وقد عرفت بـ**التوقيعات**، هذا النمط من الكتابة وإن عرفه العصر الإسلامي[2] إلّا أنّه ظهر بصورته الناضجة والمكتملة في هذا العصر، وكثر استعماله في دواوين الخلفاء والأمراء العباسيين وهو فن "العبارات الوجيزة التي كان يعلق بها خلفاء بني العباس الأوائل على موضوع رفع إليهم، أو قضية في أبديهم فيذيلون ذلك بقلمهم ويمهرونه بتوقيعهم، وكان طبيعياً في هذا الصدد أن تقصر الجملة وتختصر العبارة، تبعاً لضيق وقت الخليفة وغزارة المعروض عليه، من هذا القبيل ما وقع به الخليفة أبو جعفر لأهل الكوفة في ذيل رسالة تظلم وجهها إليهم :" كما تكونوا يولَّ عليكم"، وما وقع به هارون الرشيد إلى عامله في خراسان وقد شكا إليه سوء الأحوال " داو جرحك لا يتسع" ، وما وقع به المأمون لوال فاسد : «قد كثر شاكوك، وقل شاكروك. فإمّا اعتدلت، وإمّا اعتزلت...».[3]ومثل هذه العبارات المقتضبة

[1] ـ الجاحظ، البيان والتبيين، ج 4،ص24 .

[2] ـ حنا فاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص319.

[3] ـ ابن عبد ربه، العقد الفريد،ج4، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1942 م، ص ص 262 ـ 267.

أشبه ما تكون بجوامع الكلم التي امتاز بها فصحاء العرب الأوائل الذين اتسموا بالحرص على الإيجاز وهي على أية حال منسوجة على منوال أنقى عبارات البلغاء.

ـ الرسائل الاخوانية (الشخصية):

هي ضرب الترسل بين الإخوان، أو تلك التي يحبّرها الأدباء خارج الدواوين، تصور العواطف الخاصة، وتعلن عن الخواطر والمشاعر الخاصة كالتهنئة والاعتذار والعتاب والاستعطاف والتعزية... وساعدها في ذلك مرونة النثر وتوسع فروعه وتيسر تعابيره على تصوير المعاني فزاحم هذا الفن من الكتابة الشعر في أغراضه [1] بل كان أقدر منه فهي أفسح مجالا وأخصب خيالا، لا يحدها إلا ذوق الكاتب أغراضها جمة وأساليبها متنوعة تعنى بالسجع والازدواج وحسن التصوير و تتسم بالاعتدال والإيجاز أحيانا .

ـ الرسائل الأدبية :

هذا النوع من الرسائل ينشئه الكتاب والأدباء عامة، وتكون في موضوعات أدبية بعينها، ولا تكتب لخاصة من الناس بل تمتد إلى القراء عامة وهي " التي تتناول خصال النفس الانسانية وتصور أهواءها وأخلاقها وتوضح لها طريقها إلى الخير حتى لا تسقط في مهاوي الشر "[2] . ويرى شوقي ضيف في هذا النوع من النثر أنه طول في الرسائل الاخوانية ووسع في موضوعها، وأنّها تنحو التجريد والنظر من الأعلى إلى المواضيع التي تعالجها كالأخوة وحقوقها والصداقة وموجباتها مثلا أو التعليم أو توجيه الحكام والملوك في نظام الملك، ومنها رسالة ابن المقفع في السلطان[3] وهي رسالة سياسية،

[1] ـ ينظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص491.
[2] ـ المرجع نفسه، ص502.
[3] ـ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص 141.

وهناك الرسالة الفكاهية ومن أشهرها رسالة : التربيع والتدوير "للجاحظ[1] وغيرها من الرسائل في مختلف المواضيع الاجتماعية والتعليمية.

– القصص والمقامات:

تجلى للعرب تراث ضخم من الحكايات وأخبار الأبطال في الحروب، وأحاديث الهوى والعشق التي كان العرب في قديم زمانهم يتسامرون بها في مجالسهم يقصد بها الترويح عن النفس وتثقيف العقل بالحكمة، فضلا عن ورود القصص في القرآن الكريم للتدبر وأخذ العبر، أضيف هذا كلّه إلى ما حفل به الأدب من النقول ترجمة من التراث الفارسي والهندي على نحو ما نقله ابن المقفع من حكايات رمزية على ألسنة الحيوانات والطيور، وقد ضاع أغلبها إلا ما انتشر آنذاك وذاع ومنها قصص كليلة ودمنة و ألف ليلة وليلة، وهذه القصص المترجمة فتحت للعرب آفاقا واسعة لينسجوا على منوالها وكان منها " النوادر " و "الملاحم" والقصص الفلسفية كرسالة ابن يقضان وغيرها .[2]

وأما **المقامات** فهي "شبه قصة خيالية تدور حول بطل وهمي يروي أخباره راوية وهمي أيضا، وبطلها رجل أحكم التّحيّل وقصر همّه على تحصيل الطفيف من الرزق، فكانت أخباره كلها تدور حول الكدية والخداع والاحتيال والتمويه، لا تربطها وحدة موضوعية، ولا تحييها شخصية حقيقية، وهي ميدان لعرض النكتة وإظهار البراعة في التخلص من مأزق الحياة عن طريق ملتوية، وبنوع خاص لإظهار المقدرة اللغوية والأدبية"[3]. والمقامات فن عربي النشأة توسع العرب في معناه من المجلس إلى أن أصبحوا يطلقونه على خطبهم وأحاديثهم في المجالس، ويقوم هذا الفن على حشد أساليب اللغة والتعبير من بيان وبديع، وهي أساليب تفرط في السجع، فضلا على استخدام معجم

[1] ـ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص ص 177 ـ 188.

[2] ـ ينظر: محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، ص ص 12 ـ17 .

[3] ـ حنا فاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 173 .

لغوي حافل بغريب الألفاظ، وفيها تظهر بلاغة الكاتب ومدى حصيلته اللغوية . فالمقامة " ليس الغرض منها جمال القصص ولا حسن الوعظ ولا إفادة العلم، وإنما هي قطعة أدبية فنية يقصد بها (الفن للفن) تجمع شوارد اللغة في أسلوب مسجوع أنيق الوشي، يعجب أكثر مما يؤثر ويلذّ أكثر مما يفيد"[1] ،ومن المقامات في الأدب العربي : مقامات بديع الزمان الهمذاني ومقامات الحريري .

كانت هذه ضروب النثر الفني التي انبثقت وتطورت في العصر العباسي واتسعت إلى ابتكار بلاغة رائعة وفصاحة نادرة واستعارة قوية وتشبيه دقيق.

[1] ـ حسن الزيات، تاريخ الأداب العربي، ص 398، وينظر : بطرس البستاني، أدباء العرب ج2، ص 392 . وينظر: شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص 248 .

رابعا –خصائص النثر الفنية:

ليس الغرض من الكتابة الأدبية مجرد إبراز الحقائق أو جلائها وبث الأفكار أو تأييدها، بل الغرض الأصيل هو " قوة التأثير " في نفس المتلقي، ومتى تمكن الأديب أن يثير وجدان المخاطب ويوقظ مشاعره إلى جانب إثارة عقله فقد بلغ الغاية لما أراد، على أنّه لا يبلغ ذلك إلا بالتحام الفكرة والعبارة مع الصورة التي يتخيلها أو يمتثلها الأديب والتي تبدو من خلال الأسلوب في تشبيهاته الرائعة واستعاراته البارعة وكناياته اللطيفة في نسق فني جميل، ويزيدها رونقا وجمالا ما وضعها في إطار من زخرف القول وموسيقى اللفظ فتكتمل الجمالية والفاعلية والتأثير[1].

والأسلوب في نثر العصر العباسي اغتنت ملامحه وتنوعت أنماطه. فقوام التعبير عند ابن المقفع مشاكلة اللفظ للمعنى، مع توخي الاقتصاد في الألفاظ والوضوح في المعاني إذ البلاغة عنده : "هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها" [2]، فكان همه جلاء الفكرة وإيصال المعنى، ولهذا لم يكن يلوي على صنعة أو تنمق ولا وشي أو تزيين، غير أن السنين التي أعقبت ذلك حملت مع التعقيد الحضاري ما يوازيه من التعقيد الأسلوبي على غرار ما كان أيضاً من حال الشعر، فطالت العبارة لتكون أقدر على استيعاب الفكرة، وحلّ الإطناب في القول محل الإيجاز المعهود، وحرص الكتاب على أن تتسربل جملهم فيما بينها بإيقاع الازدواج أو التوازن، من مثل ما جنح إليه سهل بن هارون (ت215هـ) ، وما استكثر منه ابن العميد (ت360هـ) [3].

ثم مضى الناثرون على هذا الصعيد من تدبيج كتاباتهم والتأنق في عباراتهم إلى المدى الأقصى وذلك في أواخر القرن الرابع الهجري وما تلاه من قرون، فجدّوا في طلب الزخرفة والتنميق، ولم يقتصر طلب السجع والزخرف على أصحاب المقامات بل كاد يشمل ذلك معظم الأدباء والناثرين.

---

[1] ـ ينظر : محمد نبيه حجاب ، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ص 92.

[2] ـ الجاحظ،البيان والتبيين،ج1، ص115 . وينظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 447.

[3] ـ عمر الدقاق، الأدب في العصر العباسي، الموسوعة العربية، مج 1،سوريا، ص 625 ، www.rabency.com

وقلما نأى كاتب منشئ في العهود العباسية المتأخرة عن هذه المظاهر التزينيّة في النثر العربي . وسارت الكتابة الفنية على هذا حتى غلب التصنع على النثر العربي وبسط طابعه على معظم النتاج الأدبي في ذلك العصر. ولعل ما يبعث على الرضى أن بعض أنماط الكتابة النثرية لم تنجرف مع هذا المد التعبيري المتكلف، بل ظلت بريئة إلى حد بعيد من معظم هذه القيود اللفظية والزخارف البديعية[1]، إلا قليلاً من السجع بين الألفاظ وبعضاً من التوازن بين الجمل فحافظت كتب المؤلفين ومصنفات العلماء بالإجمال على الأسلوب المرسل ولاسيما مؤلفات النقد الأدبي والتراجم والتاريخ وتقويم البلدان ونحوها، وخير مثال على هذا الترسل ما كتبه أبو الفرج الأصفهاني وعبد القاهر الجرجاني، وامتد هذا المنحى النثري المطلق إلى ما بعد العصر العباسي، وتجلى في نثر ابن خلدون وأمثاله من أصحاب الأسلوب المرسل.

[1] ـ عمر الدقاق، الموسوعة العربية، مج 1، ص 625.

خامسا– مدارس النثر الفني:

زخر النثر العربي في العصر العباسي بتيارات أدبية، انفرد كل منها بسر من أسرار البلاغة، ولون خاص من ألوان البيان، وهذه التيارات الأدبية مهدت الطريق لظهور المدارس الكتابية في هذا العصر على رأسها أمير من أمراء البيان، وينهج نهجه من جاء بعده ويسير على أسلوبه . ففي بداية العصر ساد أسلوب (الترسل الصناعي) وكان إمامه عبد الحميد الكاتب أواخر العصر الأموي والذي شكل نقطة تحول بارزة في مسار الكتابة الفنية، حيث بلغ النثر منزلة رفيعة، وامتاز بسهولة العبارة، وانتقاء الألفاظ،وجودة الأسلوب، كما ميزها جودة المعاني واختراعها، ودقة الأخيلة وابتداعها [1]، وانفردت المدرسة بملامحها في الإطناب بعد الإيجاز، والازدواج بعد الإرسال، فضلا عن إطالة التحميدات بالازدواج .

هذه المدرسة حملت راية البيان حتى حضرت بلاغة **ابن المقفع** في مدرسة " **الترسل الطبيعي**"، فكان من أوائل الذين ثبتوا الأسلوب الكتابي العباسي المولد في القرن الثاني الهجري، ثم مالت أساليب الكتابة الفنية على يد **الجاحظ** في القرن الثالث الهجري إلى "**التحليل والتنويع والتفريع** "، إلى أن أخذت " **الصنعة والسجع** " مكانا لها مع بداية القرن الرابع الهجري على يد **ابن العميد** , لتترك المجال رحبا لأصحاب المحسنات البديعية الذين أسرفوا في استعمالها فأثقلت الكتابات بها، ثم ظهر **التكلّف البديعي** عند **القاضي فضل** في أواخر القرنين الخامس والسادس الهجريين وهذه المدارس الفنية لم يحكمها زمان ولا مكان، وإنما هي صناعة الكتابة الني ارتضاها كل كاتب أو أديب لنفسه منهجا ليسير وفقها، ويتفنن في أساليبها ويبرز أبرع خصائصها الفنية وأهم أعلامها .

[1] ـ عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص 40.

1-مدرسة الترسل الطبيعي :

أمير البيان في هذه المدرسة هو ابن المقفع* رائد الكتابة والترسل في عصره، مخضرم بين العربية والفارسية، مذهبه في الكتابة يقوم على الوضوح والسهولة والسلاسة، وأن تشف الألفاظ عن معانيها، وأن تخلو من كل غريب وحشي مبتذل، وقد التزم ذلك حتى في تراجمه من الفارسية، وبذلك وطدّه ومكنّ له فجعله أسلوب النثر العام في ذلك العصر مهما تباينت فنونه .

أجمع القدماء والمحدثون على بلاغة ابن المقفع، وأنه كان من البلاغة في الذروة، حيث استطاع أن ينقل أهم ما عرفه في لغته من تراث عقلي وتاريخي وفلسفي وأدبي إلى اللغة العربية [1]، وهذه البلاغة التي تميز أسلوبه تعددت مصادرها من حيث الأفكار والألفاظ وطريقة الكتابة أما طريقته في الكتابة : فهي طريقة الكتابة الفنية، التي تأتي فيها الألفاظ على قدر المعاني دون زيادة مملة أو نقص مخل، فكأنه يزن ألفاظه بميزان، ولذلك كان كثيرا ما يقف إذا ما كتب، فيسأله أحدهم عن ذلك، فيقول : إنّ الكلام يزدحم في صدري فأقف لتخيره[2]، فهو يتخير الكلام كما يتخير موضوعه .

لقد مارس العربي القديم الفصاحة والبلاغة دون تعريف بهما أو وضع مصطلحات لهما، وفي عصر جمع العلوم، كان علماء الأمة يسألون عن هذه المصطلحات، وقد سئل ابن المقفع كثيرا عن معنى البلاغة، فكان كلامه هو البلاغة نفسها، حيث نصح أحد الكتاب قائلا: "إياك والتتبع

* - هو روزبه بن دانويه، فارسي الأصل،عربي النشأة، ولد حوالي 106 هـ . قال فيه ابن سلام الجمحي :" سمعت مشايخنا يقولون :" لم تكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع، ولا كان من العجم أذكى من ابن المقفع ولا اجمع ". توفي على الارجح سنة 142 هـ، من مؤلفاته : الأدب الكبير، الأدب الصغير، رسالة الصحابة، وكتاب اليتيمة ومترجماته : كليلة ودمنة .

[1]ـ محمد كرد، أمراء البيان، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 ، 2012، ص102.

[2] - المرجع نفسه، ص106.

لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة، فإن ذلك هو العجب الأكبر"[1]، على أن اللفظ مهما سلس وبعد عن الوحشية والسوقية صحت معانيه، وهو سر البلاغة والفصاحة والروعة وكل هذا ظاهر في أدبه لأنه يتوخى الإفهام وبلاغته في كثرة إفهامه .

ويلزم ابن المقفع الكاتب بسهولة اللفظ فيقول:"عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ السفلة" ذلك لأنّ :"البلاغة اسم لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة "[2] . فالبلاغة عنده تقوم على وضوح المعنى، وسهولة الألفاظ، لا تعقيد فيها ولا إبهام ولا تتبع لوحشي الكلام، حتى إذا وجدت في الكلام صار مألوفا عند سامعه .

وكان ابن المقفع غزير المعنى، حسن الإيجاز، ألفاظه بقدر معانيه دون قصد إلى الجمال التعبيري من غير سجع وتكلف، وكان مع زندقته ـ وقد ثبتت ـ يقتبس من القرآن الكريم، ويستعير ألفاظه حتى في قصصه الحيواني، وكان يفتتح رسائله الرسمية باستعاراته على نحو ما نرى في قوله : "الحمد لله ذي العظمة القاهرة، والآلاء الظاهرة الذي لا يعجزه شيء ولا يمتنع منه، ولا يدفع قضاؤه وأمره" إنّما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون"، والحمد لله الذي خلق الخلق بعلمه"[3].

وعرف عنه أيضا الدقة المنطقية، وما يجري من طرافة التفكير على نحو ما وجد في رسائله الاخوانية :"وإني معجزك عن صاحب لي كان أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظمه عندي صغر الدنيا في عينيه، وكان خارجا عن سلطان بطنه فلا يشتهي مالا يجد، ولا يكنز إذا وجد، وكان

[1] ـ ينظر : الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص ص 115-116.

[2] ـ المصدر نفسه، ص 109.

[3] – أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج3، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص53 .

خارجا عن سلطان فرجه، فلا يدعو إليه في ريبة، ولا يستخف له رأيا ولا بدنا ... وكان خارجا عن سلطان لسانه، فلا يتكلم بما لا يعلم، ولا يماري فيما علم"[1]، وفي هذا شدة البيان وعذوبة المنطق وآيات البلاغة عنده إذ يحرص على انتقاء أدق الألفاظ تصويرا وأصدقها تعبيرا، ولا يهمه بعد ذلك هل أتت جزلة أم سهلة لينة، مسجوعة أم مرسلة، موجزة أم مطنبة، وفي هذا يكمن سر بلاغته حيث لا يكمل لصناعة الكلام إلا ما يكمل لصناعة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال .

كانت اللغة تستجيب لابن المقفع وتستقيم له، وكان أعجوبة زمانه في البلاغة والبيان مع الجزالة والنصاعة حينا، ومع العذوبة والرشاقة حينا آخر، والمزاوجة بين الكلمات وتوخي السهولة والعناية بالمعنى، والزهد في تكلف السجع والمحسنات اللفظية إلا بقدر الحاجة والضرورة، وخلو أسلوبه من الإطناب والإطالة إلا ما اقتضاه المحل والمقام [2]، وقد مشى على طريقته : الحسن بن سهل وسهل بن هارون، ويعقوب بن داوود وغيرهم ممن إذا تجولنا في كتاباتهم ورسائلهم وجدنا أسلوب ابن المقفع مطبوعا فيها بكلامه الصريح، ولسانه الفصيح، وطبعه الصحيح كأن بيانه لؤلؤ منثور .

قريبا من طريقة ابن المقفع يظهر سهل بن هارون الذي تميز بالتلوين العقلي والصوتي "إذ تندمج في صياغته القدرة على التحليل والتعليل والقدرة على صوغ اللفظ وتجبيره حتى يؤدي ضروبا من التوقيع الصوتي والترادف الموسيقى[3] . وسيظهر تأثيره في مذاهب الكتاب ممن جاؤوا بعده .

[1] ـ ابن المقفع، الأدب الكبير،ص 129 نقلا عن : حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي،ص 229.

[2] ـ وفي جودة أسلوبه واحتفائه بالمعاني ينظر، الفن ومذاهبه لشوقي ضيف، ص 51، وكنوز الأجداد محمد كرد على، ص ص 57 ـ 60.

[3] ـ محمد كرد علي، كنوز الأجداد ، ص 154.

2- مدرسة التفريع والتحليل والاستطراد:

تربع الجاحظ* فيها على إمارة البيان السردي والترسلي بلا منازع عبر قرون عديدة، استمدت أسلوبها من طريقة عبد الحميد الكاتب القائم على الإطناب والازدواج، ومن أسلوب سهل بن هارون في كتاباته القائم على التحليل والتعليل والجدل والحوار، وقد خلق الجاحظ من هاتين الطريقتين مدرسة فريدة عرف بها، فأضاف على الطريقة الأولى:حسن التقسيم وجمال الإيقاع، وكثرة الاستطراد، كما أضاف للثانية عنصر الفكاهة الساخرة، وتوليد المعاني مع الإيغال في كل هذا بقوة حتى " كان في إيقاعه أوقع وفي ازدواجه أمتع وفي تحليله أدق وأبرع "[1]، كما كان الجاحظ لبقا في حواره، قويا في جداله، مريرا في تهكمه، رقيقا في طرائفه ونوادره ...

وأما العبارة عند الجاحظ متينة السبك، جزلة اللفظ، محكمة الربط، وثيقة الحلقات و ربما كان من الصعب في بعض عباراته أن ننزع لفظا من موضعه أو نستبدل به غيره من ذوي قرابته أو نقدمه أو نأخره، لأنّه كان يرى أنّ لكل معنى لفظا خاصا لا ثاني له، ولا مناص له لمن طلب البلاغة في القول إذ يقول :"ومتى شاكل ـ أبقاك الله ـ ذلك معناه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وفقا، ولذلك القدر نفقا، وخرج عن سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكيف،كان قمينا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع ... ولا تزال القلوب به معمورة والصدور به مأهولة "[2] . وفي هذا القول دعوة إلى المزاوجة بين المعنى الشريف واللفظ البليغ البرئ من التعقيد، بمعنى إجلال المعنى

* - هو أبو عثمان بن بحر الجاحظ ولد بالبصرة سنة 136هـ نابغة زمانه، كان معتزلي المذهب، موسوعي الفكر، متبحرا في العلوم غزير العلم، كثير البحث والاستقصاء، قوي الحجة، بليغ القول، واسع المحاضرات، كثير التصانيف توفي عام 255 هـ. قال عنه ابن العميد " تعلم العقل أولا، والأدب ثانيا " تربى مؤلفاته على مائتي كتاب منها : البيان والتبيين، كتاب الحيوان، كتاب المحاسن والأضداد، كتاب البخلاء، وديوان رسائله .

[1] ـ محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ص 153.

[2] ـ الجاحظ، البيان والتبيين، ج2 ، ص 278 .

والعناية باللفظ بقدر ما تتم به فائدة الكلام فيحبب إلى النفوس و يتصل بالأذهان ويلتحم بالعقول ويستميل الاسماع فترتاح إليه القلوب ويعظم خطره في الناس .

والبلاغة عند الجاحظ تستند إلى دقة الاختيار وإجالة الفكر "فالمعنى إذا اكتسى لفظا حسنا، وأعاره البليغ مخرجا سهلا، ومنحه المتكلم ذلا متعشقا، صار في قلبك أحلى، ولصدرك أملا، والمعاني إذا اكتسبت الألفاظ الكريمة، وألبست الأوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صورها، وأربت عن حقائق أقدارها بقدر ما زينت، وحسب ما زخرفت فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض، وصارت المعاني في معني الجواري "[1].

وطريقة الجاحظ التي نسبت إليه واختص بها ظهرت وبهرت، وذاعت وشاعت، وطغت، وعلى غيرها تمتاز بتحليل المعنى واستقصائه، وتحكيم العقل والمنطق فهو الكاتب الذي وصف بـ "أنّ كلامه بعيد الإشارة، قريب العبارة، قليل الاستعارة "[2]، ينتمي في فكره إلى المعتزلة فمن الطبيعي أن يعتمد التحليل والتعليل بألفاظ دقيقة ومعاني واضحة يسيرة مع الحرص على الأداء البليغ بالازدواج وتعادل الفقرات وحسن التقسيم فتلذ الأسماع كما تلذ العقول والقلوب [3]... ومن هنا كان لأكثر الدارسين الرأي في عدم دمجها ضمن طريقة ابن المقفع أو عبد الحميد أو سهل بن هارون ـ ورأيناه صوابا فتهجناه ـ وجعلنا الجاحظ أميرا من أمراء البيان على المدرسة التي نسب إليه تأسيسها.

كان الجاحظ أبرز ممثل لذلك الخضم الزاخر الذي شهده العصر العباسي على صعيد الفكر الأدبي وفي مجال الترسل والتأليف[4]، وكتابه (البيان والتبيين) مرآة جلية وأمينة للحياة الأدبية الحافلة عند العرب، بما انطوت عليه من روائع الشعر وبدائع النثر وطرائف الأخبار.

[1] ـ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1،ص 272.

[2] ـ ينظر: نثر الجاحظ وشعره في كتاب تاريخ الأدب العربي، الزيات، ص 231 .

[3] ـ محمد كرد على، كنوز الاجداد، ص ص 80-86 .

[4] – محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ص 92 .

وكتابه «البخلاء» صورة متألقة لنماذج بشرية انطوت نفوسها على سمات وملامح برع الجاحظ في سبر أغوارها ورسم معالمها، وتصوير منازعها، وكتابه (الحيوان) نمط طريف بين موضوعات لم تكن معهودة لدى المؤلفين، فعالم الحيوان عالم واسع فسيح الأرجاء اقتحمه الجاحظ مزوداً بثقافة موسوعية عريضة، ونظر فاحص ثاقب، وفكر نقدي ناضج.

3- مدرسة السجع والبديع :

بدأت ملامح هذه المدرسة تظهر مع نهاية القرن الثاني الهجري، لكن التأسيس الفعلي لها كان مع نهاية القرن الثالث عندما أصبحت الكتابة صناعة محضة حيث غلب السجع* بمختلف ألوانه وأصبح صناعة فنية تهدف إلى تجميل العبارة وزخرفة الأساليب، فأصبح السجع " عادة في كل ما يصدر عن الدواوين، فليس هناك وزير ولا كاتب إلا وهو يتخذ السجع في كتاباته " [1]، إلى جانب ضروب البديع كالجناس والطباق والتورية، وغيرها من ألوان البيان التي ينعكس فيها عنصر الخيال كالتشبيه والاستعارة، ولكن ما وصل ذلك كله إلى ما حضي به السجع من الذيوع والانتشار والسيطرة.

وكان على رأس هذه المدرسة ابن العميد** الذي كان أستاذ فن التصنيع ، وكان أول من احتكم إلى السجع في كتاباته ، كما احتكم إلى البديع من جناس وطباق وتصوير، وكان نثره وصلة بين عهد السجع المتأنق وبين عهد الازدواج فيما سبقه من العهود، وطريقته أعلق بالنفس، وأملك للوجدان لأنها شعر لا يعوزه إلا الوزن، لكن البعض رأى أنّه لم يتقيد به مطلقا، إذ يكاد في رسائله أحيانا أن يقترب من أسلوب الترسل " فليست الكتابة عنده زخرفا براقا يلهو به، ولا ثروة لغوية

* - احتفت كتب النقد للقدامى بتعاريف السجع وبيان أنواعه وتصانيفه : كالقلقشندي في صبح الأعشى،وابن الاثير في المثل السائر، والقزويني في الإيضاح، وابن رشيق في العمدة، والمبرد في الكامل، وقد حظي بالاهتمام لذيوعه وانتشاره في كتابات العصر.

[1]- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص 199.

** - هو ابو الفضل محمد بن الحسين، فارسي الأصل، أنشاه أبوه على الكتابة وغذاه بالعلم، برع في الإنشاء والترسل، وتوسع في الفلسفة والنجوم، شغل الوزارة في عهد ركن الدولة البويهي، وكان قطبا للأدب في عصره .توفي سنة 360 هـ.

يتكاثر عنده بها الكتاب، ولكن الكتابة عنده ثورة عقلية أو وجدانية"[1] ذلك لأنه كان يضمن كتاباته بعضا من القرآن الكريم، ويستشهد بالنظم في غضون النثر، والتوسع في الخيال والتشبيه، وهذا كلّه يراعى فيه إجادة المعنى وسلامته. وقد استلهم براعته في الصناعة من براعته في الرسم، إلى جانب سعة معارفه بمختلف الآداب والعلوم ، هذا وكان ابن العميد "متفننا في فنون الكتابة متفوقا في ضروب الرسائل حتى شاعت فيه الكلمة المأثورة: بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد"[2]

وهذه المدرسة تنتمي إلى أصول فارسية قديمة، وأوردت إلى العربية تقاليد الفرس في التفخيم والتعظيم واستعمال الجمل الدعائية في الرسائل، وهكذا صبغوا الخطاب النثري في هذه المرحلة بصبغة أدت إلى إثراء اللغة في صنعة السجع والبديع. وعلى هذا كان عهد ابن العميد "عهد تأنق وزخرف، وعهد خيال وشعر فهداه طبعه إلى استحداث أسلوب جديد متناسب الفقر أنيق الديباجة، طبع على غراره مشايعوه لموافقته ذوق العصر، ولمكانة الوزير من الفضل، إلّا أنّه كان أرّق معاصريه طبعا، وأقلّهم سجعا، وأكثرهم نثرا للشعر، وتلميحا للأمثال وتضمينا للحكم "[3] .

إذن شاع السجع في الكتابة على زمن ابن العميد، وغلب على أساليب النثر الفني آنذاك، وإن تخلف أحيانا ـ إذا استعصى ـ أخلى مكانه لموسيقى الازدواج، ومن ثم جاء سجعا طبيعيا هادئا، تام الاستواء، وكان قصير الفقرات، منوع القوافي ، سريع الانتقال من قافية إلى أخرى، وأمّا المحسنات من غيره لم تكد تبلغ مبلغه.

وصل النثر الفني في هذه المرحلة إلى وصفه بفقرات متعادلة، وأوزان متلائمة، وفواصل متوائمة ، أشبهت الرسائل بالشعر وما هي بالشعر بل كانت شعرا منثورا لا تعوزه سبحات الفكر

[1] ـ زكي مبارك، النثر الفني، ج1،ص 202 .

[2] ـ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر، ص 92 وينظر الزيات، تاريخ الادب العربي، ص 235.

[3] ـ الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص 235.

وجولات الخيال... سار على هذه الصنعة ممن أخذوا بفنّها، وفتنوا بسحرها، وشغفوا بتقاليدها، أمثال : الصاحب بن عباد والصابي والثعالبي والخوازمي وبديع الزمان الهمذاني.

سيأتي بعد هذا زمن تعقدت فيه الأساليب، وخرجت عن المألوف وخلت من عناصر الحيوية، والروح الأدبية التي تثير العواطف وتحرك الوجدان، فاتجه أصحابها إلى اعتماد كثرة القيود في التعبير، والمغالاة في السجع لتزيد من جمال الأسلوب، فأصبحت أساليبهم ألغازا مبهمة، وأحاجي مغلقة تخاطب العقل أكثر مما تخاطب القلب، وتناقش الفكر أكثر مما تناقش العاطفة .

وفي الختام نقول أننا حاولنا رصد مسيرة النثر الفني أو الخطاب النثري، من مرحلة بداياته في العصر الجاهلي إلى تأسيسه في العصر الإسلامي خدمة للدعوة ونشر تعاليم الدين، ثم نضوجه في دواوين بني أمية، إلى مرحلة الاكتمال والتطور في عصره الذهبي ليفتح آفاقا للكتاب والمترسلين ويتوسع نشاطاته وأنماطه ... وبعد أن تقفينا أثر الكتابة الفنية ونظرنا إلى أسباب نموها، وظروف تطورها خاصة في العصر العباسي الذي بلغت فيه الكتابة مرحلة الكمال في الأشكال، والجمال في الأساليب، تتوقف عند مرحلة عرف فيها النثر الفني عصره الذهبي وظهر فيها ــ بعد أن شاع السجع والبديع ـ علما وأميرا يعود بالكتابة إلى سابق عهدها في الازدواج والبيان، ويسير على نهج أمير البيان وزعيم النثر الجاحظ، وهو الأديب والفيلسوف الذي أدّب الفلسفة وجعل الخطاب الفلسفي خطابا نثريا ، يملك من الجماليات والخصائص الفنية ما يؤهله ليكون خطابا أدبيا بامتياز، هذا الفيلسوف الأديب هو أبوحيان التوحيدي الذي كان من بين أهم الأدباء في القرن الرابع الهجري .

الفصل الثاني

بلاغة الخطاب النثري
في كتابات التوحيدي

الفصل الثاني

بلاغة الخطاب النثري في كتابات التوحيدي

تمهيد :

أولا– عصر التوحيدي

1-ظروف العصر

2 ـ النثر الفني في القرن الرابع هجري

ثانيا ـ التوحيدي الأديب والفيلسوف

ثالثا – شروط الكتابة الأدبية عند التوحيدي

1- تفاعل البديهة والصناعة

2- الروية بلا تكلف مذهب للكتابة الفنية

3- التناسب بين اللفظ والمعنى

4- البلاغة في النثر

5- ذاتية الابداع

رابعا– خصائص النثر الفني في كتابات التوحيدي

1- الترادف والتقابل في موازنة المعاني

2- السجع والازدواج

3- الاطناب والاسترسال

خامسا– التوحيدي وأسلوب الجاحظ

تمهيد :

شكّل القرن الرابع الهجري محطة هامة في تاريخ الكتابة الفنية، فكان هو الآخر فترة مشرقة في تطور الخطاب النثري في العصر العباسي على غرار كتابات الجاحظ وابن المقفع وابن العميد وعبد الحميد الكاتب وغيرهم ممن حاولوا التجديد في أسلوب الكتابة وتطويره.الأمر الذي جعل كتاباتهم متنوعة و زاخرة بالأساليب التعبيرية التي أورثت لنا نتاجا نثريا متفردا .وفي هذا العصر أي القرن الرابع الهجري يظهر كاتب هو صاحب شخصية فذة فريدة، تفرد بقدرات فكرية ولغوية واستطاع أن يمزج بين الفكر والفلسفة والإبداع،كما أنه امتلك من الخيال الواسع والمقدرة اللغوية والفكر النيّر والبراعة في الكتابة الفنية ما جعل اسمه يدخل ضمن قائمة رواد النثر الفني في العصر الذهبي، هذا الرجل كثر عنه الحديث في الدراسات الحديثة وتشعبت حوله الآراء، فمن متحدث عن أدبه ونقده فهو مرة "أديبا" ومرة "ناقدا " ومرة " فيلسوفا"، إلى آخرين جعلوه "أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء"

كانت كتابات التوحيدي تثير اهتمام الدارسين من جوانب عديدة تثير التساؤل والجدل،إذ أنّ فيها أدب فلسفي وفلسفة أدبية تشبه إلى حدّ كبير كتابات الجاحظ أدبا وفلسفة، غير أن للتوحيدي خصوصية تخرج عن المسار الجاحظي،كما أنّ للتوحيدي قدرة في المزج بين الإمتاع والإقناع في كتاباته الإبداعية، وهذا التفرد في الأسلوب ظهر وسط زحمة من الإبداعات حيث كانت الغاية عند كل كاتب أو أديب أن يجتهد في أسلوبه وطريقته حتى ينال الحظوة والمراتب العليا في الدولة آنذاك .لكن قبل الخوض في خصائص الخطاب النثري عند التوحيدي، علينا أن نتعرف على خصائص النثر الفني في هذا العصر وكتابات هذا العصر والبداية بالإطار الحضاري لهذه الفترة .

أولا–عصر التوحيدي :

1ـ ظروف العصر :

بات من الثابت أنّ العامل الحضاري بكل عناصره ومقوماته لأي عصر من العصور هو الإطار الحاضن لفكر أي مبدع أو مفكر، لذا من الضروري ـ ونحن نعرض لجوانب الفكر والأدب عند التوحيدي ـ أن نعرض أهم خصائص هذا العصر، ذلك أن نتاجه كان انعكاسا صادقا للظروف والمعطيات الحضارية التي عاش فيها وعاصرها، وربما يكفينا عرض وجيز لمعالم هذه الفترة.*

كان القرن الرابع الهجري قرنا مليئا بالتناقضات والصراعات، ففي هذا العصر تفككت الخلافة العباسية إلى مجموعة أمصار ودويلات[1]، وتغلغل الأعاجم في جسم الدولة، إذ يعدّ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري عصراً مغبشاً بالظلام، إبّان تسلط البويهيين الفرس على حكم العراق للفترة (334 هـ–447 هـ)، فنشروا الفساد والخراب والعبث بالسلطة، حيث عاش الناس على اختلاف طبقاتهم في ظل حكم جائر لاقى فيه الناس مرّ الهوان.

كما شاع الفساد في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد بني بويه الذي أدى في النهاية إلى سوء توزيع الثروة بين الناس فظهرت طبقتين : طبقة تعيش في ترف وبذخ ولهو، وطبقة تكابد الجوع والبؤس والحرمان وإليها ينتمي أكثر الأدباء والعلماء [2]، لكن على الرغم من الظروف القاسية

* – كل من تناول حياة التوحيدي أشار إلى ظروف عصره لما لهذه الأخيرة من اتصال وثيق وانعكاس على أدبه وأسلوبه، وتواصل بين آثاره ومعالم عصره، ولعل فيها ما يفسر أمورا كثيرة عرف بها التوحيدي، منها محاولة اتصاله بالوزراء، وتصويره للبؤس والشقاء وغيرها، ومن هؤلاء، علي دب . زكريا ابراهيم، أحمد الحوفي، أحمد أمين،أدم ميتز، شوقي ضيف ... وحتى من حققوا كتبه اتبعوا نفس المنهج . لما له من أهمية بالغة.

[1] ـ محمد كرد علي،أمراء البيان، ج2 ، ص 494.

[2] ـ أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج2 دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، دت، ص ص 12 ـ 14 .

التي ألمت ببعض الشعراء والأدباء وهم فئة من أبناء المجتمع، فقد أصبحوا بما دُونَ لنا من مصنفات شاهد إثبات على فساد أولئك الحكام واستبدادهم في التصرف بشؤون الناس .

غير أن هذا الضعف السياسي والتفكك الاجتماعي لم يكن موازيا للحياة الأدبية، ولم يمس الأدب في شيء بل على العكس فقد "بلغ الأدب في هذا العصر من الازدهار ما لم يبلغه في أي عصر ... فقد هيأت الإمارات والدول المختلفة في ذلك العصر لحركة أدبية وعقلية واسعة بحيث عدّ القرن الرابع الهجري ـ رغم ما فيه من انقسامات وانشقاقات في الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ـ من أحفل العصور العربية بالنشاط الأدبي والعلمي والفكري وأكثرها نضجا [1]، فكأنّ العلوم و الفنون لا ترقى إلّا في عصور الفوضى والاضطراب.

ويقدم أحمد الحوفي تفسيرا معقولا لهذه العلاقة المتناقضة بين الحركة العلمية والحالة السياسية قائلا: " من الحقائق المقررة في تتبع الحركة العلمية والأدبية أنها لا تتماشى مع العصور السياسية مشي التلازم المحض فتظفر مع السياسة وتهبط بهبوطها لأن السياسة تأتي مفاجئة، وقد تجيء على مهل وتدبير، وأمّا الحركة العلمية والأدبية فلا بدّ لها من تمهيد طويل، ولا بد لانقطاعها أو ضعفها من مدة زمنية تطول أو تقصر "[2]، ويستنتج من هذا أن العلم والسياسة لا يتمشيان جنبا إلى جنب، حتى إذا ارتقى هذا ارتقى ذاك، بل قد يكون الأمر على العكس، قد يكون الضعف السياسي متمشيا مع زهو العلم "[3]، وبالفعل في هذا العصر المتدهور سياسيا توجعت العقول لتهضم المنقولات من الثقافات الأخرى، ونضجت العلوم على اختلاف موضوعاتها، وظهرت الكتب والمؤلفات، لا سيما في اللغة وعلومها، وفي التاريخ والأدب والفلسفة، و غدا كل قطر من أقطار المملكة مركزا هاما من

[1] ـ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ص 201 ـ 202 .

[2] ـ أحمد الحوفي، أبو حيان التوحيدي، ج1، ص 16.

[3] ـ وسيم ابراهيم، نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي ، مطبعة جوهرة الشام، دمشق، سوريا، ط1،1994، ص15.

مراكز الثقافة العربية والإشعاع الفكري، و ظل العرب عاكفين على الإفادة من التراث الضخم الذي خلفته جهود العلماء و المترجمين في العصور السابقة.

ويتضح ذلك النضج المعرفي والثقافي جلياً في ازدهار حلقات العلم ومجالس الأدب التي ازدانت بها قصور الخلفاء والحكام، سواء أكانت في بغداد " **دار السلام** " عاصمة الخلافة العربية أيام العباسيين أو في عواصم الأقاليم التي استقلت عملياً عن الخلافة العباسية فبرزت في بغداد حلقة الوزير المهلبي، وحلقة الوزير ابن سعدان، وظهرت في حلب حلقة سيف الدولة الحمداني، وعرفت في مدن الري وشيراز وأصفهان حلقات الوزير ابن العميد، وعضد الدولة البويهي، والصاحب بن عباد[1]، وضمت هذه الحلقات مجتمعة طائفة من أبرز شعراء وأدباء وكتاب ومفكري العصر.

في ظل هذه الظروف والأحوال عاش الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي، وتأثر بها ونقل ملامحها في كتبه، وهو هنا شبيه بالجاحظ فكل منهما تأثر ببيئته فمزجها في كتاباته [2]. إذ لم يكن التوحيدي وغيره إلّا إفرازا طبيعيا لبيئته بكل تفاصيلها،وجاءت كتاباته ثقافة جامعة لكن ما أنتجته الحضارة العربية الإسلامية، وما امتد إليها من خارج حدودها .

2- النثر الفني في القرن الرابع هجري :

بلغ النثر الفني في هذه الفترة ذروة الرقي والازدهار، وأصبح أكثر من مجرد لغة تخاطب ولغة العاطفة والشعور بل أصبح يعبر عن مسائل تظهر فيها نتيجة التفكير، بمعنى أن يمثل أداة التعبير عن خلاصة الأفكار والآراء التي تُهّمُ وتستهوي الأدباء والكتاب في ذلك العصر، وتحت تأثير تلك الظروف اصطبغت عقلية الأدباء بأصباغ خاصة من العمق والدقة والتحليل وطرافة التقسيم، والبعد

[1] ـ علي دب، المفكر والأديب أبو حيان التوحيدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس ، ط3، 1980 ، ص 36.

[2] ـ محمد زغلول سلام، الأدب في عصر العباسيين، من بداية القرن الرابع إلى نهايته،ج2، منشأة المعارف،الاسكندرية، مصر، ط1، 1999، ص 250 .

في التفكير والخيال حتى أصبحنا بإزاء صفات عقلية جديدة، ذلك أن تعدد منازع الفكر وتنوع مشاهد الحضارة وكثرة أغراض الحياة الجديدة، وضعف السليقة العربية، وفشو اللحن في ظل سيطرة الأعاجم [1]، كل هذا جعل الكتابة صنعة معقدة في قواعدها وأساليبها.

والنثر الفني في القرن الرابع الهجري انفرد بسمات جعلته "أوسع موضوعا، وأصفى أسلوبا، وأبعد فكرا، وأوضح منطقا، فاتسع المجال في النثر لذوي الأفكار فزينوه وجملوه بالتقسيم والسجع [2] فتأنقوا فيه، وغدا التصنيع موجة حادة لم يسلم منها إلّا القليل وتعدى السجع الرسائل الرسمية إلى الرسالة الشّخصية وشمل حتى كتب التاريخ [3]، ولم تكن هذه السمات وليدة العصر، بل هي خصائص نثرية تراكمت من العصور السابقة، تطورت ووصلت إلى أوّج نضجها وازدهارها فاكتملت صورة النثر الفني في هذا القرن . ومن هذه الخصائص ما يرصده زكي مبارك في كتابه النثر الفني في القرن الرابع هجري[4] نلخصها في :

1ـ **إيثار البديع** وإن مال إليه السابقون في غير إسراف، قصد إليه كتاب القرن الرابع في توشية الكتابة بفنون التورية والمطابقة والموازنة والجناس .

2 ـ **التزام السجع** في جميع الرسائل حتى المطولة منها التي يراد بها تقييد مناظرة أو شرح مسألة.

3 ـ **تضمين النثر أطايب الشعر ومختار الأمثال** يبدؤون بها أو يختمون بها، فتصبح الرسائل منمقة مزركشة لا يمل القارئ منها لتنوعها وثرائها، غير أنّ الإسراف في هذه الصنعة متعب إذ يضطر الكاتب إلى البحث عن الشطرات المناسبة، وربما كان هذا الميل في التأنق في الكتابة تأثرا بالفرس .

---

[1] ـ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص 112 .

[2] ـ محمد علي الصباح، أبو حيان التوحيدي، فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1970، ص 13.

[3] ـ شوقي ضيف . الفن ومذاهبه في النثر الفني، ص ص 199 ـ 228.

[4] ـ زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ج1، مطبعة السعادة، مصر، ط2،1957، ص ص105-106.

4ـ **نقل محاسن الشعر الى النثر** وتوشيته بالاستعارة والتشبيه والخيال فيكتسب جمال الصنعة ودقة الأسلوب ما يغني القارئ عن التفكير في الشعر، فقد أصبح النثر بهذه الميزة أداة لتقييد الخواطر النفسية، والملاحظات الفنية من دون وزن ولا قافية .

5 ـ **تحرر الكتاب** وعدم التقيّد بأساليب القدماء في ابتداء كتبهم ورسائلهم، إذ التزم السابقون بالابتداء بحمد الله تعالى والصلاة على الرسول الكريم، لكن أدباء هذا القرن ساروا على فطرتهم وهواهم في عبارات الابتداء [1].

هذه الخصائص الفنية أكسبت النثر العربي حق التفوق على الشعر، بعدما ظل مسيطرا على الذوق والتلقي العربي لفترة طويلة، ولم يتخلص منه إلّا في القرن الرابع الهجري، وعلى الرغم من اختلافهما في الوزن والقافية، إلّا أنّ النثر اقترب من الشعر في الجانب الإيقاعي، فقد وجدت صور تدخل في أبواب البديع توفر للنثر هذه الخاصية بمقابل ما توفره القوافي والأوزان للشعر[2] ، وعليه فإنّ الاختلاف بين الشعر والنثر والذي كان مرجعه إلى الوزن والقافية سيزول بفعل تلك الصور والزخارف البديعية التي اكتسبها النثر العربي في هذا العصر، جعلته يتفوق على الشعر أحيانا كثيرة، مع محافظته على جوهر الإفهام والإقناع [3]. وألبسته مظهرا جديدا في ظل التناقضات التي عرفها العصر، وعاصرها الأدباء والكتاب فجاءت كتاباتهم انعكاسا لحالتهم وفق الانقسامات الاجتماعية أو وفق تلك الخصائص النثرية ما بين ملتزم بالسجع والازدواج، أو مقتصد فيه حسب ما تقتضيه الحاجة والمقام، أو مفرط في السجع والبديع لدرجة الزخرفة .

من هنا نستقر على أنّ هذا القرن عرف خصوصية نثرية فنية متفردة، جعلت الدارسين يصنفونه أزهى العصور الأدبية، ويجعلون نتاجه آية الرقي والازدهار ومن ذلك الرسائل التي كتبت إذ

[1] ـ زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ج1، ص 110 .

[2] ـ عبد الله التنطاوي، مستويات الحوار في فنون النثر العباسي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط ، دت، ص18.

[3] ـ المرجع نفسه، ص16.

يرى **أدم ميتز**" في هذه الرسائل مبلغ تقدير المسلمين للرشاقة، وامتلاكهم لناصية البيان في صورته الصعبة وتلاعبهم بذلك تلاعبا، وليس من محض الاتفاق أن كثيرا من الوزراء في ذلك العهد كانوا من أساتذة البيان وأعلامه "[1]، وبهذا يكون النثر من أدق آيات الازدهار، والوزراء أساتذة البيان رغم انشغالهم بالحكم . هذا الحد من الرقي والازدهار والتأنق أوجب على الكاتب أن يكون حائزا على مواهب وهي :" أن يكون حافظا لكتاب الله لينتزع من آياته، وأن يعرف كثيرا من السّنة والأخبار والسير، حافظا لكثير من الرسائل والكتب، وأن يكون متناسب الألفاظ، متشاكل المعاني، متشابه الخط، ذكيا، عارفا بما يحتاج إليه، خبيرا بالحلي والشيات، مضطلعا بعبء الكتابة، له يد في السواد، وعمل في الحساب، وأن يكون له يدّ في عمل الشعر... رقيق الحواشي، عذب السجايا، حسن المحاضرة، مليح النادرة، غير قنف ولا متعجرف ولا متكلف للألفاظ الغريبة ولا متعسف للغة العويصة"[2].

وحديثنا عن النثر العربي في القرن الرابع الهجري، وعن أساتذة البيان فيه، يسوقنا إلى الحديث عن التوحيدي كواحد من أعظم كتاب النثر القديم آنذاك، وهو من الذين نالوا الحظوة والمكانة عند الباحثين، رغم الاختلاف البيّن في سنة ولادته ووفاته ونسبه، فقد عدّه ياقوت الحموي في معجم الأدباء " فرد الدنيا لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة "، وجعله السبكي في طبقات الشافعية الكبرى من فقهاء الشافعية ومن المؤرخين الكبار اللامعين.

كذلك أعجب به من المحدثين، بفكره وأسلوبه **آدم متز**، الذي اعتبره "أعظم كتاب النثر العربي على الإطلاق" فقال عنه :"ولم يكتب في النثر العربي بعد أبي حيان التوحيدي ما هو أبسط وأقوى وأشدّ تعبيرا عن مزاج صاحبه مما كتب أبو حيان، ولكن الجمهور كان يميل إلى طريقة

[1] ـ آدم ميتز، الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1967، ص 447 .

[2] ـ مطالع البدور، ج2، ص117 نقلا عن إبراهيم الكيلاني، رسائل التوحيدي، ص117.

الآخرين"[1]، ويقصد بالآخرين أولئك الكتاب والأدباء الذين اتسمت كتاباتهم بكثرة البديع والصور البيانية والإفراط في استعمال السجع حتى يصبح النص لوحة مزركشة مملوءة بألوان الزخرفة .

في مقابل هذا الترف البديعي نجد التوحيدي الذي خالف معاصريه في طريقة الكتابة، والتزم نهج سابقيه أمثال الجاحظ. فقد كانت طريقته تتسم بالسهولة، والقوة والبساطة وشدة تعبيرها عن نفسية صاحبها، ولعل هذا ما جعل التوحيدي وجعل كتاباته أيضا مثارا للجدل والتساؤل . فما هي خصائص الكتابة الفنية عند التوحيدي ؟ ومن أين تستمد كتابات التوحيدي بلاغتها ؟ وما هي أهم تصورات الفنية التي اكتسبها الخطاب النثري عند أبي حيان التوحيدي ؟ .

[1] ـ آدم ميتز، الحضارة العربية الاسلامية، ص 465 .

ثانيا – التوحيدي الأديب والفيلسوف:

إنّ الدارس لأدب أبي حيان التوحيدي يجد عسرا في التفريق بين التوحيدي الإنسان والتوحيدي الأديب، كما تصادفه صعوبة التفرقة بين شخصية الأديب والمفكر والفيلسوف ، ففي الأولى نجده يتحدث عن نفسه ويبث لواعجها ويصور أشجانه ، ويقدح الناس ويعتب عليهم وعلى الحياة، والثانية تنقل صورا متنوعة لمختلف العلوم والآداب والفنون، كما وأنها تصور النزعات الفلسفية والأخلاقية . وهناك من الدارسين لا يرى التناقض بين الشخصيتين، بقدر ما هو تمييز بين مرحلتين في الكتابة عند التوحيدي، فقد يرى زكي مبارك[1] أنّ المرحلة الأولى تعبر كتاباته فيها عن نفسه وعن حالات عاطفية مشحونة بالمسائل العقلية والفلسفية، وبما زخرت به البيئة الثقافية في عصره. على أنّ شوقي ضيف يرى أنّ شخصيته الأولى وكتاباتها نابعة من بؤسه وشقائه النفسي أكثر منه المادي، حينما يرى أنّه أحقّ بالمكانة والحظوة في مجالس الوزراء أكثر من أولئك الذين يعتبرهم أقل منه ثقافة ومعرفة، وهو الأمر الذي جعله يعيش تعاسة وشقاء لازماه طيلة حياته[2] .

ومع هذه الشخصية المنكسرة البائسة، كان التوحيدي متسلحا بالعلم والفلسفة، فقد " أخذ بأسباب العلم والمعرفة، ولم يستسلم لبؤسه وشقائه بل على العكس من ذلك راح يخرج الدرر الكامنة في داخله، ويظهرها لنا في أجمل الكتابات والمؤلفات [3] . كما كان يميل إلى طريقة الفلاسفة والمناطقة ، فاجتمعت في كتاباته الفلسفة والأدب، وكانت قريبة من العقل والمنطق،واجتماعهما يزيد صاحبهما عمقا في تأمل الأشياء، والتفكر في الأسباب والمسببات، ويمده بأسباب التصبر على اقتفاء الفكرة.

ومن هنا جاء أسلوبه قائما على تنسيق الأخبار ورصد المعارف والأفكار والحرص على صياغتها صياغة فنية تدل على براعة السبك والتأليف، وهو نمط عرف به ونطق الناس في كتبه

[1] ـ ينظر : زكي مبارك، النثر الفني، ج2 ، ص 167 .

[2] ـ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات،ج 5، دار المعارف، القاهرة، ط 2، د ت،ص 455.

[3] ـ محمد كرد علي، أمراء البيان، ص497.

بفنون الأحاديث التي فيها متعة للعقل والذوق والإحساس[1]، وهذا ما جعل كتاباته تكون أكثر دقة، وتكون منظمة تنظيما عقليا، وتؤكد على أنّ التوحيدي صاحب فكر منظم ، تمكنّ من فهم ملامح عصره ولغته، ونقلها بأسلوبه الخاص ، انطلاقا واستنادا على قدرته في الجمع بين الوعي الفلسفي والصناعة الأدبية الرفيعة*، والتمكن من حسن الاختيار، إضافة إلى أنه عرف حقيقة النثر، وأدرك مقوماته وقواعده وحللها تحليلا دقيقا اتّصف بالعمق والدقة ، ومصدر ذلك هو شغله بالفلسفة التي احتلت حيزا كبيرا في ثقافته .

كان نتاجه النثري في معظمه مطبوعا بالفلسفة فهو "كاتب لَفَت الفلسفة نتاجه، وتداخلت مع فنّه، وكان هذا معلما بارزا من معالم النثر العربي في العصر العباسي، وبخاصة إبّان القرن الرابع"[2]، ويرجع السبب كون الفلسفة هي محور الثقافة عند الأدباء والكتاب، والتوحيدي كان قد استوعب ثقافة عصره ووظفها، وتمكن من الانفصال عن موجة السجع التي سادت الكتابات الأدبية في أيامه وفضّل الانزواء عنها إلى طريقته الخاصة التي عرفت باسمه [3].

امتاز التوحيدي بالنزعة الفلسفية التي طبعت مؤلفاته وكتبه، ومزجها بالأدب والعلم، بل وجعل الفلسفة تنزل من أبراجها العالية إلى أوساط العامة من الناس فتمتزج بمشكلات الحياة وتختلط بمعاناة الوجود، فتمكن بطريقة مبتكرة متفردة من عرض قضايا فكرية، ومشكلات أخلاقية كانت تشغل بال الفلاسفة في ذلك العصر، وتمكن التوحيدي من إحالة الفلسفة إلى ثقافة شعبية ينهل منها الناس عامة ألوانا شتى من المعرفة فالفلسفة عنده " علم العلوم، وصناعة الصناعات "[4]،وهي لم تعد

---

[1] ـ زكي مبارك ، النثر الفني، ص 351 .

* - يحقق التوحيدي شروط الجاحظ في الكلام من كتاب الحيوان " ولا يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام، ومتمكنا في الصناعة يصلح للرياضة، حتى يكون الذي يحس من كلام الذين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة، والعالم عندنا هو الذي يجمعهما " .

[2] ـ عمر الدقاق، أعلام النثر في العصر العباسي، ص 239 .

[3] ـ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات،، ص 462.

[4] ـ أبو حيان التوحيدي، المقابسات، تحقيق وشرح، حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1929،1، ص 132.

حكرا لطبقة معينة من الفلاسفة ورجال الكلام، وذلك لأنه أضفى على القضايا الفلسفية أثرا من نزعته الأدبية الوجدانية، فقربت ألفاظها وتعبيراتها، ومقولاتها إلى أذهان الناس "[1] .

ودون أن يكون له مذهب معين أو فلسفة واضحة، اتسمت طريقته بالموسوعية وتفرعت آراءه الفلسفية في النفس البشرية، وأسرار الوجود، وخفايا اللغة، كما لمست أخلاق الناس وتعرضت لمناهج التفكير وتناولت علاقة الفلسفة بالدين، وصلة الأصيل بالوافد، وجاءت آراؤه مطبوعة بفلسفة السؤال والتساؤل،حيث نراه يثير أسئلة مستمرة ومشكلات متوالية، يأخذ بعضها برقاب بعض في تواصل ساحر عجيب،وهو يشعر بذلك قائلا :" ليس في العلم شيء إلّا إذا بُدئ بالكلام فيه اتّصل وتسلسل حتى لا يوجد له مقطع ولا منفذ "[2] وهو يدرك تماما " أن القيام بحقائق الأشياء وحدودها صعب لأنّها لا توجد إلا متلابسة و متداخلة، وتخليص كل واحد منها من حدّه وحقيقته ووزنه مما يفوت ذرع الإنسان الضعيف "[3] . من هنا كان التوحيدي يهتم بأن يلّم من كل فن بطرف وأن يضرب الآراء ببعضها البعض فهو لم يدع مسألة خلقية أو إرادية أو طبيعية أو نفسانية أو لغوية إلا أثارها في كتب منها "المقابسات " و"الهوامل والشوامل" مع صديقه مسكويه، والإمتاع والمؤانسة، مع حرصه على حسن وضع المشكلة، وجودة التعبير عن وجه الإشكال في أي مسالة يطرحها .

كان التوحيدي يتقن فلسفة السؤال والتساؤل، موظفًا طاقته الأدبية في حسن الصياغة وتشقيق الكلام، وحشد المترادفات التي تمتلئ بها لغة غنية مثل اللغة العربية، وعدم التنبه لذلك هو الذي أدّى بكثير من الباحثين إلى تصنيف التوحيدي في مجال الأدب مع أنه لا يستخدم الأدب وأدواته المتاحة في عصره إلا كوسيلة للتعبير عن أفكاره الفلسفية حتى أصبحت الفلسفة لا تستساغ من دون بيان، "فكل من تكامل حظه من اللغة، وتوفر نصيبه من النحو، كان بالكلام أمهر، وعلى تصريف المعاني أقدر، وازداد بصيرة في قيمة الانسان ... وعرف عوار المتكلمين، ووقف على عادة

[1] ـ محمود ابراهيم ، أبو حيان التوحيدي في قضايا الإنسان واللغة والعلوم،الدار المتحدة للنشر، بيروت دت، ص 97.
[2] ـ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص159.
[3] ـ المصدر نفسه، ج3، ص58.

الفقهاء في أمر، فإن شدا بعد ذلك شيء من المنطق فقد سبق جميع الناظرين "[1]، وهو ما أكسب الخطاب الفلسفي والكلامي في القرن الرابع الهجري تألقا أدبيا ينبض ببلاغة التعبير ويحقق الإبلاغية والتواصل، بعدما طغى عليه توحش الألفاظ وغرابة المعاني في لغة عويصة متعسفة .

لقد كان التوحيدي بدون شك يملك نفسًا متطلّعة إلى المعرفة وروحًا موسوعية تهدف إلى الإلمام بكل شيء، ولعل هذا هو السبب الذي جعله ينفر – في مطلع حياته من العزلة التي هي طابع المفكرين المتأملين، ويسعى بكل نشاط إلى المشاركة في المجالس العلمية والأدبية التي ازدهرت في عاصمة الخلافة، خلال القرن الرابع الهجري، وميزة هذه المجالس أن المنتمي إليها يلتقى فيها بالثقافة الحيّة الطازجة، والأفكار التي تشغل الناس في حياتهم اليومية، لكنها من ناحية أخرى تضم إلى جانب رجال الفكر الرفيع المتطفلون و أدعياء العلم، والمتفيهقين بالمعرفة، وأصحاب المنصب والثروة الذين يرغبون في استكمال وجاهتهم الاجتماعية برعاية الفنون والآداب.

وهنا يجد المثقف الجاد نفسه في مأزق حقيقي فإما أن يجاري الزيف والنفاق المظهرية وإما أن ينسحب من الميدان تاركًا كل شيء، وهذا ما فعله التوحيدي في آخر حياته، فقد قيل إنّه قد انتهى من رحلة الرغبة العارمة في المعرفة والشك والحيرة والسؤال والتساؤل يائسًا أو مستسلمًا منزويا في، والدليل على ذلك ما نقرأه في آخر مؤلفاته "الإشارات الإلهية " وهو عبارة عن أطول مناجاة بشرية لله تعالى في اللغة العربية، وربما في سائر اللغات الأخرى.

وإلى جانب فعل التفلسف الأدبي وفلسفة التساؤل، اتخذ التوحيدي الحوار والجدال والمناقشة والمناظرة[2] أسلوبا ينتهجه لإدراك المعرفة وبلوغ كنهها، والسعي في الوصول إلى الحقيقة وجعله قيمة أساسية في نسج مؤلفاته وبناء كتبه ورسائله،كما أنّه كان يؤمن بضرورة الحوار بين العلماء والمفكرين، ومن ذلك اهتمامه بنقل تفاصيل المناظرة بين السيرافي ومتى بن يونس في المنطق والنحو .

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، رسالة في العلوم ضمن رسائل التوحيدي، تح: إبراهيم الكيلاني، ص ص 335-336.
[2] ـ علي دب، الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي، ص 22 .

وتراث التوحيدي بصفة عامة يصعب فيه الفصل النهائي بين الأدب والبحث الفلسفي المحضة، والصواب فيمن يتناول كتابات التوحيدي ألا يفصل بين آثاره الفلسفية وآثاره الأدبية، لأن في المقابسات أدب، كما في الإمتاع والمؤانسة فلسفة ، وكتب أخرى في النوادر والملح والحكايات تناول فيها موضوعات فلسفية بل نجد التوحيدي يقصد إلى الفلسفة قصدا واضحا لا سبيل إلى إنكاره [1] .

وعلى ما يبدو من خلال دراسة كتابات التوحيدي أنه لا ينقل الأفكار والآراء من المجالس العلمية على حالها ، بل يقوم على تنقيحها وإعادة صياغتها والتعبير عنها بأسلوب أدبي ناصع يقوم على التأنق والاهتمام برصانة التراكيب وإشراب الأسلوب صفة " **الأدبية**، ذلك أن المواضيع التي عرض فيها التوحيدي ميتافيزيقية صوفية في أغلبها، تغري بالتفنن الأسلوبي والتلاعب بالألفاظ [2]، لم يكن أبو حيان التوحيدي فليسوفا فقط، بل هو المفكر الموسوعي ذو النزعة الإنسانية، وهو أديب النثر، جمع بين صنوف المعرفة والعلوم ما أمكنه، وأهلته سعة إطلاعه على ثقافة عصره، وقد أورد التوحيدي في ثنايا كتبه ومؤلفاته ما ينم عن ذوق وفهم عميقين لما يعرضه من قضايا، وما يثيره من تساؤلات سواء كان في اللغة أو النحو أو النقد أو الأدب، فكان بحق فيلسوفا مع الفلاسفة، ولغويا مع اللغويين، ونحويا مع النحويين، وأديبا مع الأدباء [3].

[1] ـ عبد الأمير الأعسم، أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، دار الأندلس بيروت، لبنان،ط2،دت، ص 134.

[2] ـ أحمد عبد الفتاح البري، التوحيدي بين العلم والمعرفة، مقال ضمن مجلة فصول في النقد الأدبي، القاهرة، المجلد الرابع عشر، ج2، 1995، ص99.

[3] ـ المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

ثالثا–شروط الكتابة الأدبية عند التوحيدي :

الكتابة عند التوحيدي صناعة، ولا تكتمل هذه الصناعة إلا إذا جمع الكاتب بين العقل والبيان وبين الفلسفة والأدب، ويضيف إليها : عدم الانقياد لسحر اللفظ قبل معرفة حدود المعنى، والعناية بالجمال في التأليف، والمناسبة بين الشكل والمحتوى ويشرحها بقوله :" فمن أوائل تلك العناية جمع بدد الكلام ثم الصبر على دراسة محاسنه، ثم الرياضة بتأليف مشاكله كثيرا، أو وقع قريبا إليه، وتنزيل ذلك على شرح الحال، ألا يقتصر على معرفة التأليف دون معرفة حسن التأليف، ثم لا يقف مع اللفظ وأن كان نازعا شيقا حتى يفلي المعنى فليا، ويتصفح المغزى تصفحا ويقضي من حقه ما يلزم في حكم العقل، ليبرأ من عارض سقم، وسيلم من ظاهر استحالة، ويعمد حقيقته أولا ثم يؤسسه ثانية ليترقرق عليه ماء الصدق ويبدو منه لآلآى الحقيقة "[1]. والنص في حقيقته نقدي يصوغه التوحيدي في قالب أدبي شيق، صياغته جمالية أقرب ما تكون إلى الشعر المنثور يبتعد فيها عن اللغة والأسلوب الجاف، وهو بذلك يجمع بين ذوق الأدب وحكمة الفلسفة .

1– تفاعل البديهة والصناعة:

من شروط الكتابة عنده أن يتفاعل الطبع والصناعة لأنّ الطبع وحده لا يكفي، وفي ذلك يقول :" فإن قيل أنّ النظم قد سبق العروض بالذوق، والذوق طباعي قيل في الجواب : الذوق وإن كان طباعيا فإنه معدوم الفكر، والفكر مفتاح الصنائع البشرية، كما أنّ الإلهام مستخدم للفكر، والإلهام مفتاح الأمور الإلهية "[2]. ومبدأ اشتراك الطبع والصنعة في تكوين الأثر الفني إنّما هو من مباحث الفلسفة والمنطق فهو يأخذه من شيخه أبي سليمان المنطقي إذ يقول : "الكلام ينبعث في اول مبادئه إما من عفو البديهة وإما من كدّ الروية، وإما يكون مركبا منهما، وفيه قواهما بالأكثر

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر،.تح أحمد أمين والسيد أحمد صقر، م3، ج5 ، ص 170.
[2] ـ المصدر نفسه، ج2، ص 134.

والأقل، ففضيلة عفو البديهة أنّه يكون أصفى، وفضيلة كدّ الروية أنّه يكون أشفى وفضيلة المركب منهما أنّه يكون أوفى "[1]، بهذا توصل التوحيدي إلى أن " الكلام مركب من اللفظ اللغوي والصوغ الطباعي والتأليف الصناعي والاستعمال الاصطلاحي"[2]، إذ يتعاون الطبع (البديهة، الموهبة) مع الصنعة، فلا بدّ من مزج لكل من العقل والذوق ثم يفتح المجال للمجاز وتعدد المعاني، حتى تكتمل الصورة الجمالية للأدب لتصبح على حد تعبيره متكاملة رائقة حلوة ،ولا يتم امتلاك ناصية الكتابة بكل أطرافها ومختلف فنونها إلا بالتوفيق بين جمال الأسلوب وعمق المضمون .

وللتوحيدي أقوال كثيرة في جماليات التأليف نظماً ونثراً وفي جماليات الحديث العادي وشروطه حتى يصبح نصّاً فنياً ممتلكاً مواصفات جمالية، مثل الوضوح وصدق الرواية والكمال وعذوبة اللفظ إلى آخر هذه الصفات:"وليكن الحديث على تباعد أطرافه واختلاف فنونه مشروحاً والإسناد عالياً متصلاً، والمتن تامّاً بيّناً واللفظ خفيفاً لطيفاً، والتصدير غالباً متصدّراً والتعريض قليلاً يسيراً وتوخَّ الحق في تضاعيفه وأثنائه والصدق في إيضاحه وإثباته، واتقّ الحذف المخلّ بالمعنى والإلحاق المتصل بالهذر، واحذر تزيينه بما يشينه،وتكثيره بما يقلله، وتقليله عما لا يستغني عنه "[3].

ولا يكتمل الإبداع الفني في النص الأدبي إلا بانصهار دواخل النفس الانسانية بما هو مكتسب، فالنص المبدع هو ما "تحتضنه الصدور وتختلسه الآذان وتنتهبه المجالس ويتنافس فيه المتنافس بعد المتنافس، والمتفاضل الواقع بين البلغاء في النظم والنثر إنما هو هذا المركب الذي يسمى تأليفا ورصفا، وقد يجوز أن تكون صورة العقل في البدء أوضح وأن تكون صورة الحس في الروية ألوح، إلا أن ذلك من غرائب أثار النفس ونوادر أفعال الطبيعة "[4] .

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر،ج2، ص 132 .
[2] ـ المصدر نفسه، ج1، ص 10.
[3] ـ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص ص 8-9.
[4] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر،ج2، ص 132.

والكتابة بشروطها الصحيحة الجماليّة عملٌ يستعصي على الكثيرين، فالكتابة الفكرية الفنية ليست ترفا ولا نزهة بقدر ما هي مكابدة ومعاناة واجتهاد، والتوحيدي يشرح أسباب هذا الاستعصاء شرحاً علميّاً موضوعيّاً و نفسيّاً ويُقدّم خبرته الطويلة في الكتابة وآليتها للكُتّاب وهو الذي خبر تفاصيلها وكابد عسر توقيعها، فآليتُها تشبه خفق البرق، والكتابةُ صعبة يتعسر القبض على عناصرها؛ لأنّ مادتها العقل ـ حسب تعبيره ـ ومن سمات العقل سرعة التحّول والخداع والوهم، ذلك أن التوحيدي لا يتكلم وينظّر من فراغ، فهو يدرك حدود طريقته الفنية ذلك لأنّه كان فناناً ناقداً عارفاً بالأصول التي تقوم عليها طريقته، مؤمناً بفنه، واعياً بمقدار الجهد الذي يبذله المرء حتى يصبح كاتباً متميز الأسلوب.[1]

هذا ويحصر التوحيدي شروط القدرة على الكتابة الأدبية في أمرين اثنين أولهما الموهبة، وثانيهما الخبرة عن طريق الدربة والممارسة، كما ويحذر من خطورة الكلام وغرور قد يصيب الأديب المنشئ له، وطغيان لسانه لأن الكلام (التأليف) صعب ويتعسر القبض على عناصره فهو " مستملاه من الحجا، ودريّه التمييز، ونسخه بالرقة، والحجا في غاية النشاط، وبهذا البون يقع التباين، ويتسع التأويل ويجول الذهن، وتتمطى الدعوى، ويفزع إلى البرهان، ويبرأ من الشبهة، ويعثر بما أشبه الحجة وليس بحجة فاحذر هذا النعت وروافده، واتق هذا الحكم وقوافيه "[2] . فالتوحيدي هاهنا ينظر للكتابة أنّها فنٌ يحتاج إلى جهد ودأب، وصناعة تتطلب دربة وممارسة، فالكلمة وعاء الفكر، والعبارة ترجمان العقل وليست هذراً وحشود ألفاظ، أو فيضاً ووصف جمل.

[1] - ينظر: أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة،ج .1، ص09.

[2] – المصدر نفسه،ج1، الصفحة نفسها.

2- الروية بلا تكلف:

لا يكتفي التوحيدي بالتناسب بين البديهة والصنعة بل يضع شرطا أخر هو "**الروية** "،فيقول مبرزا ذلك على لسان أبي الوفاء المهندس :"من يرد عليه كتابك، فليس يعلم أسرعت فيه أم ابطأت، وإنّما ينظر أصبت فيه أم أخطأت، أحسنت أم أسأت، فإبطاؤك غير مضيع إصابتك، كما أنّ إسراعك غير معف على غلطتك"[1]، وهي ما يوجه إليه العسكري الأديبَ في صناعته حيث يقول:"إذا أردت أن تصنع كلاما، فاخطر معانيه ببالك، وتذوق له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكر منك، ليقرب عليك تناولها، ولا يتعبك تطلبها "[2] ،ومعنى ذلك أنّ صناعة الكلام لا تقتصر على اختيار اللفظ فقط بل في اختيار طريقة نظمه و حسن سبكه و تأليفه .

وتكمن أهمية الروية والإتقان في الإبداع الفني في أنّها تمكن المبدع من الانتقاء والتخير في أوزان ألفاظه فلا تخرج عن الإيقاع العام، وتوشيح عباراته وترتيبها باختيار الأعذب فالأعذب وطلب المشاكلة والموزانة والسجع، وهذا يحتاج زمنا متسعا وفكرا طويلا [3]، وبالإضافة إلى هذا التناسب والتناسق بين الأعضاء والأجزاء يؤكد التوحيدي على دور النفس في تقرير هذا التناسب القائم على الحدس عنده، ذلك أنّ الجمال " كمال في الأعضاء، وتناسب بين الأجزاء، مقبول عند النفس"[4]، ثم إنّ النفس " إذا رأت صورة حسنة متناسبة الأعضاء في الهيئات والمقادير و الألوان وسائر الأحوال مقبولة عندها، موافقة لما اعطتها الطبيعة اشتاقت على الاتحاد بها فنزعتها من المادة، واستثبتها في ذاتها، وصارت إياها". [5]

---

[1]- أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة،ج .1، ص 65.

[2]- العسكري، الصناعتين، ص 133.

[3] - أبو حيان التوحيدي، الهوامل والشوامل، ص ص 285-286.

[4] -المصدر نفسه،ص 140 وينظر: ص 52 .

[5] ـ نفسه، ص 240 ، وينظر: ص 97 .

هذه النفس التي تميل إلى التناسب والتناسق تنفر لطبعها من التكلف إذ أنه يؤدي إلى الابتذال والركاكة، وشرود المعنى وانحطاط العبارة، والذوق العربي ينفر من التكلف عموما إن كان على مستوى اللفظ أو المعنى، فالبلاغة " صواب في سرعة جواب، والعي إكثار في إهذار وإبطاء يزرفه أخطاء "[1] مما يعني أن الكلام يرسل على سجيته من غير تكلّف ولا تعسف[*]، لذلك يحرص على هجره في الكتابة الفنية.

والتوحيدي بفلسفته الثاقبة وتبصره للأمور يدرك أهمية البديهة في الخلق الفني، ويرى أنّ الذوق الفني لا يقبل التكلف، وقهر المعاني، وتعسف العبارة فيقول على لسان أبي سليمان المنطقي أنّ البلاغة تكون " بالصدق في المعاني، مع ائتلاف الأفعال والأسماء والحروف وإصابة اللغة، وتحرّي المِلاحةَ المِشاكلةَ برفض الاستكراه ومجانبة التعسف "[2] ، هذا من جهة المعنى أمّا من جهة اللفظ فالتوحيدي يرى في سهولته وسلاسته وفي دقة التعبير وروعته مزية في الكتابة لا بد من نهجها فيقول:"ولن يتم ذلك حتى يتجنب غريب اللفظ ووحشيه، ومستكرهه وبدويه، وينزل عن ربوة ذوي العنجهية وأصحاب اللوثة وأرباب العظمة، بعد أن يرتقي عن مساقط العامة في هجر كلامها ومرذول تآليفها "[3] .وهنا يجعل التوحيدي التحضر في أساليب العيش والرقي الحضاري واحدا من أسباب تهذيب الأدب، وترقق اللغة وتلطفها عكس ما في البداوة من خشونة وغلظة، فيشيد بمزية العراقيين (أهل الحواضر) ومستواهم في تجويد الإبداع الأدبي باعتبارهم نموذجا حضاريا متفوقا ومشهورا في

[1] ـ العسكري، الصناعتين، ص 43.

[*] – وفي هذا المعني يقول ابن المدبر "والكاتب المستحق اسم الكتابة، والبليغ المحكوم له بالبلاغة من إذا حاول صنعة كتاب سالت على قلمه عيون الكلام من ينابيعها، وظهرت من معادنها، وبدرت من مواطنها، عن غير استكراه ولا اغتصاب " ينظر الرسالة العذراء، ص 36.

وفي المعنى ذاته يشير الآمدي في الموازنة إلى " ان مجاهدة الطبع،ومغالبة القريحة مخرجة سهل التأليف،الى سوء التكلف وشدة التعمل " ينظر الموازنة بين أدب تمام والبحتري، ج1، ص ص 243 ـ 244.

[2] ـ أبو حيان التوحيدي، المقابسات ، ص 293 .

[3] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، م3، ج5، ص95.

التراث الأدبي :" إذا انتصفنا التزمنا مزية العراقيين فعلينا بالطبع اللطيف والمأخذ القريب، والسجع الملائم واللفظ المونق والتأليف الحلو، والسبوطة (الاسترسال)الغالبة المولاة المقبولة في السمع الخالبة للقلب، العابثة بالروح، الزائدة في العقل المشعلة للقريحة، الموقوفة على فضل الأدب ..."[1] .

وغاية المطلب عند التوحيدي في الكلام البليغ " أن يكون المعنى شريفا وبديعا، واللفظ حرا، والنظم حلوا، والكلام رشيقا، والوزن مقبولا "[2]، كما كانت غايته أن ينزه البلاغة عن محسنات البديع من جناس وسجع، وكل زخارف التكلف التي يوردها في قدحه لأدب الصاحب وابن العميد :" والذي ينبغي له أن يبرأ منه ويتباعد عنه لما يكتب: التكلف فإنه مفضحة وصاحبة مزحوم، ومن رسم به مقت، ومن اعتاده سخف، والتكلف، وإن كان هكذا في كل ما دخله وتخلله، فإنه في البيان أبيّن عوارا، وأظهر عارا، وأقبح سمة، وأشنع وصمة "[3] ومن التكلف : غرابة اللفظ في أدب ابن عباد وهو نقيصة و معيبة يفضحها التوحيدي " والذي ينبغي أن يهجر رأسا، ويرغب عنه جملة : التكلف والإغلاق واستخدام الغريب والعويص وما يستهلك المعنى أو يفسده أو يحيله ...والهجنة التي ليست بعدها هجنة، والركاكة التي ليست فوقها ركاكة: الولوع بالغريب "[4] .

هذا ولا تستوفى شروط الإبداع الفني عند التوحيدي، ولا يكتمل دستور الكتابة الفنية إلا " من استشار الرأي الصحيح في هذه الصناعة الشريفة، علم أنّه إلى سلاسة الطبع أحوج منه إلى مغالبة اللفظ، وأنّه متى فاته اللفظ الحر لم يظفر بالمعنى الحر،لأنّه متى نظم معنى حرا ولفظا عبدا أو معنى عبدا ولفظا حرا، فقد مع بين متنافرين بالجوهر ومتناقضين بالعنصر "[5]. ويقصد بحرية اللفظ

[1] – أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج 1، ص 64.

[2] – أبو حيان التوحيدي، مثالب الوزيرين،.تح ابراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، سوريا،1961، ص 322.

[3] ـ أبو حيان التوحيدي، رسالة في العلوم، ضمن رسالة الصداقة والصديق، ص 340 .

[4] ـ أبو حيان التوحيدي، مثالب الوزيرين، ص 94.

[5] ـ أبو حيان التوحيدي، رسالة في العلوم، ص 340.

والمعنى خروجهما من طقوس البهرجة، وجنوحهما إلى الطبع والاسترسال في العقل، وأن يكون اللفظ رقيقا، شريف الغرض، تصحبه الجزالة والسهولة، والرقة مع حلاوة البيان ومجانبة وكراهية المستنكر [1] .

ورأي التوحيدي هنا يذكرنا بتفكير الجاحظ النقدي حينما يقول: " فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه، ومنزها عن الاختلال، مصونا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة "[2]. اذن باختصار هذه هي شروط الإبداع الفني التي يسطرها التوحيدي ومن قبله الجاحظ ليتم الجمال الفني في الإبداع الأدبي، ومن شروط الصناعة أيضا إلى جانب حريتهما (اللفظ والمعنى) ضرورة الموافقة بينهما لتتحقق جودة الكلام، وبلاغة الخطاب الأدبي.

3- التناسب بين اللفظ والمعنى :

إذا كان قوام الأدب هو اللفظ والمعنى، فإن عماد النثر الفني لدى أبي حيان هو الحرص على التناسب بين هذين العنصرين في سبك عجيب، ففي اعتقاده أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي[3] وهو يتوخى التوازن بينهما ويحذر من طغيان أحدهما على الآخر. ويستند التوحيدي في تنظيراته لجودة الكلام على ما قاله ابن المعتز (296هـ) أنّ مدار الكلام أركان قوامها جودة اللفظ وجودة المعنى، ليكون الكلام هو تأليف بين لفظ ومعنى، والجودة لكليهما مقياس للكلام الجيد .

وفي هذا يورد وصفا للقرآن الكريم باعتباره أعلى مستويات الكلام،يقول ناقلا عن أحد الكتاب قوله : " ذاك كلام ليس فيه أثر الصنعة، ولا علاقة للتكلف، وهو كلام منسكب انسكابا، وجار جريا يزيد لطفه على الطبع، بقدر ما يزيد الطبع على التصنع، قليله كثير، وكثيره غزير، ومعناه أقوم من لفظه،ولفظه أرشق من وزنه،ووزنه أعدل من نظمه، ونظمه أحلى من نثره، ومجموعه أبهى من

[1]- أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تح: الكيلاني ، ج1، ص 265.
[2] ـ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص193.
[3] ـ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص 115.

مفرّقه،ومفرّقه أبهى من مجموعه، وبعضه أغرب من كله، وكله أعجب من بعضه، وهو شيء يستوي فيه تعجب الجاهل ويحير العالم،ويستعلي الذهن ويستغرق الفهم، ويحجب الرؤية عن الإدراك،ويردها إلى البديهة في التسليم ... "[1] .

فالقرآن في وصف لغته يجمع العذوبة والرشاقة والاسترسال والسهولة والرصانة والغزارة واللطف والقبول في الفهم والسمع وسائر الجوارح، وهو كلام لا يقبل التكلف ولا الصنعة ولا الإغراب والاضطراب . ومنه فعيوب الكلام التي ينصح التوحيدي بمجانبتها هي التكلف والركاكة والغريب من اللفظ والعويص من المعاني "وما شاكله كلفة على النفس عند سماعه، ومؤونة على الطبع عند تخيره، ومشقة على اللسان عند اللفظ به "[2].

يضع التوحيدي إلى جانب ما سبق من مقاييس الجودة في النثر الفني أو الكتابة النثرية . شرطا لا يقل أهمية بعد تخير اللفظ الحر للمعنى الحر، وهو حسن التأليف بينهما، ويرى أن جمال النص الأدبي لا يتحقق إلا بمراعاة جانب اللفظ وجانب المعنى كقطبين متلازمين فيقول :" لا تعشق اللفظ دون المعنى، ولا تهوى المعنى دون اللفظ، وكن من أصحاب البلاغة والإنشاء ..."[3] لأن "المعاني ليست في جهة والألفاظ في جهة بل هي متمازجة متناسبة، والصحة عليهما وقف"[4]، وهو في هذا يسلك طريقة الجاحظ في الكتابة*، وقد انعكست على أسلوبه وفكره .

يتحدث التوحيدي عن التناسب بين اللفظ والمعنى فيورد رأي أستاذه أبي سليمان المنطقي : "المعاني المعقولة بسيطة في بحبوحة النفس، لا يحوم عليها شيء قبل الفكر، فإذا لقيها الفكر بالذهن

[1] ـ أبو حيان التوحيدي ، مثالب الوزيرين، ص ص 137-138.

[2] ـ المصدر نفسه، ص ص 134- 135.

[3] ـ أبو حيان التوحيدي،الامتاع والمؤانسة، ج1، ص 10 .

[4] – أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، م3، ج5، ص ص 49-50.

* - يقول الجاحظ في التناسب بين اللفظ والمعنى :" الاسماء في معنى الأبدان، والمعاني في معنى الأرواح، واللفظ للمعنى بدن، والمعنى للفظ روح " ينظر : رسالة في الجد والهزل ضمن كتاب رسائل الجاحظ، ص 262.

الوثيق والفهم الدقيق ألقى ذلك إلى العبارة (اللفظ أو الشكل)، والعبارة حينئذ تتركب بين وزن هو النظم للشعر، وبين وزن هو سياقه الحديث، وكل هذا راجع إلى نسبة صحيحة أو فاسدة، وصورة حسناء أو قبيحة، وتأليف مقبول أو مجموع، وذوق حلو أو مر "[1].

هذا من جملة ما يورده التوحيدي في رأيه للتوفيق بين اللفظ والمعنى وصحة التأليف[2] بينهما والابتعاد عما يعيب هذه الصحة للوصول إلى المشاكلة والتناسب،والحقيقة أنّ مقدرة المبدع تظهر في الربط بين الألفاظ والمعاني ليتمكن من التعبير عن تجربته بوضوح، ليكتمل مظهر الفكر واللغة، ويتوحد التعبير والجمال .

ويظهر مما سبق من آراء في ضرورة توافق اللفظ ومعناه في التأليف أنه جزء هام مما يحقق أدبية النص الفني بالإضافة إلى عناصر التأليف الأخرى المشكلة لأدبية النص، ذلك أن صحتهما تحقق الجمالية والمتعة النفسية للقارئ، وبطلان ذلك يفقدهما التأنق والرونق،و يضعف الدلالة و يعدم المتعة والتأثير في نفس المتلقي، وبالتالي يفقد تذوقه للنص وإدراكه لمواطن الجمال والمتعة فيه، والتي تتأتّى للمتلقي من خلال ما يتطلبه الكلام من إثارة اللذة والمتعة والدهشة في المتلقي، ويتحقق ذلك باستخدام المبدع لما يسمى بالصورة الشعرية أو التخييل في الشعر باستخدام لغة مجازية تأخذ المتلقي إلى عالم آخر،كما ويفرض الجمال نفسه من خلال نسيج النص الإبداعي في لغته وطرائق نظمه وائتلاف ألفاظه فيما بينها، لأن المتلقي حين يتناول النص بالقراءة لا يقرأ الألفاظ منعزلة بقدر ما يقرأ الأنساق التي جمعتها ووحدة النظم التي انخرطت فيه، فتنتقل النص الأدبي من جماليات الإبداع إلى جماليات التلقي .

[1] ـ التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص 138.

[2] ـ ويؤكد العسكري المعنى ذاته بالقول:" من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف،" الصناعتين،ص 134، وهي النظرة النقدية ذاتها يلخصا ابن رشيق " إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ "وقوله: " اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسد، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته . وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى، لم يصح المعنى، لأننا لا نجد روحا في غير جسم البتة ". العمدة، ج1، ص 218 وص 103

4- البلاغة في النثر :

الكتابة الفنية لا تلبس رداء المثالية ولا تبلغ مقياس الجودة إلا إذا استوفت شروط البيان والبلاغة، ويلخص التوحيدي نظرته إلى بلاغة الخطاب في التوفيق بين صنعته الفنية التي تقوم على البديهة والطبع والذوق " والطبيعة الجيدة، والمزاج الصحيح، والاختيار المحمود "[1] في إجادة التعبير والبيان، وبين نزعته العقلية التي تشربها من مجالسة المعتزلة والمتكلمين، بمعنى آخر بلاغة النثر عنده تقوم على صورة فنية منبتها الطبع، وقواعد منهجية ومرجعها المنطق والجدل.

فأمّا مدار البيان عند التوحيدي "صحة التقسيم وتخير اللفظ وترتيب النظم وتقريب المراد، ومعرفة الوصل والفصل، وتوخي المكان والزمان، ومجانبة التعسف والاستكراه، وطلب العفو كيف كان"[2] . إذن لا يقوم البيان في الكلام / الكتابة إلا على هذه الأسس وهي : اللفظ، والنظم (التركيب)، والمعنى، ومراعاة المقام، والبساطة وتجنب التكلف .

وأمّا عن البلاغة يقول "نظام البلاغة وعقدها، والذي عليه المدار أن يكون طالبها مطبوعا بها مفطورا عليها، قد أعين بشهوة في النفس، وأدب من الدرس، فإنه متى اختّل في أحد الطرفين بدا عواره، ولصق به عاره"[3]، ويخشى التوحيدي بعد ذلك من أولئك الذين يدعون بلاغة الكتابة وهم لا يفقهون في أفانينها ولا يلتزمون أصولها وهم الذين فقدوا الطبع والمذهب "والآفة في البلاغة من الدخلاء الذين يستعملون الألفاظ ولا يعرفون مواقعها، أو يعجبهم الاتساع ويجهلون مقداره أو يروقهم المجاز ويتعدون حدوده أو يحسن في حكم التصريح، ولعل الكناية هناك أتّم "[4]، ثم يمنح لكل من يطلب بلاغة القول، أو بلاغة الكتابة سرّه: "والسر كله أن تكون ملاطفا لطبعك الجيد،

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص 145.

[2] ـ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[3] ـ نفسه.

[4] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج1، ص 364 .

ومسترسلا في يد العقل البارع، ومعتمدا على رقيق الألفاظ، وشريف الأغراض مع جزوله في معرض سهولة، ورقة في حلاوة بيان،مع مجانبة المجتلب وكراهة المستكره"[1] .

فهي الكلام البليغ –والمقصود به الكتابة الفنية– الذي لا يقوم عند التوحيدي على إيصال المعنى إلى السامع والقارئ فحسب بمعنى ما يحقق الإفهام الجيد، بل يتعدى هذه الوظيفة الأساسية إلى "الوزن والبناء الجيد، والتقفية والحلية الرائعة، وتخير اللفظ واختصار الزينة بالرقة والجزالة والمتانة"[2]. وهذا الصنف من الكلام يكون "لخاصة النفس، لأنّ القصد فيه الإطراب بعد الإفهام، والتواصل إلى غاية ما في القلوب لذوي الفضل بقويم البيان ."[3]

ومن هنا يمكن أن نخلص إلى أن تصور التوحيدي لبلاغة الكلام لا يقف عند حدود المعرفة، أو إيصال المعارف والإفهام، بل يدخل فيه عنصر الإطراب، ولا يتأتى للكاتب ذلك إلّا بتزيين وتوشية العمل الفني، وتحبير القول وتجويده والارتفاع بدرجة الإبلاغ إلى قصد الإطراب الذي يكسب الكتابة أدبية ومتعة . ودور المتلقي هنا يتجاوز الوصول إلى المعرفة إلى التفاعل مع العمل الفني والاندماج فيه، للوقوف على أسرار الجمال، والبحث عن الانسجام حتى يحصل الطرب والانتشاء.

للكتابة عند التوحيدي فنون كثيرة، ولكل فن بلاغته فهناك بلاغة الشعر وبلاغة النثر، وبلاغة الخطابة، وبلاغة المثل ... وكلها تعتمد على التأليف بين اللفظ والمعنى، والابتعاد عن كل ما يشين التأليف من استعمال الغريب والحوشي من الألفاظ . والنثر فن تكمن بلاغته في " أن يكون اللفظ متناولا، والمعنى مشهورا، والتهذيب مستعملا، والتأليف سهلا، والمراد سليما، والرونق عاليا،

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج1، ص 364 .
[2] ـ أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص 170.
[3] ـ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

والحواشي رقيقة، والصفائح مصقولة، والأمثلة خفيفة المأخذ، والهوادي متصلة، والإعجاز مفصلة "[1] . ومن هنا يتضح أن عمود بلاغة النثر قائم على عنصرين أساسين هما اللفظ المتناول، والمعنى المشهور، وعماد الجمال في النثر صياغة اللفظ الدقيق مع المعنى اللطيف، والصورة العذبة، وأن تكون الكتابة جميلة الرونق جذابة، تستهدف المراد والقصد مباشرة، وتكون متماسكة الأجزاء، مفصلة الأصول.

يتضح مما سبق أن التوحيدي يبين في تنظيراته لبلاغة الخطاب النثري ويقدم في نصوصه تصورا وافيا شاملا لسمات كتابة فنية إبداعية، و قبل أن ينشرها في كتبه طبقها على نفسه لأنها تنطلق من تجربة ذاتية، فيرسم دستورا يرجو تطبيقه ممن يريد أن يصل إلى أعلى درجة في الكتابة وفنونها ، فبلاغة الكتابة " أن يصيب الناطق بالطبع الجيد،أو الصناعة المختلفة،أو بهما، وإن ساء فهم السامع لقصور طباعة بعده أن أسباب الفضيلة ...ولكن أقرب الطرق للإفهام أن تكون الغاية مثالا للعقل، ثم يكون المعنى مسوقا إليها، واللفظ منسوقا عليها، فهم السامع أو قصُر "[2] .

ويجعل في دستوره نظرية جامعة لبلاغة الخطاب تتلخص في صدق المبدع وإخلاصه وبذل الجهد في التوفيق ما استطاع بين الشكل والمضمون، والتناسب بين اللفظ والمعنى وفق رؤية خاصة تعلي من شأن تلاحم أجزاء النظم، وترتيب عناصره، يدخل في صلبها قدرات الأديب على اختيار الألفاظ، واستنباط المعاني الأكثر انسجاما، كما يرى أنه لا بد للكاتب الجمع بين معرفة أصول

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، الامتاع المؤانسة ج2، ص 141 . وينظر عصام بهي، مقال بعنوان : الكلام على الكلام، قراءة في فكر أبي حيان التوحيدي، مجلة فصول في النقد الأدبي، ج2، 1995، ص195 .

[2] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج2 ، ص 66 . وينظر: تعاريف أخرى لنفس المعنى في ج2 ، ص ص 67-68-69.

التأليف ومعرفة قواعد حسن التأليف .واختصارا لكل ما سبق " فاقصد ـ أيّدك الله ـ ان تكون كالصائغ الذي يصيب التبر فيسكبه ثم يصوغه، ثم يزينه، ثم ينقشه، ثم يسوقه، ثم يعرضه ".[1]

وعلى هذه الأسس والمعايير كتب التوحيدي ما جادت به قريحته، مفرقا بين الخطاب الشفهي(وهو الأصل) وبين الخطاب المكتوب بعد أن نقله من مجالس العلم والفكر والفلسفة، ذلك لأن الكتابة ليست تدوينا للمشافهة فقط، بل هي إنشاء لنص أخر يتجاوز تلك المحاورات والمناظرات،ولأن " الخوض الشيء بالقلم مخالف للإفاضة باللسان لأن القلم أطول عنانا من اللسان، وإفضاء اللسان أحرج من إفضاء القلم "[2]، وأن كان التوحيدي في صناعته للكتابة يستند إلى نقل تلك المحاورات المجلسية، إلّا أنّه لا يخضع لظروف الخطاب الشفهي المتسم بالتفاعل والتجاذب بين المتخاطبين، ذلك التفاعل الخاضع للمقام الحواري وهو ما يفقده التناسق.

فالتوحيدي في الخطاب الكتابي ينسج أجزاءه على أنقاض الخطاب الشفهي في المسامرات ونصوصه في الإمتاع والمؤانسة والنصوص المشابهة لها في نمط السرد توضح أن أسلوب التوحيدي " في اختيار مواضع الكلام، وفي ترتيب فقره وصيغه وتعابيره، ليس دالا على تلفظ المحاور في المجلس بقدر ما هو دال على الترتيب الكتابي وعلى اختيار الفقر المجلوبة من المدونات والمكتسبات، بل إنّ أسلوبه دال على اختيار جدولي مصمم حسب ما تقتضيه الجهات المعنوية التي تشترك في تكوين العمل الأدبي"[3].

والجدير بالذكر هنا أن الكتابة الفنية في مؤلفات التوحيدي تكشف عن صراع حاد، يعصف بذات الأديب وإنسانيته، ويمزج نتاجه الكتابي بروحه القلقة المضطربة . دون أن تقف في

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج2 ، ص 364.

[2] ـ أبو حيان التوحيدي،الامتاع والمؤانسة، ج1، ص 200.

[3] ـ ينظر: مقال لصالح بن رمضان، الادب عند التوحيدي بين أسر الكاتب وتحرر الناشر، مقال ضمن حوليات الجامعة التونسية، العدد 49، 2005، ص ص 73ـ 83.

ممارسته الكتابية تلك المعوقات النفسية والاجتماعية التي كان يكابدها مرة في صمت ومناجاة، ومرة في صراخ وثلب وذم، وهو يرسم معالم الكتابة الفنية في عصر غمرته الصناعات والزخارف، كان يلزم نفسه السير على النهج السليم للإبداع الفني مهتديا بما أورثه الجاحظ من أسلوب، وما منحته إيّاه الفلسفة من آليات، فجاء أسلوبه في الكتابة متفردا لم يسبق إليه إذ " لم يكتب في النثر العربي ما هو أسهل وأقوى وأشدّ التصاقا بشخصية صاحبه مما كتب التوحيدي "[1].

5- ذاتية الابداع :

كما لم يكتف التوحيدي برسم معالم الكتابة ومقوماتها فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى مزج هذه المقومات والشروط بشخصية الأديب وفكره، والتحام الواقع بالذات المبدعة، إذ لا بد للعمل الأدبي أن يتلبس بعضا من أغوار النفس التي أنتجته، وأن يحمل النص صورة الذات ممثلة في العاطفة الوجدانية، ويكون لها دور خلاق في العمل الإبداعي والتوحيدي يفسر عملية اندماج الذات في العمل الفني بجملة غاية في البلاغة وروعة التعبير ـ وهو الخبير بمكامن النفس ـ يقول :" لأن الهوى مقيم لابث، والرأي مجتاز عارض، ولا بد للهوى أن يعمل عمله، ويبلغ مبلغه، وله قرار لا يطمئن دونه، وحدّ هو أبدا يتعداه ويتجاوزه، وله غول تضل، وتمساح يبتلع، وثعبان إذا فحّ لا يبقي ولا يذر، والرأي عنده غريب خامل، وناصح مجهول "[2]، ويؤيده مثلا عما جاء في مثالب الوزيرين :"ولكن الحديث ذو شجون،وله نزوة من القلب على اللسان، ودبيب من اللسان على القلب، والاحتراس منه

[1] ـ آدم ميتز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 416.

[2] ـ أبو حيان التوحيدي، مثالب الوزيرين، ص 14.

يقل، والغلط فيه يعرض وحفظ الكلام على سننه من الكلف الشاقة، والأمور الصعبة، واللسان فيه أكثر إنصافا من القلم، واللفظ أعدل من الخط "[1]

على أن ينشئ المبدع هذا النص وهو مدرك وواع بهذا التفاعل بين الذات والكتابة فتصبغه بصبغتها، وتضع عليه بصماتها، ويحاول أن يكون هذا الالتحام قويا بما يتطلبه الصدق الفني، فالمبدع عليه أن يكون صادقا في التعبير عما يدور في داخله ويتوافق مع تجربته الذاتية حتى لا يخرج الكلام عن جودته وحسنه وجماله ، والصدق على رأي التوحيدي خاضع لتماسك العمل الإبداعي وانسجامه من زاوية حسن تأليفه ونظمه، لأن شرطه الأساسي العقل وفاعليته في العمل الأدبي. لذلك كان معولا عليه في الكلام البليغ :" وإنما المدار على الصدق في القول، وعلى تقدير الحق في العقد، وقصد الصواب عند اشتباه الرأي، وغلبة الهوى "[2] .

ومما سبق نستخلص أن التوحيدي اهتّم بوضع كل ما يحقق أدبية الكتابة، وحرص على مبدأ التناسب في كل عناصر الخطاب الأدبي من خصائص فنية ونفسية وعقلية رآها ضرورية لاكتمال معمارية العمل الفني وربما هو يختصرها في قوله :" أحسن الكلام ما رق لفظه، ولطف معناه، وتلألأ رونقه، وقامت صورته بين نظم كأنه نثر، ونثر كأنه نظم، يطمع مشهوده بالسمع، ويمتنع مقصوده على الطبع، حتى إذا رامه مريغ حلق، وإذا حلق أسف، يبعد على المحاول بعنف، ويقرب من المتناول بلطف "[3] ، وقد أورد هذا القول في باب موازنة بين النثر والنظم لاشتراكهما في صفة الكلام البليغ . فللنثر عند التوحيدي فضيلته التي لا تنكر، وللنظم شرفه الذي لا يستر ولا يجحد، ولكل منهما

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، مثالب الوزيرين، ص 349 . وفي موضع آخر من الكتاب يقول :" على أني لا أثق بالخاطر إذا طاش، ولا باللسان إذا همز، ولا بالقلم إذا استرسل، ولا بالهوى إذا اشتمل وسوّل، فإن الهوى يعمى ويصم، ولعل الغيظ يجرح ويجهز " . ينظر المثالب، ص27.

[2] ـ المصدر نفسه، ص 164.

[3] ـ أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ،ج 2، ص 145 .

مناقب ومثالب غير أنّ السلامة والدقة وتجنب الغريب والعويص بما لا يدعو إلى التأويل مقياس مطلوب في تنشئة كليهما، فخير الكلام ما لم يحتج معه إلى كلام "[1].

إنّ تأثّر أبي حيّان بالمنزع العقليّ والفكر المنطقيّ جعلاه ينأى عن تقديم تصوّر نقديّ خاصّ به يفصل به القول في مسألة المفاضلة بين النّثر والنّظم فلجأ إلى التوفيق بينهما وجعل الشّرف في إدراك كلّ منهما وإخراج الكلام في صورة تقارب بين الفنّين، فلم يقدّم نظرا نقديّا فعليّا لضروب القول الأدبيّ من نثر ونظم، ولا خاض في قوله وفي أغلب ما قدّمه من حجج للموقفين في تفاصيل الفنّين ولطائفهما ومكمن الإجادة فيهما (مثل مراتب الشعراء وأهل النّثر أو تقنيات الكتابة فيهما وأسرارها ولا ارتباطهما بأنظمة في القول الأدبيّ وإنتاجهما لمنظومة نقديّة متكاملة من شأنها إدخالهما في باب العلوم والمعارف) إلاّ بالقدر اليسير. وبذلك يكون غلّب حضور صورة الفيلسوف المتأدّب على شخصيّة الأديب فيه على أنّ بعض الحجج الّتي قدّمها على ألسنة جمع من العلماء وأهل المعرفة [2]طالت جوانب من المسائل الجزئيّة والتفاصيل المرتبطة بخصائص كلّ شكل من أشكال القول الأدبيّ (النّثر والنّظم) ولكن دون تفصيل أو استفاضة .

[1] ـ أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ،ج 2، ص 134.

[2] ـ يعرض التوحيدي لهذه القضية في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" في الجزء الثاني منه في الصفحة 131 ـ 140 وآراؤه في التفضيل بين النظم والنثر تستند إلى آراء آستاذه أبي سليمان المنطقي، إذ قدّم موقفا متوازنا قام على التّعريف دون الحكم وبيان شروط التميّز في كلّ ضرب من ضربي القول (النّثر والنّظم)، فاعتبر النّثر ذا منزلة وقيمة إذا ما توفّرت فيه شروط منها أن يكون لفظه مستعملا غير متروك ومعناه واضحا غير غامض إلى غير ذلك من الشّروط . كما اعتبر النّظم شريف المنزلة متى كان مستقيم النّحو جليّ المعنى خال من الغريب والحوشيّ من الألفاظ ...

رابعا– خصائص النثر الفني في كتابات التوحيدي:

الخطاب النثري عند التوحيدي نتاج بيئة خاصة، هي بيئة القرن الرابع الهجري حيث تراكمت المعارف، وسادت أنواع من العلوم العقلية واللغوية، واكتملت الأسس النقدية، و هو وسط هذا كله متأثر بنشأة لغوية تقوم على علم النحو، وقد ثبت ميله للنحو العربي من خلال مناصرته لأستاذه السيرافي، كما يظهر تأثره جليا بمذهب المعتزلة وهو الذي عاش في أوساطهم وشاركهم المناقشات والمحاورات الفلسفية، ونتيجة لذلك اكتسبت كتاباته طابعا منطقيا إلى جانب عنايته بالمنطق والفصاحة، وهما من دعائم الإقناع والحجاج مما جعل المعتزلة سادة البيان العربي[1]. ولا أحد من المتقدمين أو المتأخرين ينكر جهودهم فهم جهابذة الفصاحة العربية.

والتوحيدي بحكم ثقافته التي اكتسبها يهتم بترتيب الأفكار ترتيبا منطقيا، انطلاقا من النزعة العقلية التي عرف بها أسلوبه، ذلك الأسلوب على رأي الكثيرين الذي يمتع العقل بمعانيه وأفكاره، والشعور بلغته وموسيقاه . هذا المثقف الموهوب استطاع من خلال كتاباته أن يجمع بين الإقناع والإمتاع في رؤية متكاملة تجعل ذات المتلق تفيض بالدهشة والإعجاب به بين العقل والوجدان .

تشكل اللغة إحدى الركائز الأساسية بجانبيها اللفظ والمعنى وعاء الأسلوب الذي يصور ثقافة العمل الإبداعي وصاحبه، من خلال البحث في الأنساق المشكلة لهذا الأسلوب، فقد انبرى التوحدي للبحث في اللغة كمادة للكلام وأداة للإفهام، ويقوم بحثه على التدقيق والتحقيق وتمحيص " الاشتقاق وأصوله، والتصريف وأبنيته والوزن وأمثلته "[2]. ولا شك في أن التوحيدي استثمر الأساليب البلاغية طريقته في الكتابة، التي تتأسس على نظرة جديدة في الحياة وتخالف من عاصروه في ذلك القرن خاصة .إذ تميز بلون خاص به يخرج عن السياق العام للثقافة السائدة في عصره، نتج عن ذلك خروجه أو انحرافه عن النسق الثقافي العام، محاولا إيجاد خصوصية له ورسم منهج جديد.

[1] ـ إبراهيم الكيلاني، رسائل التوحيدي،ص 122.

[2] ـ أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص7.

الكتابة في فكر أبي حيان التوحيدي خلق و إبداع ، واللغة في تجربة الكتابة ليست مجرد وسيلة أو أداة تعبيرية تحقق غاية مضمونية ما، وتصبو اليها، وهي في حدها أداة للكشف عن ماهية الشيء، واسكناه أغواره، بل هي في حد ذاتها خلق مستمر، وعالم فسيح يضع المضمون غايته، والمعاني وجهته، وهي في طبيعتها عالم شديد الالتحام بعالم النفس والإدراك، إنها فضاء الكلمات التي تأتي معها الأشياء إلى الوجود وحتى المقولات المنطقية والذهنية الخالصة [1]. واللغة الأدبية بهذه الصورة تفرض على الكاتب دراية واسعة ومعمقة بمستوياتها المختلفة من صوت وصرف ونحو وتركيب ومعجم، كما تستوجب امتلاكه لناصية البلاغة والبيان والعروض، وكل ما أمكنه من العلوم والفنون.

وأبو حيان التوحيدي كان مدركا لكل هذه الشروط والمتطلبات، جامعا لكل الفنون والعلوم، بل ومدركا لحقيقتها، وما حوته كتبه لشاهد على موسوعيته، فقد كان كأستاذه الجاحظ "متبحرا في اللغة، عالما بدقائقها، وليس هناك من هو اقدر على التعبير، وأمكن في باب التصوير ممن احاط بأسرار اللغة، وسبر أغوارها "[2]. وهو الداعي إلى ممارسة التحصيل والمطالعة اكتسب ثروة لغوية هائلة من نسخ الكتب والتدقيق في تأليفها،وهي التي مكنته من امتلاك ناصية الكلام، والاستحواذ على جوامعه .

ومن مظاهر هذا كله تلك القدرة الهائلة على التصرف بالألفاظ والتلاعب بها في السبك. يقول مثلا في رسالته لأبي الوفاء المهندس :" أنت آمر وأنا مؤتمر، وأنت ممتثَل وأنا ممتثل، وأنت مصطنع وأنا صنيعة، وأنت منشيء وأنا منشأ، وأنت أول وأنا آخر، وأنت مأمول وأنا آمل ..."[3].وفي مثال آخر يقول عن الوزير ابن سعدان :"... والدولة تستمده التدبير الثاقب،والرأي الصائب، سوى أمور الخلاف ذلك لا يحررها رسم راسم، ولا يقررها قسم قاسم، ولا يحويها وهم واهم، ولا يفوز بها

[1] ـ سالم حميش، تجربة الوجود والكتابة عند التوحيدي، مجلة فصول في النقد الأدبي، ج 1، ص 63.
[2] ـ عبد الحكيم بلبع، النثر الفني وأراء الجاحظ فيه، ص 295.
[3] ـ أبو حيان التوحيدي الامتاع والمؤانسة، ج 1، ص 8 .

سهم ساهم ..."[1]، هذه المكنة عند التوحيدي والقدرة على التصرف بألفاظ اللغة في رشاقة ونظام أضاف إليها مسحة أدبية لتناسب المعاني التي استدعاها لتؤديها ف" الكلمات هي الأفكار، ولا سبيل إلى الإصابة في الحكم،إلا بالتمكن من النحو والمفردات الصحيحة "[2] وانظر إلى قدرته في انتخابه الدقيق للألفاظ الرشيقة في الدعاء مثلا :" اللهم فلا تخيب رجاء منوط بك،ولا تصفر كفا هي ممدودة إليك،ولا تذل نفسا هي عزيزة بمعرفتك، ولا تسلب عقلا هو مستنير بنور هدايتك، ولا تعم عينا فتحتها بنعمتك، ولا تحبس لسانا عودته الثناء عليك " [3].

وتعليقا على هذا الدعاء في ماله وروعة تعبيره، يقول أحمد الحوفي :" وفي هذا أدق أي دقة،لأن فيه ملاءمة بين الطلب والمطلوب ... ثم إنّه وصف كل مطلوب بما يلائمه، فالرجاء منوط، والكف ممدودة، والنفس عزيزة، ولو أنّه فعل غير ذلك لكان غير دقيق "[4] وهذا من باب اكتفاء الألفاظ لمعانيها وبلوغه الغاية من إيرادها في نظم الكلام .وهو وجه من وجوه البلاغة في الكتابة .

1- الترادف والتقابل في موازنة المعاني :

يغلب على أسلوب الكتابة في تعبير أبي حيان الإطناب والتدفق، ومن مقتضيات هذه الخاصة غزارة اللفظ وكثرة الترادف، ولكن هذا الترادف لا يقصد إليه الكاتب طلباً للزينة ورغبة في الزخرفة، وإظهاراً لقوة الحافظة، شأن الكثيرين من كتَّاب عصره الذين استهواهم اللفظ فأمعنوا في طلبه*. ولكن التوحيدي رجل عقل ، واللفظ لديه وسيلة للإبانة، وطريق إلى الإعراب، وسبيل إلى

[1] ـ ابراهيم الكيلاني، رسائل التوحيدي، ص397.

[2] ـ عبد الحكيم بلبع، النثر الفني واثر الجاحظ فيه، ص 217.

[3] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، م1، ج1 ، ص 03.

[4] ـ أحمد الحوفي، أبو حيان التوحيدي، ج 2، ص382.

* - الترادف والتضاد من أشكال العلاقة بين اللفظ والمعنى، والقضية في النقد العربي لها حضورها.كما لها حضور في الكون كله وممن تناولوها بالعناية: أدبا الجاحظ وابن العميد، ونقد ابن المعتز، والعسكري ...

الإفصاح. بل إن ما يبدو لنا مترادفاً من الألفاظ ليس في حقيقة الأمر من الترادف، ولكنه تتبع لدقائق المعنى، وتقص للفوارق بين حالاته.

وفي هذا بطبيعة الحال اقتدار على اجتلاب الكلمات التي تخطر مدلولاتها في الذهن مهما دقت معانيها وشطت حروفها، ومن هذا القبيل قوله متحدثاً عن ارتباط كل إنسان بموضوع الصداقة والصديق في هذه الدنيا: "وما من أحد إلا وله في هذا الفن حصة. لأنّه لا يخلو أحد من جار أو معامل أو حميم أو صاحب أو رفيق أو سكن أو حبيب أو صديق أو وليف أو قريب أو بعيد أو ولي أو خليط. كما لا يخلو أيضاً من عدو أو كاشح أو مداج أو مكاشف أو حاسد أو شامت أو منافق أو مؤذ أو منابذ أو معاند أو مزل أو مضل أو مغل...[1] .

كما يمتلك التوحيدي قدرة عجيبة على حشد الكثير من هذه المترادفات في سلاسة وانسيابية خارقة للتعبير عن معنى ما، من ذلك ما يقول :" وأما أصحاب المذاهب والتطفيف فإنهم رجرجة بين الناس، لا محاسن لهم فتذكر، ولا مساعي فتنشر، ولذلك قيل لهم : همج ورعاع وأوباش وأنواش ولفيف ورعائف وداصة وسقاط وأنذال وغوغاء، وأنّهم من رقة الهمم وخساسة النفوس، ولؤم الطباع،على حال لا يجوز أن يكونوا في حومة المذكورين، وعصابة المشهورين "[2]، ولا تقتصر براعة التوحيدي على إيراد الترادفات، بل له من البراعة ما تجعل الألفاظ تجري في انسيابية مذهلة فيمنح اللفظ ما يجلي عنها الغموض والإبهام، فيقدم اللفظ ، بإضافته إلى ما يعرفه، ويقول مثلا في مدح العرب بالفصاحة والبيان :" وهذا شيء فاش في العرب لطول وحدتها وصفاء فكرتها وجودة بنيتها واعتدال هيأتها وصحة فطرتها وخلاء ذرعها واتقاد طبعها، وسعة لغتها، وتصاريف كلامها في أسمائها وأفعالها وحروفها "[3] ،وفي قول آخر يدعو :" اللهم أجرنا من جشع الفقير، وريبة المنافق،

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، ص 79.

[2] ـ المصدر نفسه، ص ص 6 ـ 8.

[3] ـ أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة، ج 1، ص 76.

وتجليح المعاند، وطيشة العجول، وفترة الكسلان، وحيلة المستبد، وتهور الغافل، وحيرة المحرج، وحسرة المحوج، وفلتة الذهول، وحرقة النكول، ورقية الخائف، وطمأنينة المغرور، وغفلة الغرور "[1]. ونراه في هذه الصنعة يعرف الكلمة بعد تنكيرها، ويرفع عنها الإبهام لإضافتها إلى غيرها . شريطة تحقيق التناسب في المعاني .

وقد يلحق الألفاظ بنعوتها ليبين حقيقتها ويبرز جمالها بما يصفها به مثال ذلك قوله :"فإنك مع النشاط والحرص، ستشرف على رياض الأدب، وقرائح العقول من لفظ مصون ولفظ شريف ونثر معقول ونظم لطيف ومثل سائر وبلاغة مختارة وخطبة محبرة وأدب حلو، ومسألة دقيقة وجواب حاضر ومعارضة واقعة ودليل صائب وموعظة حسنة وحجة بليغة وفقرة مكنونة ولمعة ثاقبة ونصيحة كافية وإقناع مؤنس ونادرة ملهية وعقل ملقح وقول منقح "[2] . نرى في القول متعة لا توصف وامتداد للألفاظ لا يتوقف، يعبر في سلاسة عن متعة الصناعة الأدبية، ومتعة الذوق الفني، ومتعة القراءة أيضا .

وكثيرا ما يمتزج الترادف بأفانين أخرى في الأسلوب، فأما مزجها بالتضاد والتقابل، ففي مزجه بين الترادف والتقابل قوله : " الحمد لله مفتاح المذاهب، البر يستعبد الحر،القناعة عزّ المعسر، القناعة كنز الموسر، ما انقضت ساعة من أمسك إلّا ببضعة من نفسك، درهم ينفع خير من دينار يضر، ومن سره الفساد ساءه المعاد "[3]، يظهر من القول أن التوحيدي يطوع الألفاظ ويلينها لتحقق دلالات متقاربة، ثم يردفها بتقابلات ليثبتها ويعزز معانيها أكثر .

وفي مثال آخر من كتابه البصائر والذخائر يحشد كما هائلا من التقابلات يقول :" ولما كان التفاوت واقعا في الخلق في السعادة والشقاء، والشدة والرخاء، والبلادة والذكاء،والعلم والجهل،

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، م 3،ج 5،ص 5.
[2] ـ المصدر نفسه ، م 1، ج1 ، ص ص2 ـ 3.
[3] ـ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج 2، ص 61 .

والعي والإفصاح، والشجاعة والجبن، والصدق والكذب، والحسن والقبح، والكرم واللؤم، والحب والبغض، والكراهية والإيثار، والتوقي والاسترسال، والشراسة والاستخذاء، والأمن والخوف والعدل والحيف، والغنى والحاجة، والعزة والمذلة، والسلامة والعطب والراحة والتعب، والرجاء والقنوط والارتقاء والهبوط، والإجابة والإباء والعافية والبلاء، والفسولة والغناء والمنع والعطاء أحب كل أحد أن يقف من ذلك على غيبه "[1]، هذا الحشد العظيم من التقابلات والتضادات لا يصنعه إلا من امتلك ناصية الأسلوب، وخاصية التلاعب بالألفاظ .

ولعل التضاد أو التقابلات هي السمة البارزة في أسلوب التوحيدي،وكأنه يسعى إلى التضاد ليزيد المعنى جلاء والفكرة مضاء، كقوله يناجي محبوبه على النهج الصوفي :" يا حبيبي أما ترى ضيعتي في تحفظي أما ترى رقدتي في تيقظي ؟ أما ترى غصتي في إساغتي ؟ أما ترى ضلالي في اهتدائي ؟ أما ترى رشدي في غيي ؟ أما ترى عيي في بلاغتي ؟ أما ترى ضعفي في قوتي ؟ أما ترى عجزي في قدرتي؟ أما ترى غيبتي في حضوري... [2]

ومما يظهر على رصده للتقابلات اللفظية جنوحه إلى التضاد العقلي في توافقية عجيبة، بين الذوق والعقل، ومن ذلك ما كتبه إلى مولاه ابن العميد: "لما رأيت شبابي هرماً بالفقر، وفقري غنياً بالقناعة، وقناعتي عجزاً عن التحصيل، عدلت إلى الزمان أطلب إليه مكاني فيه، وموضعي منه، فرأيت طرفه عني نابياً، وعناني عنه مثنياً ...[3] "، ومرد هذه التقابليات إلى ازدواجية الأفكار عنده بين العلم (الفلسفة) وبين ملكته البلاغية التي طبع عليها، حيث تظهر أفكاره الفلسفية في قالب أدبي بليغ في ازدواجية عجيبة متقنة.

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، م 1، ج 1، ص ص 09ـ 10.
[2] ـ أبو حيان التوحيدي، الاشارات الالهية، ص 104.
[3] ـ أبو حيان التوحيدي، مثالب الوزيرين، ص 324.

وينبغي ألا يتبادر إلى الذهن أن أبا حيان إنما كان يسعى من وراء هذا التضاد إلى تصيد ألوان الزينة اللفظية والزخرفة البديعية بحشر عدد من الطباقات أو المقابلات في تضاعيف عباراته، فهذا أبعد ما يكون عن رجل فكر ورأى كأبي حيان دونما قصد إلى الزخرفة اللفظية التي غدت في عصره ثم من بعده ديدن الكتاب ومهوى نفوسهم، والتوحيدي يرفض التصيد من باب رفضه لفكرة السيطرة على اللغة، لذلك باتت مفرداته سهلة، وتقابلاته قريبة المأخذ رغم أنها تنبع من نفس بائسة تنازعها الكثير من الأحاسيس المتناقضة فمن الإحساس بالظلم إلى الإحساس بالتشاؤم، فالاكتئاب ... والحقيقة أن شخصية التوحيدي في صميمها كانت شخصية متناقضة تحيى على الصراع والتوتر والتمزق الداخلي "[1] .

ويرى بعض النقاد رأيا ينطوي على وجاهة حين يعتقدون بأنه ليس من قبيل المصادفة "أن تتكرر في عبارات التوحيدي ألفاظ التناقض والتضاد وشتى أنواع التقابل، فقد عاش صاحبنا دائماً متأرجحاً بين النشاط والتكاسل، بين القوة والضعف، بين القدرة والعجز. وهو حين يكثر في أسلوبه من ألفاظ الازدواج والمقابلة إنما يكشف عن شخصية تحيى على التناقض والمفارقة، وتحاول دائماً أن تجمع بين الأقطاب المتعارضة "[2].وهو في استعماله للتقابلات لا يطلب ذوقا جماليا، أو حلية بديعية بل هي " صراع فكري يقلبه في ذهنه ينحسر عن ذاتية معذبة في دنيا الوجود اللامحدودة وهي تشعر بالضآلة، إنّه القصور، ومحاولة الكشف عن إحساس باطني يعتمل في الكيان، ويخرج متناقضا متداعيا يتفاعل بين السلب والإيجاب والقبول والرفض، والغضب والرضا . [3]

كما وقد تكون كثرة التقابلات والثنائيات نتيجة لذلك التناقض الحاصل في القرن الرابع الهجري حيث ورغم ضعف الخلافة العباسية إلا أن الحياة الفكرية في تطور مستمر، مناقض تماما

[1] ـ زكريا ابراهيم، أبو حيان التوحيدي، ص86 .
[2] ـ المرجع نفسه،ص 137 .
[3] ـ علي دب، أبو حيان التوحيدي، ص 153.

لظروف العصر السياسية والاجتماعية، والدليل على ذلك إبداعات الكتاب وتنافسهم في الكتابة، وعلى ما يبدو أن هذه التقابلات الضدية ناتجة عن المفارقة الحضارية في القرن الرابع الهجري .

2- السجع والازدواج :

السجع من سمات الكتابة في القرن الرابع حتى أنه " أصبح عاما بين كل الكتاب في ديوان الخلافة، فليس هناك شيء يكتب إلا ويصاغ في أسلوب السجع "[1] وهو مزية لفظية إذا خلا الكلام فيها من التكلف والتعسف، و تعني " تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"[2] . والتوحيدي على غرار كتاب عصره تنبه للسجع فهو يعرفه :" السجع في الكلام كالملح في الطعام، فإنّه متى ظفر منه بمقدار الرتبة وحسب الكفاية،حلا منظره وبهر بهاؤه ... "[3]. .

وأكثر ما نرى هذا النمط المسجوع من النثر في المواقف العاطفية والوجدانية من مثل الابتهال والدعاء، كأن يقول : "اللهم اكفنا من اللسان فلتته، ومن الهوى فتنته، ومن الشر خطرته، ومن الرأي غلطته، ومن الظن خبطته، ومن الطبع سورته، ومن الأمر روعته، ومن العدو سطوته. وجانبنا معاندة الحق، ومجانبة الصدق، وشراسة الخلق، ومذمة الخلق..."[4]، ويدخل في هذا المجال العاطفي ما كان يتعرض له التوحيدي في غمار حياته العاثرة من صدمات ومنغصات. فحين يقع تحت وطأة المرارة وتغتلي نفسه من ثورة الغضب وغمرة الحقد ينطلق لسانه مثلاً بشتم الصاحب بن عباد قاذفاً إياه بقارس الكلم المسجوع الذي أحسن استدعاءه واختياره ليرسم به تلك الصورة الكاريكاتورية المضحكة لمهجوه : "لعن الله هذا الأهوج الأفلج الأفجج الخفلج الذي إذ قام لجلجل، وإذا مشى

[1] ـ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص 201.

[2] ـ ابن الأثير، المثل السائر،ج 1 ، ص 193 . ويشترط ابن الأثير في السجع خلوه من التكلف والتعسف، ومن تهيأ له من الكتاب ذلك فقد ملك رقاب الكلم . ينظر : المثل السائر، ج 1 ، ص 197.

[3] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، م1 ،ج 2 ،ص 68.

[4] ـ أبو حيان التوحيدي، المقابسات،ص 116.

تفحج، وإن تنغم تمجمج، وإن عدا تفجفج [1]".ومن كلامه المسجوع نقرأ "أما تستحي من من خلقك فسواك، وأرشدك فهداك،وأيّدك وقواك،وأعطاك وهنّاك، ثم وعدك ومنّاك، ثم خصّك واجتباك، ثم علاك وحلّاك، ثم رقّاك وحيّاك، ثم ملّكك وولّاك،ثم أحضرك وآواك، ثم استخلصك وتولاك ...[2]، كان التوحيدي وسط ما شاب عصره من الزخارف والصناعات اللفظية المبهرجة يدرك أن موطن الجمال في استعمال السجع يكمن في عدم التكلف فيه، إذ يرى أنه ينبغي أن يكون " كالطراز في الثوب، والصنعة في الرداء، والخط في القصب والملح في الطعام، والخال في الوجه، ولو كان الوجه كله خالا لكان مقليّا "[3] . لكن السجع إن كان كالملح لا يجب الإكثار منه لئلا يفسد الذوق، فإنه "متى زاد على المقدار ضارع كلام النساء والكهنة من العرب أو كلام المستعربين من العجم " [4]. من هنا كان منهج التوحيدي في المحسنات البديعية يقوم على الاقتصاد في الزخرف والزينة، والابتعاد عن المبالغة في السجع إلا بما تقتضيه الحاجة إلى التصنيع، إذ لا ينبغي أن يهجر السجع مليا ولكن الذي ينبغي أن يهجر هو التكلف فيه بما يفسد المعنى فيقول :" ولا تلهجن بالسجع فانه بعيد المرام إذا طلب الواقع موقعه، والنازل مكانه، ولا تهجرنه أيضا كله فانك تعدم شطر الحسن "[5] إذن لا إفراط ولا تفريط حتى يستقيم الذوق فالبلاغة تكمن في الموازنة بين عناصر الكتابة، ما بين تنميق للفظ وتزويق للغرض (المعنى).

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، مثالب الوزيرين، ص 259.

[2] ـ أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، ص221.

[3] ـ أبو حيان التوحيدي، مثالب الوزيرين،ص94. وفي هذا الاتجاه من الرأي يقول ابن الاثير " ينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حادة طنانة لا غثة ولا باردة ... وهو في الذي يأتي به من الألفاظ المسجوعة كمن ينقش أثوابا من الكرسف، أوينظم عقدا من الخزف الملون، وهذا مقام تزل عنه الأقدام، ولا يستطيعه ألا الواحد من أرباب من هذا الفن الواحد " ينظر المثل السائر، ج1، ص196.

[4] ـ أبو حيان التوحيدي،البصائر والذخائر، م1،ج2، ص68 .

[5] ـ المصدر نفسه،ج1،ص 113.

ولكن الرنة الموسيقية المنبعثة في كتابات التوحيدي سالفة الذكر يعزوها الدارسون إلى أنّه استعاض بالازدواج عن السجع وهو ما سماه ابن الاثير بالسجع المعطل، ويتميز أسلوب التوحيدي بهذه الرنة الموسيقية التي أوجدها الاختيار الدقيق للألفاظ الرشيقة، و تقسيم الفقرات إلى جمل قصيرة، مع مراعاة الوقع الموسيقي والتنغيم اللفظي، و يكون أثرها على السمع وفي النفس أشبه بالشعر[1]، والأمر هنا شبيه بشعر المحدثين في زماننا أو ما يصطلح عليه بقصيدة النثر .

من سمات الكتابة في خطابات التوحيدي المزاوجة بين السجع و الازدواج[*]، ولعل أجود ما يذكر في امثلة ذلك عند التوحيدي هو الرسالة التي أوردها زكي مبارك في كتابه النثر الفني حول سبب القبض على أبي الفتح بن العميد، وقد عدّها زكي مبارك أروع آيات البيان أبلغ لنماذج في اللغة العربية [2]. يظهر في المثال حشد كبير للأسجاع والمزاوجة بين الجمل تنم عن قدرة عجيبة لهذا الرجل في الاسترسال في الكتابة .

ومن هذا القبيل أيضا قول التوحيدي في بعض مناجاته للخالق :" اللهم فلا تخيّب رجاء هو منوط بك، ولا تصفر كفا هي ممدودة إليك، ولا تذل نفساً هي عزيزة بمعرفتك، ولا تسلب عقلاً هو مستضيء بنور هدايتك، ولا تقذ عيناً فتحتها بنعمتك، ولا تخرس لساناً عودته الثناء عليك "[3]،وفي مثل هذا الإيقاع الداخلي يسوق التوحيدي مزاوجاته في الكتابة، واللغة في يده أداة طيعة، قادرة

[1] ـ إبراهيم الكيلاني، رسائل التوحيدي، ص 119، وينظر على دب، أبو حيان التوحيدي، ص 150 .

[*] - يرى الدكتور أحمد أمين أن من أسباب تفوق التوحيدي على كتاب عصره : المزاوجة بين السجع والازدواج :" كان أرقاهم في ذلك أبو حيان التوحيدي، فقد كان يجمع إلى السجع المزاوجة " ينظر : أحمد أمين، ظهر الاسلام، ج 2 ، ص 99.

[2] ـ جاءت الرسالة مطولة في حوالي خمس صفحات . ويذكر الكاتب في احالتها :" هذا الشاهد على طوله مثال للبلاغة القوية ... وفي الشاهد تظهر براعة الكاتب في سرد الحوادث بطريقة آخاذة تبدو طبيعية، على حين يلمس الناقد فيها آثار الصنعة الخفية والتكلف المدفون " ينظر متن الرسالة كاملة : زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، ج 1 ،ص ص 116 ـ 121.

[3] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ص3.

على الرصف والنسج، فكأنما سخرت له اللغة بألفاظها ومعانيها، ينظم ما شاء منه من قلائد، دون عنت أو إرهاق أو تكلف .[1]

والازدواج مظهر من مظاهر الاسترسال يعمد إليه التوحيدي كما عمد إليه الجاحظ من قبله والغاية منه ليست استعراض براعة الكاتب، بل الغاية منه جلاء المعنى في الذهن وتوكيده في النفس، يضاف إلى ذلك هدف فني يتمثل في تلوين التعبير وإغنائه بعنصر الإيقاع والموسيقى فعن طريق خلق التوازن بين الجمل، بتقسيمها إلى فقرات قصار متناسبة الطول متشابهة الأداء، تتسربل الجمل ضمن مجموعة متجانسة، وفقرات متلائمة، بحيث يتجلى فيها عنصر التناغم والإيقاع الذي يقترب بملامح النثر إلى سماع الشعر، ولعل الأقرب من الأساليب النثرية إلى الشعر تلك الكتابات التي تجمع بين السجع والمزاوجة كأسلوب الجاحظ .

3- الاطناب والاسترسال :

وإلى جانب السجع والازدواج كان التوحيدي يلجأ إلى الترسل أحيانا في مقابل التكلف والتوشية، خاصة في عرض المسائل العلمية كحديثه عن الإبل في الإمتاع والمؤانسة، حيث يؤثر الانطلاق في الكتابة والتحرر في التعبير، وهذا طبيعي لدى كاتب كالتوحيدي يجعل المعنى نصب عينيه، فيرسل العبارات إرسالاً بحيث تأخذ مداها لتغطيّ المعنى المراد وتجلوه في الذهن، ما دام اللفظ لديه وسيلة والمعنى غاية. وهذا الأسلوب المرسل يتسم بالتدفق واليسر والسهولة ويترقرق في النفس زهواً ويلامس السمع بانسياب ورفق، وما ذلك إلا لغلبة الطبع عليه وانحسار مظاهر التصنع عنه من جهة، وإلى أن حرية الفكر تفرض حرية القول، والكاتب المفكر في شغل بفكره العميق عن تلمس أسباب التزويق والتهويل "[2] .

[1] ـ إبراهيم الكيلاني، رسائل التوحيدي، ص 144 .
[2] ـ زكي مبارك ، النثر الفني،ج 1، ص 123.

و إذا كان أبو حيان يعمد إلى الأسلوب المقيّد حيناً وإلى الأسلوب المرسل أحياناً فما ذلك إلا لدواع فنية تقتضيها ضرورة الإمتاع وتحريك النفوس والمشاعر .ولكل مقام مقال، فالتوحيدي استجابت له اللغة في كل الموافق وكل والمقامات يجمع بين وضوح الفكرة وتأجج العاطفة " فهو كاتب فكرة حيث يعبر عن فكرة، وكاتب عاطفة حيث يصور عاطفة ... لأنه يدين عما يقول وينافح عن رأي أو مذهب "[1] ولا يهمه إن استرسل في الكلام وأطال وأسهب في الكتابة.

عني التوحيدي بالإطناب في كتاباته واعتمده في مصنفاته،ولم يكن تشتتا أو إضاعة للموضوع ناتجة عن عدم فهم الأفكار أو عدم وضوح الرؤية، بل كان الإطناب عند غاية مبررة لها صلة بالموضوع حتى " إذا طاب الحديث باسترسال السجية ووقوع الطمأنينة ...وسال عن الخاطر الذي يستهويه، وتحفظ الإنسان في قوله وعمله عن الخطل والزلل، حتى إذا بلغه الخاطر واحتل "[2]، والتوحيدي لا يرى في الإطناب عيبا أو قصورا بل يراه من عفو الخاطر والسجية، وهو الذي لا ينفك يحتفي بالطبع والبديهة .

والعناية بالإطناب هي من قبيل العناية بالمعاني والشغف بتصويرها فهو " يحيط بفكرته بطائفة من الصور، ويحتذي في ذلك حذو الجاحظ في الإطناب والإطالة، في تصوير الفكرة وتوليد المعاني منها، حتى لا يدع للقائل بعده قولا "[3]' والجاحظ ابتدع هذه الطريقة لدفع الملل عن القارئ والسآمة عن السامع، والاستطراد عندهما كان ضربا من سعة العلم واتساع الخيال، ويكون الإطناب في الترادف* والتكرار، فيأخذ الكلام برقاب بعضه البعض بما يضمن مناسبة المعاني لألفاظها، فلا ألفاظه تقصر عن أداء معانيها، ولا المعاني تطول عن حساب ألفاظها، والتناسب منهجه والموازنة

[1] ـ أحمد الحوفي، أبو حيان التوحيدي، ج 2، ص 327 .

[2] ـ أبو حيان التوحيدي،الامتاع والمؤانسة، ج 1، ص 147.

[3] ـ أحمد أمين، مقدمة الإمتاع والمؤانسة،ج1 ، ص ق.

* - يشكل الترادف والتضاد سمات بارزة في كتابات التوحيدي . وقد عرضنا له في مبحث سابق .

ديدنه في الكتابة، على أن أسلوب أبي حيان لا يطرد دوماً، فقد يحرص عليه أو يعدل عنه، تبعاً لاختلاف مراحل حياته، وتغير دواعي تعبيره، وتنوع طبيعة موضوعاته .

ولعل الكثير من نصوصه خاصة الشارحة والمفسرة لظاهرة ما، أدبية كانت أو علمية أو فلسفية تتميز بهذه المزية حيث يسترسل في كلامه، وقد يتنبه لذلك في بعض المرات فيلتمس العذر من قارئه "والكلام في هذه المواضع ربما جمح، فلم يمكن كفه، فينبغي أن يصح العذر إذا عرض التفاوت في الترتيب، ودخل الخلل من ناحية التقريب "[1] ومن ذلك أيضا اعتذاره عن طول رسالة الصداقة والصديق في عدة مواضع منها .

جاء قوله في الإشارات الالهية داعيا :" اللهم روّح صدورنا بنسيم ودّك،واغمر أرجاء قلوبنا بغوامر من رفدك، وأذقنا حلاوة برّك، وملّكنا مقاليد ملكك، وجد علينا بك، وخلّ بيننا وبينك،وجل أبصارنا اليك، واغضض اعيننا عن غيرك،واسلفنا كرامتك، وسهل مقادتنا في الايجاب لك "[2], وفي موضع آخر كان ابن سعدان الوزير يسأله عن زيد بن رفاعة (وهو على حد قوله أحد إخوان الصفا):" بلغني أنّك تغشاه، وتجلس إليه، وتكثر عنده وتورق له، ولك معه نوادر مضحكة، وبوادر معجبة،ومن طالت عشرته لإنسان صدقت خبرته به، وانكشف أمره له، وأمكن إطلاعه على مستكن رأيه، وخافي مذهبه، وعويص طريقته "[3].

وفي حديثه إلى أبي الوفاء المهندس تظهر عبقريته في رصف الألفاظ وحسن تأليفها، والانتقال من غرض إلى غرض في صورة سلسلة لطيفة وانسيابية ظريفة يقول :" قد فهمت أيها الشيخ ـ حفظ الله روحك ، ووكل السلامة بك، وأفرغ الكرامة عليك، وعصب كل خير برحالك، وحشد كل نعمة في رحابك، ورحم هذه الجماعة الهائلة ـ من أبناء الرجاء والأمل ـ بعنايتك، ولا

[1] ـ أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة، ج1،ص 146 .

[2] ـ أبو حيان التوحيدي،الاشارات الإلهية، تح: وداد قاضي،ص 65.

[3] ـ أبو حيان التوحيدي،الامتاع والمؤانسة،ج 2 ، ص 4.

قطعك من عادة الإحسان إليهم، ولا ثنى طرفك عن الرقة لهم، ولا زهدك في اصطناع حاليهم وعاطلهم ، ولا رغب بك عن قبول حقهم لبعض باطلهم، ولا ثقل عليك أدناء قريبهم وبعيدهم، وإتالة مستحقهم ولاغير مستحقهم أكثر مما في نفوسهم وأقصى ما تقدر عليه من مواساتهم، من بشر تبديه، وجاه تبذله، ووعد تقدمه، وضمان تؤكده، وهشاشة تمزجها بشاشة ".[1]

ومما يظهر في هذا النص أيضا إلى جانب الإسهاب توظيفه للجمل الاعتراضية، وهي واحدة من سماته في الكتابة، حيث نجده يكثر الفصل بين أجزاء الجملة الواحدة بجملة معترضة، قد تكون للدعاء أو لغرض آخر،هذا إلى جانب الجمل الاستفهامية وهي مدار فلسفة السؤال والتساؤل لديه ذلك لأن كتبه عبارة عن تساؤلات ومناظرات ومحاورات، يلعب فيها السؤال وصيغة الاستفهام دور البطل في الكتابة، وكذلك نراه يوظف جمل الشرط في تحليله للقضايا، وتقديمه للشروحات ويستعين بتضمين نصوصه بالقرآن الكريم، وأطاييب الشعر، والحكم والأمثال.

من خلال قراءة كتب أبي حيان وسائر مؤلفاته، وآراء العلماء والدارسين لشخصيته، وأدبه وفلسفته يظهر تمكن الرجل من فن القول وبراعة في صوغ الأفكار واقتدار على الإعراب عن المشاعر، وكان يسعفه في ذلك كله امتلاك لناصية اللغة وتضلع في مسائل النحو، ويصبغ كل هذه المواهب والقدرات صبغة عقلية و ذهنية عميقة، جعلت من هذا الكاتب طرازاً خاصاً ومتميزاً بين معاصريه، حين اجتمع فيه الفكر والأداء وتعانق لديه الفلسفة والأدب، وقد كان ياقوت فطناً حين انتبه إلى هذه الظاهرة لدى أبي حيان، ونعته بـ (فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة).

والواقع إننا لو أمعنا النظر في أسلوب التوحيدي لوجدنا ه يتسم بخاصية فريدة تكشف عن شخصية صاحبها " الأديب الفيلسوف" ونحن نعرف أن الفنان يعبِّر عن المعاني بالصور المحسوسة، في حين أن الفيلسوف يعبِّر عنها بالتصورات الذهنية ، هذا هو الفارق مثلاً بين أسلوب أديب

[1] ـ أبو حيان التوحيدي،الامتاع والمؤانسة،ج 1، ص 2

كالجاحظ وأسلوب فيلسوف كالفارابي، وأما التوحيدي فهو أديب فيلسوف يعلم أن في كل محسوس ظلاً من العقول، وأن الحسيات معابر إلى العقليات، فليس بدعاً أن نراه يمزج الحسن بالعقل، والأدب بالفلسفة[1]. وما من شك في أن أسلوب فلاسفة الإسلام ـ في عصر التوحيدي ـ كان أسلوباً جافاً حافلاً بالمصطلحات والألفاظ المترجمة. ولذلك أخذ بعض المفكرين الذين جمعوا بين الثقافة العربية والفلسفة اليونانية يحاولون تطويع المعاني والأغراض للأسلوب العربي الجزل والعبارة العربية الرصينة.

[1] ـ زكريا ابراهيم،أبو حيان التوحيدي، ص 140

خامسا– التوحيدي وأسلوب االجاحظ :

تنطلق أواصر هذه العلاقة الفكرية من مقولة الجاحظ نفسه " إنما الأدب عقل غيرك تزيده في عقلك "، فالحقيقة أن التوحيدي كان في طريقته ينتمي إلى أستاذه الجاحظ، وهو الذي كان يظهر إعجابه الشديد به ـ كما ذكرنا سلفا ـ ويعترف بعبقريته، ويسلك في تصانيفه مسلكه ويشتهي أن ينتظم في سلكه [1]، حتى أنه كان الأقرب له من الأدباء والكتاب في مذهبه العقلي وأسلوبه الكتابي، وقد بلغ إعجاب أبي حيان التوحيدي بالجاحظ أن اطّلع على مؤلفاته وآثاره وانتفع بها، فقد وجد فيها من تنوع الموضوعات، ومتعة التشويق، واتساع دائرة المعارف، مع الوعي والنفوذ إلى المعاني، والقدرة على تطويع اللغة لأغراض الجدّ والهزل، والمخاطبة والجدل مما دفعه إلى الاقتباس منها في كتابه البصائر والذخائر.

كما يظهر تأثره بالجاحظ في تأليفه لكتاب "تقريظ الجاحظ" وهو كتاب مفقود لم يبق من صفحاته إلا ما أشار إليه ياقوت الحموي في معجمه فيقول إشادة بأستاذه : "والذي أقول وأعتقد وآخذ به وأراهن عليه أني لم أجد في جميع من تقدم وتأخر إلا ثلاثة لو اجتمع الثقلان على تقريضهم ومدحهم، ونثر فضائلهم في أخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا إلى أن يأذن الله بزوالها ، لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم ... أحدهم هذا الشيخ الذي أنشأنا له هذه الرسالة، وبسببه جشمنا هذه الكلفة، أعني أبا عثمان عمرو بن بحر" [2].

ويشيد أبو حيان في كتاب آخر له بأسلوب شيخه الجاحظ فيقول :" ومتى رأيت ديباجة كلامه رأيت حولها كثير الوشي قليل الصنعة بعيد التكلّف، حلو الحلي ..له سلاسة كسلاسة الماء ورقة كرقة الهواء فسبحان من سخّر له البيان وعلَّمه، وسلّم في يديه قصب الرهان قدّمه... إن جدّ

[1] ـ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 5 ، ص 1924 .

[2] ـ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج 1، ص 5.

لم يُسبق وإن هزل لم يُلحق[1]، كما نعته بأنه لا نظير له في البلاغة والإنشاء ويقول في معرض بيانه للكتب التي أفاد منها " جمعت هذا كله في هذه المدة الطويلة من كتب شتى حكيت عن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكناني وكتبه هي الدرّ النثير واللؤلؤ المطير، وكلام الخمر الصرف والسحر الحلال"[2] .

والذي يعنينا من هذا الإعجاب أثره في تكوين شخصية أبي حيان ودفع أسلوبه في المجرى الذي آثره وارتضاه، والذي كان الجاحظ رائداً فيه، والمؤكد أن أبا حيان كان في أول عهده يغترف من بحر الجاحظ وينحو منحاه في أسلوبه، من حيث الجمع بين العلم والأدب وينسج على منواله بعد أن انكبّ على مؤلفاته في سنٍّ مبكرة وعاش في عالمه [3]. وكل من يدرس أبا حيان في طريقته الفنية يراه محتذياً طريقة الجاحظ، وقد أصبحت هذه الحقيقة إحدى القضايا المسلمة التي لا تحتاج برهاناً جديداً.

ويظهر تأثر التوحيدي بالجاحظ في أسلوب كتابته وطريقته في التأليف من " انعدام الوحدة الموضوعية والاستطراد، وحشو الموضوعات المتنوعة كيفما اتفق دون مراعاة للتسلسل المنطقي، أو الترابط الذي يستدعيه توارد الخواطر، لذلك جاء الكتاب (البصائر والذخائر)حشدا عجيبا من الأدب واللغة والتاريخ والفلسفة والنحو والتفسير، والحديث والفقه والنقد،والفكاهة والترجمة لبعض الأشخاص إلى غير ذلك من موضوعات طريفة..."[4]. كما ويظهر ذلك في الامتاع والمؤانسة .

ولكن يجب ألا يحجب عن أنظارنا تفرد أبي حيان في أسلوبه، وإن أبا حيان هو الذي كان في عصره يحمل لواء الجاحظية "ونحن إذا سلمنا بوقوع التوحيدي ضمن دائرة النفوذ الجاحظي فإننا

[1]- أبو حيان التوحيدي،الامتاع والمؤانسة، ج1 ، ص 159.
[2]- المصدر نفسه، ج1،ص03.
[3]- ينظر : إحسان عباس، التوحيدي، ص137 .
[4] ـ محمد عبد الغني الشيخ، أبو حيان التوحيدي، ج2، ص 760.

لن نسلم بفناء شخصيته في شخصية أستاذه القوبة بل تفردّت آثاره وأسلوبه الإنشائيّ بميزاتها وطابعها الخاص[1]". والحق أن أبا حيان لم يقف بمدرسة الجاحظ حيث تركها مؤسسها، وإنما أمدها بنباهته ونبوغه بما رفع من قواعدها وبما أثبته من صلاحها لنقل ما جدّ في عصره الحافل وبيئته من أفكار ومنازع، فحق قول الباحثين أن يكون التوحيدي أحق بلقب " الجاحظ الثاني " من ابن العميد.

وأهمية أبي حيان إنما تتجلى في المدرسة الأسلوبية التي كان أبرز ممثل لها في عصره، وهي امتداد للمدرسة الجاحظية [2]، وقوامها التعبير المنطلق والأسلوب المرسل. ففي عهد الجاحظ لم تكن ثمّة أنماط أسلوبية مغايرة في طبيعتها لطبيعة الأسلوب الجاحظي، ومن ثم لم يكن هناك مجال واسع للمجابهة والصراع على الصعيد الفني، على حين غدا عصر أبي حيان حافلاً بالمدارس الأسلوبية المقابلة التي تعتمد على الأسلوب المقيّد والتعبير المسجوع، وهذا المنحى الفنيّ المقيّد المواجه للمنحى المنطلق المرسل كان يتجلى في كثير من الرسائل المدبجة والكتابات الإخوانية وأخيراً في المقامات، ولا ننسى أن هذا النمط المنمق أخذ يستهوي الكثيرين من المنشئين والمثقفين من جهة، كما كان يتبناه العديد من الحكّام وذوي النفوذ وبخاصة الوزراء الكتّاب من جهة أخرى،كل ذلك جعل لأبي حيان بمذهبه البياني ومنحاه الأسلوبيّ أهمية بالغة من حيث الاحتفاظ بالأصالة والتحرر الفني في عصر تكاثرت خلاله الأساليب المقيدة.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن التوحيدي قد نهل من الكتب القديمة في النقد مما جعله يصطنع لنفسه اتجاها نقديا خاصا به ، وإن لم يفرد كتابا خاصا في النقد الأدبي سوى ما تحدث عنه الباحثون حول رسالة بعنوان "الكلام على الكلام " وهي رسالة مفقودة، ولكنه أشار إليها في الإمتاع والمؤانسة، وقد صرح في كتبه في موضع كثيرة أنّه اطلع على جواهر النقد وعيونه من أمثال

[1] ـ زكريا ابراهيم، رسائل التوحيدي،ص 126.

[2] ـ أدم ميتز، الحضارة العربية الاسلامية،ج1 ، ص 416 وينظر أيضا : أحمد الحوفي، أبو حيان التوحيدي، ج 2،ص 398.

(عيار الشعر لابن طباطبا) و(الكامل للمبرد) و(العيون لابن قتيبة) و(المنظوم والمنثور لابن طيفور) و(الاوراق للصولي) و(الحيوانات لقدامة) ... هذا إلى جانب ما أثر عنهم وحفظه من نواديهم ومحاضرهم وحواضرهم وبواديهم .[1]

وختاما لهذا كله نقول:حاولنا في هذا الفصل أن نقدم أبا حيان التوحيدي في صورته الانسانية وصورته الأدبية بإلقاء الضوء على جوانب من حياته الشخصية والاجتماعية، وكذلك شخصيته الفكرية و الأدبية، وهذه الأخيرة وقفنا فيها على موهبة التوحيدي وبراعته في التأليف والكتابة و من خلال تصوراته النقدية في طبيعة الكتابة الأدبية ومقوماتها من جهة، ومن خلال سمات الخطاب النثري، وصفات الإبداع الفني من جهة ثانية رغبة منا في سبر أغوار هذا الرجل ومعرفة مدى عمق شخصيته الفكرية، ومدى تشعب معارفه وإطلاعه على ثقافة عصره والعصور التي سبقته، فجاءت كتبه ومؤلفاته إفرازا طبيعيا عن ثقافة واسعة وخبرة نادرة بالأدب والنقد، وكانت كتاباته ترجمة صادقة مطابقة لأفكاره وتصوراته النقدية .

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج1، ص03.

الفصل الثالث

بلاغة الخطاب النثري

في رسالة الصداقة والصديق

الفصل الثالث

بلاغة الخطاب النثري في رسالة الصداقة والصديق

أولا–الصداقة عنوان الحياة

1- الصداقة في التراث اليوناني

2- الصداقة في التراث العربي والإسلامي

ثانيا–التعريف بالمدونة

1- تحقيق الرسالة

2- تاريخ التأليف

3- طريقة عرض الرسالة

ثالثا– من المشافهة إلى الكتابة

رابعا– بلاغة العتبات في رسالة الصداقة والصديق

1ـ خطاب العنوان

2- خطاب المقدمة / الاستهلال

3 . البسملة ـ الدعاء ـ الخاتمة

خامسا– تشكل الخطاب في متن الرسالة

1- موضوع الخطاب

2 - خطاب النفي: انعدام وجود الصديق

3 - خطاب الإثبات: حقوق الصديق

4- التداخل النصي بين الأجناس الأدبية

سادسا –بلاغة التداخل

1 ـ القرآن الكريم

2ـ الحديث الشريف

3- الشعر

4 ـ الأخبار

5ـ الرسائل والتوقيعات

6- الأمثال وأقوال الفلاسفة والحكماء والعلماء

سابعا– الازدواج وإيقاع النثر في الرسالة

أولا–ماهية الصداقة:

يحظى موضوع الصداقة باهتمام واسع المدى لا تنحصر حدوده في إطار الدراسات النفسية والاجتماعية فحسب، بل يتسع نطاقه ليشمل كل مجالات الحياة الإنسانية من فلسفة وفنون وآداب بوصفها جسراً يمر عبره الآخرون في علاقاتهم اليومية وينشئون أدق الجماليات من خلال التواصل النفسي والفكري والأخلاقي والروحي لمشوار حياتي طويل والصداقة بين الناس فطرية في أساسها، فالمجتمع لا يستطيع العيش إلا بوجود جسر المحبة والتفاهم مع الآخرين لهذا توفرت في الأدبيات المختلفة حقائق كثيرة عن الصداقة وحِكَم وأمثال وحكايات وقصص وشواهد عبّرت عن هذه القيمة الاجتماعية والروحية ...

والاهتمام بالصداقة ليس وليد حياتنا المعاصرة، بل هو اهتمام عريق يضرب في أعماق التاريخ نظرا للمكانة الرفيعة التي شغلتها الصداقة دائما بوصفها قيمة إنسانية عظيمة الأثر في حياة الفرد والجماعة والمجتمع.

1– الصداقة في التراث اليوناني :

في التراث اليوناني يعرّف أرسطو الصداقة بأنها حد وسط بين حلقين، فالصديق هو الشخص الذي يعرف كيف يكون مقبولا من الآخرين كما ينبغي. أما الشخص الذي يبالغ حتى يكون مقبولا من الجميع للدرجة التي تجعله لا يعارض أي شيء فهو المساير وعلى الضد فالشخص الذي لا يكترث بالقبول من الآخرين فهو الشرس والصعب في المعيشة[1]. كما يضيف أن الصداقة عطف متبادل بين شخصين حيث يريد كل منهما الخير للآخر.

[1]– أسامة سعد أبو سريع، الصداقة من منظور النفس،عالم المعرفة، الكويت، العدد 179، 1993، ص14.

ويؤسس أرسطو لقيمة الصداقة المبنية على الفضيلة،ويبرز أهميتها وقيمتها،كما يبين الأسس التي تقوم عليها لكنها نادرة لندرة الفضيلة لذلك يصرح: " متى أحب الناس بعضهم لم تعد هناك حاجة إلى العدل غير أنّهم مهما عدلوا لا غنى لهم عن الصداقة، وإن أعدل ما وجد في الدنيا بلا جدال هو العدل الذي يستمد منه العطف والمحبة "[1].لكن الواقع يشهد أن الناس يؤطرهم القانون والعدل لغياب هذه الصداقة إلا فيما ندر .

وينبغي الإشارة إلى أن أرسطو في كتابه: "**علم الأخلاق إلى نيقوماخوس** "[*] لم يقتصر على دراسة صداقة الفضيلة فقط بل تعداها إلى طرح أنواع أخرى للصداقة فيميز أرسطو بين ثلاثة أنواع للصداقة وهي صداقة المنفعة وصداقة اللذة وصداقة الفضيلة ويبين أن صداقة المنفعة هي صداقة عرضية تنقطع بانقطاع الفائدة، أما صداقة اللذة فتعقد وتنحل بسهولة بعد إشباع اللذة أو تغير طبيعتها، وأما صداقة الفضيلة فهي أفضل صداقة وتقوم على أساس تشابه الفضيلة وهي الأكثر بقاء ويعتقد أرسطو أن الصداقة أكمل ما تكون عندما تتوافر لها الأسس الثلاثة (المنفعة–اللذة–الفضيلة)[2].

إنّ كتاب أرسطو دعوة أخلاقية وإنسانية صريحة إلى إحلال قيم الصداقة الحقة والمحبة الإنسانية على قيم الظلم والكراهية . كما عالج مواضيع أساسية مرتبطة بالصداقة مثل : شروط الصداقة وتميزها عبر المراحل العمرية بين الشباب والشيخوخة،كذا تأثير المكانة الاجتماعية عليها وطبيعة الخلافات التي يمكن أن تؤثر على الصداقة.

[1]– أسامة سعد أبو سريع، الصداقة من منظور علم النفس، ص15.

[*] -كتاب " علم الاخلاق الى نيقو ماخس" . كتاب ألفه أرسطو وأهداه إلى ابنه نيقو ماخس، يشمل الفضائل والأخلاق . ترجمه الى العربية "إسحاق بن حنين " وشرحه ابن رشد . في العصر العباسي الأول .

[2]– أسامة سعد أبو سريع، الصداقة من منظور نفسي، ص ص 16.17.

2- الصداقة في التراث العربي والإسلامي :

إنّ الصداقة قيمة من القيم المثلى التي يتواضع عليها أفراد المجتمع، ويعملون على تحقيقها في حياتهم الخاصة،وهي تتأثر بالوسط الاجتماعي الذي تنشأ فيه فتنمو وتستمر أو تفتر وتتلاشى.

الصداقة عنصر في نظام أخلاقي قيمي متكامل كان للإسلام دور في تطويرها منذ ظهوره، ونتيجة للتطورات الحضارية الكبرى التي عرفها المجتمع تكشفت أنماط من العلاقات الجديدة . وظهرت روابط انعدمت فيها العصبية القبلية ومما جاء في الصداقة عن الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب والإمام على بن طالب في حسن معاملة الصديق،وحسن اختياره. [1]

موضوع الصداقة كان محل اهتمام عدد كبير من الأدباء والمفكرين العرب الذين أمعنوا في استكناه حقيقة هذه الرابطة الإنسانية وتعريفها وتحليلها وتحديد أسباب نشوئها ، وتحقيق دوافع دوامها وفسادها. والتراث النثري يشهد لظهور فنون النثر الفني التي تزخر بـ "الاخوانيات" من جواهر الكتب والرسائل التي احتفت بهذا الموضوع منها : ما كتبه عبد الحميد الكاتب (ت132هـ) في رسالة تصور رابطة الأخوة ومعنى الصداقة يقول فيها :" لا يدخل مستحقها سآمة ملل، ولا كلال مهنة ولا تثبيط ونية، وضعف خور لنزول بائقة أو طروق طارقة من عوارض الأقدار وحوادث الزمان بل مواسيا في أزمها، متورطا غمرات قحمها ... غير منان بالنصرة ولا برم بالتعب، يرى تعبه غنما ونصبه دعة،وكلفه قائدا،وعمله مقصرا،وسعيه مفرطا،واجتهاده مضيعا " وعلى الصديق الحق أن يكون :" عدل الولد في برّه، والوالد في شفقته، والأخ في نصرته،والجار في حفظه، والذخر في ملكه "[2]

[1] – ينظر مقال لصالح بن رمضان، عنى الاخوة والصداقة في النثر العربي، حوليات الجامعة التونسية، العدد30، 1989، ابتداء من الصفحة 281.

[2] – ينظر:أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ج2، ص436.

والصداقة من هذا التصور تنافس العلاقات الأخرى بل وتساعد على توفير الاستقرار للإنسان في المجتمع متعدد الاجناس والفرق والتوجهات . فهو من جهة يمثل دور التعليم والتوجيه، ولكنه من جهة أخرى أضحى مجالا رحبا للإبداع فيه وأرضا خصبة لتطور فنون الكتابة فيما يلي من العصر العباسي.

وعلاقة الصداقة كما يتصورها ابن المقفع (146هـ) تقتضي السخاء غير المشروط إلى حد يقول فيه " ابذل لصديقك دمك ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك،وللعامة بشرك وتحننك، ولعدوك عدلك،واضنن بدينك وعرضك عن كل حد "[1].،كما ويجعل لمعاملة الصديق آدابا يجب مراعاتها، يقول واصفا صديقا :"إنّي مخبرك عن صاحب كان أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما أعظمه صغر الدنيا في عينه ... وكان أكثر دهره صامتا فإذا قال بذّ القائلين، كان يرى متضاعفا مستضعفا، فإذا جد الجدّ فهو الليث عاديا ... وكان لا يتبرم ولا يتسخط، ولا يتشهى ولا يتشكى، ولا ينتقم من الولي، ولا يغفل عن العدو ... فعليك بهذه الأخلاق إن طقت ولن تطيق، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع "[2].

وللجاحظ(255هـ) أيضا في الاهتمام بالصداقة باب في فضائلها قائلا :" فلا تكونن لشيء مما في يدك أشدّ ضنّا، ولا عليه أشد حدبا، منك بالأخ الذي قد بلوتَه في السراء والضراء، فعرفت مذاهبه وخبرت شيمه ... فإنما هو شقيق روحك، وباب الروح في حياتك " ثم إن مراعاة حقوق الصديق من الفضائل وأهمها التماس العذر "... فإذا صفا لك أخ فكن به أشدّ ضنّا منك بنفائس أموالك، ثم لا يزهدنّك فيه أن ترى فيه خلقا أو خلقين تكرههما، فإن نفسك التي هي أخص النفوس بك لا تعطيك المقادة في كل ما تريد، فكيف بنفس غيرك "[3].ويعرف الحديث في باب

[1]- ابن المقفع، الأدب الكبير، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 80، وينظر: ص104.

[2]- ابن المقفع، الدرة اليتيمة، تح شكيب ارسلان، المكتبة المحمودية التجارية، بيروت، دط، دت، ص ص 68-69.

[3]- الجاحظ، الرسائل، ج1، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1964، ص122.

الصداقة تآليف كثيرة فقد تكلم كتاب آخرون في الصداقة ومزجوا أقوالهم بأقوال الحكماء والفلاسفة والشعراء ومنهم : الخوارزمي والهمذاني والصابي في رسائلهم ومؤلفاتهم .

وفي القرن الرابع الهجري، حيث كانت تلك البيئة المتحضرة والعلاقات المتشعبة بين العرب والفرس وغيرهم من الأمم تحت ضلال الامبراطورية الإسلامية الممتدة. كانت شؤون الصداقة تحتل مكانة مرموقة في علاقات الكتاب يبعضهم البعض من جهة، وبين رجال السلطة من جهة ثانية،حيث كانت صلات الصداقة تربط بين رجال الفكر الذين تجمعهم قصور الأمراء أو المناظرات ومجالس العلم، وهذا ما وسّع من أفق المراسلات بينهم، وهو ما جعل الكل يعمل على إظهار براعته لغة وأسلوبا وأدبا.

ومن الطبيعي أن يكون التوحيدي وغيره من أدباء العصر ـ خاصة القرن الرابع الهجري ـ قد خاضوا في قضية الصداقة، "فالإنسان مدني بالطبع، وبيان هذا أنه لا بد له من الإعانة والاستعانة، لأنه لا يكمل وحده لجميع مصالحه، ولا يستقل بجميع حوائجه "[1] فهو يحتاج إلى الآخر خاصة إذا كان الإنسان يعيش في مثل تلك الظروف الاجتماعية والفساد الأخلاقي الذي عاصره التوحيدي،فقد تنوعت صور الحياة وتباينت في عصر زاخر بالعديد من التحولات والتقلبات في سياقاته الاجتماعية والسياسية والفكرية ... وفي ظل هذه الظروف يحتاج الإنسان إلى الصديق، والتوحيدي قد عانى الويلات من فقدان الأصدقاء وهجرانهم.

في هذا القرن أيضا كان التوحيدي يعيش بين كثير من الناس باختلاف الملل والنحل بحكم أن العصر كان عصر تحرر فكري وديني. غير أن حظه العاثر في أن ينال نصيبه من الدنيا دون أن يوفق إلى ذلك جعله يعيش حياته كلها مغترباً، ومتنقلا في أراضي الاغتراب المختلفة فعرف الحرمان والنقص والرغبة المقموعة ولوعة الفقدان. وانتهى به الأمر إلى التسليم بفساد الحياة وخداعها، فاعتزل الناس،

[1] – أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، تح: ابراهيم الكيلاني، ص161.

وأعطى نفسه للعبادة والتأمل في لحظة أخرى، وكان في الحالين يتجمل غروب الرغبات إلى أن بلغ عالم الزهد الكامل حين كانت روحه تدنو من غروبها الأخير.

إنّ التوحيدي الذّي آلمته الحياة، وخدشته بأظفارها كان مدفوعاً بمزاجه ونفسيته وظروف حياته إلى التفتيش عن الصداقة وإحلالها مكاناً أولياً في علاقاته مع الناس، وإلى العناية بموضوع الصداقة والصديق[1]، ووصل إلى زهده المطلق بعد أن يئس من صلاح أوضاعه ومن صلاح البشر. وربما كان يعزّي نفسه ويحاصر تشاؤمه حين وضع كتابه عن "الصداقة والصديق"، فإذا بالصداقة ملاذ وحب وفضيلة بل أنه لم يضع هذا الكتاب إلا ليقنع نفسه بأن الحياة لا تخلو من الأخيار ومن بشر يتمتعون بصفاء القلوب.

كما وتجدر الإشارة إلى أنّ موضوع الصداقة شغل بال التوحيدي فتناوله في أغلب كتبه ومؤلفاته: الامتاع والمؤانسة، والإشارات الالهية، والهوامل والشوامل، والمقابسة الأخيرة من كتاب المقابسات، وقد كان مدفوعا إلى ذلك بنفسية محبطة، وآمال خائبة [2].

[1]- أبو حيان التوحيدي، رسالة الصداقة والصديق، ص 13.

[2]- ينظر : محمد ابراهيم حور، الصداقة والصديق في تراث أبي حيان التوحيدي، مجلة فصول، ص 280.

ثانيا–التعريف بالمدونة :

رسالة الصداقة والصديق من أروع ما كتبه أبو حيان التوحيدي، وهو مؤلف أدبي بامتياز يدور موضوعه حول الصداقة والصديق ويضم أقوال الحكماء والأدباء والشعراء والفلاسفة في شروط الصديق ومزايا الصداقة وخيانة الأصدقاء وغيرها...وترجع أهمية رسالة «الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي إلى أنه قد لخص بأكمله موضوع الصداقة وجمع العديد من الأقوال المأثورة في والصداقة بغض النظر عما ورد فيه من آراء قاسية بحق الصديق والصداقة.

1– تحقيق الرسالة :

تم تحقيق **رسالة الصداقة والصديق** لأول مرة في القسطنطينية في مطبعة الجوائب سنة 1301هـ/1882م[*]، تضمنت الطبعة رسالتان الاولى : **الصداقة والصديق**، والثانية : **رسالة في العلوم** .وطبعت الرسالة للمرة الثانية في القاهرة بعنوان : **الأدب والإنشاء في الصداقة والصديق**[**] سنة 1323هـ/1905م . واعتمدت على تحقيق ابراهيم الكيلاني في الدراسة بطبعتها الثانية سنة 1998م في دمشق بسوريا، بعد طبعة أولى كانت سنة 1964م .أما مخطوط الرسالة موجود في مكتبة جامعة الرياض[***] بالمملكة العربية السعودية .

2– تاريخ تأليف الرسالة :

شرع التوحيدي في تأليف الرسالة كما يصرح " ذكرت شيئا منها لزيد بن رفاعة أبي الخير[****] فنماه إلى ابن سعدان الوزير أبي عبد الله[*****] سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة قبل تحمله أعباء الدولة،

[*] - رفعت هذه النسخة من موقع : www.alkottob.com .

[**] - رفعت هذه الطبعة من موقع مكتبة لسان العرب.

[***] - يذكر الكيلاني في تحقيق الرسالة انه اعتمد على مخطوط الرسالة الموجود في مكتبة اسعد افندي في استنابول . وقد عثرت على المخطوط على شبكة الانترت ورفعته من موقع شبكة الالوكة :www.alukah.net.

[****] - ينسب زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة أبو الخير الهاشمي الى إخوان الصفا .. ينظر: الامتاع ج2، ص ص3–4.

[*****] - هو ابو عبد الله الحسين بن احمد بن سعدان . كان وزيرا لصمصام الدولة بن عضد الدولة البويهي (372هـ .375هـ).

وتدبيره أمور الوزارة "[1]. لكنه لم يكمل العمل إلا سنة اربعمائة عندما طلب منه الوزير بن سعدان ذلك " فجمعت ما في هذه الرسالة، وشغلت عن رد القول فيها، وأبطأت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره مما كان، فلما مرّ على ذلك بعض سنين عثرت على المسودة وبيضتها على نحيلها "[2]، أي بعد مرور ثلاثين سنة تقريبا من طلب الوزير، مما يعني أن الرسالة كتبت في مرحلتين من عمر التوحيدي، كانت بدايتها في شبابه وخاتمتها في العقد الأخير من حياته على حد تعبيره في الوقت الذي كانت فيه : "**شمس العمر على شفا، وماء الحياة الى نضوب، ونجم العيش إلى أفول، وظل التلبث إلى قلوص** "[3]،وهذا ما يجعلنا نعتقد أن الرسالة ستخضع لظروف نفسية وتقلبات مزاجية للكاتب بحكم طول الفترة وهي تخضع بدورها إلى أحوال العصر ومشاكله .

وكان سبب تبيض هذه الرسالة ما ذكره التوحيدي نفسه في مقدمتها حيث أنه "سُمع مني في وقت بمدينة السلام كلام في الصداقة والعشرة والمؤاخاة والألفة، وما يلحق بها من الرعاية والحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمؤاساة والجود والتكرم، مما قد ارتفع رسمه بين الناس، وعفا أثره عند العام والخاص"[4]، وقد سئل إثباته ففعل ووصل كلامه بجملة مما قاله أهل الفضل والحكمة، وأصحاب الديانة والمروءة . فكانت الرسالة تامة يمكن أن يستفاد منها في المعاش والمعاد.

وقد كان لتأليف هذه الرسالة دوافع أخرى نتيجة للظروف النفسية العصيبة التي عاشها الرجل معظم حياته وقد عبر عما يكتنفه من مظاهر النكد والتشاؤم قائلا :" ومن العجب والبديع أنا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق والأسف والحسرة والغيظ والكمد والومد ..."[5]. وعن حاله البائسة واغترابه في مجتمعه يقول أيضا :" فقد أمسيت غريب الحال، غريب اللفظ،

[1]- أبو حيان التوحيدي، رسالة الصداقة والصديق، ص35.

[2]- المصدر نفسه.

[3]- نفسه، ص 34 .

[4]- نفسه، ص 29.

[5]- نفسه، ص 34.

غريب النحلة، غريب الخلق، مستأنسا بالوحشة، قانعا بالوحدة، معتادا للصمت، مجتنفا على الحيرة، محتملا الأذى، يائسا من جميع ما ترى ."[1] . هذا هو التوحيدي الغريب الذي عاش في غربته غريبا.

وحديث الصديق ـ على حد تعبير أبي حيان ـ حلو وأعذبه ما صدر عن رجل ذي عاطفة تكاد تكون مرضية، همه الاتصال بالناس ومشاركتهم عاطفياً وفكرياً، واجداً في عشرتهم سلوى وتعويضاً عما لحقه من إخفاق في حياته العملية، وخيبته أمام بلاط الأمراء والوزراء، ووسيلة إلى تفريغ هذا المخزون العاطفي الذي لازمه... ألم يقل:" **إن في حديث الصداقة شفاء للصدر وتخفيفاً من البرحاء، وانجياباً للحرقة واطراداً للغيظ وبرداً للغليل وتعليلاً للنفس**[2].

وأما عن **طريقة عرض الرسالة** فهي " أشبه بكتب الاستشهادات الأدبية ولكنها لا تدور حول مواضيع عدة بل حول موضوع واحد،ففي هذه الرسالة جمع التوحيدي دون ترتيب واضح كل ما سمعه أو قرأه عن فكرة الصداقة من العصر الجاهلي إلى القرن العاشر الذي عاش فيه "[3]. فهو كالجاحظ يحب الاستطراد وعدم تنظيم الأفكار وتسلسلها، وتلك هي طريقة الكتابة الفنية العربية السائدة في عصره.

[1] – أبو حيان التوحيدي، رسالة الصداقة والصديق، ص34 .

[2] – المصدر نفسه، ص 37.

* وجدنا في تحقيق الكيلاني لرسالة الصداقة والصديق أنه استهله بمقدمة تحدث فيها عن التوحيدي: حياته وعصره، وجعل في آخرها فهارس للأعلام والأماكن والبلدان، والأمم والقبائل والطوائف، وأسماء الكتب المذكورة في الرسالة، وفهرس للقوافي (اي البيت الشعري وقائله) واخيرا وضع فهرسا للموضوعات، فصل فيها مواضيع الرسالة حسب قراءته لها. وقد سرنا على ضوء هذا التفصيل فساعدنا في معرفة تفاصيل الرسالة .

[3] – سمر العطار، ابو حيان التوحيدي ومعضلة الصداقة، مجلة فصول،ص 264.

لم يكن للتوحيدي نمط منظم فيه إذ لا يخضع الكتاب لأبواب ولا فصول ولا عناوين* ولا حتى مواد مستقلة عن بعضها البعض، وعلى الرغم من أن المدونة تتميز بوحدة موضوعها (الصداقة والصديق)، إلا أن مادتها زخم من النصوص الشعرية والنثرية شملت أيضا عشرات المراسلات بين معاصريه في الحنين إلى الأصدقاء ما ترجم من الفارسية واليونانية إلى العربية، كما شملت الرسالة مختارات من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وكلام صحابته وآل بيته الأطهار، كل هذه الخطابات المتداخلة جاءت غير مرتبة ومن دون منهج منظم، وينتهج الاستطراد في كلامه عن الصداقة فينتقل من فكرة إلى حكمة، ومن قول شاعر إلى خبر سارد إلى رسالة ينقلها عن أحدهم.

ويستدل التوحيدي في كتابه على توسع الموضوع واستطراده فيه قائلا :" قد أتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق، وما يتصل بالوفاق والخلاف، والهجر والصلة، والعتب والرضا، والمذق والرياء،والنفاق والحيلة، والخداع والاستقامة،والالتواء والاستكانة، والاحتجاج والاعتذار، ولو أمكن لكان تأليف ذلك كله أتم مما هو عليه، وأحرى إلى الغاية في ضم الشيء إلى شكله،وصبه في قالبه، فكان رونقه أبين ورفيقه أحسن ..."[1] .لكن كيف لرسالة مثل هذه تجمع كل ما قاله شاعر في نظمه، وناثر في لفظه، وسارد في خبره ونقله أن يضمها منهج، أو يستوعبها خط سير واحد .

وكلما شعر بأنه أطال في الموضوع يعتذر عن ذلك حتى وصل بأعذاره نهاية الرسالة قائلا :"قد تكرر اعتذاري من طول هذه الرسالة، هذا وكان ظني في أولها أن تكون لطيفة خفيفة، يسهل انتساخها وقراءتها، فماجت بشجون الحديث، وروادف من الطيب والخبيث، فاقبل ـ حاطك الله ـ هذا العذر الذي قد بدأته وأعدته، ونشرته وطويته، على أنك لو علمت في أي وقت ارتفعت فيه

* - وجدنا في تحقيق الكيلاني لرسالة الصداقة والصديق أنه استهله بمقدمة تحدث فيها عن التوحيدي : حياته وعصره، وجعل في آخرها فهارس للأعلام والأماكن والبلدان، والأمم والقبائل والطوائف، وأسماء الكتب المذكورة في الرسالة، وفهرس للقوافي (اي البيت الشعري وقائله) واخيرا وضع فهرسا للموضوعات ، فصل فيها مواضيع الرسالة حسب قراءته لها . و قد سرنا على ضوء هذا التفصيل فساعدنا في معرفة تفاصيل الرسالة .

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 160.

هذه الرسالة، وعلى أي حال تمت لتعجبت وما كان يقل في عينك منها، يكثر في نفسك، وما يصغر منها بنقدك، يكبر بعقلك "[1].

من هنا يتضح للقارئ أن سبب الفوضى وعدم تنظيم الرسالة وخروج موادها عن إطار منهجي هو أنه جمع الرسالة وقد شاخ به العمر وأضحى شيخا هرما في التسعين، وهو القائل : " فقد بلغت شمسي رأس الحائط"[2]. إذن لعامل العمر دوره في تركيبة الرسالة كما يعود هذا الأمر إلى تعلق التوحيدي بقضية الصداقة وارتباطها بحياته النفسية والوجدانية، فقد كان مدفوعا بحكم الواقع والذوق الأدبي أن يحشد كل ما في ذاكرته من المخزون التراثي عن هذا الموضوع.

كما يمكن للقارئ أن يرجع سبب الاضطراب في متن الرسالة إلى كونها جمع لشتات **خطابات شفهية** داخل سياج الكتابة، فقد تمكن التوحيدي من وضع إطار لموضوع الصداقة، حيث جمع كل ما قيل في هذه القضية شعرا ونثرا وعمد إلى تلحيم عناصر الخطاب ضمن استراتيجية حولت هذه الخطابات الشفهية التي سمعها التوحيدي ورواها في مجالس العلم والأدب إلى خطاب مكتوب مدوّن، وقد أشار إلى ذلك في بداية الرسالة عندما قال " سمع مني في مدينة السلام كلام في الصداقة " مما يثبت أن الرسالة في أصلها خطاب منطوق ثم جعله مدونا " فسئلت إثباته ففعلت " بمعنى أنّ خطاب الرسالة خضع لمرحلتين هما المشافهة أولا ثم التدوين ثانيا .

[1] – أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 365 .

[2] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ثالثا– من المشافهة إلى الكتابة :

يقدم التوحيدي في رسالته تصورا شاملا كاملا عن قضية من قضايا عصره، وهي قضية الصداقة والصديق، وكتابة الرسالة كان استجابة لداع خارجي تمثل في طلب الوزير ابن سعدان، وأما التوحيدي هنا فقد كان يمثل منتج هذا الخطاب مذ كان مادة شفهية مندثرة في المجالس، سواء كان متلقيا سامعا أو راويا لمحفوظه المخزون في الذاكرة من الأشعار والأخبار والحكم والأمثال .

إذن فالخطاب مر بمرحلتين هما: المشافهة والكتابة، ولا شك أن لكل مرحلة منهما خصائص وسمات تفصل بين الخطابين، وقد أدرك التوحيدي هذا الاختلاف الموجود بين وضعيتي الخطاب أو كما اصطلح عليه بين الإفاضة باللسان والكتابة إذ يقول :" والكلام ذو جيشان،والصدر ذو غليان، والقلم ذو نفيان، ومتدفقه لا يستطيع ردّه، ومنبعثه لا يقدر على تسهيله،وخطبه غريب وشأنه عجيب"[1]، والقصد من هذا أن الخطاب الشفهي (المنطوق) سيل متدفق يصعب تطويقه، ويعز تسييجه" فالقول غلاب والخطاب يظهر على صاحبه فينساق إليه لأنّ قوته لا ترد وعنفوانه لا يحد، فالمتكلم مجرور بالكلام، واقع في دائرة سحره، فاعل منفعل فمفعول سيطر عليه الخطاب ويحفر مجراه على ما يريد تدفقه .[2]

ذلك ما أدركه التوحيدي، والجاحظ من قبله أن للخطاب الشفهي سلطته، بل إنّ البيان العربي يدافع عن الشفهية ضد النزعة الكتابية التي تقوم على الاعتراف بالمسافة بين المتكلم والمخاطب، وملاحظة الموضوع أكثر من ملاحظة التأثير،أو ملاحظة التوافق أكثر من ملاحظة التنازع والممارة [3]، والثقافة الشفهية عند الجاحظ تقوم على افتتان المتكلم بما يقول، وافتتان السامع بما يسمع، ومنطقه في ذلك يتمثل في قوله :" إذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره، وتلبدت نفسه،

[1]– أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة،ج2، ص283.

[2]– حمادي صمود، المشافهة والكتابة، مجلة فصول، ج2، المجلد 14،ع4، ص182.

[3]– مصطفى ناصف، محاورت مع النثر العربي، ص42.

وفسد حسه،ومن أجل ذلك كانوا يروون الصبيان الأراجيز،ويعلمونهم المناقلات، ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب، لأنّ ذلك يفتق اللهاة ويفتح الجرم "[1]، ثمة افتتان شديد الغواية تحظى به الشفهية... وما زالت تأسرنا المشافهة باعتبارها ارتبطت منذ نشأتها بالتواصل الإنساني الحي والمباشر، واكتسبت تشكلات أسلوبية جاذبة مثل الشعر والخطابة والحكاية ... ومثل المناظرات والمحاضرات . هكذا اكتسبت الشفهية وما زالت تكتسب خصائص سمعية جمالية، ووظائف صوتية ذات نبر إيقاعي وهبها سحرا مضاعفا...

كان التوحيدي راويا لأحاديث الصداقة وأشعار الألفة والصحبة، وهو متكلم يتموضع في مجالس الأدب والعلم يسمع منه، وينقل عنه الكلام حتى يصل إلى مسامع الوزير فيطلب منه أن يحول هذه الخطابات إلى كتابة وتدوين . وليست المشافهة كالتدوين . إذ تختلف الكتابة عن المشافهة كونها جمع وتأليف لكل هذه المشافهات، كما أنّها تسييج للكلام، وتسجيل للوقائع،كما أن هذا الانتقال تصحبه تغيرات على مستويات عديدة إن كان على مستوى المرسل والمرسل اليه والقناة والمقام كما قد تتغير وظيفة اللغة بين الخطابين .لكن قد يتمسك الخطاب بعد تدوينه ببعض خصائصه السابقة وهو على حالة المشافهة.

لعل من أول خصائص الخطاب الشفهي : حضور الصوت أي حضور للكلمات بوصفها حاملة لقوة عظيمة ذات تأثير سحري،" ففي الثقافة الشفهية لا تكون الكلمات سوى أصوات، ولا يؤدي ذلك إلى التحكم في أنماط التعبير فقط، بل الى التحكم في العمليات الفكرية أيضا "[2] وهو ما يستدعي القيام بعملية التفكير داخل صيغ قابلة للتذكر مثل أنماط الجمل المسجوعة أو المتوازنة أو جمل متكررة أو متعارضة أو على صيغة الأمثال التي يسهل حفظها وتذكرها، ذلك لأنها تقوم على الإيقاع وهو ما يسهل تذكرها، ورسالة التوحيدي حافلة بهذه الأنماط من الأقوال المأثورة من الأمثال

[1] – الجاحظ، البيان والتبيين،ج1، ص272.

[2] – والترج أونج، الشفاهية والكتابية، تر: عز الدين حسن البنا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، فبراير 1994،ص 76.

والحكم التي توارثتها الذاكرة العربية، والحقيقة أن التوحيدي يملك ذاكرة قوية وحافظة صفية ،يظهر ذلك من خلال ما حوته كتبه، وبالأخص رسالته في الصداقة حيث تزخر بالكثير من الأقوال والشواهد المنسوبة إلى أصحابها سواء كانت شعرا أو نثرا من ذلك ما نقله عن أساتذته، أمثال السيرافي، وأبو سليمان السجستاني عندما بحدثه عن أنواع الصداقات فيقول:" فأما الملوك فقد جلوا عن الصداقة، ولذلك لا تصح لهم أحكامها، ولا توفي بعهودها، وإنما امورهم جارية على القدرة والقهر والهوى والشائق والاستخفاف"[1] .

وفي مثال آخر مما حفظه" وأما التناء وأصحاب الضياع فليسوا من هذا الحديث في عير ولا نفير... وأما اصحاب المذاب والتطفيف فإنهم رجرجة بين الناس لا محاسن لهم فتذكر ولا مخازي لهم فتنشر"[2]، كما شكلت أقوال العرب مادة شفهية غنية سهلة الحفظ والتذكر استعان بها التوحيدي في خطابه ليعمق تصوره لقضية الصداقة المتجذرة في الثقافة الشفهية العربية ومن ذلك قول أعرابي حين سئل عن أكرم الناس عشرة قال :"من إن قرب منح، وإن بعد مدح، وإن ظلم صفح، وإن ضويق فسح، فمن ظفر به فقد أفلح ونجح "[3] أو مثل ذلك قول السلف عندما تشبه الصاحب بالقول : "الصاحب كالرقعة في الثوب فإن كان مشاكلا لم ينب عن الطرف، وإن كان غير مشاكل كان الفضوح "[4]، أو في قولهم " خير الناس إلف الناس للناس "[5] والرسالة تحوي مادة زاخرة يضيق المقام لعرضها كلها .

من سمات الخطاب الشفهي أيضا العطف بين الجمل من دون تداخل، والعطف بين الجمل يمنحها سيولة واسترسالا ليصبح الكلام آخذا بعضه برقاب بعض، والرسالة احتفظت بنمطية شفهية

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص32.
[2]- المصدر نفسه، ص33.
[3]- نفسه، ص39.
[4] - نفسه، ص81.
[5] - نفسه، ص120 .

في أسلوب العطف بين الجمل سواء بني العطف على التوافق بين المعاني أو التقابل إذ يشكل حرف العطف (الواو) ركيزة يتكئ عليها المتكلم (التوحيدي) ليسترسل في خطابه، ثم إنّه لم يستغن عنها في كتابته لهذا الخطاب لما تلعبه من دور في سيولة الكلام واسترسال الكلمات والجمل ، ومن أمثلة ذلك ما وصف به السجستاني أصحاب التطفيف وصداقاتهم :" قيل أنهم همج ورعاع وأوباش وأوناش ولفيف وزعانف وداصة وسقاط وأنذال وغوغاء ...[1] ، وحرف الواو هنا يعطف بين صفات لهؤلاء من باب جمعها ومحاولة من المتكلم لاستيفاء كل خصالهم .

أو حينما ينقل التوحيدي حديث العسجدي :" الصداقة مرفوضة والحفاظ معدوم، والوفاء اسم لا حقيقة له والرعاية موقوفة على البذل والكرم قد مات والله يحي الموتى"[2] أو كما يقول: "الكلام في الصداقة على كرم العهد،وبذل المال،وتقديم الوفاء،وحفظ الذمام،وإخلاص المودة،ورعاية الغيب، وتوفر الشهادة،ورفض الموجدة،وكظم الغيظ،واستعمال الحلم، ومجانبة الخلاف،واحتمال الكلّ،وبذل المعونة، وحمل المؤونة،وطلاقة الوجه، ولطف اللسان،وحسن الاستنابة، والثبات على الثقة،والصبر على الضراء،والمشاركة في البأساء "[3] كما ويظهر أسلوب العطف جليا في الرسائل التي ضمنها التوحيدي في رسالته وهي في الأصل مدونة كتبت بين الأصدقاء والأخلاء والأصحاب، وهو في الحقيقة لدلالة على أن هذا الأسلوب(العطف) إنما يُوظف في الخطابين المنقول مشافهة والمدون والغاية في النمطين الاسترسال والإطناب الذي يحدوه المتكلم أو الكاتب حتى يصل بقصده إلى المتلقي سامعا كان أو قارئا، ويبلغ برسالته الهدف الذي من أجله وضعت .

إلى جانب أسلوب العطف والاسترسال وجدنا التوحيدي يعتمد أسلوب يقترب منه بحيث يعتمد التفريع في الجمل وقد نقل الخطاب الشفهي قائما على هيئة عناقيد من الوحدات كتلك

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص33.
[2]- المصدر نفسه، ص37.
[3]- نفسه، ص 111 .

العبارات المتوازية أو المتعارضة، سواء كانت في جمل بسيطة أو مركبة، أو كانت نعوتا، ذلك أنّ الثقافة الشفهية تحبذ أنّ تحمل زادا من النعوت وما إليها من المتاع القائم على الصيغة،الذي ترفضه الكتابة وتعتبره إطنابا كثيفا ومضجرا بسبب كثافته التجميعية [1]، لكن حفلت الرسالة بهذا النمط الشفهي وجعلت من الكتابة محاكاة ونقلا أمينا عن المنطوق ساعد في ذلك التزام التوحيدي بالصدق في النقل من خلال حافظته القوية، وذاكرته الصافية من جهة، وسعيه إلى الوصول الى المتلقي بأوضح الطرق وأوثقها من جهة ثانية .

ومما نقله التوحيدي بهذا النمط قول ابن كعب في عتاب الأصدقاء :" العتاب مذلة، وقلّ من بدأ به متظاهرا إلا وثاب عنه خاسرا، وربما أُورث ما هو أضر مما عُتب عليه، ومن نكده أنه يضطر إليه، وله ورد حلوق، وصدر مرٌّ، ومأخذ سهل، ومترك صعب، على أن المودة كلما كانت أخلص، كانت أعراضها المفسدة أكثر "[2]، هذا ويظهر في الرسالة تمكن التوحيدي وقدرته على استدعاء المادة الشفهية بكل تفاصيلها مطنبة مسترسلة يسلك في كتابته لها مسلك الكلام،إذ يجري الكلام جريان السيل بلا انقطاع في توازن تارة وفي تقابل تارة أخرى، ومن ذلك سؤاله للبنوي عمن يحب أن يكون صديقا له فأجابه قائلا :"من يقيلني إذا عثرت، ويقومني إذا ازوررت، ويهديني إذا ظللت، ويصبر علي إذا مللت، ويكفيني ما أعلم وما علمت "[3] أو مثل ما سمعه عن أبي عامر النجدي حيث يقول:"الصديق من صدقك عن نفسه لتكون على نور من أمرك، ويصدقك أيضا عنك لتكون على مثله، لأنكما تقتسمان أحوالكما بالأخذ والعطاء، في السراء والضراء، والشدة والرخاء، فليس لكما فرحة ولا ترحة، إلّا وأنتما تحتاجان فيهما إلى الصدق والانكماش، والمساعدة على اجتلاب الحظ في طلب المعاش[4].

[1]- والترج أونج، الشفاهية والكتابية، ص82 .

[2]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة ، ص115.

[3]- المصدر نفسه، ص136.

[4]- نفسه، الصفحة نفسها.

إذن بالإضافة إلى الاسترسال وأسلوب الصيغ المتفرعة في الكلام لم يستغن التوحيدي عن الإطناب عندما نقل الخطاب من المشافهة إلى الكتابة فقد جعله ديدن ينتهجه كما كان الجاحظ يفعل في كتاباته جاعلا منه آلية لإثبات المعنى في ذهن السامع، ومن ثمّ في نفس القارئ ووجدانه، خاصة وأن الخطاب متأصل في الذهنية العربية يحاكي الوجدان العربي، كما أنه وثيق الصلة بعالمهم وحياتهم اليومية، من هنا كان التوحيدي أعلم بحاجة السامع في المجالس، وأعلم بحاجة القارئ في الرسالة .

لكن وإن اعتمد التوحيدي سياسة النقل الأمين لخطابه على مستوى بعض الخصائص، كانت خصائص أخرى مستعصية على النقل حيث أن الكتابة إذ ما ألغت الصوت وكتمته، هي تلغي المقام أيضا وإن كان المرسل نفسه في الوضعيتين وهو التوحيدي،وإن كان في الأول بصفة متكلم وفي الثاني بصفة كاتب جامع، لكن المرسل إليه تغير ففي الوضعية الأولى كان سامعا متعدد ممن يرتادون المجالس، أما في الثانية فهو الوزير بن سعدان ، لكن فعل القراءة سيوجد في ما بعد قراء ومتلقين آخرين غيره . كما قد يوجد قراءات أخرى كثيرة ومتنوعة .

كما تغير المقام ففي الانتقال من المشافهة إلى الكتابة نتجاوز المسافة المكانية والزمانية إذ اننا أمام متلق غير مباشر، وهنا يستغني الكاتب عن الحركات ونبرات الصوت والإيماءات التي من شانها ملأ الفراغات وسد الثغرات في الخطاب الموجه للسامع كما تعتبر عوامل مساعدة في توجيه السامع وإيصال القصد إليه، بينما في الكتابة يستدعى الأمر الروية والخضوع لقواعد تأليف الكلام / الخطاب، كما يتعين على النص المكتوب أن يكتسب تلك الخصائص الأسلوبية التي تجعله حيا ونابضا، يستدرج تعدد القراءات، وتباين زاويا النظر، وتنوع الرؤى، وعلى القارئ المتمرس رؤية تفاصيلها والدنو من مضامينها وكشف خباياها، وذلك خلافا لأنساق الخطابات الشفوية التي تتطلب قدرا من الوضوح والتبسيط لتجذب العامة وتؤنسهم.

بمعنى أن القارئ مطالب بفك شفرات الخطاب واستنطاق الثغرات الكامنة في نسيجه كون الكتابة تستدعى الاصلاح والتنسيق وقد تستدعى التكلف . يقول التوحيدي في عرضه لفعل الكتابة :" ولم آل جهدا في روايتها (الأحاديث في المجالس) وتقويمها، بل زبرجت كثيرا منها بصانع اللفظ مع شرح الغامض وصلة المحذوف وإتمام المنقوص "[1] . مما يدل على أن التوحيدي كان ملزما على الاستزادة في الكتابة من أجل ملأ الفجوات وسد الثغرات لحصول المعنى وبلوغه ذات المتلقي، لكن لم تكن الزيادة على الشفهي إلّا بـ " تنميق يزدان به الحديث، وإصلاح يحسن معه المغزى،وتكلف يبلغ معه المراد بالغاية "[2].

من خلال هذا كله يتضح أنّ التوحيدي امتلك ناصية اللسان كما امتلك ناصية القلم، فقد انتبه إلى تلك الطاقة الوجدانية التي تهب الخلق الأدبي طبيعته الجمالية، من خلال قنص بلاغة المشافهة، وسحر البيان، وتوظيف حيوية وقعهما على أذن السامع في النص ذاته الذي يطوع اللغة الحية للتدوين التي تبث الروح في المعنى، فيمتع أذن المتلقي، ويجذب عقله، ويستميله إلى المعنى الذي يقصد .

ثم أدرك بحسه الفني، وقدرة ذاكرته أن يجمع بين السبيلين في الفكر والأدب لينتج ثقافة مكتوبة تأسست على ثقافة شفهية انتقلت عبر سياقات عديدة وجمعت أجناسا كثيرة في حوارية عجيبة غريبة يدرك المتلقي من خلالها على براعة الكاتب العربي في ذلك العصر، ومدى تحكمه في قواعد الكتابة، كما توحي بإستراتيجية المؤلف في الكتابة والتدوين من حيث جمعها لسياقات مختلفة تحت لواء الفكرة أو الموضوع الواحد وتقديمه للقارئ سواء كان معروفا لديه معاصرا له، أو كان مجهولا سيأتي بعده .

[1]- أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، ج 2، ص283.

[2]- المصدر نفسه، ج3، ص288.

أشرنا في موضع سابق أن النثر الفني في العصر العباسي عرف تطورا في الأغراض والمعاني، كما شهدت ساحته تقاسما بين الخطابة والرسائل، هذه الأخيرة عرفت تنوعا بين الديوانية والإخوانية، وشكلت مجالا واسعا من مجالات الكتابة وما اضطلعت به من أدوار ووظائف في الحياة الأدبية والاجتماعية والإدارية والدينية.

اهتّم النقاد على مختلف العصور بتتبع جنس الرسائل وومؤهلات كتابها وشروط ومعايير التأليف فيها بالإضافة إلى أنواع الرسائل وموضوعاتها وخصائص كل نوع منها، لكن هذا الاهتمام لم يخرج عن دائرة نقد النثر عامة إذ لم ينفرد هذا الجنس الأدبي بدراسة خاصة [*] وإذا استندنا إلى ما أنتجه النقاد في بحوثهم عن أدب الرسائل وجدنا أن السياقات التي ورد فيها مصطلح رسالة في التراث العربي تعد مدونة ضخمة، تضم أنواع من النصوص المختلفة سواء وردت موجهة إلى قارئ محدد بعينه أو وجهت لعامة القراء، وفي هذا الأخير تندرج رسالة الصداقة والصديق فهي رسالة تحمل دلالات اجتماعية . وعلى هذا الأساس نجد أن لفظ (الرسالة) مصطلح فني يطلق على جملة من الأجناس التي ينتجها مقام من مقامات الكتابة النثرية، وهو بذلك يتجاوز حدود الجنس الأدبي لأنه قادر على اكتساب المعنى الذي يقتضيه السياق دون أن تتخلى عن دلالته الأصلية .

وقد ارتأينا ألاّ نطيل في الحديث عن الرسالة ومفهومها، لأن الأمر يطول فيه الشرح ويستهلك فيه الوقت فاكتفينا بتلك الإشارات سالفة الذكر،وقصر همنا في هذا على رسالة الصداقة والصديق ومدى استيفاء التوحيدي لشروط الكتابة، وغايتنا البحث عن مكامن الجمال والبلاغة فيها. ورصد أهم الآليات التي جعلت الخطاب الأدبي عند التوحيدي خطابا بلاغيا إقناعيا، تمكن من خلاله التأثير في المتلقي، كما نرصد التفاعل بين مختلف الأجناس داخل متن الخطاب الرسائلي التي مثلته الشواهد الأدبية داخل سياق الكتابة .

[*] – إلا ما كتبه على بن خلف في كتابه مواد البيان، وخصصه لدراسة أدب الرسائل، وعناصرها وأهم خصائصها . لكنه خص الحديث بالرسائل الديوانية .

يخضع الخطاب الرسائلي هو الآخر كغيره من الأجناس النثرية الأخرى لقوانين وشروط تعارف عليها الكتاب ولعل أهمها هو بناء الرسالة : المقدمة والمتن والخاتمة، هذه العناصر الثلاثة عالجها النقاد حيث اهتموا بـ " بنية الرسائل وما يستحب في كل جزء من أجزائها، وتفاوتت درجات عنايتهم ما بين الاهتمام بإسداء النصائح العامة، أو الاعتناء بشكل الرسالة وحسن تنظيمها، أو كيفية تحقيق التناسب بين موضوع الرسالة،ومكانة المرسل والمرسل إليه وبين كل جزء من أجزائها "[1]. وفي المقدمة يتحدث النقاد عن الاستفتاح والعنوان والبسملة والدعاء، هذه الأجزاء التي خاض فيها القدماء من النقاد العرب عرفها النقاد في العصر الحديث[*] تحت اسم **العتبات**.

[1] ـ نبيل خالد رباح أبو علي، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي 656هـ، الهيئة العامة للكتاب، مصر، دط، 1993،ص 285.

[*] - من النقاد العرب في العصر الحديث : ينظر حميد لحميداني : عتبات النص ـ ومصطفى سلوي : عتبات النص، المفهوم والموقعية والوظائف ـ وجميل حمداوي : لماذا النص الموازي ؟ وعبد الفتاح الحجمري، عتبات النص البنية والدلالة ....

رابعا– بلاغة العتبات في رسالة الصداقة والصديق :

تسعى الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة إلى الاهتمام بمداخل النص أو عتبات الكتابة نظرا لما تشكله من أهمية في قراءة النص والكشف عن مفاتنه ودلالته الجمالية، كما تتجلى أهميتها في ما تحمله من معان وشفرات لها علاقة مباشرة بالنص/ الخطاب، تخلق لديه الرغبة في اقتحام النص الإبداعي، ورسالة الصداقة والصديق نموذج للخطاب الرسائلي في العصر العباسي تكون القراءة فيه ضرب من المجازفة لأن المتلقي لهذا الخطاب عليه أن يمتلك القدرة على القراءة والتأويل مستعينا بموسوعة من المعارف والآليات، ذلك أن الخطاب في الرسالة منفتح على حقول معرفية عديدة، كما أنّه يشكل فضاء بلاغيا رحبا وتنوعا أجناسيا كثيفا، وأول الأمر الوقوف على **مفاتيح الرسالة**، أو **عتباتها** .

إنّ العتبات هي التي تمهد لنا الطريق، وتمدنا بمفاتيح تحليل الخطاب والعتبات مهمة في مجال تحليل النص الأدبي، لأنها تعين القارئ أو الناقد، على فهم النص الأدبي وتفسيره وتأويله، أو تفكيكه وتركيبه. وقد ظلت العتبات ميدانا خصبا للدراسات الشعرية عند اليونانيين أو العرب القدامى أو المعاصرين، ولاسيما مع تطور الشعرية الفرنسية والبنيوية اللسانية. ويعد جيرار جنيت (Gérard genette) من أهم الدارسين الذين عمقوا شعرية العتبات في كثير من مؤلفاته، وخاصة في كتابه (العتبات/ Seuils).[1]

و**العتبات** أو ما يسمى **بالنص الموازي** هي عبارة عن عناصر تحيط بالنص أو ترافقه سواء من الداخل أو الخارج ،وهي تتحدث مباشرة أو غير مباشرة عن النص إذ تفسره وتضيء جوانبه الغامضة، وتبعد عنه التباساته وما أشكل على القارئ.

[1] ـ حميد لحميداني، شعرية النص الموازي، عتبات النص الأدبي، شبكة الألوكة، ط2، 2016،ص10. www.alukah.net

ويعرفها سعيد يقطين بأنه عبارة عن تلك "البنية النصية التي تشترك وبنية نصية أصلية في مقام وسياق معينين، وتجاورها محافظة على بنيتها كاملة ومستقلة، وهذه البنية النصية قد تكون شعرا أو نثرا، وقد تنتمي إلى خطابات عديدة..."[1] ، وللنص الموازي وظيفتان : وظيفة جمالية تتمثل في تزيين الكتاب وتنميقه، ووظيفة تداولية تكمن في استقطاب القارئ وإغوائه .

لا يمكن أن يكون النص الموازي كليا، فهو بنية نصية جزئية يتم توظيفها داخل النص بغض النظر عن سياقاتها الأصلية،وهو ما يساعدنا على فهم خصوصية النص الأدبي، وتحديد مقاصده الدلالية، ودراسة العلاقة الموجودة بينها وبين العمل، وهي محفل نصي قادر على إنتاج المعنى، وتشكيل الدلالة من خلال عملية التفاعل النصي، لذا فللعتبات " الدور التواصلي الهام الذي تلعبه في توجيه القراءة، ورسم خطوطها الكبرى لدرجة يمكن معها اعتبار كل قراءة بدونها بمثابة دراسة قيصرية اختزالية من شأنها إلحاق ضرر كبير بالنص وتشويه أبعاده ومراميه "[2]. لذلك تحمل العتبات النصية أهمية كبرى في فهم النص وتفسيره وتأويله من جميع الجوانب، والإحاطة به إحاطة كلية مع الإلمام بجميع تمفصلاته البنيوية المجاورة الداخلية والخارجية التي تشكل عمومية النص ومدلوليته الإنتاجية والتقابلية.

وأول هذه العتبات: العنوان

1ـ خطاب العنوان :

يعد العنوان عتبة الاستهلال الأولى التي يقف عليها المتلقي، والبوابة التي يشد المتلقي رحاله إلى عوالم الخطاب / العمل الأدبي متوسلا في ذلك زاده المعرفي، وما جاد به العنوان من دلالات، ومن المعلوم أن للعنوان وظائف كثيرة فتحديدها يساهم في فهم النص وتفسيره، وعنوان الرسالة يتشكل

[1] – سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي،النص والسياق، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2001،ص 99.

[2] – ينظر : حميد لحميداني، شعرية النص الموازي، ص ص 11-12.

من وحدتين لسانيتين تحملان الكثير من المعاني والدلالات : الصداقة والصديق وكلاهما من نفس الحقل الدلالي،وبالعودة الى الجذر اللغوي لمادة صدق في لسان العرب:صدق، الصدق : نقيض الكذب صدق يصدق صدقا وصدقا وتصداقا، وصدقه : قبل قوله . وصدقه الحديث : أنبأه بالصدق، قال الأعشى : صدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه . ويقال : صدقت القوم أي قلت لهم صدقا[1].

تعرّف **الصداقة** بأنها عطف متبادل بين شخصين أو أكثر، حيث يود كل منهما الآخر ويتمنى الواحد منهما الخير لصديقه مع علمه بأن الآخر يبادله المشاعر نفسه والمشاعر الراقية، كما يتميّز أصحاب هذه العلاقة بالانسجام والتوافق والتآلف. **والصديق** هو من يعيش معك ويشابهك في كل الأمور،سواءً كان ذلك في الأذواق أو الأفكار وغيرها، وهو الذي تسره مسراتك ويحزن لآلامك وأحزانك، وبذلك تقوم الصداقة على المعاشرة والتشابه والمشاركة الوجدانيةكما أن **الصديق** شخص تربطك به علاقة احترام قوية ليست مبنيّة على الاستغلال أو المنفعة الشخصيّة، وهو الشخص الذي يردّ عنك الإساءة في غيابك.

يظهر من العنوان أن التوحيدي جعله وصفا للمتن، من أجل إعطاء صورة مشوقة عن موضوع الكتاب، ليثير لدى القارئ الرغبة في القراءة،فكل عنوان يوظف مفاهيم مندمجة داخل مرجعية تؤطره بل تؤطر العمل ككل، والعنوان كملفوظ يقتضي أولا تحققا لسانيا يتمظهر من خلاله، ثم تصبح له وظيفة تواصلية تتأسس بين العنوان والقارئ، ومن خلال هذه الوظيفة التواصلية يتحدد البعد الدلالي.

المتلقي لعنوان الصداقة والصديق يجد اسمين الأول مصدر على صيغة فعالة بفتح الفاء، مما قد يدل على أن التوحيدي يفتح الباب ليعرف هذه العلاقة لأهميتها في حياته وهو الذي كابد العصر وظروفه، وطرق الأبواب جميعا من أجل أن يحظى بالشعور بها وممارستها، والاسم الثاني صيغة مبالغة

[1] ـ ابن منظور، لسان العرب ج7، (مادة صدق)، ص 286.

على وزن فعيل (الصديق) ويحمل دلالة المبالغة وهو كثير الصدق، وكأن التوحيدي يسعى لهكذا صحبة وصداقة أن يكون فيها الصديق "هو أنت إلا أنّه بالشخص غيرك "[1] ،وكلاهما اسمين معرفين بألف واللام . متطابقين في الجذر اللغوي، والاسمان عند تفكيك العنوان الصداقة خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي) والصديق أيضا خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو) وبين الاسمين حرف عطف هو الواو (هذه الصداقة وهذا الصديق). والحذف في هذا الموضع يعطي جمالية وتأثيرا دلاليا . فالعنوان بشكل جملة اسمية يعطي دلالة الحسم والتقرير والثبات، فالتوحيدي يعكس هذه الخصائص على المتن كونه يقرر : ما هي الصداقة وما حقوقها ومن هو الصديق وما حقوقه .

وإذا استندنا إلى الرسالة نفسها وجدنا صاحبها يذكر تعاريف للصداقة عبر خطابات كثيرة تختلف باختلاف مواردها، فمنها الفلسفي ومنها الصوفي ومنها اللغوي، ومع هذا كله لم يفصح التوحيدي عن ماهية تعريفه هو أو نظرته هو للصداقة، فاعتمد على تعريف ارسطو الذي سئل عن معنى الصديق فقال:"إنسان هو أنت، إلا أنه بالشخص غيرك "[2]، والتعريف الثاني لصوفي قيل له :من الصديق؟ فقال:من لم يجدك سواه، ومن لم يفقدك هواه[3]، والثالث لعالم لغوي وهو الأندلسي الذي قال عن الصديق أنه :" أخذ بنظر من الصدق وهو خلاف الكذب ... والصديق يصدق إذا قال، ويكون صدقا إذا عمل... وكذلك الصادق والصديق والصدوق "[4]، لكننا لا نعثر على تعريف صريح من التوحيدي لطبيعة هذه الرابطة ولا لمفهومها.

2- خطاب المقدمة / الاستهلال:

تعرّف المقدمة في اللغة بأنها أول الشيء ومستهله وأنها تقع في صدارة الكلام وفي هذا الإطار يقول ابن منظور في لسان العرب :" مقدمة الكتاب ومقدمة الكلام بكسر الدال وقد تفتح. ومقدمة

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص69.
[2]- المصدر نفسه، ص69.
[3]- نفسه، ص 90.
[4]- نفسه، ص 88.

الإبل والخيل ومقدمتهما أول ما ينتج منهما ويلقح، وقيل مقدمة كل شيء أوله ومقدم كل شيء نقيض مؤخره. ويقال ضرب مقدم وجهه... والمقدمة: الناصية الجبهة[1]، والمقدمة من كل شيء أوله ومن ذلك اصطلح مقدمة الكتاب ومقدمة الكلام .والمقدمة هي التي تقع في بداية الكلام، ويستهل بها المؤلف مصنفه، ومن ثم فالمقدمة في الاصطلاح هي ذلك النص أو الخطاب الذي يتصدر به الكتاب أو يفتتح به العمل الأدبي وقد يكون في بداية الأثر الأدبي أو العمل الوصفي فيسمى فاتحة.

يشكل التقديم أو المقدمة **خطابا موازيا** أو ملحقا مباشرا، موجه في العمق إلى الخطاب والمُخاطب، بمعنى آخر إلى الأثر الادبي والمتلقي، وهذه العتبة ليست ظاهرة حديثة أو معاصرة، بل إن المصنفات القديمة والحديث شعرا كانت أو نثرا، فإن مبدعيها وضعوا تقديما لكتاباتهم، «تكتسي أهمية مركزية كمدخل للكتاب لاحتوائها معلومات تساعد كثيرا في فهم طبيعة ودواعي تأليفه وتحديد موضوعه وتشكل عتبة المقدمة باعتبارها نصا ملحقا مباشرا مدخلا مهما لاقتحام النص الأدبي، فهي لا تقل أهمية عن عتبة العنوان والإهداء فهذه العتبات لها سياقات توظيفية وتاريخية ونصية تختزل جانبا مركزيا من منطق الكتابة[2]، ويمكن أن نطلق عليها : الديباجة والاستهلال والتمهيد ...

المقدمة إذن هي بمثابة تدشين للنص وفرصة لخلق تلك العلاقة ممكنة بين المتلقي النص، يقدم له آليات مسبقة لقراءته، وهي المفتاح والمساعد على كشف رموز النص وعلاماته الخفية، وهو الطعم الذي يلقى إلى المتلقي لاستدراجه وحثه على مواصلة القراءة والاستمرار فيها على سبيل تهيئته، وضمان جلب الانتباه واستمالة الأسماع [3]، وللمقدمة وظائف وأنواع نحن في غنى عن الخوض فيها الآن .

[1] ـ ابن منظور، لسان العرب، (مادة قدم)، ص 466.

[2] ـ عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص، البنية والدلالة، منشورات الرابطة البيضاء، المغرب، 1996، ص16.

[3] ـ ينظر حبيب مونسي، نظرية الكتابة في النقد العربي القديم، دار الغرب للنشر، ط2، 2001، ص119.

وفي حديث النقاد العرب عن "مقدمة الرسالة نجد أنهم يحصون مكوناتها : الاستفتاح، العنوان،والسلام، حمد الله والثناء على نبيه، وكيفية التخلص الى الغرض ...وقد اشترطوا ان تفتتح الرسائل بالبسملة ليبارك لهم فيما يحاولون ويؤجروا عليه "[1]، وعليه فالمقدمة النثرية في الرسائل تتكون من : البسملة، والحمدلة والدعاء، وأسباب التأليف ودواعي الكتابة، وهذا الاستهلال في حقيقته "هي الطليعة الدالة على ما بعدها تزيد النفس بحسنها ابتهاجا ونشاطا لتلقي ما بعدها إذا كانت بنسبة من ذلك،وربما غطت بحسنها على كثير من التخون الواقع بعدها ...[2]

إذا ما بدأنا قراءة رسالة الصداقة والصديق وجدنا الكاتب يفتتحه بالبسملة ثم ينتقل مباشرة الى الدعاء ثم يوضح سبب تأليف الرسالة . ونتتبع هذه العناصر فيما يأتي :

أ ـ **البسملة:**

استهل التوحيدي رسالته الأدبية بالقول:" **بسم الله الرحمن الرحيم** " وهي ذكر الله قبل فعل أي شيء وهي سنة حميدة تجلب البركة لأي قول أو عمل وقد جرى أغلب المؤلفين على اتباعها في كتاباتهم ومؤلفاتهم وإبداعاتهم ونادرا ما نجد تأليفا يخلو من البسملة، يُذكر في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم :" كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) فهو أقطع "[3] يعني لا بركة فيه، كما أنّه يكسب العمل الأدبي جمالية دينية وإبداعية . والتوحيدي لم يشذ عن القاعدة فابتدأ رسالته بالبسملة وفق القوانين المعمول بها على صعيد الكتابة الأدبية و التقاليد الدينية ساعيا من وراء ذلك بركة من الله تعالى في تبليغ رسالته خاصة وأنها ذات دلالات ذاتية عاطفية تمس جوهر روحه المعذبة، فالتوحيدي لن يجد من هو أحن من الرحمن الرحيم ليعينه .

[1]- الصولي، أدب الكاتب، ص32 نقلا عن :نقد النثر، م س، ص285.

[2]- حبيب مونسي، نظرية الكتابة، ص124.

[3]- القلقشندى، صبح الأعشى،ص 211 .

لكن التوحيدي لم يزد على البسملة من عناصر المقدمة شيئا واكتفى بذكر الله والتسمية دون أن يحمده ويصلي على الرسول الكريم . وكان في الامر ريب . اكتفى بذلك واتجه إلى الدعاء،ليربط الصلة بالله تعالى في مناجاة انسان ضعيف قد ارهقته الفاقة و. وجردته الوحدة والغربة من ذاتيته، فمر في خطابه يدعو الله متعجلا .

ب– الدعاء:

الدعاء أو العبارة الدعائية هو عمل قولي أساسي في صناعة الكلام، يشكل تقليدا من تقاليد التخاطب في أجناس النثر القديم، فقد كان ديدن الخطباء في خطبهم والكتاب في رسائلهم يتبارون في إجادته، والابتعاد عن القوالب الجاهزة منه، واختيار ما يناسب مقام الكتابة،إذ يخضع الدعاء في الخطاب الرسائلي لمقتضيات التخاطب في هذا المقام الأدبي ويتنوع يتنوع مقاصد الرسائل وأغراضها[1]، ويعتبر الدعاء عتبة نصية أو نصا موازيا :" يعكس مجموعة من العناصر المعرفية والمنهجية والأخلاقية التي لا غنى للقارئ عنها في المتن "[2] وللدعاء أيضا خاصية البركة والتوفيق من الله تعالى.

ـ الدعاء في فاتحة الرسالة :

وبالنظر في الرسالة المتن يستوقفنا دعاء في مستهلها من إنسان ضعيفا إلى إله جبار، وإن كان الدعاء مرتبط بموضوع المتن، لكن العبد يسأل خالقه فيقول : " **اللهم خذ بأيدينا فقد عثرنا، واستر عيوبنا فقد أعورنا** "[3]، الداعي هنا يسأل الله تعالى أن يعينه في عثرته ويستر عيبه لأن الحياة التي يعيشها أفقدته التوازن النفسي وربما عرّته من الأخلاق والفضائل فالوضع السيئ الذي آل إليه دفعه لإراقة ماء الوجه وبيع الدين والدنيا على حد تعبيره، ثم يتوجه لله في دعائه فيقول : **"وارزقنا**

[1] – ينظر، صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية في الفصل الأول منه : الدعاء في الرسائل،ص 529.

[2]– مصطفى سلوي، عتبات النص، المفهوم والموقعية والوظائف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وحدة رقم 71، بحوث ودراسات 22، ط1، 2003،ص 22 .

[3]– أبو حيان التوحيدي، الرسالة ، ص 29.

الألفة التي بها تصلح القلوب وتنقي الجيوب "وهو لا يختص نفسه بالدعاء بل يشارك الناس جميعا كونه واحدا منهم لغاية يصرح بها في تتمة الدعاء فيقول :" **حتى نتعايش في هذه الدار مصطلحين على الخير، مؤثرين للتقوى عاملين شرائط الدين، آخذين بأطراف المروءة، آنفين من ملابسة ما يقدح في ذات البين، متزودين للعافية التي لا بدّ من الشخوص اليها، ولا محيد عن الاطلاع عليها . إنك تؤتي من تشاء ما تشاء** "[1] .

هذه العبارات الدعائية المخضبة بالانكسار لله تعالى ولجبروته عز وجل، يتخللها ضوء باهت يدعونا إلى الإحساس بأنه لا ألفة في ذاك الزمان الذي يعايشه التوحيدي، بل إنّها اشارة خفية منه على انعدام الصديق في ظل عدم مراعاة حقوق الصداقة والألفة وصلاح القلوب والتقصير في توفيرها كالمروءة وإصلاح ذات البين، وهذا ما يؤكد أن الدعاء ليس فقط مجرد عرف عرفه كتاب الرسائل لكنه سمة أسلوبية مرتبطة بسياق الخطاب / الرسالة، ومتضمنا مقصدها فلا يمكن فصل دلالته عن الغرض الذي يتوخاه الكاتب من الرسالة، وهي تهيئة المتلقي وشد انتباهه إلى فحوى الرسالة ومن ثم إقناعه واستثارته، وإن كان المتلقي الذي يوجه إليه الخطاب لم يتعين شخصه بعد .

– الدعاء في متن الرسالة :

استعمل التوحيدي الدعاء في متن الرسالة غير بعيد عن دعائه في صدرها إذ لم يفصل بين الدعاءين إلا سبب التأليف لرسالته ليشرك في خطابه ذاتا أخرى غير ذاته وهو أحد أئمة الكتاب والعلماء :أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي : "**اللهم نفق سوق الوفاء فقد كسدت، وأصلح قلوب الناس فقد فسدت، ولا تمتني حتى يبور الجهل كما بار العقل، ويموت النقص كما مات العلم** "[2]، وفي هذا الدعاء استشعار من التوحيدي بالحاجة إلى طلب العون والسلامة من الله، ولو

[1] – أبو حيان التوحيدي، الرسالة ، ص 29.

[2] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

كان بلسان أخر غيره، تأكيدا منه للقارئ بأنه ليس وحيدا في ما يقول بل الكل ممن عرفهم يستنجدون بالله تعالى على قسوة هذا الزمان الذي غابت فيه معالم الأخوة والصداقة .

ثم إنّه يطلب من الله تعالى بعد ذلك مستجديا أن يسمع الدعاء ويستجيب له :" **فقد برح الخفاء، وغلب الجفاء، وطال الانتظار، ووقع اليأس، ومرض الأمل،وأشفى الرجاء، والفرج معدوم،وأظن أن الداء في هذا الباب قديم، والبلوى فيه مشهورة، والعجيج منه معتاد** "[1] ، لكن ما الغاية التي رآها التوحيدي في تكرار الدعاء بالدلالة ذاتها إذ لم يختلف عن دلالة الدعاء الذي وظفه في صدر الرسالة بل وأكد معناه بدعاء الخوارزمي ؟ وما الحاجة لإشراك غيره في ما يقول في خطابه، قد يدرك المتلقي أنّ التكرار هنا لفائدة التوكيد على أن الصداقة أضحت مطلبا مستحيلا في ظل شيوع الفساد، وغياب الأخلاق أنذاك .

كما وقد قد تضمنت الرسالة في متنها العبارة الدعائية لكن لم تكن من ذات التوحيدي، فقد كانت من ذوات أخرى جلبها التوحيدي في رسالته وكانت قد استحضرت جملا دعائية مثل "أحاطك الله " و" أدامك الله " وهذا النوع من الدعاء جاء على صيغة جمل اعتراضية ويعمل الدعاء المعترض على دعم المخاطبة والتذكير باتجاه الكلام إلى المخاطب، وتكون له في بعض السياقات نفس الوظيفة التي يؤديها النداء [2]، فهو يجدد الدعاء للمخاطب كي يجلب اهتمامه، ويبدو أن الدعاء في سنة التوحيدي كان " عنصرا من عناصر الرسالة ذا وظيفة بنيوية من جهة وشكلا من أشكال صناعة المعنى من جهة ثانية"[3]،كما لو أنه يريد تنبيه القارئ ليخرج به من نمط في الخطاب إلى نمط آخر، أو ليساعد القارئ على تجديد نفس القراءة . وسواء كان العبارة الدعائية في صدر الرسالة أو في

[1] – أبو حيان التوحيدي، الرسالة ، ص 29.

[2] – صالح بن رمضان،الرسائل الأدبية، ص 539.

[3] – المرجع نفسه، ص 530

متنها أو خاتمتها فإنها تمثل " أسلوبا مميزا لأدب الرسائل معبرا عن سنن في الكتابة مهيمن على هذا النثر، كما أنها تخضع لمقتضيات الخطاب وتتنوع بتنوع مقاصد الكاتب في الرسالة وغرضه منها .

بعد تلقي هذه النفحات من نجوى عبد يائس لله تعالى، يظهر أن التوحيدي ينهي خطاب المقدمة في شقه الأول مع الخالق عزّ وجل لينتقل مباشرة إلى فتح الباب للمتلقي والبداية من :

ج- دواعي التأليف:

هذه عتبة أخرى يراها الدارسون مهمة ليدخل الكاتب في حواره المقدماتي مع المتلقي فيفتح له الباب ليحدد موضوعاته وأفكاره، وهي العنصر الذي يملك فيه المؤلف السلطة المطلقة شرط أن تكون المقدمة إما المضيقة أو الموسعة، ولا يكون فيها غائبا، ومادام كذلك فهو محتفظ بها ما دام الحديث عن دواعي التأليف قائما حتى ينتهي فتنتهي سلطته ويسلمها إلى المتلقي . ودواعي التأليف "هو المكون الأول من القسم الثاني من المقدمة، هذا ما جرى علية أغلب الأدباء القدامى، ويُميز في هذه الدواعي التي كانوا يقدمونها بين يدي قرّائهم بين نوعين اثنين :أسباب ذاتية حقيقة، وأسباب ذاتية متخيلة، ثم تأتي الأسباب الموضوعية وهي كل ما تعلق بموضوع التأليف وجنسه، وفكرته "[1]، وأكثر صناع التأليف من القدماء أوردوا الدواعي في مقدمات تأليفهم مابين الذاتي والموضوعي.

والواضح في قراءتنا لمقدمة الرسالة أن الدافع الذاتي الذي كان سببا في تأليف رسالته هو الوزير بن سعدان الذي طلب منه أن يجمع حديثه عن الصداقة في كتاب، وهي عادة جرى عليها الأدباء والكتاب في تأليفهم طلبا للتشجيع والهبات والهدايا... لكن التوحيدي أجل التعريف بهذه الذات الخارجية[*] فيقول :"سمع مني في وقت بدار السلام كلام في الصداقة والعشرة والمؤاخاة

[1]- مصطفى سلوي، عتبات النص، ص 38.

[*] - والمعروف عن مؤلفات التوحيدي كلها أنه كتبها بطلب وزير أو عالم أو أستاذ ـ كما هو حال التأليف في القرن الرابع الهجري ـ في رحلته اليائسة للبحث عن مكان له بين الوجهاء وأصحاب السلطة والنفوذ .

والألفة... وسئلت اثباته ففعلت " [1] لكن من سمعه، والحديث دار في مجالس العلم والمتلقي السامع متعدد، والشاهد صيغة الفعل المبني للمجهول(سمع) .

لكننا وجدنا أنه عاد ليؤكد مرة أخرى بصفة التعريف،فيخبر عن ذلك المجهول الذي ذكره في البداية فيقول مكررا سبب إنشاء رسالته :" كان سبب إنشاء هذه الرسالة في الصداقة والصديق أني ذكرت شيئا منها لزيد بن رفاعة أبي الخير، فنماه إلى بن سعدان سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ... فقال لي ابن سعدان : قال لي زيد عنك كذا وكذا، قلت :قد كان ذاك، قال : فدون هذا الكلام وصله بصلاته مما يصح عندك لمن تقدم فان حديث الصديق حلو ووصف الصاحب المساعد مطرب "[2]، لكن لتأليف الرسالة بعد ذاتي أقوى من أن يكون طلبا من وزير يتجلى في صورة ذلك الرجل البائس الذي تتصارع في داخلة ألوان الحرقة والأسف والحسرة والغيظ والكمد .

ومن عناصر المقدمة الموصولة بدواعي التأليف الموضوعية أن يذكر المؤلف أو الكاتب أو المترسل جنس تأليفه ويبسط موضوع كتابه ويفسر عناصر العنوان الذي اختاره لكتابه و " الغالب أن يكتفي المؤلف بتحديد النوع الذي ينتمي إليه الكتاب بالإضافة إلى طرح الموضوع، أما تفسير العنوان فقليل في المقدمات التي عقدها القدماء لمؤلفاتهم بالمقارنة مع العنصرين الآخرين "[3]، والواضح في رسالة الصداقة والصديق أن التوحيدي بسط موضوع مؤلفه وبيّن جنسه " سمع مني كلام في الصداقة ...وسئلت اثباته ففعلت ... ووصلت ذلك بجملة مما قال أهل الفضل والحكمة وأصحاب الديانة والمروءة ليكون ذلك كله **رسالة** يستفاد منها في المعاش والمعاد "[4] ويقول في موضع آخر محددا جنس تأليفه هذا :" كان سبب إنشاء **رسالة** الصداقة والصديق ...فجمعت ما في **الرسالة** "[5]. من

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 29، وقد سبق الحديث عن سبب التأليف .

[2] - المصدر نفسه، ص 35.

[3]- مصطفى سلوي، عتبات النص، ص 43 .

[4] - أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 29.

[5] - المصدر نفسه، ص 35 .

هنا نخلص إلى أن المؤلف يرى تأليفه رسالة يبعث بها إلى الوزير بن سعدان بعدما طلب إليه تثبيت كل ما سمع منه عن موضوع الصداقة والصديق، لكن الرسالة طالت إلى حد لم يعد بإمكاننا التمييز بينها وبين **كتاب** ولكنه يسميها رسالة .

وهنا يمكننا العودة إلى ما يميزه القدامى بين الرسالة والكتاب، إذ يرون أن الرسالة محتوى إخباري ينقل مشافهة وهي لا تعني إلا مقاما من مقامات التواصل بين المتخاطبين، أما الكتاب فهو ما دل على التدوين، وعلى كل ما يكتب فيه، وعلى الدواة يكتب منها، والصحيفة يكتب عليها [1]، ولكن ظل التداخل بين دلالة المصطلحين في الاستعمال، ومن ذلك ما استعمله الجاحظ في الحديث عن مؤلفاته فتراه مرة يقول **رسائلي** ومرة يقول **كتابي** ولعل أنسب الدلالات في رسالة (الصداقة والصديق) هي دلالة الكتاب بمعنى الرسالة الموجهة من التوحيدي إلى عموم القراء من وراء مخاطب مفرد قد عينه وهو ابن سعدان وما يشير إلى تلك الدلالة قوله :" ... ليكون ذلك رسالة تامة يمكن أن يستفاد منها، وينتفع بها في المعاش والمعاد "[2].

كما نجد التوحيدي جريا على عادة القدماء من الكتاب قد حدد **زمن التأليف** من بدايته ثم أهمل الكتابة فيه حتى العزم على إنهائه ليكون رسالة تامة وتحديد الزمن هنا يفيد المتلقي على العودة به إلى تلك الحقبة من التاريخ واستحضار ظروف العصر السياسية والاجتماعية والفكرية التي تؤثر في فعل الكتابة، ولعل التوحيدي قد حرص على وضع الإطار الزماني لكتابته ليجعلنا نقف على تلك الظروف التي يعايشها، خاصة وأنّه قيد كلامه بسنة شروعه في التأليف ثم ذكر سنة إنهائه له، فعلمنا أن المدة كانت ثلاثين سنة . فما الذي شَغَل التوحيدي لينهي عمله هذا كل هذه المدة؟ وما الدافع وراء العودة إلى تبيضها بعدما قال أني أهملت ذلك ؟ وما قولنا وقد عرفنا أنه في آخر أيامه؟.

[1] – الزبيدي، تاج العروس، مادة (كتب)، نقلا عن صالح بن رمضان، الرسائل الادبية، ص 106 .

[2] – أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 29 .

إذن ومن خلال ما تقدم من عرض لخطاب المقدمة في رسالة الصداقة والصديق نجد أن التوحيدي لم يشذ عن القاعدة التي تعاقد عليها جل الكتاب والمترسلين في تلك الحقبة من الزمن ولا من سبقهم، فالرسالة بذلك نموذج تقليدي توفرت فيه كل العناصر رغم ما أغفله في البداية من الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

د- خاتمة الرسالة:

الخاتمة في الرسالة آخر ما يعيه السمع ويقع في النفس، لذا لا بد أن تكون الخاتمة قوية مؤثرة حاملة في طياتها ما اشتمل عليه مضمون الرسالة، وأن تكون مميزة عن سائر الكلام وأن تبتعد عن الإسهاب والتعقيد . وقد جاء ختام الرسالة تكراره الاعتذار عن طولها **وطلبه** من الوزير أن يقبل عذره. ثم ارتأى التوحيدي أن يجعل خاتمة رسالته بالدعاء أيضا كما بدأها بالدعاء والتضرع لله وحده وأن يقول متوجها لله تعالى يسأله التخفيف من وطأة " **كل ما هم النفس، ووزع الفكر، وأدنى من الوسواس** "[1]يقينا منه أن الله هو المعين في أمور الدنيا والآخرة، ثم يتجه بالحمد لله والصلاة على النبي الكريم مصطفى الأمين ، دون أن ينسى آل النبي الطيبين الطاهرين، وهي من أسباب جلب البركة، ويقول بعدها (**حسبنا الله ونعم الوكيل**) وهي العبارة الدالة على التوكل على الله في كل الأمور تتراءئ من خلالها تحقق شرط العبودية لله أن طلب التوكل عليه والاستعانة به سبحانه وتعالى، والدعاء في هذا المقام (الخاتمة) يكبح جماح الكتابة ويفتح باب الأمل في انجلاء الغمة [2]، والواضح أن التوحيدي أراد أن ينهي كلامه بهذا الدعاء لأنه في موقف فيه هم وفزع وخوف، فكان لسان حاله ومقاله الالتجاء إلى الله، والاكتفاء بحمايته عن الخلق أجمعي،. وعبارة "**حسبي الله ونعم الوكيل**" عظيمة تحتوي على معان عظيمة وعمق كبير وروعة في المضمون وهي ذات تأثير قوي، فهي تعني

[1] – أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 356.

[2] – صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية، ص 530 .

توكيل كل الحول والقوة له سبحانه وتعالى في هذا الأمر، فكانت أحسن ما يختم به الرسالة بعدما خاضه في متنها من الكمد والضيق ...

هذا وقد خرجنا من عتبات النص وتجولنا في معانيها ونبشنا في دلالاتها فوجدناها تؤطر للخطاب في رسالة الصداقة والصديق . وألفينا التوحيدي الكاتب يسير في مضمار الكتابة الفنية، بحيث التزم بكل القواعد التي سطرتها، وإن كان قد انزاح في بعض التفاصيل كالحمدلة والصلاة على النبي لكنه عاد للمضمار في خاتمة الرسالة وربما كان السبب أنّه كان في كتاباته ينقل واقعا عايشه، وعاصره بكل حيثياته، فاتسمت كتابته بعدم الانتظام في المنهج العام.

ثم ننتقل بحديثنا بعد ذلك إلى المتن فننظر كيف كان شكل الكتابة عند التوحيدي، وما الآليات التي اعتمدها هذا الكاتب البارع في تشكل الخطاب الأدبي، وأين ترتكز مقومات بلاغة الخطاب النثري، وفي الرسالة بشكل خاص.

خامسا– تشكل الخطاب في متن الرسالة:

يشكل موضوع الخطاب / الرسالة دلالة قوية وفعالة في الكشف عن مضمونه، فهو بنية كلية تدور حولها وترتبط بها أجزاء الخطاب بروابط دلالية ولغوية لسانية يريد المرسل إيصالها إلى المتلقي، وكل خطاب يتضمن فكرة رئيسية (بؤرة) يترك المرسل للمتلقي أمر استنتاجها بنفسه من خلال محاورته لتلك الدوال[1]، وموضوع خطابنا هو (الصداقة) وقد كانت دلالة التكرار في العنوان قد خلقت بنية النص الكلية، وأثارت توقعات المتلقي حول ما يمكن أن يكونه موضوع الرسالة .

تميز الخطاب الترسلي بمعان وأغراض كثيرة،وحاجتنا منها هو معنى الصداقة فـ " قد تنازع معاني الصداقة مجلان كبيران : مجال تطرق فيه المترسلون إلى الحديث عن الصداقة باعتبارها معنى مجرد وقيمة منشودة، ومجال ثان وصفوا فيه الصداقات المعقودة بينهم، باعتبارها تجارب واقعة "[2] ومن نتاجات الترسل في الحديث عن الصداقة قيمة منشودة ما كتبه ابن المقفع في الأدب الكبير وما كتبه التوحيدي في الصداقة والصديق أين أضحت الكتابة نفسها عمل يندرج في سلوك الكاتب المترسل في بحثه عن الصداقة وتعظيمه للصديق .

والخطاب في رسالة الصداقة والصديق تشكل حول رؤيتين أساسيتين الأولى : انعدام وجود الصديق ونفي الصداقة، والثانية حقوق الصديق وتقريظ الصداقة، والملفت للانتباه أن الخطابين لم يجمعهما ترتيب ولا تبويب ولا نسق في الرسالة بل كانا متناثرين في صفحات الكتاب ولا يكاد القارئ يسير في معنى النفي حتى يجل في خطاب الإثبات من دون فاصل ولا إلى ما يشير الى تغيير وضعية الخطاب حيث تتوالى الاستشهادات بعضها بإزاء بعض دون نظام منطقي ظاهر فهو لا

[1]– زاهر بن مرهون الداودي، الترابط النصي بين الشعر والنثر، دار جرير، عمان، الاردن، ط 1، 2010، ص 227.
[2]– صالح بن رمضان، الرسائل لأدبية، ص 368 .

يخضع لأي مبدأ منطقي في التأليف "[1]، وهو في الحقيقة أسلوب الكتاب الموسوعيين الذين تشعبت معارفهم بين شعر ونثر وحكمة وفلسفة وغيرها .

لكن إن نظرنا إلى الرسالة بنظرة الاضطراب والتشتت في نظام الكتابة لن نغفل أبدا أن التوحيدي كان عالما بشروط التأليف وبقواعده ومراميه وهو يشير إليها في قوله :"جمع بدد الكلام ثم الصبر على دراسة محاسنه ثم الرياضة بتأليف ما شاكل كثيرا منه وما وقع قريبا منه، وتنزيل ذلك على شرح الحال ألا يقتصر على معرفة التأليف دون معرفة حسن التأليف "[2] وذلك ما يشير إلى تمكن التوحيدي من صناعته في الكتابة والتأليف وإن هو ذاته من يعترف في كتبه أن كتابته تمنعه من ضم الشكل إلى شكله والباب إلى بابه والشبيه إلى شبيهه .

لكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا : كيف له لن يخرق نظام الكتابة وينتهج الانسقية، وينحرف عن النظام والترتيب في رسالة الصداقة والصديق، رغم أنها رسالة تختلف عن كل ما كتب إذ تتضمن موضوعا واحدا محددا، على عكس ما كتبه في " الإمتاع والمؤانسة "والبصائر والذخائر" والهوامل والشوامل " وغيرها لكننا قد نفترض إجابة لذلك فنقول ربما لأنه عايش عصرا لا نظام فيه ولا ترتيب، هو عصر التشتت والخلط، وهو عصر التباين في الثقافات والأجناس والتناقض في الأحكام والقيم ، أو ربما يرجع السبب إلى هرمه الذي أفقده التوازن، والدراية أو هو يأسه من الحياة وبداية دخوله في عالم التصوف والزهد .

نلمس هذا التشتت والاضطراب في رسالة الصداقة والصديق من خلال إقامة التوحيدي لمؤلفه على مفهومين متقابلين أو إن شئنا خطابين متقابلين هما خطاب النفي وخطاب الإثبات فنجده في الأول ينفي وجود معنى الصداقة وينفى وجود الصديق، وفي الثاني يعترف بوجود الصديق بل يصل به الأمر إلى حد تقريظ الصداقة والثناء على الأصدقاء.

[1]- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1996، ص59.
[2]- أبو التوحيدي، البصائر، ج3، ص10 .

1- خطاب النفي: انعدام وجود الصديق

كان التوحيدي في خطاب النفي ينفي وجود الصديق في واقعه الاجتماعي، نتيجة لكل الظروف التي تكبدها بسبب هجران الأصدقاء وانصرافهم عنه لأسباب كثيرة إلى حد وصل إلى حال فقد فيها "**كل مؤنس وصاحب ومرفق ومشفق، والله لربما صليت في الجامع فلا أرى إلى جنبي من يصلي معي...**"[1]. هذه الصورة من خطاب الرفض تثبتها ذات التوحيدي نفسه دون أن تستعين بما يدعمها ويشد من أزرها فيقول : "**ينبغي أن نثق بأنه لا صديق،ولا من يتشبه بالصديق**"[2] ثم يؤكد ذلك بقوله " **إذا أردت الحق علمت أن الصداقة والألفة والأخوة والرعاية ...قد نبذت نبذا ورفضت رفضا، ووطئت بالأقدام، ولويت دونها الشفاه وصرفت عنها الرغبات** "[3] وعلى هذه التيمة يسير التوحيدي في الكثير مما استدعاه من الأقوال والأشعار والأخبار والرسائل ...

2- خطاب الإثبات: حقوق الصديق

إن كان التوحيدي يعترف بعدم وجود الأصدقاء في حياته، هو لا يرفض الصداقة ما تحققت شروطها وتوفرت حقوقها فهي " **ما يلحق بها من الرعاية والحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمواساة والجود والكرم** "[4]، وإيمانا منه بضرورة توفر هذه الحقوق في الصداقة حشد في الرسالة كل ما يلبي به أفق توقع القارئ من جهة، والتأثير فيه من جهة أخرى بعدما دفعة في اتجاه دلالي مغاير قبل ذلك إلى فكرة انعدام وجود الصديق ، ولعل خطاب الإثبات كان أكثر حضورا وطغيانا، وما زاده إثباتا هو اعتماده على أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا أقوال الصحابة رضوان الله عليهم ... رغم ما حصل في الرسالة من تداخلات وتشابكات بين الخطابين، وبين نفي وجود الصديق وإثبات حقوقه في حياة التوحيدي تتراوح رسالة الصداقة والصديق حاملة بين جناباتها الكثير من المتناصات من الأشعار والأقوال والأخبار والرسائل وهو ما نعرض له تحت مسمى **التداخل الأجناسي** .

---

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 34.

[2]- المصدر نفسه، ص 36.

[3] - نفسه، ص 66.

[4]- نفسه ، ص 29.

سادسا :التداخل النصي بين الأجناس الأدبية :

التداخل الأجناسي هو تمازج بين أجناس (أنواع) أدبية مختلفة، بذلك يشكل إضافة فنية في العمل الابداعي إذ تتفاعل داخله مجموعة الخطابات ومن ثم جملة من القيم الاتصالية والسيميائية والمعرفية، ويجمع مختلف الذوات الأدبية إلى ذات المبدع في عمل واحد دون أن يفقد هويته لأنه يظل حاملا لها، وينطلق من تجربة الكاتب التي يجب أن تكون على درجة من الثراء لتستوعب الأنواع الأدبية والفنية الأخرى، وتتداخل بها دون إخلال شكلي أو ضمني.

والتداخل الأجناسي في أي عمل أدبي يزيد من ثراء النص وسحره ويخلق نوعا من الصراع بين فعالية هذا وذاك، ومن هنا أضحى " التداخل بين الأجناس قوة دافعة لكتابة الرسائل، وهي قوة تتغير بشكل مستمر صورة الجنس الأدبي الذي قد يستقر في أذهان القراء، وقد رأينا حركة الترسل كانت تمضي في اتجاه (التهام) سائر الأنظمة الأجناسية "[1] لأن الرسالة باعتبارهاخطابا أدبيا لا يتشكل إلا إذا قامت على حركة داخلية تتفاعل وفقها أجناس أدبية من شعر ونثر .

لا شك أن كل نص يضمر داخله طاقته وطاقة مؤلفه الذي يتخلى عن سلطته عليه فور تسليمه للمتلقي الذي يلبسه بدوره طاقة جديدة محاولا أن يستوعب بها طاقة النص، وانطلاقا من أن كل نص إبداعي / كتابة أدبية تنطوي على قدر ملحوظ من التفاعل النصي وتفترض قدرا من المعرفة الضمنية بما سبقها أو عاصرها من نصوص . كما أنه لا يمكن لأي خطاب أدبي أن يكون أحادي اللغة والصوت. ذلك أنه لا يحمل الذات المنتجة له فقط بل يحمل أيضا ذواتا خارجية . فبلاغة الخطاب تقتضي أن يرفد المخاطب كلامه بنصوص وأقوال من خطابات أخرى سواء كان حضورها مباشرا أو متضمنا له . وهو ما يصطلح عليه **بالتداخل النصي**.

[1]- صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية، ص 485.

يعد **التداخل النصي**[*] من المفاهيم الواردة إلينا من الفكر الغربي، والتي عرفتها الدراسات العربية في العصر المعاصر بترجمات مختلفة، ويعني التداخل النصي : تفاعل النصوص وأشكال الكتابة في نص واحد، والكتابة باعتبارها فعلا ثقافيا وإبداعيا لا تحاول إعادة صياغة الواقع كما يراه المبدع فحسب، بل تحاول كذلك إعادة صياغة الكتابات السابقة فهي تحاول امتصاص العديد من النصوص والمصادر المتنوعة وتخضعها لعملية البناء والهدم وتوظفها بطريقة جديدة وغير مباشرة .

يعد الناقد الروسي **باختين** (**Bakhtin**) أول من أشار إلى التداخل النصي ولكن بمصطلح مغاير هو **الحوارية** (**Dialogism**) بمعنى حوار بين النص وكاتبه وما يحمله هذا الأخير من خبرات وتجارب سابقة، كما أنه حوار بين النص ومتلقيه وما يملكه هذا المتلقي من معارف واستعدادات سابقة . كما أن الناقدة البلغارية **جوليا كريستيفا** (**Gulia Kristiva**) هي أول من استخدم مصطلح التداخل النصي(**Intertextualite**) مقابلا لهذا المفهوم[1]. وهو مفهوم يحيل إلى تجمع العديد من النصوص التي جمعها الكاتب من خلال قراءاته السابقة فتخزنت في ذاكرته العديد منها، فيستحضرها في لحظة إنتاج النص محاولا تسخيرها لانفتاح الدلالة .

وبعد كريستيفا يأتي الناقد الفرنسي **رولان بارت**(**Roland Barthes**)ليتحدث عن التداخل النصي بوعي كبير حيث يرى أن كل نص هو تناص، وأن النصوص الأخرى تتراءئ فيه بمستويات مختلفة من خلال هذه النصوص تدرك الثقافات السابقة، فالنص ليس إلا نسيجا جديدا

[*] - في قضية التناص او التفاعل النصي او التداخل النصي او الترابط النصي ينظر : محمد مفتاح، تجليات الخطاب الشعري استراتيجية التناص . محمد خير البقاعي، دراسات في التناص والتناصية ـ محمد عزام، النص الغائب، عد العزيز حمودة، المرايا المحبة، ومقال لسعيد يقطين بعنوان التفاعل النصي في مجلة علامات في النقد الادبي عدد 1999. مصطفى المويقن، من التداخل النصي الى الممارسة النصية . عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير ـمحمد بنيس، الشعر العربي الحديث .سعيد يقطين،÷ انفتاح النص الروائي ...

[1] - محمد عزام، النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي،منشورا اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،دط، 2001، ص36.

من استشهادات سابقة[1] وبالتالي فإن **بارت** وسع مفهوم التداخل النصي ومنحه دلالة شاملة، فالتداخل النصي عنده تفاعل وتبادل واتحاد، وحوار بين نصين أو نصوص تتصارع فيما بينها ليبطل أحدهما مفعول الآخر، فهو يدرك أن النصوص الأدبية إنما بنيت على أساس التداخل فيما بينها لأنها تجمع أكثر من صوت وأكثر من ثقافة داخلها .

وإن كان ما سبقت الإشارة إليه من الدراسات والباحثين يشكل مراحل الميلاد والتقعيد والتنظير فان مرحلة التجديد والتطور كانت على يد الناقد الفرنسي **جيرار جينيت(Gerard Genette)** الذي استفاض في البحث في ماهية المصطلح فلم يتوقف عند حدود البحث التي رسمها سابقوه بل تجاوزها إلى البحث في ما أسماه ب" التعالي النصي **Transtextualité** بمعنى كل "ما يجعل النص يتعالق مع نصوص أخرى بشكل مباشر أو ضمني "[2] .وتعتبر جهوده البحثية آخر مرحلة تبلورت فيها المصطلحات التي تدخل في باب التداخل بين النصوص والأجناس الأدبية، وخاصة كتابه مدخل لجامع النص.

هذا وإن شهد حقل النقد الغربي نضج هذه الظاهرة وعرف تطور آلياتها لا يعني أن الحقل النقد العربي قد خلا منها خاصة النقد القديم، فقد مارس النقاد القدامى مصطلح التناص أو التداخل النصي تنظيرا وتطبيقا من خلال طرحهم لأبواب نقدية مختلفة وتحت مسميات متعددة منها : السرقات الأدبية، والتضمين، والاقتباس، والتلميح ... كما وحفلت مصادر النقد والبلاغة العربية بهذه الظاهرة بل احتوت مصنفاتهما العديد من مفاهيمها وحدودها وقضاياها بصيغ متعددة، كما أنهم أدركوا التفاعلات النصية وتداخل السياقات وعرفوا هجرة المعاني والألفاظ من غرض إلى غرض. بل إنهم عرفوا تداخل الأجناس أو التناصية الأجناسية [3]، لذلك حرضوا على التزود بقراءة

[1]- محمد عزام، النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي ، ص ص18 ـ 31.

[2]- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق،ص 96.

[3]- نهلة فيصل احمد، التفاعل النصي . التناصية، النظرية والمنهج،.الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2010، ص222.

الشعر والأمثال والرسائل والاستشهاد عليها، من ذلك : ابن رشيق، والعسكري، وابن طباطبا وابن خلدون .

ولا شك في ضلوع العرب في هذا الباب من الدراسات فقد كان كلام العرب " ملتمس بعضه ببعض وآخذ أواخره من أوائله، والمبتدع منه والمخترع قليل إذا تصفحته، والمحترس المتحفظ بلاغة وشعرا من المتقدمين والمتأخرين لا يسلم أن يكون كلامه آخذا من كلام غيره، وإن اجتهد في الاحتراس، وتخلل في الكلام، وباعد في المعنى، وأقرب في اللفظ وأفلت من شباك التداخل ومن ظهر أن كلامه لا يلتبس بكلام غيره، فقد كذب ظنه، وفضحه امتحانه" [1]، وهذا النص غيض من فيض مما سجله العرب القدامى في باب التداخل النصي وإن لم يعرفوه بالمصطلح لكنهم عرفوا ماهيته واشتغلوا عليه في مقارباتهم لتراثهم النثري والشعري خاصة .

وأبو حيان التوحيدى نفسه يقول على لسان أحد شيوخه" :وما أحسن معونة الكلمات القصار المشتملة على حكم الكبار لمن كانت بلاغته في صناعته بالقلم واللسان، فإنها توافيه عند الحاجة، وتستصحب أخواتها على سهولة، وهكذا مصاريع أبيات الشعر فإنها تختلط بالنثر متقطعة وموزونة، ومنتثرة ومنضودة [2]. وعلى أساس هذه الرؤية تمثلت رسالة التوحيدي بصيغة استدعائها لأنواع خطابية متعددة الاصوات . فالرسالة كلها لا تخلو من نصوص تنتمي في شكلها ومضمونها إلى أجناس من الخطابات كالرسائل والأقوال المأثورة والأخبار والأشعار والآيات القرآنية والأحاديث النبوية ...

التداخل النصي ظاهرة تقتضي أن العمل الأدبي إنما يدرك في ظل علاقاته بالأعمال الأدبية الأخرى، فالأدب لا يتعدى كونه مجموعة من نصوص سابقة ومعاصرة أعيدت صياغتها بشكل

[1]- محمد بن الحسن الحاتمي، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تح،جعفر الكتاني،ص28. نقلا عن: نهلة فيصل احمد، التفاعل النصي، ص222.

[2]- أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، م س، ج2، ص146 وينظر، نهلة فيصل احمد، التفاعل النصي، ص223.

جديد لأن الكاتب بمجرد إصدار نصه يدخل في عمليات تناص متعددة ومختلقة ويظل النص بذلك فاعلا ومنفعلا، مؤثرا ومتأثرا، إلى أن تصبح عملية إنتاج النص عملية تشترك فيها النصوص الغائبة وبهذا التفاعل يولد نص جديد يشكل في الوقت نفسه تناصا مع مكنونات الثقافة والقارئ [1]، ويحيل هذا إلى أن الأديب إنما يلجأ إلى هذه التقنية إمّا بغير وعي لكونه يبدع أساسا من خلفية فكرية مترسبة أو مكتسبة، وإما بوعي لهدف مقصود هو نقل المفاهيم والأفكار للقارئ بطريقة جمالية تعتمد الإيحاء والغموض بغية استقصاء المعنى المقصود الذي يتزايد ويتعدد بفعل ذلك الانتقال التناصي، هذا الانتقال الذي يتحول على ضوئه النص إلى بنية متقاطعة مع مختلف النصوص السابقة أو المعاصرة لها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يعكسها مستوى التأثير والتأثر.

إن القارئ لرسالة الصداقة والصديق يلاحظ ذلك التعالق النصي/ التداخل النصي ـ الأجناسي في متنها، إذ تشكل التفاعلات النصية آلية من آليات تقبل الآخر عن طريق استحضاره بصفة ضمنية أو معلنة صريحة، بذلك يفتح المجال أمام المساءلة والحوار بينها باعتبار أن النص يشتغل منفتحا على نصوص سابقة رافضا الانغلاق، وباعتبار أن كل نص حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله مثل الحدث التاريخي، فإن التداخل بينه وبين نص أو نصوص أخرى كارتباطه بحدث أو بمكان أو بزمان هو من أهم ما تهدف إليه دراسات التداخلات النصية.

يشكل حضور الاستشهادات في الرسالة كيفية من كيفيات التداخل النصي التي تتعدى كونها آلية من آليات الكتابة عند التوحيدي إلى كونها استراتيجية لخلق الحوار بين أطراف الخطاب والأجناس الخارجة عنه" فالرسالة تتألف من خطابات متباينة في البنية والدلالة " [2]، فهناك الشعر والنثر بوصفهما جنسين أساسين يسيطران على الرسالة، والنثر ينقسم إلى أصناف منها : القول والحكاية والحكمة والمثل والرسالة ...

[1] – محمد عزام، النص الغائب، ص ص 9-10.

[2] – محمد بنيس، تمارين الصداقة، مجلة فصول، ص277.

ما يلفت الانتباه في مؤلف التوحيدي أن ظاهرة التداخل النصي يمارسها بوعي الكاتب البارع، ودليل ذلك جاء في بداية الرسالة عندما عرض لسبب تأليفه لها حين يشير :" **ووصلت ذلك بجملة مما قال أهل الفضل والحكمة، وأصحاب الديانة والمروءة** "[1]. مما يعني أنه يحدد منذ البداية لمتلقيه آلية صناعته للخطاب في رسالته خاصة وأن هذا الخطاب يصدر من ذات تحتك بهذه القيمة (الصداقة) في سياقها الاجتماعي، وبهذا فإن التوحيدي قد حدد المبتغى والمقاصد وحتى الآليات التي يتشكل بها خطابه وهي حشد من النصوص والأقوال المتباينة في أنواعها وأجناسها، والمتباينة أيضا في انتماءاتها، لكنها مع التباين والاختلاف تتقاطع في سياق المقام الذي يحيل القارئ إلى وعى التوحيدي وإدراكه لضرورة وجود هذه القيمة الاجتماعية في الحياة من جهة، ووعيه وإدراكه لمتطلبات المتلقي والبحث عن آلية لإقناعه من جهة أخرى ، فجاءت تلك التداخلات المتباينة منسجمة مع سياق الخطاب الذي أنتجه التوحيدي، وفيما يلي نعرض لتداخلات النص الرسائلي مع جملة الخطابات الأخرى:

1 ـ القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو النص الكامل والمعجز والتأثر به أمر لا يختلف فيه اثنان أبدا، ذلك أنّ القرآن أو النص الديني يملك حضورا قويا في إنتاجات الأدباء والشعراء إذ بقي ملهما لهم يستخدمون لغته، وتشبيهاته وأساليبه، وينهلون من قصصه ومعانيه الباقية الخالدة من ظهور الرسالة الاسلامية حتى يرث الله الارض ومن عليها، والقرآن الكريم شكل رافدا من روافد التداخلات النصية في الرسالة بكل أنواعها، بل إنه يستعان به كونه الشاهد الأقوى سلطة بين كل النصوص .

غير أن طرائق الاستعانة بالنصوص القرآنية اختلفت بين الأدباء والشعراء فمنهم من جاء تناصه اقتباسا مباشرا، ومنهم من اعتمد امتصاص معاني الآيات القرآنية ووظفه في نصه، ومنهم من

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 29.

أخذ المعنى كما هو ومنهم من غير في دلالته، ومما لا شك فيه أن استدعاء النص القرآني في الكتابات الأدبية يحتاج إلى " القدرة على صناعة السياق الأدبي الملائم للشاهد أي القدرة على كتابة السياق الذي يتحول فيه الشاهد مقولا جديدا "[1]، والمعنى المقصود هنا هو أنه يجب استحضار الشاهد القرآني في سياق مناسب لدلالته .

لذلك لم يتوان التوحيدي ليجعل القرآن الكريم حاضرا في رسالته وحضور القرآن في الرسالة كان على شكل **الاقتباس**، كما أنه يدرك بحسه الفكري أثر النص القرآني على المتلقي لأنه يعلم جيدا أن المتلقي يستأنس بالقرآن الكريم، وبالتالي فهو يستخدم هذا النص بغرض الوصول إلى المتلقي والتأثير فيه، فيصل به إلى درجة الإقناع، غير أنه كان يستحضر النصوص القرآنية بدون ذكر السورة ولا رقم الآية ، واستحضاره لنصوص القرآن لم ينبع من ذاته هو بل اعتمد في استحضارها على ذوات أخرى شكلت خطاباتها وفقَهُ، بحيث تتداخل الخطابات فيغيب خطاب التوحيدي ليفسح المجال لذات غيره، وهي بدورها تستدعي النص القرآني، للغاية نفسها التي من أجلها استدعاها التوحيدي في خطابه الأصلي،دونما ذكر لمصدر النص المستدعى، فيكتفى بالإشارة إليه بقوله : يقول تعالى أو قال الله تعالى أولم تسمع قوله تعالى، وهو بذلك يدفع بقارئه إلى استحضار قدرته على التذكر ومن ثم استظهار مخزونه المحفوظ في ذاكرته .

ففي حاجة الناس إلى الإخوان يقول : ألم تسمع قوله تعالى :(**فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**)[2]، للوقوف على معنى الآية نجده تصويرا لحال أهل النار الضالين المجرمين وهو يدركون أخيرا أن لا أحد يشفع لهم عند الله فيرد عنهم العذاب ولا صديق نافع ولا حميم [3]، ولعل التوحيدي استحضر هذه الآية في تداخل مع قول السلف ليشير إلى حال أهل الدنيا ممن لا يجدون الصديق

[1]- ينظر : صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية، ص 454.

[2]- سورة الشعراء، الآية 100. ينظر في الرسالة : ص 48 .

[3]- ينظر : أبي فداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم،ج....،تح سامي بن محمد بن السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض،المملكة العربية السعودية، ط2، 1999،ص 151.

الحميم إذ تكون حاجتهم إليه كبيرة والآية بهذا المعنى أدت ما يريد أن يقوله التوحيدي بقوله " عليك بالإخوان " لأن الصديق إذا كان صالحا نفع، والحميم إذا كان صالحا شفع .

ونجده بعد ذلك وفي نفس السياق السابق عن ضرورة أن يبحث الانسان عن أخ له يجعله عدة في الدنيا يستحضر قول رجل بمكة كان اسمه ابن الجلاء في قوله :" اطلبوا الخلة " ويقصد الصداقة والأخوة ثم يرفد قوله بقول الله تعالى : (**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**)[1]،أي كل صداقة وصحبة لغير الله فإنّها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل، فإنّه دائم بدوامهِ [2]، ولعل الذي ضمن هذه الآية الكريمة يريد بها تقوية كلامه حين قال أن الإخوان والأصدقاء إن لم تجمعهم التقوى والمودة الخالصة لله تعالى ما استفادوا في الدنيا والآخرة .

وفي قوله تعالى : (**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**)[3] ذلك أن الله تعالى أخبر نبيه الكريم أنّه جمع بين قلوب (الاوس والخزرج) بالإيمان بعد ما كان بينهم من العداوة والبغضاء في الجاهلية، عن ابن عباس قال :" صلة الرحم تقطع، ومنة النعمة تكفر، ولم ير مثل تقارب القلوب"[4]، والسياق ذاته هو ما استدعى **قوله تعالى** :(**إِ نَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**) [5] أي أن الناس كلهم إخوة إيمان ودين، والله وحّد بين قلوبهم بأخوة الاسلام [6]، والواقع أن كل هذه الشواهد القرآنية تقدم لصورة الصداقة بمفهوم الأخوة الدينية .

ينطوي التداخل بين متن الرسالة ونصوص القرآن الكريم على وظيفة الإقناع، من حيث استخدامه استخداما صريحا، وذلك بنسبته لقائله ولو خلا الأمر من ذكر السورة والآية، لكن القارئ

[1]- سورة الزخرف، الآية 67 . ينظر في الرسالة ص92.
[2]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 236.
[3]- سورة الأنفال، الآية 63 ينظر في الرسالة ، ص 202.
[4]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج 4، ص84 .
[5]- سورة الحجرات ، الأية 10 . ينظر في الرسالة ص320
[6]- ابن كثير، تفسير القران العظيم،ج7، ص 375 .

يعلم مصدر الشاهد ويسلم لسلطته التي يبسطها الكاتب في عملية استحضاره ليشكل نوعا من الأدلة الحجاجية، والتوحيدي في استعماله للشاهد القرآني " يرمي إلى اشراك المخاطب في نفس الرأي الذي يعبر عنه، ونظرا إلى ما بينهما من ثقافة مقيم مشتركة يمثل الشاهد جزءا منها "[1] ، والرسالة في تكوينها الكتابي تستند إلى توظيف الشاهد لتحقيق الإقناع والاستمالة مع التركيز على إشراك المتلقي من جهة، ومراعاة مقام الشاهد الذي يستعمل فيه من جهة أخرى .

يشكل اقتباس هذه الآيات القرآنية ضمن نصوص أصحابها الذين قد استحضرهم التوحيدي في خطابه دعامات أساسية يستعان بها لتمكين المتلقي من الاسترشاد به من جهة ومن الاقتناع بما يلقيه إليه الكاتب من جهة أخرى . كل هذه الخطابات تشابكت ما بين النص القرآني وأقوال الحكماء والفلاسفة والعلماء، لكنها في آخر الأمر تصل إلى المتلقي منسجمة كل الانسجام إذ أن كل خطاب منها استدعى خطابا آخر وفق تسلسل يجعل كل خطاب منها يسلمك إلى خطاب آخر دون شعور بالتشظي والتمزق بين الخطابات.

تبقى سلطة النص القرآني أقوى من أي سلطة أخرى وحضورها في الخطاب يشكل قوة أعظم من أي قوة أخرى لذلك فإن كانت في خطاب الكاتب نفسه أو في الخطاب المستدعى من الكاتب لا يفقدها قوتها وسلطتها.

2ـ الحديث الشريف :

اعتمد التوحيدي في تشكيل خطابه على خطاب ثان بعد آي القرآن الكريم يملك من السلطة والقوة ما يخولها لتكون خطابا حجاجيا وشاهدا قويا على ما يرمي الكاتب إيصاله إلى المتلقي، ومن ذلك حضور أقوال النبي صلى الله عليه وسلم في غمار الحديث عن الصداقة والأصدقاء "**فالمؤمن**

[1]- ينظر : صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية، ص 506 .

مألفة "[1] وانطلاقا من هذا المعنى كان التوحيدي بين الحين والآخر يسترفد أقوال العلماء والأدباء بأحاديث نبوية شريفه، لكنه لم يشأ أن يعلن عن مصدر الحديث فيقول : **وروي عن النبي صلى الله عليه وآله كان يأكل تمرا ومعه جليس له، فكان النبي إذا رأى حشفة عزلها، فقال جليسه : يا رسول الله اعطني الحشفة حتى آكلها قال : لا أرضى لجليسي إلا ما أرضاه لنفسي** "[2] وهذا الخطاب استعمله التوحيدي ليبين أن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا خلقه مع الجليس فكيف مع الصديق ؟ والمقصود هنا أن للصداقة حقوق يجب مراعاتها مع الجليس ومع الصديق، ومما ذكره التوحيدي ذكرا صريحا عن الرسول صلى الله عليه وسلم يتواشج مع خطاب الإثبات، إذ شكلت أقوال النبي عليه السلام أيضا قوله :"**مداراة الناس صدقة** "[3]وقوله في باب الحديث عن التآلف الروحي بين الإخوان والأصدقاء :" **الأرواح جنود مجندة تتلاقى في الهواء فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف** "[4]وغاية التوحيدي في هذه المواضع كلها من استحضاره لأقوال النبي إنما يثبت ما قاله أن للصداقة حقوق لا تثبت وتتوطد إلا بحضورها في علاقتك بالآخر ومنها " **تصافحوا فإن التصافح يذهب غل الصدور، وتهادوا فإن الهدية تذهب السخيمة** "[5] ،**وقال :" تهادوا تحابوا** "[6] وهو الأمر الذي جعل منه التوحيدي ـ استنادا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حقا ملزما على كل مسلم، لذلك تجده يستعين بمتناصات صريحة تتلون بلون خطابه، فلا تخرج عن سياقاته التي أوجدها، ولا تنحرف عن القصدية التي استدعاها من أجلها . إذا ندرك من خلال قراءتنا لأقوال النبي أنها توافق دلالة البنية الكبرى للخطاب وهي " **قيمة الصداقة**" والتي سعى التوحيدي إلى تشكيل زخم هائل من الطبقات الخطابية حولها باعتبارها نواة.

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 120.

[2] - المصدر نفسه، ص 41.

[3]- نفسه، ص 74.

[4]- نفسه، ص 124.

[5]- نفسه، ص 181.

[6]- نفسه، ص 201.

من هنا كان حضور الحديث الشريف في رسالة الصداقة والصديق يثبت حضور **الوظيفة التعليمية التوجيهية** الغرض من وراء استحضار الحديث النبوي الشريف كمرجعية من مرجعيات الثقافة الاسلامية هو استحضار ما يبرر موقفه ويعزز حجته وهي إثبات قضية حقوق الصداقة والدعوة إلى اكتساب هذا السلوك الاسلامي في علاقاته بغيره.

هذا ويسترفد التوحيدي النصوص الدينية بجملة من أقوال الصحابة ليثبت بها ما سبق مما ذكر فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي يشير إلى أن " حق الجليس إذا دنا أن نرحب به، وإذا جلس أن يوسع له، وإذا حدث أن يقبل منه، وإذا عثر أن يقال، وإذا أنقص أن ينال، وإذا جهل أن يعلم "[1]، وهو ما يردفه التوحيدي في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرى أن حق الصديق في الإسلام عندما قال له رجل :" والله إني أحبك في الله، قال لو كنت كما تقول لأهديت إلي عيوبي "[2]، وأبلغ ما يكون بين الصديق والصديق : مما يصفي لك ودّ أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الكنى إليه "[3] . وأما على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول أن خير الإخوان " من أحدثت لك رؤيته ثقة به، وأهدت إليك غيبته طمأنينة "[4] بل إن حقوق الصديق أقلها " الوقوف على قبره"[5].

لكن مقابل هذا الخطاب يصدر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكرا مضادا لما سبق، رغم أنه يرى فيهم النفع ولكنه جعلهم بمنزلة النار قليلها متاع وكثيرها بوار[6] والقول في حقيقته يحمل في ثناياه حمولة عقلية ومعنوية صدرت من ذات خبرت الصداقة والأصدقاء، وحضورها لا شك

[1]- أبو حيان التوحيدي،الرسالة ، ص 62.
[2] - المصدر نفسه، ص 243.
[3]- نفسه، ص 284.
[4]- نفسه، ص 61.
[5]- نفسه، ص 42.
[6]- نفسه، ص49.

يدعم السياق ويعزز المقال، ذلك أنّ كل هذه النصوص المتداخلة لم تخرج عن سياق الإثبات الذي رسمه التوحيدي في قضية الصداقة وحقوق الصديق ولعله - بل الأكيد. أنه وجد في استدعائه لها سلطة داعمة .

3- **الشعر** :

تمثل الرسالة في تاريخ الفن النثري علامة من علامات حضور الأجناس الأدبية، ومنتهى ما بلغته صناعة النثر الفني، إذ يتمكن المتلقي من ترسم مختلف وجوه التفاعل بين الأنسجة الأدبية المكونة للنص، ويمكنه أيضا وضع الخطاب الأدبي في محيطه اللغوي والأدبي والفكري دون أن يتحول ذلك إلى بحث عن الروافد المكونة للنص، والمؤثرات المتحكمة في ثقافة الكاتب، والشعر واحد من المكونات الرئيسية والروافد الهامة في تشكل الخطاب الرسائلي .

إنّ صلة **الشعر بالنثر** في التراث الأدبي تكاد تكون سمة إنشائية في عديد النصوص (الخطبة والمقامات والرسائل)حيث كانت مقاصد الشعر مظهرا من مظاهر التفاعل بين هذين الخطابين الأدبين "وبهذا فإن صلة الرسائل بالشعر من حيث المقاصد هو أن لأوضاع التخاطب دور حاسم في تحويل مقاصد الشعر وأغراضه إلى مقاصد وأغراض ترسلية وتخاطبية "[1]،حتى أن ابن الاثير شبه الرسائل الإخوانية بالنسيب والتشبيب في الشعر.

يمثل التداخل بين **النثر والشعر** في التراث الأدبي ظاهرة قديمة وسمة مشتركة بين مختلف الأجناس النثرية ، وقد برزت هذا التداخل منذ أوائل القرن الثالث الهجري حيث استخدم كتاب الرسائل النثر للكتابة في أغراض استأثر بها الشعر[2] والتداخل بين الشعر والنثر ليس أسلوبا من أساليب تحسين الكتابة وتجويدها بل هو مقوم من مقومات الخطاب الأدبي في النثر العربي القديم،

[1]- صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية، ص 353.

[2]- صالح بن رمضان، التداخل بين الأجناس الأدبية في المقامات، مجلة جذور السعودية،ج4، مج2 العدد 4، سبتمبر 2000، ص 106 .

ونعني بهذا أن استخدام الشعر في غضون الإنشاء النثري قد استقر في تصور الكتاب لصناعة النثر، وقد أنجزوا هذا التصور في مختلف الأجناس الأدبية القديمة مقاصدها وأغراضها من مقاصد الشعر وأغراضه " [1].

إنّ الإبداع عملية نفسية ولذلك فالتداخل الأجناسي مرتبط بميولات الشخصية والنفسية للمبدع، ورسالة الصداقة والصديق جاءت تصويرا نفسيا لثنائية انعدام وجود الصديق وحقوق الصداقة وتقريضها، وازدواجية الفكرة بين الصداقة المرفوضة والمنعدمة وبين حقوق الصديق هي بؤرة التداخل في الرسالة لذلك حاول التوحيدي أن يستدعي كل ما في ذاكرته من المخزون الشعري ليعبر عن إيديولوجيته الخاصة من قضية الصداقة وإن كان يتوارى خلف متناصاته، هذه الأخيرة التي تلاقحت جميعها في نسيج واحد لتدعم تلك الإيديولوجية من جهة، ولتوجه المتلقي إلى قبول تلك المعاني من جهة أخرى، ولأن التوحيدي يدرك جيدا حدود الكتابة ومعايير صناعتها فهو استدعى من النصوص ما يملك الهيبة والسلطة معتمدا على الفحص والانتقاء والاختيار .

اعتمد التوحيدي في عملية استدعاء النصوص المجاورة على الأقوال ذات القيمة والوزن في الذاكرة الجمعية ليبني نصا يؤكد به رؤيته، ولأن الشعر أحد الأجناس التي تفسح المجال للتعبير عن الذات وفضاء للإبداع اللغوي [2] استدعى التوحيدى من النصوص الشعرية ما يصور بها مشاعره ومشاعر أصحابها ليوجه لحضور ذواتهم داخل الخطاب، وإن كان حضور الأشعار في الرسالة لا يخرج للأغراض المعروفة والمتعددة التي عرفها الشعر في مواضيعه بل التزم التوحيدي بالغرض العام لرسالته وفق خطابي النفي والإثبات، لذلك جاء استدعاء النصوص الشعرية إما لنفي وجود الصداقة فوظف كل ما جادت به قرائح الشعراء في ذم الزمان بدون صديق أو في ذم صفات بعض الأصدقاء

[1]- صالح بن رمضان، التداخل بين الأجناس الأدبية في المقامات، ص106.

[2]- محمد مشبال، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مقاربة بلاغية حجاجية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص 174.

والإخوان، أو ما تضمن حقوق الصديق على صديقه، وما يثبت أن للصديق صفات وجب التحلي بها في كسب أصدقائه .

لذلك ارتكزت استراتيجية التناص أو تداخل النصوص النثرية / الشعرية على استدعاء الخطاب وضده فمن خطاب النفي ما أنشد أبو إسحاق بن هلال الكاتب الصابي في إخوان زمانه :

أَيَا رُبَّ كُلُّ النَّاسِ أَبنَاءُ عِلَّةٍ ... أَمَّا تَعْثِرَ الدُّنْيا لَنَا بِصَدِيقِ

وُجُوهٍ بِهَا مِنْ مُضْمَرِ الْغُلِّ شَاهِدُ ... ذُوَاتٍ أُدِيمُ فِي النِّفَاقِ صَفِيقَ

إِذَا اعترضوا دُونَ اللِّقَاءِ فَإِنَّهُمْ ... قَذى لِعُيُونٍ أَوْ شَجًّى لِحُلُوقِ

وَإِنَّ أَظْهِرُوا بُرْدَ الْوِدَادِ وَظِلَّهُ ... أَسُرُوا مِنَ الشَّحْنَاءِ حُرُّ الْحَرِيقِ

أَلَا لِيتَنِي حَيْثُ انتوت أَفْرَخُ الْقَطَا ... بِأَقْصَى مَحَلٍّ فِي الْفَلاَةِ سَحِيقَ

أَخُو وَحْدَةٍ قَدْ آنستني كأنني ... بِهَا نَازِلٌ فِي مَشْعَرِي وَفَرِيقَي

فَذَلِكَ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ ثوائه[*] ... بِمَسْبَعَةٍ[**] مَنْ صَاحِبُ وَرَفِيقُ[1]

يرى الشاعر كما يرى التوحيدي أن الصديق منعدم وجوده لأن النفوس لا تضمر إلا الشر وإن ظهر على الوجوه الخير، والأَولَى لمن يعاشر مثل هؤلاء الناس أن يرتع في الفلاة أين تفرخ القطا فهي أأمن من أرض تشبّه فيها الأصدقاء والإخوان بالسباع، وفي هذا الشاهد الذي استدعاه التوحيدي مع ذكر قائله تداخل صريح منه وجده يقوي رأيه ويدعم قوله بل إن الصداقة عملة نادرة ولو تغرب الناس بحثا عنها :

[*] - ثوائه : ثوى : عاش واستقر.

[**] - مسبعة : ارض السباع .

[1] – أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 37.

تَغَرَّبْتِ أَسَالَ مَنْ قَدْ رَأَى مِنَ النَّاسِ هَلْ مِنْ صَدِيقِ صَدُوقٍ

فقالوا عَزِيزَانٍ أَنْ يُوجِدَا صَدِيقَ صَدُوقٍ ، وَبِيضَ الْأَنُوقُ[1]

غير أن حسن اختيار الصديق أمر مطلوب لضمان السلامة، فربّ عدو جاهل أأمن لك من صاحب جاهل، فالأول يمكنك مكاشفته ومغالبته، لكن الثاني تعجز عن مكاشفته حياءً وإبقاءً على الود بينكما، وفي هذا المعنى يقول صالح بن عبد القدوس :

عَدُّوكَ ذُو الْعَقْلِ أَبْقَى عَلَيكَ مِنَ الصَّاحِبِ الْجَاهِلِ الْأَخْرَقِ

وَذُو الْعَقْلُ يَأْتِي جَمِيلٌ الأمو ر وَيَعْمِدُ للأرشد الأنوق[2*]

ثم إن الصداقات التي لا تحمل في طياتها معاني الود والحياء والمروءة صداقات زائفة على حد تعبير سعية بن عريض اليهودي :

وَإِذَا تَصَاحُبِهُمْ تُصَاحِبُ خَانَةً وَمَتَى تَفَارُقُهُمْ تَفَارُقٍ عَنْ قِلى

إِخْوَانِ صِدْقٍ مَا رأوك بِغِبْطَةٍ فَإِذَا أُفْتُقِرْتِ فَقَدْ هَوَى بِكَ ماهوى[3]

ويقول ابن الأعرابي فيما روى عن ابن مقسم عن ثعلب:

وُصِلْتِكُمْ جَهْدَي وَزِدْتِ عَلَى جَهْدِي فَلَمْ أَرَّ فِيكُمْ مِنْ يَدُومُ عَلَى الْعَهْدِ

تأنيتكم جَهْدُ الصَّدِيقِ لِتَقَصَّدُوا وَتَأْبَوْنَ إلّا أَنْ تَحِيدُوا عَنِ الْقَصْدِ

فَإِنَّ أَمْسِ فِيكُمْ زاهِدَا بَعْدَ رَغْبَةٍ فَبَعْدَ اِختبَارً كَانَ فِي وَصْلِكُمْ زُهْدِي

تعزوا بِيَأْسٍ عَنْ هواي فإنني إِذَا أُنْصُرِفْتِ نَفْسُي فَهَيْهاتٌ مِنْ رَدِّ

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 193.

[*] – الأنوق وهو العقاب والمثل يقول " أعز من بيض الأنوق " يعني لا سبيل اليه .

[2]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 38.

[3] – المصدر نفسه، ص 193، ص 53.

أَرَى الْغَدْرُ ضِدًّا لِلْوَفَاءِ وإنني لِأَعْلَمُ ان الضِّدُّ يَنْبُو عَنِ الضِّدّ[1]

ويحاور التوحيدي نصوصا شعرية أخرى تختلف في ماهيتها عما سبق من الدلالات ليتضح للمتلقي أنه يسعى فيمن سعوا ليرسموا صورا مضيئة عن أصدقائهم، ويفصحوا عن حاجتهم للصداقات رغم أن التوحيدي لم يفصح عن صاحب الأبيات يقول:

أَنْتُمْ سُرُورُي وَأَنْتُمْ مُشْتَكَى حُزْنِي وَأَنْتُمْ فِي سَوادِ اللَّيْلِ سَمَّارِي

أَنْتُمْ وَإِنَّ بَعُدْتِ عَنَا مَنَازِلُكُمْ نَوَازِلُ بَيْنَ أَسْرَارِي وَتَذْكَارِيِّ

فَإِنَّ تكلمت لَمْ أَلَفْظَ بِغَيْرَكُمْ وَإِنَّ سكتّ فَإِنْتَمِ عُقَدَ إِضْمارِي

اللهِ جَارِكُمْ مِمَّا أَحاذَرُهُ فِيكُمْ وَحُبَّي لكَمْ مِنْ هَجْرِكُمْ جَارِي [2]

والصداقة الحقة لا تقوم لها قائمة بين الناس إلى برعاية الوفاء والود ولذلك كتب الزهيري إلى ابن السكن صديقه وقد نأى عنه بالمسافة يقول :

لَئِنْ غَابَ عَنْ عَيْنَي شَخْصَكَ بِالنَّوَى لَمَّا غَابٍ عَنْ قَلْبِي الْمُصافاةِ وَالْوَدَّ

وَلَا نُسِيتِكَ النَّفْسَ مِنْي سَاعَةً وَلَا اُنْتُفِضَ الْمِيثَاقُ وَالْوَدَّ وَالْعَقْدَ[3]

هذا وإن بعدت المسافات بين الصديق وصديقه فحضوره في الفكر والقلب حفظ لما بينهما من الود:

لَئِنْ غِبْتِ عَنْ عَيْنَي بِالْبُعْدِ وَالنَّوَى لَمَّا غِبْتِ عَنْ فِكْرَي وَعَنْ نَاظِرِ الْقَلْبِ

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 67 .

[2]- المصدر نفسه، ص 38 .

[3] - نفسه، ص 188.

أَرَاكَ عَلَى بَعْدَ الْمَسَافَةِ بَيْنَنَا كَمَا تَبَصُّرَ الْعَيْنَانِ مِنِّي عَلَى الْقُرْبِ[1]

وإن تحقق طلب الصديق فالرأي الصواب أن نحفظ العهد، ونتجاوز عن مساوئ الصديق يقول شاعر:

وَكُنْتِ اذا الصَّدِيقُ أُرَادُّ غَيْظَي وَأَشْرُقُنِي عَلَى حَنَقِ بَرِيقِي

عَفَوْتِ ذُنُوبَهُ وَصَفَحْتِ عَنْه مَخَافَةً أَنْ أَعِيشَ بَلَا صَدِيقُ[2]

وشاعر آخر يدعو إلى التمسك بأخلاء الشدائد إذا ما امتحنوا وتبينت معادنهم فيقول :

الْأَخِلاَّءُ فِي الرَّخَاءِ كَثِيرً فَإِذَا مَا بَلَوْتِ كَانُوا قَلِيلًا

وَإِذَا مَا اصبت خَلَا حَفِيظًا رَاعِيًا لِلْإِخَاءِ بَرًّا وَصُولًا

فَتَمَسُّكَ بِحَبْلِهِ أبَدِ الدَّهْرِ وَأُكَرِّمُ بِهِ أَخَا وَخَلِيلًا[3]

ولا تتم الصداقة إلا يتوافق روحي من الطرفين، ولا تثبت إلا باللين والمسامحة والمداراة عن العيوب والأخطاء وترك العتاب، ولقد أحسن الآخر في قوله :

إِذَا كُنْتِ فِي كُلُّ الْأُمُورِ معاتبا صَدِيقَكَ لَمْ تُلْقِ الَّذِي لَا تُعَاتِبْهُ

فَعِشْ وَحِيدًا أَوْ صِلَّ أَخَاكَ فَإِنَّه مقارف ذَنْبًا مَرَّةً وَمُجَانِبَهُ[4]

وما بين شاعر عرف اسمه وآخر ضاع رسمه في تلك الاستدعاءات التي دونها التوحيدي في خطاب الصداقة ما بين نفي واثبات، يقف الخطاب الشعري في رؤيته للصديق، وموقف الشعراء من

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص188.

[2] - المصدر نفسه، ص 51

[3]- نفسه، ص 269 .

[4]- نفسه، ص 115.

غياب الصداقة وحضورها شكلا من أشكال التداخل والتفاعل في توليد الدلالات السياقية المجاورة للخطاب المتن.كما يؤدي وظيفة حجاجية لا تقل أهمية عن حضور النصوص الدينية لأن " الشاعر هو صاحب الحجة والشعر حجة "[1]، وفي حضور هذه الأنساق الشعرية المتداخلة تروم ذات التوحيدي المضمرة إقناع المتلقي وإمتاعه في الوقت نفسه .

4ـ الأخبار:

الخبر فن من فنون القول [2] التي تشكل حضورا قويا في بناء الخطاب الترسلي القديم إذ لا تخلو رسالة من حضوره كرافد من روافد الخطاب وتعدد الأجناس فيها، والخبر جنس من الخطابات السردية إلى جانب النوادر والملح والقصة، وهو " أحد الخطابات التي تزاوج بين الوظيفة السردية التخيلية والوظيفة الحجاجية التداولية "[3]، إذ يتوخى التوحيدي من توظيفه للأخبار في رسالته تفعيل الغرض العام الذي يرومه ويراهن عليه، وهو قضية الصداقة بين نفيها وإثباتها ، فهو بذلك يجعل هذا الخطاب السردي في مجمل الخطابات التي استدعاها في رسالته حجة وغاية إقناعية تخدمه، والشاهد في حضور الأخبار دلالات سياقية كحضور صيغ لغوية منها : أخبرني ـ حدثني ـ اخبرنا ـ روي عن ـ روى لنا ...

ومما رواه التوحيدي أخبار أساتذته من أهل العلم والحكمة، كما روى من موروثه :" قرع أحدهم باب رجـل من السلف في ليل فقال لجاريته : أبصري من هذا ؟ فأتت الباب وقالت : من ذا ؟ فقال : أنا صديق مولاك . فقال الرجل : قولي له : والله إنك لصديق، فقالت له ذلك، فقال : والله إني لصديق، فنهض الرجل وبيده سيف، وكيس يسوق جارية، وفتح الباب وقال : ما

[1] – أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص 136.

[2] – محمد قاضي، الخبر في الأدب العربي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص 535.

[3] – هشام مشبال، بلاغة الخبر تقاطع التخيلي والتداولي في اخبار الامتاع والمؤانسة، ضمن كتاب : البلاغة والخطاب،اعداد محمد مشبال،دارل الأمان، الرباط، المغرب، ط1 ، 2014، ص 181.

شأنك ؟، قال : راعني أمر، قال : لا بك ؟ ما ساءك ؟ فإني قد قسمت أمرك بين نائبة فهذا المال، وبين عدو فهذا السيف، أو أئمة فهذه الجارية : فقال الرجل : لله بلادك ما رأيت مثلك "[1]. في هذا الخبر الذي أورده التوحيدي يستحضر صورة العطاء والبذل من قبل أن يطلبها الصديق فالشعور بالأخر والسعي في إرضائه من لواحق الصداقة والألفة.

يجعل التوحيدي من الخبر فرصة لتوصيل دعوى الرسالة فهو " بمنزله الأمثلة السردية التي يسوقها المتكلم على سبيل الاحتجاج لدعواه وتأكيدها "[2] فيشكل بذلك وظيفة حجاجية كما نتبين ذلك في خبر يسرد ما حدث بين أستاذه السجستاني، والقاضي ابن سيار وما كان بينهما من "ممازجة نفسية، وصداقة عقلية، ومساعدة طبيعية، ومواتاة خلقية "[3]، فروى الأستاذ لتلميذه من خبر تلك العلاقة وما كان بينهما من " مشاكلة عجيبة، ومظاهرة غريبة، حتى أننا نلتقي كثيرا في الإرادات، والاختيارات، والشهوات، والطلبات ..."[4]

كما روى التوحيدي ما حدثه به أبو حامد العلوي سنة سبعين وثلاثمائة بمدينة السلام عن خبر الأعرابي من بني هلال وهو يصف حنينه لمن خلفهم وراءه وهم والده ووالدته وأخته وابن عمه وابنة عمه وصديقه حتى يبلغ بوصف اشتياقه لصديقه فيقول : " الذي أرى الدنيا بعينه إذا رنوت، وأجد فائتي عنده إذا دنوت، وإذا عززت به ذلّ لي، وإذا ذللت له عزّ بي، وإذا تلاحظنا تساقينا كأس المودة، وإذا تصامتنا تناجينا بلسان الثقة، لا يتوارى عني إلا حافظا للغيب، ولا يتراءى لي إلا ساترا

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 53.

[2]- محمد مشبال ، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، ص 180.

[3]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 30.

[4]- المصدر نفسه، ص30 .

للعيب "[1]، بل قد بلغت الصداقة ما هو أعظم فقد شد رحاله إلى حيّه عندما ذكر له من أمر صديقه ووجده به، وعظيم اشتياقه له .

ومن الأخبار ما أورده أبو عثمان الجاحظ عن العيارين (الفتوة) يحكي أن عيارا سمع رجلا يقول : إذا عزّ اخوك فهن، فقال للقائل : أخطأت، إذا عز أخوك فاهن شأنه ، وأنا أقول : لو كان هذا الحكم من رجل نبيه له في الحكمة قدم، وفي الفضل قدم لتأوله متأول على وجه بعيد أو قريب، ولكنه روى عن عيار، وهذا الرهط ليس لأحد فيهم إسوة، ولا هم لأحد قدوة "[2].

وفي طلب الصديق سمع بن العطاء رجلا يقول : أنا في طلب صديق منذ ثلاثين سنة فلا أجده، فقال له : لعلك في طلب صديق تأخذ منه شيئا، ولو طلبت صديقا تعطيه شيئا لوجدت "[3]

ومن الأخبار ما رواه الوزير ابن سعدان لنديمه زيد بن رفاعة، يصف فيه أهل مجلسه من العلماء والشعراء والكتاب، يقول التوحيدي : " وأنا اسمي، وأروي لك كلاما له وصفهم به منهم : أبو علي بن عيسى بن زرعة النصراني المتفلسف، وابن عبيد الكاتب، وابن الحجاج الشاعر، وأبو الوفاء المهندس، وأبو بكر (يقصد الخوارزمي)، ومسكويه، وأبو القاسم الأهوازي، وأبو سعد بهرام بن أرشير، وقد تلا هذا القول تعريفات تفصيلية عن كل واحد من هؤلاء العلماء وذكر صفاتهم ومناقبهم ليقول في آخره " رويت هذا الخبر على ما اتفق، واطلب له مكانا مذ زمان فلم أجد إلا هذه الرسالة الآتية على حديث الصداقة والصديق ."[4]

5ـ الرسائل والتوقيعات:

سجل التراسل بين العلماء والوزراء والأصدقاء إطارا خطابيا آخرا لا تتخلف ملامحه الأجناسية عن المتن الأصلي، وقد اعتمده التوحيدي كنماذج مصغرة عن رسالته في رسم صورة المتراسلين أما

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة ، ص 140.

[2]- المصدر نفسه ، ص 64.

[3]- نفسه، ص 68 .

[4]- نفسه، ص 81.

بصورة العتاب أو الشكوى من الهجر والوشاية أو في طلب الود والوصال على نحو ما كتبه ابن أكمل إلى بن سورين، وكان بينهما ود متوارث :"إنّ رأيت أن تروي ظمأ أخيك بغرتك، وتبرد غليله بطلعتك، وتؤنس وحشته بأنس قربك، وتجلو غشي ناضره بوجهك، وتزين مجلسه بجمال حضورك، وتجعل غداءك عنده في منزلك الذي هو فيه ساكنه، وتهب له السرور بك باقي يومه، مؤثرا له على شغلك فعلت إن شاء الله "[1] وهنا يتوجه ابن الأكمل إلى صديقه بلواعج البعد والنوى، وآهات الحاجة إلى أنسه وحضوره ففي لقائه جلاء الوحشة، ودوام السرور، فما كان للصديق من الصديق إلا ما يثلج الصدر ويشفي غليل البعد والفراق، ويسر خاطره فيجيبه قائلا : " كيف أروي ظمأك إليّ مني، وإنيّ أشد ظمأ منك إليّ، وعلى حيلولة ذك فالتلاقي أبرد لغليل النفس، وأجلب لما شرد من الأنس، وها أنا قد هيأت كلي لطاعتك، وبشرت روحي بالاستمتاع بحديثك، وأخذت عياذ الاستفادة منك، وصلت على الدهر وأبنائه بما ملكته من تشريفك والسلام [2].

ومن الرسائل ما يضمر العتاب والشكوى فتلبس دلالتها وتخفي في سياقها دعوة إلى الوصال بعد الهجر، فيما كتبه ابن العميد لصديقه حمد بن محمد كاتب بعدما بلغته وشاية بعض المفسدين : "بسم الله الرحمن الرحيم ... إن تسفيق الكلام بيني وبينك موضوع، لأنك عن ذلك مرفوع، وقد رضيت أن تستأني فيما تسمع، فإذا صح به ذنب عاقبت بقدره، أباد أم أبقى، توسط أم تطرف، ولا أقول إلا كما قال الأول :

أُطِعْتِ الْوُشَاةَ الْكَاشِحِينَ وَمِنْ يُطَعْ مَقَالَةُ واش يَقْرَعَ السِّنُّ مِنَ النَّدَمِ

أَتَانِي عَدُوًّ كُنْتِ أَحْسَبَ أَنَّه عَلَينَا شَفِيقُ نَاصِحٌ كَالَّذِي زَعْمَ

فَلَمَّا تباثثنا الْحَديثَ وَصُرِّحْتِ سَرَائِرَهُ عَنْ بَعْضُ مَا كَانَ قَدْ كَتْمُ

[1] – أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 279.

[2] – المصدر نفسه، ص ص 279 ـ 280.

تُبَيِّنُ لِي أَنَّ المحرش كَاذِبٌ فَعِنْدَي لَكَ العتبى عَلَى الرَّغْمِ مِنْ زَعْمِ[1]

ونجد من الرسائل ما اتخذ شكل الوصية كما في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتابه إلى سعد بن أبي وقاص :" إنّ الله إذا أحب عبدا حبّبه إلى خلقه، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، وأعلم أن مالك عند الله مثل ما لله عندك، وقالوا إذا أحب الله عبدا ألقى مودته على الماء فلم يشرب منه أحدا إلا أحبه، وإذا أبغض الله عبدا ألقى بغضه على الماء فلم يشرب منه أحد إلا أبغضه "[2] وفي هذه الرسالة يظهر أسلوب الوصية في صيغة الطلب : اعتبر، اعلم والدعوة الموجهة مضمرة في الرسالة أن أحب الناس وأحببهم فيك .

ومن الرسائل ما أوجزت فجاءت توقيعا ومنها ما كتبه محمد بن السماك لصديق انقطع عنه بعد مؤاخاته يقول :" أما بعد : فإنّ لكل شيء ثمرة، وثمرة المودة الزيارة والسلام، وكتب إليه في آخره:

لَقَدْ ثَبَتْتِ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَوَدَّةً كَمَا ثَبَتْتِ فِي الرّاحَتَيْنِ الاصابع

فأجابه الرجل موقعا : " أما بعد، يا أخي فقد زرعت في قلوبنا مودتك، فتعهد زرعك بسقي الماء وإلا فلا تأمن والسلام "[3]. والتوقيعات فن من فنون القول وظفها التوحيدي في الرسالة لما تحمله من الدلالات العميقة المختزنة في كلمات موجزة. ذلك أن الإيجاز كان ربما أبلغ في تبليغ المخاطب (المرسل اليه) وأسرع نفوذا إلى أعماق نفسه، كما وقّع أحمد بن صالح بن شيرزاد " أنت ضعيف

[1]-أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 89.
[2]- المصدر نفسه، ص ص 211- 212.
[3]- نفسه، ص273.

الإخاء، قليل الوفاء، معاملك معك في غناء، ومعاشرتك منك في بلاء "[1] ، ليكون الكلام أوجز وأبلغ وأمضى في النفس .

6ـ الأمثال وأقوال الفلاسفة والحكماء والعلماء :

تسهم الأقوال المأثورة والحكم والوصايا في " نسج موسوعية الخطاب وتأكيد سمته المعرفية وغايته التواصلية وتؤدي وظيفة تثقيفية توجيهية يسعى منتج الخطاب إلى تثبيتها لدى المتلقي " [2]، والمتلقي لرسالة الصداقة والصديق يرى أن التوحيدي يتكئ على أقوال الفلاسفة اليونانيين والعرب، وكان أكثر ما شغله تعريف الصديق الذي أورده الفيلسوف أرسطو طاليس فقد قيل له :" من الصديق ؟ قال إنسان هو أنت، إلا أنه بالشخص غيرك "[3] ثم يستغني التوحيدي عن شرح القول ليفسح مجال الشرح لأستاذه السجستاني، الذي وجد في كلامه دقة وموافقة فيقول :" هذا الرجل دقيق الكلام، بعيد المرام، صحيح المعاني وإنما أشار بكلمته هذه إلى آخر درجات الموافقة التي يتصادق المتصادقون بها ... وأول هذه الموافقة توحد، وآخرها وحدة فقد أشار إلى هذه الغريبة الشاعر بقوله :

رُوِّحَهُ رُوحِيَّ ، وَرُوحِيُّ رَوْحِهِ ان شَاءَ شِئْتِ ، وان شِئْتِ يُشَأْ[4]

لكن هناك من يعكر صفو هذه الموافقة الروحية " الحسد الذي يدب بينكم، والتنافس الذي يقطع علائقكم، والتدابر الذي يثير البينونة بينكم " لكن الأمر يستقيم لو " ثبتم على الصراط المستقيم، وعلقتم حبل العقل المتين المستبين، واعتصمتم بالعروة الوثقى من الهدى والدين كنتم

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة ، ص317.

[2]- هشام مشبال، البلاغة والسرد والسلطة في الإمتاع والمؤانسة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص ص 94 . 95 .

[3]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 69.

[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

كنفس واحدة في كل حال، ذلت أو صعبت، تجمعت أو تشعبت، تعرفت أو تنكرت "[1] على هذا يقرر التوحيدي قول الحكيم أرسطو، وتفسيره من قبل السجستاني، وللرجلين السلطة الفكرية عليه، ثم إنّه يؤكد ما سبق بما قاله روح بن زنباع حين سئل عن الصديق فقال : " لفظ بلا معنى "[2] معنى ذلك أنه غير موجود لأنه " شيء عزيز، ولعزته كأنه غير موجود " والحقيقة أن هذا ما يحاول التوحيدي البوح به وهو يضمر ذاته خلف متناصاته أن كانت قول أرسطو أو روح بن زنباع .

ثم يحشد التوحيدي الكثير من أقوال الفلاسفة ضمن خطابيه مرة نافيا، ومرة مثبتا، إذ نجد ما يؤيد القول بالنفي في جواب ديوجانس عن سؤال : ما الذي يجب أن يتحفظ منه الرجل فيقول : "حسد أصدقائه ومكر أعدائه "[3] في حين وجب حدوث العكس بل إن العثور على الصديق أضحى مستحيلا حين يستحضر التوحيدي قولا يفيد هذا المعنى بل ويؤكده . وهو ما يجعل الصديق نادر وجوده في حالات المرء وفي شدته اكثر من الرخاء لأن الشدائد محك الرجال وبها تعرف معادن الناس وهو ما ساقه ديوجانس عندما سأله الاسكندر :بم يعرف الرجل أصدقائه ؟ قال : " في الشدائد لأن كل أحد في الرخاء صديق "[4]، غير أن في رد ثيفانوس الفيلسوف ما يبعث على الأمل ويبعد اليأس عن وجود الصديق حين سئل من صديقك ؟ قال : الذي إذا صرت إليه في حاجة وجدته أشد مسارعة إلى قضائها مني إلى طلبها منه "[5]. ذلك الأصدقاء وان ندروا يحيطون بالمرء في كل زمان ومكان.

ولم يكن الأعراب بمنأى عن الخوض في مسألة الصداقة إذ يستحضر التوحيدي أقوالهم فيما يدعم به نظرته فهذا أعرابي يوجه إليه نفس ما وجه من قبل لفلاسفة اليونان فلم يكن رده بمجانف

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 70.

[2]- المصدر نفسه ، ص 71.

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- نفسه.

[5]- نفسه.

لردهم بل هو الرأي ذاته بحلة عربية أو أعرابية :يسأل الأعرابي : كيف أنسك بالصديق ؟ فيجيب : وأين الصديق ؟بل أين التشبه به ؟ والله ما يوقد نار الضغائن واللحول في الحي، إلا الذين يدعون الصداقة وينتحلون النصيحة، و هم أعداء في مسوك أصدقاء وما أحسن ما قال حضيرّكم[1] :

إِذَا اُمْتُحِنَ الدُّنْيا لَبِيبٌ تَكَشَّفْتِ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيابِ صَدِيقِ

في مقابل هذا نجد التوحيدي يذكر غيره بخطاب آخر لم يتسم فيه الصديق بهذه الصفات فنجده " مثل الروح لصاحبه، يحييه بالتنفس،ويمتعه بالحياة، ويريه من الدنيا نضارتها، ويوصل إليه نعيمها ولذتها "[2] ،أو كما وصفه أعرابي بالقول " الصديق للظهر سناد، وللدهر عتاد، ولليوم جمال، وللغد مال "[3]، كيف لا والخليل بن أحمد يقول :" الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال "[4] وهو نفس القول الذي احتج به التوحيدي من ثقافته اليونانية بقول تامسطيوس " الإنسان بلا صديق كالشمال بلا يمين "[5]، فشتان إذن بين هذا وذاك .

أما المتصوفة في نظرتهم للصديق فقد ارتبطت بالأخلاق أكثر من ارتباطها بالحقوق والمصالح فهذا العبداني يصف صديقا :" من شهد طرفه لك عن ضميره بالوفاء والود، فإن العين أنطق من اللسان .وأوقد من النيران "[6]، أو هو كمن وصفه برهان الصوفي عندما سئل من الصديق ؟ أجاب : اطلب من يسعك بخُلقه، ويؤنسك بنفسه، ويواسيك من قليله، إن رضي عنك لم يغلظك، وأن

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 93. يذكر الكيلاني ان البيت الشعري صاحبه ابن الرومي ، وآخرون ينسبونه للمتنبي ، والأول هو الصواب

[2]- المصدر نفسه، ص 244.

[3]- نفسه، ص 261.

[4]- نفسه،ص 45.

[5] - نفسه، ص 193.

[6]-نفسه، ص 187.

سخط عليك لم يمقتك، يبدي لك خيره لتقتدي به، ويواري عنك شره لئلا تستوحش منه "[1]، وفي دلالة الأخلاق والدين أيضا يشير لقمان الحكيم يقوله :" من يصحب صاحب الصلاح يسلم، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم " ويقول في ذات المعنى " جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحي القلوب بنور الحكمة، كما يحي الأرض الميتة بوابل السماء " [2]،وكان التوحيدي باستدعائه لهذه الحكم يصور نوعا خاصا من الصداقة لم تكن حاضرة في عصره " فقد خبثت السرائر، وتنكرت الظواهر وفني ميراث النبوة، وفقد ما كان عليه أهل النبوة "[3]، وكان التوحيدي لا يطمئن لما يقوله الآخرون في أن الصديق موجود فيعود بنا ليدق على الآذان أنه " لا صديق " فكيف يكون للفقير صديق على حد قول ابن المقفع. [4]

هذا وقد تسلطت فكرة " لا صديق " على فكر التوحيدي ووجدانه، فنراه يلح في طلب واستحضار كل ما يدعم رأيه من ذلك جميل بن مرة عندما اعتزل الناس، حين كان الدين يعانق الاخلاص، والمروءة تتهادى بين الناس، وقد لزم قعر البيت ورفض المجالس واعتزل الخاصة والعامة، وعوتب في ذلك فقال :" لقد صحبت الناس أربعين سنة فما رأيتهم غفروا لي ذنبا، ولا ستروا لي عيبا، ولا حفظوا لي غيبا، ولا أقالوا لي عثرة، ولا رحموا لي غبرة، ولا قبلوا مني عذرة، ولا فكوني من أسرة، ولا جبروا مني كسرة، ولا بذلوا لي نصرة، ورأيت الشغل بهم تضييعا للحياة، وتباعدا من الله تعالى، وتجرعا للغيظ مع الساعات، وتسليطا للهوى في الهنات بعد الهنات" [5]،وهو يؤكد ان الصداقة الصداقة مرفوضة والود معدوم والوفاء مفقود .

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 232.

[2]-المصدر نفسه ، ص 67.

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- نفسه،ص 264.

[5]- نفسه، ص 36.

كما وتحضر **الوصية** في تأكيد هذه الدلالات، بل "إنها لتثري الخطاب جمالية ومن حيث هي تنتج دلالة اضافية فوصية جعفر بن محمد رضي الله عنهما " لن لمن يجفو، فقليل من يصفو "[1]، بل وجب الحفاظ عليه رغم كل شيء، وهي نفس الدلالة التي تضمنتها وصية أبي الدرداء "معاتبة الأخ خير من فقده، اطع أخاك، ولن له، ولا تسمع فيه قول حاسد وكاشح، غدا يأتيك أجله فيكفيك فقده، فكيف تبكيه بعد الممات وفي الحياة تركت وصله "[2]، وفي باب الوصية أقوال كثيرة يصعب حصرها .

نشير هنا أن ما حوته الرسالة من الأقوال والأمثال كبير حجمه، ومتعدد مأخذه وجليلة فوائده، وعظيمة غاياته، لكننا نكتفي بما رصدناه حتى لا تستغرقنا العملية أكثر فنحيد عن النهج المرسوم في هذا البحث، لكن لزاما علينا أن نؤكد أن التوحيدي في استحضاره لخطاب الآخر سواء كانت منسوبة لأصحابها أو غير منسوبة ـ حاول أن يظهر قوة في إقناع مخاطبه بصدق دعواه وبقدرته الهائلة على التوسل بالعديد من الحجج المدعمة لموقفه من القضية المراد توضيحها وإعادة بنائها حتى تكتمل وفق أسلوبه الخاص في الكتابة .

وأخيرا نستنتج أن حقيقة التداخل النصي / الأجناسي تتمثل في كون العمل الابداعي لا ينتج منقطع الصلة بغيره من النصوص، إذ لا بد لكي يتشكل ويكتسب معالمه الجمالية والإقناعية من أن يستضمر داخله نصوصا أخرى يحاورها،ويعيد إنتاجها سواء كلها أو جزءا منها بهدف التنويع في الأساليب والبنيات، فلا حياة لنص / خطاب ولا حيوية إلا إذا انفتح على مختلف الأجناس الخطابية المختلفة مثل : الشعر والسرد والمثل والحكمة ومن خلال ما يقيمه من صلات جمالية مع هذه الخطابات وهو يحاورها داخل متنه.

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة،، ص 41.

[2] ـ المصدر نفسه ، ص 48

سابعا– الازدواج وإيقاع النثر في الرسالة :

تتحقق بلاغة الخطاب / النص في أي عمل ابداعي من خلال تأثيره في المتلقي تواصليا وجماليا، وتعنى بلاغة النص بتحليل الحوار داخل النص بوصفه مجالا لتلاقح النصوص وتناصها مما يتيح امكانية تأمل صور التناص وكشف مختلف العلاقات التي ينسجها ويؤديها خدمة للتأثير في المتلقي وتوسيع مداركه [1]، كما تتحد بلاغة الخطاب ببلاغة الحجاج ودورها الإقناعي، وبالبلاغة التخييلية بمكوناتها الجمالية وعناصرها الفنية .

لا تتحقق بلاغة الخطاب بعد تحقق بلاغة الحجاج إلا بحضور الايقاع داخل للمتن، والإيقاع في النثر هو تلك الموسيقى الداخلية المنبعثة التي تقوم على النظام والتناسق والانسجام بين مقاطع النص كما أنه يشمل الحروف أيضا فهو " فعل يكيل زمان الصوت بفواصل متناسبة ومتشابهة ومتعادلة "[2]. وبالنظر إلى البلاغة نجد أن الإيقاع البلاغي هو ما ينبع من تآلف الكلمات وانسجامها وتلاؤمها في علاقات صوتية لا تنفصل عن العلاقات الدلالية والنحوية، هذه العلاقات تقوم بدورها على التماثل والتشابه، كما تقوم على التخالف والتضاد [3]، وهذا وتمثل الظواهر البلاغية وسائل هامة تمنح العمل الأدبي صفة الفن الجمالي .

وتقتضي طبيعة النثر المرسل استخدام أنماط فنية ذات إيقاع معين " يرتكز على ما اصطلح القدامى على تسميته بالموازنة، وهو مصطلح متداول عند البلاغيين يتسع ليشمل جميع أشكال التكافؤ والتناظر الكلي أو الجزئي بين العناصر الصوتية، من مماثلة ومقابلة، وطباق، وجناس، وتقسيم،

[1] – ينظر : هشام مشبال ، البلاغة والسرد والسلطة، ص 13.

[2] – أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص 285.

[3] – ابتسام احمد حمدان، الاسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط1 ، 1997،ص 30.

وسجع وازدواج وغيرها "[1]، والموازنة تكون بالمناسبة في الألفاظ كالازدواج والسجع والمناسبة في المعاني كالمقابلة والطباق .

والتوحيدي في احتذائه بالجاحظ كان يبني التعبير في كتاباته على الازدواج، غير أنه كان أغنى وأحفل بالموسيقى منه عند الجاحظ لأن طبيعة القرن الرابع الهجري كانت تفرض على التوحيدي الاهتمام بالجرس والنغمة [2]، والازدواج في كتابات التوحيدي هو مظهر من مظاهر الاطراد والاسترسال في الكتابة، ويحدث الازدواج إيقاعا موسيقيا داخليا عن طريق خلق التوازن بين الجمل بتقسيمها إلى فقرات قصار متناسبة الطول متشابهة الأداء تتسربل الجمل ضمن مجموعة متجانسة، وفقرات متلائمة، بحيث يتجلى فيها عنصر التناغم والإيقاع الذي يقترب بملامح النثر إلى أوزان الشعر.

وجمال الايقاع في النثر الفني عموما، والنثر المرسل خاصة يقوم على أساليب الموازنة التي تعتبر خطة في التأليف بين أقسام الكلام، وتزدوج وظيفتها من حيث تطور النص كسر الرتابة والتشبع في بنياته، ومن حيث علاقة الخطاب بمتلقيه، تنشيط عملية القراءة[3]. ومن هنا وجدنا التوحيدي تصرف في الموازنات داخل الرسالة بالتنقل بين الترادف المعنوي والمقابلات خدمة لخطابه المؤسس على رؤية الإثبات والنفي .

لجأ التوحيدي للازدواج في عرض سوء حاله وشكواه من قلة الزاد " ومن أين يظفر بالغذاء وإن كان عاجزا عن الحاجة، وبالعشاء وإن كان قاصرا عن الكفاية، وكيف يحتال في حصول طمرين للستر لا للتجمل، كيف يهرب من الشر المقبل، وكيف يهرول من وراء الخير المدبر، وكيف يستعان بمن لا يعين، ويشتكى إلى غير رحيم، ولكن حال الجريض دون القريض " وقد ساعد حضور

[1]- ينظر: صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية، ص 557.

[2]- إحسان عباس، التوحيدي، م س، ص 138 .

[3]-صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية، ص 568.

الاستفهام في إشاعة إيقاع يسترسل بالنفس لبلوغ غاية الكاتب من ذات المتلقي والتأثير في سمعه ووجدانه.

وكان الازدواج في نثر التوحيدي يضفي على جمله ضربا من التنغيم يقربه من الشعر " فيجعل لعباراته وقعا موسيقيا لا يقل تأثيره في النفس من تأثير الوزن والقافية "[1] ومما يقوله في اعتذاراته لأن سعدان عن طول رسالته :" كان ظني في أولها أنها تكون لطيفة خفيفة، يسهل استنساخها وقراءتها، فماجت بشجون الحديث، وروافد من الطيب والخبيث، فاقبل . أحاطك الله . هذا العذر الذي قد بدأته واعدته،ونشرته وطويته[2] والملاحظ هنا أن التوحيدي لم يكتف ببنية الازدواج بل جعله يقوم على التقابل أو التضاد، حيث جمع بين متضادين في جملة واحدة، ثم وازن بين بين جمل تتضمن متاضدين آخرين (بين الطيب / الخبيث، بدأته / أعدته، نشرته / طويته).

وهي البنية ذاته في ما أتمّ به كلامه حيث شكل التقابل / التضاد استراتيجية أرادها التوحيدي ليدفع بها الملل والسأم عن القارئ من جهة، وتعميقا لفكرة الألم والحرقة وتثبيتها في نفس المتلقي ذاته من جهة أخرى فيقول :" لو علمت في أي وقت ارتفعت هذه الرسالة، وعلى أي حال تمت لتعجبت، وما كان يقل في عينك منها،ويكثر في نفسك، وما يصغر منها بنقدك، يكبر بعقلك "[3] . والتقابلات هي ما بين (يقل / يكثر، عينك / نفسك، يصغر / يكبر، نقدك / عقلك) وقد تكون بنية الازدواج بصورة التقابل تصويرا للتوتر والتناقض الذي عايشه التوحيدي في نفسه، وفي عصره .

كما قد يجعل التوحيدي من موازناته جملا ترادفية تقوم على التكرار الذي يؤدي وظيفة تأكيد الدلالات والمعاني، ومن ذلك قوله :" وأما أصحاب المذاب والتطفيف فإنهم رجرجة بين

[1]- زكريا ابراهيم، أبو حيان التوحيدي، ص 144.

[2]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص356.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

الناس، لا محاسن لهم فتذكر، ولا مخازي فتنشر، ولذاك قيل لهم همج، ورعاع،وأوباش، وأوناش، ولفيف، وزعانف، وداصة، وسقاط، وأنذال، وغوغاء، لأنهم من دقة الهمم، وخساسة النفوس، ولؤم الطبائع على حال لا يجوز معها أن يكونوا في حومة المذكورين، وعصابة المشهورين "[1]. هذا المقطع يضم مجموعة جمل متوازنة تسير على ايقاع واحد ينبعث من المفردات المترادفة التي تربطها ببعض واو العطف، وتمثل في تجمعها نفور التوحيدي وأستاذه السجستاني من أهل المذاب والتطفيف فهم قوم لا تحمد صداقتهم لذلك عزز شعوره بالنفور وعدم تقبل هؤلاء بتكرار الألفاظ ذات الدلالات نفسها ، فيولد لدى المتلقي الشعور ذاته من خلال تلقيه لهذه الكثافة من المعاني والدلالات، وبالتالي فقد أصاب التوحيدي في استرساله المزدوج .

كما أنه يستميل المتلقي فيما يرمي إليه من عرض حاله البائسة وغربته الموحشة فيقول : "فقدت كل مؤنس، وصاحب، ومرفق، ومشفق " وكلها مترادفات لمعنى الصديق " والله لربما صليت في الجامع فلا أرى إلى جنبي من يصلي معي فان اتفق فبقال أو عصار أو نداف أو قصاب " وهذه المهن وإن اختلفت مسمياتها هي في نظر التوحيدي واحدة فلا أحد من هؤلاء ـ حسب اعتقاده ـ يمكن أن يكون صديقا له لأنه يطمح إلى صداقات أعلى مرتبة، وأعظم شرفا، صداقات من طينة الأدباء والوزراء والوجهاء . لذلك لم يحصد من وراء بحثه العقيم إلا الاغتراب والغربة والوحدة " فقد أمسيت غريب الحال، غريب اللفظ، غريب النحلة، غريب الخلق، مستأنسا بالوحشة، قانعا بالوحدة، معتادا للصمت، مجتنفا على الحيرة، محتملا الأذى، يائسا من جميع من ترى "[2]، من هنا نرى أن التوحيدي خلق ازدواجا قائما على حشد مترادفات من الألفاظ والمعاني تحت دلالة الغربة فالغريب غريب في كل شيء (لفظه، حاله، نحلته، وخلقه) ولن تغير الألفاظ ما انضوى تحتها من معان، كما

[1]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص33.

[2]- المصدر نفسه، ص34.

أن (الوحشة والوحدة والصمت والحيرة والأذى واليأس) دلالات لشعور واحد يكتنف الذات الغريبة .

يرى مصطفى ناصف في محاورته لنثر التوحيدي تفسيرا لظاهرة الازدواج عند التوحيدي فهي آلية من آليات الكتابة يعمد اليها لغاية الإقناع فـ" العبارات المرسلة ليس في وسعها أن ترمز إلى العقبات، العبارات الموزونة القصيرة غالبا ذات سلطة وأسوار وتوتر، وجمع بين الانبساط والانقباض، العبارات المرسلة تتكلم ولا تصمت، تقبل ولا تدبر " [1] وكان يسعى من وراء الاسترسال في العبارات والاستطراد في المترادفات والمتقابلات تعميق حالة التوتر النفسي من خلال حالة التوزيع بين الدوال المتكررة في المقطع .

كان التوحيدي بتوظيفه لأسلوب الموازنة والازدواج يساير ظروف عصره وحاجات المتلقين، رغم أنه لم يكن من أصحاب الصنعة والزخرف، لكنه كان يعي حال المخاطب الذهنية والنفسية والثقافية، ثم إنّ تمام بلاغة الكلام تطابقه مقتضى الحال وتحقق فصاحته على حد علماء البلاغة، فمن باب مخاطبة المتلقين بلغتهم، ومراعاة كفاياتهم يتحقق الإقناع .لأن ":أبا حيان معذور، ربما كانت ظروف ثقافية واجتماعية تغريه بهذا الأسلوب الفريد من التفكك بين المرء ونفسه، والتفكك بينه وبين المجتمع، أبوحيان مولع بأحوال النفس التي لا تسهل ولا تنقاد "[2]، ويردُ الازدواج في الكتابة عنده إلى ازدواج البيئة والعصر آنذاك .

لذلك اهتم التوحيدي باستثمار جمالية الصوت والإيقاع لينفذ بها إلى وعي المتلقي، فيستفيد من جلاء المعنى وتألق الفكرة ويضمن ترسيخ هذه الدلالة في ذهن المتلقي ووجدانه، كما أنه يجنح لأسلوب الازدواج ويحافظ على توازن الجملة بحيث يمنحها امتدادا صوتيا أليفا دائم الطراوة، وإن كان

[1]- مصطفى ناصف، محاورات مع النثر العربي، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 218، يناير 1997، ص 111.
[2]- أبو حيان التوحيدي، الرسالة، ص 119.

في شيوع هذه الظاهرة في كتاباته ما يسم شخصيته بـ" التناقض والتقلب إلى حد الزيغان "[1]، بالإضافة إلى أن أسلوبه في الكتابة يرتبط ارتباطا وثيقا بشخصيته المتميزة وانفعالاته الدائمة من خلال تعطشه في البحث عن الصديق الذي يوافق روحه المتمردة، ويرفع عنه البؤس الذي نغّص حياته، فقد ظل أمله في العثور على صديق قائما ولم ينقطع.

وعلى العموم فإن توظيف أساليب الموازنة في الخطاب الترسلي بالتأليف بين أساليب البديع بشكل عام، والازدواج والسجع بشكل خاص يكشف عن التنازع المستمر بين النسق العام للكتابة، وهو نسق عام يخضع له جميع كتاب النثر الفني في الرسائل، ويتمثل في المحافظة على حد أدنى من التناظر والتكافؤ بين الجمل، والنسق الخاص بكل نص فكل نص يرمي إلى اكتساب الأدبية "[2]، وبهذا الشكل لم يخرج التوحيدي عن نسق الكتابة الأدبية في تلك العصور بل حاول أن يوازن بين الاتجاه العام للكتابة الفنية، وبين قضاياه الخاصة التي تؤرقه فسعى إلى الالتزام بالنهج العام، وإن عَدَلَ عنه وانسَاقَ لما تقتضيه ظروفه الخاصة أو ما اقتضته مقاصد وأغراض الرسالة .

هكذا عاش التوحيدي في رحلته للبحث عن الصديق متأرجحا بين الممكن والمأمول في تحقيق الصداقة ، بين المقبول والمرفوض في صفات الصديق، وبين التخلي عن الأصدقاء وضرورة تواجدهم في حياة الإنسان، خاصة إذا كان الإنسان قد أخرجته البيئة من حسابات السلطة وبلاطات الأمراء والوزراء رغم ما يحتكم عليه من القدرة الفكرية والمهارة اللغوية والحكمة الفلسفية ما ينافس به أهل العلم والأدب، لكن الحظ العاثر حال دون ذلك.

إنّ التوحيدي كان شاهدا على عصره بكل حيثياته، وقارئا لبيئته بكل جوانبها الفكرية والاجتماعية والأدبية، لكنه عاش وسط هذا الزخم غريبا الروح والفكر، غريب الدار والوطن، لا يستقر على قرار، ولا ينعم بسكن ولا يأوي إلى دار، لكنه كان عزيز النفس، غني الفكر، غني

[1]- علي دب، الأديب والمفكر أبو حيان، ص 152 .

[2]-صالح بن رمضان ، الرسائل الأدبية، ص 569.

الأدب، يشعر بعظمته وبعزة نفسه وبقيمة أدبه وفكره فيقول "استشعر العظمة، فإنك بهذا الاستشعار تستحق التكرمة "[1] لكنه أخفق في ضنّه على الناس بما جادت به قريحته الفذة عندما آثر أن يسلم خلاصة فكره وعقله، ومكنونات نفسه ووجدانه وقودا للنار تأكله، لكان حرم الناس من كل هذا لولا أن كانت كتبه قد خرجت من سلطته لتكون في سلطة المتلقين ممن حازوا على هذه الكتب النفيسة فساهموا في انتشارها وانتشالها من ألسنة اللهب.

[1]- أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، ص 104.

خاتمة

خاتمة

لكل بداية نهاية ونهاية البحث هي خلاصة رحلتنا في رحاب التجربة الأدبية والفكرية للأديب والفيلسوف والمبدع **أبي حيان التوحيدي**، هذا الأديب الذي عاش محروما بائسا، وتعرض لإخفاقات كثيرة ومات فقيرا يائسا، وقبل موته قيل أنه أحرق كتبه التي ضن بها على الناس ممن عاشرهم ولم ينصفوه ولم يعرفوا قدرها.

وقد خلص بحثنا إلى الاستنتاجات الآتية :

1. إذا ما وقفنا على النثر العباسي والرسائل حصراً فإننا سنجد نثراً متطوراً فكراً وأسلوباً وصناعةً، متغيراً في الأفكار والأسلوب نتيجة للمراحل المتعددة التي مرَّ بها النثر آنذاك،إذ انّ كلّ مرحلة تركت بصمتها من خلال كتابها وإثر ذلك ظهرت لدينا اتجاهات في الرسائل تميزت كل واحدة منها عن الأخرى، خلقت باختلافها مدارس واتجاهات في الكتابة الفنية، مابين المرسل والطبيعي والمتصنع، وصولا إلى القرن الرابع الهجري وهي مرحلة وُسمت بالتنوع والثراء،يقع التوحيدي في نهايتها وتعد مرحلة فاصلة بين النثر المتصنع والعودة إلى النثر المزدوج تحت راية صاحبها الجاحظ.
2. أن كتابة الرسائل كانت الفن الثاني في الأدب العربي بعد الشعر، لما وصلت اليه من جودة الأساليب وتعدد الأغراض والمعاني،كما أنها أبرزت عددا من أشهر الأدباء وأن أغلب المنتمين لها كان لهم أثر عظيم في الثقافة العربية الاسلامية .
3. الخطاب النثري في مدونة التوحيدي لا يقف عند حدود الوظيفة التواصلية فحسب، بل يمرر عبر دواله اللغوية وظيفة جمالية تتمثل في عنايته بالتصوير والصياغة والتمثيل والتناص فيحدث تلاحما بين ماهو تواصلي وظيفي وما هو أدبي جمالي وهذا ما يشكل بلاغة الخطاب النثري عند التوحيدي.

4. يحرص التوحيدي في خطاباته الشفهية كما في كتاباته على دلالة الكلمة وموضعها الملائم باعتماده على حسه اللغوي،وذوقه المرهف،وتمرسه بالتعبير، والحرص على العلم بدقائق اللغة وما يقتضيه المعنى والمقام.
5. عناية التوحيدي بالأسلوب عناية فائقة تؤدي في نهايتها إلى أنواع مختلفة من الإيقاعات الصوتية دون الاعتماد على شيء من البديع وألوانه إلا أن يأتي طبيعيا دون تكلف إذ يمتلك التوحيدي أسلوبا خاصا به، يستطيع من خلاله الخلق والابتكار في توظيف اللغة قوامها الشاعرية والعاطفة وبعد الخيال .
6. قدرة التوحيدي في على استخدام اللغة وتطويعها لما يريد بلوغه فقد تفنن وأبدع في تشكيل خطابه النثري للتأثير في المتلقي .حيث يمتلك التوحيدي قدرة عجيبة على تشكيل اللغة بما يتجاوز المألوف فيجعل المتلقي في انتظار دائم لتشكيل الجديد من اللغة، يستهدف من وراءه إحداث تأثير فني أبلغ أثرا وأعمق دلالة في المتلقي وهذا ما يدل على عبقرية الأسلوب وحيويته عند التوحيدي.
7. بلاغة التوحيدي تكمن بقدرتها على دمج ما هو جمالي تخييلي وما هو تواصلي عملي وتدور في فلك التفاعل النسقي الذي يجمع بين أجناس مختلفة متداخلة، لا تحمل القارئ على إعمال الفكر للتفريق بينها، بل تسوقه إلى التلذذ بالانسجام المنبعث من تشابكها وتداخلها في نسق تفاعلي عجيب.
8. إن استدعاء النصوص في رسالته لم يكن لمجرد إظهار سعة الاطلاع، ولا لإبراز الرصيد التراثي الذي يملكه التوحيدي، بل قدرة الأديب على إحداث التفاعل مع هذا التراث، والإضافة إليه، ومحاورته وتحويره في سياقات غير التي أنتج فيها أول مرة. ورسالة الصداقة ظهرت فيها هذه الخاصية.

ـ ومن خلال مدونة الصداقة والصديق ورغم النزعة الإنسانية التي تطغى عليه إلا أنّ الخطاب النثري فيها يمتلك عناصر أدبيته وجماليته الخاصة، وهذا ما يظهر واضحا في الزخم الحجاجي الذي تمثل في الحكم والأخبار والأشعار والذي منح الخطاب استراتيجية إقناعية تؤثر في المتلقي،

9. الخطاب النثري في مدونة الصداقة والصديق هو عبارة عن حشد من النصوص والسياقات المتباينة، استطاع التوحيدي بوعيه اللغوي وفراسته الأسلوبية أن يجعل من هذه البنى النصية المتباينة تتألف وتتوحد وفق آليات تفاعلية، تتجاوز الدلالات السطحية إلى القيم الإنسانية،كما وشكلت هذه النصوص المتناصة في فضاء خطاب الصداقة سلطة داعمة للقضية، وهي من ثم توجيه لفكر المتلقي و إقناعه.
10. وفي الصداقة يتأرجح التوحيدي بين الأمنية والواقع، فهو يعترف بقيمة الصداقة وأهميتها،ويصورها كيف تكون من حيث هي ضرورة إنسانية، لكن الواقع الذي يعيشه ويرصده يصور غير ذلك، فيقرر أن الصداقة معدومة وليس لها وجود في حياة الناس هذا ما جعله في **غربته غريبا**.
11. تمكن التوحيدي وقدرته من معالجة قضية الصداقة معالجة أدبية فنية، وفلسفية نفسية، أظهرت مقدرته في التغلغل في النفس الإنسانية، ومعرفته الدقيقة على نوازع الإنسان وأحاسيسه وهو القائل " **الإنسان أشكل عليه الإنسان** ".

ومع هذا كله تبقى هذه الزاوية التي فتحتها جزءا يسيرا يحتاج لجهد أكبر لأن في أدب التوحيدي الكثير من الأسرار إن كان على مستوى اللغة أو الأسلوب أو الفكر تحتاج لدراسات أخرى، كما تحوي الرسالة إغراءات بمباحث لسانية ولغوية... **وحسبي أني حاولت، والله من رواء القصد.**

الملاحق

ترجمة للتوحيدي

1ـ اسمه : هو علي بن محمد بن العباس،اشتهر بأبي حيان [1] ولقب بالتوحيدي، كان هذا اللقب موضع اختلاف بين الدارسين،إذ يرجع محمد عبد الغني الشيخ انتماءه ونسبه إلى حرفة والده الذي كان يبيع التوحيد ببغداد وهو نوع من التمر في العراق ذلك لأنه لا تتوافر أدلة على انتمائه للمعتزلة، ويقول المحقق عبد السلام هارون :" التوحيدي بفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها دال مهملة، ولم أجد ممن وضع كتب الأنساب تعرض لهذه النسبة، لا السمعاني ولا غيره... لكن يقال إن أباه كان يبيع "التوحيد : ببغداد وهو نوع من التمر بالعراق "[2].

ويرى البعض الآخر من الدارسين أن التوحيدي نسبة إلى المعتزلة الذين ذاع صيتهم في العصر العباسي، وكانوا يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد،وهو ما ذكره أحمد محمد الحوفي، لكن هذا الرأي بعيد ذلك أن كتاباته ومعاركه ضد المتكلمين والمعتزلة خاصة تعطي دليلا على أنه ليس منهم.[3]

وهناك رأي آخر يرى أن كنية التوحيدي جاءت من تسخيره كل علم لبلوغ التوحيد، غير أن البعض لا يعد التوحيدي متكلما، ولكن إذا أخذنا برأي فخر الدين الرازي على اعتبار أن الصوفية إحدى الفرق الإسلامية،والتوحيدي بلغ ـ بشهادات الكثيرين من العلماء والدارسين ـ ـمن روح التصوف والصوفية وفهم أسراره مبلغا عظيما . ولا أدل على ذلك من مؤلفه : الإشارات الالهية كما

[1] . ياقوت الحموي، معجم الأدباء، إرشاد الأريب في معرفة الأديب، تح إحسان عباس،دار الغرب الاسلامي، بيروت،ط1، 1993، ج5،ص 1924.

[2] . –محمد عبد الغني الشيخ، أبو حيان التوحيدي رأيه في الاعجاز وأثره في الأدب والنقد،ج 1،الدار العربية للكتاب،1983، ص 154 .

[3] ـ المرجع نفسه .

أنه قضى الفترة الأخيرة من حياته في يأس من الدنيا وأمل في الله لا ينقطع. وهذا ما عبر عنه الرازي في تعريفه للصوفية :" أعلم أن أكثر من قضى في الأمة لم يذكر الصوفية وهذا خطأ ، لأن حاصل قول الصوفية : أن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية، وهذا طريق حسن ".[1]

هذه الاختلافات في اسمه وكنيته لن تتوقف هنا بل تستمر معنا في مواضع كثيرة من حياته... ذلك أنّ كل من خاض في حياته يجهل تفاصيلها إذ لا نكاد نعثر إلا على القليل من أخباره بسبب قلة أو ندرة المصادر عنه، أو ربما إهمال المؤرخين والباحثين لأطوار حياته،كما أنّ مصنفات التراجم في عصره أهملته وتقاعست عن الترجمة له،كما يوضح ذلك ياقوت الحموي في مؤلفه (معجم الأدباء):" لم أر أحدا من أهل العلم ذكره في كتاب ولا دبجه ضمن خطاب وهذا منا العجب العجاب "[2] وقد يكون السبب إهماله لنفسه والتعريف بها، وسيكون تاريخ مولده أيضا قائما على الترجيح والاستنتاج.

اختلف الباحثون في مولد التوحيدي وسنة وفاته. كما اختلفوا في الحكم على شخصيته وأخلاقه ، وتاريخ مولده كان محل جدل وحيرة حتى أن البعض لم يشأ أن يخوض في ذلك وأعفى نفسه فقال :" لا تسألني متى ولد ولا أين ولد ذلك رجل نشأ في بيئة خاملة لم تكن تطمح في مجد حتى تقيد تاريخ ميلاد ".[3]

ويذكر محمد عبد الغني الشيخ أنه ولد حوالي سنة 310هـ في بغداد حيث أقامت الأسرة هناك. وعمل والده بالتجارة وهذه الاشارات استدّل بها من كلام التوحيدي نفسه في كتابه (المقابسات) حيث يذكر أنّه كتب رسالته سنة 400هـ إلى القاضي أبي سهل علي بن

[1] ـ فخر الدين الرازي،اعتقادات فرق المسلمين والمشركين،ص 115 . نقلا عن الله والإنسان في فلسفة التوحيدي،ص 43

[2] ـ ياقوت الحموي،معجم الأدباء،ج 5، ص 1924

[3] ـ زكي مبارك، النثر الفني،ج 12 ، ص 161

محمد[1]،رسالته هذه تضمنت اعتذاره عن إقدامه على إحراق كتبه،يقول فيها(...وبعد فقد أصبحت هامّة اليوم أو غدا، فإنني في عشر التسعين وهل لي الكبر والعجز أمل في حياة لذيذة أو رجاء لحال جديدة)[2]،ولم يكن مولده فقط ما تضاربت فيه الآراء وجهله المؤرخون،إذ أن هناك شؤون أخرى كفترة شبابه،وما تعلق بزواجه وأولاده وأقاربه ... ولعل هذا الترجيح يرجع إلى أنّ الناس في ذلك العصر لم يهتموا بتقييد هذه الأمور وهي سنة غالبة عندهم .

ويشير هو نفسه إلى تاريخ تأليف كتاب المقابسات سنة 360 هـ، وهو في الخمسين من عمره[3]، إذن من خلال ما سبق يرجح أن تاريخ مولده حوالي سنة 310هـ.

أصله :

اختلف المؤرخون أيضا في أصل التوحيدي وبلده فبعضهم بقول أنّه عربي، والبعض يقول بأنه فارسي أو شيرازي أو نيسابوري[4] وهناك من يجزم أنه عربي نشأ في بغداد ثم وفد إلى شيراز رغم أن الحموي – وقد عرف بسعة الإطلاع والتنقيب – يقرّ أنه يجهل أصل التوحيدي ونشأته، وممن رجحوا نسبه الفارسي عبد الرحمن بدوي[5] إذ يقول بأنه من أولئك الموالي الذين اختلطت دماؤهم، كما وغلّب أنه آري،لأنه حسب زعم البعض أنّ الدم الآري يذهب بأهله إلى دقة التفكير وإمعان النظر مع تكلّف الأسلوب وتصنيع التعبير .

[1] ـ محمد عبد الغني الشيخ،أبو حيان التوحيدي،نقلا عن المقابسات ص 114 . وينظر أيضا : ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص 1929

[2]– ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5،ص 1930.

[3]– ينظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، نقلا عن المقابسات،ص 111 .

[4] ـ ياقوت الحموي،معجم الأدباء،ج05، ص 1931 . وينظر : ابراهيم الكيلاني، أبو حيان التوحيدي، دار المعارف، ط4، مصر، ص 12.

[5] ـ أبو حيان التوحيدي، الاشارات الالهية، تح عبد الرحمن بدوي، ج1، مطبعة جامعة فؤاد الاول، مصر،المقدمة، ص ج

وبالرجوع إلى بعض المصادر يرى الدارسون أن التوحيدي عربي الأصل بغدادي المنشأ، تذكر الأسباب منها:كنيته واسم أبيه، بالإضافة إلى كونه لم يتقن الفارسية،ولأنّه أقام في بغداد منذ صغره،كما أنّه تعلّم على يد مشايخها، ولعلّ ما يؤكد انتمائه العربي ماجاء في كتاب (الإمتاع والمؤانسة) إذ يعزز التوحيدي نسبه برده على الجيهاني الذي سبّ العرب، وتناول أعراضهم،وتهجّم عليهم فردّ التوحيدي على تهجمه بمثله وسفّه الفرس، ونال منهم فيما يقارب عشرين صفحة من كتابه الإمتاع والمؤانسة.[1]

وبين تضارب الآراء وإن مالت إلى نسبه العربي نجد أنّ هذا الرجل لم يأخذ حقه في التعريف به ولا حقّه في التأريخ لحياته وسيرته كما ينبغي لشخصية فذة جاء أدبها مرآة عاكسة لواقع عصره وحال بيئته.

وفاته :

صعوبة تحديد وفاة التوحيدي كانت أشد من تحديد ميلاده،إذ أن الترجيحات هذه المرة كانت تنقسم ما بين سنة 360هـ وسنة 414هـ،وهذا ما يشكل تباعدا زمنيا يؤجج الخلاف أكثر، فالسيوطي يقول أنه توفي 380هـ، وهذا الرأي لا يثبته الكثير لأن أبا حيان كتب رسالته إلى القاضي أبي سهل علي بن محمد في رمضان سنة 400هـ[2].كما ذكر في كتاب الصداقة والصديق أنه بيّض مسودتها في رجب سنة 400هـ[3] ويذكر الشيرازي أبوالعباس أحمد زركوب في كتابه (شيرازمانة): بأنّ الشيخ أبا الحسن بن أحمد شيخ مشايخ عصره،رأى أبا حيان في منامه فسأله :"ما فعل الله بك؟

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة ، ج1، تح أحمد أمين وأحمد الزين ،لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر 1939،.ص78 ـ 96. وينظر : محمد كرد علي، أمراء البيان، ص 498 والحوفي، أبو حيان التوحيدي، ج1، مطبعة نهضة مصر، 1957، ص ص 26 ـ27.

[2] – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص 1929.

[3] ـ أبوحيان التوحيدي، الصداقة والصديق،ط 1،.مطبعة الجوائب، القسطنطينية،.1301هـ، ص6.

.فقال :غفر لي على رغمك " ،وفي اليوم التالي طلب أن يحمل إلى شيراز ليزور قبر أبي حيان التوحيدي، وصلى عليه وأمر بوضع لوح على قبره مكتوب عليه: (هذا قبر أبي حيان التوحيدي توفي سنة 414هـ)[1]،ولعل هذا الرأي كان الأقوى ما ذكر في تاريخ وفاة التوحيدي وأوثقها،و أحمد أمين يؤكده في مقدمة الهوامل والشوامل :" وقد مات ابو حيان سنة 414هـ عن نيف تسعين سنة كما ذكر القزويني "[2] ، وهو الرأي ذاته عند الكيلاني اذ يقول :" ولعلم يقينا أنه مات سنة 414هـ "كما ذكر التاريخ نفسه في تحقيق وداد قاضي للإشارات الالهية [3].

هذا الغموض والتأرجح والاختلاف في تحديد مولد ووفاة وأصل التوحيدي يجعله زكي مبارك " قيمة في فهم جده العاثر،و حظه المنكود،فلو كان رجلا مجدودا في دنياه لتلفت الناس إليه واهتموا بنسبه، وعرفوا مسقط رأسه، لكنهم عرفوه شقيا محروما فانصرفوا عنه، وأغفلوا أمره، حتى عجب ياقوت من أن لم ير أحدا عنى به من كتاب السير والتراجم على كثرة من اهتموا بهم من العلماء والكتاب والشعراء ". [4]، وهو(التوحيدي) خير شاهد على عصره، بل كان الضمير الإنساني الحي لهذا العصر فكريا وأدبيا واجتماعيا ، ومن سوء حظه أنه ولد في غير عصره، أو لزمان غير زمانه . ولقد كان عصرا يستحق الإدانة وقد أدانه التوحيدي .

شخصيته :

لا نكاد نجد من المصادر ما يشيرإلى طفولته أو علاقته بأسرته، أو صلاته بإخوانه وكأنه: " فقد كل شيء في عهد مبكر، كما فقد الصديق والصاحب والتابع والرئيس "[5]،كما أنه صمت عن

[1] ـ ينظر : الحوفي،أبو حيان التوحيدي، ج1،ص 25 . و محمد عبد الغني الشيخ، أبو حيان، ص 165.

[2] ـ أبو حيان التوحيدي، الهوامل والشوامل تح أحمد أمين والسيد أحمد صقر،لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1951، المقدمة، ص ح.

[3] ـ أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، تح وداد قاضي، دار الثقافة،ط2، بيروت، لبنان، 1982، ص09

[4] ـ زكي مبارك، النثر الفني، ج2، ص 134.

[5] ـ عبد الرحمن بدوي، مقدمة الإشارات الالهية،ص هـ.

الحديث عن أهله، إذ لم تذكر المصادر أية إشارة عن زوجة أو ابن أو أسرة، بل إن ما وصلنا يدعونا إلى الظن بأنه عاش وحيدا من طفولته حتى آخر أيامه .

عاش التوحيدي طفولة معذبة لطالما حرص على إخفائها ويتحاشى نبشها في كتاباته، الأمر الذي جعله يلجأ إلى التحصيل العلمي تعويضا للحرمان، ونجده يصف رجلا في مثل حاله ولعله يختفي وراءه ويجعله رمزا له فيقول :"هكذا اشتّد في طلب العلم تشميره، و اتصل في اقتباس الحكمة رواحه وبكوره، وكانت الكلمة الحسناء أشرف عنده من الجارية العذراء، والمعنى المقدم أجل إليه من المال المكوم... "[1] ، كما لجأ إلى السفر والتنقل طلبا للعلم والمعرفة أو سعيا وراء الطلب الرزق مابين بغداد والري ونيسابور، وشيراز ومكة، وربما ذلك ما خلف لديه الشعور بعدم الاستقرار ، حتى أنّه شكا من كثرة السفر :" قد أذلني السفر من بلد الى بلد ، وخذلني الوقوف على باب باب، ونكرني العارف بي وتباعد عني القريب مني "[2] .

ويشير هذا القول إلى حظه العاثر في طلب الرزق والسعي نحو المكانة التي تناسب علمه وفكره، مما يقوي شعور الانكسار والخيبة عنده، خاصة وأن معاصريه من العلماء والمفكرين والأدباء يتقربون إلى الأمراء فينالون العطايا والثروة والجاه ... وراح وهو يحاول التقاط أسباب الرزق من أعمال متواضعة، ولعل أهمها حرفة الوراقة أو نسخ الكتب، هذه المهنة التي لطالما اشتكى منها على الرغم من أنّه كان يتقنها فيقول :" لقد استولى علي الحُرف* وتكمن مني نكد الزمان إلى الحد الذي لا استرزق مع صحة نقلي وتقييد خطي، وتزويق نسخي، وسلامته من التصحيف والتحريف بمثل ما يسترزق البليد "[3]، وكان الوزير ابن عباد قد كلفه بنسخ كتاب فقبل على مضض وقال لبعض الناس في دار الصاحب :" إنّما توجهت من العراق إلى هذا الباب وزاحمت منجعي هذا الربيع لأتخلص من

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، الهوامل والشوامل، ص37.

[2] ـ أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة، ج 3، ص 227.

* - الحرمان والفاقة،قلة الرزق .

[3] ـ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج5،ص ص1927ـ 1928 .

حرفة الشؤم إذ أن فيها ذهاب العمر والبصر "[1]،وقد يعود السبب في سخط التوحيدي على مصدر رزقه :ضآلة موردها وقلة جدواها حتى عدّها إحدى منغصات حياته، ومعكر صفو مزاجه .

ومع ما يصفها التوحيدي لما فيها من تعب وصعوبة إلا أنها مكنته من الإطلاع على الواسع العميق من الفكر والثقافات. تلك المهنة المضنية المرهقة، غير مجزية ماديا،على رأي التوحيدي، أشبعت نهمه إلى المعرفة والإطلاع، فقد أنكب على تقليب الكتب وقرأ بل نسخ وراجع واستوعب ما ورد في بطونها،والتهَم ما راج في مجتمع بغداد من الرسائل والترجمات والأخبار كما وأنها وسّعت صدره وذهنه وفكره وعلمه بتلقيه لآراء مختلفة ونزعات متباينة، فقد كان يقبل نسخ كل ما يقدم إليه ما دامت وسيلة عيشه، ومجالسة العلماء والفلاسفة والفقهاء، وهي وأن لم تمكنه من النيل والحظوة، ولم ترده عن المسألة إلا أنها صنعت تراثا عظيما لو لم يحرقه في أخر عمره .

هذا وقد أساء الناس الحكم على التوحيدي ما زاد في حظه التعيس، من خلال الاتهامات التي انهالت عليه فقد أتهم بالوضع والزندقة ، والولع بثلب الناس وخاصة الوزراء، ولم يسلم من القدح واللوم في كرامته، واتهامه بالتفريط فيها عن تخاذل وضعف لما أبداه من الالحاح في السؤال والتذلل، وإحراقه لكتبه[2] ...

ولا عجب من خلال هذه المواقف التي يبديها التوحيدي أن تثار أسئلة كثيرة حول تكوينه النفسي وشخصيته، فمن إحساسه بالوحدة في طفولته إلى فقدانه الولد والصديق، وماعاناه من حرمان نفسي وجسدي من فقر وجوع ، إلى إحساسه بالاغتراب، وصولا إلى إحساسه بالنبذ في علاقاته بالأمراء والوزراء ومهاجمته للكثير منهم، لعل هذا ما يدفع الكثير من الدارسين لحياته إلى وصفه بشخصية تشوبها العيوب، وقد يصل الأمر إلى حد المرض النفسي، يقول إبراهيم الكيلاني : "هذه عبارة أخرى يعبر فيها التوحيدي عن مركب نقص الذي كان يخفي تحته عجزه وإخفاقه ...

[1] ـ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج5، ص1928

[2] ــ حسن الملطاوي، الله والإنسان في فلسفة التوحيدي مطبعة الاطلس، القاهرة دط، 1989، ص72.

معبرا عن تبرمه بالناس واحتقاره لهم " والله لربما صليت في الجامع فلا أدري إلى جنبي من يصلي معي، فإن اتفق فبقال أو عصّار أو ندّاف أو قصّاب ..."[1]

كما قد يرى البعض استنادا إلى علم النفس والاستعانة ببعض مفاهيمه أن التوحيدي كان يعاني من الإحساس بالخوف نتيجة لفقدانه الأمان، وهو ما شكّل إفراطه في التذلل والتوسل، ويستدلون بعبارات تشعرهم بخوف التوحيدي وقلقله ومنها :"أيها السيد اقصر تأميلي، ارع دمام الملح بيني وبينك، تذكر العهد في صحبتي، طالب نفسك بما يقطع حجتي، دعني من التعليل الذي لا مرد له، والتسويف الذي لا آخر معه" [2]. ومنه أيضا: " خلصني أيّها الرجل من التكفف أنقذني من لبس الفقر، أطلقني من قيد الضر، اشتري بالإحسان، اعتبدني بالشكر، استعمل لساني بفنون المدح، اكفيني مؤونة الغداء والعشاء . إلى متى الكسيرة اليابسة، والبقيلة الذاوية، والقميص المرقع "[3].

لكن وإن كان التوحيدي يلبس دوما ثوب الخانع المتذلل،إلّا أنّه ظل ثائرا عمن منعوه، فيوجه لهم العبارات القاسية والجارحة في المثالب " وأبو حيان رجل خلّفته البأساء، وأنشأه الحقد على الموهوبين من أهل العلم والأدب والجاه، ولن تجده في صميم أدبه إلا زمجرة كلما مر بباله خاطر الغنى والفقر والنعيم والبؤس،والنباهة والخمول "[4]، وثائرا على نفسه وعلى الدنيا كلها فتأخذ ثورته شكل المناجاة الصوفية، والأدعية والتوبة الخالصة في إشارات إلهية .

رغم الظروف القاسية والحياة القلقة العاثرة التي عاشها التوحيدي، ورغم عدم الاستقرار وسوء الحظ، إلا أنه تمكن من الحضور القوي في سجلات القرن الرابع الهجري واحدا من أهم مفكريه وأدبائه وفلاسفته ، ونتساءل مع الباحث حسن الملطاوي :" ولي أن أعجب وسط هذه

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، تحقيق إبراهيم الكيلاني، ص ص19 ـ 20.
[2] ـ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج3، ص 228.
[3] ـ المصدر نفسه، ص ص 226-227.
[4] ـ زكي مبارك، النثر الفني، ج2 ، ص ص 34- 35.

القسوة ووسط هذا العذاب، والشعور بالامتهان، وتكالب الظروف، كيف صمد بل كيف استطاع أن يحتفظ بكل هذا الصفاء الذهني، وهذه المعرفة الواسعة، وهذا التحصيل الذكي، وأقصد به التحصيل الذي ليس هو مجرد حفظ، بل هو تحصيل تفاعل، لأنه ينتج فكرا جديدا ناضجا، ويثير إشكالات فلسفية متعددة، كيف استطاع بحق أن يتحمل هذا الظلم والهوان "[1] بل أننا لنعجب من أنه مفكر موسوعي كما وسمه كل من تحدث عنه وهو في تلك الظروف الصعبة، وليست ظروفه الشخصية فقط بل ظروف عصره أيضا ـ فمن أين له بكل هذا، ومتى كان يكتب وهو الذي طاف الدولة شرقا وغربا، وأين كان يكتب وهو الذي لم يعرف استقرارا في حياته،وكيف تمكن من الإطلاع على كل هذه الروافد المعرفية والفكرية ؟[2].

منابع ثقافته :

يعتبر التوحيدي موسوعة جامعة لأكثر معارف عصره " فهو عالم واسع المعرفة متنوع الثقافة، خبير باللغة والأدب والكلام والتصوف والفقه والفلسفة، وربما لم يند عنه إلا الطب والكيمياء والرياضة "[3]، إذن من أين للرجل كل هذه العلوم والمعارف حتى غدا "شيخا في الصوفية، وفيلسوف الادباء، وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام، ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء، وعمدة لبني ساسان ...فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة، كثيرا لتحصيل العلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية "[4]، كيف استطاع أن يجمع أفانين المعرفة، ويتربع على عرش الموسوعية، وتجمع بين يديه ألوان الفكر والأدب والثقافة والمنطق واللغة والنحو .

[1] ـ حسن الملطاوي، الله والإنسان في فلسفة التوحيدي، ص83.

[2] ـ ينظر : جمال الغيطاني، خلاصة التوحيدي، مختارات من نثر أبي حيان التوحيدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1995، ، ص 09.

[3] ـ أحمد الحوفي،أبو حيان، ج1، ص29.

[4] ـ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5 ، ص1923.

لاشك أن من روافد فكره منابع علمه تلك الكتب التي قرأها ونسخها، فقد أتاحت له فرصة قراءتها على مهل، كما كانت تيسر له الإطلاع على كل نادر ونافع منها، و كان ينسخ في إجادة وإتقان و" الحرص على الإجادة، وتجنب التصحيف والتحريف، والفهم والإدرك للغة، فأثّر كل ذلك في سعة أفقه وسلامة لغته وتنسيق أفكاره، وارتقاء أسلوبه، ونقاء عبارته، واختيار ألفاظه، خاصة وقد عرف عن أبي حيان أنه كان ذا فكر متحرر، وعقل متفتح على جميع المذاهب والآراء بل والأديان، بغض النظر عن كونها موافقة أو مخالفة لآرائه واتجاهاته، ومما لا شك فيه أن عمله هذا (الوراقة) قد ساعده على تنمية موهبة الجمع، فهو قد جمع في مؤلفاته أطرافا من معظم معارفه "[1]، وهو بهذا كله شغوف للتحصيل في كل العلوم والمعارف التي خاض غمارها وسبر أغوارها وهو يتفنن في نسخها وكتابتها فكان لمهنته المضنية بالغ الأثر في صياغة شخصيته التي تميزت بالميل إلى العقلانية والتحرر الفكري .

ولم يتوقف تحصيل التوحيدي العلمي على ما نسخته يداه من كتب ومصنفات بل كان مواظبا على مجالسة العلماء والفقهاء والفلاسفة وكثير التردد على مجامعهم، أين كان يتباحث الأعضاء فيها مختلف شؤون الفكر، من المنطق والفلسفة والطبيعيات وأمور الدين والأدب واللغة ...تضم هذه المدرسة أستاذته وشيوخه الذين أخذ عنهم صنوف العلم وفنونه الأدب، مكنته من التفتح على المعرفة بكل جزئياتها [2].

اتصل التوحيدي بشيوخ العلم والأدب والفلسفة والمنطق وكانوا علماء موسوعيين، ذوي ثقافات متعددة، كان منهم أبو سليمان السجستاني المنطقي، والفيلسوف يحي بن عدي، والشيخ أبو سعيد السيرافي عالم النحو والكلام، والعالم علي بن عيسى الرماني، وعالم الفقه المروروذي،وكان **ابو سليمان بن محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني**(ت375هـ) في مقدمة العلماء الذين نهل

[1] ـ محمد عبد الغني الشيخ، أبو حيان التوحيدي، ج1، ص211.
[2] ـ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج5، ص1930 .

منهم التوحيدي، وهو من كبار الفلاسفة وعلماء المنطق واللغة وصاحب أنظار في الأدب والشعر، وكان التوحيدي يكثر ملازمته والنقل عنه،وكتاب المقابسات يضم الجزء الأكبر منه أحاديث ومناقشات جدلية وفلسفية بين السجستاني وتلاميذه، يقول التوحيدي عن أستاذه :" إنّ شيخنا أبا سليمان غزير البحر، واسع الصدر، لا يغلق عليه في الأمور الروحانية، والأنباء الالهية، والأسرار الغيبية، وهو طويل الفكر، كثير الوحدة، وقد أوتي مزاجا حسن الاعتدال، وخاطرا بعيد المنال، ولسانا فسيح المجال "[1]،فلا شك أنّه استفاد من شيخه فائدة اعترف بها وأثنى عليها، وتجلت في كتاباته .

وأما **الفيلسوف يحي بن عدي**(ت310هـ) وهو أستاذ للسجستاني كما كان أستاذا للتوحيدي، ويحي بن عدي نصراني يعقوبي من تلاميذ أبي نصر الفرابي وبشر متى بن يونس، قام بترجمة كتب أرسطو، وله الى جانب ذلك مؤلفات في علم المنطق والفلسفة والأخلاق،ذكر له التوحيدي الكثير من الآراء، ووصفه بقوله :" وأما يحي بن عدي، فإنه كان شيخا لين العريكة، فروقة (شديد الفزع)، مشوه الترجمة، رديء العبارة، لكنه كان متأنيا في تخريج المختلفة(المسائل) وقد برع في مجلسه أكثر هذه الجماعة ولم يكن يلوذ بالإلهيات، كان ينبهر بها ويضل في بساطها، ويستعجم عليه ما جلّ، فضلا عما دقّ منها، وكان مبارك المجلس "[2] .هذا ويحفل كتاب المقابسات بالكثير من آراء يحي بن عدي في الكون والفساد وأمور كثيرة .

وأما **أبو سعيد السيرافي النحوي** (ت 368هـ) فهو أستاذه الأكبر أخذ عنه النحو والكلام والفقه والشريعة وغيرها من أصناف العلوم والمعارف [3]، لأنّه كان من كبار النحاة والمتكلمين المعتزلة في القرن الرابع الهجري، وقد أجلّه التوحيدي إجلالا عظيما وتعلق به، وسجل له المناظرة الكبرى في كتابه الإمتاع والمؤانسة والتي دارت بينه وبين متى بن يونس في المفاضلة بين النحو العربي والمنطق

[1] ـ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص 154.
[2] ـ المصدر نفسه، ج1، ص26.
[3] ـ زكريا ابراهيم، أبو حيان التوحيدي، ص27.

اليوناني [1]. وذكره التوحيدي بآيات الإكبار والمديح والثناء تعقيبا على هذه المناظرة :"أبا سعيد كان أجمع لشمل العلم، وأنظم لمذاهب العرب، وأدخل في كل باب وأخرج من كل طريق،و ألزم للجادة الوسطى في الدين والخلق، وأروى في الحديث، وأقضى في الإحكام، وأفقه في الفتوى،وأحضر بركة على المختلفة، وأظهر أثرا في المقتبسة "[2].هذا مما دفع التوحيدي أن يجعل السيرافي نموذجا يعمل على محاكاته والتأثر به، ومن فرط ذلك وصفه قائلا:" شيخ الشيوخ، وإمام الأمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة ..."[3] ،هذا ويعتبر الكثير من الدارسين أن التوحيدي مدين للسيرافي في نشأته العلمية، وتهذيبه الروحي يظهر هذا التأثر في نزعة التصوف .

ومن الأساتذة الذين صبغوا فكر التوحيدي بالموسوعية **علي بن عيسى الرماني** (ت 384هـ) وهو المتضلع في فلسفة النحو، المتكلم على طريقة المعتزلة، ينسب إليه مزج النحو بالمنطق، ويشهد له تلميذه التوحيدي بالمكانة والتمكن في العلوم فيقول :"أما علي بن عيسى فعالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق ، إلا أنه لم يسلك طريق واضع المنطق، بل أفرد صناعته، وأظهر براعة، وقد عمل في القرآن كتابا نفيسا، هذا مع الدين الثخين والعقل الرزين "[4]، فكان الرماني واحدا ممن نشأ التوحيدي على يديه من الناحية النحوية والمنطقية وحتى العقلية،والتلميذ كان في كل مرة يشيد بفضله عليه .

وفي باب الفقه والشريعة لم يجد التوحيدي من هو بشان الشريعة أعلم، ولأعاجيبها أحفظ، وفيما أشكل منها أفقه إنّه **أبو حامد أحمد بن بشر المروروذي** (ت 362هـ)، وفيه يقو ابن

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص128 وينظر : أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج1، ص230.

[2] ـ المصدر نفسه، ج1، ص 129.

[3] ـ أبو حيان التوحيدي ، المقابسات، تحقيق حسن السندوبي ، المكتبة التجارية، القاهرة،1961 ، ص58.

[4] ـ أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، ج1،ص 133 . وينظر : زكريا ابراهيم، التوحيدي، ص36 و ينظر علي الدب، أبو حيان التوحيدي، ص 41.

خلكان في وفيات الأعيان :" لم ير قط علما بالنحو وغزارة في الكلام، وبصرا بالمقالات، وإيضاحا للمشكل، مع تأله وتنزه، ودين ويقين، وفصاحة ونزاهة، وعفافة ونظافة "[1]، ويراه التوحيدي بحرا يتدفق حفظا للسير واستنباطا للمعاني، وثباتا على الجدل، فلازمه وأخذ بآرائه ونقل عنه،واستشهد به خاصة في الفقه الشافعي، ويظهر ارتباطه الوثيق وعلاقته الفكرية به فيما ينسبه إليه من آراء التصوف ومعاني الزهد، هذا وقد نسب إليه رواية السقيفة لكن البعض ينفي عنه ذلك [2].

وهكذا تلقن أبو حيان التوحيدي أصول العلوم، واكتسب ثقافة موسوعية واضحة على يد كبار العلماء والفلاسفة واللغويين في القرن الرابع الهجري، إلى جانب عدد آخر من العلماء من كبار المتصوفة أمثال أبي محمد جعفر الخلدي، وابن سمعون، وأبي بكر القومسي، وأبي الحسن العامري، وابن النفيس وغيرهم [3]، هذا وكان الجاحظ أستاذه الروحي الذي لم ينفك يظهر شديد إعجابه به وبأسلوبه في الكثير من المواضع، بل وكتب فيه كتاب :" تقريظ الحاجظ"، وقد كان لهذا الاعجاب أثرا عظيما في كتابات التوحيدي، رغم الفارق الزمني بينهما .

هذه العوامل كلها مجتمعة جعلت من التوحيدي فذا من أفذاذ عصره، وزاده صفاء ذهنه وتحكيم عقله وعدم أخذه بظواهر الأمور أن يواصل البحث والنظر، إذ تميز عن غيره بشخصيته العلمية التي تجلت في المباحثات والمناقشات الممزوجة بلون الجرأة على تخطي القيود التي وضعها أصحاب المذاهب [4]، وهذه الصفة ميزت فكره بالتنوع والتعمق والإبداع، وهو ما جعله نمطا فريدا من أمثال أستاذه الجاحظ الذي نهل من علمه دون أن يعاصره .

[1] ـ ابن خلكان، وفيات الأعيان، القاهرة، 1299هـ ج1، ص 18، نقلا عن زكريا ابراهيم، أبوحيان التوحيدي، ص37.

[2] ـ ينظر :زكريا ابراهيم، التوحيدي ، ص37.

[3] ـ عبد الرزاق محي الدين، أبو حيان التوحيدي،، ص23.

[4] ـ محمد كرد على، أمراء البيان، ص500.

آثاره ومؤلفاته :

كان التوحيدي ـ بإجماع الباحثين ـ شخصية مفكرة وعالما محيطا بفنون المعرفة، وكاتبا بليغا، لذلك جاءت مدوناته نتاجا للسياق الثقافي والفكري للقرن الرابع الهجري، كما احتوت مضامين متعددة، وعلوما مختلفة، فتنوعت مصنفاته ومؤلفاته تبعا لذلك ما بين أدبية وفلسفية وصوفية،وليس غريبا أن يكون إنتاجه خصبا وافرا وهو الذي امتهن الوراقة .

كتب التوحيدي يوردها ياقوت الحموي :"ولأبي حيان تصانيف كثيرة: الهفوات لابن الصابي، الصداقة والصديق، الرد على ابن جني في شعر المتنبي، الإمتاع والمؤانسة، الإشارات الإلهية، الزلفى، المقابسات، رياض العارفين، تقريظ الجاحظ، مثالب الوزيرين، الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي، الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة، الرسالة البغدادية، الرسالة في أخبار الصوفية،الرسالة الصوفية،الرسالة في الحنين إلى الأوطان، البصائر والذخائر، المحاضرات والمناظرات "[1]. ويشير زكريا إبراهيم إلى أن ياقوت قد أهمل الإشارة إلى بعض الكتب الأخرى مثل : الهوامل والشوامل،ورسالة في العلوم، ورسالة الحياة، ورسالة في علم الكتابة، هذا علاوة على رسالة الامامة المعروفة برواية السقيفة،و المناظرة بين السيرافي ومتى بن يونس الواردة في الامتاع والمؤانسة في جزءه الأول .[2] وكل هذه الكتب على اختلاف موضوعاتها جاءت " سهلة المأخذ، بعيدة عن التكلف والتعسف، بريئة من اللبس والغموض "[3] وسنأتي فيما يلي على عرض هذه المدونات :

1. **البصائر والذخائر**[4] :ألّفه التوحيدي ما بين (350هـ ـ 365هـ) يتضمن عددا من المختارات الأدبية، كانت خلاصة ما سمعه وحفظه في المجالس وحلقات الدروس، شملت أقوال الرسول (صلى الله

[1] ـ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج15 ص 1926ـ 1927. وينظر أيضا زكريا ابراهيم، أبو حيان التوحيدي، ص 100 .

[2] ـ ينظر : زكريا ابراهيم، أبو حيان التوحيدي، ص101 .

[3] ـ حسن السندوبي، مقدمة شرح المقابسات، ص18

[4] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق وداد قاضي، دار صادر . بيروت، ط1، 1988.

عليه وسلم)، وأقوال الصحابة، وحكم العرب وأمثالها وأشعارها، يقول التوحيدي في الكتاب :" ثبت ـأطال الله بقاءك ـ الرأي بعد المخض والاستخارة، وصح العزم بعد التنقيح والاستشارة، على نقل جميع ما في ديوان السماع، ورسم ما أحاطت به الرواية، واشتملت عليه الدراية، منذ عام خمسين وثلاثمائة"[1].

2. **أخلاق الوزيرين** [2]: ويسمى " مثالب الوزيرين " أو "ذمّ الوزيرين "، والكتاب رسالة كتبها التوحيدي بعد مصاحبته لابن عباد (ت385هـ) وابن العميد (ت360هـ)، جمع فيها ما سمع وشاهد عن هذين الوزيرين، غايته ذكر مساوئهما، والنيل منهما بعدما حرماه ومنعاه الحظوة والإكبار، وقد ذكرها في الليلة الرابعة من مجالسته في الامتاع والمؤانسة :" على أني عملت رسالة في أخلاقه وأخلاق ابن العميد، أودعتها نَفَسي العزيز، ولفظي الطويل القصير، وهي في المودة، ولا جسارة لي على تحريرها، فإنّ جانبه مهيب ومكره لبيب "[3]. ويشير في مقدمة الكتاب أنّه خَبرَ هذين الرجلين، ووقف على شأنهما، واستبان دخائلهما،وعرف خوافي أحوالهما، من خلال المصاحبة والمشاهدة، ويورد زكريا ابراهيم رأيه بأنّ التوحيدي أفرط في ذم الوزيرين وإظهار بخلهما وسخفهما، وقلة دينهما، ومجونهما | .

3. **الإمتاع والمؤانسة** [4]: هو ثمرة سبع وثلاثين ليلة كان فيها التوحيدي نديما للوزير ابن سعدان، حوت مسائل فكرية واجتماعية وسياسية، وجاءت موضوعاتها :" متنوعة تنوعا طريفا، لا تخضع

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، من متن الكتاب ص، 02 .

[2] ـ أبو حيان التوحيدي، أخلاق الوزيرين، تحقيق ابراهيم الكيلاني، دار الفكر العربي، دمشق، 1961 (من 400 صفحة)، كما حققه محمد بن تاويت الطنجي، دارل صادر بيروت، دط، 1992.

[3] – أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج 1، ص 54.

[4] ـ أبو حيان التوحيدي، لإمتاع والمؤانسة، تح احمد أمين وأحمد الزين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر في 3 أجزاء (ج1 من 262صفحة مع مقدمة سنة 1939)و(ج2 من 205 صفحة مع الفهارس سنة 1942)و (ج3 من 233صفحة مع الفهارس سنة 1944) .

لترتيب أو تبويب، إنما تخضع لخطرات العقل، وطيران الخيال، وشجون الحديث، حتى لنجد في الكتاب مسائل من علم وفن، فأدب وفلسفة، وحيوان ومجون وأخلاق وطبيعة وبلاغة، وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة، وتحليل شخصيات لفلاسفة العصر وأدبائه وتصوير للعادات ..."[1] ما يعني أن هذه المدونة جمعت كل تفاصيل الحياة في القرن الرابع الهجري.

4. **الهوامل والشوامل** [2]: هي عبارة عن مجموعة من التساؤلات (الهوامل)بعثها التوحيدي مسكويه، فقام هذا الأخير بالإجابة عليها في (الشوامل)، وقيمة الكتاب في عمق الأسئلة التي يطرحها التوحيدي إذ تدل على أنه :" شخصية فلسفية طلعة تستخلص الأسئلة من كل ما يقع أمامها سواء المسائل خلقية أو اجتماعية، أو لغوية أو اقتصادية أو نفسية "[3] .

5. **المقابسات** [4]: هي تناج مجالسات التوحيدي لسليمان المنطقي ويحي بن عدي وغيرهما، ألفها التوحيدي بعد سنة 391 هـ عددها (106) مقابسة أو محاورة تدور بين العلماء في مواضيع مختلفة : في التصوف والفلسفة، والأدب والصداقة، والبلاغة، وأمور كثيرة أخرى يجمعها التوحيدي في أسلوب إشكاليات فلسفية معرفية .

6ـ **الاشارات الالهية**[5] :اصطبغت هذه المدونة دون غيرها بنظرات صوفية فلسفية، نتاج تأمل في موجودات الكون، وعلى الاغلب كتبها التوحيدي في آخر أيامه، لإتسامه بالحزن والشكوى والغربة[6]. جاءت في أربع وخمسين رسالة .

---

[1] ـ أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة، من مقدمة التحقيق لأحمد أمين، ص ط.

[2] ـ أبو حيان التوحيدي، الهوامل والشوامل، تح أحمد أمين والسيد أحمد صقر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1951 (من 399 صفحة).

[3] ـ أبو حيان التوحيدي، الهوامل والشوامل، ص 05 .

[4] ـ أبو حيان التوحيدي، المقابسات، تح حسن السندوبي .المكتبة التجارية، القاهرة، 1929.(399صفحة مع مقدمة التحقيق).

[5] ـ أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، تح، عبد الرحمن بدوي، جامعة الملك فؤاد الأول، القاهرة، دط، 1950 .

[6] ـ المضصدر نفسه، ص79 .

7- **الصداقة والصديق**[1] :كتبها التوحيدي في (381هـ) وأتمها سنة(400 هـ) بناء على طلب الوزير ابن سعدان فاستجاب له التوحيدي لكن تأخر في إخراجها حيث يقول :" فجمعت ما في هذه الرسالة، وشغل عن رد القول فيها، وأبطأت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره مما كان، فلما كان هذا الوقت وهو رجب سنة أربعمائة، عثرت على المسودة وبيّضتها على نحيلها "[2] ... وفي القول إشارة منه إلى سبب كتابتها وسنة تبيضها، وقد جاءت من غير تبويب ولا ترتيب . وتجدر الإشارة إلى أن هذه الرسالة قد ذيلت برسالة " في العلوم " في إحدى الطبعات .

هذا إلى جانب ثلاث رسائل نشرت للتوحيدي في عام 1951م، قام بتحقيقها الدكتور إبراهيم الكيلاني في دمشق وهي : **رسالة السقيفة** وتصور الصراع بين السنة والشيعة في عهد بني بويه، **ورسالة علم الكتابة** وهي بحث حول أنواع الخط العربي،، وأنواع الأقلام، وأنواع الخط، مع سرد لأقوال بعض المفكرين في الخطوط وهي في حقيقة الأمر سرد لتجربة التوحيدي مع مهنته، وأمّا الثالثة فهي **رسالة الحياة**، وهي بحث فلسفي في الحياة والموت حافل بآراء الفلاسفة والمفكرين حول الحياة وما بعد الموت[3] بالإضافة إلى كتب لم تطبع بعد، وأخرى مفقودة لا يعرف لها مكان .

وأخيرا نستطيع القول أنّ التوحيدي كان غزير الإنتاج، غزير المعرفة، غير أنه كان مغبون القدر، مهضوم المكانة، وأنّه أجدر بالدراسة والتقدير من أرباب الصناعة الفظية الذين ذاعت شهرتهم في حياتهم، وبعد مماتهم، وما زالوا يدرسون إلى اليوم على أنّهم زعماء مدرسة، وأصحاب طريقة في الكتابة ...

[1] ـ أبو حيان التوحيدي، رسالة الصداقة والصديق، تح: ابراهيم الكيلاني، دار الفكر دمشق، سوريا، ط2، 1998.

[2] – أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق،ص 35 .

[3] – أبو حيان التوحيدي، ثلاث رسائل (رسالة السقيفة، علم الكتابة، الحياة)، تح :ابراهيم الكيلاني، المركز الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، سوريا، 1952 . من مقدمته ص م .

الصّداقة والصّديق

رسالة

لأبي حيّان التّوحيدي

[٣١٠ - ٤١٤ هـ]

عني بتحقيقها والتعليق عليها

الدكتور ابراهيم الكيلاني

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي: ٠١١, ٠١١٢
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-263-5
الرقم الموضوعي: ٨٠١
الموضوع: أدب
العنوان: الصداقة والصديق
التأليف: أبو حيان التوحيدي
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ٤١٦ ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

إعادة
1419هـ = 1998م
ط1 : 1964م

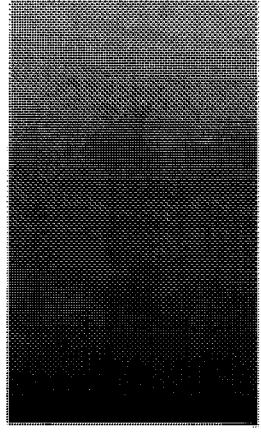

بسم الله الرحمن الرحيم

الصّداقة والصّديق

« فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً
وفطنةً وفصاحةً ومكنة »

ياقوت : معجم الأدباء ٦/١٥

« ربما كان التوحيدي أعظم كتاب
النثر العربي على الإطلاق »

آ . متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ٣٩٤/١

الصداقة والصديق / أبو حيان التوحيدي ؛ عني بتحقيقها والتعليق عليها إبراهيم الكيلاني . ـ ط ٢ . ـ دمشق : دار الفكر، ١٩٩٦ . ـ ٤١٦ ص ؛ ٢٥ سم .
ردمك : 5-263-57547-1
١ ـ ٨١٩,٥ ح ي ا ص ٢ ـ العنوان
٣ ـ أبو حيان التوحيدي ٤ ـ الكيلاني
مكتبة الأسد
ع ـ ٦٨٣ / ٦ / ١٩٩٦

أبو حيّان التّوحيدي

٣١٠-٤١٤ هـ

١ - عصر التّوحيدي :

لم يعرف في تاريخ الأمم الإسلامية الطويل عصر تدنَّت فيه الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وانتشرت الفوضى ، وعمَّ التغلب والتقلب وسط مجتمعات ضعيفة البنيان ، مرجرجة الكيان ، كمجتمعات العصر العباسي الثالث ، وإذا ما تأمل المؤرخ أوضاع ذلك العصر هاله أمران : اشتداد النزعة الاستقلالية عند العناصر المكوِّنة للدولة الإسلامية آنذاك ، وكثرة الدويلات التي ظهرت للوجود ، فبعد أن كان الخليفة في بغداد هو المسيطر الوحيد على هذه الدولة الموحدة ، أخذ نفوذه يضؤل شيئاً فشيئاً حتى لم يبق له من مظاهر الجاه والسلطان إلاّ الاسم يدعمه اعتراف ظاهري أو فعلي حسبما تمليه الأهواء والتقلبات والأمزجة الفردية والجماعية .

وإذا نظرنا إلى الخريطة السياسية في ذلك الزمن وجدنا أن ابن رائق يحكم البصرة وواسط ، والبريدي خوزستان ، وأن بني بويه ، وهم جماعة من الديلم يحكمون العراقين والأهواز وفارس ، وأن السامانيين ، وهم جماعة من العجم مستقلّون بخراسان وما وراء النهر ، وأن بني حَمدان ، وهم بطن من تغلب بن وائل ، يبسطون سلطانهم على الموصل والجزيرة والشام ، وأن الفاطميين أو العبيديين ، وهم فريق من الشيعة قيل إنهم من نسل فاطمة الزهراء ، متغلبون على إفريقية والمغرب ، وأن القرامطة الباطنيين ، أتباع

حمدان قُرْمط ، يعيثون في البحرين واليامة وهَجَر فساداً وهدماً ، وأن الأندلس يعلو هامتها تاج الملك الناصر عبد الرحمن الأموي .

تلك هي الأوضاع حوالي سنة ٣٢٤ هـ ، وقد أعقب هذا الانقسام في الكيان السياسي ما يعقب كل كيان آل إلى الضعف والتفكك بعد الوحدة ، وإلى التوزّع بعد التلاحم والتماسك ، من مظاهر الفوضى والتسلُّط والاستهتار بالحقوق والواجبات . فمن قتلٍ وخلعٍ وغدرٍ ومصادرة أموال وأشخاص ، وفساد علاقات بين الحاكم والمحكوم وقيامها على البطش والثورة حيناً ، والملاينة والانتفاضة حيناً آخر حتى عدَّ هذا العصر من أكثر العصور اضطراباً ، وأغناها بالفرق والمذاهب والحركات السريَّة والعلنية ، وتيارات التصوف والزندقة . يسود هذا كله غموض وظلمة حتى ليصعب على الباحث المؤرخ الاهتداء إلى الطريق في متاهات هذا العصر العجيب المتناقض .

ومن الظواهر التي يجدر بمؤرخ الأدب الوقوف عندها حالة الحياة العقلية والفكرية وسط مظاهر الانحطاط السياسي والخلقي والاجتماعي والاقتصادي ، وتأثير ذلك على النتاج الفكري ، وكان من البديهي أن يتبع الأدبُ والفكرُ السياسة في تردّيها لأنها صورة للمجتمعات يرتفعان بارتفاعها ويهبطان بهبوطها إلاَّ أن هذا القانون لم يصدق على العصر العباسي الثالث ، بل لم يصدق على كثير من العصور عند بقية الأمم في الشرق والغرب ، فقد ظلت الحياة العقلية في سيرها المطَّرد الصاعد على هامش الحياة السياسية ونمت وتوسَّعت فعرف العصر نتاجاً فكرياً قلَّ أن عرفته الأمم الإسلامية في أزهى عصورها ، ذلك أن ثَمَّة أسباباً أوجدت هذا التناقض يمكن حصرها فيما يلي :

أ ـ يحجم المفكرون والعلماء والعقلاء في عصور الفوضى والخوف والاستبداد عن المشاركة في الحياة العامة ومعاشرة السلطان وخدمته لما

يحمل ذلك في ثناياه من أسباب العطب وإذلال الكرامة فيلجأ أصحاب العقول الكبيرة الممتازة إلى العزلة واجدين فيها أمناً وهدوءاً وسلامة وسلوى تساعدهم على العمل والتفكير والتأمل والإنتاج .

ب ـ إن العرب عرفوا في بدء العصر العباسي الأول تراثاً ضخماً نقلوه عن الأمم القديمة إلى العربية فأمعنوا فيه درساً وشرحاً وتفهماً مدفوعين بقوة الاستمرار والتسلسل فكان ذلك زاداً تناوبته العصور القادمة وخميرة أفادت منها عبر التاريخ .

جـ ـ كانت بغداد ، قبل انهيارها ، مركزاً للإشعاع العلمي والسلطان السياسي في مملكة مترامية الأطراف ، وقبلة أنظار روّاد المثالة والشهرة والغنى والتفوق والمغامرة من الشعراء والأدباء ، فلما دبَّ الانقسام واستقلّت الأقطار ، تعدَّدت المراكز العقلية وأصبح كل قطر عاصمة صغيرة يحاول أولو الأمر فيها تقليد خليفة بغداد وبلاط بغداد في تقريب أهل الفكر ، وإحاطة أنفسهم بكل مظاهر الملك وأبهة السلطان ، بل لقد دبَّ الحسد فيما بين هؤلاء الأُمراء فصاروا يتنافسون ويتفاخرون بمن عندهم من أرباب العلم والأدب كما كان أدباء وعلماء كل قطر يساجلون زملاءهم ويفخر بعضهم على بعض . حتى الأعاجم من الأمراء أحاطوا أنفسهم ، بدافع التقليد ، وعلى جهلهم العربية ، بالعلماء والأدباء ، ولا أدلّ على ذلك من المثال الذي رواه الصولي في كتاب الأوراق ، أخبار الراضي والمتقي ص ١٩٤ـ١٩٥ عن بجكم التركي فقد كان هذا بواسط ، وكان الصولي من المقرَّبين إليه ، وكان بجكم أعجمياً « يعرف العربية ولا يجسر على التكلم بها » ، وكان يقول عن نفسه : « أخاف أن أتكلم بالعربية فأخطئ في لفظي ، والخطأ من الرئيس قبيح » ، وقد استدعى الصولي إليه يوماً وقال له معاتباً : إنَّ أصحاب الأخبار رفعوا إليَّ لما طلبتك من المسجد (وكان الصولي في المسجد) أنهم

قالوا : أعْجَلَهُ الأمير ! أفتراه يقرأ عليه شعراً أو نحواً أو يسمع من الحديث ! (يقولون ذلك تهكماً ببجكم الأعجمي) فقال بجكم : لقد ذَهبَ عليهم أمري ، أنا إنسان وإن كنت لا أحسن العلومَ والأدب أحبُّ أن لا يكونَ في الأرض أديب ، ولا عالم ، ولا رأس في صناعة إلاّ كان في جَنْبَتي وتحت اصطناعي ، وبين يدي لا يُفارقني ! » إن بجكم التركي هذا لسان حال أمراء الأقطار في ذلك الزمان ، وهكذا أصبحت لكل إقليم شخصيته المميّزة من غيره في العلم والأدب بعد أن كانت بغداد العاصمة المركز الإشعاعي الوحيد تستأثر بكل شيء وتستقطب فعاليات الناس كافة .

كانت الحياة الاجتماعية متأثرة إلى حدٍّ بعيد بالأوضاع السياسية ، وكان فقدان الأمن والاستقرار وغلبة التسلُّط والعسْفَ سبيلاً إلى إيجاد الفوارق الطبقية بين الناس ، وإلى فشو الترف والبذخ في الطبقات الموسرة على حساب الطبقات الفقيرة حتى صدق في ذلك قول علي بن أبي طالب : « ما رأيتُ إسرافاً قطّ إلاّ وإلى جانبه حقٌّ مضيَّع » ، لقد ضاعت حقوق الشعب من جراء الإسراف وإمعان الخلفاء والأمراء ومن يحيط بهم في التأنق في المأكل والمشرب والملبس وبقية اللذائذ حتى بلغت الحال بالوزير ابن الفُرات إلى أن « يأكل بملاعق البلُّور ، وما كان يأكل بالملعقة إلاّ لقمة واحدة ، فكان يوضع له على المائدة أكثرُ من ثلاثين ملعقة » ، وكان الوزير المهلَّبي كثير الولع بالورد روى شاهدٌ فقال : « شاهدتُ أبا محمد المهلبي قد ابتيعَ له في ثلاثة أيام ورد بألف دينار فرش به مجالسه وطرحه في بركة عظيمة ، كانت في داره ولها فوارات عجيبة يُطرح الورد في مائها فتنفضه على المجلس فيقع على رؤوس الجالسين ، وبعد شربه عليه وبلوغه ما أراد أنْهَبَه ! » وكان الوزير للمهلبي هذا « غايةً في الأدب والمحبة لأهله » معروفاً بعطفه على « أهل الأدب والعلوم ، فأحيا ما كان درس ومات من

ذكرهم » ، ولما مات « مات بموته عن الكتّاب الكرمُ والفضلُ » . وصفه أحد الأدباء فقال : « كان أبو محمد المهلّبي يناصف العشرة أوقات خلوته ، ويبسطنا في المزح إلى أبعد غاية فإذا جلس للعمل كان امرءاً وقوراً ، ومهيباً محذوراً » .

ولا ريب في أن طبيعة الحياة في ذلك الزمان كانت تدفع فئة من الأدباء وأهل الفكر إلى التماس العيش في ظلال الحكام والوقوف على أبوابهم راصدين الفرص للتسلل إلى الداخل حيث العيش الهنيء والحياة الرغيدة فيبقون ببقاء ذلك وينصرفون بعد زواله ، وليس من صورة أمتع من التي رسمها الثعالبي في (يتيمة الدهر ٣٠٩/٢) عن نوع الحياة الاجتماعية واستمتاع أهل الأدب من قريب أو بعيد بعشرة الحكام وإسرافهم ومشاركتهم لهم في تبذلهم وسفههم ومجونهم قال » « .. كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلّبي ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطّراح الحشمة والتبسُّط في القصف والخلاعة وهم ابن قريعة وابن معروف والقاضي التنوخي وغيرهم ، وما منهم إلاّ أبيض اللحية ، طويلها ، وكذلك كان الوزير المهلّبي ، فإذا تكامل الأنس ، وطاب المجلس ، ولذَّ السماع ، وأخذ الطرب منهم مأخذه وَهَبوا ثوبَ الوقار للعُقار ، وتقلبوا في أعطاف العيش ، بين الخفّة والطَّيش ، ووُضع في يد كل منهم كأس ذهب من ألف مثقال إلى مادونها مملوءاً شراباً قُطربلياً أو عُكبرياً ، فيغمس لحيته فيها بل ينقعُها حتى تتشرَّبَ أكثره ويرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون أجمعهم ، وعليهم المصبغات ومخانقُ البَرَمِ والمنشور ... فإذا أصبحوا عادوا لعادتهم في التزمُّت والتوقُّر والتحفُّظ بأُبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء » .

تلك أمثلة عما وصل إليه الترف في قصور الحكام ، أما الشعب ومنهم الأدباء ممن لم تُتَح له فرص الفوز برضى عظيم أو عطف وزير خطير ،

وكذلك العلماء وأصحاب الضياع والرَّعاع فهم فقراء بائسون محرومون ، همهم اصطياد الرغيف والفوز بالكفاف . وقد صور لنا التوحيدي في كتبه أحوال هؤلاء المفكرين والأدباء ومقدار الهوة التي انحدروا إليها ، وقد بدأ بنفسه فقال يشكو مرارة العَوز : « غدا شبابي هرماً من الفقر ، والقبر عندي خير من الفقر » ، وقال مخاطباً أبا الوفاء المهندس مستجيراً : « خلِّصني أيها الرجل من التكفُّف ، أنقذْني من لبس الفقر ، أطلقْني من قيد الضُّرّ ، اشترني بالإحسان ، اعتبدْني بالشكر ، استعمل لساني بفنون المدح ، اكفني مؤونة الغداء والعشاء ، إلى متى الكُسَيْرة اليابسة ، والبُقَيْلة الذاوية ، والقميص المرقَّع ... إلى متى التأدُّم بالخبز والزيتون .. قد أذلني السفر من بلد إلى بلد ، وخذلني الوقوف على بابٍ باب » .

وإذا ما رحنا نستقصي أحوال طبقة الأدباء والمفكرين وجدنا أنها لا تخرج عما وصف به أبو حيّان حاله ، فهذا أبو سليمان السجستاني زعيم المناطقة في عصره كان « بحاجة ماسَّة إلى رغيف ، وحوْله وقوّته قد عجزا عن أُجرة مسكنه ووجبة غدائه وعشائه » ، وهذا أبو سعيد السيرافي ، أستاذ التوحيدي يعمل في الوراقة فينسخ في اليوم عشر ورقات بعشرة دراهم ليعيش » ، وهذا أبو بكر القومسي الفيلسوف بلغت به الفاقة وتعثُّر جَدِّه حدّاً جعلاه يقول : « ما ظننت أن الدنيا ونكدها تبلغ من إنسانٍ ما بلغ مني ، إن قصدتُ دِجلة لأغتسلَ منها نضب ماؤها ، وإن خرجت إلى القفار لأتيم بالصعيد عاد صلداً أملس ! » .

وكان من انعكاس الحياة العامة على الأدب أن غلب عليه التكلف والمبالغة وتلوّن بلون الشحذ والضراعة كما قويت في هذا العصر نزعتا التصوف والزندقة والتوكُّل مما نجد أثره في أدب التوحيدي خاصة ونتاج العصر عامة .

٢ ـ لمحة عن حياة أبي حيّان التّوحيدي :

من المتعذر على المؤرِّخ إيجاد سيرة متسلسلة الحلقات للتوحيدي ، فإنَّ أخباره المبعثرة هنا وهناك لم تفدنا شيئاً عن أصله ونشأته ومكان ولادته ، وهذا ما جعل الأخبار عنه قليلة ومتضاربة ، وما عرف منها لم يسلم من التحريف والوضع وذلك أن أبا حيّان التّوحيدي لم يكن على وفاق مع أهل عصره مما جعله يقضي شطراً كبيراً من حياته مستتراً ، خشية الأذى وبطش السلطان ، على أنَّ ما تجمع لدينا من معلومات يجعلنا نعتقد أنه ولد سنة ٣١٠ هـ من أبوين فقيرين ، وأنه قضى قسماً كبيراً من حياته في بغداد حيث أتيح له أن يتلقى العلم على أعاظم علماء عصره ، فكان لهم أثر في توجيهه وتكوينه أدبياً وعقلياً وروحياً ، وكان أبرز هؤلاء الأساتيذ : أبو سعيد السيرافي (٢٤٨ـ٣٦٧ هـ) وهو عالم فذّ شارك في علوم عصره وأنواع المعرفة الشائعة فيه مشاركة واسعة ، فدرس عليه تلميذه التوحيدي علوم القرآن والفقه والفرائض والحساب والكلام والبلاغة والشعر والعروض والقوافي ، كما اطلع تلميذه في سن مبكرة على أسرار التصوف ، حتى صار التوحيدي فيما بعد شيخاً في الصوفية ، وكان التوحيدي كثير الملازمة لأستاذه ، شديد الإعجاب به ، والخضوع لإرشاده ، فهو في نظره « عالم العالم ، وشيخ الدنيا ، ومُقنع أهل الأرض » ، ودرس التوحيدي علم الكلام والمنطق والعربية على عليّ بن عيسى الرُّمَّاني (٢٩٦ـ٣٨٤ هـ) وهو أحد أئمة اللغة والأدب « لم يرَ قط مثله عالماً بالنحو ، وغزارةً في الكلام ، وبصراً بالمقالات ، وإيضاحاً للمشكل مع تألُّهٍ وتنزُّهٍ ودينٍ وفصاحةٍ وفقاهةٍ وعفافةٍ ونظافة » ، وكان الرُّمَّاني ميّالاً إلى النحو والمنطق ، وحاول أن يتفرَّد في هذين العلمين بمذهب خاص به فوقع في الغموض والتعمية ، ودرس التوحيدي الفقه الشافعي على أساتيذ ثلاثة هم : القاضي أبو حامد

المرورّوذي (المتوفّى سنة ٣٦٢ هـ) وكان من أئمة الفقه « لا يشقّ غباره فيه » ، وكان التوحيدي كثير الملازمة لأستاذه ، واللهج بذكره والتتبع لأقواله وأفعاله وقال معلّلاً ذلك : « وإنما أولع بذكر ما يقوله هذا الرجل لأنه أنبل من شاهدته في عمري ، وكان بحراً يتدفق حفظاً للسير ، وقياماً بالأخبار ، واستنباطاً للمعاني ، وثباتاً على الجدل ، وصبراً على الخصام » .

ودرس التوحيدي الفقه الشافعي أيضاً على أبي بكر محمد بن علي القفّال الشاشي المتوفّى سنة ٣٦٥ هـ ، وكان « فقيهاً محدّثاً أُصولياً لغوياً شاعراً » ، ودرسه أيضاً على القاضي أبي الفرج المُعَافى بن زكريا النهرواني (٣٠٥ـ٣٩٠ هـ) ، وكان أعلم الناس بفقه الطبري ، وكان أهل زمانه يقولون : « إذا حضر القاضي أبو الفرج فقد حضرت العلوم كلُّها » .

أما الفلسفة فدرسها على أبي زكريا يحيى بن عديّ النصراني الذي انتهت إليه « رياسة أهل المنطق في زمانه » كما درس الحكمة والمنطق على أبي سليمان السجستاني ، وكان منزل أبي سليمان مَقيلاً لأهل العلم يجتمعون عنده للدرس والمناقشة ، وكان التوحيدي شديد الحرص على تدوين أقوال أستاذه ومحاضراته ومذاكراته نجد آثارها في كتبه عامة وكتاب المقابسات خاصة .

وثمة أساتيذ آخرون كان أثرهم في التوحيدي أقل من سابقهم .

تلك لمحة عجلى عن حياة التوحيدي ، وهناك حياة أخرى لا تقلّ أهمية وتأثيراً في أدبه وهي الحياة العملية ، ولم يكن التوحيدي من الأدباء الذين ضربوا بينه وبين الناس أسواراً من الكتب اختبأوا وراءها فراراً من المجتمع بل طوّف في أطراف الأرض في الحجاز وفارس والعراقين والجبل ، وخاض غمار الحياة واطّلع على أسرارها ، وساقته ظروف حياته الصعبة إلى معاشرة

الطبقات الدنيا يتنقل معهم من بلد إلى بلد ، مستجدياً ، واقفاً على الأبواب يلبس لبوسهم ، فهو تارة « صوفي السمت والهيئة » وتارة « غِرّ لا هيئة لـه في لقـاء الكبراء » ، يختلـط بـالمكـدين من طـائفـة السـاسـانيين المتسـولين ، أو « الصوفية الغرباء والمجتدين الأدنياء الأردياء » ، وهـذه كلهـا ظروف إذا توفرت لأديب موهوب أصيل أكسبتـه تجـارب قيمـة ، واطِّلاعـاً على النفس البشرية نرى ظلالها منعكسـة في آثـاره ، فهي صـدىً أمين لأحـداث عصره وتياراته الفكرية والأدبية والاجتماعية .

توفي التوحيدي سنة ٤١٤ هـ في مدينة شيراز ودفن فيها .

٣ ـ الصَّداقة والصَّديق :

موضوع الصَّداقة قديم قدم الإنسـانيـة ، فيـه تتجـاوب عواطف النفس البشريـة ، وعلى صفحـاتـه تنعكس نفسيتهـا وروحهـا ، أولـع بـه الأدبـاء والشعراء والفلاسفـة والعلمـاء ، فـأمعنوا في استكنـاه حقيقـة هـذه الرَّابطـة العجيبة وتعريفها وتحديدهـا وتحليل روابطهـا ودوافعهـا ونشوئهـا ودوامهـا وفسادها ، وإن التوحيدي الذي آلمته الحياة ، وخدشته بأظفارها ، وجرعته كأس المرارة والحرمان واليأس فعاش على خلاف مع أهل زمـانـه يلقى عنتـاً وأذى حتى أُجبر على العزلـة والاختفـاء سنين طويلـة أقول : إن التوحيـدي الإنسـان كان مـدفوعـاً بمـزاجـه ونفسيتـه وظروف حيـاتـه إلى التفتيش عن الصَّداقة وإحلالها مكاناً أولياً في علاقاته مع النـاس ، وإلى العنـايـة بموضوع الصَّداقة والصَّديق ، بل كان من العجيب ألا يعنى بهذا الموضوع الوجـداني ، وألاّ يفرد له من وقته ، وأدبه ، وجهده ، واجداً في ذلك تنفيسـاً عن الضيق والكرب عنـه ، لأن حـديث الصـديـق على حـد تعبيره « حلـو ، ووصف الصـاحب المسـاعـد مطرب » ، زد على ذلـك أن أبـا حيّـان رجل عـاطفي

ذو حساسية تكاد تكون مَرَضية ، طُلعة ، همه الاتصال بالناس ومشاركتهم عاطفياً وفكرياً ، واجداً في عشرتهم سلوى وتعويضاً عما لحقه من إخفاق في حياته العملية ، ووسيلة إلى تفريغ هذا المخزون العاطفي الذي لازمه ، وأنساً عن غربة ووحشة شعر بهما منذ مطلع حياته حتى نهايتها ، ألم يقل إن في حديث الصداقة « شفاءً للصدر ، وتخفيفاً من البرحاء ، وانجياباً للحرقة ، واطِّراداً للغيظ ، وبرداً للغليل ، وتعليلاً للنفس » .

ثم إن هناك عاملاً آخر دفعه إلى التعلق بروابط الصداقة والحرص على الصديق هو التصوف ، ومن المعلوم أن التوحيدي اعتنق التصوف في مستهل شبابه ، ومهما قيل في التصوف فإنه لا يعدو كونه نزعة وجدانية تبني العلاقات على الروحانيات لا الماديات ، وتقوي الصفاء النفسي ، والتجرد المادي والخلقي ، في إطار من المثالية والنزعة الإخوانية اللطيفة .

٤ ـ كتاب الصَّداقة والصَّديق :

كان التوحيدي كثير اللهج في أحاديثه بموضوع الصَّداقة والصَّديق ، كثير التحدُّث عنه والإكثار من ذكره لعلوقه بنفسه وارتباطه بحياته الوجدانية ، فقد كان مسوقاً بحكم الواقع والذوق الأدبي والضرورة إلى أن يفرد لهذا الموضوع الذي يشغل باله كتاباً خاصاً ، وظلت الأُمنية تراوده إلى أن كانت سنة ٤٠٠ هـ ، فأتم العمل بناء على رغبة صديقه ووليِّ نعمته الوزير ابن سعدان بعد أن كان قد سُمع منه بمدينة السلام كلام في الصَّداقة والعِشْرة والمواخاة والأُلفة ... وسئل إثباته ففعل ووصل ذلك بجملة ما قاله أهلُ الفضل والحكمة ، وأصحاب الديانة والمروءة ليكون ذلك كله رسالة تامة على أن يستفاد منها وينتفع بها في المعاش والمعاد » ، ويظهر أن ظروف الحياة ، واضطراب الأحوال حملت التوحيدي على إهمال مشروعه أكثر من

مرة ، إذ كان قد بدأه سنة ٣٧١ هـ ولم يتمّه إلا سنة ٤٠٠ هـ ، أي في العقد الأخير من حياته بعد أن « بلغت شمسه رأس الحائط » على حدّ تعبيره .

ما هي قيمة هذه الرسالة ؟ وما هو مكانها بين آثار أبي حيّان التّوحيدي ؟ وما هي نظرة التّوحيدي إلى الصّداقة والصّديق ؟

تلك أسئلة تدور في خلد الباحث بعد قراءته هذه الرسالة الفريدة في نوعها في الأدب العربي .

إن للتوحيدي شخصيتين : ذاتية وموضوعية ، عبَّر في الأُولى عن نوازعه الوجدانية والعاطفية ، وعبَّر في الثانية عما رأى وسمع وشارك به من أحداث عصره ومشاكله ، وكان أُسلوبه في كلا الحالتين أُسلوباً فنياً منقاً راقياً .

واعتقد أن رسالة الصداقة والصديق تعكس هاتين الشخصيتين شأن بقية آثار التوحيدي ، وإن كان يخيَّل للباحث لأول وهلة أن التوحيدي أبعد من أن يعبِّر عن نفسه وعن عصره في كتاب جمع فيه ما قيل في الصّداقة والصّديق منذ عصور الجاهلية إلى نهاية القرن الرابع الهجري .

وقد امتد تأليف الرسالة فترة طويلة من حياة التوحيدي بدأها في سن الشباب وانتهى من تأليفها في أواخر حياته ، وإذا علمنا أن التوحيدي رافق القرن الرابع الهجري من مطلعه حتى منتهاه ، وأنه كان على صلة مع مشاكل عصره كان لا بدّ أن تنعكس في الرسالة من خلال مزاج التوحيدي الأديب ومنظاره ، أحوال هذا العصر العجيب وصور تلك المجتمعات المضطربة ، قد توصل الباحث إلى استنتاجات مفيدة وممتعة .

ولعل من أطرف ما جاء في الرسالة ذلك التصنيف الهرمي لطبقات المجتمع ، التي عرفها التوحيدي بالعشرة والاختبار والملامسة ، وهم الملوك

والأُمراء وأتباعهم والمزارعون والتجار ورجال الدين وأهل العلم والأدب ، ثم ينحدر إلى طبقة الرَّعاع والسُّوقة قال : « وأما الملوك فقد جلّوا عن الصَّداقة ، ولذلك لا تصحّ لهم أحكامها ، ولا توفي بعهودها ، وإنما أمورهم جارية على القدرة ، والقهر ، والهوى ، والشائق ، والاستحلاء ، والاستخفاف ، وأما خدمهم وأولياؤهم فعلى غاية الشبه بهم ، ونهاية المشاكلة لهم لانتشابهم بهم ، وانتسابهم إليهم ، وولوع طورهم بما يصدر عنهم ويرد عليهم » .

وأمّا التُّنَّاء وأصحاب الضياع فليسوا من هذا الحديث في عير ولا نفير .

وأمّا التُّجّار فكسب الدوانيق سدٌّ بينهم وبين كل مروءة ، وحاجزٌ لهم عن كل ما يتعلق بالفتوة .

وأمّا أصحاب الدِّين والورع ، فعلى قلّتهم ربما خلصت لهم الصَّداقة لبنائهم إياها على التقوى ، وتأسيسها على أحكام الحرج ، وطلب سلامة العقبى .

وأمّا الكتَّاب وأهل العلم ، فإنهم إذا خلوا من التنافس والتحاسد والتماري والتماحك فربما صحَّت لهم الصَّداقة وظهر منهم الوفاء وذلك قليل ، وهذا القليل من الأصل القليل .

وأمّا أصحاب المذاب والتطفيف فإنهم رجرجة بين الناس ، لا محاسن لهم فتذكر ولا مخازي فتنشر .

تلك هي طبقات مجتمعه من زاوية الصَّداقة والتَّجربة الشخصية ، ولا ريب في أن هذا تصنيف أديب وجداني ، حسَّاس ، ينظر إلى العلاقات الاجتماعية نظرة مثالية إلا أن في هذا التصنيف نصيباً كبيراً من الحقيقة والواقعية .

أمّا الأوساط الأدبية والعقلية التي شارك فيها والمجالس التي كان يحضرها ويدوِّن محاضرها فمن الطبيعي أن يعنى بذكرها ، وأن يرسم للمشاركين فيها صوراً أدبية طريفة : ففي مجلس الصَّاحب « أصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويتصايحون ، وهو فيما بينهم يصيح ويقول : قال شيخانا أبو علي وأبو هاشم ! » ، وفي مجلس الوزير البويهي ابن سعدان أدباء وندماء كثيرون مختلفو المذاهب والمشارب والطبائع أمثال : ابن زرعة الذي ليس منه « إلاَّ النَّفْج والتعظيم والتهويل بأرسطو طاليس وأفلاطون وسقراط وبقراط » ، وابن عبيد الذي « طرحه كلفه بالخطابة والبلاغة والرسائل والفصاحة في عمق لجّ لا مطمع في انتقاده منه » ، وابن الحجّاج « الذي جمع بين القاضي أبي عمر في جلسته وحديثه وقيامه وتخطئته مع حياء كأنه مستعار من الغانية الشريفة » ، وأبو الوفاء المهندس « ذو اللفظ الخراساني والإشارة الناقصة » ، ومسكويه الذي أفسده قال المهلبي « وسمعت المهلبي والذي لم يصلحه قال ابن العميد وفعل ابن العميد » .. إلخ .

وتبدو في رسالة الصَّداقة والصَّديق بعض القضايا الفلسفية والأخلاقية التي كانت تشغل المفكرين والعلماء في ذلك العصر كإيمان الناس بالطَّوالع والنُّجوم ، وربط أعمال الإنسان وتصرفاته الدنيوية بحركات الأفلاك ، كما تبدو تلك النزعة الأخلاقية المثالية المرتكزة على الفضائل النفسية والسلوكية المعاكسة لتيارات الفساد والانحلال والتي تبنَّاها المعتزلة والصُّوفية ، وحدَّدها الفيلسوف الفارابي في « المدينة الفاضلة » « والسياسة المدنية » من أن السعادة المثلى لا تتم إلاَّ في مدينة متديِّنة ، ومجتمع فاضل يعيش فيه أهله متآخين متجاوبين في عواطفهم وفضائلهم على أن يقابل ذلك المدينة الجاهلة وهي التي انحدر أهلها في المعاصي والشرور ومتع الحياة الحسية المادية ، وكان الفارابي ، الذي جعل الأخلاق أساساً للسلوك ونادى

بنقاء النفس متأثراً بالتُّصوُّف والزُّهد من جهة ، وبفلسفة الحكيمَيْن أفلاطون وأرسطو[1] من جهة أُخرى ، وقد حدَّد في رسالة السياسة المدنية العلاقات والمعاملات بين الرئيس والمرؤوس ، والرفقاء والأصدقاء ، والأعداء والعلماء وكل ذلك على أساس مكارم الأخلاق ، والتعقل ، والرَّوية ، والتَّلطف ، والإحسان ، والحِلْم . وبما أن فلسفة الفارابي قد آلت في نهاية الأمر إلى تلاميذه وفي طليعتهم أبو زكريا يحيى بن عدي ، وأبو سليمان السجستاني ، وهما أُستاذا التوحيدي ، أمكننا تصور مقدار تأثر التوحيدي بالفلسفة الفارابية ، ومدى تأثير هذه الفلسفة في نظرته للصداقة والصديق ، ولا أدلَّ على ذلك من مخاطبته القارئ في مستهل الرسالة بلهجة المتدينين المرشدين وعبارات الصوفيين الأتقياء قال : « اللهم ! خذ بأيدينا فقد عثرنا ، واستر علينا فقد أعورنا ، وارزقنا الأُلفة التي بها تصلح القلوب ، وتنقى الجيوب ، حتى نتعايش في هذه الدار مصطلحين على الخير ، مؤثرين للتقوى ، عاملين شرائط الدِّين ، آخذين بأطراف المروءة ، آنفين من ملابسة ما يقدح في ذات البين ، متزوِّدين للعاقبة التي لا بدَّ من الشخوص إليها ، ولا محيد عن الاطِّلاع عليها » .

ولا ريب في أن النزعة الفضائلية المشوبة بالصُّوفيَّة هي ردَّة فعل للانحطاط الخلقي والفساد الاجتماعي في ذلك الزمن .

---

(١) للفيلسوف أرسطو آراء في الصداقة نرى انعكاسها فيما ألفه العرب عن الصداقة وبخاصة التوحيدي ، ويقسِّم أرسطو الصداقة إلى ثلاثة أنواع : صداقة مبنية على المنافع ، وصداقة مبنية على اللذة ، وصداقة مبنية على الفضيلة . وعلى هذه المحاور الثلاثة تدور صداقات البشر .

ويقول أرسطو معرفاً الصداقة : « أنها توافق تام في الأُمور الإلهية والأمور الإنسانية ، مدعوماً بالرأفة والود المتبادل ، ولا أدري فيما إذا كانت الآلهة ، إذا استثنينا الحكمة ، قد قدمت للبشر منحة أفضل من الصداقة » ، وفي الرسالة أقوال لفلاسفة اليونان تطابق نظرة التوحيدي إلى الصداقة والصديق .

وهكذا فإن رسالة الصداقة والصديق تعكس بعضاً من التيارات الفكرية في عصر التوحيدي مما يكسبها بالإضافة إلى المتعة الأدبية قيمة وثائقية يجد فيها الباحثون معلومات تلقي الضوء على هذا العصر المغبَّش بالظلام .

أمّا تعبير الرسالة عن حياة صاحبها ونفسيته فقد عودنا التوحيدي في كل ما كتب أن يبرز الجانب الوجداني والعاطفي حتى في الموضوعات العلمية التي تلزم صاحبها التجرّد من عواطفه وميوله وتفرض عليه الموضوعية ، ومن البديهي أن يكون للتوحيدي في الصداقة والصديق وهو موضوع أملته عليه دوافع وجدانية وعاطفية ، مجال للتعبير عن نفسيته وظروف حياته وصلاته مع أهل زمانه ، والتنفيس عن ضيقه وكربه في ساعات الضِّيق والحرج . وخاصة أن الرسالة لم تؤلف دفعة واحدة وفي فترة معينة بل امتدَّ تأليفها ـ كما قلنا آنفاً ـ طوال حياة مؤلفها ، ونحن واجدون فيها طائفة من الاعترافات والمعلومات والصور والعبارات والاستشهادات التي ترشدنا بمجموعها إلى استكشاف جوانب هذه الشخصية الغريبة .

هذه عبارة تدلُّ على الحالة التي أَلِف بها التوحيدي رسالته : « ومن العجب والبديع أنّا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق ، والأسف ، والحسرة ، والغيظ ، والكمد ، والومد » ، « فقد أمسيتُ غريب الحال ، غريب اللفظ ، غريب النِّحلة ، غريب الخلق ، مستأنساً بالوحشة ، قانعاً بالوحدة ، معتاداً للصمت ، مجتنفاً على الحيرة ، محتملاً الأذى ، يائساً من جميع مَنْ ترى » .

وهذه عبارة أخرى يعبر فيها التوحيدي عن « مركَّب النقص » الذي كان يخفي تحته عجزه وإخفاقه في الحصول على « طِمْرين للستر لا للتَّجمُّل » ، معبراً بذلك عن تبرُّمه بالناس واحتقاره لهم : « والله لربما

صليت في الجامع فلا أرى إلى جنبي من يصلي معي ، فإن اتفق فبقّال أو عصّار أو ندّاف أو قصّاب ، ومن إذا وقف بجانبي أسدرني بصُنانه ، وأسكرني بنتنه ! » .

وهذه مقاطع تشير إلى نظرة التَّوحيدي المتشائم ، اليائس من النَّاس ، للصَّداقة في إطارها المثالي ، واجداً بينه وبين جميل بن مرَّة شبهاً في السُّلوك والمصير قال : « وقبل كل شيء ينبغي أن نثق بأنه لا صديق ، ولا من يتشبَّه بالصَّديق ، ولذلك قال جميل بن مرَّة في الزَّمان الأوَّل حين كان الدِّين يُعانق بالإخلاص ، والمروءة تُتهادى بين الناس ، وقد لزم قعر البيت ، ورفض المجالس ، واعتزل الخاصة والعامة ، وعوتب في ذلك فقال : لقد صحبتُ الناس أربعين سنة فما رأيتهم غفروا لي ذنباً ، ولا ستروا لي عيباً ، ولا حفظوا لي غيباً ، ولا أقالوا لي عثرة ، ولا رحموا لي عَبرة ، ولا قبلوا مني عذرة ، ولا فكّوني من أسرة ، ولا جبروا مني كِسرة ، ولا بذلوا لي نصرة ، ورأيت الشغل بهم تضييعاً للحياة ، وتباعداً من الله تعالى ، وتجرُّعاً للغيظ مع الساعات ، وتسليطاً للهوى في الهنات بعد الهنات ، ولذلك قال الثَّوري لرجل قال له : أوصني ، قال : أنكرْ مَنْ تعرفه » .

إلى غير ذلك من الشواهد التي تعمَّد التوحيدي إيرادها فهي تعبير عما يصطرع في نفسه من آمال مكبوتة ، وما يجيش به من مرارة ويأس من الحاضر وتبرم بأهله .

بقيت لنا كلمة إجمالية عن رأي التَّوحيدي في الصَّداقة والصَّديق ، فهو وإن لم يُبدِ رأيه بصراحة إلاَّ أننا نستطيع ، من خلال أقواله واستشهاداته وإشاراته وتلميحاته وإيراده الحكم والنوادر ، أن نكوِّن فكرة عن تصوره وفهمه لهذه الرابطة الإنسانية المثلى .

يعتقد التَّوحيدي أنَّ الصَّداقة عاطفة اصطفائية ، وفضيلة إنسانية يصعب تحقيقها على الغالب ، وهي ككل عاطفة أساسية مرتبطة بصميم الحياة الشعورية تتفرع عنها جملة من الفضائل الخلقية والسلوكية تضمن لها البقاء والنماء « كالعشرة والمؤاخاة والألفة وما يلحق بها من الرعاية والحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمواساة والجود والتكرم » .

إن وجود هذه الفضائل يساعد على تكوين الصَّداقة وتوسُّعها وحمايتها من صدمات الحياة وتشابك مصالحها وتداخل منافعها . تلك هي الناحية الإيجابية في الصَّداقة ، وثمة عناصرُ سلبية مصدرها النفس الإنسانية ذاتها ، تفسد الصَّداقة وتحمل إليها بذور الانحلال كالخلاف والهجر والْعَتْب والْمَذْق والرِّياء والْنِّفاق والحيلة والخداع والالتواء والاحتجاج » ، إلى غير ذلك من الآفات النفسية التي تحول دون تحقق الصَّداقة وارتفاع الصديقين إلى مستوى العلاقة السامية البعيدة عن الشوائب وعوامل الفساد .

على أن التوحيدي لم يقف عند حد ذكر الأُمور النظرية بل عمد إلى إيراد ظاهرة واقعية شاهدها بنفسه ، وهي تمثل بنظره أسمى ما وصلت إليه الصَّداقة العملية بين إنسانَيْن ممتازَيْن بفضائلها وعلمها وصفائها الْخُلُقي والنفسي ، محاولاً استخلاص عناصر الصَّداقة المثالية على ما بين هذين الصديقين من فوارق المشاغل العقلية والمهنية والاختصاص والمنشأ وتدخل الطوالع والفلك في الربط بينهما . قال : « قلت لأبي سليمان محمد بن طاهر السجستاني : إني أرى بينك وبين ابن سيّار القاضي ممازجة نفسية ، وصداقة عقلية ، ومساعدة طبيعية ، ومواتاة خُلُقية فمن أين هذا ؟ وكيف هو ؟ » .

ويجيب أبو سليمان قائلاً : « يا بنيَّ ! لقد اختلطت ثقتي بثقته بي فاستفدنا طمأنينة وسكوناً لا يرثَّان على الدَّهر ، ولا يحولان بالقهر ، ومع ذلك فبيننا بالطالع ومواقع الكواكب مشاكلة عجيبة ، ومظاهر غريبة ،

حتى إنَّا نلتقي كثيراً في الإرادات والاختيارات والشهوات والطلبات ، وربما تزاورنا فيحدثني بأشياء جرت له بعد افتراقنا من قبل فأجدها شبيهة بـأُمور حدثت لي في ذلـك الأوان حتى كأنهـا قسـائمُ بيني وبينـه ، أو كأني هو فيهـا أو هو أنا ، وربما حدَّثتـه برؤيـا فيحـدثني بـأُختهـا فنراهـا في ذلـك الوقت أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل » .

وقلت لأبي سليمان كيف يصحّ هذا وأنت مطالبُك في الفلسفة وصُورك مأخوذة من الحكمة ، وجَعْبتك مجموعة من الحقـائق ، وخوضـك في الغوامض والـدقـائـق ، وذاك رجـلٌ في عـداد القضـاة ، وجِلَّـة الحكام ، وأصحـاب القلانس ، ومخاضه الظاهر الذي عليـه الجمهور ، ومـأخـذه ممـا عليـه السَّواد الأعظم ؟

قلت : هذا والله طريف ، ومما يزيـد في طرافتـه أنـك من سجستـان وهو من الْصَّيْمرَة ، فقال : « الأمكنة في الفلـك أشـدُّ تضـامـاً من الخـاتم في إصبعك ، وليس هناك هذا البعد الذي نجده بالمسافة من بلدٍ إلى بلد بفراسخ تقطع ، وجبالٍ تُعلى ، وبحارٍ تُخرق » .

فقلت : هـل تَجِـدُ عليـه في شيء أو يَجِـدُ عليـك في شيء ؟ فقـال : وجدي به في الأول قد حَجَبني عن موجدتي عليه في الثاني ، على أنـه يكتفي مني فيما خلف هـوايَ بـاللمحـة الضئيلـة ، وأكتفي أنـا منـه في مثـل ذلـك بالإشارة القليلة ، وربمـا تعـاتبنـا في حـالٍ تعرض على طريق الكتـابـة عن غيرنا كأننـا نتحـدث عن قوم آخرين ، ويكون لنـا في ذلـك مَقْنَع ، وإليـه مَفْزَع ، وقـلَّ مـا نجتمـع إلاَّ ويحـدثني عني بـأسرار مـا سـافرتْ عن ضميري إلى شفتي ، ولا ندَّت عن صـدري إلى لفظي ، وذاك للصفـاء الـذي نتقـاسمـه ، والبـاطن الـذي نتفق عليـه ، والظـاهر الـذي نرجع إليـه ، والأصـل الـذي رسوخنا فيه ، والفرع الذي تشبثنا به ، والله ما يسرني بصـداقتـه حُمر النعم

ولا أجد بها بحياتي ، ما أجد بحياتي لي ، وإذا كنت أعشق الحياة لأني بها أحيا ، كذلك أعشق كلَّ ما وصل الحياة بالحياة ، وَجَنَى لي ثمرتها ، وجلب إليَّ روحها ، وخلط بي طيبها وحلاوتها » .

إن هذه المحادثة اللطيفة التي أوردها التَّوحيدي في مطلع رسالته تحدد الشروط التي تقوم عليها الصَّداقة المثالية ويمكننا إجمال هذه الشروط بما يلي :

أ ـ إن صداقة اثنين تتطلب ممازجة نفسية ، وصداقة عقلية ، ومساعدة طبيعية ، ومواتاة خلقية ، حتى إذا ما اتحدت هذه العناصر الأربعة أجدت الثقة المتبادلة التي تخلق بدورها طمأنينة وسكوناً ثابتين لا يضعفان ولا يحولان مدى الدهر .

ب ـ إن الصَّداقة الحقيقية تقتضي المماثلة في الإرادات والاختيارات والشهوات والطلبات ، وهذه المماثلة ثمرة ارتباط روحي ، خفي ، غير محدَّد ، بزمان أو مكان ، وهذا ما يشبه اتحاد الذاتين عند الصُّوفيِّين ، وقد أشار التَّوحيدي في كتاب المقابسات إلى ذلك عند تعريف أرسطو للصديق بقوله : « الصَّديق هو أنت إلا أنه بالشخص غيرك » ، وقد فسَّر أبو سليمان السجستاني أُستاذ التَّوحيدي هذه العبارة فعدَّها آخر درجات الموافقة الَّتي يتصادق المتصادقان بها ، ثم قال : « ألا ترى أن لهذه الموافقة أولاً منه يبتدئانها ، وكذلك لها آخر ينتهيان إليه ، وأول هذه الموافقة توحُّدٌ وآخرها وحدة ، وكما أنَّ الإنسان واحد بما هو به إنسان ، كذلك يصير بصديقه واحداً بما هو صديق ، لأن العادتين تصيران عادة واحدة ، والإرادتين تحولان إرادة واحدة ولا عجب من هذا فقد أشار إلى هذه الغريبة الشاعر :

روحه روحي ، وروحي روحه إنْ يشأ شئتُ ، وإن شئتُ يشا

جـ ـ إن اختلاف المشاغل الذهنية والعقليه والدنيوية والمهنية لا تحول دون نشوء الصداقة . وهذا الاختلاف شيء سطحي لا علاقة له بجوهر الصداقة فهو « خلاف الشكل للشكل لا خلاف الضد للضد ، فقد جمعت الصديقين المشاكلة على العلم وفرقهما الاختلاف بالفن » .

د ـ إن الصَّداقة إذا توفرت لها بيئة خصبة وتُربة ملائمة سمت فوق المادة واكتسبت مع الزمن صفاءً روحانياً وانسجاماً صميمياً هما مصدر فرح وبهجة وغبطة في حياة الصَّديقين .

تلك هي خلاصة أفكار التَّوحيدي في موضوع الصَّداقة ولعل عبارة : « كأني هو فيها أو هو أنا » ، وعبارة : « الصَّديق هو أنت إلاَّ أنَّه بالشَّخص غيرك » ، تحدِّدان النظرة المثالية للصداقة عند التَّوحيدي ، وأمثاله من مفكري ، وعلماء القرن الرابع الهجري .

٥ ـ تحقيق الرِّسالة :

طبعت رسالة الصَّداقة والصَّديق أول مرة في القسطنطينة في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ هـ ، والمعتقد أن أحمد فارس الشِّدياق أشرف على تحقيقها معتمداً على مخطوطة غير التي قمنا بتحقيقها نظراً لوجود فوارق كثيرة بين المخطوطتَيْن وخطأ كثير في المطبوعة نبعد أمثال الشِّدياق عن الوقوع فيها ، وقد رمزنا إليها بحرف ج .

وطبعت الرسالة مرة ثانية في القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ بعنوان (الأدب والإنشا في الصَّداقة والصَّديق) ، وهي منقولة حرفياً عن طبعة الجوائب . إن هاتين الطبعتَيْن محشوتان بالأغلاط والتحريفات مما يجعل الإفادة منهما ضئيلة جداً إن لم تكن معدومة . وقد رمزنا إليها بحرف ق .

أما المخطوطة التي اعتمدنا عليها في تحقيق الرسالة فهي محفوظة ضمن مجموع في مكتبة أسعد أفندي في إستانبول بعنوان : الرسالة في الصَّداقة والصَّديق . أبو حيّان التّوحيدي رقم ١/٣٥٤٢ ، ويتراوح عدد سطور الصفحات بين ٢٤ سطراً و ٢٨ سطراً والخط نسخي عادي مقروء إلا في بعض المواضع .

هذا وقد بذلتُ جهداً في التحقيق بغية إظهار هذه الرسالة النفيسة بحلَّة جديدة خلوّاً من التحريف والتصحيف لتتم الفائدة المرجوة منها .

سدَّد الله خطانا ووفقنا إلى ما فيه خدمة تراثنا العربي الخالد .

دمشق في ١٩٩٥/١٢/٣١

الدكتور إبراهيم الكيلاني

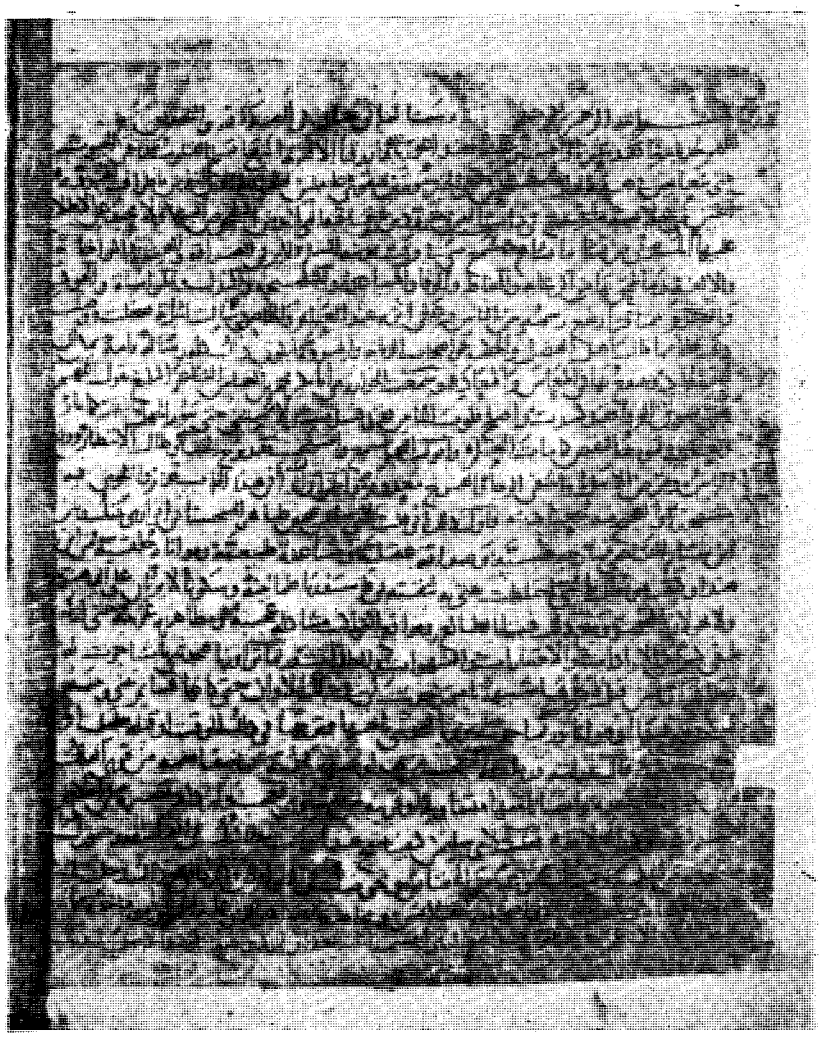

الصفحة الأولى من المخطوط

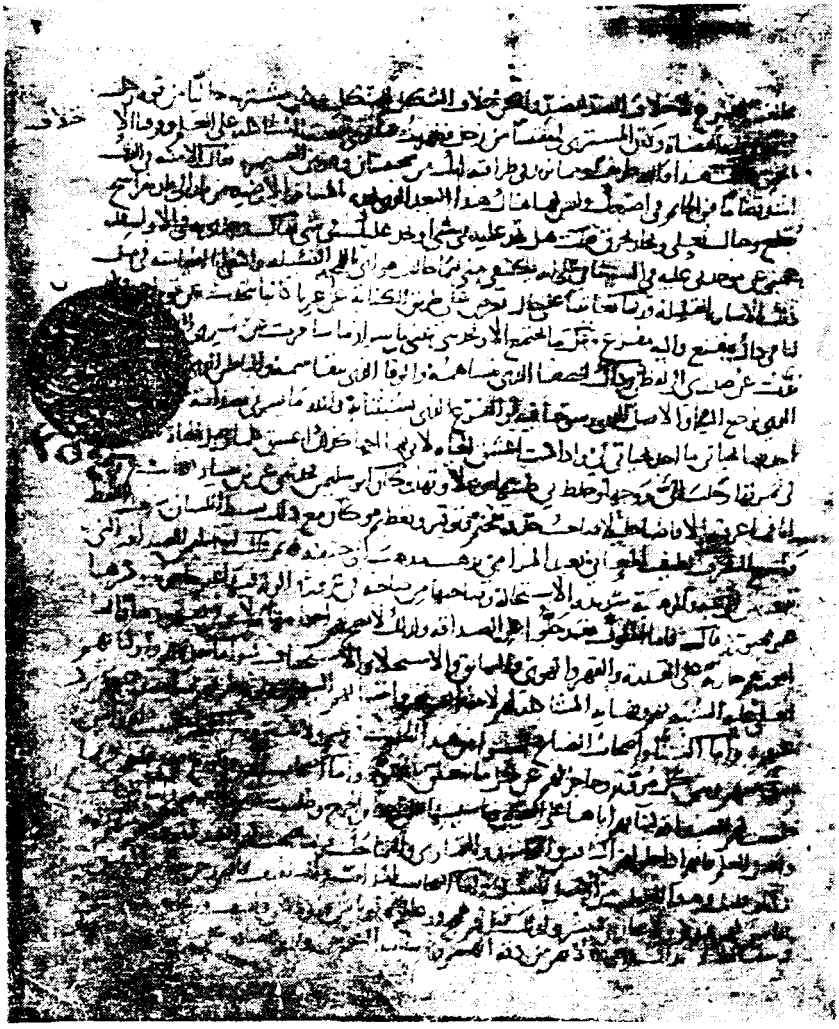

صفحة من المخطوط

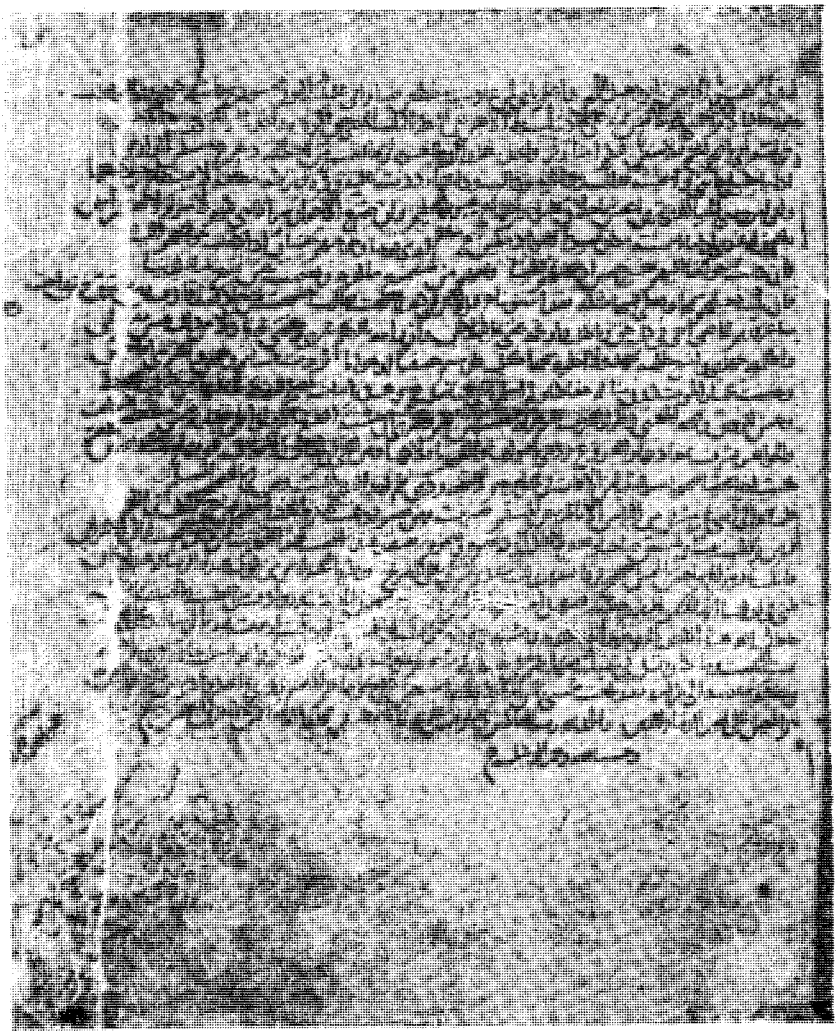

الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

المقدمة

اللَّهم ! خُذ بأيدينا فقد عثرنا ، واستر علينا فقد أعورنا ، وارزقنا الألفة التي بها تصلح القلوب ، وتنقى الجيوب ، حتى نتعايش[1] في هذه الدار مصطلحين على الخير ، مؤثرين للتقوى ، عاملين شرائط الدين ، آخذين بأطراف المروءة ، آنفين من ملابسة ما يقدح في ذات البين ، متزودين للعاقبة التي لا بدَّ من الشخوص إليها ، ولا محيد عن الاطِّلاع عليها ، إنك تؤتي من تشاء ما تشاء .

تأليف الرسالة

سُمع مني في وقت بمدينة السلام كلامٌ في الصَّداقة ، والعشرة ، والمؤاخاة ، والألفة ، وما يلحق بها من الرعاية ، والحفاظ ، والوفاء ، والمساعدة ، والنصيحة ، والبذل ، والمواساة ، والجود ، والتكرُّم ، ممَّا قد ارتفع رسمُه بين الناس ، وعَفا أثرُه عند العام والخاص ، وسئلتُ[2] إثباته ففعلت ، ووصلت ذلك بجملةٍ مما قال أهلُ الفضل والحكمة ، وأصحابُ الديانة والمروءة ، ليكونَ ذلك كلُّه رسالةً تامة يمكن أن يستفاد منها في المعاش والمعاد .

دعاء الخوارزمي

وسمعتُ الخوارزمي أبا بكر محمد بن العبّاس[3] الشاعر البليغ يقول :

---

(١) ج ـ نتعيش .

(٢) م ـ سألت .

(٣) هو أبو بكر محمد بن العبّاس الخوارزمي إمام الكتّاب وأحد الشعراء العلماء ، ولد في خوارزم سنة ٣٢٣ هـ ، وهو صاحب الرسائل المشهورة المعروفة باسمه ، وله ديوان شعر . ويعدُّ الخوارزمي أحد الثقات في اللغة ومعرفة الأنساب . جرت له مع البديع الهمذاني محاورات مات على أثرها غمّاً سنة ٣٨٣ هـ .

« اللَّهمَّ نفِّقْ سوق الوفاء فقد كسدت ، وأَصلحْ قلوب النـاس فقـد فسـدت ، ولا تُمِتْني حتى يبورَ الجهلُ كما بار العقلُ ، و يموتَ النقص كما ماتَ العلمُ » .

دعاء التوحيدي

وأقول : اللَّهمَّ اسمع واستجب ، فقد برح الخفاءُ ، وغلب الجفاءُ ، وطال الانتظـارُ ، ووقـع اليـأسُ[1] ، ومرض الأمـلُ ، وأشفى الرجـاءُ ، والفرج معـدوم ، وأظنُّ أن الـداء في هـذا البـاب قـديم ، والبلـوى فيـه مشهـورة ، والعجيج منه معتاد .

صداقة عجيبة

فأول ذلك أني قلتُ لأبي سليمان محمـد بن طـاهر السجستـاني : إني أرى بينك وبين ابن سيَّار القاضي ممازجة نفسية ، وصـداقـة عقليـة ، ومسـاعـدة طبيعية ، ومواتاة خلقيـة . فمن أين هـذا ؟ وكيف هو ؟ فقـال : يـا بنيَّ ! اختلطت ثقتي بـه بثقتـه بي ، فـاستفـدنـا طمأنينـةً وسكـونـاً لا يرثَّـان على الدهر ، ولا يحولان بالقهر ، ومع ذلك فبيننـا بـالطـالع ، ومواقع الكواكب مشاكلـة عجيبـة ، ومظـاهرة غريبـة ، حتى أنَّـا نلتقي كثيراً في الإرادات ، والاختيارات ، والشهوات ، والطلبـات ، وربمـا تزاورنـا فيحـدثني بـأشيـاء جرت له بعد افتراقنا من قبل ، فأجدها شبيهـةً بـأمور حـدثت لي في ذلـك الأوان حتى كأنها قسـائم بيني وبينـه ، أو كأني هو فيهـا ، أو هو أنـا ، وربمـا حـدثتُـه برؤيـا فيحـدثني بـأختهـا فنراهـا في ذلـك الوقت أو قبلـه بقليل ، أو بعده بقليل .

قال : ورأيته قد ملكه التعجب من هذا وشبهه ، فحدثته بمـا نتقـاسمـه من قوى الفلك ، وأن سهامنا واحدة ، وأنصباءَنا منها متساوية ، أو قريبـة من التساوي ، فعجب وازداد بصيرة في إخلاص الصَّداقة ، وتوكيد العلاقة .

---

(١) ج ، ق ـ البأس .

فقلت لأبي سليمان : كيف يصحُّ هذا ، وأنت مطالبُك في الفلسفة ، وصورُك مأخوذة من الحكمة ، وجعبتُك[1] مجموعة من الحقائق ، وخوضُك في الغوامض والدقائق ، وذاك رجلٌ في عداد القضاة ، وجلّة الحكام ، وأصحاب القلانس ، ومخاضةُ الظاهرُ الذي عليه الجمهور ، ومأخذهُ مما عليه السواد الأعظم .

فقال : هذا هو الذي انفردنا[2] عنه بعد أن ازدوجنا عليه والأصل أبداً / مخالف للفرع ، لا خلاف الضدّ للضدّ ، ولكن خلاف الشكل للشكل ، وكانت مشتريه خالياً من قوة زحل ، فبرز في حلبة القضاة ، وكان المشتري لي مقتبساً من زُحل ، فظهرتُ بما ترى ، فجمعتنا المشاكلة على العلم ، وفرّقنا الاختلاف بالفن . [١ ب]

قلتُ : هذا والله طريف ، ومِمّا يزيد في طرافته أنّك من سجستان وهو من الصَّيْمرة[3] . فقال : الأمكنةُ في الفلك أشدُّ تضاماً من الخاتم في أُصبعك ، وليس لها هناك هذا البعد الذي تجده بالمسافة الأرضية من بلدٍ إلى بلدٍ بفراسخ تُقطع ، وجبالٍ تُعلى ، وبحارٍ تُخرق .

فقلتُ : هل تجد عليه في شيء أو يجدُ عليك في شيء ؟ فقال : وجدي به في الأول قد حَجَبَني عن موجدتي عليه في الثاني ، على أنه يكتفي مني فيما خالف هوايَ باللّمحة الضئيلة ، وأكتفي أنا أيضاً منه في مثل ذلك بالإشارة القليلة ، وربما تعاتبنا على حالٍ تعرض على طريق الكناية عن غيرنا كأنّنا نتحدّثُ عن قومٍ آخرين ، ويكونُ لنا في ذلك مقنع ، وإليه

---

(١) ج ق م : قتيبتك والصحيح ما أثبتناه والجعبة : كنانة النُّشّاب .

(٢) م ـ انقسمنا .

(٣) الصَّيمرة : اسم لموضعَيْن أحدهما بالبصرة على فم نهر معقل وفيها عدّة قرى تسمى بهذا الاسم ، والثاني بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان . راجع : معجم البلدان ٥/٤٠٦ـ٧ .

مفزع ، وقلَّ ما نجتمع إلا ويحدثني عني بأسرارٍ ما سافرت عن ضميري إلى شفتي ، ولا ندَّت عن صدري إلى لفظي ، وذاك للصفاء الذي نتساهمه ، والوفاء الذي نتقاسمه ، والباطن الذي نتفق عليه ، والظاهر الذي نرجع إليه ، والأصل الذي رسوخُنا فيه ، والفرع الذي تشبُّثنا به ، والله ما يسرّني بصداقته حمر النعم ، ولا أجدُ بها بحياتي ، ما أجد بحياتي لي ، وإذا كنتُ أعشقُ الحياة لأني بها أحيا ، كذلك أعشق كلَّ ما وصل الحياة بالحياة ، وجنى لي ثمرتها ، وجلب إليَّ روحها ، وخلط بي طيبها وحلاوتها .

ابن سيَّار القاضي

وكان أبو سليمان يحدثني عن ابن سيَّار بعجائب ، وأمَّا أنا فما عرفتُه إلا قاضياً جليلاً ، صاحب جدٍّ وتفخيمٍ وتوقيرٍ وتعظيمٍ ، وكان مع ذلك بسيطَ اللسان ، شريفَ اللفظ ، واسع التصرُّف ، لطيف المعاني ، بعيد المرامي ، يذهب مذهب أبي حنيفة .

الصداقة في نظر أبي سليمان

ثم قال أبو سليمان : الصَّداقة التي تدور بين الرغبة والرهبة شديدة الاستحالة ، وصاحبها من صاحبه في غرور ، والزَّلَّةُ فيها غير مأمونة ، وكسرُها غير مجبور .

صداقة الملوك

قال : فأمَّا الملوك فقد جلُّوا عن الصداقة ، ولذلك لا تصح لهم أحكامها ، ولا توفي بعهودها ، وإنما أُمورُهم جارية على القدرة ، والقهر ، والهوى ، والشائق ، والاستحلاء ، والاستخفاف ، وأمَّا خدمهم وأولياؤهم فعلى غاية الشَّبه بهم ، ونهاية المشاكلة لهم ، لانتشابهم بهم ، وانتسابهم إليهم ، وولوع طورهم بما يصدر عنهم ، ويَرِدُ عليهم .

صداقة التنَّاء

وأمَّا التُّنَّاء[1] وأصحاب الضياع ، فليسوا من هذا الحديث في عير ولا نفير .

(١) ج ، ق ـ الفنا ـ التُّنَّاء : من تنأ تنؤاً بالمكان أقام به فهو تانئ .

صداقة التجّار

وأمّا التجار فكسب الدوانيق سدٌّ بينهم وبين كل مروءة ، وحاجزٌ لهم عن كل ما يتعلق بالفتوة .

صداقة أهل الدّين

وأمّا أصحاب الدين والورع فعلى قلّتهم فربما خلصت لهم الصّداقة لبنائهم إياها على التقوى ، وتأسيسها على أحكام الحرج ، وطلب سلامة العقبى .

صداقة الكتّاب

وأمّا الكتّاب وأهل العلم فإنهم إذا خلوا من التنافس ، والتحاسد ، والتماري ، والتماحك فربما صحّت لهم الصداقة ، وظهر منهم الوفاء ، وذلك قليل ، وهذا القليل من الأصل القليل .

صداقة أهل للذاب

وأمّا أصحاب المذاب والتطفيف فإنهم رجرجة بين الناس ، لا محاسن لهم فتذكر ، ولا مخازي[1] فتنشر ، ولذلك قيل لهم همج ، ورعاع ، وأوباش ، وأوناش ، ولفيف ، وزعانف ، وداصة ، وسقاط ، وأنذال ، وغوغاء ، لأنهم من دقّة الهمم ، وخساسة النفوس ، ولؤم الطبائع على حالٍ لا يجوز معها أن / يكونوا في حومة المذكورين ، وعصابة المشهورين ، فلهذه الأمور الحائلة عن مقارّها ، الزائغة إلى غير جهاتها علل وأسباب لونفس الزمان قليلاً لكنّا ننشط لشرحها ، وذكر ما قد أتى النسيان عليه ، وعفّى أثره الإهمال ، وشغل عنه طلب القوت ، ومن أين يُظفر بالغداء ، وإن كان عاجزاً عن الحاجة ، وبالعشاء وإن كان قاصراً عن الكفاية ، وكيف يُحتالُ في حصول طمرين للستر لا للتّجمُّل ، وكيف يُهرب من الشّر المقبل ، وكيف يُهرول وراء الخير الْمُدبر ، وكيف يُستعان بمن لا يُعين ، ويُشتكى إلى غير رحيم ، ولكن حال الجريض دون القريض ، ومن العجب والبديع أنّا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق ، والأسف ،

[٢ ب]

اعتذار التوحيدي وشكواه

---

(١) ج ق ـ مساعي .

والحسرة.، والغيظ ، والكمد ، والومد ، وكأني بغيرك إذا قرأها تقبَّضت نفسه عنه ، وأمرس[1] نقده عليها ، وأنكر عليَّ التطويل والتهويل بها . وإنما أشرتُ بهذا إلى غيرك لأنك تبسط من العذر ما لا يجود به سواك ، وذاك لعلمك بحالي ، واطِّلاعك على دخلتي ، واستمراري على هذا الأنفاض والعوز اللذين قد نقضا قوتي ، ونكثا مرتي ، وأفسدا حياتي ، وقرناني بالأسى ، وحجباني عن الأسى ، لأني فقدتُ كلَّ مؤنسٍ ، وصاحبٍ ، ومرفقٍ ، ومشفقٍ ، والله ! لربما صليتُ في الجامع فلا أرى إلى جنبي من يصلِّي معي ، فإن اتفق فبقَّال ، أو عصَّار ، أو ندَّاف ، أو قصَّاب ، ومن إذا وقف إلى جانبي أسدرني بصُنانه ، وأسكرني بنتنه ، فقد أمسيتُ غريب الحال ، غريب اللفظ ، غريب النحلة ، غريب الخلق ، مستأنساً بالوحشة ، قانعاً بالوحدة ، معتاداً للصمت ، مُجتنفاً[2] على الحيرة ، محتملاً الأذى ، يائساً من جميع من ترى ، متوقعاً لما لا بدَّ من حلوله ، فشمس العمر على شفا ، وماء الحياة إلى نضوب ، ونجم العيش إلى أُفول ، وظلّ التلبث إلى قلوص .

تمجيد الصمت

وفي تمجيد الصمت مرَّ بي كلام لبعض الحكماء القدماء أنا أرويه لك ههنا لا لأجدِّد به عليك ما ليس عندك[3] ، ولكن لأذكرك ، فإن الإذكار بالخبر بعثٌ على الاهتمام به ، والبعث عليه سلوك لطريقه .

قال هذا الحكيم : لو لم يكن للصامت في صمته إلاَّ الكفاية لأن يتكلم ، فَحُكيَ عنه محرَّفاً ، فيضطر إلى أن يقول : ليس هكذا قلت ، وإنما قلت كذا وكذا ، فيكون إنكارُه إقراراً ، ويكون اعترافُه بأصل ما حُكي عنه شاهداً

---

(١) ج ق ـ أمرَّ ، أمرس : حبل الكرة أعاده إلى مجراه .

(٢) ج ق ـ ملازماً . مجتنفاً : مائلاً ، والأجنف : المتزاور والمائل في أحد شقيّه .

(٣) ج ق ـ عليك بما ليس .

لمن وشى به ، وادّعاؤه التحريفَ غير مقبول منه بلا بيِّنةٍ يأتي بها ، لَكانَ ذلك من أكبر فضائل الصمت ، وأدَعُ هذا وأقول :

إنشاء رسالة الصداقة والصديق

كان سبب إنشاء هذه الرسالة في الصَّداقة والصَّديق أني ذكرتُ شيئاً منها لزيد بن رِفاعَةَ أبي الخير[1] ، فنماه إلى ابن سعدان الوزير أبي عبد الله[2] سنة إحدى وسبعين [وثلاثمائة] قبل تحمله أعباء الدولة ، وتدبيره أمره الوزارة ، حين كانت الأشغال خفيفة ، والأحوال على إذلالها جارية ، فقال لي ابن سعدان : قال لي زيدٌ عنك كذا وكذا ، قلت : قد كان ذاك ، قال : فدوِّن هذا الكلام ، وصِلْهُ بصلاته مما يصحّ عندك لمن تقدم ، فإنّ حديثَ الصديق حلو ، ووصفَ الصاحب المساعد مطرب ، فجمعتُ ما في هذه الرسالة ، وشُغل عن ردّ القول فيها ، وأبطأتُ أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره ما كان .

[فلَمّا كان هذا الوقت وهو رجب سنة أربع مائة][3] عثرتُ على المسوَّدة وبيَّضتها على نحيلها ، فإن راقتك فذاك الذي عزمتُ بنيَّتي ، وحولي ، واستخارتي ، وإن تزحلقتُ عن ذلك فللعذر الذي سحبتُ ذيله ، وأرسلتُ سَيْله .

---

(١) زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة أبو الخير الهاشمي . كان معاصراً للتّوحيدي ذكره في الإمتاع والمؤانسة فقال : « ذكاء غالب ، وذهن وقاد ، ويقظة حاضرة ، وسوانح متناصرة ، ومتّسع في فنون النظم والنثر ، مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة ، وحفظ أيام الناس ، وسماع للمقالات ، وتبصّر في الآراء والديانات ، وتصرف في كل فن ... » وكان زيد بن رفاعة من جماعة إخوان الصفاء . توفي بعد ٤٠٠ هـ (الإمتاع ٣/٢ ، ٤) .

(٢) وزير صمصام الدولة البويهي استوزره سنة ٣٧٣ وقتله سنة ٣٧٥ هـ .
وقد اتصل التّوحيدي بابن سعدان وسامره زمناً فتألف من مجموع مسامراته له كتاب « الإمتاع والمؤانسة » .

(٣) في ج ق : فلما مرّ ذلك بعض .

وقبل كل شيء ينبغي أن نثق بأنه لا صديق ، ولا من يتشبَّه بالصَّديق ، ولذلك قال جميل بن مرة في الزمان الأول حين كان الدين يعانق بالإخلاص[1] ، والمروءة تتهادى بين الناس ، وقد لزم قعر البيت ، ورفض المجالس ، واعتزل الخاصة والعامة ، وعوتب في ذلك فقال : لقد صحبتُ الناسَ أربعين سنة فما رأيتُهم غفروا لي ذنباً ، ولا ستروا لي عيباً ، ولا حفظوا لي غيباً ، ولا أقالوا لي عثرة[2] ، ولا رحموا لي عَبرة ، ولا قبلوا مني عذرة[3] ، ولا فكُّوني من أسرة ، ولا جبروا مني كسرة ، ولا بذلوا لي نصرة ، ورأيتُ الشغل بهم تضييعاً للحياة ، وتباعداً من الله تعالى ، وتجرُّعاً للغيظ مع الساعات ، وتسليطاً للهوى في الهنات بعد الهنات ، ولذلك قال الثوري لرجلٍ قال له أوصني قال : أنكرْ مَنْ تعرفه ، قال : زدني ، قال : لا مزيد .

جميل بن مرّة

وكان ابن كعب يقول : لا خير في مخالطة الناس ، ولا فائدة في القرب منهم ، والثقة بهم والاعتماد عليهم ، ولذلك قال الأول :

ابن كعب

إخاءُ الناسِ ممتزج ... وأكبر فعلهم سَمِجُ
فإنْ بَدَهتك مقطعةٌ ... فما لذنبهم فرجُ[4]
فقوِّمهم بهجرهمِ ... فإن لم يُهجروا اعتوجوا
صروفُ الدهر دانيةٌ ... تَقَطَّعُ بينَها الْمُهَجُ

وأنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الكاتب الصابي[5] في إخوان الزمان لنفسه :

الصَّابي وإخوان الزمان

(١) ج م - كان الذين عرفوا .
(٢) ج م - أقالوا بي .
(٣) ج م - معذرة .
(٤) ج م - لدنيئهم .
(٥) هو إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون ، أحد نوابغ الأدب والترسُّل في القرن الرابع =

أيا ربَّ كلِّ الناس أبناءُ علَّةٍ ... أمَا تعثُر الدُّنيا لنا بصديقِ
وُجُوهٌ بها من مُضْمر الغِلّ شاهدٌ ... ذواتُ أديمٍ في النِّفاق صَفِيقِ[1]
إذا اعترضوا دون اللقاء فإنهم ... قذىً لعيونٍ أو شَجىً لحلوقِ
وإن أظهروا بَرْدَ الوداد وظلَّهِ ... أسَرُّوا من الشَّحناء حَرَّ حريقِ[2]
ألا ليتني حيث انتوت أفرخُ القَطَا ... بأقصى محلٍّ في الفلاة سَحيقِ[3]
أخو وحدةٍ قد آنستني كأنَّني ... بها نازلٌ في مَعْشري وفريقي[4]
فذلك خيرٌ للفتى من ثَوائِه ... بِمَسْبَعَةٍ من صاحبٍ ورفيقِ[5]

العسجدي والصداقة

وكان العسجدي يقول كثيراً : الصداقةُ مرفوضة ، والحفاظُ معدوم ، والوفاءُ اسم لا حقيقة له ، والرعايةُ موقوفة على البذل ، والكرم فقد مات ، والله يحيي الموتى !

حديث الصداقة

استرسال الكلام في هذا النمط شفاءٌ للصدر ، وتخفيفٌ من البَرَحاء[6] ، وانجيابٌ للحرقة ، واطرادٌ للغيظ ، وبردٌ للغليل ، وتعليلٌ للنفس ،

= للهجرة ، ولد سنة ٣١١ هـ ، تقلد ديوان الرسائل زمن الخليفة العباسي المطيع لله ، ثم قلده معز الدولة الديلمي ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ ، ثم قلده عز الدولة بختيار ديوان الرسائل فكان يكتب إلى عضد الدولة مكاتبات مؤلة فحقد عليه ، ولما استولى على بغداد قبض على الصابي سنة ٣٦٧ هـ وسجنه بعد أن صادر أمواله ، ثم أطلقه صمصام الدولة سنة ٣٧١ هـ . وكان الصابي من المقدمين عند الصاحب بن عبّاد . وتوفي سنة ٣٨٤ هـ .

(١) الغلّ : الحقد والضغينة . الأديم : الجلد المدبوغ ، والأديم : وجه السماء والأرض ، الصفيق : الوقح ، يقال وجه صفيق أي وقح لا حياء له .

(٢) رواية إرشاد الأريب : برد الودود .

(٣) انتوى : قصد ، وانتوى القوم بموضع كذا : أقاموا .

(٤) رواية الإرشاد : معشر .

(٥) أرض مسبعة : تكثر فيها السباع . راجع إرشاد الأريب ٥٨/٢ .

(٦) البرحاء : الشدة والأذى والشر .

ولا بأس بإمرار[1] كل ما لاءمه ، ودخل في حوزته ، وإن كان آخرُه لا يدرك ، وغايتُه لا تُملك .

صالح بن عبد القدوس

قال صالح بن عبد القدّوس[2] :

بُنيَّ عليك بتقوى الإلـ ـه فإنَّ العواقب للمتَّقي
وإنَّك ما تأتِ من وجهه تجد بابه غير مُستغلقِ[3]
عدوّك ذو العقل أبقى عليك من الصاحب الجاهل الأخرقِ
وذو العقل يأتي جميل الأمو ر ويعمدُ للأرشد الأوفقِ[4]

فأمَّا الذي قال في أصدقائه وجلسائه الخير ، وأثنى عليهم الجميل ، ووصف جدَّه بهم ، ودلَّ على محبَّته لهم ، فغريبٌ !

قال بعضهم :

شكوى وحنين

أنتم سروري وأنتم مُشتكى حَزَني وأنتم في سَواد الليل سُمَّاري
أنتم وإن بَعُدت عنَّا منازلكُم نوازلُ بين أسراري وتذكاري
فإن تكلَّمتُ لم ألفظ بغيركُمُ وإن سكتُّ فأنتم عَقْدُ إضماري
الله جارُكُم مما أحاذرُه فيكم وحبي لكم من هجركم جاري

وقال آخر :

---

(١) ج ق - بإيراد .

(٢) صالح بن عبد الله بن عبد القدوس ، حكيم ، أديب ، شاعر ، متكلم ، اتُّهم بالزندقة فقتله المهدي بيده سنة ١٦٠ هـ .

(٣) ج ق - وجهها ، بابها .

(٤) ج ق - وذي خلة الأرشد .

الصبر على الصديق

أخٌ لمتُـــه أو لامني ثم نَزْعـوي ... إلى ثائبٍ من حلمنا غيرِ مُخْـدَجِ[1]
أهـونُ إذا عـزَّ الجليـل وربمـا ... أزَمْتُ برأسِ الحيَّـة المتعـجِ[2]

موت الصديق

أخبرنا أبو سعيد السِّيرافي ، قال : أخبرنا ابن دُريد قال : قال أبو حـاتم السِّجستاني : « إذا مات لي صديق سقط مني عضواً » .

بين الرجاء واليأس

كتب علي بن عبيدة الريحـاني البصري إلى صـديق لـه : كان خوفي من أن لا ألقاك متمكناً ، ورجائي خـاطراً ، فـإذا تمكن الخوف طفيت[3] ، وإذا خطر الرجاء حييت .

[٣آ]

صحبة عشرين يوماً

وقال جعفر / بن محمد رضي الله عنهما[4] : صحبة عشرين يوماً قرابة .

صداقة مدخولة

وقـال رجـل لضيغم العـابـد : أشتهي أن أشتري داراً في جـوارك حتى ألقاك كل وقت ، قال ضيغم : المودة التي يفسدها تراخي اللقاء مدخولة .

ذنب وعفو

وكتب آخر إلى صديقٍ له : مثلي هَفَا ، ومثلُكَ عَفَا ، فأجابه : مثلـك اعتذر ، ومثلي اغتفر .

الغريب

وقال أعرابي : الغريب ، من لم يكن له حبيب .

أكرم الناس عشرة

وقيـل لأعرابي : من أكرمُ النـاس عِشرةً ؟ قـالَ : مَنْ إنَ قَرُبَ مَنَـح ، وإن بَعُدَ مَدَح ، وإن ظُلِم صفَح ، وإن ضُويقَ فَسَح[5] ، فمن ظفر بـه فقـد أفلح ونجح .

---

(١) ج ق ـ تائب ، مخدج : ناقص من خدجت النـاقـة : ألقت ولـدهـا نـاقص الخلق أو قبل تمام الأيام ، وأخدج الشيء : نقص .
(٢) أزمت : أمسكت وحافظت عليه . تمعّج السيلُ أو الحيةُ : تلوّيا وتثنّيا في مرورهما .
(٣) ج ق ـ طنيت .
(٤) ج ق ـ رضي الله عنهم .
(٥) ج ق ـ سمح .

الصبر على الصديق

وقال الفضل بن يحيى : الصبرُ على أخٍ تعتب عليه خيرٌ من آخرَ تستأنف مودَّته .

دلالة

وقال عبد الله بن مسعود : ما الدُّخان على النار بأدلَّ من الصاحب على الصاحب .

كتب رجل إلى صديقٍ له : أما بعد : فإن كان إخوان الثقة كثيراً ، فأنت أوَّلُهم ، وإن كانوا قليلاً فأنت أوثقُهم ، وإن كانوا واحداً فأنت هو !

وقال آخر[1] :

تضحية

تركتُ لك القصوى لتدرك فضلها ... وقلت ترى بيني وبين أخي فرق
ولم يَكُ بي عنها نكولٌ وإنَّما ... توانيتُ عن حقي فتمَّ لك الحقُّ
ولا بدَّ لي من أن أكونَ مُصَلِّيَاً ... إذا كنت أهوى أن يكون لك السَّبْقُ[2]

وصف جليس

قال العبَّاس بن الحسن العلوي يصف جليساً له : لَطيبُ عشرته أطربُ من الإبل على الحداء ، والثَّمَل على الغناء !

وقال آخر :

أخلاق الناس

ذهبَ التواصلُ والتعارف ... فالناسُ كلهمُ معارفْ
لم يبقَ منهم بينهم ... إلاَّ التملُّقُ والتَّواصفْ
وعناقُ بعضهم لبعض ... في التساير والتواقفْ

(١) في هامش المخطوطة بخط مختلف « سيف الدولة بن حمدان » . وقد وردت الأبيات في يتيمة الدهر للثعالبي منسوبة إلى سيف الدولة ٢٦/١ :

رضيتُ لك العليا وقد كنتَ أهلها ... وقلتَ لهم بيني وبين أخي فرقُ
ولم يكُ بي عنها نكولٌ وإنَّما ... تجافيتُ عن حقّي فتمَّ لك الحقُّ
ولا بدَّ لي من أن أكون مصلِّياً ... إذا كنت أرضى أن يكون لك السبقُ

(٢) المصلّي : الفرس الذي يتلو السابق في الحلبة .

صـــــارفْهم عن المـــــود ... دة إنهم قـــومٌ صيـــــارفْ
إني انتقـــــدتُ خيـــــارهم ... فـــالقـوم ستّـوق وزائفْ[1]

وقال آخر :

فتىً ليس لابن العمّ كالـذئب إن رأى ... بصاحبه يومـاً دَمـاً فهْو آكلُه

الإخاء رقّ

وكتب يحيى بن زياد الحارثي إلى عبد الله بن المقفَّع يلتمس معاقدة الإخاء ، والاجتماع على المخالصة والصفاء ، فلَمَّا لم يُجبْهُ كتب إليه يعتب[2] ، فكتب له عبد الله : إن الإخاءَ رِقٌّ ، وكرهتُ أن أملِّكك رِقِّي قبل أن أعرف حسن مُلكتك[3] .

شاعر :

صداقة وأنفة

وأُعرضُ عن ذي المال حتى يقالَ لي ... قـدَ احـدَثَ هـذا جفوةً وتعظُّما
وَمَا بي جَفَـاءٌ عن صـديقٍ ولا أخٍ ... ولكنَّـه فِعْلي إذا كنتُ مُعْـدِمـا

خلق كريم

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله كان يأكل تمراً ومعه جليس له ، فكان النبي صلى الله عليه وآله إذا رأى حشفة[4] عزلها ، فقال جليسُه : يا رسول الله أعطني الْحَشَفة حتى آكلها ، قال : لا أرضى لجليسي إلا ما أرضاه لنفسي .

اللين والصفاء

وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما[5] : لِنْ لِمَنْ يجفو فقلَّ من يصفو .

---

(١) السُّتوق (بفتح السين وضمها) : درهم زيف بهرج ملبّس بالفضة وقيل هو أردأ من البهرج .
(٢) ج ق - يعاتبه .
(٣) الملكة (بضم الميم وفتحها) : المُلك .
(٤) الْحَشَف : أردأ التمر .
(٥) م - عليهما السلام .

حق الصديق

وقال عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه[1] : قليلٌ للصديق الوقوفُ على قبره .

أبو زُبَيْد الطَّائي[2] :

أبو زبيد الطائي

إذا نلت الإمارة فاسْمُ فيها ... إلى العلياء بالحسب الوثيقِ
فكل إمـــارةٍ إلاَّ قليـــلاً ... مغيِّرةُ الصديق على الصديقِ
ولا تكُ عندها حلواً فتُحْسَى ... ولا مرّاً فتنشَب في الحلـــوقِ
وأُغضُ للصديق عن المساوي ... مخافة أن أعيش[3] بلا صديقِ[4]

خير الإخوان

وقال موسى بن جعفر رضي الله عنهما ؛ خير إخوانك المعينُ لك على دهرك ، وشرُّهم من لك بسوق يومه[5] .

حكمة

كان أبو داود السجستاني أيام شبابه وطلبه للرواية قاعداً في مجلس ، والمستملي في حدثه ، فجلس إليه فتى وأراد أن يكتب فقال له : أيها الرجل استمدّ من محبرتك ، قال : لا ، فانكسر الرجل ، فأقبل عليه أبو داود ، وقد أحسَّ بخجله : أما علمت أن من شرع في مال أخيه بالاستئذان ، فقد

---

(١) م - عليه السلام .

(٢) في ج ق - أبو رشيد - هو حرملة بن المنذر الطائي الشاعر أبو زبيد الطائي ، عمَّر فعاش خمسين ومائة سنة ، كان نصرانياً أدرك الإسلام ولم يسلم ، وكان عثمان بن عفَّان يقربه ويدني مجلسه لمعرفته بسير من أدركهم من ملوك العرب والعجم ، واشتهر أبو زبيد بوصفه الأسد وإجادته ذلك ، وقد نعته نعتاً طويلاً في مجلس عثمان فلما أطال قال له عثمان : اسكت قطع الله لسانك ، أرعبت قلوب المسلمين ! وزبيد بهيئة التصغير ، قال ابن دريد في الاشتقاق ٢٣١ : « ومنهم أبو زبيد الشاعر وهو حرملة بن المنذر . وزبيد تصغير زبد ، والزبد العطاء » . راجع : الأغاني ١٢٧/١٢ - ١٤٤ .

(٣) ج ق - تعيش .

(٤) نسب هذا البيت إلى ابن الأعرابي . راجع عيون الأخبار ١٦/٣ .

(٥) ج ق من هو لك لسوق يوم .

استوجب بالحشمة الحرمان ، فكتب الرجل من محبرته ، وسُمي أبو داود حكيماً .

وقال شاعر :

مولاك مولى عدوّ لا صديقَ له ... كأنه نفر أو عضّه صَفَرُ[1] مولى عدو

وقال ابن الحشرج : [٣ب]

فلا وأبيك لا أعطي صديقي ... مكاشرتي وأمنعه تلادي[2] عطاء ومنع

وقال الْعُجيْر :

بعيد من الشيء القليل احتفاظه ... عليك ومنزور الرضا حين يغضبُ شذوذ

وقال آخر :

أخوك أخوك من تدنو وترجو ... مودته وإن دُعيَ استجابا أخوك

وقال ميمون بن مهران :

صديق لا تنفعك حياتُه ، لا يضرُّك موتُه . نفع وضرر

أنشدنا علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح قال : أنشدنا ابن دريد عن الأشناندانى لأعرابي :

---

(١) يقال : عضّ على شرسُوفه الصَّفَرَ : إذا جاع . والصفر : الجوع والشُّرسوف : عضروف معلّق بكل ضلع مثل غضروف الكتف .

(٢) المكاشرة : المضاحكة ، وكاشره : ضاحكه وتبسّم له وحرّك عليه أسنانه قال المتلمّس :

إنّ شرّ النـــاس من يكشرُ لي ... حين ألقـــاه وإن غبتُ شَتَمْ

وقال آخر :

وإنّ من الاخوان إخوانَ كَثْرةٍ ... وإخوانَ حيّاكَ الإلـهُ ومرحبا

شدة ولين

إن كنتَ تجعلُ من حَبَاك بودِّه ظهر البعير فثقْ بأنك عاقرُهْ
من ذا حملت عليه كلَّك كلَّهُ إلاَّ اشمأزَّ فظنَّ أنك حاقرُهْ
كلِّف جوادك ما يطيق فبالحري أن يستقل بما تطيق حوافرُهْ

كمال الرجل

أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى ، أخبرنا ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي ، قال عبد الله بن جعفر : كمال الرجل بخلالٍ ثلاث : معاشرةُ أهل الرأي والفضيلة ، ومداراةُ الناس بالمخالقة الجميلة ، واقتصاد من غير بخلٍ في القبيلة ؛ فذو الثلاثة سابق ، وذو الاثنين زاهق[1] ، وذو الواحدة لاحق ، فمن لم تكن فيه واحدة من الثلاث لم يسلم له صديق ، ولم يتحنَّن عليه شفيق ، ولم يتمتَّع به رفيق .

صديق العدو

قال ابن أبي دؤاد : صديقُ عدوِّك حربُك .

الصداقة والكلفة

قال محمد بن علي بن الحسين الباقر رضي الله عنهم لأصحابه : أيُدْخِلُ أحدكم يده في كمِّ صاحبه فيأخذ حاجته من الدراهم والدنانير ؟ قالوا : لا ، قال : فلستم إذاً بإخوان .

شاعر :

مزية سُوَيْقَة

ومن يَرْعَ بقلاً من سُوَيْقَةَ يغتبقْ قَراحاً ، ويسمع قولَ كلِّ صديقِ[2]

صفات الصديق

قال العتّابي لصاحبٍ له : ما أحوجَك إلى أخ كريم الأخوة ، كامل المروءة ، إذا غبت خلفك ، وإذا حضرت كنَفَك ، وإذا نكرت[3] عرفك ،

---

(١) زهق الفرسُ الخيل : تقدمها فهو زاهق . ويقال : جاء فرسُك زاهقاً ، وفرس ذات أزاهيق : ذات أعاجيب في الجرْي والسبق .

(٢) سويقة : اسم لمواضع كثيرة في بلاد العرب ، راجع معجم البلدان ١٨٠/٥ . واغتبَق : شرب الغبوق ، وهي ما يشرب بالعشيِّ وهي خلاف الصّبوح .

(٣) ج ق ـ بكرت .

وإذا جفوتَ لاطفك ، وإذا بررت[1] كافأك ، وإذا لقي صديقك استزاده لك ، وإن لقي عدوك كفَّ عنك غرب[2] العادية ، وإذا رأيتَهُ ابتهجتَ ، وإذا باثَثْتَهُ استرحتَ .

نقص الصديق

وقال الخليل بن أحمد : الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال .

استفساد أم استصلاح

وقيل للخليل : استفساد الصديق أهونُ من استصلاح العدو ؟ قال : نعم ، كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه .

الصديق أم القريب

وقيل لابن المقفَّع : الصديق أحبُّ إليك أم القريب ؟ قال : القريب أيضاً يجب[3] أن يكون صديقاً .

استحياء الإخوان

مرض قيس بن سعد بن عبادة[4] فأبطأ إخوانه عنه ، فسأل عنهم ، فقيل : إنهم يستحيون ممّا لك عليهم من الدَّيْن ، فقال : أخزى الله ما يمنع الإخوان من العيادة ، ثم أمر منادياً فنادى : ألاَ مَنْ كان لقيس عليه حق ، فهو منه في حلٍّ وسعة ، فكُسرت درجته بالعشي لكثرة من عَادَهُ .

محادثة الإخوان

قال عبد الملك بن مروان[5] : من كلِّ شيءٍ قد قضيتُ وطراً ، إلاَّ من

---

(١) ج ق - برزت .

(٢) كففت من غربه أي من حدّته . العادية : مؤنث العادي وهو العدو والجمع عُداة .

(٣) ج ق - يحب .

(٤) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني ، صحابي من دهاة العرب وذوي المكيدة والرأي في الحرب ، كان يحمل راية الأنصار مع النَّبي ﷺ ويلي أموره ، وصحب عليّاً في خلافته فولاّه مصر سنة ٣٦-٣٧ هـ ، اشترك بمعركة صفين ، ثم لزم جانب الحسن بن علي حتى صالح معاوية فرجع إلى المدينة وتوفي بها سنة ٦٠ هـ .

(٥) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، من أعاظم خلفاء بني أمية ودهاتهم ، تولى =

محادثة الإخوان في الليالي الزُّهْر ، على التلال العُفْر[1] .

شاعر :

صداقة ونفع

وقلَّ الـذي يرعـاكَ إلاَّ لنفسـه ... وللنَّفع يعتـدُّ الصـديـق معـدَّه

عمل ظالم

قال أبو عثمان الجاحظ : كان ابن أبي دُوَاد[2] إذا رأى صديقـه مع عـدوه قتل صـديقـه . قـال أبو حـامـد المرورّوذي : هـذا هـو الإسراف والتجـاوز والعداء الذي يُخالف الـدين والعقل ، لعلَّ صـديقـك إذا رأيتـه مع عـدوك يَثْنيه إليك ، ويعطفه عليـك ، ويبعثـه على تـدارك فـائتـةٍ منـك ، ولو لم يكن هذا كلّـه لكان التـأنِّي مقـدَّمـاً على العجل ، وحسنُ الظن أولى بـه من سوء الظن . ثم قال : ذهب الإنصافُ في العداوة والصداقـة ، وأصبح النـاس أبناءَ واحدٍ في الرغبـة ، والرهبـة ، والجهل ، والجبريـة ، والعمل على سـابق الهوى ، وداعية النفس ، وهذا لأن الدِّين مَرْخيُّ الرَّسن ، مخدوشُ الوجـه ، مفقوءُ العين ، مزعزعُ الركن ، والمروءة ممزَّقـةُ الجلبـاب ، مهجورة البـاب ، ليس إليها داع ، ولا لها محبِّب ، والله المستعان .

أسبابه ودواعيه

قرض البخيل

قال الأصمعي : كان يقال : البخيل من أقرض إلى مَيَسْرة .

دفائن النفوس

قال عُمر بن شبَّة : التقى أَخَوان في الله ، فقال أحدهما لصاحبه : والله يا أخي إني لأحبُّك في الله ، فقال له الآخر : لوعلمت مني ما أعلمُه من نفسي

= الخلافة سنة ٦٥ هـ ، فضبـط الأمور وقـام بإصلاحـات كثيرة ، وكان يقـال : معـاويـة للحلم ، وعبد الملك للحزم . توفي سنة ٨٦ هـ .

(١) العفر : من العفرة ؛ وهي لون التراب . وقيل : العَفَر هـو التراب ومنهـا عفره في التراب أي دلكه ودسَّه فيه .

(٢) أحمد بن أبي دُوَاد بن جرير بن مالك الإيـادي ، أبو عبـد الله ، أحـد القضـاة المشهورين من المعتزلـة ورأس فتنـة القـول بخلـق القرآن ، ولـد في قنّسرين وقيـل بـالبصرة سنة ١٦٠ هـ . قال أبو العيناء : ما رأيت رئيساً قـط أفصح ولا أنطق من أبي دواد ، كان شديد الدهاء ، اتصل بالمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، توفي في بغداد سنة ٢٣٣ هـ .

لأبغضتَني في الله . فقال : والله يا أخي لو علمتُ منك ما تعلمه من نفسك لمنعني من بغضك ما أعلمه من نفسي . / [٤آ]

وقال المدائني : إذا ولي صديق لك ولاية ، فأصبته على العُشْر من صداقته فليس بأخٍ سوء . عشر الصداقة

قال فيلسوف : من عاشَرَ الإخوان بالمكر كافأوه بالغدر . جزاء المكر

وقال إبراهيم بن أدهم : أنا منذُ عشرين سنة في طلب أخٍ إذا غضب لم يقل إلاَّ الحق فما أجده . قول الحق

وقال عُبيد الله بن قيس الرُّقيَّات[1] :

يَسْتأسدُون على الصَّديق وللعدوِّ ثَعَالبُ[2] . أسود وثعالب

اعتلَّ بعض إخوان الحسن بن سهل ، فكتب إليه الحسن : أجدُني وإيَّاك كالجسم الواحد ، إذا خَصَّ عضواً منه ألم عَمَّ سائره ، فعافاني الله بعافيتك ، وأدام ليَ الإمتاع بِك . جسم واحد

---

(١) اختلف المترجمون في اسمه فقد ذكره الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن سلام باسم عبد الله ، وذكره المرزباني في معجم الشعراء باسم عبيد الله ، وكذلك أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ١٥٤/٤ـ١٦٦ ، ويظهر أنه كان لقيس أبيه ولدان عبد الله وعبيد الله واختلف الناس في الشاعر منهما .
وعبيد الله هذا كان شاعر قريش في العصر الأموي ، وكان مقيماً في المدينة ، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ، ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير عبد الله ومصعب ، فأقام فيها ثم لجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فسأل عبد الملك في أمره فأمنه فأقام حتى توفي سنة ٨٥ هـ . وله شعر في الغزل والنسيب والمدح والفخر . ولقب بابن قيس الرُّقيَّات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقيَّة . راجع أخباره في الأغاني ١٥٤/٤ـ١٦٦ .

(٢) الديوان ٤٩ .

عداوة ابن برمك

قال ثعلب : كان يُقال : لَعَداوةُ يحيى بن برمك أنفعُ لعدوه من صداقة غيره لصديقه .

خطبة المودة

أخبرنا القدسي ، قال : أخبرنا أبو العبّاس أحمد بن يحيى ، قال ابن الأعرابي عن المفضل : جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال : قد جئتُك خاطباً ، قال : لمن ؟ قال : لمودتك ، قال : قد أنكحتُكَها وجعلت الصَّداق أن لا تقبل[1] فيَّ مقالة قائل .

المعاتبة خير من الفقد

قال أبو الدرداء : معاتبة الأخ خير من فقده ، ومن لك بأخيك كله ، أطِعْ أخاك ، ولِنْ له ، ولا تسمع فيه قول حاسد وكاشح ، غداً يأتيك أجله فيكفيك[2] فقدَهُ ، كيف تبكيه بعد الموت وفي الحياة تركت وصلَه ؟

الصديق الحميم

قال بعض السلف : عليك بالإخوان ، ألم تسمع قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شافِعينَ ولا صَديقٍ حَميم ﴾[3] .

وأنشدنا الأندلسي :

عوز من سداد

لي صديق هو عندي عوزٌ ... من سَدادٍ لا سِداد من عَوز

شاعر :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس فيصلح

الصديق ولو في الحريق

وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما : حافِظْ على الصديق ولو في الحريق .

وقال شاعر :

---

(١) ج ق - يقبل .

(٢) ج ق - فيكفك .

(٣) القرآن الكريم : سورة الشُّعراء : ٢٦/١٠٠ .

لستُ ذا ذلّةٍ إذا عضَّني الـدهرُ ولا شـامخـاً إذا واتـاني[1]

نار وماء

أنـا نـارٌ في مرتقى نفس الحـاسـد مـاءٌ جـارٍ مـع الإخـوان

[كان على خاتم أبي نواس الحسن بن هانئ][2]

إخوان ذا الزمان دود وود وزوان .

الناس خنازير

أخبرنـا الطبراني ، قـال : سمعتُ عبـد الله بن المعتز يقول : قـال بعض المِلاح : إن الناس قد مُسخوا خنازير ، فإذا وجدت كلباً فتمسك به .

تنازع

قال أبو العيناء في رجلين[3] أفسد ما بينهما : تنـازعـا ثوب الْعُقوق حتى صدعاه صَدْعَ الزجاجة مالها من جابر .

الخليط والشفيع والجار

قـال شُرَيْح القـاضي : الخليـط أحق من الشفيـع ، والشفيـع أحـق من الجار ، والجار أحق ممن سواه .

دلائل

قال رجل لأبي مجنب : إني لا أودُّك ، فقال : إني لأجد رائد ذاك .

مودة ومثوبة

كاتب : قد أهديتُ لك مودَّتي رغبةً ، ورضيتُ منك بقبولهـا مثوبـةً ، وأنت بالقبول قاضٍ لحق ، ومالكٌ لرِق ، والسلام .

سُئل صعصعة عن طلحة فقال : كان حلوَ الصداقة ، مرَّ العداوة .

الإخوان كالنار

قـال عمر بن الخطـاب رضي الله عنـه : الإخوان بمنزلـة النـار ، قليلُهـا متاع وكثيرها بوار .

محض ومذق

قـال الأحنف : كانت المودة قبل اليـوم مَحْضـاً ، فليتهـا تكـون اليـوم مَذْقاً[4]

---

(١) ج ق ـ آتاني .

(٢) سقطت من ج ق .

(٣) ج ق ـ رجل .

(٤) المحض : الخالص الذي لم يخالطهُ غيره من اللبن وغيره . المذق : اللبن الممزوج بالماء .

بديهة وكرم

قال أحمد بن أبي فنن : حدثنا عمرو بن سعيد بن سلام قال : كنت في حرس المأمون ليلةً من الليالي نائباً . فبرز المأمون في بعض الليل متفقداً من حضر ، فعرفته ، فقال لي : من أنت ؟ فقلت : عمرو ـ عمرك الله ـ بن سعيد ـ أسعدك الله ـ بن سلام ـ سلمك الله ـ فقال : أنت تكلأنا مذ الليلة . قلت يكلأك الله .

فقال المأمون[1] :

إن أخا الهيجاء من يسعى معك ... ومن يضرّ نفسه لينفعكْ
ومَنْ إذا صرفُ زمان صدعك ... بدَّد شمل نفسه ليجمعكْ[2]

ادفعوا إليه أربعة آلاف دينار ، فوددتُ أن الأبيات طالت .

[٤ ب]
طريف وتالد

قيل للعتّابي : إنَّا نراك زاهداً في استطراف / الإخوان ؟ قال : إني لم أحمد تالدهم .

تمثَّل عبد الملك [بقول الشاعر] :

استبقاء الودّ

فاستبق ودّك للصديق ولا تكُنْ ... قَتَباً يعضُّ بغاربٍ ملحاحا[3]
واهجرهُم هجر الصديق صديقه ... حتى تلاقيهم عليك شِحاحا

---

(١) وردت هذه الأبيات في عيون الأخبار : ٤/٣

إنَّ أخاك الصِّدْقَ مَنْ لن يَخْدَعَكْ ... ومن يضرُّ نفسه لينفعَكْ
ومَنْ إذا ريبُ الزمان صَدَعَكْ ... شتَّتَ شملَ نفسه ليجمعكْ
وإن رآكَ ظالماً سَعَى مَعَكْ

(٢) البيتان للنابغة الذبياني راجع الديوان .

(٣) القَتَبَ : واحد الأقتاب وهي الأكف جمع أكاف وهي البرذعة ، التي توضع على تقّالة الأحمال . ومن المجاز : هو قتب يعضُّ بالغارب أي الكاهل ، وقتب ملحاح ، وألححتُ كأنما وضعت عليه قتباً .

بين الصديق والعدو

أخبرنا أبو سعيد السيرافي [قال] أخبرنا ابن دريد ، حدَّثنا عبد الرحمن ، قال : عرّض عمي الأصمعي برجلٍ كان حاضراً فأنشد :

صديقك لا يُثني عليك بطائلٍ فماذا ترى فيك العدو يقولُ

فقال الرجل :

وحسبك من لؤمٍ وخبثٍ سجيَّةٌ بأنَّك عن عيب الصديق سؤولُ

شاعر :

بين الكريم واللئيم

يصافيني الكريم إذا التقينا ويبغضني اللئيم إذا رآني

جزع وصبر

قال ابن عائشة : جزعُك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك ، وصبرُك في مصيبتك أحسن من جزعك .

مكافأة الجميل

قال أبو جعفر المنصور : مَنْ أعطى إخوانه النَّصَفة ، وعاشرهم بجميل العِشْرة قويَ بهم عضُده ، وزاد بهم جلدُه ، وبذلوا دونه المُهج ، وخاضُوا في رضاه اللُّجج .

شاعر :

لئيم وكريم

بيني وبين لئام الناس معتبةٌ ما تنقضي وكرامُ الناس إخواني
إذا لقيتُ لئيم القوم عنَّفني وإن لقيتُ كريمَ القوم حيَّاني

شاعر :

الحرص على الصديق

وكنت إذا الصديقُ أراد غيظي وأشرقني على حَنَقٍ بريقي
عفوتُ ذنوبَه وصفحتُ عنه مخافةَ أن أعيش بلا صديقِ

قال بعضُ السلف :

رصد الغِرَّة

استطرد لعدوك ، وأبقِهِ بإظهار الرضا عنه ، والمداراة له حتى تصيبَ الفرصة فتأخذه على غِرَّة .

فائدة التقيّة

قال طلحة بن عبد الله : أعظم لخطرك أن لا تُري عدوَّك[1] أنه لك عدو .

صداقة وعلاقة

قال الحسن بن وهب : طرف الصداقة أمْلَحُ من طرف العلاقة ، والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق .

شاعر :

كشف الدغل

ولقد طويتُكُم على علاَّتكم ... وعرفت ما فيكم من الأدغالِ[2]

معنى الصديق

قيل لروح بن زنباع : ما معنى الصديق ؟ قال : لفظ بلا معنى .

وأنشد هلال بن العلاء الرقيّ :

مداراة وحذر

لَمَّا عفوتُ ولم أحقد على أحدِ ... أرحت نفسي من غمِّ العداواتِ
إني أُحيي عدوّي عند رؤيته ... لأدفعَ الشرَّ عنّي بالتحيَّاتِ
وأُظهر البِشْر للإنسان أبغضُه ... كأنّه قد ملا قلبي محبَّاتِ
والناسُ داءٌ، وداءُ الناس قربُهُم ... وفي الجفاء لهم قطع الأُخُوَّاتِ
فلستُ أسلمُ ممن لستُ أعرفُه ... فكيف أسلم من أهل المودَّاتِ
ألقى العدوَّ بوجهٍ لا قُطوبَ به ... يكاد يقطر من ماء البشاشاتِ
وأحزمُ الناس من يلقى أعادِيَهُ ... في جسم حقدٍ وثوبٍ من مودَّاتِ

---

(١) ج ق ـ لعدوك .

(٢) الأدغال : مفردها دَغَل وهو الشجر الكثير الملتف والموضع يخاف فيه الاغتيال ، ويتوارى فيه للمختل والغيلة . قال الكميت :

إنا إذا ما أُعْيَتِ القومَ الحِيَلْ ... ننسلُّ في ظلمةِ ليلٍ ودَغَل

ومن المجاز : دَغِلَ فلانٌ ، وفيه دَغَلٌ أي فساد وريبة . وهو دَغِلٌ نَغِلٌ .

قال الشعبي : تعايش الناسُ بالدين زماناً حتى ذهب الدين ، ثم تعايشوا بالمروءة حتى ذهبت المروءة ، ثم تعايشوا بالحياء حتى ذهب الحياء ، ثم تعايشوا بالرغبة والرهبة ، وسيتعايشون بالجهالة زماناً طويلاً . تعايش متنوع

لسَعْيَةَ بن عُرَيْض اليهودي[1] :

وإذا تصاحبهم تصاحبْ خانةً[2] ... ومتى تفارقهم تفارقْ عن قِلى
إخوان صدقٍ ما رأوك بغبطةٍ ... فإذا افتقرتَ فقد هوى بك ما هوى
إنَّ الكريم إذا أردتُ وصاله ... لم يلفِ حبلي واهناً رثَّ القوى
أرعى أمانته وأحفظ عهده ... جهدي فيأتي بعد ذلك ما أتى
يَجزيك أو يُثني عليك وإن من ... أثنى عليك بما فعلت كمن جَزَى

صداقات زائفة

قرع رجل باب بعض السلف في ليلٍ فقال لجاريته : أبصري من القارع ؟ فأتت الباب فقالت : من ذا ؟ قال : أنا صديق مولاكِ ، فقال الرجل : قولي له : والله إنك / لصديق ، فقالت له [ذلك] فقال : والله [٥آ] إني لصديق ، فنهض الرجل وبيده سيف ، وكيس ، يسوق جاريةً ، وفتح الباب وقال : ما شأنُك ؟ قال : راعني أمر ، قال : لا بك ، ما ساءَك ، فإني قد قسمتُ أمرك بين نائبةٍ[3] فهذا المال ، وبين عدوٍّ فهذا السيف ، أو أيْمَةٍ[4] فهذه الجارية ! فقال الرجل : للهِ بلادُك ما رأيتُ مثلَك . صديق

---

(١) سعية بن العريض بن عاديا اليهودي أخو السموأل المشهور بالوفاء ، مات في خلافة معاوية .

(٢) تجمع خائن على خانة وخونة وخُوَّان .

(٣) النائبة : المصيبة .

(٤) ج ق ـ مشوق . آمت المرأة من زوجها أيْمَةً وأيماً وأيوماً : فقدته ، وكذا الرجل من امرأته . وتأيَم الرجل وتأيمت المرأة : إذا مكثا زماناً لا يتزوّجان .

ظلم ثلاثي

قال الأحنف : من حق الصديق أن يحتمل [له] ظلمُ الغضب ، وظلمُ الدَّالَّة ، وظلم الهفوة .

قرناء السوء

قال بزرجمهر : إيّاكِ وقرناء السوء ، فإنَّك إن عملت قالوا : رائيتَ ، وإن قصَّرت قالوا : أثمت ، وإن بكيت قالوا : شهرت ، وإن ضحكت قالوا : جَهِلْتَ ، وإن نَطَقْتَ قالوا : تكلفتَ ، وإن سكتَّ قالوا : عييتَ ، وإن تواضعت قالوا : افتقرتَ ، وإن أنفقتَ قالوا : أسرفتَ ، وإن اقتصدتَ قالوا : بخلتَ .

فوائد المقاربة

وقال أبو بكر : قارب إخوانك في خلائقهم تسلم من بوائقهم[1] ، وترتع في حدائقهم .

ترك القطيعة

قال أعرابي : دَعْ مصارمة[2] أخيك وإن حَثَا الترابَ في فيك .

ظلم فاحش

قال عمرو بن العاص : مِنْ أفحشِ الظلم أن تلزم حقك في مال أخيك ، فيبذله لك ، ويلزمك حقه في تعظيمك إياه فتمنعه ، فإذا أنت جشمته إفضال المنعمين ، وابتذلته ابتذال الأكفاء .

بعض وكل الأخيار والأشرار

وقال أعرابي لصديق له : كن ببعضك لي حتى أكونَ بكلِّي لك .

بين الصالحين والأشرار

وفي كليلة ودمنة : صحبة الأخيار تورث الخير ، وصحبة الأشرار تورث الشر ، كالريح إذا مرَّت على النتن حملت نتناً ، وإذا مرت على الطيب حملت طيباً .

وقال أيضاً : المودَّة بين الصالحين بطيءٌ انقطاعها ، سريع اتصالها ،

---

(١) بوائقهم جمع بائقة وهي الداهية . وفي الحديث : « لا يدخل الجنّة من لا يأمن جارُه بوائقه » ، قال قتادة : أي ظلمه وغشمه . ويقال : فلان كثير البوائق أي الشرور .

(٢) صرمت أخي وصارمته وتصارمنا ، وبيننا صُرْمٌ وصريمة : قطيعة .

كآنية الذهب ، بطيئة الانكسار ، هينة الإعادة ، والمودةُ بين الأشرار سريع انقطاعها ، بعيد اتصالها ، كآنية الفخّار التي يكسرها أدنى شيء ، ولا وصل[1] له .

ملك الرفيق

قال عثمان بن عفّان : ما ملك رفيقاً من لم يتجرَّع بغيظٍ ريقاً .

أوهام الصداقة

قال أبو عثمان النَّيْسابوري ، وكان من الزُّهَّاد العُبَّاد : أنكر عليَّ أبو حفص ، أيام ملازمتي وخدمتي له شيئاً ، فضقت ذرعاً ، وهممتُ[2] [لوأني] بطيٍّ الأرض حتى لا يراني ، فخيّل إليه ذاك مني ، فلما رآني قال لي : يا أبا عثمان ! لا تثِقْ بمودة من لا يحبك إلاّ معصوماً ، قال : فسكنتُ وعدتُ إلى العادة .

أعجز الناس

قال الأصمعي فيما روى لنا المرزباني عن ابن دريد ، عن عبد الرحمن ، عن الأصمعي قال أعرابي : أعجزُ الناس من قصَّر في طلب الإخوان ، وأعجزُ منه من ضيَّع من ظفر به منهم .

قيل لمسوّر بن مخرمة الزهري : أيُّ الندماء أحبُّ إليك ؟ قال : لم أجد نديماً كالحائط ، إن بصقتُ في وجهه لم يغضب عليَّ ، وإن أسررتُ إليه شيئاً لم يَفشه عني .

مواساة بالحفاء

قال ابن مناذر[3] : كنتُ أمشي مع الخليل فانقطع شِسْعُ[4] نعلي فخلع نعله فقلت له : ما تصنع ؟ قال : أُواسيك بالحفاء !

---

(١) ج ق ـ جبر .

(٢) ج ق ـ ووددت .

(٣) ج ق ـ مبادر .

(٤) ج ق ـ قيع . الشِّسْع : قبال النعل وهو زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها .

كره الإخوان

وقال بعض السلف : إياك وكره الإخوان ، فإنه لا يؤذيك إلاَّ من تعرف وأنشد :

جزى الله عنَّا الخير من ليس بيننا ... ولا بينه ودٌّ ولا نَتَعارفُ[1]

فما سَامنا ضيماً ولا شفَّنا أذىً ... من الناس إلاَّ مَنْ نودُّ ونألفُ

مكاسب الصداقة

قال شبيب بن شَيْبَة : إخوان الصديق خير مكاسب الدنيا ، هم زينة في الرخاء ، وعُدَّة في البلاء .

في منزلتين

قال أعرابي لصاحبٍ له : أنزلني من نفسك منزلةَ عبدٍ ، أُنزلْكَ من نفسي منزلةَ مولى ، فإنك إذا فعلتَ ذلك تطاوعنا بلا أمر ، وتناهينا بلا زجْر ، وإذا كان رقيبُنا العقلَ ، الهادي / إلى الرضا ، الذائد عن الأذى ، فلا عتب يَسْودُّ به وجهٌ ، ولا عُذر يغضُّ[2] منه طَرْف ، والسلام .

[٥ب]

مفاجأة وخيبة

كاتب . أما بعد ، فقد استجبتُ لإخائك ، ثقةً مني بوفائك ، فلما أن طعمتُ[3] فضلك ، وسرتُ مسيرك ، واستفرغتني مودتك ، واستغرقتني مِقَتُك ، فاجأتني بتغيُّر لونك ، وانزواء ركنك ، وفاحش لفظك ، وشانيء لحظك .

شاعر :

ندم وعجز

ستنكتُ ، نادماً ، في الأرض مني ... وتعلمُ أنَّ رأيك كان عجزا

وقال الراجز :

معاملة الصديق

إنَّ الرفيقَ لاصقٌ بقلبي ... إذا أضافَ جَنْبَهُ بجنبي

---

(١) ج ق ـ خزى ، به نتعرَّف .

(٢) ج ق ـ يطرف .

(٣) ج ق ـ آنست .

أبـــذلُ نُصحي ، وأكفُّ لعبي ليس كمن يُفحشُ او يَحْظَنْبي[1]

تضحية وأخلاق

قال بعض السلف : ابذل لصديقك دمك ومالك ، ولمعرفتك رِفدك ومحضرك ، ولعدوك عدلك وإنصافك .

شاعر :

ترك التَّعهد

تركُ التعهد للصديق يكونُ داعيةَ القطيعة

نظرة الحاسد

قال أبو بكر في دعائه : اللهم ! إني أعوذُ بك من نظرة غيظٍ نفذت من عين حاسد ، غائبُها حَرْب ، وشاهدُها سَلْم .

شاعر :

غفران الذنب

فلا تقطع أخاك من أجل ذنبٍ[2] فإنَّ الذنبَ يغفره الكريمُ

وأنشد :

فرصة التحيُّل

إذا أنكرت أحوال الصديق فلستَ من التحيُّل في مضيقِ
طريقٌ كنت تسلكه زماناً فأسبعَ فاجتنبْهُ إلى طريقِ[3]

كاتب :

عرض وإعراض

عرضتُ عليك مودتي فأعرضتَ عني ، وأعرضَ عنك غيري فتعرضتَ له ، فالله المستعان على فوت ما أمَّلته لديك ، وبه التعزِّي عما أُصبتُ به منك .

---

(١) ج ق ـ يعلبني ـ الإحظنبـــاء : الغضب والْمَحْظَنَبّ والْمَحْظَنْبي : السريع الغضب . والحنظاب : القصير الشكس الأخلاق .

(٢) ج ق ـ أخا .

(٣) ج ق ـ فأوعر . أسبع الراعي : وقع السبع في مواشيه ، وأسبعت الطريق : كثرت فيها السباع .

بين الفضل والثقة

مرَّ بخالد بن صفوان صديقان ، فعرَّج عليه أحدهما وطواه الآخر ، فقيل له في ذلك ، فقال : عرَّج علينا هذا لفضله ، وطوانا ذاك لثقته . (ويروي في مثله : عرَّج علينا هذا بالمقة وانصرف ذاك عنَّا بالثقة)[1] .

شاعر :

عتاب

أُعاتبُ ليلى إنما الهجرُ أنْ ترى ... صديقك يأتي ما أتى لا تعاتبُهْ

غسل الدرن

قال أعرابي لصاحبٍ له : قد دَرِنَ[2] ذات بيننا ، فهلمَّ إلى العتاب لنغسل به هذا الدَّرن ، فقال له صاحبه : إن كان كما تصف فذاك لبادرة ساءتك مني ، إمَّا لك وإمَّا لي ، فهلاَّ أخذت بقول القائل :

إذا ما أتت من صاحبٍ لك زلةٌ ... فكُنْ أنت محتالاً لزلَّتهِ عُذْرا

والله لا صفت مودتنا ، ولا عَذُبَ شربُها لنا إلاَّ بعد أن يغفر كلٌّ واحدٍ منا لصاحبه ما يغفره لنفسه من غير منٍّ ولا أذى .

شاعر :

الإنصاف أو الهجران

إذا أنت لم تنصف أخاكَ وجدته ... على طَرَف الهجران إن كان يعقلُ

ويركبُ حدَّ السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن جانب السيف مزحلُ

فوق الإنصاف والهجران

قال العواميّ : الصديق يرتفع عن الإنصاف ، ويجلُّ أيضاً عن الهجران ، لأن الإنصاف ينبغي أن يكون عامَّاً مع النَّاس كلِّهم ، وأما الهجران[3] ، فالعاقل لا يسرع إليه لعدم الإنصاف بل يستأني ، ويقف ، ويكظم ، ويتوقع ، ويرى أن العارض في الأمر لا يزال به الأمر الثابت ، والعرق النابت .

---

(١) وردت العبارة على هامش المخطوط بخط مغاير للأصل .

(٢) درن وأدرن الثوب : وسخ ، وقيل : تلطّخ به .

(٣) م ـ الهجر .

شاعر :

إذا رأيتُ ازوراراً من أخي ثقـــةٍ ... ضاقت عليَّ برحب الأرض أوطـاني — ازورار الصديق
فـإن صـددتُ بـوجهي كي أُكافئـه ... فـالعينُ غضبى وقلبي غيرُ غضبـانِ

وقال العتبي :

وصـاحبٍ لي أبنيـه ويهـدمني ... لا يستوي هـادمٌ يـوماً وبنـآءُ — بين الهدم والبناء
إذا رآني فعبـدٌ خـاف معتبـةً ... وإن نأيت فثَّم الغِمْرُ والـداءُ[1]

بلغ الإسكنـدر الملـك موت صـديق لـه فقـال : مـا يحزنني موتـه أني لم أبلغ من برّه ما كان أهله مني . — فوات البر

قـال ابن أبي ليلى : لا أمـاري صـديقي ، فـإمَّـا أن أكـذبـه ، وإمَّـا أن أغضبه . — بين الكذب والغضب

وكان بين القاضي أبي حـامـد المرورّوذّي وبين ابن نصرويْـه[2] العـداوة الفاشية ، والشَّحناء الظاهرة ، فكان إذا جرى ذكر ابن نصرويه أنشد : — عداوة

وأبى ظـــاهرُ العـــداوة إلاَّ[3] ... طغيـانـاً ، وقـول مـا لا يقـال

وكان يقول : والله إني ببـاطنـه في عـداوتـه أوثقُ مني بظـاهر صـداقـة غيره ، وذاك لعقله الذي هو أقوى زاجر له عن مسـاءتي ، إلا فيما يـدخل في باب المنافسة ، ولهذا استمر أمرُنا أربعين سنة ، من غير فحاشة ولا شنـاعـة ، ولقـد دعيتُ إلى الصلـح فـأبيتُ فقلت : لا نحرِّك السـاكن منـا ، فلقـديم العداوة بالعقل ، والحفاظ من الذمام والحرمـة مـا ليس لحـديث / الصـداقـة [٦آ]

(١) الغمر : الحقد والغلّ .
(٢) ج ق ـ حروية .
(٣) ج ق ـ الغشاءة ، وفي الهامش الشناءة .

بالتكلف والملق[1] ، ولقد وقفني مرة على ضربةٍ تأتَّت له عليَّ كان فيها البوار ، كفَّ[2] عنها ، وأخذ بالحسنى ، فأريتُه أُختها ، وكانت خافيةً عنده ، فقال : لولا علمي بأنك تسبق إلى مثل هذه ماقابلتك بتلك ، فقلت : هو والله ذاك ، ووالله لقد ضرَّني ناس كانوا ينتحلون مودَّتي ، ويتبارون في صداقتي ، لضعف نحائزهم[3] ، ولؤم غرائزهم ، ولقد ثبت لي هو في عداوته على عقل وتذمم أفضيا بهما إلى سلامة الدين ، والنفس ، والحال . وورد[4] معز الدولة هذا المِصْر ، فسأله عني سرّاً ، فأثنى خيراً وقال : ماقطَنَ مِصْرنا غريبٌ أعظم بركةً منه ، وإنه لجمالنا عند المباهاة ، ومَفْزَعنا عند الخلاف . [ولقد] سألني معز الدولة عنه سرّاً ، فأثنيت خيراً وقلت : أيها الأمير ! والله مانشأت فتنةٌ في هذا المصر إلاَّ وهو كان سبب زوالها ، وإطفاء ثائرتها ، وإعادة الحال إلى غضارتها ونضارتها . فقال معزّ الدولة لأبي مخلد سرّاً ، كيف الحال بينهما ، يعنينا ، فقال : بينهما نبوّ لا يُنادى وليدُه ، وتعادٍ لا يلين أبداً شديدُه . فقال : لئن كان كما تقول فإنهما رُكْنَا[5] هذا البلد ، وعدَّتا هذا السَّواد ، اجعلهما عينيَّ أبصر بها أحوال الناس في هذا المكان ، وأُعَوِّلْ عليهما في ما يريان ويشيران ، فخلا بي أبو مخلد وبصاحبي ، وتقدم إلينا عن صاحبه بما زادنا بصيرةً وتألفاً إلى هذه الغاية ، ثم قال أبو حامد : والله إنَّ عداوة العاقل لألذُّ وأحلى من صداقة الجاهل ، لأن الصديق الجاهل يتحاماك[6] بعداوته ، ويُهدي إليك فضل عقله

---

(١) في م ـ المذاق وهو تحريف .

(٢) ج ق ـ فكفَّ .

(٣) ج ق ـ تحايزهم . نحائز : مفردها نحيزة وهي الطبيعة .

(٤) ج ق ـ ولقد ورد .

(٥) ج ق ـ كننا .

(٦) ج ق ـ يتحامل ج ق ـ وأربه .

ورأيه[1] ، ومن فضل عداوة الجاهل أنك لا تستطيع مكاشفته حياءً منه ، وإيثاراً للإرعاء[2] عليه ، ومن فضل عداوة العاقل أنك تقدر على مغالبته بكل ما يكون منه إليك ، ثم قال : وما أظن أنه كان فيما مضى إلى وقتنا هذا متصادقان على العقل والدين مثل أبي بكر وعمر ، ومن يتحرَّى أخبارهما ، ويقفو آثارهما وقف على غورٍ بعيدٍ ، هذا مع العُنجهيَّة المصحوبة أيام الجاهلية ، والعَجْرفية المعتادة أوان الكفر ، فلما أنار الله قلوبهما بالإيمان رجعا إلى عقلٍ نصيحٍ ، ودينٍ صحيحٍ ، وعرفان بالعرف والنكر ، ونهوضٍ بكل ثِقْل وخِف[3] ، وإني لأرحم الطاعن فيهما ، والنائل منهما ، لضعف عقله ودينه ، وذهابه عمَّا خُصَّا به ، وعَمَّا فيه ، وميّزا[4] عنه ، ورقيا إليه ، واندفع في هذا وشبهه ، وكان والله بليل الريق ، يستحضر كيف شاء بالطويل والعريض ، والجليل والدقيق .

أبو بكر وعمر

أطلنا هذا الفصل على ما اعتَنَّ[5] ، والمعذرة فيه مقدمةٌ إليك ، وأنت أولى من يقبلها ، وزادني تفضلاً من عنده عليها ، جامعاً لما شَتَّ[6] من الكرم ، حافظاً لما قد ضاع من الذِّمم .

قال علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه[7] : شرُّ الإخوان من تُكلِّف له ، وخيرُهم مَنْ أحدثتْ لك رؤيتُه ثقةً به ، وأهدت إليك غيبتُه طمأنينةً إليه .

شر الإخوان وخيرهم

---

(١) ج ق ـ وأربه .

(٢) ج ق ـ الرعاية . الإرعاء : الإبقاء وأرعى عليه : أبقى عليه وترحّم .

(٣) الخِف : الخفيف . الثِّقل : الحمل الثقيل .

(٤) ج ق ـ وبريئاً .

(٥) اعتنَّ له الشيء : ظهر .

(٦) ج ق ـ شئت .

(٧) م ـ صلى الله عليه .

شاعر :

أمان الإخوان

لو قيلَ لي خُذْ أماناً ... من أعظم الحدثانِ
لما أخذتُ أماناً ... إلاَّ من الإخوانِ

العرق نزَّاع

أنشد عمر بن عبد العزيز :

إني لأمنحُ من يواصلني ... مني صفاءً ليس بالمَذْقِ
وإذا أخٌ لي حالَ عن خُلُق ... داويتُ منه ذاك بالرِّفْقِ
والمرءُ يصنع نفسه ومتى ... ما تَبْلُهُ ينزع إلى العِرْقِ

وأنشد آخر :

رتبة الودّ

يا أكرمَ الناس في ضيقٍ وفي سعةٍ ... وأنطقَ الناس في نظمٍ وفي خُطَب
إنَّا وإن لم يكن ما بيننا نسبٌ ... فرتبةُ الودِّ تعلو رتبة النَّسَبِ
كم من صديقٍ يراك الشَّهْدَ عن بعُدٍ ... ومن عدوٍّ يراك السُّمَّ عن قُرُبِ

وأنشد آخر :

[٦ ب]

شرط الصديق

فما منك الصديقُ ولستَ منه ... إذا لم يَعْنِه شيءٌ عَنَاكا /

المراء مفسدة

قال أعرابي : المراء يُفسد الصداقة القديمة ، ويحلُّ العقدة الوثيقة .

المعاشرة بالمعروف

قال محمد بن الحنفية : ليس بحكيمٍ من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد بُدّاً من معاشرته حتى يجعل الله له من ذلك مخرجاً .

حق الجليس

قال أبو بكر : حقُّ الجليس إذا دنا أن يرحَّب به ، وإذا جلس أن يوسَّع له ، وإذا حدَّث أن يُقبل عليه ، وإذا عثر أن يُقال ، وإذا أُنقص أن ينال ، وإذا جهل أن يُعلَّم .

دعاء

كان بعض السلف يقول في دعائه : اللهم احفظني من أصدقائي ،

فسئل عن ذلك فقال : إني أحفظ نفسي من أعدائي . قال أبو سليمان : إن كانوا عندك أصدقاء فما أقرَّ عينك بهم لأنك محفوظ فيهم ، وإن كانوا غير أصدقاء فما وجه فكرك فيهم .

وقال الشاعر :

شروط الإخاء

تـــودُّ عـــــدوي ثم تـــزعم أنني ... صديقُك، ليس النَّوكُ عنك بعازب[1]
وليس أخي مَنْ ودَّني رَأيَ عينـــه ... ولكِنْ اخي من ودَّني في المغائبِ[2]
ومَنْ مـالُـه مـالي إذا كنتُ معـدِماً ... ومـــالي لـــه إن عضَّ دهرٌ بغـــاربِ
فمـــا أنت إلاَّ كيفَ انت ومرحبـــاً ... وبـــالبيض روَّاغ كروغ الثعـــالبِ

سهولة المعاداة

قيل لبزرجمهر : ما بالُ معاداة الصديق أقربُ مأخذاً من مصادقة العدو ؟ قال : لأن إنفاق المال أهونُ من كسبه ، وهدمَ البناء أسهلُ من رفعه ، وكسرَ الإناء أيسرُ من إصلاحه .

رأي السجستاني

قال أبو سليمان : لم يعمل شيئاً في الجواب لأنه ماثل مسألة السائل بمسألة مثلها ، فلو سأله السائل عن هذه كلِّها ما كان جوابه ، ثم أجاب هو بكلام لا يدخل في هذه الرسالة لأنه من الفلسفة التي هي موقوفة على أصحابها لا نزاحمهم عليها[3] ، ولا نماريهم فيها .

وقال الشاعر :

شكوى ولوم

إذا المرء لم يطلبْ مَعَاشاً لنفسه ... شَكا الفقرَ أو لاَمَ الصديق فأكثرا

---

(١) في عيون الأخبار ٦/٣ وحماسة البحتري ص ١٧٦ : « إن الرأيَ عنك لعازبُ » .

(٢) ج ق - وهو غائبي . وفي عيون الأخبار :« من صدّقته للغايبُ » ، وفي حماسة البحتري :

وليس أخي من ودَّني وهو حاضر ... ولكن أخي من ودَّني وهو غائب

(٣) م - فيها .

المودة ميراث

قال معاوية : المودة بين السلف ميراث بين الخلف .

واجب الصديق

قال أبو العتاهية : قلت لعلي بن الهيثم : ما يجب للصديق ؟ قال : ثلاث خلال : كتمان حديث الخلوة ، والمواساة عبد الشدة ، وإقالة العثرة .

مشاهدة الإخوان

قال عبد الملك بن صالح : مشاهدة الإخوان أحسن من إقبال الزمان ، وألذُّ من نيل الأمان ، [وأحلى من رضا السلطان][1] .

الإخوان سلاح

وقال بزرجمهر : الإخوان كالسلاح ، فمنهم من يجب أن يكون كالرمح يطعن به من بعيد ، ومنهم كالسهم يرمى به ولا يعود إليك ، ومنهم كالسيف الذي لا ينبغي أن يفارقك .

شاعر :

شكوى

وأبثثتُ عمراً بعض ما في جوانحي ... وجرَّعتُه من مُرِّ ما أتجرَّعُ

ولا بدَّ من شكوى إلى ذي حفيظةٍ ... إذا جعلت أسرارُ نفسٍ تطلّعُ

إذا عزَّ أخوك

وسمعت أبا عثمان أحد الخالديين يحكي أن عياراً سمع رجلاً يقول : إذا عزَّ أخوك فَهُنْ ، فقال للقائل : أخطأت ، إذا عزَّ أخوك فأهن شأنه وأنا أقول : لو كان هذا الحكم من رجلٍ نبيهٍ له في الحكمة قَدَمٌ ، وفي الفضل قِدَمٌ ، لتأوله متأول على وجهٍ بعيد أو قريب ، ولكنه روى عن عيَّار ، وهذا الرهط ليس لأحد فيهم أُسوة ، ولا هُم لأحدٍ قدوة ، لغلبة الباطل عليهم ، وبُعد الحق عنهم ، ولأنَّ الدين لا يَلتاط بهم ، والفتوّة التي يدّعونها بالاسم لا يُحلَّون بها في الحقيقة ، وكيف تصحُّ الفتوة إذا خالفها الدين ، وكيف يستقرُّ الدين إذا فارقته الفتوة ، الدينُ تكاليف[2] من الله تعالى ، والفتوة

العيّارون

الفتوة

الدين

---

(١) سقطت من ج ق .

(٢) ج ق ـ تكليف .

أخلاق بين الناس ، ولا خُلُق إلاَّ ماهذَّبه الدين ، ولا دين إلاَّ ماهذَّبه الْخُلُق ، على أن ابن المعتز أبا العباس قال : لستُ لمن خاشنني ألين ، ولا إذا عزَّ أخي أهون ، ولعلَّ هذا مسلَّم لأبي العباس لسموق رتبته[1] ، وشرف نسبه ، ومستفيض أدبه وكرمه ، وبعدُ فالصراخُ ممن يُظن به أنه صديق ثم يخرج في مُسْكِ[2] عدوٌّ قديم ، والتشكي منه مردَّد ، وليس إلاَّ الصبر والإغضاء ، ودفع الوقت ، وطرح الأذى عن الفكر ، وأنا أقول هذا لأني نظرت في حال الإنسان ، وصوَّبْتُ طَرْفي فيه وصعَّدتُ ، وحسبتُ ماله وما عليه وحصلت ، وأجملت / ما به وفيه وفصلت ، فلم أجد له شيئاً خيراً من الصبر ، فيه يُقاوم المكروه ، وتُستدفع البليَّة ، وبه يُؤدى شكر النعمة ، وما أحلى ما أشار إليه الشاعر حين قال :

قول لابن المعتز

[٧آ]

فضيلة الصبر

إنَّ الزمان على اختلاف مروره ... ما زال يخلطُ حزنه بسرورهِ
لم يُصْفِ عيشاً منذ كان لمعشرٍ ... إلاَّ وعاد يجدُّ في تكديرهِ
فالعاقلُ النِّحريرُ يُلزم نفسه ... صبراً عليه في جميع أُمورهِ
وأحقُّ ما صبر امرؤ من أجله ... ما لا سبيل له إلى تغييرهِ

أحوال الزمان

وحكى العلماء أن رجلاً كتب على باب داره : جزى الله من لم نعرفْه ولم يعرفْنا خيراً . فإنَّنا ما أُتينا في نكبتنا هذه إلاَّ من المعارف ، وقد قال الآخر :

ضرر المعارف

كفاني الله شرَّك يا ابن عمي ... فأما الخيرُ منك فقد كفاني
نظرتُ فلم أجد أشفى لغيظي ... من أني لا أراك ولا تراني

ولقد قلت لابن أبي كانون : لِمَ لا تخالط أصحاب ابن الرازي فأنشد :

ابتغاء السلامة

---

(١) ج ق ـ ديانته . السموق : العلو .

(٢) للسك : الجلد .

إن السلامة من سلمى وجارتها أن لا تمرّ بوادِيها على حالِ

نبذ الصداقة وغيرها

وإذا أردت الحق علمت أن الصداقة ، والألفة ، والأخوة ، والمودة ، والرعاية ، والمحافظة قد نُبذت نبْذاً ، ورفضت رفْضاً ، ووطئت بالأقدام ، ولُويت دونها الشفاه ، وصرفت عنها الرغبات .

ولَمَّا غنَّى عَلَويّه المأمون قول الشاعر :

وإني لمشتاق إلى ظلِّ صاحبٍ يرقُّ ويصفو إن كدرت عليهِ
عذيري من الإنسان لا إن جفوتُه صَفَا لي ولا إن صرتُ طوعَ يديه

رأي المأمون في الناس

استعاده المأمون مرات ثم قال : هات يا عَلَويه هذا الصاحب ، وخذ الخلافة ، قد صرنا ، ولله الحمد نرضى اليوم من الصاحب ، والجار ، والْمُعامل ، والتابع ، والمتبوع أن يكون فضلُهم غامراً لنقصهم ، وخيرُهم زائداً على شرِّهم ، وعدلُهم أرجحُ من ظلمهم ، وأنهم إن لم يبذلوا الخير كلَّه لم يستقصوا الشرَّ كله ، بل قد رضينا بدون هذا ، وهو أن نَهَبَ خيرهم لشرهم ، وإحسانهم لإساءَتهم ، وعدلهم لجوْرهم ، فلا نفرح بهذا ، ولا نحزن لذاك ، ونخرج بعد اللتيا والتي بالكَفاف والعَفَاف !.

صديق سوء

أخبرنا ابن مقسم النحوي ، أخبرنا ثعلب عن أبي زيد عمر بن شيبة قال : قال مطيع بن إياس في صديقٍ كان له يصفه بالنميمة :

إنَّ مما يزيدني فيك زهداً أنَّني لا أراك تصدقُ حرفا
لا ولا تكتم الحديث ولا تنـ ـطقُ جِدّاً ولا تمازح ظَرْفا
وإذا منصفٌ أرادك للنّصـ ـفِ أبيت الوفاء وازددت خُلفا
وإذا قال عارفاً قلت سوءاً وإذا قال مُنكراً قلت عُرْفا

وأنشد ابن الأعرابي فيما روى ابن مقسم عن ثعلب :

تجنٍ وزهد

وصلتُكُم جهدي وزدت على جهدي ... فلم أرَ فيكم من يـدومُ على العهـدِ
تأنيتكُمُ جهد الصديق لتقصدوا[1] ... وتأبون إلاَّ أن تحيدوا عن القَصْدِ
فإن أُمسِ فيكم زاهداً بعد رغبةٍ ... فبعد اختبار كان في وصلكم زهدي
إذا خنتمُ بالغيب عهدي فمالكم ... تدلّون إدلالَ المقيم على العهدِ[2]
صِلُوا وافعلوا فعلَ المدلِّ بوصله ... وإلاَّ فصدّوا وافعلوا فعل ذي الضدِّ[3]
فكم من نذيرٍ كان لي قبلُ فيكم ... وها أنا ذا فيكم نذيراً لمن بعدي
تعزّوا بيأسٍ عن هوايَ فإنَّني ... إذا انصرفت نفسي فهيهاتَ من ردِّ
أرى الغدر ضدّاً للوفاء وإنَّني ... لأعلمُ أنَّ الضدَّ ينبو عن الضدِّ

صاحبا الصلاح والسوء

قال لقمان : من يصحب صاحب الصلاح يسلم ، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم .

مجالسة العلماء

وقال أيضاً : جالس العلماء ، وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء .

تغير الأحوال

قال الفضيل بن عياض : قال لي ابن المبارك : ما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخاً في الله قال : فقلت له : لا يهيدنَّك[4] هذا فقد خبُثت السرائر ، وتنكَّرت الظواهر ، وفنيَ ميراث النبوَّة ، وفُقد ما كان عليه أهلُ الفتوَّة .

واجب الصحبة

قال بكر بن عبد الله المزني : إذا انقطع شِسْعُ نعل صاحبك فلم تقف

---

(١) م ـ بفنا الصديق . تأنّى واستأنى : في الأمر وبه : تنظَّر وترفَّق . القصد : العدل .

(٢) ج ق ـ على الود .

(٣) ج ق ـ فعله الضدّ .

(٤) ج ق ـ لا يهمك . لا يهيدنَّك هنا الأمر : لا يزيلنَّك من هاده يهيده إذا حركه . يقال : « هِدْهُ يا رجل » أي أزله عن موضعه .

[٧ب] عليه فلست له بصاحب ، وإذا / جلس يبول فلم تلبث له فلست له برفيق .

توسم الرفاق

كان عامر بن قيس إذا توجَّه للغزو توسَّم[١] الرفاق ، فإذا رأى قوماً لهم هدى قال : يا قوم إني أُريد أن أصحبكم على ثلاث خلالٍ فيقال [له] : ما هنَّ ؟ قال : أكون خادماً لكم ، ومؤذّناً بينكم ، وأنفق عليكم . فإذا قالوا : نعم صحبهم وإلاَّ تركهم .

طول السفر

قيل لفيلسوف : من أطول الناس سفراً ؟ قال : من سافر في طلب صديق .

السكون إلى الصديق

سمع ابن عطاء رجلاً يقول : أنا في طلب صديقٍ منذ ثلاثين سنة فلا أجده ، فقال له : لعلك في طلب صديق تأخذ منه شيئاً ، ولو طلبت صديقاً تعطيه شيئاً لوجدت ! قال أبو سليمان : هذا كلام ظالم ، الصديقُ لا يُراد ليُؤخذ منه شيء ، أو ليُعطى شيئاً ، ولكن ليُسْكنَ إليه ، ويُعتمدَ عليه ، ويُستأنسَ به ، ويُستفادَ منه ، ويُستشارَ في المُلم ، وينهضَ في المهم ، ويُتزينَ به إذا حضر ، ويتشوقَ إليه إذا سَفَر[٢] ، والأخذ والإعطاء في عرض ذلك جاريان على مذهب الجود والكرم ، بلا حسد ، ولا نكد ، ولا صدد ، ولا حدد[٣] ، ولا تلوّم ، ولا تلاوم ، ولا كُلوح[٤] ، ولا فتوح ، ولا تعريض بنكير ، ولا نكاية بتغيير .

---

(١) توسم الشيء : تخيَّله وتفرَّسه وتعرَّفه ، يقال : « توسَّمت فيه الخير » أي تبينت فيه أثره .

(٢) م ـ سافر . سفر : خرج إلى السفر .

(٣) الحدد : الكذب والباطل .

(٤) كلح وجهه كُلوحاً وكُلاحاً : تكشر في عبوس .

تعريف الصديق

قيل لأرسطاطاليس الحكيم معلم الإسكندر [الملك] مَنِ الصديق ؟ قال : إنسان هو أنت ، إلاَّ أنه بالشخص غيرُك !

تفسير السجستاني لعبارة أرسطو

سئل أبو سليمان[1] عن هذه الكلمة وقيل له : فسِّرْها لنا فإنها وإن كانت رشيقةً فلسنا نظفر منها بحقيقة . فقال : هذا رجل دقيقُ الكلام ، بعيدُ المرام ، صحيحُ المعاني ، قد طاعت له الأمورُ بأعيانها ، وحضرتْه بغيبها وشهادتها ، وكان ملهماً مؤيَّداً ، وإنما أشار بكلمته هذه إلى آخر درجات الموافقة التي يتصادق المتصادقان بها ، ألا ترى أن لهذه الموافقة أولاً ، منه يبتدئانها ، كذلك لها آخرُ ينتهيان إليه ، وأول هذه الموافقة توحُّدٌ ، وآخرُها وَحْدةٌ ، وكما أن الإنسان واحدٌ بما هو به إنسان ، كذلك يصير بصديقه واحداً بما هو صديق ، لأن العادتين تصيران عادة واحدة ، والإرادتين تحولان[2] إرادةً واحدة ، ولا عجب من هذا ، فقد أشار إلى هذه الغريبة الشاعر بقوله :

روحُه روحي ، وروحي روحُه إنْ يشأ شئتُ ، وإن شئتُ يَشَا

وليس يبعد هذا عليكم إلاَّ لأنكم لم ترو صديقاً لصديق ، ولا كنتم أصدقاء على التحقيق ، بل أنتم معارف يجمعكم الجنسُ المقتبَس ، وينظمكم النوعُ المقتبس من الإنسان ، ويؤلفكم بعد ذلك البلد أو الجوار أو الصناعة أو النسب ، ثم أنتم في كل ذلك الذي اجتمعتم عليه ، وانتظمتم به ، وتألفتم له على غاية الافتراق ، للحسد الذي يدبُّ بينكم ، والتنافس الذي يقطع علائقكم ، والتدابر الذي يثير البِغْضة منكم ، ولو استصحبتم ما شملتكم به الطبيعةُ الكبرى في الأول ، لم تميلوا إلى ما حابتكم فيه الطبيعة الصغرى في

---

(١) راجع المقابسات طبعة السندوبي ص ٣٥٩ .

(٢) ج ق ـ تتحولان .

الثاني ، أعني أنكم معمومون بصورة الإنسان من ناحية النوع ، كما أنكم معمومون بصورة الحيوان من ناحية الجنس ، ومعرَّضون لنيل صورة الملائكة بالاختيار الجيد ، كما أنكم معرّضون لنيل صورة الشياطين بالاختيار الرديء ، فلو ثبتم على الصراط المستقيم ، وعلِقْتُم حبل العقل المتين المستبين ، واعتصمتم بالعُروة الوثقى من الهدى والدين ، كنتم كنفس واحدة في كل حال ، ذلّت[1] أو صعبت ، تجمَّعت أو تشعَّبت ، تعرَّفت أو تنكَّرت ، وكانت هذه الشريفة أعني الموافقة والوحدة تسري في الصديق والصديق ، ثم في الثاني والثالث ، ثم في الصغير والكبير ، وفي المطيع والْمُطاع ، والسائس والمسوس ، وفي الجار والجار ، وفي المحلَّة والمحلَّة ، والبلد والبلد ، حتى تبلغ الأغوار والنُّجود ، وتشتمل على الأداني والأقاصي ، فحينئذٍ ترى كلمة الله العليا ، وطاعته العالية ، إلاَّ أن هذا لَمَّا كان متعذراً [جداً] لأن المادة الأولى لا تنقاد لهذه الصورة ، والصورة الأولى لا تلابس هذه المادة ، طُلب هذا المتعذر في الواحد مع الواحد ، في الزمان بعد الزمان ، على السنن بعد السنن ، على المكان بعد المكان ، بالدعوة بعد الدعوة ، والهيئة بعد الهيئة ، بالتعاون بعد التعاون ، وإذا / بَعُدَ المطلوبُ [٨آ]
من جهة عامة لعلةٍ مانعةٍ فليس ينبغي أن يقنط من الظفر به من جهة خاصة لعلة معطيَّة ، ومن المحال أن يكون المطلوب يدل على صحته العقل ثم لا يوجد في أحد المعدنَيْن اللذين له ، ولو استحال الوصول إليه ، والتمكن منه ، لكان العقل لا يدل على صحته ، والرأي لا يشتاق إلى تحصيله ، والطبيعة لا تنحو نحو مظنَّته ، والاختيار لا يحول في طلبه ، قال فعلى هذا يُحمل رمز الحكيم في قوله : الصديق إنسان هو أنت ، إلاَّ أنه بالشخص غيرُك .

---

(١) ج ق ـ ذللت .

الصديق لفظ بلا معنى

وكان كلامُه أتمَّ من هذا وأنفس ، ولكني ظفرت بهذا القدر فرويته على ذلك ، وقول هذا الحكيم شبيه بقول روْح بن زنْباع وقد سئل عن الصديق فقال : لفظ بلا معنى ، أي هو شيء عزيز ، ولعزته كأنه ليس [بموجود] ، ولو جهل معنى الصديق لجهل معنى الصاحب ، لجهل معنى الخليل ، وعلى هذا ، الحبيب ، والرفيق ، والأليف ، والوديد ، والمواخي ، والمساعد ، وهذه كلها على رَزْدَقٍ[1] واحد ، وإنما تختلف بالمرتبة في الأخص ، والأعم ، والألطف ، والأكثف ، والأقرب ، والأبعد ، والأخلص ، والأريَب .

الصديق عند الضيق

قال الإسكندر لديوجانس : بِمَ يعرفُ الرجلُ أصدقاءه ، قال : بالشدائد ، لأن كلَّ أحد في الرخاء صديق .

بين الحسد والمكر

قيل لديوجانس : ما الذي ينبغي للرجل أن يتحفظ منه ؟ قال : من حسد أصدقائه ، ومكر أعدائه .

قضاء الحاجة

قيل لثيفانوس الفيلسوف : من صديقك ؟ قال : الذي إذا صرت إليه في حاجةٍ وجدته أشدَّ مسارعةً إلى قضائها مني إلى طلبها منه .

الحسرة على الصديق

قال فيلسوف : ليس يَحْسَرُ[2] العاقل على الصديق ، لأنه إن كان فاضلاً تزيَّن به ، وإن كان سفيهاً راضَ حلمه به .

قال انكساغورس : كيف تريد من صديقك خلقاً واحداً وهو ذو طبائع أربع[3] وفي مثله قال الشاعر :

وأنَّى لـه خُلُق واحدٌ وفيه طبائعُه الأربعُ

(١) ج ق ـ باج . الرزدق : الصف من الناس ، والسطر من النخل .

(٢) حسر : تلهّف .

(٣) هي الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة .

تحليل العبارة

قال أبو سليمان : يعني ألبسته[1] على هذه الحال التي هو عليها من ناحية الطبيعة ، فإنك في مُسْكه ، وَخَاطٍ على مسلكه ، فاجتهد بالاختيار الرشيد ، والرأي السديد أن تجعل طبائعك الأربع طباقاً لطبائعه الأربع ، أو طبائعه الأربع ، طباقاً لطبائعك الأربع ، فإنك إذا قدرت على ذلك ، قدرت بعده على أن تتعرف روائد هذه الأربع ، ذاهباً بها نحو الاعتدال الذي هو صورة من صور الوحدة ، فإذا أنت صديقُك ، وصديقُك أنت ، على ما صرّح به كانياً ، أو على ما كنّى عنه مصرِّحاً ، فقد بان هذا الحديث من ناحية اللفظ ، والنطق ، والعبارة ، والإشارة ، وإن كان قد بقي علينا أن نجد هذا المطلوب من ناحية العيان والمشاهدة فإنّا إن وجدنا ذلك غنينا عن الخبر والاستخبار ، لأن الأثر لا يطلب بعد العين ، والْحُلم لا يُتمنى بعد اليقظة ، والسُّكْر لا يُحمد بعد الصحو .

فاجر وعابد

سمعتُ برهان الصوفي الدّينوري يقول : سمعتُ الْجُنَيْد يقول : لو صحبني فاجر حسنُ الْخُلُق كان أحبَّ إليَّ من أن يصحبني عابدٌ سيءُ الْخُلُق . قال [برهان] : لأن الفاجر الحسن الْخُلُق يُصلحني بحسن خُلقه ، ولا يضرّني فجورُه ، والعابدُ السيءُ الْخُلُق يُفسدني بسوء خُلُقه ، ولا ينفعني بعبادته ، لأن عبادة العابد لهُ ، وسوء خُلُقه عليَّ ، وفجور الفاجر عليه ، وحسن خُلُقه لي .

الكلام عن الأخلاق

وفي الأخلاق كلام واسع نفيس على غير ما وجدت كثيراً من الحكماء يُطيلون الخوض فيه ، ويعوّصون المرام منه ، بتأليفٍ محرَّفٍ عن المنهج المألوف ، ولو ساعد نشاط ، والتأم عَتَاد[2] ، وقَيَّض معين ، وزال الهم بتعذر القوت لعلنا كنا نحرر في الأخلاق رسالةً واسطةً بين الطويلة

(١) ج ق ـ السه .

(٢) العتاد : العدّة لأمرٍ ما تهيئه له .

والقصيرة نفيد فيها[1] ما وضح لنا بالمشاهدة والعيان ، وبالنظر والاستنباط ، ولكن دون ذلك أوْقَ[2] ثقيل ، وعَوْقٌ طويل ، والله المستعان .

شاعر :

إذا أنت صاحبت الرجال فكن فتىً ... كأنّك مملوكٌ لكلّ رفيقِ / كبد حرّى

وكن مثلَ طعم الماء عذباً وبارداً ... على كبدٍ حرّىَ لكلّ صديقِ [٨ب]

صديق الرخاء

أخبرنا علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح ، حدثنا ابن دريد قال : أنشدنا عبد الأول لرجل من بني تميم[3] :

كم من أخٍ لستَ تُنْكِرهُ ... ما دمتَ من دنياك في يُسْرِ

مُتَصنِّع لك في مَودتِه ... يَلْقاكَ بالترحيب والبِشْرِ

يُطري الوَفَاءَ وذا الوفاء ويلْـ ... ـحَى الغدرَ مجتهداً وذا الغَدْرِ[4]

فإذا عدا ، والدهر ذو غيَرٍ ، ... دهرٌ عليك عَدَا مع الدهرِ

فارفضْ بإجمالٍ مودَّةَ مَنْ[5] ... يَقْلِي الْمُقلّ ويَعْشق الْمُثْري

وعليك مَنْ حَالاَهُ واحدةً ... في العُسْر إمَّا كنت واليُسْرِ

لا تخلطنَّهُمُ بغيرِهم ... من يَخْلِطُ العِقْيانَ بالصُّفْرِ[6] ؟

رأيت الزهيري أبا بكر يعاتب العوامي على هجر جماعةٍ كان يألفُهم

---

(١) ج ق ـ يستفاد منها .

(٢) الأوق : الثقل والشؤم ، يقال : ألقى عليَّ أوْقه أي ثقله ، وبه أوق أي شؤم .

(٣) نسبت الأبيات في عيون الأخبار ٨٠/٣ إلى حمّاد عجرد .

(٤) لحى ، يلحي ، لحياً فلاناً : لامه وسبّه وعابه .

(٥) رواية عيون الأخبار : أخوة .

(٦) العقيان : الذهب الخالص . الصُّفر : النحاس الأصفر .

ويألفونه ، ويعيد القولَ في ذاك ويُبدي ، والعوامي لا يَنْبِسُ[1] بحرف ، فقال له الزهيري : إنْ كنتَ تسكت استهانةً بخطابي عذلتُك ؟ فقال العوامي : لا ولكني كما قال إسماعيل بن يسار [النَّسَائي][2] :

نفس أبية

إني لصعبٌ على الأقوام لو جعلوا ... رضوى لأنفي خِشَاشاً لم يقودوني[3]
نفسي هي النفسُ آبى أن أُواتيَها ... على الهَوان وتأبى أن توآتيني

وقال : والله ما يفي أُنسي بهم بالغداة باستيحاشي منهم بالعشي .

مداراة الناس

قال الزهيري : اعلم أن المداراة مطيّة وطيئة ، وروضة موبقة ، ما لبس أحد ثوبها إلاّ وجده فضفاضاً ، وقد قال صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلم : « مُداراةُ الناسِ صَدَقة » ، وقالت العرب : من لم يدارِ عيشه ضلّ ، قال العوامي : لو كانت المداراة تثنيهم لي ، أو تعطفهم عليَّ كانت مبذولة ، ولكنها مضرّة لهم على ما أنكر منهم ، ومضرَّة لي فيما أعرف ، ولا خير في بثٍّ خير لا يُورث خيراً .

ورأيت ابن سعدان ينشد يوماً وقد أنكر شيئاً في بعض الندماء :

في ثياب صديق

عدوّ راح في ثوب الصديق ... شريك في الصَّبوح وفي الغبوقِ
له وجهانِ : ظاهِرُهُ ابنُ عمٍّ ... وباطنُه ابنُ زانيةٍ عتيقِ
يسرك ظاهراً ويسوءُ سرّاً ... كذاك تكونُ أبناءُ الطريقِ

---

(١) نبس : تكلم .

(٢) إسماعيل بن يسار النسائي شاعر عرف بشعوبيته ، وفد مع عروة بن الزبير على الخليفة عبد الملك بن مروان ومدحه ، عمَّر طويلاً ومات سنة ١٣٠ هـ . ويقول صاحب الأغاني ٤٠٨/٤ : « وكان طيباً ، مليحاً ، مندّراً ، بطّالاً ، مليح الشعر ، وإنما سمي إسماعيل بن يسار النسائي لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه » .

(٣) الخشاش : مفردها خَشاشة وهي العود يجعل في عظم أنف البعير ، وخشّ البعير : جعل في أنفه الخشاش . رضوى : جبل بالمدينة .

وأنا أسمي لك ، وأروي كلاماً لـه وصفهم بـه منهم : أبو علي عيسى بن زرعـة النصراني المتفلسف ، وابن عبيـد الكاتب ، وابن الحجَّـاج الشـاعر ، وأبو الوفـاء المهنـدس ، وأبو بكر ، ومسكـويـه ، وأبـو القـاسم الأهـوازي ، وأبو سعد بهرام بن أردشير .

وكان أوزنهم عنـده وألصقهم بقلبـه هـو ابن شـاهَـوَيْـه . هـؤلاء أهـل المجلس ، سوى الطارئين من أهل الدولة ، لا فائدة في ذكرهم . قال زيد بن رفـاعـة ، وكان قريبـاً لـه من جهـة الخوف لـه : رأيت الوزير اليوم يصف ندماءه بكلام يصلح أن يكتب على الأحـداق ، ويعرض على أهل الآفـاق ، ليستفيده الصغير والكبير .

قـال : أصحـابي طرائـقُ قِـدَدُ ، كما قـال عبـد الحميـد الكاتب : النـاسُ أخيافٌ[1] مختلفون ، وأصنافٌ متباينون ، فمنهم عِلْقُ مَضَنَّةٍ لا يُبـاع ، ومنهم غُلُّ مَظَنَّةٍ لا ينباع ، وكما قال الآخر :

الناس أخياف

النَّـاسُ أخيـافٌ وشَتى في الشِّيَمْ وكُلُّهُم يَجْمَعُهُم بَيْتُ الأَدَمْ

ابن زُرعة

وأما ابن زُرْعـة[2] فكِبْرُه بـالحكمـة ، وخُيلاؤه بـالثروة ، قـد قـدحـا في

---

(١) في رواية : أسواءٌ . الأخياف : الضروب المختلفة في الأخلاق والأشكال .

(٢) هو أبو علي عيسى بن إسحاق بن زرعة النصراني المنطقي ، أحد المتقدمين في علم المنطق والفلسفة وأحد النُّقَلة المجوّدين ، توفي سنة ٣٩٨ هـ (تـاريخ الحكمـاء للقفطي ص ٢٤٥) قال عنه التوحيدي في الإمتـاع والمؤانسـة ٣٣/١ : « وأمـا ابن زرعـة فهو حسن الترجمـة ، صحيحُ النقل ، كثير الرجوع إلى الكتب ، محمود النقـل إلى العربيـة ، جيـد الـوفـاءْ بكل ما جلَّ من الفلسفة ، ليس له في دقيقها منفذ ، ولا لـه من لغزهـا مـأخـذ ، ولولا توزّع فكره في التجـارة ، ومحبتـه في الربح ، وحرصُـه على الجمع ، وشـدتُـه على المنـع ، لكانت قريحته تستجيب له ، وغـائمُتُـه تـدرُّ عليـه ، ولكنـه مبدَّد منـدَّد ، وحب الـدنيـا يعمي ويصم » .

حَافَة[1] عقله ، وهو لا يحسُّ بذلك القدح ، فليس لنا منه إذا جالسنا إلاَّ النَّفْجُ ، والتعظيم ، والتهويل بأرسطاطاليس ، وأفلاطون ، وسقراط ، وبقراط ، وفلان وفلان ، ومجالس الشراب تتجافى عن هؤلاء ، وهؤلاء يجلُّون عن مجالس الشراب ، يا نائم ، يا غافل ، يا ساهي ، وأين أنت من هؤلاء الحكماء القدماء ، أسيرتُك سيرتُهم ، أحالُك حالُهم ؟ إنما تدعي عقائدهم باللسان ، وتنتحلُ أسماءهم باللفظ ، فإذا جاءت الحقيقة كنت على الشطِّ تلعب بالرمل ، ولولا أنه يكدِّر هزلُ جَدنا بجدّ هزلِه ، لكان محمولاً مقبولاً ، ولكنه يأبى إلا ما ألفه ، وأفاد المران عليه ، [وما أخوفنا أن يَملَّ الجماعة ، وإن لم تملَّهُ الجماعة] .

ابن عُبَيْد

وأمَّا ابن عُبَيْد[2] فكَلَفُهُ بالخطابة ، والبلاغة ، والرسائل ، والفصاحة ، قد طرحه في عمق لُجٍّ لا مطمع في انتقاذه منه ، ولا طريق إلى صَرْفه عنه ، هذا مع حركات غير متناسبة ، وشمائل غير دمثة ، ومناظرة مخلوطة بذلَّة أهل الذِّمَّة ، ودالَّة أصحاب الحجَّة .

[٩آ]
ابن الحجَّاج

وأما ابن الحجَّاج[3] فقد / جمع بين جد القاضي أبي عمر في جلسته ،

---

(١) الحافة : الجانب والطرف .

(٢) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٤٨/١ ، ٦١ ، ٩٦ ، ٩/٢ ، ١٤٦ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٧٤/٣ .

(٣) هو أبو عبد الله حسين بن أحمد بن الحجاج البغدادي شاعر مشهور وكاتب مجيد عرف بالمجون والهزل ، اتصل بوزراء بني بويه أمثال المهلبي وسابور بن أردشير والصاحب بن عبَّاد وابن العميد ، قال عنه صاحب اليتيمة ٣١/٣ : « هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر من العقل بسَجْف ، ولا يَبْن جلّ قوله إلا على سُخف ، فإنه من سَحَرة الشعر ، وعجائب العصر » . ووصفه التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة ١٣٧/١ فقال : « وأما ابن حجاج فليس من هذه الزمرة بشيء ، لأنه سخيف الطريقة ، بعيد من الجدّ ، قريع في الهزل ، ليس للعقل من شعره منال ، ولا له في قرضه مثال ، على أنه قويم اللفظ ، سهل الكلام ، وشمائله نائية بالوقار عن عادته الجارية في الخسار ، وهو شريك ابن سُكَّرة في =

وحديثه ، وقيامه ، وتخطئته مع حياءٍ كأنه مستعار من الغانية الشريفة ، وبين سخف شعره الذي لا يجوز أن يكون لراويه مروءة به فكيف لقائله ، فنحن إذا نظرنا إليه تخيّلنا صورة سخف شوهاء في صورة عقل حسناء ، ولا تخلص هذه من هذه ، ولا جرم استمتاعُنا به قاصرٌ عن مرادنا منه ، ودنوهُ منا ناب عن مراده له .

أبو الوفاء

وأما أبو الوفاء[1] فهو والله ما يقعدُ به عن الموآنسة الطيبة ، والمساعدة المطربة ، والمفاكهة اللذيذة ، والمواتاة الشهيَّة ، إلاَّ أن لفظه خراساني ، وإشارتَه ناقصة ، هذا مع ما استفاده بمُقامه الطويل ببغداد ، والبغدادي إذا تخرسن كان أحلى وأظرف من الخراساني إذا تبغدد ، وإن شئت فضع الاعتبار على من أردت ، فإنك تجد هذا القول حقّاً ، وهذه الدعوى مسموعة .

مسكويه

وأما مِسْكَوَيْه[2] فإنه يستردُّ بدمامة خَلْقه ما يتكلفُه من تهذيب

= هذه الغرامة ، وإذا جدّ أقعى ، وإذا هزل حكى الأفعى » . توفي ابن الحجاج سنة ٣٩١ هـ بالنيل وهي قرية على الفرات بين بغداد والكوفة .

(١) هو أبو الوفاء المهندس البوزجاني (٣٣٦ هـ ـ ٣٧٦ هـ) من كبار علماء زمانه ، بلغ المحل الأعلى في الرياضيات ، وكان أحد الأئمة المشاهير في علم الهندسة ، وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق إليها ، ويعد أبو الوفاء من كبار مترجمي وشرّاح إقليدس وديوفانتوس وبطليوس ، وله عدة كتب في العدديات والحسابيات ، والفلك . وكان التوحيدي قد لقي أبا الوفاء في أرّجان بفارس فأسدى أبو الوفاء لصديقه جميلاً فوصله بالوزير ابن العارض الملقب بابن سعدان فلقي عنده رعاية وكرماً . وقد أهدى التوحيدي كتاب الإمتاع والموآنسة إلى أبي الوفاء اعترافاً بفضله وجميل صنيعه .

(٢) هو أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مؤرخ وفيلسوف اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق والتاريخ والأدب والإنشاء ، صحب عضد الدولة وأشرف على خزانة كتبه . وكان التوحيدي معاصراً لمسكويه وألفا كتاب (الهوامل والشوامل) ، توفي مسكويه سنة ٤٢١ هـ .

خُلُقه ، وأكره له المشاغبة في كل ما يجري ، لا يجد في نفسه من المكانة والقرار ما يعلم معه أن مضاءه في فنٍّ آخر هو فيه قصيرُ الباع ، بليدُ الطباع ، وصاحب هذا المذهب ممكورٌ به ، مصاب بجيِّد رأيه ، وقد أفسده ، قال المهلبي ، [وسمعتُ المهلبي ، كما لم يصلحه] ، قال ابن العميد ، وفعل ابن العميد ، وما ذكرُهُ لهذين إلاَّ استطالةً على الحاضرين ، والتشيُّعُ بذكر الرجال واضعٌ من قدر الرجال .

أبو بكر

وأما أبو بكر[1] فهو تميمة المجلس ، ولا بدّ للدار وإن كانت قوراء من مخرج ، وهو بجهله مع خفة روحه ، وقبح وجهه أدخلُ في العين ، وألصقُ بالقلب من غيره مع علمه ، وثقل روحه ، وحسن ظاهره .

الأهوازي

وأما الأهوازي[2] أبو القاسم فلا حلاوة ، ولا مرارة ، ولا حُموضة[3] ، ولا مُلوحة ، وإنما هو كالبصل في القِدْر ، وكالإصبع الزائدة في اليد ، على أنا نرعى فيه حقاً قديماً ، ونرحمه الآن رحمة حديثة .

أبو سعيد السيرافي

وأما سيدي أبو سعيد[4] فوالله إني لأجِدُ به وَجْداً أتَّهِم فيه نفسي ،

---

(١) هو أبو بكر القومسي الفيلسوف ، وصفه التوحيدي في معجم الأدباء ١٠/١٥ فقال : « كان بحراً عجَّاجاً ، وسراجاً وهَّاجاً ، وكان من الضرّ والفاقة ، ومقاساة الشدة والإضاقة بمنزلة عظيمة ، عظيم القدر عند ذوي الأخطار ، منحوس الحظ منهم ، متَّهماً في دينه عند العوام ، مقصوداً من جهتهم » . ووصفه في الإمتاع والمؤانسة ٣٤/١ فقال : « وأما القومسي أبو بكر فهو رجل حسن البلاغة ، حلو الكناية ، كثير الفِقَر العجيبة ، جمّاعة للكتب الغريبة ، محمود العناية في التصحيح والإصلاح والقراءة ، كثير التردد في الدراسة ، إلا أنه غير نصيح في الحكمة ، لأن قريحته ترابية ، وفكرته سحابية ، فهو كالمقلد بين المحققين ، والتابع للمتقدمين ، مع حبٍّ للدنيا شديد ، وحسد لأهل الفضل عتيد » .

(٢) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٤٨/١ .

(٣) في ج ق - بزيادة ولا ملوضة .

(٤) هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي أستاذ التوحيدي ، ويعد السيرافي

وما وجدت ألم سهرٍ معه قط ، وإني أرى حديثه آنق من الْمُنى إذا أُدركت ، ومن الدنيا إذا مُلكت ، وإنّ تمازجنا بالعقل ، والروح ، والرأي ، والتدبير ، والنظر ، والإرادة ، والاختيار ، والعادة ليزيد على حال توأمين تراكضا في رحمٍ ، وتراضعا من ثَدْيٍ ، ونوغيا في مهدٍ ، وما أخوفني أن يؤتى من جهتي ، أو أُوتى من جهته ، وإن عاقبته موصولةٌ بعاقبتي ، لأني مأمنُه وهو مأمني ، وما أكثر ما يُؤتى الإنسانُ من مأمنه ، والله المستعان .

ابن شاهويه

وأما ابن شَاهَوَيْه[1] فشيخ ليس لنا فيه فائدة إلاَّ ما يُلقي إلينا من تجاربه ومشاهداته ، ولولا زيادتُه التي يَضَعُ بها من نفسه ، وبعضٌ من تجاربه[2] لكان هَدَّك من رجلٍ[3] ، ولكن مَنْ لك بالمهذَّب ، ألم يقل الأول :

= من أكبر علماء عصره شارك بأنواع المعرفة مشاركة واسعة ، وكان يدرس القرآن والقراءات والنحو والفقه والفرائض والحساب والكلام والبلاغة والشعر والعروض والقوافي ، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، وهو الذي شرح كتاب سيبويه وبسط علم النحو للناس حتى قال ابنه يوسف : « وضع أبي النحو في المزابل في الإقناع » ، وكان السيرافي على مذهب المعتزلة ، وعلى جانب عظيم من التدين والورع والصلاح وعلو النفس ، والتعفف عن الدنايا ، وكان التوحيدي شديد الإعجاب بأستاذه حتى قال عنه إنه « عالِم العالَم ، وشيخ الدنيا ، ومقنع أهل الأرض » . توفي السيرافي سنة ٣٦٧ هـ .

(١) هو ابن شاهويه كان في خدمة صمصام الدولة البويهي ، وصفه التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة ٤٣/١ فقال : « أما ابن شاهويه فشيخ إزراء ، وصاحب مخرقة ، وكذب ظاهر ، كثير الإيهام ، شديد التمويه ، لا يرجع إلى وُدٍّ صادق ، ولا إلى عقد صحيح وعهد محفوظ ... وليس هناك كفاية ولا صيانةٌ ولا ديانةٌ ولا مروءة ، وبعد فهو شؤوم نكد ، ثقيل الروح ، شديد البهت ، قوله الإفساد وعادته تهجين المهنأ ، والشماتة بالعاثر ، والتَّشفي من المنكوب » .

(٢) ج ق ـ خطراته .

(٣) يقال : « هذا رجلٌ هدٌّك من رجلٍ » إذا وُصف بالجلد والشدة أي غلبك وكسرك . ويقال أيضاً : إنه لهدُّ الرجلُ أي لنعم الرجل وذلك إذا أثني عليه بجلدٍ وشدّة . ويستعمل لمطلق معنى التعجب .

أيُّ الرجالِ الْمُهَذَّبُ[1] ؟

قال زيد بن رِفاعة[2] : قلت أيها الوزير إن طلوعك على ثنايا ضمائرهم ، وعلمك بخفايا سرائرهم يطالبانك بالإفراج عنهم ، وقلة الاكتراث بهم قال : لا نفعل ، والله ما لهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير ، وإنهم لأعيانُ أهل الفضل ، وسادة ذوي العقل ، وإذا خلا العراقُ منهم ، فرقّن على الحكمة المرويّة ، والأدب الْمُتهادى ، أتظنُّ أن جميع ندماء المهلَّبي[3] يفون بواحد من هؤلاء ، أو تقدّر أن جميع أصحاب ابن العميد يشتهون أقلَّ مَنْ فيهم ؟ قال : قلتُ : هذا ابن عبَّاد بالريّ وهو من يعرف ويسمع قال : ويحك ! وهل عند ابن عبَّاد إلاَّ أصحابُ الْجَدل الذين يشغَبون ، ويحمَقُون ، ويتصايحون [إلى أن تَبحَّ حُلوقُهم] ، وهو فيما بينهم يصيح ويقول : قال شيخانا أبو علي[4] وأبو هاشم[5] ، دعنا من حديثه ، وغَثاثته ، أصحاب الصاحب

(١) البيت للنابغة وتمامه :

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمه على شعثٍ: أيُّ الرجالِ المهذبُ ؟

(٢) هو زيد بن رفاعة أبو الخير من إخوان الصفاء ، وصفه التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة ٤/٣ فقال : « هناك ذكاء غالب ، وذهن وقّاد ، ويقظة حاضرة ، وسوانح متناصرة ، ومتّسع في فنون النظم والنثر ، مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة ، وحفظ أيام الناس ، وسماع المقالات ، وتبصّر في الآراء والديانات ، وتصرّف في كل فن ... وقد أقام بالبصرة زماناً طويلاً ، وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة ... فصحبهم وخدمهم .. » .

(٣) هو الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي (٢٩١ هـ - ٣٥٢ هـ) تولى الوزارة لمعز الدولة البويهي سنة ٣٣٩ هـ . كان فصيحاً ، مهيباً ، شجاعاً جامعاً لأدوات الرئاسة ، وقد اشتهر بعطفه على الأدباء حتى قيل إنه « مات بموته عن الكتّاب الكرمُ والفضلُ » .

(٤) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبّائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ، إمام المعتزلة ورئيس المتكلمين في عصره . وهو صاحب فرقة الجبّائية في البصرة .

(٥) هو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبّائي المتوفى سنة ٣٢١ هـ ، رئيس معتزلة البصرة بعد أبيه ، أسس فرقة اسمها البهشمية وهي شبيهة بفرقة الجبائية لأن الابن كان يوافق أباه في مسائل كثيرة .

وسَعْبَذَته ، فما أُحبُّ أن أزيد في وصفه على ما أشرتُ إليه ، والله لو تصدَّى إنسانٌ متوسطٌ في العلم ، والأدب ، والْحُنْكة ، والإنصاف ، لذكر شأنه وسيرته ، ووصف حاله وطريقته ، لحكى كلَّ غريبةٍ ، وأتى بكلِّ أُعجوبة ، الرجلُ مجدودٌ ، وفي زمرة أهل الفضل معدود .

رويتُ هذا الخبر على ما اتفق ، وكنتُ أطلبُ له مكاناً مُذْ زمانٍ فلم أجد إلاَّ هذه الرسالة الآتية على حديث الصداقة والصديق .

قال الشاعر :

الخدن والمشير

إذا لم تَدْرِ ما الإنسانُ فانظر ... مَنِ الخِدْنُ المفاوضُ والمشيرُ

وقال الآخر :

الاستدلال بالصاحب

لا تسألنَّ عن امرئٍ واسألْ به ... إن كنتَ تجهلُ أمرَهُ ما الصاحبُ

وقال عديّ بن زيد[1] الشاعر :

الاقتداء بالمقارن

عن المرء لا تسأل وأبْصِرْ قرينَه ... فإن القرينَ بالْمُقارن مُقتدِي

الصاحب كالرقعة

وقال بعضُ السَّلف : الصاحبُ كالرُّقعة في الثوب ، فإن كان مُشاكِلاً لم يَنْبُ عنه الطَّرْفُ ، وإن كان غيرَ مشاكل كان الفَضوح .

أبو السائب [٩ ب]

وَذُكِر عند النبي صلى الله عليه وآله رجلٌ كان يألفه قبل أن بعثه الله نبياً يقال له أبو السائب فقال : نِعْمَ الصاحبُ كان أبو السائب / [كان] لا يُماري ، ولا يُشاري .

سمعتُ أبا سعيد السيرافي يقول في تفسير هذين الحرفين : أي كان

---

(١) هو عدي بن زيد الجاهلي . عاش في الحيرة .

لا يَشغَبُ ، ولا يلجُّ ، وقال : قيل في نبزهم[1] الشراة[2] أنهم إنَّما نُبزوا بهذا للجاجهم في دينهم ، كما قيل أيضاً : إنما نُبزوا بهذا الاسم لأنهم باعُوا أنفسَهم لما سمعوا الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾[3] .

كتاب الزّينبي

كتب أبو تمّام الزينبي إلى ابن معروف :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ . فإن الحال التي نزدوجُ[4] عليها ، ونستبصرُ فيها ، ونتقاسمُ حقيقتَها وخالصتَها ، ونتذاوقُ[5] حلاوتَها ومرارتَها ، ونتهادى خَلَقها وجديدَها تُحدثني بأن العتْب على تقصير يكون من أحدنا قَدْحٌ في عينها[6] ، ونَحْتٌ لجانبها[7] ، وخَدْشٌ لوجهها ، فإن كان هذا صحيحاً فالعتبُ محظورٌ ، وصاحبُ التقصير معذورٌ ، وإن كان فيه لو ، أو لا ، أو لعلّ ، أو نعم فأحدُنا عليه مستزاد ومَلومٌ ، وأنا أعوذُ بالله من أن يَرِدَ على أحدنا من صاحبه ما لا يطيق ، أو يعدل بصاحبه من السَّعة إلى الضيق ، وقد نُمي إليَّ نبيذٌ[8] مما دار بينك ـ أطال الله بقاءك ـ وبين مولانا المطيع ـ أدام الله أيامَه ـ في حديث كنت مخصوصاً به من أمر

---

(١) نبزه بكذا : لقّبه به ، وهو شائع في الألقاب القبيحة . وتنابزوا بالألقاب : تعايروا ولقّب بعضهم بعضاً .

(٢) فرقة من الخوارج .

(٣) سورة التّوبة : ١١١/٩ .

(٤) ج ق ـ يزدوج .

(٥) ج ق ـ نذوق .

(٦) ج ق ـ عتبها .

(٧) ج ق ـ لناحتها .

(٨) ج ق ـ نبذ ـ النبيذ والنَّبْذة والنُّبْذة : القطعة من الشيء على حدة كالنبذة من الكتاب .

البصرة ، وما أفضى إليه إصْعادي عنها على الوجه المشهور عند الصديق الجافي على العدو ، فَسَبَح ظني في وادٍ من الظِّنَّة[1] إن كان الله قد برأك منها فقد ابتلاني بها ، وإن كنتَ غنياً عنها فأنا فقيرٌ إليها ، وقد جَدَّ بي الفكر في تعرف ذلك منك ، فلسانُك أنطقُ بالصدق من لسان العابد الزاهد ، وعقلُك أعلى وأشرفُ من أن تتخذني غيرَ شاكرٍ ولا حامد ، وبالله الذي لا إله إلا هو ، ما يقوم لي شَعْثٌ[2] ما بيني وبينك في المنام بجيازتي جميع الأماني في اليَقْظة ، فإن رأيتَ أن تجعل لي إلى لقائك طريقاً ، إمَّا بالزيارة المشرّفة ، وإمَّا بالاستزارة الْمُسْتشرفة فعلت إن شاء الله .

جواب ابن معروف

فأجابه أبو محمد :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ : فإنَ الحالَ التي أشرتَ إليها ببيانك الناصع ، من أدبك البارع ، فهي والله مَحُوطةٌ بالنفس والروح ، مَذْبوبٌ عنها بالخاطر ، عند اللمحَة[3] والسُّنُوح ، وتاللهِ أعودُ كما عدتَ من رِيَبٍ تتوجه نحوها ، أو شَوْبٍ[4] يدبُّ إليها ، وكيف ذاك والشفقة عليها مُرفرفة ، والرأفةُ بها مُوكَلَة ، ويدُ الثقة بعينها وشهادتها حاضِنة ، والنفسُ إلى كل ما يردُ منها أو يصدرُ إليها ساكنة ، فهذا باب يَنْبو / عن الكلام فيه لمغالطةٍ مَخُوفةٍ [١٠آ] تجري عليه ، فأمَّا الحديثُ الذي نمى إليك نبيذٌ[5] منه مما دار بيني وبين

---

(١) الظنّة : التهمة .

(٢) الشعث : انتشار الأمر وخلله .

(٣) ج ق ـ اللمة . اللمحة : النظرة بالعجلة . السنوح : مصدر سنح الأمر أو الرأي : عرض .

(٤) الشوب : ما خلطته بغيره .

(٥) ج ق ـ نبذ .

مولانا ـ حرس الله مكانه ـ ونصر سلطانه ، فليس فيه إلا ما يجذبُ بصنعك إلى العَلياء ، ويقرُّ عينك بين الأولياء ، ويُطيلُ باعك على الأعداء ، ويجعلك واحدَ الدنيا بين الأرض والسماء ، فثِقْ بما قلت ، واسكنْ إلى ما كتبت ، فإن الخير مُتَيقَّنٌ ، والسعادة مُظِلَّة ، والوليُّ مرفوعٌ ، والعدوُّ موضوعٌ ، واللهُ على جميع ذلك مشكورٌ محمودٌ ، ولولا أن القلم لا يطيق صريح ما همَّك ، لحملتُه كيف ما كان إليك ، واللقاءُ صبحةَ يوم الاثنين عندك على الروشن الميمون ؛ فإن رأيتَ أن تصرف عن بالك ، كلَّ شاغل عن ذلك ، وتملأه بكلِّ سار [بذلك] فعلتَ ، مُهْدِياً به إليَّ روحاً أتعجلُه[1] ، وسروراً أنتظره ، إن شاء الله .

كتاب ابن عُبيد إلى ابن الجمل الكاتب

وكتب ابن عُبيد الكاتب إلى ابن الجمل الكاتب كاتب نصر الدولة شاشنيكير :

بسم الله الرحمن الرحيم

الصداقةُ ـ أطال الله مدتك ـ التي قد وكَّدها الله بيننا بالدين أولاً ، ثم بالجوار ثانياً ، ثم بالصناعة ثالثاً ، ثم بالْمُمَالحة[2] رابعاً ، ثم بالمنشأ خامساً ، ثم بالْمُعَاقرة[3] سادساً ، ثم بالتجربة سابعاً ، ثم بالإلْف[4] ثامناً ، ثم بالميلاد تاسعاً ، ثم بانتظام هذه كلِّها عاشراً تتقاضاني لك حقوقاً ، أنت عن التقصير فيها أغنى ، وأنا بالإعفاء عنها أملى ، وإذا كنا على هذا السِّياج دارجين ، وفي هذه الْحَوْمة داخلين ، وعنها خارجين ، فليس لحاسدٍ إلينا سبيلٌ ، ولا لمتكلِّف علينا دليل ، والله إنك لتُذْكَرُ ، وأجد لذكرك عَبَقاً يزيد على

(١) ج ق ـ أعجله .

(٢) المالحة : تبادل الطرف والملاحة .

(٣) المعاقرة : عاقر الشيء لازمه وأدمن عليه .

(٤) الإلف : الألفة وهي الصداقة والموآنسة .

عَبَق العنبر[1] ، وتُوصَفُ[2] فأرى لوصفك ما لا يراه أحدٌ من البشر لأحد من البشر ، وربما حلمتُ بك في الرؤيا ، فيكون في ذلك قُوتي طولَ يومي ، ومن كان هذا نعتُهُ من أجلك ، فكيف يُنَمَّقُ بالقلم شوقَه إليك ، وكيف يذكرُ ما يختصه لك ، وكيف يجهزُ ما يشتمل عليه مَنْ خَالِصَتُهُ[3] ومحبتُه إليك قد يقصرُ اللفظ للطف المعنى ، كما يطولُ المعنى لقصر اللفظ ، والإخاءُ إذا قدم استحصدت مرائره[4] ، واستوسقت[5] سرائره ، وعند ذلك يكون الوصف باللسان تكلُّفاً ، والتكلُّف للوصف تأفُّفاً ، وقد حَضَرَ لعبدك ولدي خِتَانٌ أنت أولى الناس فيه بالقيام والقعود ، بين النايِ[6] والعود ، فإن رأيت أن تبدر إلى ذلك غداة غدٍ ، مكافحاً للشمس عند الطلوع ، غير عائجٍ إلى غيره فعلتَ إن شاء الله .

جواب ابن الجمل

فأجابه ابن الجمل :

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أُوتيتَ ـ مدَّ الله في عمرك ـ لساناً ، وبياناً ، وقلماً ، وخطّاً ، فمن رامَ شأوك انْقَعَصَ[7] ، ومن توهَّم اللحاقَ بك نَكَص[8] ، فللهِ درُّك من

(١) ج ق ـ واحدا كذكرك عنقاً يزيد على عنق العنبر . العبق : انتشار رائحة الطيب .

(٢) ج ق ـ ويوصف .

(٣) الخالصة : العشرة والمودة الصافيتان .

(٤) استحصد الحبل : فتل فتلاً محكماً ، والمرائر مفردها مرير وهي العزيمة وما طال ولطف واشتد فتله من الحبال ، واستمر مريره : قوي بعد ضعف ، واسترت مريرته على كذا : إذا استحكم أمره عليه وقويت شكيته فيه .

(٥) استوسق : اجتمع ، واستوسق لك الأمر : أمكنك والسرائر : مفردها سريرة وهي السر .

(٦) ج ق ـ النأي .

(٧) ج ق ـ تقاعس . انقعص : مات مكانه . وانقعص الشيء : انثنى .

(٨) نكص : تراجع وأحجم .

ساحرٍ بلفظه ، وخالبٍ بقلمه ، ومؤَيدٍ بعقله ، ومسعودٍ بفضله ، ومقدَّمٍ بفرعه وأصله ، ومشهورٍ بإنصافه وعدله ، ذكرتَ الصداقة التي وكَّدها الله بيننا بالأسباب التي أحصيتَها ، والوجوهِ التي سردتها ، ولو لم يكن الحال على ما وصفت لكان الذي أُوجبُه لك على نفسي من الطاعة إذا دعوتَني ، والائتمار إذا أمرتني ، والتشرُّف إذا ناجيتني ، والانتساب إليك إذا قَبِلْتني ، والاعتماد عليك إذا أذنتَ لي فوق مودَّاتِ أهل الزمان ، بدرجاتٍ عاليات ، وقاماتٍ مديداتٍ ، وباقياتٍ صالحاتٍ ، فكيف ونحن نجتمع في نِصاب[1] ، ونجتلي في نِقاب ، ليس لنا في إخلاص المودَّة شريكٌ ، ولا يتقدمنا فيها ضريبٌ ، وما أسألُ الله بعد هذا كلِّه إلا دوامَها ، وصرفَ العيون عنها ، ومدَّ الإمتاع بها ، وسكونَ النفس والروح إليها . فأمَّا ما أومأتَ إليه من البِدار إلى خدمة ولدك سيدي ـ نماه الله ـ فإني غيرُ ملتفت إلى فرض ونَفْلٍ[2] دونه والسلام .

ثراء الصداقة

وقال جعفر بن يحيى لبعض ندمائه : كم لك من صديقٍ ؟ قال : صديقان / قال : إنكَ لَمُثْرٍ من الأصدقاء . [١٠ ب]

حساب واحتساب

وقال سهلُ بن هارون : الصديقُ لا يُحَاسَب ، والعدو لا يُحتسب له[3] .

بين الولاء والمراء

قيل لأبي العَيْناء : هل ظفرتَ بصديقٍ مُوَالٍ ؟ قال : ولا بعدوٍّ مُرائي .

---

(١) النصاب : الأصل والمرجع .

(٢) النفل : ما تفعله مما لم يُفرض ولم يجب عليك فعله ، ما طلب من الإنسان زيادة على الواجبات والفرائض .

(٣) احتسب عليه الأمر : أنكره عليه .

الصديق والحقنة

ولما احتاج زياد إلى الْحُقْنَة وُصفت له فتفحّشها[1] فقيل له : إنما يتولاها الطبيبُ ، قال : إن كان لا بدَّ منها فالصديق .

شواهد قلبية

قيل لِلْجُنَيْد[2] : ابنُ عطاء يدّعي صداقتك فهل هو كما يقول ؟ قال : هو فوقَ ما يقول ، وأجدُ ذلك له من قلبي بشواهد لاَ تكْذِبُني عنه ، ولا تَكْذِبُهُ عني .

اتخاذ الأصدقاء

قيل لأبي علي النصير : لم لا تتخذ الأصدقاء ؟ قال : حتى أفرغَ من الأعداء ، فوالله لقد شغلوني بأنفسهم عن كلِّ صديق يُعينني عليهم ، وإحَالةُ العدو عن العداوة أوْلى من استدعاء الصداقة من الصديق .

اليأس من وجدان الصديق

قيل لرُوَيْم[3] : ما الذي أقعدك عن طلب الصديق ؟ قال : يأسي من وِجْدانه .

نصف صديق

قيل لأعرابي : أَلَكَ صديقٌ ؟ قال : أمَّا صديقٌ فَلاَ ، ولكنْ نصفُ صديق ، قيل : فكيف انتفاعُك به ؟ قال : انتفاع العُرْيان بالثوب البالي .

بين التعريض والتصريح

قيل لصُوفي : صِفْ لنا الصديق ؟ قال : هو الذي إذا عرَّضَ لك

---

(١) ج ق ـ فأنكرها .

(٢) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز من علماء الدين والتصوف ولد في بغداد ، قال عنه أحد معاصريه : « ما رأت عيناي مثله ، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه ، والشعراء لفصاحته ، وللتكلمون لمعانيه ، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد » . وقال ابن الأثير في وصفه : « إمام الدنيا في زمانه » . وعدّه العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسُّنّة ، ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة ، محميّ الأساس من شبه الغلاة ، سالماً من كل ما يوجب اعتراض الشرع ، وتوفي الجنيد سنة ٢٩٧ هـ .

(٣) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٩٧/٣ .

بالمكروه ، صرَّحتَ أنت له بالمحبوب ، وإذا صرَّح لك بالمحبوب ساعدته عليه .

لفظ الصديق

قلت للأندلسيّ[1] : مِمَّ أُخذ لفظ الصديق ؟ قال أخذ [بنظرٍ] من الصِّدْق ، وهو خلافُ الكذب . ومرةً قال من الصَّدْق ، لأنه يقال : رُمْحٌ صَدْقٌ أي صُلْبٌ ، وعلى الوجهين ، الصديق يصدُق إذا قال ، ويكون صَدْقاً إذا عمل ، قال : وصُدْقةُ المرأة وصَدَاقها وصُدقتها كله منتزع من الصِّدق والصَّدق ، وكذلك الصادق ، والصِّدِّيق ، والصدوق والصَّدَقة ، والمتصدق والمصدق ، كل هذا متواخٍ[2] .

سمعتُ القاضي أبا حامد[3] يقول : قلتُ للمنصوري[4] : ما أشغَفَك بابن عبدك[5] مع تشاكسِ ما بينكما في البلد والمذهب فقال : ذاك لأني وجدته كما قال الشاعر :

(١) هو أبو محمد عبد الله بن حمود الزبيدي الأندلسي من علماء النحو واللغة والمبرزين في الشعر ، وهو صاحب القول المأثور عن الجاحظ : « رضيت في الجنة بكتب الجاحظ عوضاً عن نعيمها » . وورد ذكره في المقابسات ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) ج ق ـ متناسب .

(٣) هو القاضي أبو حامد المروروذي أستاذ التوحيدي ويعده ابن خلكان من أئمة الفقه الذي لا يشق غباره فيه ، وكان التوحيدي كثير الملازمة لمجالس أبي حامد والنقل عنه والرواية لأخباره ، وقد علل التوحيدي تعلقه بأستاذه بقوله : « وإنما أولع بذكر ما يقوله هذا الرجل لأنه أنبلُ من شاهدته في عمري ، وكان بحراً يتدفق حفظاً للسير ، وقياماً بالأخبار ، واستنباطاً للمعاني ، وثباتاً على الجدل ، وصبراً على الخصام » ، توفي أبو حامد سنة ٣٦٢ هـ .

(٤) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن صالح قال صاحب الفهرست ص ٣٠٦ : « كان على مذهب داود من أفاضل الداوديين ، أي الظاهريين والآخذين بالكتاب والسُّنة ، وله كتب جليلة حسنة كبار منها : « كتاب المصباح » و « كتاب الهادي » و « كتاب النِّير » ، وذكر له صاحب تاريخ الحكماء ص ٢٧٤ كتاباً في الطب .

(٥) ج ق ـ ابن عندك ، م ـ بابن عيدك . ولعله ابن عبدان الطبيب معاصر التوحيدي والذي ورد ذكره في المقابسات ص ٣٥١ .

صفات محبوبة

مـوفَّـقٌ لسبيـل الرشـد متَّبـعٌ ... يَـزينُـه كلُّ مـا يـأتي ويَجْتَنِبُ
تسمـو العيـونُ إليـه كلَّما انفرجتْ ... للنـاس عن وجهـه الأبوابُ والْحُجُبُ
لـه خـلائـقُ بيضٌ لا يغيِّرهـا ... صرفُ الزمـان كما لا يصـدأُ الـذَّهبُ

كتـاب لأبي الفضـل ابن العميد

وحـدثنـا حمـد بن محمـد كاتب ركن الـدولـة قـال : دبَّ بيني وبين أبي الفضل يعني ابن العميد[1] بعضُ المفسدين فكتب إليَّ :

بسم الله الرحمن الرحيم

إن تَسْفيق[2] الكلام بيني وبينـك موضوعٌ ، لأنـك عن ذلـك مرفوعٌ ، وقد رضيت أن تستأني فيما تسمع ، فإذا صحَّ به ذنب عاقبت بقدره ، أبـادَ أم أبقى ، توسَّط أم تطرَّف ، ولا أقول إلاَّ ما قال الأول :

خديعة ووشاية

أطعتُ الوشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ[3] ... مقـالـةَ واشٍ يقرعُ السِّنَّ من نَـدَمْ
أتـانـي عـدوٌّ كنتُ أحسِبُ أنَّـهُ ... علينـا شفيـقٌ نـاصحٌ كالـذي زَعَمْ
فلَمَّـا تبـاَثْنَـا الحـديثَ وصرَّحتْ ... سرائرُه عن بعضِ مـا كان قـد كَتَمْ
تبيَّن لي أنَّ المحرِّشَ[4] كاذبٌ ... فعندي لـك العُتْبَى على رغم مَنْ زَعَمْ[5]

---

(١) هو محمد بن العميد عبد الله الحسين بن محمد أبو الفضل الوزير البويهي المشهور وأحد أئمة الكتابة في الأدب العربي ، وهو الذي لقب بالجاحظ الثاني ، وتوفي سنة ٣٦٠ هـ . راجع أخباره في اليتيمة ١٥٨/٣ـ١٩٢ ، ووفيات الأعيان ٥٧/٢ .

(٢) سفق : لطم . والسفقة : اللطمة . وسفق الباب : ردَّه ومثله انسفق .

(٣) الكاشح : العدو الباطن العداوة ، وقيل الذي يطوي كشحه على العداوة ، أو الذي يتباعد عنك ويوليك كشحه ، والكشح من الجسم ما بين السرة ووسط الظهر .

(٤) ج ق ـ المحدث . المحرِّش ، من حرَّش بين القوم : أغرى بعضهم ببعض ، وكـذلـك بين الكلاب وما شاكلها .

(٥) يقـال : أعطـاني فـلان العُتبى : إذا أعتبـك أي أزال عتبـك وترك مـا كان تغضب عليـه لأجله وأرضاك .

تعريف الصديق

قيل لصُوفي : مَنِ الصديقُ ؟ قال : من لم يُجدْك سواه ، ولم يُفقدْك من هواه .

الرفيق
الشفيق
الوافي
الصاحب
النديم

وقيل للشِّبْلي[1] : مَنِ الرفيق ؟ قال : من أنت غاية شغله ، وأوكدُ فَرْضهِ ونَفْلهِ . قيل له : فمن الشَّفيق ؟ قال : مَنْ إن دهمتك محنةٌ قَذِيَتْ عينُه لك ، وإن شملتك مُنحةٌ قرَّت عينُه بك . قيل له : من الوافي ؟ قال : من يحكي بلفظه كمالك ، ويرعى بلحظه جمالك . قيل له : فمن الصاحب ؟ قال : مَنْ إنْ غاب تشوَّفت إليه الأحبابُ ، وإن حَضَر تلقَّحت به الألبابُ . قيل : فمن النديم ؟ قال : مَنْ إن نأى ذُكر[2] عند الكاس ، وإن دنا مُلك بالاستئناس[3] .

كتاب ابن الزيات إلى الصولي

كتب محمد بن عبد الملك بن محمد الزَّيَّات[4] إلى إبراهيم بن العبّاس الصُّولي[5] أيام مُقامه بالأهواز كتاباً يقول فيه : قلّةُ نظرك لنفسك حرمتك سنا المنزلة ، وإغفالُك حظَّك حَطَّك عن أعلى الدرجة ، وجهلُك بقدر النِّعْمة أحلَّ بك اليأس والنِّقْمة حتى صرت من قوة الأمل معتاضاً شدة

---

(١) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي من المتصوِّفة النُّسَّاك ، وُلد سنة ٢٤٧ هـ بسُرَّ مَن رأى ، وتوفي ببغداد سنة ٣٣٤ هـ .

(٢) ج ق ـ ذكرك .

(٣) ج ق ـ الاستئناس .

(٤) هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة أبو جعفر المعروف بابن الزيّات أحد بلغاء الكتّاب والشعراء ، كان وزيراً للمعتصم والواثق العباسيّين ، ولما مرض الواثق عمل ابن الزيّات على تولية ابنه وحرمان المتوكل ، فنكبه هذا وعذّبه في تنور إلى أن مات سنة ٢٣٣ هـ .

(٥) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول أبو إسحاق أحد أئمة الكتابة في العراق ، وله في خراسان سنة ١٧٦ هـ ، ونشأ في بغداد وتقرَّب إلى الخلفاء المعتصم والواثق والمتوكل ، وتقلَّد ديوان الضياع والنفقات بسامراء ، وتوفي سنة ٢٤٣ هـ . راجع أخباره في الأغاني ٢٠/٩ ، ومعجم الأدباء ٢٦١/١ ، ووفيات الأعيان ٩/١ .

الوَجَل ، ومن رجاء الغد متعوِّضاً يأس الأبد ، وركبتَ مطيّة المخافة بعد مجلس الأمن والكرامة ، وصرت / معرَّضاً للرحمة بعد ما تكنَّفتك الغِبْطة ، [١١آ]
وقد قال الشاعر :

إذا ما بدأتَ امرءاً جاهلاً ... ببرٍّ فقصَّرَ عن حَمْلِهِ
ولم تَرَهُ قابلاً للجميـ ... ـلِ ولاَ عرفَ الفضل من أهْلِهِ
فَسُمْهُ الهوانَ فإن الهَوا ... نَ دواءٌ لذي الجهل من جَهْلِهِ

قد فهمتُ كتابَك ، وإغراقَك وإطنابَك ، وإضافة ما أضفت بتزويق الكتب بالأقلام ، وفي كفاية الله غنىً عنك يا إبراهيم ، وعِوَضٌ منك ، وهو حسبُنا ونعم الوكيل .

جواب الصولي

فكتب إليه إبراهيم يستعطفه :

أخٌ كنتُ آوي منه عند إدِّكارِهِ[1] ... إلى ظلِّ أفنانٍ من العزِّ باذخِ
سَعَتْ نُوَبُ الأيام بيني وبينه ... فأقلعْنَ منَّا عن ظَلومٍ وصارخِ
وإني وإعدادي لدهري محمَّداً ... كملتمسٍ إطفاءَ نارٍ بنافخِ

إصرار الصولي

فما نَجَعَ[2] فكتب :

وكنتَ أخي بإخاء الزمان[3] ... فلما نَبَا صرتَ حَرْباً عوانا
وكنتُ أذُم إليك الزمان ... فأصبحتُ منك أذمُّ الزمَانا[4]
وكنتُ أعدُّك للنائبا ... تِ فها أنا أطلبُ منك الأمانا

فلم يَثْنِ ذلك محمداً فكتب إليه كتاباً غليظاً وكتب في آخره :

(١) م ، ج ق ـ ادخاره . وردت الأبيات في الطرائف الأدبية ص ١٥٧ .
(٢) نَجَع فيه الدواء والعلف والوعظ والخطاب : دخل فأثر فيه أو ظهر أثره .
(٣) ج ق ـ في رخاء الزمان .
(٤) رواية الطرائف الأدبية : « فقد صرت فيك أذم الزمانا » .

جواب ابن الزيّات

أبا جعفرٍ خَفْ نَبْوَةً بعد دولةٍ[1] وعرِّجْ قليلاً عن مدى غُلْوَائِكا[2]
فإن يكُ هذا اليومُ يوماً حويتَه فإنَّ رجائي في غدٍ كرجائِكا

فما مرَّت الأيام حتى كان من أمر محمد ما كان ، وولي إبراهيم ديوان الرسائل فأمر أن يُنْشَأ فيه رسالة بقلَّة طاعته ففعل .

فوارق الصداقة

كان بين أبي الخطَّاب الصَّابي وبين أبي كعب الداهية[3] التي لا تُرام بعد صداقةٍ كانت زائدةً على شُبْكَةِ[4] الرحم ، ولَحْمَةِ[5] النسَب ، فقيل له ـ أعني أبا الخطاب ـ كيف أنت مع ابن كعب فأنشد :

خليلانِ مختلفٌ شأنُنا أُريدُ العلاءَ ويَبْغي السِّمَن

طلب الخِلَّة

وكان ابن الجلاء الزاهد بمكَّة يقول لأصحابه : اطلبوا خِلَّةَ[6] الناس في هذه الدنيا بالتقوى تنفعْكم في الدار الأخرى ، ألم تسمعوا الله تعالى يقول : ﴿ الأخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾[7] .

تصنيف الناس

وقال الحرّاني[8] في تصنيف الناس : منهم مَنْ هو كالغذاء الذي يُمسك رمقَك ولا بدَّ لك منه على كل حال ، لأنه قِوامُ حياتك ، وزينةُ دهرك ،

---

(١) رواية الطرائف الأدبية ص ١٦٦ : بعد صولةٍ .
(٢) رواية الطرائف الأدبية ص ١٦٦ : وقصّر قليلاً . الغلواء : الغلو .
(٣) الداهية : الأمر العظيم والأمر المنكر .
(٤) الشُّبْكة : (بضم الشين) القرابة يقال : « بينهما شبهة سبب لا شبكة نسب » .
(٥) اللحمة : القرابة والجمع لُحَم .
(٦) الخِلَّة : المصادقة والإخاء . يقال : فلان كريم الخِلّ والخِلَّة .
(٧) سورة الزُّخرف : ٦٧/٤٣ .
(٨) هو أبو الطيب عبد الرحيم بن أحمد الحرّاني ، وكان شاعراً مترسلاً بليغاً وله كتاب رسائل وكتاب في البلاغة . ويظهر أن التوحيدي اجتمع به في مكة ، وقد ورد ذكر الحرّاني في الإمتاع والمؤانسة ٣٨/١ ، وفي المقابسات ص ١٣٢ ، راجع : الفهرست ص ١٧٨ .

ومنهم من هو كالدواء يُحتاج إليه في الحين بعد الحين على مقدار محدود ، ومنهم من هو كالسُّم الذي لا ينبغي أن تقربه فإنه سبب هَلَكتِك[1] .

الأنس بالصديق

قيل لأعرابي : كيف أُنسُك بالصديق ؟ قال : وأين الصديقُ ، بل أين الشبيهُ به ، بل أين الشبيه بالشبيه [به] ؟ والله ما يُوقد نار الضغائن والذُّحُول[2] في الحيِّ إلاَّ الذين يدّعون الصداقة ، وينتحلون النصيحة ، وهم أعداءٌ في مُسُوك[3] الأصدقاء وما أحسنَ ماقال [حضريُّكم] :

حال الدنيا

إذا امتحن الدُّنيا لبيبٌ تكشفتْ ... له عن عدوٍّ في ثياب صديقِ[4]

وقال آخر :

درس وعبرة

إذا نوبةٌ نابَتْ صديقك فاغتنمْ ... مَرمَّتَها[5] فالدَّهْرُ بالناس قُلَّبُ
وبادر بمعروفٍ إذا كنت قادراً ... وحاذِرْ زوالاً من غنىً عنك يُعقبُ[6]
فأحسنُ ثوبيك الذي هو لابس ... وأفْرَهُ مُهْرَيْك الذي هو يُركبُ[7]

---

(١) نسب هذا القول إلى المأمون في عيون الأخبار ٣/٣ كما يلي : « الإخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه ، وطبقة كالدواء لا يحتاج إليه إلا أحياناً ، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبداً » . ونسب إلى ابن المقفع في الأدب الصغير ص ٤٨ .

(٢) ج ق ـ الدخول . الذُّحول : مفردها ذَحْل : الثأر ، وقيل العداوة والحقد ، وقيل طلب المكافأة بجناية جنيت عليك أو عداوة أوتيت إليك .

(٣) مسوك : مفردها مَسْك : الجلد وخص بعضهم به جلد السخلة قال ثم كثر حتى سمي كل جلدٍ مسكاً سمي به لأنه يمسك ما وراءه من اللحم والعظم .

(٤) البيت لأبي نواس من قطعة مطلعها :

أيا ربَّ وجهٍ في التراب عتيقِ ... ويا ربَّ حسنٍ في التراب رقيقِ

الديوان ص ٦٢١ .

(٥) المرمّات : الدواهي .

(٦) م ـ حذار زوال أو غنى عنك يعقب . يعقب : يخلف .

(٧) الفراهة : الحذق والنشاط والخفة .

أيضاً :

نصيحة ثمينة

اجعلْ صديقَكَ مَنْ إذا أحببتَـهُ ... حفظَ الإخاءَ وكان دونك يُضربُ
واطلبهُمُ طلبَ المريض شفاءَه ... ودعِ اللئيمَ فليس ممن يُصْحَبُ
يُعطيك مافوق الْمُنَى بلسانه ... ويروغُ عنك كما يروغ الثعلبُ
واحذرْ ذوي الْمَلَقِ اللئام فإنهم ... في النائبات عليك ممن يخطُبُ
فلقد نصحتُك إن قبلتَ نصيحتي ... والنُّصحُ أفضلُ ما يُباحُ ويُوهبُ

آخر :

خير الإخوان

خير إخوانك المشاركُ في الضـ ... ـرِ وأين الشريكُ في الضُّر أيْنَا ؟
لا يَنِي جاهداً يحوطُك في الحضـ ... ـرِ فإن غبتَ كان أُذْناً وعَيْنا
أنت في معشرٍ إذا غِبْتَ عنهم ... بدّلوا كلَّ ما يزينُك شَيْنَا[1]
وإذا ما رأوكَ قالوا جميعاً : ... أنتَ من أكرم البرايا عَلَيْنا

التداوي بالرياء

وقلت لأبي المتيّم الصُّوفي الرَّقيّ : كيف حالُك مع فلان ؟ قال : نتداوى بالرِّياءَ إلى أن يَفْرِجَ الله ، قلت : هلا تخالصتا عن الرياء والنِّفاق ؟ فقال : والله إنَّ خوفي من أن يصير الرياءُ والنفاقُ مكاشفةً ، والمكاشفةُ مفارقةً ، أشدُّ من خوفي من / الرِّياء . والعجبُ أنَّ المؤونة علينا [١١ ب]
في الصبر على هذه الحال أغلظ من المؤونة لوتصافينا ، إلاَّ أن التصافي لا يكونُ مني وحدي ، ولا منه وحدَهُ ، ولعله يتمنى ذلك مني ، كما أتمنى ذلك منه ، ولكن لا يطابقُ ذلك مطابقةً لحيلولة[2] الزمان ، والفساد العام ، وغلبة ما لا سبيل إلى تغييره ، طلعت الأرض بأهلها ، والحاجة ماسة إلى كلمةٍ طريَّة ، ودعوةٍ فاشيةٍ ، وأمرٍ جامعٍ ، حتى تأتلفَ القلوبُ ، وتنتفيَ

(١) شانه يشينه شيناً : ضد زانه . والمشاين : المعايب .
(٢) ج ق ـ لحؤول .

العيوبُ ، وهذا إلى اللهِ الذي خلقَ الْخَلْق ، ودبَّر الشأن ، وتفرَّد بالغيب ، وتعزَّز بالقُدرة ، وكما أن في السَّنة الواحدة للزمان أحوالاً في الحر الْمُفْرط ، والحر المتوسط ، والبرد المتوسط ، كذلك للدهر المديد أحوالٌ في الخير العام ، والشرِّ العام ، والخير الخاص ، والشر الخاص ، والعاقل مَنْ لا يتمنى ما لا يوجد ، ولكن يَصْبِرُ على ما يجد إنْ حُلواً فحلواً ، وإن مرّاً فمرّاً ، إلى أن يأذَنَ اللهُ بالفرَج من حيث لا يحتسب .

لذّات الدنيا

قال معمر صاحب عبد الرزاق : ما بقيَ من لذّات الدنيا إلاَّ محادثةُ الإخوان ، وأكلُ القديد[1] ، وحكُّ الجرب ، والوقيعةُ في الثقلاء .

قال الشاعر :

وما بقيتْ من اللذات إلاَّ ... محادثةُ الرجال ذوي العقول
وقد كانوا إذا عُدُّوا قليلاً ... فقد صاروا أقلَّ من القليل

وفاء ومخبر وورع

قال الأحنَف : لا خيرَ في صديقٍ لا وفاءَ له ، ولا خيرَ في منظرٍ لا مَخْبَرَ[2] له ، ولا خير في فِقْهٍ لا وَرَعَ معه .

استخارة واستشارة واجتهاد

قال العُتبي : قال أعرابي : إذا استخار العبدُ ربَّه ، واستشار صديقَه ، واجتهد رأيَه فقد قضى ما عليه لنفسه ، ويقضي الله في أمره ما أحبَّ .

الوثوق بالمودة

توفي ابنٌ ليونُس بن عُبيد فقيل له : إنَّ ابن عون لم يأتك . فقال : إنَّا إذا وَثِقْنا بمودَّة أخٍ لا يضرّنا أن لا يأتينا .

المودة أصل

وحدثني العَروضي[3] قال : لما دعا السلطان علي بن عيسى[4] من مكة

(١) القديد : اللحم المقدَّد .

(٢) المخبر : العلم بالشيء أو إدراكه بالخبر أو الاختبار لا بالنظر . والمخبر خلاف المنظر .

(٣) هو أبو محمد المقدسي العروضي من معاصري أبي حيّان التوحيدي ، ورد ذكره في المقابسات : ١٢٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٦ ، ١٩٠ ، ١٩١ .

(٤) هو علي بن عيسى بن داود بن الجراح وزير المقتدر ، توفي سنة ٣٣٤ هـ ، وله مصنفات =

تلقاه قوم من بغداد إلى زُبَالَة[1] وإلى ما فوقها ودونها ، فلما قرَّت به الدار بمدينة السلام أتاه قوم لم يُجشّموا لِقيَّهُ[2] ، فقال : كم من إنسانٍ قعد لَم يرِمْ مجلسه حتى وافيناه فكان ألوط[3] بقلوبنا ، وأسكنَ في أسرارنا من قومٍ جُشِّمُوا المسير إلى زُبالة ، إلاَّ أن المودَّةَ هي الأصل ، والصداقةَ هي الرُّكن ، والثقةَ هي الأساس ، وما عدا ذلك فمحمول عليه ، ومردودٌ إليه .

قصة للمأمون

قال يحيى بن أكثم : كنت أرى شيخاً يدخل على المأمون في السنة مرة ، وكان يخلو به خلوةً طويلةً ثم ينصرف فلا نسمع له خبراً ، ولا نرى[4] له أثراً ، لا نُقْدِمُ على المسألة عنه [فلما كان بعد[5]] قال لنا المأمون : واأسفاً على فَقْدِ صديقٍ مسكونٍ إليه ، موثوقٍ به ، يُلقى إليه العُجَر والبُجَرَ[6] ، ويُقتبسُ منه الفوائدُ والغُرر ، قلنا وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أما كنت ترى شيخاً يأتينا في الفَرْط[7] ، ونخلُو به من دون الناس ؟ قلت : بَلى ، قال : [فإنه] قد تأخر عن إبَّانه ، وأظن أنه قد قضى ، قلت : الله يمدّ في عمر أمير المؤمنين ، وما في ذاك ؟ قال : كان صديقي بخراسان ، وكنت

= ذكرها ابن النديم في الفهرست ص ١٨٦ . وقد ورد ذكر علي بن عيسى في المقابسات ص ١٤٧ ، وفي الإمتاع ٣٢/١ ، ٦٨ .

(١) ج ق م ـ زيالة . زُبالة : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة . (معجم البلدان ٣٧٣/٣) .

(٢) ج ق ـ لقاءه . لقيَه لِقِيّاً : استقبله ، وقيل : صادفه ورآه .

(٣) ألوط : أعلق .

(٤) ج ق ـ نرعى .

(٥) ج ق ـ فلما توفي .

(٦) العُجر : مفردها عُجرة وهي العقدة في الخيط والعصا وعروق البدن ونحوها يقال : « ذكر عجره و بجره ، أي عيوبه أو أحزانه . والبُجر : مفردها بجرة وهي السرّة » ، والوجه ، والعيب .

(٧) الفرط : الحين ، تقول : آتيك بعد فَرْطٍ أي بعد حين ، ولقيته في الفرط بعد الفرط أي في الحين بعد الحين .

أستريحُ إليه استراحةَ المكروب ، وأجِدُ به ما يُوجَدُ بالولد السارِّ المحبوب ، ولقد كنت أستمدُّ منه رأياً أقوِّمُ به أوَدَ المملكة ، وأصِلُ به إلى رضاء الله في سياسة الرعية ، وآخر ما قال لي عند وداعه أن قال : يا أمير المؤمنين إذا استقشَّ[1] ما بينك وبين الله تعالى فابلُلْهُ ، قلت : بماذا يا صاحب الخير ؟ قال : بالاقتداء به في الإحسان إلى عباده ، فإنه يُحبُّ الإحسان إلى عباده ، كما تُحبُّ الإحسان إلى ولدك من حاشيتك ، والله ما أعطاك [اللهُ] القدرة عليهم إلاَّ لتصرَّ على إحسانك إليهم بالشكر على حسناتهم ، والتغمد[2] لسيئاتهم ، وأيّ شيء أوجه لك عند ربك من أن تكون أيامُك أيامَ عدلٍ[3] وإنصافٍ ، وإحسانٍ ، وإسعافٍ ، ورأفةٍ ، ورحمةٍ ، مَنْ لي يا يحيى بمثل هذا القائل ، وأنَّى لي بمن يذكِّرني بما أنا إليه صائر .

كلام لعُرْوَةَ بن الزُّبير

لَمَّا وقع الاختلاف بالمدينة خرج عُرْوَةُ بن الزُّبير[4] إلى العَقيق ، واعتزل الناس ، فعاتبه إخوانُه فقال : رأيتُ ألسنتهم لاغية ، وأسماعهم صاغِية ، وقلوبهم لاهِية ، فخفتُ أن تلحقني منهم الداهيةْ ، وكان لي فيما هنالك عنهم عافيةْ .

قال سُوَيْد الصَّامت[5] :

وجها الصديق

الا رُبَّ مَنْ تدعُو صديقاً ولوْ تَرى مقالتَهُ بالغيب ساءَكَ ما يَفْري[6]

---

(١) ج ق ـ استشن . قشَّ النبات : يبس .

(٢) غمَّده وتغمَّده : ستر ما كان ، تغمده الله برحمته : غمره بها تغمَّد الإناء : ملأه .

(٣) ج ق ـ أن يكون إمامك إمام عدل .

(٤) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان عالماً بالدين ، صالحاً كريماً توفي سنة ٩٣ هـ .

(٥) هو سويد بن الصامت بن حارثة بن عدي الأنصاري ، شاعر من أهل المدينة ، اشتهر في الجاهلية وأدرك الإسلام ، قتل قبل الهجرة .

(٦) الفري : الكذب والاختلاق والمبالغة في النكاية .

مقـالتـه كالشَّهْـدِ مـا كان شـاهـداً

[١٢آ] وبـالغيب صـابٌ مستفيضٌ من الثَّغْرِ[١] /

يَسُرُّكَ بـاديـهِ وتحتَ أديمِـهِ نَميّـةُ غِشٍّ تلـوهـا دبر الظَّهْرِ[٢]

تحـدِّثني العينـان مـا القلبُ كاتم ولا جُنّ بالبغضاء والنظرِ الشَّزْرِ[٣]

فرِشْني بِخيرٍ طـالمـا قـدَ اردتـهُ فَخَيْرُ المـواليَ مَنْ يَريشُ ولا يَبْري[٤]

بئس الصديق

قال يحيى بن مُعاذ[٥] : بِئْسَ الصديقُ صديقٌ تحتاج معه إلى المداراة ، وبِئْسَ الصديقُ صديقٌ تحتاج أن تقول له : اذكرني في دعائك ، وبئسَ الصديقُ صديقٌ يُلْجِئك إلى الاعتذار .

تغير الأصدقاء

قال الأعمش[٦] : أدركتُ أقواماً كان الرجلُ منهم لا يلقى أخاه شهراً وشهرين فإذا لقيه لم يَزِدْهُ على كيف أنت ، وكيف الحال ، ولو سأله شَطْرَ ماله لأعطاه ، ثم أدركت أقواماً لو كان أحدُهم لا يلقى أخاه يوماً سأله عن الدَّجَاجة في البيت ، ولو سأله حَبَّةً من ماله لمنعه .

---

(١) في رواية :

مقالته كالشحم ما دام شاهداً وبالغيب مأثورٌ على ثغرة النَّحْرِ

الأبيات في اللسان لعمير بن حباب .

(٢) في رواية : تبتري عصَبَ الظهر .

(٣) في رواية :

تبين لك العينان ما هو كاتم من الشرِّ والبغضاء بالنظر الشَّزْر

(٤) في رواية : فرشني بخيرٍ طالما قد بريتني . وراش السهم : جعل له ريشاً . راجع (البيان والتبيين ٦٦/٤ ، عيون الأخبار ٨١/٣) .

(٥) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي أبو زكريا أحد الوعّاظ الزاهدين ، مات في نيسابور سنة ٢٥٨ هـ . وله كلمات سائرة في الزهد .

(٦) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش ، كان قارئاً حافظاً عالماً بالفرائض ، ولد يوم قتل الحسين يوم عاشوراء سنة ٦١ ، وتوفي سنة ١٤٨ هـ .

كأنَّ معـــالمَ الخيرات سُـــدّت دونهـــا الطُرقُ
وخـــان النـــاسُ كُلُّهم فـــا أدري بِمَنْ أثِـــقُ
فـــلا عقـــلٌ ولا حَسَبٌ ولا دينٌ ولا خُلُـــقُ

برهان المحبة

لقي رجل صاحباً له فقال له : إني أُحبك ، فقال : كَذَبْتَ ، لوكنتَ صادقاً ما كان لفرسك بُرْقُعٌ وليس لي عَبَاءَة .

بين الصدق والتقصير

وقيل لأبي العَرَيْب المصري : إذا كان الرجل يُحبُّ صاحبه ، ويمنعه مالَه ، أيكونُ صادقاً ؟ قال : يكون صادقاً في حُبِّه ، مقصّراً في حقِّه .

إخوة هذا الزمان

قال مالكُ بن دينار : إخوةُ هذا الزمان مثلَ مرَقة الطبّاخ في السوق طيِّبُ الريح لا طعمَ له .

خير الإخوان

قال الأحنف : خيرُ الإخوان من إذا استغنيتَ لم يزدك في المودَّة ، وإذا احتجتَ إليه لم يُنْقِصْكَ .

تبدل المواساة

قال أبو يعقوب : دخلنا على أبي المطيع القرباني نسأله الحديث فقدم إلينا طعاماً فأمسكنا عنه فقال : ياهؤلاء كانت المواساة بين الإخوان قبلنا بالضياع ، والرِّبَاع[1] ، والبراذين ، والمماليك ، والدور والبدور[2] ، فصارت اليوم إلى هذا وهو مروؤتنا ، فإن أمسكتم عن هذا أيضاً ذهب هذا القدر ، وماتت سُنَّة السَّلَف فلا تفعلوا ، فأقبلنا عليه وأكلنا .

التذكير بالرَّب

قال بلال بن سعد : أخ لك كلما لقيك ذكَّرك برؤيته ربَّك ، خيرٌ لك من أخٍ كلَّما لقيَك وضع في كفك ديناراً .

---

(١) الرباع مفردها رَبْع : وهي الدار وما حولها والمحلّة والموضع يرتبعون فيه ، وجماعة الناس .

(٢) البدور مفردها بدر وهو الطبق .

قال يحيى بن مُعاذ : واشوقاه إلى حبيب إذا غضب عفا ، وإذا رضي كَفَى .

قلت لأبي سليمان[١] : هل يُلاَثُ[٢] ما بين الصديقين ، وهل يُفضيان إلى هجر ، وهل يَفْزَعَان[٣] إلى عَتْبٍ ؟ فقال : أما مادامت الصداقةُ قاصرةً عن درجتها القاصية ، فقد يعرض هذا كلُّه[٤] بينهما ، لكنهما يرجعان فيه إلى أُسِّ المودَّة ، وإلى شرائط المروءة ، وإلى ما لا يَهْتِكُ سَجْفَ الفُتُوَّة ، وأما الهجر فإن حَدَث حدث جميلاً ، ولا مستمر لحوافز[٥] الشوق إلى المعهود ، ومحرّكات النفس إلى التلاقي ، وأمَّا العَتْبُ فربما أصلح وردَّ الفائت ، وشَعَبَ الصَّدْع[٦] ، ولَمَّ الشَّعْث[٧] ، والإكثار منه ربما عرض بالحقد ، وأحدث نوعاً من النُّبُوّ[٨] ، وقد قيل : وما صافيتَ مَنْ لا تعاتبه ، وربما كان العَوْدُ إلى الصفاء بعد هذا الكدر فوق ما عهداه في الأول . وقال الأول :

أُناس أمنَّاهم فنُّوا حديثَنا ... فلَمَّا كتمنا السِّرّ عنهم تقوَّلوا

---

(١) هو أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني من أعاظم علماء المنطق في عصره ومصنّف كتاب (صوان الحكمة) ، وكان أستاذ التوحيدي ، وكان العلماء يجتمعون في منزل أبي سليمان للمناظرة والبحث ، وقد استطاع التوحيدي أن يؤلف من هذه المناظرات والمحاورات كتاب (المقابسات) ، مات السجستاني بعد سنة ٣٩١ هـ .

(٢) ج ق م - يلات . لوّث الأمر : لبّسه .

(٣) ج ق م - تفرغان .

(٤) ج ق - يعرض سوء .

(٥) ج ق - خوافر .

(٦) شعب : (من الأضداد) شعب الشيء : جمعه وفرقه ، وأصلحه وأفسده . الصدع : الشق بين شيئين ، وشعب الصدع : جمعه بعد تفريق .

(٧) الشعث : انتشار الأمر وخلله ، ولَمّ شعثهم أي جمع أمرهم .

(٨) ج ق - النبوة .

ولم يحفظوا الودَّ الذي كان بيننا ولا حين همُّوا بالقطيعة أجْمَلوا[1]

الفرق بين الصداقة والعلاقة

قلت فما الفرقُ بين الصداقة والعَلاقة ؟ فقال[2] : الصداقة أذهبُ في مسالك العقل ، وأدخلُ في باب المروءة ، وأبعدُ من نوازي الشهوة ، وأنزه عن آثار الطبيعة ، وأشبهُ بذوي الشيب والكهولة ، وأرمى إلى حدود الرَّشاد ، وآخذُ بأهداب السَّداد ، وأبعد من عوارض الغَرارة[3] والْحَداثة .

العلاقة

فأما العَلاقة فهي من قِبَل العشق ، والمحبَّة ، والكَلَف[4] ، والشَّغَف[5] ، والتَّتيُّم[6] ، والتَّهيُّم ، والهَوَى ، والصَّبابة ، والتَّدانُف[7] ، والتَّشاجي[8] . وهذه كلُّها أمراض أو كالأمراض بشركة النفس الضعيفة ، والطبيعة القويَّة ، وليس للعقل فيها ظِلٌّ ، ولا شخصٌ ، ولهذا تُسرع هذه الأعراض إلى الشباب من الذُّكْران والإناث ، وتنال منهم ، وتملكهم ، وتحول[9] بينهم وبين أنوار العقول ، وآداء النفوس ، وفضائل الأخلاق ، وفوائد التجارب ، ولهذا وأشباهِه يحتاجون إلى الزَّواجر ، والمواعظ ، ليفيئوا إلى ما فقدوه من اعتدال المِزاج ، والطريق الوسَط . على أن العِشق والمحبة وما يحويها فيهما كلام من نحوٍ آخر / . وأنشد أبو عبيدة[10] : [١٢ ب]

---

(١) أجمل في عمله : اعتدل ولم يُفرط .

(٢) راجع المقابسات طبعة السندوبي ص ٣٥٩ .

(٣) الغرارة : الغفلة وحداثة السن .

(٤) كلف به : أحبّه حبّاً شديداً وأولع به فهو كَلِف . والكِلْف : الرجل العاشق .

(٥) الشغف : أقصى الحب ، والمشغوف هو المجنون حبّاً .

(٦) تيَّمه الحب : عبّده وذلّله .

(٧) تَنِف المريض : ثقل ودنا من الموت ، وكذلك العاشق .

(٨) شجاه الأمر : أحزنه ، وشجي الرجل يشجى شجاً : حزن .

(٩) ج ق ـ تجول .

(١٠) نُسب هذان البيتان في عيون الأخبار ٧٩/٣ للرياشي بزيادة بيت آخر :

إن كنت لا تصحب إلا فتىً مثلك لم تؤتَ بأمثالكا =

غضّ الطرف

إن كنتَ لا تصحبَ إلاّ فتىً ... مثلَك لم تُقْرن بأمثالِكَا
فأغْضِ عينيكَ على ما تَرى ... فالمِسْكُ قد يَستصحبُ الرامِكَا

يقال : رامِك ورامَك[1] ، سمعتُه من الحسن بن عبد الله الإمام السيرافي .

عَتَبَ ابن ثَوابَة أبو العباس على سعيد بن حُميد في شيء فكتب إليه سعيد :

تحوّل الأزمان والأحوال

أقْلِلْ عِتابَك فالزمانُ قليلُ ... والدهرُ يَعْدِلُ مرّة ويميلُ
لم أبْكِ من زمنٍ ذممتُ صُروفَه ... إلاّ بكيتُ عليه حين يزولُ
والْمُنْتَمُون إلى الإخاء جماعةٌ ... إن حصّلُوا أفناهُم التحصيلُ
ولكل نائبةٍ أَلَمّت مُدّةٌ ... ولكلّ حالٍ أقبلَتْ تَحْويلُ
فلئن سُبقتَ لتبكينَّ بحسرةٍ ... وليكثرنَّ عليَّ منك عويلُ
ولتَفْجَعنَّ بمخلصٍ لك وامقٍ ... حبلُ الوفاء بحبله موصولُ[2]
ولئن سَبَقْتَ، ولا سَبَقتَ، ليضيَنّ ... من لا يشاكله لديَّ عديلُ
وليذهبنّ جمالُ كلّ مروءةٍ ... وليُقْفرنّ فِناؤها المأهولُ[3]
ولذاك نكلفُ بالعتاب وودُّنا ... باقٍ عليه من الوفاء دَليلُ
وُدٌّ بدا لذوي الإخاء صفاؤه ... وبدتْ عليه بهجةٌ وقبولُ

= إن لك الفضل على صحبتي ... والمسك قد يستصحب الرامكا
هبني امرءاً جئت أريد الهوى ... فَجُدْ على ضعفي بإسلامكا

(١) في م وردت عبارة في الأصل ويجب أن توضع في الهامش وهي : وهو شيء أسود يخلط به المسك . الرامك : ضرب من الطيب في لونه رُمْكة وهي زرقة في سواد . ويقالُ : « لا تمنعني صحبتك وإكرامك فقد يستصحب المسك الرامك » .

(٢) وامقه موامقة ووماقاً : أحبّ كلاهما الآخر . يقال : « إن لم وماق فتعجيل فراق » .

(٣) ج ق ـ وليعفرن .

ولعـلَّ أيـامَ الحيـاة قصيرةٌ فعلامَ يكثرُ عتبُنا ويَطُولُ ؟

آخر :

التماس العذر

إذا ما أتت من صاحبٍ لَكَ زَلَّةٌ فكنْ أنت مُحتالاً لزَلَّتـه عُـذْرا

آخر :

خيبة الفحص

البسْ أخـاك على تصنُّعـه فلربَّ مفتضـح على النصِّ
ما كدتُ أفحص عن أخي ثقةٍ إلا ذممتُ عـواقبَ الفحصِ

آخر :

مودة ماذق

احـذرْ مـودَّةَ مَـاذقٍ مَـزَج المرارةَ بـالحـلاوَهْ[1]
يُحْصي الـذنـوب عليـك أيـامَ الصـداقـة للعـداوَهْ

سقيم الود

سَعِيد بن حَمِيد[2] :

لقد ساءَني أنْ ليس لي عنـك مـذهبُ ولا لـك في حسن الصنيعـة مَرْغبُ
أُفكِّرُ في ودٍّ تقـادَم بيننـا وفي دونـه قربى لمن يتقرّبُ
وأنت سقيمُ الـود رثٌّ حبـالُـه وخيرٌ من الـودِّ السقيم التَّجنّبُ
تسيئ وتـأبى أن تعقِّبَ بعـده بحُسْنَى وتلقـاني كأنيَ مـذنبُ
واحذر إنْ جازيتَ بالسُّوء والقِلَى مقـالـةَ قـومٍ، ودُّهم عنـك أجْنبُ[3]

---

(١) في رواية : شاب . مذق اللبن بالماء : مزجه . مـذق الودّ : شـابـه بكـدر ولم يخلصـه فهو مذاقٌ . ورجل مماذق : غير مخلص .

(٢) هو أبو عثمان سعيـد بن حميـد بن سعيـد ، كاتب وشـاعر في العصر العبـاسي ، كان يتقلـد ديوان الرسائل أيام المستعين العباسي . له أخبار مع فضل الشاعرة ، توفي سنة ٢٥٠ هـ . راجع الأغاني ٢/١٧ ـ ٨ .

(٣) أجنب : بعد .

أســاء اختيــاراً أو عَرَتْــهُ مَـلالــةٌ فعـــــاد يُسيء الظن أو يتَعقَّبُ
فخبتُ من الودِّ الـذي كنتُ أرتجي كما خـابَ راجي البرقِ، والبرقُ خُلَّبُ

كثرة العتاب

وقال أعرابي : كثرةُ العتاب إلحاف ، وتركُه استخفاف .

الصديق المطلوب

وحـدثنـا أبـو السـائب عُتْبـة بن عبيـد الله القـاضي قـال : كتب إليَّ أبـو الشَّهم الحرمي أيـام الشبيبـة في خـلافـة المعتمـد ، والـزمـانُ مـوآتٍ[1] ، والعيشُ رفيق[2] ، والأملُ قـويّ ، وطـائرُ السعـد مرنِّـق[3] ، وغـديرُ الأنس مُغْدَوْدِقٌ[4] : ما أحوجَـك أيهـا الفتى المقتبِل[5] ، والصـاحب المؤمَّل ، إلى أخٍ كريم الأُخوَّة ، كامل المروّة ، إذا غبتَ خلَفَك ، وإذا حضرت كنَفَكَ ، وإن لقي صـديقـك استزادهُ لـك من المودَّة ، وإن لقي عـدوّك كفَّ عنـك غربَ العادية[6] ، وإذا رأيته ابتهجتَ ، وإذا باثثتَهُ[7] استرحت . قال : فأجبته ، هوّنْ عليك فليس هذا بأول مُتَمنًّى فائت[8] والسلام .

الـدنيـــا لا تسـع متباغضين

أخبرني الْمُرزباني ، حدَّثنا الصُّولي ، حدَّثنا المبرِّد ، حدَّثنا أبو عمر قـال الأصمعي : دخلتُ على الخليل وهو جالس على حصيرٍ صغير فقال : تعـالَ[9]

---

(١) ج ق ـ موات .
(٢) ج ق ـ رغد .
(٣) ج ق ـ السعيد مرفرف . رنّق الطائر : خفق بجناحيه ورفرف ولم يطر .
(٤) اغدودق المطر : كثر قطره ، وعين الماء : غزرت وعذبت : وماء مغدودق : كثير .
(٥) اقتبل الرجل : صار عاقلاً وكيساً بعد أن كان أحمقاً .
(٦) ج ق ـ عداوته . كف من غربه : من حدته . العـاديـة : الظلم والشر ، وكـذلـك الحـدة والغضب .
(٧) بثّه ما في نفسه : كاشفه به ، وباثّـه السر : أظهره لـه ، ويقـال : « وكانت بيننـا مبـاثـة ومنافثة » .
(٨) ج ق ـ فات .
(٩) ج ق ـ تعالى .

واجلس ، فقلت : أُضيِّقُ عليك ، فقالَ : مَهْ فإنَّ الدنيا بأسرها لا تسعُ مُتَباغضَيْن ، وإنَّ شِبْراً في شِبْر يَسَعُ مُتَحابَّيْن !.

بين الناصح والشانئ

قال بعضُ السلف : ضربةُ الناصح خيرٌ لك من تحيَّة الشانئ[1] ، ولا فضل للمرائي [بالود] على مُظهر الشَّنآن .

تعليق الشاشي

قال أبو جعفر الشَّاشي[2] : قد أصاب في الكلمة الأولى ، فأما في الكلمة الثانية فهو مقصِّر ، لأن الْمُرائي له ظاهر يُحمد وإن كان له باطنٌ يُذمُّ ، وليس كذلك الشنآن ، فإنه ليس له باطن يُحمد ، ولا ظاهر يُقبل ، فقد بانَ فضلُ المرائي بالود على صاحبه . والْمُرائي قد يبلغ لك كثيراً من محابك ، والرياءُ ستر سابغ ، وليس بينه وبين الإخلاص إلاَّ عقدُ نيَّة ، وضمير نَفْس ، وصدقُ غَيْب ، وصلاحُ سرّ .

الأشرار والأخيار

وسمعتُ ابن شاهين يروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « استعيذوا بالله من شِرار الناس ، وكونوا من خيارهم على حذر » .

شاعر :

عطارديون

ثلاثةٌ أصفيتُهم إخائي ... كأنَّهُمُ كواكبُ الجوزاء
عُطارديون يرون رأيي ... كأنما أهواؤهم أهوائي

آخر :

خلاَّن عجيبان

خِلاَنِ لي أمرُهما عجيب ... كلٌّ لكلٍّ منهما حبيبُ

---

(١) شنأ الرجل : أبغضه مع عداوته وسوء خلق فهو شانئ وشنآن .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن علي القفَّال بن إسماعيل الشاشي أستاذ أبي حيان التوحيدي درس عليه الفقه الشافعي ، وأبو بكر أول من صنَّف الجدل الحسن من الفقهاء ، وكان « فقيهاً محدثاً أصولياً لغوياً شاعراً » توفي سنة ٣٦٥ هـ .

ما لي في نجواهما نصيبُ كأنني بينهما رقيبُ

وقال الأول :

العيب والملق

قد ألبسُ المرءَ فيه العيبُ أعرفُه ولا أُحبُّ إخاء الكاذب المَلِقِ
حيناً وأطويه أستبقي ملولتَهُ طيَّ الرِّداء على أثنائه الخرقِ

[١٣آ] آخر : /

ذو اللونين

لحى الله من لا ينفعُ الودُّ عنده وَمَنْ حَبْلُه إنْ مُدَّ غيرُ متينِ
ومن هو إن تُحدثْ له العينُ نظرةً تقضَّتْ بها أسبابُ كلِّ قرينِ
ومن هو ذُو لونَيْن ليس بدائمٍ على خُلُقٍ، خوَّانُ كلّ أمينِ

آخر :

معاشرة وحذر

عاشرِ الناسَ بالجميلِ وسدِّدْ وقاربْ
واحترسْ من أذى الكرام وجُدْ بالمواهبْ
لا يسودُ الجميع من لم يقم بالنوائبْ
ويحوطُ الأدْنى ويرْ عَى ذِمامَ الأقاربْ
فهِمٌ ذو فِطانةٍ عالمٌ ذو تجاربْ
لا تواصلْ إلاّ الشريفَ الكريمَ الضرائبْ[1]
واجتنبْ وَصْلَ كلِّ وغْدٍ دنئ الْمَكاسبْ
نَيْرَبٌ لا يزال يُو قِدُ نارَ الْحُبَاحبْ[2]

---

(١) الضرائب : مفردها ضريبة وهي الطبيعة والسجيّة ، يقال : « هذه ضريبته التي ضُرب عليها » أي طبع .

(٢) النيرب : الشر والنميمة . ورجل نيرب وذو نيرب : شرير ، ونيرب الرجل : سعى ونمّ ، ونيرب الكلام : زوّره وزيّنه ، يقال : هو ينيرب القول أي يخلطه . =

لا تبـــعْ عِرْضَـــكَ المصـــونَ بعرضِ المكالبْ
أنـــا للشرِّ كارهٌ ولـــهُ غيرُ هـــائبْ

آخر :

بلاء غريب

بـلاءٌ ليس يُشْبهـــهُ بـلاءُ عـداوةُ غيرِ ذي حسبٍ ودينِ
يُبيحـك منـه عِرضاً لم يَصُنْهُ ويرتَعُ منـك في عِرْضٍ مَصُونِ

خيانة الأصدقاء

والذين ضجّوا من إخوانهم الذين وثقوا بهم فخانُوهم ، وبكوا بالدموع الغزيرة على مافاتهم منهم ، وساءت ظُنونُهم بغيرهم ، فكثير بثير[1] لا يُحصيهم إلاّ الله تعالى . هذا فرار بن سيَّار روى له ابنُ الأعرابي قوله :

جزى الله عني مُرَّة اليوم ما جَزَى شِرارَ الموالي حيث يَجْزي الموالِيا
إذا مـا رأى من عَنْ يميني أكلُبـاً عَوَيْنَ عوَى مُسْتجلباً عن شِمَالِيَا
ويسـألُني أن كيف حـاليَ بعـده على كلِّ شيءٍ سَاءَه الدهرُ حاليا
فحـالي أني قـد حَلَلْتُ ببلـدةٍ أُصبتُ بهـا داراً لأهلي ومـاليـا
وحـالي أني سوف أُهـدي لـه الْخَنَـا وأمشي له المشيَ الذي قـد مَشَى ليَـا

وهذا الأسود بن يَعْفُر[2] يقول :

= الحباحب : ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسراج وربما جعلوا الحباحب اسماً لما يُرى في ذنبه كأنه نار ، قال الكسعي :

ما بالُ سَهْمي يُوقِدُ الحباحبا قد كنت أرجو أن يكون صائبا

وقيل اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان فضربوا بها المثل حتى قالوا « نار الحباحب » لما تقدحه الخيل بحوافرها من حيث لا يُنتفع به ، وربما قالوا « نار أبي حباحب » .

(١) البثير : الكثير يقال : « كثير بثير » على الاتباع .

(٢) هو الأسود بن يعفر النهشلي ، أحد العشي ، وهو أعشى بني نهشل ، يكنى أبا الجراح ، شاعر جاهلي مقدم فصيح فحل ، كان ينادم النعمان بن المنذر وله في ذلك أشعار ، وقد اشتهر الأسود بقصيدته الدالية التي مطلعها : =

عداوة ومعاكسة

إنَّ امرءاً مـــولاهُ أدنى دارهِ ... فيا ألَمَّ وشرُّه لـــك بـــادِ
إن قلت خيراً قـــال شرّاً غيرَه ... أو قلت شرّاً مـــدّه بمَـــدادِ
فلئن أقمتَ لأظعَننَّ لبلـــدةٍ ... ولئن ظعنتَ لأُرْسينْ أوتـــادي
كان التفرُّق بيننـــا عن ميزةٍ ... فاذهب إليك فقد شفيت فؤادي

آخر :

إخفاء وإذاعة وكذب

إن يعلموا الخير يُخْفُوه وإن علموا ... شرّاً أذاعوا، وإن لم يعلموا كَذَبوا

آخر[1] :

أخلاق الناس

إنْ يسمعوا رِيْبةً طاروا بها فَرَحاً ... مني، وما سمعوا من صالحٍ دَفَنُوا

فهذا باب طويل لا طمعَ في بلوغ آخره .

وقال آخر :

نفس مثالية شريفة

مـا وَدَّني أحـدٌ إلاَّ بـذلتُ لـه ... صفـوَ المـودَّة مني آخرَ الأبَـد
ولا قَـلاَني، وإن كنت المحبَّ لـه ... إلاَّ دعوتُ لـه الرحمنَ بـالرشَـدِ
ولا ائْتَمِنْتُ على سرٍّ فَبُحْتُ بِـهِ ... ولا مَدَدْتُ إلى غير الجميل يَدي

= نـام الخليُّ ومـا أحسُّ رُقـادي ... والهمُّ مُحْتَضِرٌ لـدَيَّ وِسـادي

والتي عدها صاحب الأغاني من (مختار أشعار العرب وحكمها) . توفي الأسود نحو ٢٢ ق.هـ . راجع أخباره في الأغاني ١٣/١٥ـ٢٨ .

(١) البيت لقَعْنَب بن أمّ صاحب ، وتفصيل الخبر أن الحجاج لحن يوماً ، فقال الناس : لحن الأمير ، فأخبره بعض من حضر فتمثل بالأبيات الثلاثة وهي :

ضُمَّ إذا سمعـوا خيراً ذُكرتُ بـه ... وإن ذُكرتُ بسُوءٍ عندهم أذِنُوا
فَطَـانَةٌ فطنـوهـا لـوتكـون لهم ... مروءة أو تقىً لله مـــا فَطِنُـوا
إنْ يسمعوا سيئاً طاروا به فرحاً ... مني وما سمعوا من صالح دفنوا

أذنوا : استمعوا .

ولا أقولُ نعم يوماً فأتْبعُها ... منعاً ولو ذَهَبتْ بالمال والولدِ
ولا أخونُ خليلي في خَليلتِه ... حتى أغيَّبَ في الأكفان واللحدِ

آخر :

الأرواح أجناد

لله في الأرض أجنادٌ مجنَّدةٌ ... أرواحُها بيننا بالصدق تعترفُ
فما تعارفَ منها فهو مؤتلفٌ ... وما تناكَرَ منها فهو مُخْتَلِفُ

وقال إبراهيم بن العباس الصُّولي الكاتب :

إخاء محمد

من يشتري مني إخاءَ محمَّدٍ ... بل من يريدُ إخاءَه مَجَّانا
بل من يُخَلِّصُ من إخاء محمدٍ ... وله رضاه كائناً من كانا[1] ؟

آخر :

سؤال عن دوام العهد

قل لمن شَطَّ المزارُ بهِ ... ليتَ شِعْري عنك ما خبرُكْ
أعلى حفظٍ لحرمتنا ... أم عَفَا من ودّنا أثَرُكْ

كتاب الحرّاني

وكتب الحرّاني[2] إلى صديقٍ له :

بسم الله الرحمن الرحيم

إن كان ذهولُك عني لدنيا أخضلتْ عليك سماؤها ، وأربَّت[3] بك

---

(١) رواية الطرائف الأدبية ص ١٦٦ : وله مناه .

(٢) ورد ذكره في المقابسات ص ١٣٢ ، والإمتاع ٣٨/١ ، وهناك ثلاثة عرفوا بالحرّاني : ثابت بن قرّة المتوفى سنة ٢٨٨ هـ ، وسنان بن ثابت المتوفى سنة ٣٣١ هـ ، وإبراهيم بن سنان المتوفى سنة ٣٣٥ هـ ، وجميعهم اشتغلوا بالفلسفة وعاصروا التوحيدي . ولعلّ المقصود هنا هو إبراهيم بن سنان لأن التوحيدي وصفه بأنه « شام شيئاً من الحكمة وعرف ذروراً من حديث الأوائل » ، وقد ألّف إبراهيم كتاباً عنوانه (زبدة الحكم) في الحكمة !

(٣) الربب : الماء الكثير والماء العذب .

دِيَمُها[1] ، فإنَّ أكثر ما يجري في الظنِّ بك ، بل في اليقين منك ، أملكُ ما يكون لغنانا أن يجمحَ بك ، ولنفسك أن تستعليَ عليك ، إذا لانت لك أكنافُها ، وانقادَ في كفك زمامُها ، لأنك لم تنلْ ما نلته خَطْفاً وخَلْساً ، ولا عن مقدارٍ أزحَفَ إليك غيرَ حقك ، ومال إليك سوى نصيبك ، فإن ذهبت إلى أن حقك قد يحتملُ في قوته وسَعته أن يُضاف إليه الْجَفْوةُ والنَّبوةُ ، فيتضاءل في جنبه ويصغُر عن كبيره ، فغيرُ مدفوعٍ عن ذلك ، وايمُ الله لولا ما مُنيت به النفسُ من الضنِّ بك ، وأن مكانك منها لا يسدُّه غيرُك لتنحيتُ عنك ، وذهلتُ عن إقبالك وإدبارك ، ولكان في جفائك[2] ما يكسر من غَرْبها ، ويبرّد من غليلها ، ولكنه كما تكاملت النعمةُ لك ، تكاملت الرغبةُ فيك .

بشَّار :

الجليس الثقيل

ربَّما يثقلُ الجليسُ وإن كا ... نَ خفيفاً في كِفَّة الميزانِ

سمعتُ أحمد بن محمد الكاتب يحكي : قال العتَّابي : لا أُحبُّ رجلاً نَقَل إليَّ ما كرهتُ عن صديقي فغيَّرني له ، ولا عن عدوٍّ فحملني على طلب الانتصار منه ، ومع ذلك فلم يستحي بأن واجهني بما ساءَني سماعُه . أما قوله :

بكاء وفراق

قد كنتُ أبكي على ما فاتَ من سَلفي ... وأهلُ ودّي جميعاً غيرُ أشتاتِ
فاليومَ إذ فرَّقتْ بيني وبينهمُ ... نَوًى : بكيتُ على أهل المودَّاتِ

[١٣ ب] فليس / ما نحن فيه بسبيل ، لأن الكلامَ في الصداقة على كرمِ العهد ،

---

(١) الديم مفردها ديمة وهي للطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق ، وتجمع أيضاً على ديوم .

(٢) ج ق ـ خفائك .

الكلام عن الصداقة

وبذلِ المال ، وتقديمِ الوفاء ، وحفظِ الذِّمام ، وإخلاصِ المودَّة ، ورعاية الغيب ، وتوقُّرِ الشهادة ، ورفضِ الموجدة ، وكظْمِ الغيظ ، واستعمالِ الحلم ، ومجانبة الخلاف ، واحتمالِ الكَلِّ[1] ، وبذلِ المعونة ، وحملِ المؤونة ، وطلاقةِ الوجه ، ولُطف اللسان ، وحسن الاستنابة[2] والثباتِ على الثِّقة ، والصبرِ على الضَّرّاء[3] ، والمشاركة في البأساء[4] ، والعلاقةُ ، وإن كانت تستعير من هذه الأبواب شيئاً فليس ذلك لأنه من عتادها وأساسها ، ولا ما لا يتمُّ إلاَّ به ، ولكن من أجل التحسُّن والتزيُّن ، وهذا الذي قاله هذا الشيخُ كلامٌ قَصْدٌ[5] ، قريبٌ ، سليمٌ ، مقبولٌ ، ولسنا نتعقبُه بنقص ، ولا نقدح فيه باعتراض ، لأن العاشقَ والمعشوقَ ليسا من الصديق والصديق ، وإن كانوا يتشابهون ببعض الأخلاق ، ويتلاقون في بعض الأحوال ، فليكن هذا الرسمُ كافياً محفوظاً ، فإن المغالطة قد تقع في هذا كثيراً ، والإنصاف يقوم عليه دائماً .

وصية ثمينة

قال القرباني محمد بن يوسف : قلت للثَّوْري[6] : إني أريد الشام فأوصني قال : إن قدرت أن تُنكِرَ كلَّ مَنْ تعرف فافعلْ ، وإن استطعتَ أن تستفيدَ مائةَ أخ ، حتى إذا خلصوا لك تُسقط منهم تسعةً وتسعين ، وتكون في الواحد شاكّاً فافعل .

---

(١) الكلّ : الثقل ويطلق على الواحد وغيره ، وبعض العرب يجمع للذكر والمؤنث على كلول .

(٢) ج ق م : الاستنامة . استنابه استنابةً : طلبه نائباً له .

(٣) الضَّراء : الزمانة والشدة والنقص في الأموال والأنفس ، وهي نقيض السَّرّاء .

(٤) البأساء : الشدة والمشقّة .

(٥) قصد : مستقيم .

(٦) هو عبد الله بن محمد بن هارون أبو محمد ، قرأ على الأصمعي وروى عن أبي عبيدة وغيره ، وقرأ كتاب سيبويه على أبي عمر الجرمي وأخذ عن الأصمعي حتى كان ينسب إليه ، وتوفي وله كتب كثيرة . الفهرست ص ٨٥ .

تعليق التوحيدي

قد شدد[1] هذا الشيخ كما ترى ، ولستُ أرى هذا المذهب مُحيطاً بالحق ، ولا مُعَلَّقاً بالصواب ، ولا داخلاً في الإنصاف ، فإن الإنسان لا يُمكنه أن يعيش وحده ، ولا يستوي له أن يأوي إلى المقابر ، ولا بدّ له من أسبابٍ بها يحيَ ، وبأعمالها يعيش ، فبالضرورة ما يلزمه أن يعاشر الناس ، ثم بالضرورة ما يصير له بهذه المعايشة[2] ، بعضهم صديقاً ، وبعضهم عدواً ، وبعضهم منافقاً ، وبعضهم نافعاً ، وبعضهم ضارّاً ، ثم بالضرورة يجب عليه أن يقابل كل واحد منهم بما يكون له [مردٌّ] من دين ، أو عقل ، أو فتوّة ، أو نَجْدة ، ويستفيد [هو] من ذلك كلّه ما يكون خاصّاً به ، وعائداً بحسن العُقْبى عليه ، إمّا في العاجل ، وإما في الآجل ، ولعزّة الحال في وجدان الصديق ، وتعذّر السلامة على القريب والبعيد ، قال القائل :

كُنْ لثَغْر البيت حِلْسا[3] وارضَ بالوحدة أُنْسَا
واغرسِ الناسَ بأرض الزُّهدِ ما عَمَّرتَ غَرْسَا
وليكُنْ يأسُك دون الطمع الكاذب تُرْسَا
لستَ بالواحد حرّاً أو تردَّ اليومَ أَمْسَا
ما وجدنا أحداً ساوى على الخِبْرة فَلْسَا[4]

شرط الوجود .

قال علي بن عُبَيْدة[5] : إنه لا دواءَ لمن لا حياءَ له ، ولا حياءَ لمن لا وفاء له ، ولا وفاءَ لمن لا إخاء له ، ولا إخاءَ لمن يريد أن يجمع هوى

---

(١) ج ق ـ تشدد .

(٢) ج ق ـ المعاشرة .

(٣) الحِلْس والحَلَس : الملازم ، يقال : فلان حلس بيته : أي ملازمه لا يبرحه .

(٤) الخبرة (بضم الخاء وكسرها) : العلم بالشيء .

(٥) هو علي بن عبيدة الريحاني أحد البلغاء والفصحاء ، كان له اختصاص بالخليفة المأمون ويسلك في تصنيفاته وتأليفاته مسلك الحكمة ، واتُّهم بالزندقة وله مع المأمون أخبار ، ذكر له صاحب الفهرست أكثر من سبعين كتاباً . توفي ابن عبيدة سنة ٢١٨ هـ .

أخلائه له حتى يُحبّوا ما أحبَّ ، ويكرهوا ما كرهَ ، وحتى لا يرى منهم زَلَلاً ولا خَلَلاً .

نعلان للذكرى

بعث النَّضْر بن الحارث إلى صديق له بعبّادان[1] نعلين[2] مخصوفتين[3] وكتب إليه : إني بعثتُ بهما إليك ، وأنا أعلمُ أنك عنهما غني ، لكني أحببتُ أن تعلم أنك مني على بالٍ والسلام .

فأجابه : ما أنا بغني عن برِّكَ الذي يحثُّني على شكرك ، ويخرطني في سِلْكك ، ويزيدني بصيرةً بزيادة الله عندك ومحبتك لأن أعلم أني منك على بال لأن يقيني بذلك راسخ ، وحمدي عليه غادٍ ورائح ، لا عدمتُك لي أخاً بارّاً ، ولا عدمتَني لك قائلاً سارّاً .

وقال الشاعر[4] :

الحث على الإكثار من الأصدقاء

تكثّر من الإخوان ما استطعتَ إنهم ... كنوزٌ إذا ما استُنْجِدُوا وظهورُ[5]
وما بكثيرٍ ألفُ خِلٍّ وصاحبٍ ... وإن عُدَّ منهم واحدٌ لكثيرُ[6]

لو تكاشفتم

وقيل : لو تكاشفتُم ما تدافنتُم .

قلة الخلاف

قال أبو غسان غناة بن كليب : اجتمعت أنا ومحمد بن النَّضْر الحارثي وعبد الله بن المبارك ، والفضيل ورجل آخر فصنعت لهم طعاماً فلم يخالف

---

(١) عبّادان : مدينة جنوبي البصرة على الضفّة الشّرقية للنهر ، وهي اليوم مركز تكرير النفط الإيراني ومرفأ تصديره .

(٢) ج ق ـ بنعلين .

(٣) خصف النعل : أطبق عليها مثلها وخرزها بالمِخْصَف وهو مخرز الإسكاف .

(٤) البيتان منسوبان في محاضرات الأدباء للأصبهاني ٢/٢ إلى محمود الورّاق .

(٥) رواية المحاضرات : عماد إذا استنجدتهم .

(٦) ج ق ـ وإن عدواً واحداً لكثير .

محمد بن النَّضْر علينا في شيء ، فقال له ابن المبارك : ما أقلَّ خِلافَكَ فأنشد :

وإذا صاحبتَ فاصحبْ ماجداً ذا حيـــاءٍ وعفـــافٍ وكَرَمْ
قولـه للشيء لا إن قلت : لا وإذا قلتَ : نعم قـــال : نَعَمْ

وأنشد أبو حاتم :

إلف الهموم لَعَمْري لقد ألفَتْني الهمومُ كما يألفُ الصاحبُ الصَّاحبا
فأما السرورُ فمثلُ العدوِّ إذا ما رآني نأى جانبا

أمتع الأشياء قيل لعبد الله بن أبي بكرة : أيُّ شيء أمتع ؟ قال : ممازحةُ مُحبٍّ ، ومحادثةُ صديق ، وأمانيٌّ تقطع بها أيامَك .

[١٤آ] وقال الشاعر : /

الناس سباع الناسُ أشباهُ السباعِ فانْشمْ فمنهمُ الـــذئبُ ومنهمُ النَّمِرْ
والضَّبُعَ العَثْواءَ والليثَ الْمُبَرْ[1]

آخر :

البذء بالعطاء أخٌ لي يُعطيني إذا ما سألتُهُ ولو لم أعرّضْ بالسؤال ابتدانيا

آخر :

صداقة العدو ومن نَكَدِ الدُّنيا على الحرّ أن يرى عدواً له ما من صداقته بُدُّ[2]

---

(١) العثواء : من العثوة وهي اللُّة الطويلة ، والعثواء : الضبع قيل لها ذلك لكثرة شعرها . المبرّ : بربر المعز : صوّت والقوم أكثروا الكلام في غضب وصاحوا ، والبربار : الأسد ، والمبربر : الأسد أيضاً .

(٢) البيت للمتنبي من قصيدة مطلعها :
أقلُّ فَعَالي بَلْهَ أكثَرُه مجدُ وذا الجدُّ فيه نلت أم لم أنل جدُّ

آخر :

معاتبة الخليل

إذا أنتَ عـاتبت الخليلَ فلم يكن بودّك لم يُعْتِبْـكَ حين تعـاتبُـهْ

العتاب مذلّة

سمعتُ ابن كعب يقول : العتاب مَذَلّة ، وقلَّ من بدأ بـه متظـاهراً إلاَّ وثَابَ عنه خاسراً ، وربما أُورثَ ما هو أضرّ مما عُتب عليـه ، ومن نكَـدَه أنـه يُضطّر إليـه ، ولـه وِرْدٌ حلـوٌ ، وصَـدْرٌ مرٌّ[1] ، ومـأخـذٌ سهـلٌ ، ومَتْرَكٌ صعبٌ ، على أن المودَّة كلما كانت أخلص ، كانت أعراضُها الْمُفْسِدة[2] أكثرَ ، وقد قال الأول :

وما أنا في عَتْبي بأول ذي هوىً رأى بعضَ ما لا يشتهي فتعتَّبـا

ولقد أحسن الآخر في قوله[3] :

الحفاظ على الصديق

إذا كنت في كلِّ الأمور معاتبـاً صديقَك لم تَلْقَ الذي لا تعاتبُهْ
فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فـإنَّـه مقـارفُ ذنبٍ مرّةً ومجـانبُـهْ[4]

آخر :

وليسَ بِمُغْنٍ في المـودَّة شـافِـعٌ إذا لم يكن بين الضُّلـوع شَفيـعُ

آخر[5] :

خيانة ومداهنة

رأيتُك تَفْرى للصـديق نوافـذاً عدوُّكَ من أوصابها الـدهرَ آمِنُ
وتكشفُ أسرارَ الأخلاء مازحـاً ويا ربَّ مَزْحٍ عادَ وهو ضَغَـائنُ

---

(١) ورد الماء : صار إليه ، وصدر عن المكان أو الماء : رجع عنه .

(٢) ج ق ـ للمفسدة .

(٣) البيتان لبشار بن برد من قصيدة يمدح بها عمر بن هبيرة حين وفد عليه بالعراق .

(٤) مقارف الذنب : مخالطه وفاعله .

(٥) الأبيات منسوبة في محاضرات الأدباء ١١/٢ إلى السري الكندي .

سأحفظُ ما بيني وبينَك صائناً ... عهودَك ، إن الحرَّ للعهدِ صائنُ
فألقاكَ بالبِشْر الجميل مُداهِناً ... فلي منك خِلٌّ، ما علمتَ، مُداهِنُ
أنمُّ بما استودعتَهُ من زجاجةٍ ... ترى الشيءَ فيها ظاهراً وهو باطنُ

آخر :

هجوم وجحود

عَذيري من صديقٍ لا يبالي ... أأُعذَرُ في الحوادث أم أُلاما
سَرَتْ نحوي نوائبُه فُرادَى ... فلم أحفِلْ بها فَسرتْ تُؤاما
وأظمأني فلما رمتُ سَقْياً ... سَقاني غيرَ مُكْترثٍ سِمَاما

آخر :

إطفاء الجوى

لا تُطفئنَّ جوىً بعتبٍ إنَّهُ ... كالريح تُغْري النارَ بالإحراقِ

آخر :

عدم الانسجام

ولا خيرَ في ودّ امرئٍ مُتكارِهٍ ... عليك ، ولا في صاحبٍ لا توافقُهْ

آخر :

الودُّ الحقيقي

ألا أن خيرَ الودِّ ودٌّ تطوَّعتْ ... به النفسُ ، لا ودٌّ أتى وهو مُتْعَبُ

آخر :

واحدة بواحدة

إني إذا ما الخليلُ أحدثَ لي ... صَرْماً ومَلَّ الإخاءَ أو قَطَعَا
لا أحْتَسي ماءَهُ على رَنَقٍ[1] ... ولا يَراني لِبَيْنِه جَزِعَا

تعليق ابن كعب

سمع هذا ابن كعب فقال : ظلم ، لم لا أحتسي ماءَه على رَنَقٍ ، ولِمَ لا أجزع لبينه ، وَلِمَ لا أستصلحُه ، وأتلطَّفُ له ، ولِمَ أحرج عنه إذا أحدث

(١) م ـ لنفيه . ورنق الماء رَنْقاً ورنُوقاً ورِنِقَ : كدر ، ورنَّق للماء : كدّره .

لي صرماً ؟ ولعلَّ صرمَهُ عارض ، وملَلَهُ عن غير عقيدةٍ ، وقطْعَهُ غَلَط ، كأنَّ الصديقَ مكسوبٌ بسهولة ، وموجود متى طُلِبَ ، وهَيْهات !

صديق مثالي

قال المأمون لعبد الله بن طاهر[1] :

أخي أنت ومولاي ... وَمَنْ أشكرُ نُعْماهُ
وما أحببتَ من أمرٍ ... فإني الدهرَ أهْواهُ
وما تكرهُ من شيءٍ ... فإني لستُ أرضاهُ
لكَ اللهُ على ذاكَ ... لَكَ اللهُ لَكَ اللهُ

وقال آخر :

صداقة ناصعة

ومولىً كأنَّ الشمسَ بيني وبينه ... إذا ما التقينا لستُ مِمَّن أُعاتبُهْ

آخر :

ظاهر وباطن

أُكاشرهُ وأعلمُ أن كُلاًّ ... على ما ساءَ صاحبُه حَريصُ

وقال آخر :

الرفيق أخ

أكرِمْ رفيقَك واعلَم حين تصحبُهُ ... أنَّ الرفيقَ أخٌ ما ضمَّه السَّفرُ

آخر :

بين الصدق والكذب

الصدقُ أفضلُ ما حصرت به ... ولربَّما نفعَ الفتى كَذِبُهْ
ومن البلاء أخٌ جنايتُه ... عِلْقٌ بنا ، ولغيرنا نَشَبُهْ

(١) هو أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين (١٨٢ هـ - ٢٣٠ هـ) ، أشهر الولاة العباسيين ، ولأه المأمون خراسان . قال عنه ابن الأثير : « كان عبد الله من أكثر الناس بذلاً للمال مع علم وتجربة ، وللشعراء فيه مراث كثيرة » ، وقال الذهبي : « كان عبد الله من كبار الملوك » ، وقال الشابشتي في الديارات : « كان المأمون تبنّاه وربّاه » .

وقال عروة بن الورد[1] :

لوم اللائم

فَدَعْ مـا لُمْتَ صـاحبَـه عليـه فشَيْنٌ أن يلـومَـك مَنْ تَلـومُ

كتب المعتصم إلى ابن طاهر عبد الله[2] :

من المعتصم إلى قائده

إيَّاكَ أن تُريني وجهك ، فإني لستُ آمنُ نفسي عليك ، ولـك من قلبي مكانٌ ، ما أوثر أن يؤثِّر فيه ما يُحيله عن صورتـه ، ولأن تكونَ بعيـداً وأنـا لك ، خيرٌ من أن تكونَ قريباً وأنا عليـك ، ولأن لا تراني وأنـا واثق بـك ، أنفعُ لـك من أن أراكَ وأنـا ظنينٌ فيـك ، وإذا صـدقتُـك عمَّـا حَنَيْتُ عليـه ضُلوعي من أمرك ، فقد قضيتُ حقَّك في كفايتـك ، واستـدمتُ بـه صفـاءَ ضميرك ، ولـو قرأت لي ألف كتـاب بـالـورود ، فـلا تعمـل عليـه ، ولا يرخصنَّ عندك هذا القول فـإنَّ تحتـه وجداً بـك ، واستنـامـةً إليـك ، وابتهاجاً بمكانك ، [وازدياناً بخبرك وعِيانك] ، واكتم هذه الحروف عن كل عين رائية[3] ، ولا تـدلُّ على شيء منـه مصرِّحـاً ، ولا معرِّضـاً ، والزم فِنـاءَ عِزّك ، واستنشِقْ نسيمَ شوقي إليـك ، وتطعَّم حلاوةَ ثقتي بـك ، وشِمْ بـارِقـة عَتْب إذا هَمَعَ نقع[4] ، وإذا أمسكَ أهلكَ ، وإذا دَرَّ برَّ ، وإذا أقلع أجْزعَ .

---

(١) هو عروة بن الورد بن زيد العبسي من غطفان من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها ، كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم . قال عبد الملك بن مروان : « من قال إن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد » .

(٢) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي أحد ولاة العباسيين ، ولي خراسان بعد أبيه عبد الله بن طاهر واستمر ثماني عشرة سنة ، وتوفي فيها سنة ٢٤٨ هـ .

(٣) ج ق ـ رابية .

(٤) همعت عينه هَمْعاً وهَمَعاً وهُمُوعاً وهَمَعَاناً وتهماً : أسالت الدمع ، ويقال : همعت العين بالدمع وكذا انطلَّ على الشجرة إذا سال ، والهمِع : السحاب الماطر . ج ق ـ نفع ـ نقع الماء في بطن الوادي : اجتمع فيه وطال مكثه ، ونقع الماء العطش نَقْعاً ونقوعاً : سكَّنه وقطعه .

عظمة الراشدين

كتب أبو بكر لرجلٍ كتاباً في شيءٍ جعله قطيعةً لـه فحملـه الرجل إلى عمر بن الخطَّاب ليمضيه ، فلما نظر عمر فيه / بزق عليه ومحاه ، فعاد الرجل [١٤ ب] مستعراً إلى أبي بكر فقال : فعل عمر كذا وكذا ، والله ما أدري أأنت الخليفـة أو عمر ، فقال أبو بكر : هو ، إلاَّ أنه أنا !

وكان الـزُّهري يرويـه : إلاَّ أنـه أبى ، وعلى الـوجهَيْن المرادُ صحيـح ، والمرمى عالٍ ، والغايةُ بعيدة .

الصديق أم العشيق

قيل لأعرابي : أبـالصـديـق أنت آنسُ أم بـالعشيـق ؟ فقـال : يـا هـذا الصـديق لكل شيء ، للجِدِّ والهَزْل ، وللقليـل والكثير ، ولا عـاذل عليـه ، ولا قادحَ فيه ، وهو روضةُ العقل ، وغَديرُ الروح .

فأما العشيق فإنما هو للعين ، وبعضُ الريبـة ، والعـذلُ إليـه من أجلـه سَريع ، وفي الوَلُوع به إفراطٌ مَزْجورٌ عنه ، وحدٌّ موقوفٌ دونه ، فـأينَ هـذا من ذاك ؟

نهار بن توسعة :

عتابٌ وندم

عتبتُ على سَلْمٍ فلمـا فَقَـدْتُـهُ وجرَّبْتُ أقوامـاً بكيتُ على سَلْمِ

آخر :

ونعتبُ أحيانـاً عليـه ولو مَضَى لكنَّا على الباقي من الناس أعْتَبَـا

نصف العقل

قال أعرابي : نصفُ عقلك مع أخيك فالقَهُ واستشِرْهُ .

شاعر :

نصيحة

واحفظْ صديقَ أبيك حين وجـدتَـهُ واحْبُ الكرامةَ مَنْ بَدَا فَحَباكَهَـا[1]

---

(١) البيت لأبي الأسود الدؤلي الديوان ص ١٩٨ .

=

آخر :

عداوة وقرابة

قَبَـح الإلـهُ عـداوةً لا تُتَّقى وقرابـةً يُـدلَى بهـا لا تنفـعُ

آخر :

رزء الخلان

فتىً لا يرزأ الخـــــلاَّنَ إلاّ مـــودَّتهم ويرزأُه الْخَليـــلُ[1]

آخر :

تغير الصديق

وكلُّ إمـــارةٍ عمَّـــا قليـــلٍ مغيّرةُ الصديقِ على الصديـقِ

المؤمن مألفة

وقال النَّبي ﷺ : « المؤمن مألفة » .

تفسير السيرافي

قال أبو سعيـد السيرافي : معنـاه أنـه يُؤْلف ولا يجوز[2] أن يُؤْلف حتى يَأْلَف[3] ، فذكر المثال الذي يقع الفعل فيه ومنه .

إلف الناس

وقال بعض السَّلَف : خيرُ النَّاس إلفُ الناسِ للناس .

وقال الشاعر :

الإقلال من الزيارة

أقلِـل زيـارتـك الصـديـقَ تكنْ كثـوبٍ تستجـدَّهْ
إنَّ الصَّـديـقَ يَغُمُّـهُ[4] أن لا يـزالَ يراكَ عنـدَهْ

زُرْ غِبّاً

وقال أبو هُريرة : لقد دارتْ كلمة العرب : زُرْ غِبّاً تزدَدْ حُبّاً[5] إلى أن سمعتُ من الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه ، ولقد قالها لي .

= رواية الديوان : أكرم صديق أبيك حيث لقيته . الحباء : العطية .

(١) رزأه ماله رُزْأً : نقصه منه ، والرزيئة : الإصابة بالانتقاص وهي أيضاً المصيبة .

(٢) ج ق - ولا يخون .

(٣) ج ق - يؤنف .

(٤) في رواية : يُمِلُّه .

(٥) غبَّ يغُبُّ غِبّاً : جاءه زائراً بعد أيام ، غبَّ عنه : أتاه يوماً وتركه آخر .

تعليق العسجدي

قال العَسْجَدي : ليست هذه الكلمة محمولةً على العام ، ولكن لها مواضع يجب أن تُقال فيها ، لأن الزائر يستحقُّها ، ألا يرى أنه صلى الله عليه وآله وأصحابه لا يقول ذلك لأبي بكر ، ولا لعليّ بن أبي طالب وأشباههما ، فأمَّا أبو هُريرة فأهلٌ لذاك لبعض الهَنَّات التي يلزمه أن يكون مجانباً لها ، وحائداً عنها وقد قال الشاعر :

إقلال الزيارة

إذا شئتَ أن تُقْلى فَزُرْ متواتراً[1] وإن شئتَ أن تَزْدادَ حبّاً فَزُرْ غِبّا

آخر[2] :

عين الرضا

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كَليلةٌ ولكنَّ عينَ السُّخط تُبدي المساويا

آخر :

زُرْ قليلاً لِمَنْ يودُّك غِبّاً فدوامُ الوصالِ داعي المَلال

للعتّابي[3] :

واحدة بواحدة

ولقد أقولُ تصبُّراً وتكرُّماً لما تحرِّمُ وُدّك الأيامُ
إن تجفُني فلطالما قرَّبتَني هذا بذاكَ وما عليك مَلامُ

---

(١) في رواية متتابعاً .

(٢) البيت لعبد الله بن معاوية بن جعفر . مجموعة المعاني ص ١٠٦ وقبله :

فلست براءٍ عيب ذي الودّ كلّه ولا بعضَ ما فيه إذا كنت راضيا

(٣) هو أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي ، كاتب وشاعر سكن بغداد ومدح هارون الرشيد وآخرين واتُّهم بالزندقة ، ثم اتصل بالبرامكة ، ومن بعدهم بطاهر بن الحسين . صنَّف كتباً عديدة منها (فنون الحكم) و (الآداب) و (الخيل) و (الإجواد) و (الألفاظ) . ويقول ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ٢٦٤ : « وأشعار العتّابي كلها عيون ليس فيها ساقط » . توفي العتّابي سنة ٢٢٠ هـ .

سعيد بنَ حميد :

بين وصل واجتناب

إذا كثرتْ ذنـوبٌ من خليـلٍ ... فَقِفْـهُ بين وَصْـلٍ واجتنـاب
وأنْظِرْهُ فلـلأيـام حكمٌ ... بذلـك كلُّ مـاضي العزم آبِ[1]
وعـاتِبْـهُ فكم أبـدى عِتـابٌ ... جليَّـةَ مُشكلٍ بعـد ارتيـابِ
ورجِّ النَّفْـعَ في الإعراض عنـه ... إذا أخفقت من نفـع العتـابِ
وراجِعْـهُ بعفـوك حين يَثْني ... عنـانـاً للرجـوعِ أو الإيـابِ
فـإنَّ العفوَ عن ذي الحـزم أولى ... إذا قَدَرتْ يـداك على العِتـابِ
فـإنَّـك واجـدٌ للحيِّ ذنبـاً ... وتعـدمُ ذنبَ مَنْ تحت الترابِ

آخر :

تغيّر حارث

تغيَّر لي فيمن تغيَّر حـارث ... وكم من فتىً قد غيَّرتْـهُ الحوادثُ
أحارثُ إن شُوركتُ فيك فطالما ... عَتَبْنا وما بيني وبينك ثالثُ[2]

سعيد بنَ حميد :

وفاء وتساهل

جعلتُ لأهـل الـودِّ ألاَّ أُريبَهم[3] ... بغدرٍ، وإن مالوا إلى جانب الغَدْرِ
وإن أجـزي الـودَّ الجميـلَ بمثلـهِ ... وأقبلَ عُـذْراً جـاء من جهـة العُـذْرِ
واحملهم مني على حكم مُنْصفٍ[4] ... تعلَّم حـزمَ الرأي من عُقَب الـدهر
وإنْ يَـدْعُني وصـلٌ أُجِبْـهُ ملبيـاً ... وإن يدعُني هجرٌ أجبْ داعيَ الهجر

وقال :

مقابلة بالمثل

وكنتُ إذا مـا صـاحبٌ ملَّ صُحبتي ... صددتُ، وبعضُ الصَّدِّ في الحبِّ أمْثَلُ

(١) ج ق ـ نابي .
(٢) ج ق ـ ندونا .
(٣) ج ق ـ لازتهم .
(٤) ج ق ـ واحمله .

وقلتُ جميـلاً حين أصْرِمُ حبلَـهُ[1] فـإنْ كانَ لَمْ يـأتِ التي هي أجْمَـلُ

وقال :

أشكُـو إلى الله جَفـاءَ امرئٍ ما كان بـالجـافي ولا بـالمللولْ — شكوى من جفاء
كان وَصُـولاً دائمـاً عهـدُه خيرُ الأخـلاء الكريمُ الوَصُـولْ
ثم ثنـاهُ الـدهرُ عن رأيـه فحـالَ والـدهرُ بقـوم يَحُـولْ
فـإن يَعُـدْ اشكرْ لـه فِعْلَـه وإن يُطِـلْ هجراً فصبرٌ جميـلْ

آخر :

أردتُ عتـابكم فصفحتُ إني رأيتُ الهجرَ مبـدأه العِتـابُ — بداية الهجر

آخر :

مَنْ كان لا يرجى لرفع شـانٍ ودفـع لأْواءِ عن الإخـوان[2] — جدوى العيش
وليس في الـدين بمستعـانٍ فعيشُـهُ ومـوتُـه سيَّـانِ

آخر :

النـاسُ مِنْ خـادعٍ ومُخْتـدَعٍ وكلُّهم مـانـعٌ لمـا حـازا — [١٥آ]
تعـاملـوا بـالخِـداع بينهُم مـا جـوَّز النـاسُ بينهم جـازا — اصطلاح الناس

آخر :

وصـاحبٍ كان لي وكنتُ لـه أشْفَـقَ من والـدٍ على وَلَـدِ — غدر الإخوان

---

(١) صرم حبل فلان : هجره . وصرم الحبلُ : انقطع .

(٢) اللأْى واللأْى واللأْواء : الشدة والمحنة . وهو من ألأى إلاءً : وقع في اللأْواء أي الشدة والمحنة .

كُنَّا كساقٍ يَمْشي بها قدمٌ[1] أو كذراعٍ نِيطَتْ إلى عَضُدِ[2]
وكان لي مُؤنِساً وكنتُ له ليست بنا وَحْشةٌ إلى أحَدِ
حتى إذا استرفدتْ يدي يَدَه كنتُ كمسترفدٍ يَدَ الأسدِ[3]

مجاراة القلوب

ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فَلْيُعْلِمْهُ حتَّى يحبَّه فإنَّ القلوبَ تتجارى » .

الأرواح جنود

ورُوي أيضاً أنه قال ﷺ : « الأرواحُ جنودٌ مُجنَّدة تتلاقى في الهواء ، فما تعارفَ منها ائتلفَ ، وما تناكر منها اختلف » .

إخلاص ومودة

وقال رجل لشَبيب بن شَيْبَة[4] : إني لأُخلص لك الثقة ، وأُصفي لك المودَّة ، قال شبيب : أشهد على صدقك وعلى صحة ودّك ، قال : وكيف تشهدُ [على غيبتي] وليس معي[5] من الشاهد إلاَّ قولي ، قال : لأنك لست بجارٍ قريبٍ ، ولا ابنِ عمٍّ نسيب ، ولا مُشَاكلٍ في صناعة فنسترهنَك أسباب المحاسدة .

قال عَديّ بن زَيْد :

ظلم الأقارب

وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً على المرء من وقع الْحُسامِ المهنَّدِ

---

(١) في رواية : تسعى بها قدم .

(٢) ناطه ينوطه نوطاً ونياطاً : علَّقه . ورد في عيون الأخبار ٨١/٣ بيتان هما :

حتى إذا دانتِ الحوادث من خَطْوي وحلَّ الزمانُ من عُقَدي
إحْوَلَّ وكان ينظر من عيني ويرمي بساعدي ويدي

(٣) م ـ احتاجت يدي ، كمحتاج يد . استرفده : استعانه واستعطاه .

(٤) هو أبو معمر شبيب بن شيبة بن عبد الله التيمي النقري الأهتمي نديم خلفاء بني أمية ، من أهل البصرة كان يقال له الخطيب لفصاحته ، توفي حوالي سنة ١٧٠ هـ .

(٥) ج ق ـ معك .

رأي أبي سليمان

وقلت لأبي سليمان : لِمَ صار التنافُس والتَّعادي وما أشبههما في ذوي القربى أكثرَ وأشدَّ ، وهذا كالشيء المتعالم ، وهو غنيٌّ عن البرهان وإعادة القول والبيان ، وليس ذلك كذلك مع الأجانب والأباعد ، فإن كان كالشَّاذ ، كما أن التصافي والتخالص أيضاً في ذوي الرحم كالشّاذ ؟ فقال : إنَّ ذوي القرابة والرحم والنسَب يرى كلٌّ واحدٍ منهم أنه أولى وأحقُّ بحيازة ما لأبيه وعمِّه ، وأنَّ غيره في ذاك كالْمُزاحم والدَّخيل والْمُتَدلِّي ، فَتَحْفِزُهُ أعراضٌ كثيرة من الحسد والغيرة والتنافس ، على أن يكون هو وحدَهُ حاوياً لتلك المواريث من المال ، والجاه ، والقَدْر ، والمنزلة ، وهذه الأعراض لا تعتري الإنسان في البعيد والنسَب ، والبلد ، واللغة ، والصناعة والْخَلْق . وكان كلامُه أكثرَ من هذا لكني أوجزتُه[1] ، لأن الرسالة قد طالت ، وأخاف أن تُملَّ عند القراءة ، ويُنْسب واضعها[2] إلى سوء الاختيار .

دعاءان لابن هبيرة

كان من دعاء ابن هُبَيْرة[3] : اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من بوائق[4] الثقات ، ومن الاغترار بظاهر المودَّات .

وقال أيضاً : اللهمَّ إني أعوذُ بك من صديقٍ مُطْرٍ ، وجليسٍ مُغْرٍ ، وعدوّ يَسْرٍ[5] .

---

(١) م - اوجزته عنه .

(٢) ج ق - وضعها .

(٣) هو أبو المثنى عمر بن هبيرة ولي العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين كان من الدهاة الشجعان ، اشترك في غزو الروم وقاتل مع الحجاج أعداء الأمويين ، توفي سنة ١١٠ هـ .

(٤) بوائق : مفردها بائقة وهي الداهية . وفي الحديث الشريف : « لا يدخُل الجنة من لا يأمن جارُه بوائقه » ، قال قتادة أي ظلمه وغَشَمه ، وقال الكسائي أي غوائله وشرّه .

(٥) م - يبر . سرى يسري : سار في الليل .

وقال علي بن ثابت[1] :

تأدية الحق

إذا أدَّيْتُ حقّاً لم أُطأطئ ... برأسي عند لُقيان الصديقِ
وليس على مؤدّي الحق لومٌ ... ومَا هو للملامةِ بالحقيقِ
وإن ضيَّعتُ حقّاً حُدْتُ عنه ... كأني قد زَنَيْتُ على الطريقِ

آخر :

عصف الدهر

لعمرك ما أبقى ليَ الدهرُ من أخٍ ... حَفيٍّ ولا ذي خِلَّةٍ أُواصِلُهْ
ولا من خليلٍ ليس فيه غوائلٌ ... وشرُّ الأخلاء الكثيرُ غوائلُهْ[2]

النَّمِرُ بن تَوْلَب العُكْلي[3] :

حب معتدل

أَحْبِبْ حَبيبَكَ هَوْناً رُويداً ... إذا أنتَ حاولتَ أن تحكما

آخر :

تصنع مكشوف

إذا المرء لم يُحْبِبْكَ إلاَّ تكرُّهاً ... بَدَا لك من أخلاقه ما يُغالبُهْ[4]

ابن سُحَيْم[5] :

---

(١) هو علي بن ثابت ، كان صديقاً للشاعر أبي العتاهية انظر خبره في الأغاني ١٤٣/٣ .

(٢) الغائلة : الداهية والفساد والشر والمهلكة .

(٣) هو النمر بن تولب ، شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى الرسول ﷺ وكتب له كتاباً وروى له حديثاً . وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم .

(٤) البيت لأبي الأسود الدؤلي الديوان ص ١٥٨ .

(٥) هو سُحَيم عبد بني الحسحاس من المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أسود ذا لُكنة حبشية ، اشتراه بنو الحسحاس (وهم بطن من بني أسد) فنشأ فيهم . رآه النبي ﷺ وكان يعجبه شعره ، وعاش إلى أواخر أيام عثمان بن عفان وقتله بنو الحسحاس سنة ٤٠ هـ لتشبيبه بنسائهم . الوهل : الفزع .

إنمـــا مـــولاك من تَرْمي بـــه من تُرامي حين يشتَّـدُ الوَهَـل عند الشدائد

وقال الفضل بن العباس[1] [بن عتبة بن أبي لهب] :

لقد عجبتُ وما بالدهر من عجبٍ يد تشحُّ وأخرى منك تأسوني[2] بين الشُّح والمواساة

وقال عبد الله بن معاوية[3] [بن جعفر بن أبي طالب] :

لا يـــزهـــدنَّـــك في أخٍ لـــك أن تراهُ زلَّ زلَّـــةْ غفران الزّلة
مـــا من أخٍ لـــك لا يعيب ولـــو حرصتَ الحرصَ كُلَّـــةْ

وله أيضاً :

لا تركبنَّ الصنيـــعَ الـــذي تلـومُ أخـــاكَ على مثلـــهِ انسجام ومطابقة
ولا يُعجبنـــك قـــولُ امرئٍ يخـالفُ مـا قـال في فعلـهِ

شاعر :

وأبيضَ قـد نـادمتُـه فـدعـوتُـهُ إلى بَـدَواتِ الأمر حلـوَ شمائلُـهْ بين الجد والهزل
أخي ثقـةٍ إنْ ابتغِ الجِـدَّ عنـده أجدْهُ ويُلهيني إذا شئت باطلُـهْ

---

(١) هـو الفضـل بن العبـاس بن عتبـة اللّهبي أحـد شعراء بني هـاشم ، وكان ممن وفـد على عبد الملك بن مروان . راجع خبره في الأغاني ١٧٥/١٦ .

(٢) هذا البيت منسوب في حماسة البحتري ٥٩ إلى صالح بن عبد القدوس من أبيات يقول فيها :

قل للذي لست أدري منْ تلونـه أنـاصـح أم على غشٍّ يـداجيني
إني لأكثر ممـــا سمتني عجبـــاً يـد تشجُّ وأخرى منـك تـأسوني
تغتـابني عنـد أقـوامٍ وتـمدحني في آخرين وكلٌّ عنـك يـأتيني
هـنان أمران شتّى بـون بينهما فاكفف لسانيك عن ذمي وتزييني

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طـالب ، كان من فتيـان بني هـاشم وأجوادهم وشعرائهم ، وكان يرمى بالزندقة ، خرج بالكوفـة في آخر أيـام مروان بن محمد ثم انتقل إلى الجبل ثم خراسان فأخذه أبو مسلم الخراساني فقتله .

آخر :

مضون الصدر

وجرَّبَ حتّى لـو يشـاء إذا رأى أخـا وجْرٍ أنبـاه بمـا ضَمِنَ الصَّـدْرُ[1]

آخر :

تلبية الدعوة

دعـاني أخي والخيـلُ بيني وبينـه فلمـا دعـاني لم يجـدْني بقُعْـدُدِ

أي بضعيف . قال أبو سعيد السيرافي هذا أحد موضعي قعدد[2] .

شاعر :

لا حنين ولا تصدُّع

فمـا أصْبُ إلى إلفٍ أُفـارقُـه[3] وما تصـدَّعُ أحشـائي من الشَّفَقِ[4]

آخر :

تقادم العهد

إن الْمُحِبَّ إذا تقـادمَ عهـدُه نسيَ الحبيبَ وسام صاحبَه القِلى[5]

العرب تقول : السؤالُ عن الصديق إحدى القرابتين .

آخر :

شكوى من خيانة

بـأيِّ جريرةٍ أشكُـو الـزَّمـانـا لأولِ من وثقتُ بـه فَخَـانـا

آخر :

---

(١) الوجر : الكهف في الجبل والجمع أوجار .

(٢) القعدَد والقَعدَد والقعـدود : الجبـان اللئيم القـاعـد عن المكارم ويقـال : رجل قُعـدُودة : جبان .

(٣) ج ق ـ أحن . صبَّ إليه صبابةً : كلف به كقوله : « ولست تَصَبُّ إلى الظاعنين » .

(٤) الشفق : الخـوف والحـذر ، والشفـق الشفقـة وهي الرحمـة والرأفـة والحنـو والانعطـاف ، وقيل : الشفقة عطف مع خوف .

(٥) قلاه يقليه قلىً : أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه فهو « قالٍ وذاك مقليٌّ » .

قطيعة وانتخاب

تجنَّب صديق السوء واصْرِمْ حِبَالَهُ ... فإن لم تجدْ منه مَحيصاً فدارِهِ[1]
وصادقْ إذا صادقتَ حرّاً أو امرءاً ... كريماً من الفِتيان يَرْعى لجارِهِ

وقال :

الصاحب المتروك

هَبُوني امرءاً منكم أضلَّ بعيرَهُ ... له ذِمَّةٌ إن الذِّمامَ كبيرُ
وللصاحبِ المتروكِ أعظمُ حُرْمةٍ ... على صاحبٍ من أن يضلَّ بَعيرُ

آخر[2] :

ثمن الصداقة

وَفَّيْتُ كلَّ صديقٍ ودَّني ثَمَناً[3] ... إلاَّ المؤمِّلَ دولاتي وأيامي[4]
فإنَّني ضامنٌ ألاّ أكافئَه ... إلاّ بتسويغه فَضْلي وإنْعامي

آخر :

وفاء ورعاية

إذا كنت رَبّاً للقَلُوصِ فلا يكنْ[5] ... رفيقُك يمشي خلفَها غيرَ راكب
أنِخْها فاردِفْهُ فإن حَمَلَتْكُما ... فذاكَ، وإن كان العِقابُ فَعَاقِبِ[6]

آخر :

---

(١) المحيص : المحيد وللهرب من حاص يحيص : عدل وحاد ، وفي القرآن الكريم : ﴿ سَواءٌ عَلَينا أَجَزِعْنا أمْ صَبَرْنا مَالَنا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ [إبراهيم ٢١/١٤] .

(٢) البيتان للخليل بن أحمد كما في عيون الأخبار ١٥/٣ .

(٣) ج ق ـ ودنيء .

(٤) ج ق ـ دولاني . الدولات مفردها دُولة وهي التداول وبفتح الواو الداهية . والدَّوْلة : في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى .

(٥) ج ق ـ فلا تدع . القلوص من الإبل : الشابّة ، وهي أيضاً الناقة الطويلة القوائم . رب القلوص : مالكها وصاحبها .

(٦) عاقب فلاناً في الراحلة : ركب هو مرةً وركب الآخر مرة . والعقبة : النوبة والبدل ، والعقبة : الليل والنهار لأنهما يتعاقبان .

تبدل العتاب

كنَّا نعاتبُكم ليالِيَ عودُكم ... حلوَ المَذاق وفيكُم مُسْتَعْتَبُ
فالآنَ إذ ظهرَ التعتّبُ منكُم ... ذهب العتابُ فليس عنكم مَذْهبُ

آخر :

نبل وصراحة

وما أنا بالنكسِ الدنيء ولا الذي ... إذا صدَّ عني ذو المودَّة أحربُ
ولكنَّني إن دامَ دُمْتُ، وإن يكُنْ ... له مذهبٌ عنّي فلي عنه مذهبُ
ولستُ إذا ذو الودّ ولّى بودِّه ... بمنصرف آثو عليه وأكذبُ[1]
ألاَ إنَّ خيرَ الودِّ ودٌّ تطوَّعتْ ... به النفسُ لا ودٌّ أتى وهو مُتْعَبُ

يقال : أثَا فلان بفلان إذا وشى به أثْواً وإثاوَة ، سمعت ذلك من أبي سعيد السيرافي .

وأنشد اليَزيدي فيما رواه لنا ابنُ سيف :

قلّة الإخوان

ألاَ إنَّ إخوانَ الصفاء قليلُ ... فهل لي إلى ذاك القليلِ سبيلُ
قِسِ الناسَ تعرفْ غثَّهُمْ من سمينهم ... فكلٌّ عليه شاهدٌ وَدَليلُ

آخر :

الصديق المثالي

دَعْني من المرء وأعراقِهِ ... ومالِهِ الجمِّ وأوراقِهِ
فما الفتى كلُّ الفتى غير من ... يستعبدُ الناسَ بأخلاقِهِ
أخُوكَ مَنْ إن خفتَ من حادثٍ ... حَلَلْتَ منه بين آماقِهِ[2]
ليس بغدّارٍ ولا خائنٍ ... ولا كذوبِ الوعد مذّاقِهِ
ولا الذي يُخبر عن ودِّهِ ... والفعلُ لا يأتي بمصداقِهِ

(١) أثا أثْواً وإثاوةً به ، وأثى أثياءً وإثايةً به : وشى وسعى به ، والمأثية والمأثاة جمع مآثٍ : الوشاية .

(٢) آماق جمع مؤق ومآق : طرف العين مما يلي الأنف ، وهو مجرى الدمع من العين .

طوعُك ما دامتْ له سوقةً ... حتى إذا ارتاب بأسواقهِ
وأبصر الشَّرَّ بَدَا مُقبلاً ... شمَّر للمكروه عن ساقهِ
يذمُّ عند الناس إخوانَه ... ويمدَحُ الذمَّ بإشفاقهِ
يا ليتَهُ أعفاكَ من لَسْعةٍ ... ومن أياديهِ وأرقاقهِ
لا خيرُه قامَ به ... ولا أفاعيهِ بِدِرْياقِهِ[1]

وقال آخر :

الإغضاء على الأذى

وأُغضي على أشياءَ لو شئتُ قلتُها ... ولو قلتُها لم أُبْقِ للصُّلْحِ موضِعَا
وإنْ يَكُ عُودي من نُضارٍ[2] فإنني ... لأكرهُ يوماً أن أُحطمَّ خَرْوَعَا

آخر :

رياء وإغضاء

ويلقونني بالبِشْرِ ما دمتُ فيهمُ ... فإن غبتُ عنهم قطَّعوا الجِلْدَ بالسَّبِّ
وأُغضي على أشياءَ منهم تُريبني
ولولا اصطباري فاضَ من عُظْمها قلبي[3]

آخر :

مقابلة بالمثل

إذا المرءُ لم يُحْبِبْكَ إلاَّ تكرُّها ... عِراض العَلوق لم يكن ذاك باقيا
كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَهُ ... ونحن إذا مُتْنَا أشدُّ تغانيا[4]
ولستُ بهيَّابٍ لمن لا يَهَابُني ... ولستُ أرى للمرء ما لا يرى لِيَا

---

(١) الدِّرْياق : لغة في التِّرياق وهو دواء يدفع السموم ، والقطعة درياقة .
(٢) النضار (بضم النون) : خشب الأثل وقيل الطويل منه المستقيم الغصون . أجود الخشب للآنية . يقال قدح نضار أي اتخذ من نضار الخشب .
(٣) ج ق ـ ذاب .
(٤) ج ق ـ تفانيا . الأبيات للمغيرة بن حبناء كما في مجموعة المعاني ص ١٠٦ .

تعليق ابن كعب

كان ابن كعب يقول : أنا أستجفي[1] هذا القائل ، ولِمَ لا أرى لصديقي فوقَ ما يرى لي ؟ ولِمَ لا أعتبدُه[2] بالإغضاء ، والإحسان ، والتفضُّل ، والصَّبر ؟ وَلِمَ لا أقارضُه وأقايضُه ؟ ولم أرى أني مغبون إذا كان الرِّبحُ له ، ولِمَ لا أظلمُ نفسي في مرضاته وإن وجبَ أن نتساوى أبداً في الفعل والقول ، ونتكايسَ[3] في الانقباض والانبساط ، ونتحافظَ على اختلاس الحظ والنصيب ، فهل تركنا لأصحاب المذاب[4] والتطفيف[5] شيئاً[6] من الدناءة إلاَّ وأخذنا به ، ورأيناه مرغوباً فيه ، تالله ! ما هذا من الصداقة في شيء ، وإنه إلى الْخَسَاسة والنَّذالة أقرب .

ود العاقل والجاهل

وقال بعضُ العلماء : التمس وُدَّ الرجل العاقل في كل حين ، ووُدَّ الرجل ذي النُّكر في بعض الأحايين ، ولا تلتمس ودَّ الرجل الجاهل في حين .

صداقة العقل

قيل لديوجانيس : ألك صديق ؟ قال : نعم ، ولكني قليلُ الطاعة له ، قيل : لعله غيرُ ناصحٍ فلذلك أنت على ذاك قال : لا بل هو غاية في النُّصح ، نهايةٌ في الشفَقَة ، قيل : فَلِمَ أنت على دأبك هذا المذموم مع إقرارك بفضل صديقك ؟ قال : لأنَّ جَهْلي طِباعٌ ، وعلمي مكسوبٌ ، والطباعُ سابق ، والمكسوبُ تابع ، قيل : فدُلَّنا على صديقك هذا الناصحِ الْمُشفق

---

(١) استجفى : عدَّه جافياً ، والجافي : الكزّ الغليظ العشرة .

(٢) اعتبده واستعبده : اتخذه عبداً .

(٣) كاس يكيس كياسة : ظرف وفطن وسكن ضد حمق ، وكايسه مكايسة : غالبه في الكَيْس .

(٤) ذبَّ : دفع عنه ومنع ، وذبَّ فلان : اختلف فلم يستقم في مكان وأهل المذاب يروحون ويجيئون في السوق .

(٥) التطفيف : إنقاص الوزن من طفف المكيال : نقصه .

(٦) ج ق ـ نشأ .

حتى نخطبَ إليه صداقتَه ، ونجتهدَ في الطاعة له ، والقبول منه ، قال : صديقي هو العقل ، وهو صديقُكم أيضاً ، ولو أطَعْتُمُوه لسعدتُم ورَشَدتم ، ونِلْتُم مُناكم في أولاكم وأُخراكم ، فأما الصديقُ الذي هو إنسانٌ مثلُك فقلما تجده ، فإن وجدتَه لم يَفِ لك بما يَفِي به العقلُ ، ولم يبلغْ بك ما يبلغ بك العقل ، وربما أتعبك ، وربما حَزَبَك[1] ، وربما أشقاك ، فاكبَحُوا[2] أعنَّتكم عن الصديق الذي يكون من لحمٍ ودمٍ وعظْمٍ ، فإنه يغضب فيُفْرط ، ويرضى فيُسْرف ، ويُحسن فيُعدِّد ، ويُسيء فيحتج ، ويُشكِّك فَيَضِلُّ .

قال الشاعر : وصيّة مؤثرة

أخي لَنْ تستفيدَ ، الدهرَ ، مثلي ... شريكاً في الحياة وفي المماتِ / [١٥ ب]
أتتركني وأنتَ ترى مكاني ... وتطلُبني إذا حانتْ وَفاتي
فليس بنافعي طلبٌ بثأري ... وأخذُكَ مَنْ بغاني بالترات[3]
فإنْ أهملتني وطرحتَ حقِّي ... عليك فلا تَغَافلْ عن وَصَاتي
بَنيَّ إذا هلكتُ فلا تُضِعْهُمْ ... وصُنْ عَمَّنْ يُعادِيني بَناتي
فلو كنتُ الأسيرَ ولا تكنُهُ ... عزمتُ على حياتك لي حياتي

قال عيسى بن مريم عليه السلام فيما حدثنا ابن الجمل الكاتب النَّصراني[4] لتلامذته : علامَتُكم التي تُعرفون بها أنَّكم مني ؛ أن يَوَدَّ بعضُكم بَعْضاً . علامة الإخاء

---

(١) حزبه الأمر : أصابه واشتد عليه أو ضغطه فجأة . وفي الحديث الشريف : « كان إذا حَزَبَه أمرٌ صلّى » ، أي إذا نزل به مهم ، وأصابه غم . وفي حديث الدعاء : « اللّهمَّ أنت عُدَّتي إن حُزِبْتُ » .

(٢) م ـ من . كبح فلاناً عن الحاجة : ردّه عنها .

(٣) ج ق ـ بغاتي . الترّات : وتره يتره وتراً وترةً : أصابه بثأر أو ظلم فيه .

(٤) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٦٦/١ .

بين محبتين

وقال عيسى أيضاً لأيشوع[1] تلميذه : أما الربُّ فينبغي أن تحبَّه بكلِّ قلبك ، ثم تحبُّ قرينَك[2] كما تحبُّ نفسك ، قيل له : بيِّنْ لنا يا روحَ الله ما بين هاتَيْن المحبتَيْن حتى نستعدَّ لهما بتبصرةٍ وبيان ، قال : إنَّ الصديق تُحبُّه لنفسك ، والنفسُ تحبُّها لربِّك ، فإذا صُنْتَ صديقَك فلنفسك تصُونُ ، وإذا جُدْتَ بنفسك فلربِّكَ تجُود .

وقال الشاعر :

مغبة عدم الإنصاف

ومن لم يكن مُنصفاً في الإخاء ... إن زرتُ زارَ وإن عدتُ عادا
أَبَيْتُ عليه أشدَّ الإباء ... وإن كان أعلى قريشٍ عِمادا
وقارضتُه الوصْل كيْلاً بكيلٍ[3] ... ووزناً بوزن عليَّ لدادا
فإنْ هو صحَّح في ودّه ... جعلتُ اللسانَ له والفؤادا
وإن بدّل القولَ دون الفعالِ ... بَذَلتُ اللسان وصُنْتُ الوِدادا

النفاق والرياء

قيل لعبد الله بن المبارك[4] : إنَّ قوماً يلتقُون بالبِشْر والسلام[5] فإذا تفرّقوا طعنَ بعضُهم على بعض . فقال : أعداءُ غيبٍ ، إخوة تلاق[6] ، تبّاً[7] لهذه الأخلاق ، كأنما شُقَّتْ من النِّفاق .

---

(١) ج ق - يشوع .

(٢) ج ق - قريبك .

(٣) قارضه مقارضة وقراضاً : جازاه ، وتكون المقارضة في العمل السيء والقول السيء يقصد الإنسان به صاحبه تقول : « فلان يقارض الناس » أي يلاحيهم ويواقعهم ، وفي الحديث : « إن قارضت الناس قارضوك وإن تركتهم لم يتركوك » .

(٤) عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي الحافظ ، شيخ الإسلام المجاهد التاجر صاحب التصانيف والرحلات ، جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء ، مات سنة ١٨١ هـ .

(٥) ج ق - والسلم .

(٦) ج ق - التلاقي .

(٧) م - يالسؤة .

وقال آخر :

وإذا صَفَا لك من زمانك واحدٌ فهو المرادُ، وأينَ ذاك الواحدُ ندرة الأصدقاء

آخر :

وإنّ امرءاً يَصْلِي[1] الصديقَ بشرِّهِ لأوّلُ مَنْ يَبْقى بغير صديقِ حرمان الصديق

قال سعيد بن ميون : لقيتُ عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فصافحني ثم قال : قلة الثقات

إذا شئتَ أن تلقى خليلاً مُصَافياً لقيتَ ، وإخوانُ الثِّقاتِ قليلُ

فقلتُ : أمِثْلَكَ يقول الشعر ؟ فقال : أوَما علمتَ أن المصدورَ إذا نَفَث برأ .

وقال بُزُرجمْهر : عاملوا أحرارَ الناس بَمحْض المودَّة ، والعامة بالرَّغبة والرَّهبة ، وسُوسُوا السِّفْلة بالمحاور[2] صُراحاً . سياسة الناس

شاعر :

إذا صديقٌ نَكِرْتُ جانبَهُ لم تُعْيني في مَرامه الحِيَلُ نكران وثبات

آخر :

إذا المرءُ لم يبذلُ من الودِّ مثلَ ما بذلتَ له فاعلمْ بأني مُفارِقُهْ رفض ومماذقة
فإن شئتَ فارفضْهُ فلا خيرَ عنده وإن شئتَ فاجعلْهُ صديقاً تُماذِقُهْ

قلت للهائم أبي علي : مَنْ تُحِبُّ أن يكونَ صديقُك ؟ قال : من وكيل لا صديق

(١) ج ق - يجزي .

(٢) محاور ، جمع محور : عود الخبّاز والخشبة التي يبسط بها العجين وهي أيضاً القطعة يدور عليها الشيء .

يُطعمني إذا جُعْتُ ، ويكسُوني إذا عَريتُ ، ويحملُني إذا كَلَلْتُ ، ويغفرُ لي إذا زلَلتُ ، فقال له علي بن الحسين العَلوي : أنتَ إنما تُريد إنساناً يكفيكَ مَؤونتَك ، ويكفُلُكَ في حالك ، كأنما تمنيتَ وكيلاً فسمَّيتَهُ صديقاً ، فما أحَارَ جَواباً[1] .

صفات مطلوبة

وقلت للبَنَويّ ولقيتُه بالدَسْكَرَة[2] سنة خمسٍ وستين : مَنْ تحب أن يكون صديقك ؟ قال : من يقيلني إذا عثرت ، ويقوِّمني إذا ازوررتُ ، ويهديني إذا ضللت ، ويصبر عليَّ إذا مللتُ ، ويكفيني ما لا أعلم وما علمت .

الصديق هو الصادق

وسمعتُ أبا عامر النَّجْدي يقول : الصديقُ من صَدَقَك عن نفسه لتكونَ على نورٍ من أمرك ، ويصدقُك أيضاً عنك لتكونَ على مثله ، لأنكما تقتسمان أحوالكما بالأخذ والعطاء ، في السرَّاء والضرَّاء ، والشدَّة والرَّخاء ، فليس لكما فرحةٌ ، ولا تَرْحةٌ ، إلاَّ وأنتما تحتاجان فيهما إلى الصدق والانكماش ، والمساعدة على اجتلاب الحظ في طلب[3] المعاش .

أليف لا صديق

وقال أيضاً : قيل لأعرابي : ألَكَ صديق ؟ قال : لا ولكن أليف[4] .

شاعر :

رياء وصفح

ويلقونني بالبِشْر مادمتُ فيهمُ ... فإن غِبْتُ عنهم قطَّعوا الجِلْدَ بالسَّبِّ
وأُغضي على أشياءَ منك تُريبني ... ولولا اصطباري فاضَ عن عُظْمها قلبي

(١) أحار إحارةً الجواب : ردَّه ، ومنه « لم يُحِرْ جواباً » أي لم يرد جواباً .

(٢) الدَّسكرة : اسم لعدة قرى فهي : قرية كبيرة غربي بغداد ، وقرية في طريق خراسان قريبة من شهرابان ، وقرية مقابل جبّل من نواحي الأهواز ، وقرية بخوزستان . راجع معجم البلدان لياقوت ٦٠/٣ .

(٣) ج ق ـ طيب .

(٤) الأليف : الصديق المؤانس . ألفه ألفاً : أنس به وأحبه . والاسم الإلفة .

وما ذاك من ضَعْفٍ ولا سوء مَحْتِدِ ولكنْ تناسي الذنب أقطعُ للذنبِ

آخر :

لقد أسمعُ القول الذي كاد كلُّما تُذكّرُنيهِ النفسُ قلبي يَصْدعُ — ترك الشّر
فأُبدي لِمَنْ أبداهُ مني بشاشةً كأنيَ مسرورٌ بما منه أسمعُ
وما ذاك من عجبٍ به غير أنّني أرى أنَّ تَرْكَ الشَّرّ للشَّرّ أقطعُ

آخر :

نغيب إذا غبنا بنصحٍ ونلتقي بأحسنَ ما إلفانِ مُلتقيانِ[1] — لقاء وشكوى
ونخفي الهَوَى عمن أخاف وإنّنا[2] إلى من أمنّاه لمشتكيانِ

آخر : / [١٦آ]

يحيي ويَسْتحيي إذا ما لقيتُه وإن غبتُ أو ولّيتُ أرتَعَ في عرضي[3] — حياء ونفاق
ولو شئتُ قد عَضَّ الأناملَ نادماً وأوطأته عن ذاك في منزلِ دَحْضِ[4]
ولكنّه إحدى يديَّ فلم أجِدْ سبيلاً إلى صَوْلٍ لبعضي على بعضِ[5]

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فأنتَ أخي ما لم يكُنْ لي حاجةٌ فإن عرضتْ أيقَنْتُ أن لا أخا لِيَا — صديق عند الحاجة

---

(١) ج ق ـ ما الإلفان .

(٢) ج ق ـ يخون .

(٣) رتعت الماشية في المكان رَتْعاً ورتوعاً ورِتاعاً : أكلت وشربت ماشاءت في خصب وسعة ، ورتع فلان في مال فلان : تقلّب فيه أكلاً وشرباً ورتع زيد في لحم عمرو : اغتابه .

(٤) مكان دَحْض ودَحَض : زَلِق ، والمدحضة : المزلّة ، يقال : هذه مدحضة القوم أي مزلّتهم .

(٥) صال على قرينه يصول صولاً : سطا عليه واستطال عليه وقهره حتى يذلّ له .

فلا ازدادَ ما بيني وبينك بعدما بلوتُكَ في الحاجات إلاَّ تماديَا[1]

وله :

إجمال الصّد

أصدُّ صدودَ امرئٍ مُجمِلٍ إذا حالَ ذو الوُدّ عن حَالِه
ولستُ بمُسْتعتبٍ صاحباً إذا جعل الصَّرمَ منْ بالِهِ[2]
ولكنَّني صارمٌ حَبْلَهُ وذلك فعلي بأمثالِهِ[3]
وإني على كلِّ حالٍ لَهُ من إدبارِ ودٍّ وإقبالِهِ[4]
لَراعٍ لأحسنَ ما بيننا لحفظِ الإخاء وإجمالِهِ[5]

وأنشد الأصمعي[6] :

إساءة وصفح وعطاء

إذا ما امرؤ ساءَتْكَ منْهُ خليقةٌ ففي الصَّفْح طيٌّ للذُّنوب جميلُ
وإني لأعطي المالَ مَنْ ليس سائلاً حِفاظاً وإخوانُ الحِفاظ قليلُ

---

(١) في مجموعة المعاني ص ١٠٦ طبعة الجوائب وردت أبيات أربعة على الشكل الآتي :

رأيت فضيلاً كان شيئاً ملففاً فكشّفه التمخيضُ حتى بدا ليا
فلا زال ما بيني وبينك بعدما بلوتك في الحاجات إلاّ تماديا
فلست براءٍ عيب ذي الودّ كله ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكنّ عينَ السخط تُبدي المساويا

راجع الحماسة لابن الشجري ص ٦٦ .

(٢) في حماسة البحتري ص ٧٥ : الهجر .

(٣) بزيادة هذا البيت من حماسة البحتري :

ومهما أدلَّ بحقٍّ لَهُ عرفتُ لَهُ حقَّ إدلالِهِ

(٤) ج ق ـ بإدبار .

(٥) في الحماسة : وإجلاله .

(٦) هو أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب وأحد فحول اللغة المصنفين فيها ، ولد في البصرة سنة ١٢٢ وتوفي فيها سنة ٢١٦ هـ ، كان كثير الطواف في البوادي يجمع الأخبار والأشعار . وكان الرشيد يسميه (شيطان الشعر) وله تصانيف كثيرة .

حنين أعرابي

حدَّثني أبو حامد العَلوي ، وكان من الحجاز ، سنة سبعين وثلاثمائة بمدينة السلام قال : رمى[1] أعرابي من بني هلال عن حيِّه إلى أطراف الشام فقيلَ له : مَنْ خلَّفت وراءَك ؟ قال : خلفتُ والداً ووالدةً ، وأختاً ، وابنَ عم ، وبنتَ عم ، وعشيقة ، وصديقاً ، قيل له : فكيف حنينُك إليهم ؟ قال : أشدُّ حنين ، قيل : فَصِفْهُ لنا ؟ قال : أما حنيني إلى والدي فللتعزُّز به ، فإن الوالد عَضُدٌ ورُكْنٌ يُعاذ بها[2] ، ويُؤوى إليها[3] ، وأما نِزَاعي[4] إلى الوالدة فللشفقة المعهودة منها ولدُعَائِها الذي لا يَعْرُجُ[5] إلى الله مِثْلُه ، وأما شوقي إلى الأخت فللصِّيانة لها ، والتروح[6] إليها ، وأما شوقي إلى ابن العم فلِلْمُكانَفَةِ[7] له والانتصار به ، وأما ابنةُ العم فلأنها لحم على وَضَم[8] أتمنى أن أُشْبُلَ[9] عليها بالرِّقَّة ، أو أصِلَها ببعض مَنْ يكونُ لها كفؤاً ، ويكونُ لنا إلفاً ، وأما صبَابتي بالعشيق فذاك شيء أجِدُهُ بالفِطْرة والارتياح الذي قلما يَخْلو منه كريمٌ له في الهوى عِرقٌ نابض ، وفي الْمُجُون جَوَاد راكض . وأمَّا الصديقُ فوجْدي به فوق شَوْقي إلى كل من نعتُّه لك لأني أباثُّهُ[10] بما أجلُّ أبي

---

(١) أرمت به البلاد : أخرجته .

(٢) ج ق - به .

(٣) ج ق - إليه .

(٤) نزع إلى الشيء نزاعاً ، ذهب إليه وحنَّ إليه .

(٥) عرج يعرج عروجاً ومعرجاً في السلم : ارتقى . عُرج به : صعد به .

(٦) الروح : الراحة ، وهو أيضاً النسيم البارد .

(٧) كنف الشيء : صانه وحفظه وحاطه . كنف الرجل وأكنفه وكانفه : أعانه . والكنف : الحضن أو العضدان والصدر . يقال : « أنت في كنف الله » أي في حرزه ورحمته .

(٨) الوضم : خشبة الجزّار التي يقطع عليها اللحم والجمع أوضام وأوضمة . ومن المجاز : هو لحم على وضم أي ذليل . وتركهم لحماً على وضم أي أوقع بهم وذلَّلهم وأوجعهم .

(٩) أشبل عليه : عطف عليه وأعانه .

(١٠) بثَّ وباثَّ وأبثَّ فلاناً الخبر : أطلعه عليه وكاشفه به .

عنه ، وأجبأ[1] من أمّي فيه ، وأطويه عن أختي خجلاً منها ، وأُداجي[2] ابن عمي عليه خوفاً من حَسَدٍ يَفْقَأ ما بيني وبينه ، وأكنّي عن بنت عمي بغيرها[3] لأنها شقيقةُ ابن العم ، ومعها نصف ما معه ، وهي من الشجرة التي تَلفُّنا عيصُها[4] ، وتلتقي علينا أفنانها ، ويجمعنا ظلّها . فأما العشيقة[5] فقُصاري[6] معها أن أشوبَ[7] لها صِدْقاً بكذب ، وغِلْظةً بلينٍ لأفوزَ منها بحظٍّ من نظر ، ونصيبٍ من زيادة ، وتُحفةٍ[8] من حديث ، وكلُّ هؤلاء مع شرف موقعهم مني ، وانتسابهم إليَّ دون الصديق الذي حريمي له مُبَاح ، وسارحي[9] عنده مُراح[10] ، أرى الدنيا بعينه إذا رَنَوْت ، وأجد فائتي عنده إذا دَنَوْتُ ، إذا عززت به[11] ذلَّ لي ، وإذا ذللتُ له عزَّ بي ، وإذا تلاحظنا تساقَيْنا كأس المودة ، وإذا تَصَامَتْنَا تناجينا بلسان الثِّقة ، لا يَتَوارى عني إلاَّ حافظاً للغيب ، ولا يتراءى لي إلاَّ ساتراً للعيب . قيل له : فهل نَمى إليك خبرُه منذ بانَ عنك أثرهُ ؟ قال : نعم ، لحقني بعضُ فتيان الحيّ أمسِ فسألتُه قَرابتي وعشيرتي فنَعَت لي كلاً ، وأطابَ أخبارهم ، حتى إذا سألتُه

(١) جبأ وجبئ : ارتدع وكره .

(٢) داجى مداجاة : داراه .

(٣) م ـ بغيره .

(٤) ج ق ـ أغصانها . العيص : الشجر الكثير الملتف وما اجتمع وتدانى من العضاه وهو كل شجر يعظم وله شوك . الواحدة عضاهة وعضة .

(٥) ج ق ـ العشق . العشيق : المعشوق والعاشق .

(٦) القُصارى : الجهد والغاية ، يقال : « قُصاراك أن تفعل كذا » أي جهدك وغايتك وآخر أمرك .

(٧) شاب الشيء يشوبه شوباً وشياباً : خلطه فهو شائب .

(٨) التُّحفة (بسكون الحاء وفتحها) الهدية والبرّ واللطف ، والجمع تحف .

(٩) السارح : الماشية والراعي الذي يسرح الإبل .

(١٠) المراح : مأوى الإبل والبقر والغنم أي موضع راحتها في الليل .

(١١) ج ق ـ له .

عن الصديق قال : ماله هِجِّيرَى[1] سِوَاك ، إنْ عَبَّر فباسمك يستقل ، وإن تَنَفَّس فبذكرك يَقطع ، وإذا أوى إلى ندوةِ الحي فبلسانك ينش[2] وجودك يذكر ، لا يمرُ بمعهدٍ لك إلاَّ حيَّاه ، ولا بمكان حلّه معك إلاّ تبواه ، فقلتُ له : كفَّ قليلاً فقد أجَّجتَ في صدري ناراً كانت طافئةً ، وأبديتَ صَبَابةً كانت خافيةً ، وما أراني منتفعاً[3] بالعيش دون أن أشْخَصَ إليه غيرَ مُبَالٍ بهذه المِيرَة والغِيرَة[4] التي خرجت من جرَّاهما[5] .

قال أبو حامد : فضرب والله كَبِدَ راحلته إلى حيِّه ، وترك ما كان فيه مُستعراً مستقتراً[6] . قلت لأبي حامد : ما أفصحَ هذا اللفظَ ، وما أرقَّ هذا الحديثَ ، لكني أنكرتُ قوله : جوادٌ راكض ، قال : أراد ذو رَكْضٍ ، ومثل هذا يندُر في كلامهم .

[شاعر] :

طَوَى الكشحَ عمرٌ وللصديق على حقدِ ... وغنَّى له من شدَّة الكَرْب والوجْدِ

حقد ووجد

ألا يا صبا نجدٍ متى هِجْتَ من نجدِ ... لقد زادني مَسْراك وَجْداً على وَجْدِ[7] /

[١٦ ب]
صبا نجد

أمَا في صروف الدهر أن ترجع النوى ... بلى وبذاك القرب يوماً من البعدِ

إرجاع النوى

---

(١) الهجِّيرى : العادة والدأب . يقال : هذا هجِّيراه أي دأبه وعادته .

(٢) النشيش : صوت الماء إذا غلى وصوت غليان القدر وصوت اللحم على المقلى أو في القدر .

(٣) ج ق ـ متمتعاً .

(٤) الميرة : مار يمير ميراً وكذلك أمار عياله : أتاهم بالطعام والمونة . الغيرة : الميرة .

(٥) يقال : فعلت ذلك من جرَّاك وجرائك وجراك وجرائك أي من أجلك .

(٦) تقتَّر واستقتر : تهيَّأ للأمر للقتال والصيد ، واستقتره : حاول ختله والاستمكان به . وسعر في حاجته : طاف . وسعر الفرس سعراناً : عدا شديداً ، وسعر النار والحرب : أوقدها وأشعلها وهيَّجها .

(٧) هذا البيت من قصيدة لابن الدُّمنية راجع الديوان ص ٨٥ طبعة راتب النَّفَّاخ .

رأي لأبي دلف

وسمعتُ أبا دُلَف الخزرجي يقول : أنا أستجفي الشاعر الذي يقول :

والله لا كنتَ في حسابي ... إلاّ إذا كنتُ في حسابكْ
فإن تزرْني أزُرْكَ او إنْ ... تقفْ ببابي أقفْ ببابكْ

وكان يقول : ما هذه الغِلْظة والفَظَاظة ، وما هذه المُكايسة والمُصادقة ، أفليس لوقابلك صاحبُك بمثل هذا الأمر وقف الأمرُ بينكما ، وانتكَثَ حبلُ المودَّة عنكما ، ودبَّت الشَّحْنَاء[1] في طيِّ حالكما .

كتاب أبي النفيس

وكتب أبو النَّفيس[2] إلى صاحبٍ له كان يغشاه كثيراً ، ويباثُّه طويلاً :

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس يَنبغي ـ أبقاكَ الله ـ أن تغضبَ على صديقك ، إذا نَصَح لك في جليلك ودقيقك ، بل الأقمنُ[3] بك ، والأخلقُ لك أن تتقبَّلَ ما يقولُه ، وتُبدي البشاشةَ في وجهه ، وتشكرُه عليه حتى يزيدَك في كل حالٍ ما يجملك ، ويَكْبِتُ عدوَّك ، والصديقُ اليومَ قليلُ ، والنُّصحُ أقلُّ ، ولن يرتبطَ الصديق إذا وُجد بمثلِ الثقة به ، والأخذِ بهَدْيه ، والمصير إلى رأيه ، والكون معه في سرّائه وضرّائه ، فمتى ظفرتَ بهذا الموصوف فاعلمْ بأنَّ جَدَّك قد سَعِدَ ، ونجمك قد صَعِدَ ، وعدوَّك قد بَعُدَ والسلام .

شاعر :

---

(١) ج ق ـ ودنت . الشحناء : عداوة امتلأت منها النفس من شحن السفينة شحناً : ملأها ، وشحن عليه : حقد عليه ، وتشاحن القوم : تباغضوا .

(٢) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٨٦/٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٣٨/٣ ، كما ورد ذكره في البصائر والذخائر ٣٢/١ ، ٢٥٧ .

(٣) القمِن : الخليق والجدير والجمع قمناء . الأقمن : الأجدر .

لبث الهموم

وكان الصديقُ يزورُ الصديقَ لِشُربِ الْمُدام وعَزْف القِيان
فصار الصديق يزور الصديق لبَثُّ الهمومِ وشكوى الزمان

شاعر :

حتمية العيوب

أتطلبُ صاحباً لا عيبَ فيه وأيُّ الناسِ ليس له عُيوبُ

لذة طرح الحشمة

قال مُعاوية بن أبي سُفْيان : أكلتُ الطعام حتى لم أجد طَعْمَهُ ، وركبتُ الدَّوَابَّ حتى استرحتُ إلى الْمَشي ، ونكحتُ الحرائرَ والإماءَ حتى ما أُبالي وَضَعْتُ ذَكَري في فَرْجٍ أو حائطٍ ، وما بقيَ من لذَّتي إلاَّ جليسٌ اطَّرحُ بيني وبينه الحِشْمة .

شاعر :

رفق وعدوان

وواثقٌ باعتقادي ليس يُنصفُني إذا تزيَّدتُ رِفْقاً زَادَ عُدْوانا
أضرَّ بي حُسْنُ خلقي عند عِشْرتِه وربَّما ضرَّ حُسْنُ الْخُلق أحيانا

وأنشد العطَّافي فيما رواهُ لنا المرزُباني عن أبي عمرو عنه :

عنف العتاب

عُنْفُ العتابِ مَلَجَّةٌ[1] فتوقَّ من عُنْفِ العتابِ
واستبق خلَّةَ مَنْ يلومُ فذاك أدنى للإياب
واصفحْ عن الأمر الذي إعلانُه[2] هَتْكُ الحجابِ

آخر :

كبرياء والتواء

كفى حَزَناً ألاّ صديقٌ ولا أخٌ أفادَ غنىً إلاَّ تداخلَهُ كِبْرُ
وإلاَّ التوىَ أو ظنَّ أنك دُونه وتلكَ التي جلَّت فما عندها صَبْرُ

(١) لجَّ يلجُّ لججاً ولجاجاً ولجاجةً : عَنَد في الخصومة وتمادى في العناد إلى الفعل المزجور عنه .

(٢) ج ق ـ علاته .

فلا زادَ فوق القوتِ مثقالَ ذَرَّةٍ ... صديقٌ ولا أوفى على عسره يُسْرُ
وما ذاك إلاّ رغبةً في إخائه ... وإلاّ حَذار أن يميلَ به الغَدْرُ
ومَنْ صَحِبَ الأيامَ عاتبَ صاحباً ... وحالفَ عُذّالاً وأدّبهُ الدَّهْرُ

امرؤ القيس :

صبر وجلد

وخَليلٍ قد أُفارقُهُ ... ثمّ لا أبكي على أثَرِهْ[1]

شاعر :

زهد بالصداقة

لا مَرْحباً بوصالِ ذي مَلَقٍ ... تُكدي مودّتُه ولا تُجدي[2]
وإذا الصديقُ ذممتُ خلّتَه ... صيَّرتُ قطعَ حباله وَكْدي[3]
حتى أرى خِلاً يعاشرُني ... بمودةٍ أطرىَ من الوَرْدِ

آخر :

نهب مقسّم

وصلتُك لَمّا كان ودُّك خَالصاً ... وأعرضتُ لما صار نَهْباً مقسّما
ولن يلبثَ الحوضُ الوثيقُ بناؤهُ ... على كثرة الوُرّاد أن يتهدّما

شاعر :

بغض وظنّة

ليهنئك بغضٌ في الصَّديق وظِنَّةٌ[4] ... تحدّثك الشيءَ الذي أنتَ كاذبُهْ

---

(١) ج ق - وجليل . البيت من قصيدة مطلعها :

ربّ رامٍ من بني ثُعَلٍ

راجع : ديوان امرئ القيس ص ٨٦ .

(٢) أكدى الرجل : أخفق ولم يظفر بحاجته . وفلان مكدٍ : لا ينمي ماله ، وكلها من الكُدْية وهي الأرض الصلبة الغليظة ومنها : طلب إليه فأكدى أي وجده مثل الكُدْية لا تجدي .

(٣) الوكد : المراد والقصد والهمّ .

(٤) ج ق - وظنه . الظنّة : التهمة .

كتاب لابن المعتز

وكتب عبدُ الله بن المعتز[1] إلى صديق له : قد أعدتَ ذكرَ تصحيح المودّة وإخلاص الْمُوالاة بعد أن أكدها اللهُ لك مني ، ومنك عني ، وحللتَ أعلى المراتب من قلبي ، وحُزْتَ أجزلَ الحظوظ من ودّي ، وخاطبك بذلك ضميري ، وظهر شاهدُه من فعلي ، فلا تُزْرينَّ[2] على ما بيننا بالاستزادة بما لا مزيدَ فيه ، والتذكير[3] بما لا يُنسى ، والتجديد لما لا يُخلق ، والوصف لما قد عُرف ، حتى كأنَّ الإخاء مُعْتَلٌّ ، وعقدَ الوصْل مُنْحَلٌّ ، والثقةَ لم تقعْ ، والهجرَ مُتوقَّعْ ، وسوءَ الظن يَفْري ويَدَعُ .

[لآخر] :

دعوة إلى الاعتدال

أحببْ حبيبك هَوْناً ما ، عسى أن يكون بَغيضَك يوماً ما ، وأبغضْ بغيضَك هوناً ما ، عسى أن يكونَ حبيبَك يوماً ما .

وكتب آخر :

اعترافات ولي

أنا والله الوليُّ الْمُخْلص ، والوادُّ المصحِّح ، ومَنْ إذا شدَّ عقدةً أوثقها ، وإذا عَقَد مودةً صَدَقَها ، والْمُماذِقُ أخو الْمُنَافِق ، والشاهدُ هدفٌ / للغائب ، والرجلُ يُعرف موقعُ رأيه إذا مال ووالَى ، وإذا انحرف وعادَى ، وإذا اجتنبَ واجتبى[4] ، وحركاتُ الإنسان ملحوظةٌ ، وأعمالُه محفوظةٌ ، [١٧آ]

---

(١) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المعتصم بن الرشيد العباسي الشاعر المشهور الذي لم يدم حكمه سوى يوم وليلة . ولد في بغداد سنة ٢٤٧ هـ وقتله غلمان المقتدر سنة ٢٩٦ هـ . ويقول عنه الصولي : « من شعراء بني هاشم المتقدمين وعلمائهم ... وكانت داره مغاثاً لأهل الأدب » . ولابن المعتز ديوان شعر مطبوع وكتب كثيرة أشهرها كتاب (طبقات الشعراء) و (كتاب البديع) .

(٢) أزرى : أدخل عليه عيباً أو أمراً يريد أن يلبس عليه به .

(٣) ج ق ـ التذكر .

(٤) اجتباه : اختاره واصطفاه .

وتصرُّفُه بين وليٍّ مُشْفِقٍ ، وعدوٍّ مُطْرِقٍ ، وكلٌّ يرصدُه وينقده ، وللسانه فَلَتات ، ولقلبه هَفَوات .

بين التوبيخ والتأنيب

وقال بعضُ البُلغاء : ليس تكَمُّلُ محاسنُ الصَّفْح إلاَّ بالإضراب عن مذلَّة التوبيخ ، فإن التأنيبَ أوجعُ وقْعاً في وجه الكريم ، من وقع الضرب في بَدَن اللئيم .

جزاء الموبِّخ

وقال أعرابي : الموبِّخ بعد العفو أولى بالتوبيخ ، لأنه أفسد النِّعمة بالتذكير ، وقبَّح الصفحَ بالتعيير[1] .

العفو الصحيح

وقال سَهْلُ بنُ هارون[2] : العفوُ الذي يقومُ مقام العُتق[3] ما سلم من تَعْداد السَّقطات ، وخلَص من تذكار الزَّلاَّت .

اغتفار الزَّلات

وقال رجلٌ للفضل بن سَهْل ذي الرئاستين : أنتَ أحقُّ من تغمَّد[4] هذه الفَرْطة ، واغتفر هذه السَّقْطة .

---

(١) ج ق ـ التعبير . التعيير : التقبيح والنسبة إلى العار .

(٢) هو أبو عمرو سهل بن هارون بن راهبون الدستيساني ، نسبة إلى دستيسان وهي كورة بين واسط والبصرة والأهواز ، حكيم فصيح شاعر ، ويقول صاحب الفهرست ١٧٤ : « وكان متحققاً بخدمة المأمون ، وصاحب خزانة الحكمة له ، فارسي الأصل ، شعوبي المذهب ، شديد العصبية على العرب ، وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل » ... وكان أبو عثمان الجاحظ يفضله ، ويصف براعته وفصاحته قال في وصفه (البيان والتبيين ٥٢/١) : ومن الخطباء الشعراء الذين قد جمعوا الشعر والخطب ، والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الكبار المخلدة ، والسير الحسان المدوَّنة ، والأخبار المولَّدة : سهل بن هارون بن راهبوني الكاتب ، صاحب كتاب ثعلة وعفرة في معارضة كليلة ودمنة ، وكتاب الإخوان ، وكتاب المسائل ، وكتاب المخزومي والهذلية وغير ذلك من الكتب . توفي سهل سنة ١٧٣ هـ .

(٣) العتق : الإخراج من الرِّق إلى الحرية .

(٤) غمد الشيء : ستره ، غمده وتغمده : ستر ما كان منه . الفرطة : العجلة والأمر الذي فرط فيه صاحبه .

تعريف الودود

وقال أعرابي : الوَدُود من عذر أخاه ، وآثره على هواه .

ذكريات ثمينة

وكتب النصير إلى صديقٍ له : سُقْياً لدهرٍ لما خلي بنا ، خَلا منّا ، ولما تصدّى لنا ، تولّى عنّا ، تلك أحقُّ الأيام بالذكرى .

استحقاق الأنس

وقال الأحْوص الْمَدَني[1] : اجعل أُنسَك آخرَ ما تبذلُ من ودّك ومن الاسترسال ، حتى تجدَ له مُستحقاً .

بين الجود والجفاء

وقال أعرابي : إذا جادَ لك أخوك بأكثره ، فتجافَ له عن أيسره .

استبقاء واستقصاء

وقال آخر : الْحُرُّ يُؤثر كرمَ الاسْتبقاء ، على لؤْم الاسْتِقصاء .

دعاء وتعوّذ

وكتب الْجَرَّاحي[2] إلى صديقٍ له : حَرَسَني اللهُ من الشَّكِّ في إخلاصك ، وأعاذَني من سوء التوكُّل عليك ، وأجارَني مما يُوحش منك ، ويُباعدُ عنك .

رجاء

وقال النصير لصاحبٍ له : أرجو أن يكونَ فيما لنا عندك ، دليلٌ على ما عندنا لك ، وإن كنتَ بالفضل أوْلى ، وبالمكرمة أحْرى .

بحث وتبيّن

وأخبرنا عليٌّ بن عيسى قال : أنبأنا ابنُ دُرَيْد قال : أنشدنا عبدُ الرحمن عن عمه الأصمعي قال : وأظنّها لابن قيس الرُّقَيَّات :

لا يعجبنَّك صاحبٌ حتى تبينَ ما طِباعُهْ
ماذا يَضنُّ به عليكَ وما يجودُ به اتساعُهْ
أوْ ما الذي يَقوى عليه وما يَضيقُ به ذراعُهْ
وإذا الزمانُ رمى صفاتك بالحوادثِ ما دفاعُهْ

(١) هو عبد الله بن محمد الأنصاري شاعر هجّاء من طبقة جميل بن مَعْمر ونُصَيْب كان معاصراً لجرير والفرزدق ، راجع أخباره في الأغاني : ٤/٢٢٤ ـ ٢٦٨ .

(٢) هو أبو طالب الجراحي ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ١/٦٨ .

فهنـاك تَعْرِفُ مـا ارتفـاعُ هـوَى أخيـك ومـا اتِّضـاعُـهْ

آخر :

ثبات وتقلب

فَمَنْ يكُ لا يدومُ له وصـالٌ ... وفيـه حين يَغْتَرِبُ انقلابُ

فعهـــدي دائمٌ لهمُ وودّي ... على حالٍ إذا شهدوا وغَابوا

وأنشد الأصمعي ولم يُسَمِّ قائله :

تعبير العين

تُبْدي لك العينُ ما في نفس صـاحبهـا ... من الشَّنـــاءَة أو ودٍّ إذا كانـــا

إنَّ البغيض لـه عَيْنٌ يَصُـدُّ بهـا ... لا يستطيعُ لما في الصَّـدر كِتْمانـا

وعينُ ذي الـوُدِّ مـا تنفـكُّ مُقبلـةً ... ترى لها مَحْجراً[1] بَشّاً وإنسـانـا[2]

والعينُ تَنْطِـقُ والأفـواهُ صـامتـةٌ ... حتى تَرَى من ضمير القلبِ تِبْيَانـا[3]

طباع الكريم

قال أبو هاشم الحرّاني[4] : ومن طباعِ الكريم وسجاياه رِعـايـةُ اللقـاءَة الواحدة ، وشكرُ الكلمة الحسَنـة الطيِّبـة ، والمكافـأةُ بجزيل الفـائـدة ، وأن لا يوجد عند عَرْض الحاجة مستعمِلاً سَوْمَ عَالَّةٍ[5] .

(١) المحجر (بفتح الميم وكسرها وفتح الجيم) من العين : ما دار بها والجمع محاجر .

(٢) بشّ بشّاً وبشاشةً فهو بشّ وبشوش وبشّاش : كان طلق الوجه .

(٣) بان بياناً وتبياناً (بفتح التاء وكسرها) اتّضح وظهر .

(٤) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٣٨/١ ، وفي مثالب الوزيرين ٨٢ .

(٥) عرض عليّ سَوْم عالَّة : وهو بمعنى قول العامة عرض سـابريّ يضرب هـذا مثلاً لمن يعرض عليك ما أنت عنه غني كالرجل يعلم أنـك نزلت دار رجل ضيفـاً فيعرض عليـك القِرَى . وفي أساس البلاغة للزمخشري ص ٢٢٦ : « عرض عليّ الأمر سوم عالَّة » أي عرضاً سابرياً كما تسامُ العالَّة على الشرب لا يستقصى في ذلك لأنها رويت بالنهل . السابري : نسبـة إلى سابور وهي كورة بفارس ، قال الشاعر :

وعيشٍ كمسِّ السابريّ رقيقِ

ومنـه المثل : « عَرْض سـابري » يقولـه من يعرض عليـه شيء عَرضـاً لا يُبـالَـغ فيـه لأن السـابريّ من أجود الثيـاب يرغب فيـه بـأدنى عرض . العلل : الشرب الثـاني . النهـل : الشرب الأول .

وأنشدَنا ابنُ كَعْب لعبد الله بن مُعاوية :

العهد للزدوج

العهـدُ عَهْـدانِ فعهـدُ امرئٍ يـأنَفُ أن يُعـذرَ أو يُنقضـا
وعهـدُ ذي لَـوْنَيْن مَـلالـةً يـوشـكُ إنْ ودَّك أن يُبْغضـا
إن لم تَـزُرْهُ قـال قـد ملَّني وبـالحري إن زُرْتَ أن يُعْرضـا
شيمتُـه مثـلُ الخِضـاب الـذي بيْنـا تراه قـانيـاً إذا نَضَـا[1]

انقطاع العروة

قال العبَّاس بن الحسن العَلَويّ لما مات الزُّبيري[2] : رحم الله أبا بكر فَقَدْتُه فما تمسَّكتُ بعده من أخٍ بعُرْوة إلاّ تجذّمت[3] في يدي .

حق الصديق

وعزَّى يزيد بن جَرير آخر فقال : إني لم آتك شاكّاً في عزمك ، ولا زائداً في علمك ، ولكنه حقُّ الصديق على الصديق ، فإن استطعت أن تَسْبِقَ السُّلْوَةَ بالصَّبر فافعلْ .

وكتب عبدُ الله بن العبَّاس بن الحسن العَلَوي إلى صديقٍ له : أمَّا بعدُ فمثلُ إعظامي إيَّاك دَعَا إلى الانقباض عنك ، ومثلُ ثقتي بك دَعا إلى الانبساط إليك ، فلَمَّا تكافأ هذان في نفسي كان أملكُهما بي ، وأوْلاهُما بالأثَرة عندي أقربَهما إلى موافقتك ، وأوقعَهما بمحبَّتك . فعلمت أن أسَرَّ إخوانك لك أفزعُهم عند الملمَّات إليك ، وأوثقُهم عند حوادث الأمور بك ، ثم شَفَع ذلك عندي ما يدعُو إليه المرء نفسه ، وتُنازعه نحوه من الطلب وتُثقل عليه المؤونة فَيُدْمِنُ الإمساك .

وكتب غسَّان بن عبد الحميد الْمَدَني إلى جعفر بن سُليمان الهاشمي يعاتبه : بلغني أن غاشّاً ظالماً أتاك بأمرٍ لم أكُنْ له أهْلاً ، ولم تكُنْ بقبوله

(١) القاني : الأحمر . نضا الخضاب نَضْواً ونُضُواً : نصل وذهب لونه .
(٢) عبد الله بن مصعب عامل الرشيد على المدينة واليمن . البيان والتبيين ٣٢٠/١ .
(٣) ج ق ـ تحزّمت . جذمه جذماً وجذّمه فانجذم وتجذّم : قطعه بسرعة فانقطع .

خَليقاً ، لأنني لم أكن بأشباهه معروفاً ، ولم تكنْ على استماع مثلهِ مُخوفاً ، فوجَدَ له فيك مَسَاغاً ، وعندك مُسْتقراً / ، وكنتُ أحسبُ منازلَ إخوانك [١٧ ب] عندك ، والثقةَ لهم منك في حِصْنٍ حَصين ، ومحل مكين ، لا تنالُه أكاذيبُ الكاذبين ، ولا أقاويلُ الْمُفْترين ، وذلك أنَّ الكاذب كان بالتهمة عليّ في مَنزلتي وحُرمتي أحق مني بالتُّهمة على رأيي وخُلُقي ، وأنا كنتُ عندك بالثِّقةِ في وفائي أحقَّ منه بالتصديق في عَضِيهته[1] إيايَ ، فإن الأخَ المخبور أوْلى بالثِّقة من الساعي بالكذب والزور ، وإذا كان تَحَافظُ الإخوان إنما هو مُعَلَّق بأيدي السُّفهاء إذا شاؤوا سَعَوْا ، فَقُبِلَ قولُهم ، فكيف تبقى على ذلك أُخوَّة ، أو تُرعى معه حُرْمة ، أو يصلُح عليه قَلْبٌ ، أو يسلَمُ معه صبرٌ ؟.

سَهْلُ بنُ هارون :

لقاء الأخ

وما العَيْشُ إلاَّ أنْ تَجُودَ بنائلٍ ... وإلاَّ لقاءَ الأخ بالْخُلُق العَالي

وكتب محمدُ بنُ عبد الملك الزَّيَّات إلى الْحَسَن بن وَهْب :

شوق شديد

لَعَمْرُكَ ما عيشةٌ رغْدةٌ ... لديَّ إذا غبتَ بالراضيَهْ

وإني إلى وجهك المستنيرِ ... في ظُلمة الليلة الداجيَهْ

لأشوقُ ، من مُدْنفٍ خائفٍ ... لقاء الحِمام ، إلى العافيَهْ

بين المداجاة والمصافاة

قيل لأبي زياد الكلابي[2] : إنك فيما نَرَاك تُداجي إخوانَك كثيراً ، وهذا خُلُقٌ أنت عالقٌ به قال : لأن أُداجيهم مُستديماً لما بيني وبينهم أحبُّ إليَّ من أن أدَعَ الْمُداجاة التي أملكُها ولا أملكُ المصافاة التي قد فقدتُها .

(١) عَضه الرجل عَضْها وعَضَها وعضيهة : كذب وتَمَّ وجاء بالإفك والبهتان .

(٢) هو يزيد بن عبد الله بن الحر ، أعرابي بدوي ، قال دعبل : قدم بغداد أيام المهدي حين أصابت الناس المجاعة ونزل قطيعة العباس بن محمد فأقام بها أربعين سنة وبها مات ، وكان شاعراً من بني عامر بن كلاب ، وله من الكتب : كتاب النوادر ، كتاب الفرق ، كتاب الإبل ، كتاب خلق الإنسان . (الفهرست : ٦٧) .

وسمعتُ ابن كَعْب الأنصاري[1] يُنشد كثيراً :

وفاء وهجران

يـا أخـاً كان يُرهبُ الـدهرَ مِنْ ذكري لـه عنـد نـائبـاتِ الْحُقـوق
كنتَ تحتـلُّ حَبَّـة القلب من قلبي وتَجْري مَجْرَى دَمي في عُروقي[2]
كُنْتَ مني مكانَ بَعْضي من بعضي فـأصبحتَ في مَـدَى العَيُّـوقِ[3]
مـا قَـذَى عينَـك التي كنتَ تَرْعَـاني بهـا مَرةً وأنتَ صـديقي[4]
أَمْ بَـدَتْ حـاجـةٌ إليـك أحَلَّتْني محـلَّ البعيـد منـك السَّحيـقِ
صِرْتَ تَشْري إذا التحفتُ بثـوبي وتُـوَحِّي إذا سلكتُ طريقي[5]

ابن العميد والنيسابوري

سمعتُ علي بن القـاسم الكاتب[6] يقـول : قلت لأبي الفضـل ، يعني ابن العميد : ما يَنْقضي عَجَبي من إقدامك على الحاجب النَّيْسابوري[7] بعد التَّصافي الذي كنتما عليه ، والمِلْحِ الذي تجتمعان له ، والرَّضَاع الذي تتراوحان فيه ، ووالله ما يَفْصلُ الناظرُ بينكما الظالمَ من المظلوم منكما ، وإنَّ إشكالَ الحال فيكما يدعُو إلى سوء الظن بكما ، وتوجيهِ اللائمة[8] الشنيعة إليكما . فقال : يا أبا الحسن واللهِ لقد كِدْتُ أن أكونَهُ لولا أن الله بَسَط يديَّ عليه ، وأظفرَني به ، إنه لما استحالَ الحالُ بيني وبينه أظلمَ الجوُّ في عيني ، وعزبَ عني رأيي ، ووجلتُ من صَوْلته وجَوْلته ، وكان كما علمتَ

(١) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ١٠٨/١ ، ١٣٥/٢ .
(٢) حبَّة القلب : هنة أو شيء فيه ، وقيل : مهجته أي دمه .
(٣) العيُّوق : نجم يتلو الثريا يضرب به المثل في البُعد .
(٤) قذت عينه : قذفت بالغمص والرمص ، والقذى : ما يقع في العين من تبنة أو غيرها .
(٥) ج ق ـ وتحوي . شرُّ الثوب تشريةً : وضعه على خَصَفَة أي قفة كبيرة أو غيرها في الشمس ليجفَّ . توحَّى توحية : استعجل وأسرع . ووحَّاه : عجَّله .
(٦) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٦١/١ ، وفي مثالب الوزيرين ٢٩٣ . راجع خبر النَّيْسابوري مع ابن العميد معجم الأدباء ٢١١/١٤ .
(٧) ورد ذكره في مثالب الوزيرين ص ٢٥٣ .
(٨) ج ق ـ للملامة .

خطيبَ اللسان ، بعيدَ الغَوْر ، خفيفَ الفَوْر ، يَمْري من ثَبَجِ بحر[1] ، ويتلقى جميع أموره بصَدْر ونَحْر ، فما هَنَأني عَيْشٌ ، ولا طابَ لي شرب ، ولا فارقني وَسْواس حتى كان منه ما كان ، فقلت له : كيف استحالتِ الحالُ بعد توكّدها وتعهّدها ؟ قال : طلب من الحظوة عند رُكْن الدولة ما كنتُ أنا قد أفْنَيْتُ شبابي ، وعُمري ، وذُخْري له ، فلم تسمحْ نفسي أن أُفْرِجَ له عنه ، ومنازلُ الأولياء عند الملوك محوطةٌ بالغيرة الشَّديدة ، والحميَّة المُشتعلة ، وليست الغيرةُ عليها إلاَّ فوق الغيرة على السَّراري الحظيَّات ، وبناتِ العمِّ الموافقات ، وفوق غيرة الضَّرّة من الضَّرّة ، وإن الذي يَعْتري الرجالَ في هذه الأحوال أزيدُ من الذي يَعْتري النساء ، إلاَّ أن الرجال لا يتواصون بترك هذا الْخُلق ، ولا يغير بعضُهم بعضاً باستعماله ، فقلت له : أفكان يرتقي لو بقي إلى أكثر من الحِجَابة التي أنت مُسَلِّم لها إليه ، وغيرُ منازعٍ له في شيءٍ منها ؟ فقال : ما أسلمَ صدرَك ، وأصدأ نصْلَك ، الرجل كان يحدِّثُ نفسه بالوزارة ، ويُوَسوسُ إلى صاحبه بإثارة المال من الوجوه المجهولة ، أفكان يجوزُ لي أن أحلُمَ بهذا في النوم ، ثم أتمتَّع بالعيش باليَقظة ؟ لا والله ! وبعدُ فأنا كما قال الشاعر :

المقابلة بالمثل

ولستُ مُكلّفاً أبداً صديقاً ... معاشرَتي على خُلُقٍ ممضِّ
ولا أن يستقيمَ على اعوجاجي ... ويغفرَ بعضَ أحوالي لبعضِ
ولكني له عبدٌ مُطيعٌ ... على علاَّته أرضى وأُغضي
حريرٌ حين يلمسُني صديقي ... حديدٌ تحت ضِرْسٍ رَامَ عَضي
فإن باشرتني فإليك أمري ... وإن باغضتني فإليْكَ بُغضي

وكما قال الآخرُ :

(١) ج ق ـ بحذر . مرى يمري الشيء : استخرجه ، والدم ونحوه : أرسله . والثبج من كل شيء : وسطه ومعظمه يقال : يركبون ثبج هذا البحر : أي معظمه .

الفرار من الشر

ألم تَعْلمي يا عصمُ كيفَ حفيظتي ... إذا السرُّ خاضَتْ جانبيه الجوارحُ /
[١٨ أ]

أفرُّ حذارَ الشرِّ والشرُّ تاركي ... وأطعنُ في أنيابه وهو كالحُ

ابن العميد والفلسفة

قلت لعليّ بن القاسم : كيف كان يستجيزُ قتلَ النفوس وهو يتفلسف ؟ قال : يا هذا الدينُ الذي نشرهُ على لسان رسوله ﷺ يُنافق به ، ويكذبُ فيه ، والفلسفة التي وُضِعَتْ على ألسنة قومٍ مجهولين لا يجوزُ أن يُنافقَ بها ، ويكذبَ فيها ، إنما كان يتشيَّع بما يقولُه ويدَّعيه ، ويجب أن تكون مُبايناً لهذا السوادِ الذي هو فيه ، وحبُّ الجاه ، وحبُّ الرئاسة ، وحبُّ المال مهالكُ الْخَلْق أجمعين ، نسألُ الله تعالى أن يكرِّه إلينا الدُّنيا ، ويرغِّبنا في التقوى ، ويَخْتِمَ لنا ولك بالْحُسْنى بمنِّه وقُدرته .

شاعر :

عدو وصديق

عدوٌّ صديقي داخلٌ في عَداوَتي ... وإني لِمَنْ ودَّ الصديقَ صديقُ[1]

أمنيات مرجوة

أخبرنا أبو السائب القاضي قال : حدثني أحمد بن أبي طاهر قال : سمعتُ علي بن عُبَيْدة يقول لصديقٍ له : قَسَمَ الله لنا من صَفْحك ما يتَّسع لتقصيرنا ، ومن حِلْمك ما يردَعُ سخطَك عنَّا ، ويعيدُ ما كان منك لنا ، وزيَّن أُلفتَنا بمعاودة وَصْلك ، واجتماعَنا بزيارتك ، وأيامَنا الْمُوحشة لغيبتك برؤيتك ، وسرَّ بقربك القلوبَ ، وبحديثك الأسماعَ .

شاعر :

كسب وحذر

فلا تَلْهُ عن كَسْبِ ودِّ الصديق ... ولا تجعلنْ صديقاً عدوّاً

ولا تغترر بهدوّ امرئٍ ... إذا هِيجَ فارقَ ذاك الهُدوّا

---

(١) ج ق - صدوق .

آخر :

كره وعداء

فبعدَك يا شغبُ اجتويتُ صَحَابتي[1] ولاحَظني الأعـداءُ بـالنَّظَر الشَّزْرِ
وأبدى ليَ الشحناءَ من كان مُخْفياً عـــداوتَـــه لمـــا تغيَّب في القبرِ

آخر :

غفران وقناعة

ولئن كنتَ لا تُصـــــاحبُ إلاَّ صاحباً لا يزلُّ مـاعـاشَ نَعْلُـهْ
لا تجـده ولـو جهـدتَ وإني[2] بـالـذي لا يكونُ يوجدُ مثلُـهْ
إنمـا صـاحبي الـذي يغفرُ الـذنبَ ويكفيـه من أخيـه أقلُّـهْ

عتاب وقطيعة

وأخبرنا المرزُباني ، حدَّثنا الصُّولي ، حـدثنـا أبو العَيْنـاء قـال : رأيتُ عليّ بن عُبَيْدة يعاتبُ رجلاً ثم قال في كلامه : العجبُ أني أُعاتبكَ وأنت من أهل القَطيعة !

كتـــاب المهلبي إلى العباس ابن الحسين

وحـدثنـا أبو عبـد الله النمري[3] قـال : لمـا وَزَرَ[4] أبو محمـد المهلبي سنـة أربعين بعـد وفـاة أبي جعفر الصَّيْمَرِيّ[5] كتب إلى أبي الفضـل العبـاس بن الحسين وكان بينهما تواصل :

بسم الله الرحمن الرحيم

إني ـ حفظـك الله ـ وحفظني لـك ، وأمتَعَـك بي وأمتعني بـك ، قـد بلوتُك طولَ أيام أبي جعفر ـ قـدَّسَ اللهُ روحَـه ـ فوجـدتُـك ذا شهـامـة فيما

---

(١) اجتوى البلد : كره المقام به ، واجتويت القوم : أبغضتهم .
(٢) ج ق ـ لا تراه .
(٣) ج ق ـ النفري راجع الفهرست ص ١٢٩ .
(٤) وزر : صار وزيراً .
(٥) هو أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد الصيمري ، راجع أخباره في الإمتاع والمؤانسة ١٣٢/١ .

يُناط بك ، حَسَنَ الكفاية فيما يوكل[1] إليك ، كتوماً للسِّرِّ إذا استُحْفِظْتَهُ ، حسنَ المساعدة فيما يَجمُلُ بك الوفاق عليه ، وقد حَداني هذا كلُّه على اجتبائك ، وتقريبك ، وإدنائك ، وتقديمك ، وغالبُ ظني أنك تُعينني على ذلك بِمَيْمُونِ نَقِيبَتِكَ[2] ، ومأمون ضَرِيبتك[3] ، وجعلتُ دعامة هذا كلِّه أني أُجريك مَجْرَى الصديق الذي يُفاوض في الخير والشر ، ويُشارك في الغَثِّ والسمين ، ويُستنام إليه في الشهادة والغَيْب ، ولي معك عَيْنَانِ ، إحداهُما مَغْضُوضة عن كلِّ ما ساءني منك ، والأخرى مرفوعة إلى كلِّ ما سرَّني فيك ، فإن كنت تجد في نفسك على قولي هذا شاهداً صَدُوقاً ، وإمارةً نطوقاً ، فعرفني لأعلم أن فراستي لم تُفَلَّ[4] ، وحَدْسي عن طريق الصواب لم يَمِلْ ، والحالَ التي قد جدّدها اللهُ لي هي محروسةٌ لك ، ومُفْرغَةٌ عليك ، ومُستقلة بك ، فأشْرِكْني فيها بخالصة الوَفاء ، أو تفردْ بها إن شئت بحقيقة الصَّفَاء ، فلك الأَمَنَةُ[5] من حَيْلُولة الاعتقاد ، والسكونُ إلى عفو الاجتهاد ، وثِقْ بأن الذي خطبتُه منك إنما أُريدُه لك ، فلا تقعنْ في وساوسَ صدرك أنَّ لكاشحٍ[6] لنا فيما نحنُ عليه طريقاً لنقص ، أو لحبٍّ لنا فيه باباً إلى الزيادة ، واكتفِ بهذا القدْر الذي دللتُك عليه ، واستقبلْ أمري وأمرَك

---

(١) ج ق - يؤكل .

(٢) النقيبة : العقل والمشورة ونفاذ الرأي والطبيعة . وفلان ميمون النقيبة : محمود المختبر ، وفي الصحاح : « إذا كان مبارك النفس » قال ابن السكيت : « إذا كان ميمون الأمر ينجح في مايحاول ويظفر » وقال ثعلب : « إذا كان ميمون للمشورة » وفي التاج : « فلان ميمون النقيبة والنقية » أي اللون .

(٣) الضريبة : الطبيعة والسجية ، يقال : « هذه ضريبته التي ضُرب عليها » أي طبع .

(٤) الفلل : انثلام الحد .

(٥) الأمنة : الاطمئنان وسكون القلب .

(٦) الكاشح : العدو الباطن العداوة ، وقيل للذي يطوي كشحه على العداوة ، أو الذي يتباعد عنك ويوليك كشحه . الكشح من الجسم : ما بين السرة ووسط الظهر .

بالذي أرشدتُك إليه ، وإياكَ أن تستشيرَ فيه غيرَ نفسِك فإنك بِعَرَضِ حسدٍ يكون عِقالاً لحظِّك ، والله يهديك لِلْحُسْنى ، ويقيني فيك غَوائلَ العيون الْمَرْضى والسلام .

قلت للنمري[1] : فبماذا أجابه ؟ قال : مَنْ له بجوابٍ في هذا السَّبْك على هذه الحلاوة ؟ إلاَّ أنه استعانَ بأبي عبد الله فكتب له :

جواب العباس

بسم الله الرحمن الرحيم

الوزيرُ ـ أطال الله بقاءه ـ قد خاطبني بما [إن] لوغلطتُ في نفسي ، وادعيتُ ما لا يليق بي ، لكان في ذلك عُذْري ، ولستُ من أصحاب البَراعة ، فأسهبَ خاطباً ، أو أخطبَ مُطْنِباً ، وأنا ، وإن فاتني هذا بفوت الصِّناعة ، فلن يفوتني إن شاء الله ما يستحق عليَّ من القيام بالخدمة وبَذْلِ الطاعة / ، حتى يكونَ جوابي صادراً على مذهب الْخَدَم ، كما كان ابتداؤه صادراً على مذهب أرباب النِّعَم ، وها أنا قد وَكَلْت ناظري بلَحْظه ، ووقفت سمعي على لفْظه ، انتظاراً لأمره ونهيه اللذَيْن إذا امتثلت أحدَهما ومِلْتُ عن الآخر ملكتُ الْمُنَى ، وأحرزتُ الغِنى ، وكانت شمسي بـه دائرةً وسط السَّماء ، وعيشي[2] جارياً على النَّعماء والسَّراء ، فلا يبقى لي غمٌّ إلاَّ تفرّى[3] ، ولا وَغْمٌ[4] إلاَّ تسرَّى ، ولا إرادةٌ إلاَّ مَبْلُوغَةٌ ، ولا بُغْيَةٌ

[١٨ ب]

---

(١) ج ق ـ النفري .

(٢) م ـ عاشري .

(٣) تفرى : تشقق وانشقّ .

(٤) الوغم : الحقد النابت في الصدر . ورجل وغم : حقود . سرَّى عن قلبه : كشف عنه الهم ، وسُرِيَ عنه (على المجهول) كشف عنه ما كان يجده من الغضب .

إلاَّ مُدْرَكَة ، وقد رَفُلْتَ[1] من نِعْمة الوزير ـ أدام الله أيامه ـ في عِطافٍ[2] من المسرَّة ، اللهَ أسألُ إسبالَهُ عليَّ مَدَى الدهر ، بنفاذ أمره ، وجَواز خاتمه ، وجَرَيان قلمه ، وشُعاع شَمْسه ، وسلامة نفسه ، ودوام أُنسه ، وهو يُجيب الداعي إذا أخلص في دعائه ، ويُعطي السائل سؤْلَهُ إذا صفى ضميرهُ في سؤاله ، ولرأي الوزير العلوِّ في قبول ما جادَ به عنده من طاعته ، وقابل به دعوته من إجابته ، إن شاء الله .

وقال آخر :

أبا يعقوبَ صرتَ قذىً لعيني ... وستراً بين طَرْفي والمنامِ — مع الزمان
وكنتَ على الحوادث لي مُعيناً ... فصرتَ مع الحوادث في نظامِ
وكنتَ على المصائب لي سُلوّاً ... فصرتَ من المصيبات العِظامِ

وقال عَبَدَةُ بن الطَّبيب[3] :

إن الذين تَرَوْنَهُم خَلاّنكم ... يَشْفي صُداع رؤوسهم أن تُصرعوا[4] — نصيحة وتحذير
فَضِلَتْ عداوتُهم على أحلامهم ... وأبَتْ ضِبابُ صدورهم لا تُنْزَعُ[5]

(١) رفل رفلاً ورفلاناً ورفولاً : جرَّ ذيله وتبختر أو خطر بيده فهو رَفِل وهي رَفِلَة .

(٢) عِطاف جمع عطف وأعطفة : الرداء ، سمي بذلك لوقوعه على عِطْفي الرجل وهما ناحيتا عنقه .

(٣) هو عبدة بن الطبيب ، والطبيب اسمه ، شاعر مجيد غير مكثر ، وهو مخضرم أدرك الإسلام فأسلم ، شهد مع المثنى بن حارثة قتال هرمز الفارسي سنة ١٣ هـ . وكان عبدةُ أسودَ وهو الذي رثى قيس بن عاصم المنقري التميمي بقصيدة يقول فيها :

وما كان قيس هلكُه هلكُ واحد ... ولكنه بنيانُ قومٍ تهدّما

قال أبو عمرو بن العلاء : هذا أرثى بيت قيل . وقال ابن الأعرابي : هو قائم بنفسه ماله نظير في الجاهلية ولا الإسلام . مات عبدة حوالي سنة ٢٥ هـ .

(٤) رواية المفضليات : إخوانكم ، غليل .

(٥) من قصيدة مشهورة مطلعها :

أبنيَّ إني قد كبرتُ ورابني ... بصري ، وفيَّ لصالحٍ مستمتعُ

إصفاء الود

وقال أبو إسحاق السَّبيعي : ثلاثٌ يُصفين لك ودَّ أخيك : السلامُ إذا لقيته ، وأن تدعوه بأحبِّ أسمائه ، وأن لا تُماريه[1] .

أخلاق عالية

سمعتُ العَوَّامي[2] يقول لعليّ بن عيسى الوزير : إن الحال بينك وبين ابنُ مُجَاهِد[3] صفيقةٌ فما الذي قرَّبه منك ، ونَفَّقه عليك ، وأولعَك به ؟ قال : وجدتُه متواضعاً في علمه ، هَشّاً في نُسْكه ، كَتُوماً لسرِّه ، حافظاً لمروءته ، شَفيقاً على خليطه ، حسنَ الحديث في حينه ، محمودَ الصَّمت في وقته ، بعيدَ القرين في عصره ، والله لو لم يكن فيه من هذه الأخلاق إلاّ واحدة لكان محبوباً ومقبولاً .

شاعر :

معاتبة الملول

إذا أنا عَاتَبْتُ الْمَلُولَ فإنَّما ... أخطّط في جارٍ من الماء أحرفَا

فَهَبْه ارعوى بعد العتاب ألم تكن ... مودتُه طَبْعاً فصارتْ تكلُّفَا

آخر :

المقلي لا يعاتب

يُعاتبُكم يا أم عمرٍو بحبِّكم ... ألا إنما الْمَقْليُّ مَنْ لا يُعاتب[4]

آخر :

---

(١) في عيون الأخبار لابن قتيبة ٩/٣ : « ... أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وتُوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحبِّ أسمائه إليه » .

(٢) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٢٨/٣ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس كبير العلماء بالقراءات في عصره ، ولد سنة ٢٤٥ هـ وتوفي سنة ٣٢٤ هـ ببغداد ، ويقول ابن النديم : « وكان مع فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات وعلوم القرآن حسن الأدب ، رقيق الخلق ، كثير المداعبة ، ثاقب الفطنة ، جواداً » وذكر له أسماء مؤلفاته وكلها في القراءات .

(٤) ج ق ـ محبكم ، القالي الذي .

تلون وهجران

إذا مـــا تقضَّى الـــودُّ إلاّ تكاشراً ... فهجرٌ جميـلٌ للفريقين صـالـحُ[1]
تلـــوَّنتَ ألـــوانـــــاً عليَّ كثيرةً ... ومـازج عـذبـاً من إخـائـك مـالحُ
ولي عنك مُسْتغنىً وفي الأرض مـذهبٌ ... فسيـحٌ ، ورزقُ الله غـادٍ ورائـحُ
لتعلمَ أنّي إذ أردتَ قطيعتي ... وسـامحتَ بـالهِجْران إني مُسـامحُ[2]

آخر[3] :

تصنع وإخلاص

إذا مـــا المرء لم يُحْبِبْـــكَ إلاّ ... مغـالبُ نفسـهِ سئمِ الغِـلاَبـا
ومن لا يُعـــطَ إلاّ في عِتَـــابٍ ... يُخاف ، يَدَعْ به النَّاس العِتابا
أخوك أخوك من تـدنُو وترجُو[4] ... مـودَّتـه ؛ وإنْ دُعي استجـابـا
إذا حاربتَ حاربَ مَنْ تُعـادي ... وزادَ سـلاحـهُ منـك اقترابـا
يُواسي في الكريهـةِ كلَّ يـومٍ[5] ... إذا ما مُعْضِلُ الْحَدَثـان نـابـا[6]

وقال رجل لصاحبٍ له : إنمـا اشتـدَّ غضبي ، لأن من كان علمُـه أكثر ، كان ذنبُـه أكبر ، قـال : فهـلاَّ جعلتَ سَعَـةَ علمي سبيـلاً إلى حسن الظنِّ بنزوعي ، أو إلى أني غـالـط في تفريطي ، مخطئٌ بقَصْـدي[7] ، غير مُعـانـدٍ لك ، ولا جريءٍ[8] عليك .

(١) التكاشر : الكشف عن الأسنان . والتبسّم .
(٢) ج ق ـ « قطعت وإن سامحت إني مسامح » .
(٣) الأبيـات لربيعـة بن مقروم الضبي كما ورد في حمـاسـة البحتري ٦٧ ، وحمـاسـة أبي تمـام ١١٦/٢ ، هو ربيعة بن مقروم أحـد شعراء مضر المعـدودين في الجـاهليـة والإسلام ، أسلم فحسن إسلامه وشهد القادسية وغيرها من الفتوح وعـاش مـائـة سنـة . راجع للمفضليـات طبعة دار المعارف ص ١٧٨ .
(٤) رواية الحماسة : فتدنو .
(٥) ج ق م ـ كريهة .
(٦) رواية الحماسة : مضلع ، وفي رواية : ضالع .
(٧) ج ق ـ لقصدي .
(٨) ج ق ـ خزي .

استغناء ويأس

ورأيت الزُّهيري[1] وقد كتب إلى ابن الأزرق كتاباً كتب في آخر هذه الأبيات :

اذهبْ فلا حاجةَ لي فيكا ... غطَّت على عينيَّ مساويكا
وارغبتا فيك بَدَتْ سوءتي ... واسوءتا من رغبتي فيكا[2]
قد كنتُ أرجوكَ أخاً لي فلا ... أفلحَ من أمْسَى يرجِّيكا

وقال بعضهم : تركتني معرفةُ الناس فَرْداً .

وأنشد آخر :

الصديق الشفوق

تركتني صحبةُ الناس وما لي من رفيقِ ... لم أجد إشفاق ندماني كإشفاق الصَّديقِ

رسالة الصداقة والصديق

قد أتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق ، وما يتصل بالوفاق ، والخلاف ، والهجر ، والصِّلة ، والعَتْب ، والرضا ، والْمَذْق ، والرياء ، [والتحقق] ، والنفاق ، والحيلة ، والخداع ، والاستقامة ، والالتواء ، والاستكانة ، والاحتجاج ، والاعتذار ، ولو أمكن لكان تأليفُ ذلك كلؤه أتمَّ مما هو عليه ، وأجرى إلى الغاية في ضمِّ الشيء إلى شَكْله ، وصبِّه على قالَبه ، فكان رونقُه أبْيَن ، ورفيقُه أحسن ، ولكنَّ العُذْر قد تقدّم ، ولو أردنا أيضاً أن نجمعَ ماقاله كلُّ ناظم في شعره ، وكل ناثرٍ من لفظه / لكان ذلك عَسيراً ، بل مُتعذّراً ، فإنّ أنفاسَ الناس في هذا الباب طويلةٌ ، وما مِنْ أحدٍ إلاّ وله في هذا الفن حُصَّةٌ ، لأنه لا يخلو أحدٌ من جارٍ ، أو مُعاملٍ ، أو حميمٍ ، أو صاحبٍ ، أو رفيقٍ ، أو سكنٍ ، أو حبيبٍ ، أو صديقٍ ، أو أليفٍ ، أو قريبٍ ، أو بعيدٍ ، أو وليٍّ ، أو خليطٍ ، كما لا يخلو أيضاً من عدوٍّ ، أو كاشِحٍ ، أو مُداجٍ ، أو مُكاشِفٍ ،

[١٩أ]

(١) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٦٣/١ .

(٢) ج ق - يارغبتي ، ياسوأتي .

أو حاسدٍ ، أو شامتٍ ، أو مُنافقٍ ، أو مُؤْذٍ ، أو مُنَابذٍ ، أو مُعانِدٍ ، أو مُزِلٍّ ، أو مُضِلٍّ ، أو مُغِلٍّ ، وقد قال الأوائل : الإنسانُ مدنيٌّ بالطبع ، وبيانُ هذا أنه لا بدّ له من الإعانة ، والاستعانة ، لأنه لا يكْمُلُ وحدَهُ لجميع مصالحه ، ولا يستقلُّ بجميع حوائجه ، وهذا ظاهرٌ ، وإذا كان مَدَنياً بالطبع كما قيل فبالواجب ما يعرضُ في أضعاف ذلك من الأخذ ، والعطاء ، والمجاورة والمحاورة ، والمخالطة والمعاشرة ، ما يكونُ سبباً لانتشار الأمر ، ولا محالةَ أن هذه وأشباهِها مُفْضيةٌ إلى جملة ما نعته هؤلاء الذين روينا نظمَهُم ونثرَهم ، وكتبنا جَوْرَهم وإنصافَهم ، وذلك أعلى فنون ما قالوه ونظروه ، وعيون ما ذكروه ونشروه ، ونروي في هذا الموضع بقيةَ أبياتٍ وإن عَنَّ شيء حَكَيْناه ، ونغلقُ الرسالة فإنها إذا طالت بُغضت[1] ، وإذا بُغضت[2] هُجرت ، وربما نيلَ من عِرْض صاحبها ، وأُنحيَ باللائمة عليه من أجلها ، وهو لم[3] يقصدْ إلاّ الخير ، ولا أراد إلاّ الرّشاد ، وقد يُؤتى الإنسان من حيثُ لا يعلم ، ويُرْمَى من حيث لا يَتَّقي ، كما يأتي من حيثُ لا يَحتَسِب ، وينجو وقد أشْفى ، ويُدْرِكُ وقد غلب اليأسُ[4] . قال العَطَوي[5] :

الإنسان مدني بالطبع

عزاء واستغناء

لا تَبْكِ إثْرَ مولًّ عنك مُنْحَرِفٍ ... تحتَ السَّماء وفوقَ الأرضِ أبْدالُ[6]

النَّاسُ أكثرُ من أن لا ترى خلقاً ... ممن زوَى وجهه عن وجهك المالُ

(١ و٢) ج ق ـ أبغضت .

(٣) ج ق ـ فلم لا .

(٤) ج ق ـ الناس .

(٥) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطيّة العطوي من شعراء الدولة العباسية ولد في البصرة ونشأ فيها ، كان معتزلياً ، يعدُّ من المتكلمين الحذّاق ، اشتهر في أيام المتوكل واتصل بابن أبي دُواد وحظي عنده ، وكان منهوماً بالنبيذ وله فيه وفي الفتوح أشعار كثيرة . توفي العطوي سنة ٢٥٠ هـ .

(٦) أبدال : مفردها بِدْل وبَدَل وبديل وهو العوض والخلف .

ما أقبحَ الوَصْلَ يُدنيه ويُبعدُه بين الصديقين إكثارٌ وإقلالُ

الصَّنَوْبَري[1] :

لا عزاء ولا سلوى

يا ناصِحاً ما زال يُتبعُ نُصْحَهُ غِشّاً إذا نَصَح الصديقَ صديقُهْ
فَلَهُ العَزاءُ بروْم لستُ أرومُه[2] قلتُ السلو يُطاقُ لست أُطيقُهْ

آخر :

عتاب وتساؤل

رَمَيْتَ هَوايَ مِنْ مَرْمىً قريبِ وكنتَ أخي فصرتَ أخا الخطوبِ
قَدَرْتَ من الْجُسوم على تناءٍ ولكن لا تنائيَ للقلوبِ
فمَّنْ تطلُبُ الإنصافَ يوماً إذا جارَ الأديبُ على الأديبِ

آخر :

وهم وخيبة

كَمْ مِنْ صديقٍ صادقِ الظاهرِ متَّفقِ الأولِ والآخرِ
أطمعَني في مثلِهِ مُطمَعٌ مِنْ خاطري، لا كانَ من خاطرِ
حتى إذا ما قلتُ فازتْ يدي بمثلِهِ فوزَ يَدِ القامرِ
وجدتُ في كفّي منه كما قد مُلئت منه يدُ الزامرِ

آخر :

مشاركة عاطفية

أخُو ثِقَةٍ يُسرُّ بحسن حالي وإن لم يُدْنِه مني قَرابَهْ
يُسرُّ بما أُسَرُّ بهِ ويَشْجَى إذا ما أزْمَةٌ نَزَلَتْ رِحَابَهْ
أحبُّ إليَّ من ألفيْ قريبٍ بناتُ صدورهم ليَ مُسْترابَهْ

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن محمد الحلبي الصنوبري ، شاعر ولد في أنطاكية وسكن حلب ودمشق توفي سنة ٣٣٤ هـ ، له ديوان شعر أكثره في وصف الرياض والبساتين . كان أميناً على خزانة سيف الدولة الحمداني .

(٢) رامه يرومه رَوْماً ومراماً : أراده فهو رائم .

آخر :

ولا تصِلْ حبلَ غادرٍ مَلِقٍ ... فالغدْرُ من شرِّ شيمةِ الرجلْ — تحذير من الغادر
لا خيرَ في غادرٍ مودَّتُه ... كالصَّابِ، والقولُ عنه كالعسلْ[1]

آخر :

مالي جُفيتُ وكنتُ لا أُجفى ... ودلائلُ الهِجْران لا تَخْفى — تساؤل مؤلم
مالي أراك نسِيْتني بَطَراً ... ولقد عهدتُك تذكرُ الإلفَا

آخر :

أخلقَتْ عندَهُ المَلالَةُ وَجهي ... كيفَ لي عِندَهُ بوجهٍ جديدِ؟ — وجه جديد

آخر :

أتعجَبُ إنْ جفاكَ أخٌ ... لغيرِكَ عنكَ مُنْتقِلُ — ثقل وإملال
فلا تَعْجَبْ لِجَفْوَتِهِ ... ثَقُلْتَ فَمَلَّكَ الرَّجُلُ

آخر :

عَهْدي بطَرْفِكَ لا يزالُ مُلاحِظي ... يَرنُو إليَّ رُنوَّ طَرْفِ الحافِظِ[2] — ملاحظة ونبوّ
فاليومَ تَنْبُو عن جناني نَبْوةً[3] ... وأراكَ من بعدِ الإساغَةِ لافِظي[4]

آخر :

---

(١) الصاب : شجر مرّ والواحدة صابة .

(٢) رنا إليه وله : أدام النظر إليه بسكون الطرف . الحافظ : يقال : رجل حافظ العين : أي لا يغلبه نوم .

(٣) ج ق ـ كلامي جفوة .

(٤) أساغ الشراب : سهّل مشربه . لفظ الشيء من فه : رمى به وطرحه فالشيء ملفوظ ولفيظ .

صحبة الملول

تَـوَقَّ من الإخـوانِ كلَّ مُمازِحٍ ... يَزولُ معَ الأفْنـاءِ حيثُ تَزولُ[1]
فَلا تَصْحَبَنَّ مُستَطرِفاً ذا مَلالَةٍ[2] ... فليسَ على عَهْـدٍ يَـدومُ مَلُـولُ

آخر :

عتاب وشفاعة

وحَقِّكَ ما تَرْكي عِتابَكَ من قِلًى ... ولكِنْ لِعلمي أنَّـهُ غيرُ نـافِـعِ
وإنِّي إذا لم أصْبِرِ اليومَ طـائعـاً ... فلابدَّ منـهُ مُكْرَهـاً غيرَ طـائعِ
إذا أنتَ لم تَعْطِفْكَ إلاَّ شَفـاعَـةٌ ... فلا خيرَ في وُدٍّ يَكـونُ بشـافِـعِ

إبراهيم بن العبَّاس الكاتب :

معاتبة وأمل

أخ بيني وبينَ الـــدَّهرِ صـــاحبُ أيّنـــا غَلبـــا
صـديقي مـا استقـامَ فـإن ... نَبَـــا دَهرٌ عليَّ نَبـــا[3]
وَثَبْتُ على الـزَّمـانِ بـهِ ... فَعـادَ بِـهِ وقَـدْ وَثبـا
ولـو عـادَ الـزَّمـانُ لَنـا ... لعـادَ بـهِ أخـاً حَـدِبـا[4]

آخر :

ظن بيقين

كنتُ عبـداً لـك مـأمـونـاً على دنيـا ودينِ
بعتني سمحـاً بقـولٍ ... جـاء من غير يمينِ
ليتَ شعري عنـك لِمْ حكَّمتَ ظنّـاً بيقينِ
سترى مـا تكشف الخبرة من غيب الظنـونِ

---

(١) يقال : « هو من أفناء الناس » أي لا يعلم ممّن هو .

(٢) الطرف والمستطرف : المتكلف المللول ومن لا يثبت على صاحب ، وهي تقابل الكلمة الفرنسية (Capricieux) ، ويقال : « ناقة مستطرفة : طرفة » أي لا تثبت على مرعىً واحد .

(٣) رواية الطرائف الأدبية ص ١٥٥ ، وفي ج ق م : صديق .

(٤) حدب عليه : تعطّف .

آخر :

خليلٌ نأى عني الزمان بودّه ... فأعرض واستولى على أمره الغدرُ — غدر واستغناء
فألبستُه الثوبَ الذي اختار لبسه ... وأحسن من ودٍّ يضيق به الصدرُ
وأفضل من أمرٍ يُريبُك تركُه ... وأجملُ من مالٍ يُرِمُّ به الفَقْرُ
فإنْ عاشَ فالأيامُ بيني وبينَهُ ... وإنْ ماتَ لم أجْزَعْ لمن ضَمَّهُ قبرُ
إذا ما امرؤٌ جارتْ عليك ظُنونُهُ ... وسامَكَ ما فيه المذلَّةُ والصُّغْرُ
فَكِلْهُ إلى حُكم الحوادث إنَّه ... كَفَى مُنْصفاً مِمَّن تظلَّمكَ الدهرُ

آخر :

عَاشِرْ أخاكَ على ما كان من خُلُق ... واحفَظْ مودَّتَه بالغيبِ ما وَصَلا — حفاظ وتساهل
فأطولُ النَّاسِ غَمّاً من يُريد أخاً ... ذا خِلَّة لا يَرَى في ودِّه خَلَلا[1] / — [١٩ ب]

آخر :

أجَفَوْتَني في مَنْ جَفَاني ... وجعلتَ شانَك غيرَ شَاني — هجران وتسليم
ونسيتَ مني موضعاً ... لَكَ لم يكنْ لَكَ فيه ثاني
وسُررتَ يوماً واحداً ... أنْ لا أراكَ ولا تَراني
وهجرتَني وقطعتَني ... وقَلَيْتَني في مَنْ قَلاني
أفعلتها فالمستعان الله أفضلُ مُسْتَعانِ

آخر :

تملَّقْتُه جَهْدي فلَمَّا رأيتُه ... إذا لانَ مني جانبٌ عزَّ جانبُهْ — تملق وإطراء
جريتُ له في الصَّدْرِ مِني مودةً ... وخلَّيتُ عنهُ مُهْمِلاً لا أُعاتِبُهْ

---

(١) الخلّة : المصادقة والإخاء ، يقال : « فلان كريم الخلّة والخل » أي المصادقة والإخاء .
الخلل : الوهن والفساد .

أطيّن عَيْنَ الشمس كَيْلا يقالَ لي ... طبائعُه مذمومةٌ ومذاهبُهْ
وأُطريهِ بالقولِ الجميلِ وعندهُ ... مِنَ التِّيهِ مُطريه سواءٌ وعائبُهْ[1]

آخر :

سلوك ونصيحة

غَلِطَ الفتَى في قولِهِ ... مَنْ لا يُرِدْكَ فلا تُرِدْهُ
مَنْ ناقشَ الإخوانَ لم ... يُبْدِ العتابَ ولم يُعِدْهُ
عَاتِبْ أخاكَ إذا هَفَا ... واعطفْ بفضلك واستَعِدْهُ
وإذا أتاكَ بعيبِهِ ... وَاشٍ فقلْ لم يَعْتَمِدْهُ
فلقلَّما طَلَبَ الفتى ... عَيْباً لخلٍّ لم يَجِدْهُ

جرير :

التعلل بالمنى

وإني لمغرورٌ أُعَلَّلُ بالْمُنى ... ليالِيَ أرجُو أنَّ مالَك مالِيَا[2]
بأيِّ سِنان تطعنُ القوم بعدما ... نَزَعْتَ سِناناً من قَنَاتِك ماضِيا

وقال آخر :

ملالة وتجني

تبدَّلتَ بعدي والْمَلُولُ إذا نأتْ ... به الدارُ عن أحبابِهِ يَتبدَّلُ
فبانَ القِلَى لي منك واتضحَ الْخَفَا ... ولاحَ لنا منه الذي كان يُشكلُ
أحينَ أنارتْ للمودة بيننا ... رياضٌ بَدَا نُوّارُها يتهلَّلُ[3]
ودامتْ سماءُ اللهو تنهلُّ سَحَّةً ... علينا بأنواع الوفاء وتَهْطِلُ[4]

---

(١) تاه يتيه تيْهاً : صلف وتكبر .

(٢) من قصيدة مطلعها :

ألا حيّ رهبى ثم حيّ المطاليا ... فقد كان مأنوساً فأصبح خاليا

الديوان ص ٦٠١ .

(٣) النُّوار : مفردها نوّارة وهي الزهر الأبيض .

(٤) سحَّ الماء سحّاً وسحوحاً : سال من فوق إلى أسفل ، وكذلك المطر والدمع ، وسحَّ الماء وغيره : صبَّه صبّاً متتابعاً كثيراً .

تَنكَّبْتَ قوسَ اللهوِ ثمّ رميتَني[1] وخليتني أبكي الوصالِ وأعْولُ
سأحفظُ ماضيَّعتَه من إخائنا لتعلمَ أني عنه لا أتبدَّلُ

ابن أبي فَنَن[2] :

استغناء وقناعة

إذا كنتَ تَغضبُ من غير ذَنْبٍ وتعتبُ مِنْ غير جُرمٍ عليّا
طلبتُ رضاكَ فإن عزَّ لي عَدَدْتُكَ ميتاً وإن كنتَ حيًّا
قَنِعْتُ وإن كنتُ ذا حاجةٍ فأصبحتُ من أكثر الناس شيًّا
فلا تعجبنَّ بما في يديكَ فأكثرُ منه الذي في يديًّا[3]

وقال آخر :

تغير الصديق

وأخٍ كانَ لي وَدُوداً محبّاً ناصحاً، ومِقاً، رفيقاً، شَفِيقَا[4]
كان أحلى من الجنى بصيِّبِ الْمُزْنِ يُرْضيك صَامتاً ونَطُوقَا
لِمَ لَمَّا أصابني الدهرُ بالجفْوةِ منه صارَ البعيدَ السَّحيقَا
يا صديقي ما كنتَ لي بصديقٍ إنما كنتَ للزمانِ صَديقا
صرت تشرى إذا التحفت بثوبي وتشكي إذا سلكنا طريقا

آخر :

حرمة الصداقة

وأخٍ كانَ لي فأصبحتُ منه كأشلِّ اليدَيْنِ أو كالأجبِّ[5]
ضاقَ ذَرْعاً بزلَّةٍ لي كانتْ فانتحى لانتهاكِ سِرِّي وثَلْبي

(١) تنكب كنانته أو قوسه : ألقاها على منكبه (بكسر الكاف) وهو مجتمع رأس الكتف والعضد .
(٢) هو أحمد بن أبي فنن مولى بني هاشم راجع خبره في الأغاني ٢٧/٤ ، ١٠٧ .
(٣) ج ق ـ فأكبر . راجع : عيون الأخبار ٢٨/٣ .
(٤) وامقه وماقاً وموامقة : أحب كلاهما الآخر ، توامق الرجلان : تحابّا . الوميق والموموق : المحبوب .
(٥) الأجب : جُبّ الرجل ، فهو مجبوب بين الجباب ، إذا استؤصلت مذاكيره . بعير أجب : =

أفـــا كان في المـودّة والْحُرْمـــةِ حـقٌّ يُرِيـــهِ غُفرانَ ذَنْبي ؟

وقال آخر :

خطب الفراق

وكلُّ مُلِمَّاتِ الـزَّمـانِ وَجَـدْتُهـا[1] سوى فرقةِ الأحباب هيِّنـة الْخَطْبِ
لئن كنتَ أمسيتَ العشيَّـةَ سيـداً شديد شُحوبِ اللون مختلف العضبِ
فـالـك من مَـوْلاك إلا حفـاظَـهُ وما المرءُ إلاَّ بـاللسـان وبـالقَلْبِ
همـا الأصغرانِ الـذائـدان عن الفتى مكارهَهُ والصـاحبـانِ على الْخَطْبِ
فـــإلاَّ أكُنْ كلَّ الكريم فـــإنَّني أكفُّ عن الجـاني وأصبرُ في الجـدْبِ
ماني الْمُوَسْوَس[2] :

بعد وتباعد

رأيتُـك لا تختـارُ إلاَّ تبـاعـدي فبـاعـدتُ نفسي لاتِّبـاع هَوَاكا
فبعـدُك يُؤْذيني وقربي لكم أذىً فكيف احتيالي يا جُعلتُ فِداكا ؟

آخر :

عزلة اختيارية

رأيتُك تجفُوني فأحـدثتَ عُزْلـةً لتُخفي الذي يـأتي إليّ فتُعْـذَرَا

آخر :

بغض ويأس

أطِلْ حبل الشَّنـاءَةِ لي وبغضي وعِشْ ما شئتَ فانظر من تضيرُ
فمـا بيـديْـك خيرٌ أرتجيـهِ وغيرُ صُـدُودك الخطْبُ الكبيرُ
إذا أبْصَرْتَني أعْرَضْتَ عنّي كأنَّ الشمسَ من قبلي تـــدُورُ

= لا سنام له وناقة جبّاء . قال النابغة :

ونأخـذ بعـده بـذنـاب عيشٍ أجبَّ الظهر ليس لـه سَنَـامُ

(١) ملمات مفردها مُلِمَّة وهي النازلة الشديدة من نوازل الدنيا .

(٢) هو أبو الحسن محمد بن القاسم المعروف بماني الموسوس شاعر ظريف من أهل مصر رحل إلى بغداد واتصل بالمتوكل العباسي . توفي سنة ٢٤٥ هـ ، راجع أخباره في فوات الوفيات ٢٦٢/٢ .

آخر :

ومولىً كأنَّ الشمسَ بيني وبينـهُ إذا ما التقيْنا ليس مِمَّنْ أعاتبُـهُ

صديق وعدو

قال ابن المرزُبان الكاتب[1] : سمعتُ الخليفة المطيع يقول : صديقُك صديقُك ، وصديقُ صديقك صديقُك ، وعدوُّك عدوُّك ، وصديقُ عدوِّكَ عدوُّك ، وعدوُّ صديقِك عدوُّكَ ، وعدوُّ عدوِّكَ صديقُكَ .

وقال آخر :

أعداء

وذوي ضبابٍ مُظهرين عَداوةً قَرْحَى القلوبِ مُعاودي الأكبادِ
نـاسيْتُهم بغضـاءَهم وتركتُهم وهم إذا ذُكِرَ الصديقُ أعادِي

المعشوق والصديق

وسمعتُ ابن بابَوَيْه القُمّي العالم[2] يقول : قال جعفر بن محمد : مناغاة الصديق أعبثُ بالروح ، وأندى على الفؤاد من مُغازلة الْمَعْشوق ، لأنك تَفْزَعُ بحديث المعشُوق إلى الصديق ، ولا تفزعُ بحديث الصديق إلى الْمَعْشوق .

كتاب ابن السراج إلى الرازي

وحدثني ابن السَّرّاج قال : كتبتُ إلى ابن الحارث الرّازي : كتبتُ إليك عن محلٍّ قد ابتهجَ بودِّك ، وانزعج لصدِّك ، يُناديك ، ألاَ إن القلبَ قد تألَّم بمفارقتك ، فمتى يُلَمُّ شَعْثُ الأنس بمشاهدتك ، فأجبتُه : كلا وإن امتزج فرحُ الاتصال ، بترَحِ الانفصال ، فما ضرّ مباعدة الأشباح مع مساعدة الأرواح ، قال : فأجابني : / : أما صدر كتابك فغنيٌّ عن دَلالتك عليه ، [٢٠ آ] لإحساسي بشاهده عندي ، وكيف أعدم الشاهد عليه وأنا الأولُ فيه ،

---

(١) كاتب فخر الدولة البويهي ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٦٢/١ ، ١٤١ .

(٢) ج ق ـ ابن مانويه ـ هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بابويه القمّي ويعرف بالشيخ الصدوق من فقهاء الشيعة ، ومحدث إمامي كبير قيل : له نحو من ثلاثمائة مصنَّف ، أصله من قم ونزل بالريّ وارتفع شأنه في خراسان ، وتوفي ودفن بالري سنة ٣٨١ هـ .

والجالبُ له ، وأما عجزُه فشديد الأخذ بطرفٍ من القَسْوةِ ، لسلوك بأحدِ الأمرين عن الآخر ، ولو علمتَ أنَّ تمامَ الأفراح ، بمساعدة الأرواح ، ومشاهدة الأشباح ، لم تقُلْ ماقلتَ ، ولم يَبْلُغ ـ أكرمك الله ـ في اللطافة أن يكونَ من غير هذا النوع الذي نحنُ منه ، لكني أقول : كتبتُ إليك من محلٍّ مُوحشٍ لبُعدك ، بلفظ مضطربٍ[1] أنِسَ[2] بذكرك مُستوحشاً ، واستوحشَ إلى رؤيتك مستأنِساً ، ولو كنتَ قريباً مني لكان هذا كلُّه مطرَّحاً ، والأملُ مُدْرَكاً مُقْتَرحاً ، والعائقُ مرفوعاً ، والطَّرْف متنزهاً ، والزمانُ نضراً ، والدهرُ محموداً ، والسلام .

شاعر :

نكر الصديق

وحَسْبُكَ حسرةً لك من صديقٍ ... يكون زمامُه بيديّ عدوِّ

ثبات ووفاء

أخبرنا ابنُ مقسم قال : سمعتُ أحمد بن يحيى يقول : كتبَ رجل إلى الزبير بن بكَّار يَسْتجفيه فأجابه :

ماغيَّرَ الدَّهرُ وُدّاً كنتَ تعرفُهُ ... ولا تبدَّلتُ بعدَ الذِّكرِ نِسْيَانا

ولا حمدتُ وفاءً من أخي ثقةٍ ... إلا جعلتُك فوقَ الحمد عُنوانا

فضيلة الحذر

وكتب سعيد بن جُبَيْر إلى أخٍ له : أما بعدُ ، ياأخي ، فاحذرِ الناس ، واكفهم نفسَك ، ويسعُك بيتُك .

محبة في الله

قال رجل لمحمد بن واسع : إني لأُحبُّك في الله ، قال : فأطِعْ مَنْ تُحِبني فيه .

---

(١) ج ق ـ مطرب .

(٢) ج ق ـ آنس .

بين المسلم والفاجر

قال أبو خازم المدني لسَلَمة بن دينار : لأنْ يُبغضُك عدوُّك الْمُسْلِم خير من أن يُحبَّك عدوُّك الفاجر .

وجود وانتفاء

سمعتُ ابن الجلاَّء يقول بمكَّةَ : يُقال : مَنْ لا إخوانَ لـه فلا عيشَ لـه ، ومن لا ولدَ له فلا ذِكْرَ له ، ومن لا مالَ له فلا مروءةَ لـه ، ومن لا عقلَ لـه فلا دنيا له ولا آخرة .

قال أبو عثمان النَّصيبي : من لا إخوانَ له فلا تَعَبَ له ، ومن لا ولـدَ لـه فلا حجابَ عليه ، ومن لا مال له فلا حسابَ عليه ، ومن لا عقلَ له فهو في الجنة .

شاعر :

إساءة ومساعة

هَبْني أَسَأتُ كما زعمتَ فأيْنَ عاقبةُ الأُخوَّهْ
وإذا أساتَ كما أسأتُ فأين فضلُك والمروّهْ

بين النصحين

وقال أعرابي : نُصْحُ الصديق تأديب ، ونُصْحُ العدو تأنيب .

بين صبرين

قال الفضل بن يحيى : الصبر على أخٍ يُعتَبُ عليـه خيرٌ من أخٍ يَستـأنف مودَّتَهُ .

بين الإنشاء والتربية

وسمعتُ ذا الكفايتين ابن العميد ببغداد يقول : إنشاءُ للعرفة صعبٌ ، فلما نَـدَرْنـا[1] من مجلسـه قـال أبـو إسحـاق الصَّـابي : تربيتُهـا أصعبُ من إنشائها . عرضتُ هذا الكلام على أبي سليمان فقال : أما الإنشاء فإنمـا صَعُبَ لأنه لا أوائلَ له يُناط بها ، ويؤسسُ عليها ، وأما التربيةُ فإنمـا صعُبَتْ أيضـاً لأنها تستعيرُ من الإنسان زمانـاً مـديـداً هو يَشِحُّ بـه ، وعَنـاءً مُتصلاً يشتـدُّ

---

(١) ندر فلان من قومه : خرج .

صبرُه عليه ، ومالاً مبذولاً قلَّما تطيبُ النفسُ بإخراجه إلا إذا كان الكرمُ له طباعاً ، ويجد من ضريبته[1] إليه نِزَاعاً .

وقال ذو الشامة يرثي أخاه :

رثاء أخ

ذكرتُ أخي أخـــا الخير الـــذي لم يَبْـقَ لي خَلَفـــا
ولا أرجـــوهُ إلاّ اللهَ منـــه الـــدهرَ مُـــؤْتنفـــا
أخـــاً مـــا كان لي كأخٍ وبي بَرّاً وبي لطفـــا
كفَى مَن كنت كافيـــه وسـدَّ مسـدَّ من سَلَفـا
وحُـــقَّ لعَينِ مَنْ أمْسى بمـــا أمْسَيتُ مُعْترفـــا
من الإيحـــاشِ والإيجـــاسِ والإفراد أن يكفـــا[2]

خير الإخوان

وقال أبو بكر : خيرُ إخوانك من آساكَ ، وخيرٌ منه من كفاكَ ، وخيرُ مالك ما أغناكَ ، وخيرٌ منه ما وَقَاك .

قال المأمون الخليفة : مَنْ لَمْ يؤاسِ الإخوانَ في دولته خَذَلوهُ في شِدَّته[3] .

وقال :

بعد الموت

لا أعرِفَنْكَ بعدَ الموت تندُبُني وفي حياتي مـا زودتَني زَادي

وقال آخر :

طاعة وإخلاص

ليس عنـدي وإن تغضَّبتَ إلا طـــاعـــةٌ حرّة وقلبٌ سليمُ
وانتظـــارُ الرضـــا فـــإنَّ رضـــا السـادات عـزٌّ وعتبُهُم تقـويمُ

---

(١) الضريبة : الطبيعة والسجيّة يقال : هذه ضريبته التي ضرب عليها ، أي طبع .
(٢) أوجس الرجل إيجاساً : أحسّ وأضمر يقال : « أوجس القلب فزعاً » أحسّ به .
(٣) الشدّة : نقيض اللين وخلاف الرخاء ومكاره الدهر والجمع شدائد .

رجل من بَلْعَنْبَر :

لقد ألبسَ للولَى على غِشِّ صَدْرَهُ وأفقأ بَيْضات الضغائن بالهُجْرِ[1] بين التنائي والتداني
يُثير التَّداني بيننا كلَّ دِمْنَةٍ[2] ويَشْفي التَّنائي بيننا وخَزَ الصّدرِ

آخر :

ضعفتُ عن الإخوان حتى جفوتُهم على غير زُهْدٍ في الإخاء ولا الودِّ ضعف وحرمان
ولكنَّ أيـــامي تُحَرِّمْنَ مُنيتي[3] فما أبلغُ الحاجاتِ إلاَّ على جَهْدِ

آخر :

من عفَّ خفَّ على الصَّديق لقاؤُه وأخُو الحوائج وجهُهُ مَمْلُولُ عواقب الإملال
وأخوكَ مَنْ وفَّرتَ ما في كيسِهِ فإذا غدرتَ به فأنتَ ثقيلُ

آخر :

أيامَ أنْ قُلتُ قالَ في سرعٍ[4] وإن كرِهْنَا بدا تأبّيهِ مسايرة وامتياز
مساعدٌ ، مونقٌ ، أخو كَرَمٍ[5] فليسَ شِبْهٌ له يُدانيهِ

آخر :

قُلْ للذين صحبناهُم فلم نَرَهُمْ إلاَّ لمن صَحِبُوا يرضَوْنَ بالدُّونِ الهجر المحمود
سلامةُ الدِّين والدُّنيا فراقُكُم وقربُكُم آفةُ الدنيا مع الدِّينِ

---

(١) يقال للعاجز : « فلان لا يفقيء البيض » وأفقأ بيضات الضغائن : فجرها وأظهرها .
(٢) الدمنة : الحقد القديم ، والحقد الثابت إلى الأبد .
(٣) ج ق ـ تخرمن .
(٤) سَرُعَ سراعةً وسِرّعاً وسرَعاً وسُرعة : نقيض بَطُؤَ .
(٥) ج ق ـ منجد .

أنـــا النـــذيرُ لمغبـونٍ بصُحْبتكم مُحَارَفٌ، جاهلٌ، بالأمر مَفْتون[1]
خـاب الغبينُ الـذي يبغي مـودّتكم وليس هـاجرُكم عنـدي بِمَغْبُـونِ

وأخبرنا ابن مقسم قال : أنشدنا أحمد بن يحيى الشاعر :

صفاء وعتاب وسماح

وإنّي لتصفُـو للخليـل مـودّتي وقد جعلت أشيـاء منـه تَريبُ
أخافُ لجاجاتِ العتاب بصاحبي وللجهلِ من قلب الحليمِ نصيبُ
فإن فاءَ لم أعدُدْ عليه ذُنُوبَـهُ[2] وهل بعد فَيْئات الرجال ذُنوبُ /

[٢٠ ب]

ابن عروس :

مناجاة حبيب

يـــا فتىً كانتْ بـــه دُنيـــايَ تصفُـــو وتطيبُ
ولـــه كانت تضيـــقُ الأرضُ بي حين يَغيبُ
مـــا الـــذي رَابَـــك والأيـــامُ مـــا زالتْ تريبُ
فيم إعراضُـــك عني أيهـــا الحرُّ اللبيبُ
أمَـلاَلاً فهـو مـا ليس يُـداويـهِ طبيبُ
أم لظنٍّ فـــامتحنْ فـــالظنُّ يخطي ويُصيبُ
أم لعتْبٍ فعتـــابُ الحرِّ يُجـــدي ويُثيبُ
أم لـــذنبٍ فلـــك اللهُ بـــأنّي ســـأتـــوبُ

شاعر :

الصبر على النفس

كيف صبري عن بعض نفسي وهـل يصبرُ عن بعض نفسه الإنسانُ

آخر :

---

(١) المحارف : المحروم المحدود الذي إذا طلب فلا يرزق وهو خلاف مبارك . قال الراجز :
محـارف بـالشـاء والأبـاعر مُبَـارٌ بـالقلعيّ البـائر

(٢) فاء يفيء فيئاً : رجع ، والفَيْئَة : المرة من الرجوع .

شواهد التجني

وإذا أرادَك صاحبٌ بجنايةٍ جعل التجنّي للجفاء سبيلا
فترى دواعي الهجر في حَرَكاته وكفى بذلك شاهداً ودَليلا

وأخبرنا المرزباني قال : حدثنا ابن أبي الأزهر قال : أنبأنا بُندار قال : أنشدني ابن السّكّيت :

ألم الهجر

إني لأصْبَرُ من عُوْدٍ بـــه جَلَبٌ عند الملمّات إلاّ عند هجرانِ[1]
إذا رأيتُ ازورَاراً من أخي ثِقَةٍ ضاقتْ عليَّ برحب الأرض أوطاني
وما صدودُ ذواتِ الدّلّ أرْمَضَني[2] لكنّما الهجر عندي هجرُ إخواني
فإن صَدَفْتُ بوجهي كي أجازيَه[3] فالعينُ غَضْبَى، وقلبي غيرُ غضبانِ

أبلغ وأحسن

أخبرنا المَرْزُباني أبو عبد الله ، حدثنا الصُّولي ، حدثنا أبو العَيْناء قال : كان ابن أبي داود يقول : لوأراد العباسُ بنُ الأحنف بقوله :

المرء قد يُرزق أعداؤهُ منه ويَشْقَى بالصديقِ الصديقُ

إصلاحاً بين قبيلتين من العرب ، أو إقامةً لخطبة ، أو إرْسالاً لمثل وحكمةٍ لكانَ أبلغ[4] وأحسن .

وله أيضاً :

قريب وبعيد

إذا امتَنَعَ القريبُ فلم تَنَلْهُ[5] على قُرْبٍ فذاكَ هو البعيدُ

أخبرنا القاضي أبو السائب ، حدّثنا ابن أبي طاهر ، قال الكِنْدي :

---

(١) الجلب مفردها جَلْبَة : القشرة تعلو الجرح عند البرء .
(٢) أرمض فلاناً : أوجعه ، وأرمض الأمر فلاناً : أحرقه غيظاً ، والشيء ، أحرقه .
(٣) صدف فلان صَدْفاً وصدوفاً : انصرف ومال ، وصدف عنه : أعرض وصدّ .
(٤) م ـ بالغ .
(٥) ج ق ـ ينول .

العبَّـاس ـ والله ـ ظريفٌ ، مليـحٌ ، حكيمٌ ، وشعرُه جَـزْلٌ ، وكان قليـلاً ما يَرْضى الشعر فكان يُنشد هذا كثيراً له :

مودة وتجني

ألاَ تعجبـــــونَ كما أعجبُ صـــديـقٌ يُسيءُ ولا يُعْتِبُ
وأبغي رضـــاهُ على سُخْطـــهِ فيـــــأبى عليَّ ويَسْتَصْعِبُ
فيـــاليتَ حظّي إذا مـــا أســـاتُ أنّـــك ترضى ولا تغضبُ

من كتاب

وقال لنا الناقط : كتب أبو الحوراء إلى صديق له : الله يعلمُ أنك ما خطرتَ ببالي في وقتٍ من الأوقات إلاَّ مَثَّل الذكرُ منك لي محاسنَ تزيدُني صَبابةً إليك ، وضنّاً بك ، واغتباطاً بإخائك .

أخبرنا ابن سحرة ، حدثنا أبو إسماعيل الْحَريمي قال : دخلتُ على عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكنت قد تأخرت عنه فقال :

مع الدهر

رأيتَ جَفَاء الدهر بي فجفوْتَني كأنّك غضبانٌ عليَّ مع الدهرِ

فقلت : أيّها الأمير لوعلمتُ أنّي أسمع هذا لأعددتُ له جواباً يناضل عني في الاعتذار ، ويتقدمني بطلائع الشوق إليك ، ويقوم لي مقام العذر قِبَلك[1] ، ولقد بَدَهْتني بِمُفحمةٍ[2] ، وتركَّبتني بمظلمة ، وبالله الذي أسألُه الزُّلفة عندك إني ما تأخرتُ إلاّ لعُذْرٍ خافيهِ كالشمس وُضوحاً ، وغائبُه كالحاضر عِيَاناً ، ومظنونُه كالمشاهد يَقيناً ، ومع ذلك فلم أخلُ من خاطرِ شوقٍ كالسِّنان ، ونِزَاع نَفْس كالجمر ، وتبرُّم بالعيش كالحِمام ، أفأنا أجفُوكَ مع الدهر ، وأكونُ ألْباً[3] له عليك ، وأنا ألحاهُ[4] على جَفَائه لك ، إنحائه[5]

(١) قبلك : عندك .
(٢) بدهه أمر بَدْهاً : بغته . أفحمه : أسكته بالحجة في خصومة أو غيرها .
(٣) ج ق ـ ألفا . ألب وتألب : تجمع وتحشد .
(٤) ألحاه : لامه .
(٥) أنحى : أقبل ويقال : « أنحَى عليه باللوائم إذا أقبل عليه بها » .

على إرادتك بما خالفَ هواك ، كلا ، والذي شقَّ البَصَر ، وجعلك الوَزَر [والعَصَر[1]] . فقال لي هذا جوابك عمَّا لم تعد له ، فكيف بنا لوغَمَرَتْنا منك سحابتُك الغدّاقة[2] : ومُزْنَتُك الدفّاقة ، لله درُّك بادِهاً ومُرَوّياً ، وسابقاً ، ومُصَلِّياً .

آخر :

غيرُ ما طالبينَ ذَحْلاً ولكن[3] مالَ دهرٌ على أُناسٍ فَمَالُوا — مع الدهر

الخليع[4] :

لا تعجبنَّ لِمَلَّةٍ صَرَفتْ[5] وجه الأمير فإنه بشرُ — الضمير والنظر
وإذا نَبَا بك في سريرته عِقْدُ الضمير نبَا بك النظرُ

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن علي الهُجَيْمي قال : حدثنا أبو داود الطَّائي قال : جاء رجل إلى حَمَّاد بن زيد فقال له : يا أبا سعيد اطلبْ لي رفيقاً إلى مكَّةَ ، ما بينك وبين سنة ، فلما جاء الْحَوْل جاء رجلٌ إلى حمَّاد فقال : أنا أطلب رفيقاً إلى مكةَ مُذْ سنة فجمع بينهما فمضيا إلى ابن عَوْن فودَّعاه وقالا له : أوْصِنا ، قال : أُوصيكما بِخَصْلَتَيْن[6] ، قالا : وما هُما ، — وصية ثمينة

(١) الوزر : الجبل المنيع ، وكل معقل والملجأ والمعتصم . العصر : الملجأ والنجاة .

(٢) غدق وأغدق واغدودق المطر : كثر قطره .

(٣) الذحل : الثأر والحقد والعداوة والجمع ذحول وأذحال ، ويقال : « طلبت عند فلان ذحلاً » ولي عندهم ذحول .

(٤) هو أبو علي الحسين بن الضحّاك بن ياسر الباهلي ، شاعر عباسي ولد في البصرة سنة ١٦٢ هـ ، وتوفي في بغداد سنة ٢٥٠ هـ . اتصل بالخلفاء الأمين والمأمون والمعتصم والواثق ونادمهم ومدحهم ، راجع أخباره في الأغاني ١٤٦/٧ـ٢٢٦ .

(٥) الملة : الملل والضجر ، يقال : إنه لذو ملّةٍ ، وملٌّ ، ومَلَةٌ .

(٦) الخصلة : الخلة ، فضيلةً كانت أو رذيلة ، وقد غلبت على الفضيلة ، والجمع خصال .

قال : كَظْم الغَيْظ ، وبذْلُ المال ، قال : فأتى أحدهما في منامه أن ابن عون أهدى لها حُلَّتَيْن .

وقال الزِّبْرِقَان[1] :

نوعا الموالي

ومن الْمَوالي مَوْلَيانِ فمنهُما ... مُعْطي الجزيل وباذلُ النَّضْر
ومن الْمَوالي ضَبُّ جَنْدَلَةٍ[2] ... لَحِزُ المروءة ظاهرُ الغَمْرِ[3]
يَجْني عليك إذا استطاعَ ولا ... يُعطيك عند غنىً ولا فَقْرِ
وإذا حَبَاكَ اللهُ أرغمه[4] ... وَدَعا لتُصْبِحَ غيرَ ذي وفْرِ

آخر :

مولى كالداء

ومولىً كداء البَطْنِ لو كان قادراً ... على الدَّهْرِ أفنى الدهرُ أهلي ومالِيا

آخر :

رعاية الغائب [٢١آ]

ومولىً قد رَعيْتُ الغيبَ فيه ... ولو كنتُ الْمُغَيَّبَ ما رَعَاني/

آخر :

بين أحياء وأموات

فما حياةُ امرئٍ أضحتْ مدامعُه ... مقسومةً بين أحياءٍ وأمواتِ ؟

علامات الأخ

قيل لابن المقفَّع : بأي شيء يُعرف الأخ ؟ قال : أن ترى وجهَهُ

---

(١) هو الزبرقان بن بدر التميمي السعدي . صحابي ، لقب بالزبرقان (وهو القمر) لحسن وجهه ، تولى الصدقات أيام عمر بن الخطاب ، ومات في أيام معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٥ هـ ، وكان شاعراً فصيحاً وفيه جفاء البداوة .

(٢) الضَّبّ : حيوان من الزحافات شبيه بالحرذون ذنبه قصير العقد . ويقال : في قلبه ضب أي غل داخل كالضب الممعن في حجره . جندلة : الصخرة العظيمة .

(٣) لحز يلحز لحزاً : شحّ وبخل فهو لحز . الغمر : الحقد .

(٤) أرغمه : أسخطه .

مُنْبسطاً ، ولسانَه بمودته ناطقاً ، وقلبَه ببِشْره ضاحكاً ، ولقربه في المجلس مُحبَّباً ، وعلى مجاورته في الدار حَريصاً ، وله فيما بين ذلك مُكْرِماً .

شاعر :

لَهْفي لأيـــــــام مَضَتْ مشغـولـةٍ بـــك فُرَّغَـــا شغل وفراغ

آخر :

وبي بَرْحُ شوقٍ لو فرشتُك كُنْهَه[1] لأيقنتَ أنّي في ودادك مُخلِصُ شوق وإخلاص
ولا تأسَ من روح اجتماعٍ يضمُّنا إلى بَرْدِ أيامٍ بقربك يَخْلُصُ[2]

آخر :

أتـــاني عَنْـــكَ مـــا ليس على مكروهِـــــــهِ صَبْرُ مكروه وإغضاء
فـــأغضيتُ على عَمْـــدٍ وقـــــد يُغضي الفتى الحرُّ
وأدّبتـــــك بـــــالهجر ولَمّـــــا ينفـــعِ الهجرُ
فلَمّـــــــا زادني للكروهُ واشتـــــــــدَّ بيَ الأمر
تنـــاولتـــك من شرّي بمـــا ليس لـــه قـــدرُ
فحرّكتُ جَنَـــاح الـــذُّلّ لَمّـــا مسّـــك الضُّرُّ
إذا لم يُصْلِـــــــحِ الخيرُ امرءاً أصلحـــــــه الشَّرُّ

---

(١) ج ق ـ بثثتك . برّح به الأمر : أتعبه وجهده وآذاه أذىً شديداً . والبَرْح : الشدة والجمع أبراح . فرَش الشيء فَرْشاً وفراشاً : بسطه ، وفرش فلاناً أمراً : بسطه له كله ، ومن أمثال المولدين : « فرشتُه دخلة أمري » . ويُروى فرشت له ، يضرب في الكشف عن باطن الأمر وحقيقته . الكُنه : جوهر الشيء وقدره وحقيقته وغايته تقول : عرفت كنه المعرفة ، وسله عن كنه الأمر أي حقيقته .

(٢) يصفو من الكدر .

آخر[1] :

صداقة بالمزاد

ولما رأيتُك لا فاسقاً[2] تُهابُ ولا أنت بالزّاهدِ[3]
وليس عَدُوّك بالمتّقى[4] وليس صديقُك بالحامدِ[5]
أتيتُ بك السوقَ سوقَ الرّقيقِ فناديتُ هل فيك من زائدِ ؟
[على رجلٍ غادرٍ بالصّديقِ كفورٍ لنعمائهِ جاحدِ][6]
فما جاءني رجلٌ واحدٌ[7] يزيدُ على درهمٍ واحدِ
[سوى رجلٍ حَانَ منه الشقاءُ وحلّتْ به دعوةُ الوالدِ][8]
فبعتُك منه بلا شاهدٍ مخافةَ ردّك بالشاهدِ[9]
وأُبتُ إلى منزلي سالماً[10] وحلّ البلاءُ على النّاقدِ[11]

آخر :

إخاء وشمائل

أخٌ لي كأيّام الحياة إخاؤُه يلوّن ألواناً عليّ خطوبُها
إذا عِبْتُ منه خِلّةً فهجرتُه دعتني إليهِ خِلّةً لا أعيبُها

---

(١) الأبيات للصولي كما في الطرائف الأدبية ص ١٨٣ ، قال أبو هلال العسكري في ديوان المعاني ١٨٣/١ : « وهي أبيات مشهورة أوردتها لأني لست أجد مثلها في معناها » .
(٢) ج ق م - لا صاحياً .
(٣) ج ق م - تقياً ولا أنت بالعابد .
(٤) ج ق م - ولا ذو العداوة بالمتقيك .
(٥) ج ق م - ولا ذو الصداقة بالحامد .
(٦) سقط هذا البيت من ج ق م فرأينا إثباته .
(٧) ج ق م - فما أن رأيت سوى واحد .
(٨) سقط هذا البيت من ج ق م . رواية ديوان المعاني : حار منه الشقا .
(٩) ديوان المعاني : أدرك .
(١٠) ج ق م - حامداً .
(١١) ج ق م - عاد البلاء . وختم أبو هلال القصيدة بقوله : « وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد » .

وكان المُهلّبي يعجبُ من أبيات المُثَقِّب العَبْدي[1] على ما حدثني به ابن البقّال الشاعر[2] :

مصارحة واستغناء

فأمّا أنْ تكونَ أخي بحقٍّ ... فأعرف منك غثي من سَميني[3]
وإلاّ فاطّرحْني واتّخِذْني ... عدوّاً أتّقيكَ وتتّقيني
فإني لو تخالفُني شمالي ... خِلافَك ما وصلتُ بها يَميني[4]
إذاً لقطعتُها ولقلتُ بيني ... كذلك أجْتوي مَنْ يجتويني[5]

وقال آخر :

كلهم شر

بلوتُهم واحداً واحداً[6] ... فكلّهم ذلك الواحدُ
وكلُّهُم خيرُه ناقصٌ ... وكلُّهُم شرُّهُ زائدُ

التصافح والتهادي

قال النبي ﷺ فيما رواه لنا ابن شاهين : « تصافحوا فإن التصافحَ يُذهب غِلَّ الصُّدور ، وتهادَوا فإن الهديّة تُذهب السخيمة »[7] .

السحر الثلاثي

قال أعرابي : البِشْرُ سِحْر ، والهديّة سِحْر ، والمساعدةُ سِحْر .

وقال الأحوص[8] :

(١) هو عائذ الله بن مِحْصَن بن ثعلبة ، شاعر جاهلي قديم كان في أيام عمرو بن هند وله فيه مدائح ، ومدح النعمان بن المنذر ، وشعره جيد نجد بعضه في المفضليات . توفي المثقب نحو سنة ٣٥ ق هـ .

(٢) راجع المفضليات طبعة دار المعارف ص ٨٨ ، ٩٢ .

(٣) أي فأعرف نصحك من غشك .

(٤) خلافك : أي مثل مخالفتك .

(٥) الاجتواء : الكراهة والاستثقال .

(٦) ج ق ـ بواحداً .

(٧) السخيمة : الضغينة يقال : « سللت سخيمته باللطف والترضي » .

(٨) هو عبد الله بن محمد الأوسي من شعراء الغزل المجيدين في العصر الأموي ، نشأ في البيئة الحجازية وتأثر بها كسائر الغزليين ، وامتاز بعصبية يمانية حملته على هجاء قريش ، =

ملال متبادل

فإن تَشْبعي مني وتروي مَلاَلَةً ... فإني - وربي - منك أروى وأشبَعُ

شاعر :

وجوب الكتابة

إذا كتبَ الصديقُ إلى صديقٍ ... فقد وَجَبَ الجوابُ عليه فَرْضَا

آخر :

عداء وندم ومنّ

وصاحبٍ سَلَفَتْ منه إليَّ يدٌ ... أبْطَتْ عليه مُكافاتي فَعاداني

لَمَّا تيقَّن أنَّ الدهرَ حاربني ... أبدى التَّندُّمَ في ما كان أوْلاني

أفسدتَ بالمنِّ ما أوْلَيْتَ من حَسَنٍ ... ليس الكريمُ إذا أولى بِمَنَّانِ

أبو السائل [مولى بني كهلان] :

تناقض وزيف

أرى فيكَ أخلاقاً حِساناً قبيحةً ... وأنت صديق كالذي أنا واصفُ

قريبٌ، بعيدٌ، أبلهٌ، ذو فِطَانةٍ ... سخيٌّ، بخيلٌ، مُسْتقيمٌ، مخالفُ

كذاكَ لساني شاتمٌ لك مادحٌ ... كما أنَّ قلبي جاهلٌ بك عارفُ

تَلَوَّنتَ حتى لستُ أدري من العمى ... أريحٌ جَنوبٌ أنت أم أنت عاصِفُ

ولستَ بذي غشٍّ ولستَ بناصحٍ ... وإني لَمِنْ جهلٍ بشانك واقفُ

أظنُّكَ كالسُّتوق ما فيك فضَّةٌ[1] ... فإن كنتَ مغشوشاً فإنَّك زَائفُ

آخر :

وداد وأذى

أأمنحُهُ ودِّي ويمنحُني الأذى ... لحى اللهُ مَنْ تَرْضى بهذا خلائقُهْ

= وأسرف في اللهو والإسفاف والنيل من الأشراف حتى نفي إلى دهلك وهي جزيرة أمام مصوّع ، وقد مات سنة ١٠٥ هـ .

(١) السُّتوق (بفتح السين وضمها) : درهم زيف ملبّس بالفضة .

بنفسي مَنْ إنْ قال خيراً وَفَى به وإن قالَ شرّاً قاله وهو مَازِحُ — نفس شريفة

آخر :

يرانا سواءً فيُعْطي السَّواءَ على كل حال وإن زِدْتَ زَادَا — سواء وزيادة

آخر :

وقد تَتَعايشُ الأقوامُ حيناً بتلْفيقِ التَّصنُّع والنِّفاقِ — التعايش الملفق

آخر :

أُراني إذا عاديتُ قوماً وددتُهم وأنأى بودِّ القلبِ عمن أُقاربُهْ — عداء وحنين
ويأتيك ودّي وهو سَهلٌ وقد أبى فؤادُك إلاَّ النأيَ ما لم يُغالبُهْ
فَصِلْني فإني من جَناحك منكِبٌ وما خيرُ رُشْدٍ بانَ منه مناكبُهْ

وقال فيلسوف : خيرُ الأصحاب مَنْ سَتَرَ ذنبَك فلم يُقرِّعْكَ[1] ومعروفَهُ عندك فلم يمُنَّ عليك . — خير الأصحاب

وقال فيلسوف : اجتنبْ مُصاحبةَ الكذَّاب ، فإن اضطُرِرْتَ إليها فلا تصدِّقْهُ ، ولا تُعْلِمْهُ أنَّك تكذِّبه فينتقلَ عن ودِّك ولا ينتقلَ عن طَبْعه . — مصاحبة الكذاب

وقال فيلسوف : حَسْبُك من عدوِّك كوْنُه في قُدرتك . — عدوك في قدرتك

وقال فيلسوف : لا تقطعْ أحداً إلا بعد عجز الحِيلة عن استصلاحه ، ولا تتبعهُ بعد القطيعة وقيعةَ فينسدَّ طريقُه عن الرجوع إليك ، فلعلَّ التجاربَ تردُّه إليك ، وتُصلحه لك . — القطيعة والتجارب

---

(١) قرّعه : عنّفه .

[٢٢ ب]

الموة والثقة

وقال فيلسوف : لا يزالُ الإخوانُ مُسافرين في المودَّة حتى يبلُغوا / الثقة ، فتطمئن الدارُ ، ويُقبل وفودُ التناصح ، وتُؤْمنُ خبايا الضمائر ، وتُلْقَى ملابسُ التَّخلُّق ، وتَحلُّ عُقَدُ التَّحفُّظ .

إخوان السوء

وقال فيلسوف : إخوانُ السوء ينصرفون عند النَّكْبة ، ويُقبلون مع النِّعمة ، ومن شأنهم التوسُّل[1] بالإخلاص والمحبَّة إلى أن يَظْفَروا بالأنس والأمْنِ والثقة ؛ ثم يُوَكِّلون الأعينَ بالأفعال ، والأسماعَ بالأقوال ، فإن رأوا خَيْراً ونالوهُ لم يذكروهُ ولم يشكروهُ ، وإن رأوا شرّاً أو ظنّوه أذاعوهُ ونشروهُ ، فإنْ أدَمْتَ مواصلتَهم فهو الداءُ الْمُعْضِل[2] الْمُخوف على المقاتل ، وإن استرحتَ إلى مُصَارمتهم ادَّعَوا الْخُبرةَ بك لطول العِشْرة لك ، فكان كذبُ حديثهم مُصدَّقاً ، وباطلُهم محقَّقاً .

شاعر :

أمل أليف

إني لآمَلُ أن ترتدَّ أُلفتُنا ... بعد النذائرِ والبغضاء والإحنِ

الصديق والعدو

قال أفلاطون : صديقُ كلِّ امرئٍ عقلُه ، وعدوُّه جهلُه .

مقياس الكمال

قال سُقراط : لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوُّك ، فكيف بك إذا كنتَ لا يأمنُك صديقُك .

قصر العمر

وقال أفلاطون : عمرُ الدنيا أقْصَرُ من أن تُطاعَ فيها الأحقادُ .

قال الشاعر :

والعُمر أقصرُ مدَّةً ... من أن يمحَّقَ بالعتابِ[3]

---

(١) ج ق ـ التوصل .

(٢) الداء المعضل والعُضال : مُعْيٍ غالب لا دواء له ، وتعضَّل الداءُ الأطباء : أعياهم .

(٣) ج ق ـ يكدَّر . محَق الشيء : أبطله ومحاه .

إرضاء وإسخاط

وقال أفلاطون : إذا صحبتَ حازماً فأرضهِ في إسخَاطِ حاشيتِه ، وإذا صحبتَ أحمقَ فأسخِطْهُ في رضاء حاشيتِه .

الحسد والمكر

قيل لديوجانس : ما الذي ينبغي للمرء أن يتحفَّظَ منه ؟ قال : من حَسَدِ إخوانه ، ومكْرِ أعْوانه[1] .

أخلاق الأشرار

وقال أفلاطون : الأشرارُ يتتبّعون مساوئَ الناس ، ويتركونَ محاسنهم كما يتتبعُ الذُّباب المواضعَ الفاسدة من الجسد ويتركُ الصحيح .

إقبال وإدبار

وقيل لأبارينوس : ما لفلانٍ أعرضَ عنك ؟ فقال : ما أشبَهَ إقبالَهُ بإدبارِه ، ومن زَعَم أنه يضرّني فَلْيَنْفَعْ نفسَه .

تعريف الصديق

وقيل لثيفانون : مَنْ صديقُك ؟ قال : الذي إذا صِرْتُ إليه في حاجة وجدتُه أشدَّ مُسَارَعَةً إلى قضائها منّي إلى طلبها .

محنة المرء

وقال انكساغورس : إنَّ الشدائد التي تنزلُ بالمرء مِحْنَةُ إخوانِه .

تمني المساواة

وقال أفلاطون : لا ينبغي للعاقل أن يتمنَّى لصديقه الغنى فيُزهى عليه ، ولكن يتمنى له أن يساويَهُ في الحال .

رأي في العتاب

قيل لبشَّار : ما تقول في العتاب ؟ قال : هو من الرجال خيرٌ ، ومن النساء شرٌّ .

مساوئ العتاب

وقال أعرابي : ما افترقَ مُتَعاتِبان قطُّ إلاَّ على حَسِيكةٍ[2] .

مغبّة العتاب

وقال الأحنفُ : ما عاتبتُ أحداً إلاَّ وما انتَالَ عليَّ منه أكثر مما عاتبتُه عليه .

---

(١) ج ق ـ أعدائه .

(٢) الحسيكة والحُساكة والحَسَكة : الحقد والعداوة ، وحسك عليه كفرح فهو حسك : غضب .

تجربة العتاب

وقال ابن همّام السَّلُولي[1] : ما عاتبتُ أحداً إلاّ وهو مَغِيظٌ مَزْهُوٌّ ، وما اعتذرَ إلا وهو ذليلٌ مَقْفُوٌّ ، فإذا كان العذرُ لا يسلمُ من الكَذِب ، فكيف يسلمُ العِتابُ من الحِقْد ؟

التلطف بالعتاب

وسمعتُ ذا الكفايتين[2] بمدينة السلام يقول لابن فارس[3] :

ما عاتبتُ أحداً إلاّ بلسانٍ يخرجُ عن طَبْعٍ صحيحٍ ، وقلبٍ نصيحٍ ، وفؤاد سجيح[4] .

شاعر :

الحمل على الهجر

خليلٌ لي جزاه اللهُ خيراً كلَّما ذُكرا ... أطاعَ بهجرِنا قوماً أطاروا بيننا شَرَرا

شروط في الصداقة

وقال العتّابي : قلت لأعرابيٍّ قُحٍّ[5] : إني أُريد أن أتّخذ صديقاً فابعثْه

---

(١) هو عبد الله بن همّام بن نبيشة بن رياح السَّلولي من بني مرّة بن صعصعة ، شاعر إسلامي ، أدرك معاوية وبقي إلى أيام سليمان بن عبد الملك . وله أخبار ويقال : إنه هو الذي بعث يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية ، وكان يقال له العطار لحسن شعره ، توفي حوالي سنة ١٠٠ هـ .

(٢) هو ابن العميد أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين الملقب بذي الكفايتين (السيف والقلم) ، وزير ركن الدولة في الري ، وكان من أكابر عصره ذكاء ودهاء ، قتله مؤيد الدولة البويهي سنة ٣٦٦ هـ .

(٣) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي المتوفى سنة ٣٩٠ هـ أو ٣٩١ هـ أو ٣٩٥ هـ ، مؤلف كتابي (المجمل) و (الصاحبي) وغيرهما من الكتب . وكان معاصراً لأبي حيّان ، وكان بينهما عداوة وبغضاء ، وصفه التوحيدي للوزير ابن سَعْدان فقال : « إنه شيخ فيه محاسن ومساوئ ، إلا أن الرجحان لما يُذمّ به لا لما يُحمد عليه ، فمن ذلك أن له خبرة بالتصرف ، وهناك أيضاً قسط من العلم بأوائل الهندسة ، وتشبه بأصحاب البلاغة ومذاكرة في المحافل صالحة ، إلا أن هذا كله مردود بالرعونة والمكر والإيهام والخسة والكذب والغَيْبة » الإمتاع والمؤانسة ٢٠٥/٣ـ٢٠٦ .

(٤) ج ق ـ شحيح . سجيح : ليّن ، سهل .

(٥) القح : (بضم القاف) الخالص من اللؤم والكرم وكل شيء ويقال : أعرابي قح بيّن

لي حتى أطلبَهُ قال : لا تبعثْ فإنك لا تجدُهُ ، قلت : فابعثْه كيفما كان حتى أتمناه وإنْ كنتُ لا ألقاهُ ، قال : اتَّخِذْ مَنْ ينظرُ بعيْنك ، ويسمعُ بأُذُنك ، ويَبْطُشُ بيدك ، ويمشي بقدمك ، ويحطُّ في هَواك ، ولا يراه[1] سواك ، اتَّخِذْ مَنْ إنْ نَطَقَ فَعَنْ فكرك يَسْتَملي ، وإن هَجَعَ فبخيالك يَحْلُمُ ، وإن انتبَهَ فَبكَ يلُوذُ ، وإن احتجتَ إليه كفاك ، وإن غِبْتَ عنه ابتداك[2] ، يسترُ فَقْرَهُ عنك لئلا تهتمَّ لَهُ ، ويُبدي يَسارَه[3] لك لئلا تنقبضَ عنه .

لؤم أم كرم

قالت امرأة عبد الله بن مطيع لعبد الله : ما رأيت ألأمَ مِنْ أصحابك ، إذا أيسرتَ لَزِمُوكَ ، وإذا أعْسَرْتَ تَركُوكَ ، فقال : هذا من كرمهم ، يَغْشَوْنَنَا في حال القوة منّا عليهم ، ويفارقُونَنَا في حال العجز منّا عنهم .

تعريف الصديق

وقلت للعَبَاداني[4] : مَنِ الصَّديقُ ؟ قال : من شَهِدَ طرفُه لك عن ضميره بالوفاء والودّ ، فإنَّ العَيْنَ أنطقُ من اللسان ، وأوْقَدُ من النيران .

شاعر[5] :

إجمال الصد

أصدُّ صدود امرئٍ مُجْمِلٍ ... إذا حالَ ذو الودِّ عن حَالِهِ
ولستُ بمستعتِبٍ صاحباً ... إذا جعل الصَّرْمَ من بالِهِ[6]

= القُحوحة والقَحاحة ، خالص عريق في البداوة وكذا لئيم قحّ وكريم قحّ وعبد قحّ والجمع أقحاح .

(١) ج ق ـ يرى .

(٢) ج ق ـ دعاك .

(٣) ج ق ـ بشره .

(٤) ورد ذكره في مثالب الوزيرين للتوحيدي ص ٧٠ .

(٥) الأبيات لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما في حماسة البحتري ص ٧٥ ، وقد سقطت هذه الأبيات من ج ق .

(٦) م ـ الهجر .

ولكنَّني صـــارمٌ حَبْلَـــةٌ وذلـك فِعْلي بـأمثـالـهِ
ومهما أدلَّ بحـــقٍّ لـــه عرفتُ لـــه حـقَّ إدلالـــه
وإني على كلِّ حـــالٍ لـــه مِن إدبـارِ وُدٍّ وإقبـالـهِ[1]
[٢٣آ] لَرَاعٍ لأحسنَ مـــا بيننـــا بحفـظ الإخـاء وإجـلالـهِ/

وكتب الزُّهَيْري[2] إلى ابن السَّكَن[3] في آخر كتابه ، وابنُ السكن إذ ذاك بالأهواز ، والزُّهيري ببغداد :

ثبات الودّ
لئن غاب عن عينيَّ شخصُك بالنَّوى لَمَا غَابَ عن قلبي الْمُصَافاةُ والودُّ
ولا نَسِيَتْكَ النَّفْسُ مني ساعـةً[4] ولا انتقض الميثاقُ والودُّ والعقـدُ

وأنشدنا عليّ بن هارون سنة خمسين وثلاثمائة ومات سنة ستين[5] :

حاضر بالفكر والقلب
لئن غبتَ عن عَيْني بـالبُعْـدِ والنَّوى لما غبتَ عن فكري وعن ناظرِ القلبِ
أراكَ على بعـد المسـافـة بيننـا كما تُبْصِرُ العَيْنَـانِ مني على القُربِ

وقال روح أبو همام :

عين الرضا
وعينُ السخـط تُبصر كلَّ عيبٍ وعينُ أخي الرضـا عن ذاك تَعْمى
ولـو يُمْنَى يـديَّ تكرَّهَتْني إذاً لحسمتُهـا بـالنـارِ حَسْمَـا

---

(١) م ـ أمر .

(٢) ورد ذكره في الإمتاع والمؤانسة ٦٣/١ ، ١٩٦/٣ .

(٣) هو أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي من حفّاظ الحديث ، نزل بمصر وتوفي بها سنة ٣٥٣ هـ . قال ابن ناصر الدين في التبيان : « كان أحد الأئمة الحفّاظ ، والمصنّفين الأيقاظ ، رحل وطوّف ، وجمع وصنّف » ، له (الصحيح المنتقى) في الحديث .

(٤) ج ق : استبدلتك .

(٥) هو أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم شاعر وراوية للشعر ونديم الخلفاء ، ولد في بغداد سنة ٢٧٧ هـ ، له كتب منها : (شهر رمضان) ألّفه للراضي العباسي ،

دعاء لابن هبيرة

وقال ابن هُبَيْرة[1] في دعائه : اللهم إني أعوذُ بك من جليس مُغْرٍ ، وصديقٍ مُطرٍ ، وعدوٍّ مُسْرٍ[2] ، وأعوذُ بك من إرجام[3] النَّوْكى[4] ، وكلِّ ما أوجبَ مُلابسةَ الْحَمْقى ، وأعوذُ بك من أدب التُّجار ، ومن أخلاق الصغار ، ومن خُلْطة كلِّ مُحَرَّم[5] تصعبُ رياضتُه ، وكلِّ حريص يغرّهُ حِرْصُه ، ونعوذُ بالله من صحبةِ مَنْ غايتُه خاصَّةُ نفسه ، والانحطاط في هوى مستسيره ، وأستعيذُ بالله ممن لا يلتمسُ خالصَ مودَّتك ، إلاَّ بالتأتي لمواقع شهوتك ، [وأعوذ بالله] ممَّن يُساعدُكَ على ساعتك ، ولا يفكر في حوادث غدك ، ولا يبالي في أي أقطارها نزلت ، ومن أي أعيانها سقطت ، ولذلك قالوا : صاحبُ السوء قطعةٌ من النار ، ولذلك قال

= و (الرّدّ على الخليل) في العروض ، و (النوروز والمهرجان) ، و (الفرق بين إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي) في الغناء . توفي سنة ٣٥٢ كما ذكر ذلك ابن خلكان في الوفيات ٣٥٦/١ .

(١) هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي بن فزارة ، ولي العراقين ليزيد بن عبد الملك سنة ستين ، وكان يكنى أبا المثنى ، وفيه يقول الفرزدق مخاطباً يزيد :

أوليتَ العراق ورافديْه ... فزاريّاً أحذَّ يد القميص

تفتق بالعراق أبو المثنى ... وعلَّم قومه أكل الخبيص

رافداه : دجلة والفرات . أحذّ القميص : خفيف اليد نسبة إلى الحياكة . مات ابن هبيرة بالشام نحو سنة ١١٠ هـ . (المعارف لابن قتيبة : ١٧٩) طبقات فحول الشعراء للجمحي ص ٢٨٩ .

(٢) في البيان والتبيين ٣٩٣/١ : « سمعت عمر بن هبيرة على هذه الأعواد (أي أعواد المنبر) في دعائه : اللهم إني أعوذُ بك من عدوٍّ يُسري ، ومن جليس يُغري ، ومن صديق يُطري » .

(٣) ج ق ـ إرضاء . الرجم : اللعن والشتم والقذف والظن .

(٤) النوكى : جمع أنوك وهو الأحمق والعاجز الجاهل والعيي في كلامه .

(٥) المحرم : الجافي الذي لم يخالط الحضر .

القائل : ما رأينا في كلّ خيرٍ وشرٍّ خيراً من صاحب . وكان يقول : اللهمّ احفظني من بَوائقِ[1] الثقات ، وعداوة ذوي القرابات .

شاعر :

مشاركة الرفيق

إذا أنت لم تُشْرِكْ رفيقَك في الذي ... يكونُ قليلاً لَمْ تشاركْه في الفضْلِ

آخر :

إذا قلّ ...

إذا قلّ مالُ المرء قلّ صديقُه ... وضاقَتْ عليه أرضُه وسماؤُه
إذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤُه ... ولا خيرَ في وجهٍ إذا قلّ ماؤه
وأصبح لا يدري وإن كان حازماً ... أقُدّامُه خيرٌ له أم وراؤُه

آخر :

سوء الجزاء

ستذكرُني إذا جرَّبتَ غيري ... وتعلمُ أنني لكَ كنتُ كَنْزا
بذلتُ لك الصّفاء بكل ودٍّ ... وكنتُ كما هويتَ فَصِرْتَ جِبْزا[2]
وهنتُ إذا عززتَ وكنتُ ممن ... يهونُ إذا أخوه عليه عَزّا
فرحتَ بمديةٍ فَحَزَزْتَ حَبْلي ... بها مودّتي بيديكَ حَزّا
فلم تَتْرِكْ إلى صُلْحٍ مَجازاً ... ولا فيه لمطّلبٍ مهزّا
ستنكتُ نادماً في الأرض بَعْدي[3] ... وتعلم أنّ رأيكَ كان عَجْزا

آخر :

الأخ المخلص

أخُوكَ الذي لو جئتَ بالسيفِ قاصداً ... لِتَضْرِبَهُ لم يَسْتَغِشَّكَ في الودّ
ولو جئتَ تدعُوه إلى الموتِ لم يكنْ ... يردُّك إشفاقاً عليك من الردّ

---

(١) بوائق : جمع بائقة وهي الداهية والغائلة .

(٢) الجبز : اللئيم والبخيل .

(٣) نكت الأرض بقضيبٍ أو بأصبع نكتاً : ضربها به فأثر بها ، يفعلون ذلك حال التفكر .

يَرَى أنـــــــه في ذاك وَانٍ مُقَصِّرٌ على أنه قد آدَ جهداً على جهدِ[1]

وقال رجل من بني نهشل بن دارم :

شآفة الصديق

إذا مولاك كان عليك عوناً أتاك القومُ بالعجب العجيب
فلا تَخْنَعْ إليه ولا تَرِدْهُ ورَام برأسه عرض الْجَنُوبِ[2]
فما لشئافة في غيرِ ذنبٍ[3] إذا ولّى صديقُك من طَبيبِ

قال أبو سعيد السيرافي إمامُ الدنيا : يقال : شئفتُ الرجل أُشائِفه شأفاً وشأفةً ، ويقال أيضاً : شئفتُه وشئفتُ له .

انتخاب الصاحب

قال عبدُ الله بن جعفر لصديقٍ له : إن لم تَجِدْ من صحبة الرجال بدّاً فعليكَ بصحبة من إذا صحبتَهُ زانَك ، وإن خَفَفْتَ[4] له صَانَك ، وإن احتجت إليه مانك[5] ، وإن رأى منك خلةً سدّها ، أو حسنة عدّها ، وإن وعدك لم يَخْرِصْك[6] ، وإن كبرت عليه لم يرفضك ، وإن سألته أعطاك ، وإن أمسكتَ عنه ابتداك .

وقال دِعْبِل[7] في مُعاذ بن سعيد الحِمْيَري :

---

(١) آده الأمر أوْداً وأوودا : بلغ منه المجهود وأثقله ، ومنه في القران الكريم : ﴿ لا يَؤُودُه حِفظُهُمَا ﴾ أي لا يشقُّ عليه .

(٢) ج ق - ورم .

(٣) ج ق - شناءة . شئفت وله : أبغضته . ويقال : بينهم شأفة : عداوة ، واستأصل الله شأفتهم : عداوتهم وأذاهم ، ويقول الشاعر :

ولم نفتأ كذلك كلَّ يومٍ لشأفةِ واغرٍ مُستأصلينا

(٤) ج ق - حققت .

(٥) مانه يمونه موناً : احتمل مونته وقام بكفايته فهو مائن .

(٦) ج ق - يخرصُك . خرص : كذب والخرّاص : الكذّاب .

(٧) هو أبو علي دعبل بن علي بن رزين الخزاعي شاعر هجاء ولد في الكوفة سنة ١٤٨ هـ وتوفي في بلدة الطيب بين واسط وخوزستان سنة ٢٤٦ هـ ، قال عنه ابن خلكان : =

السر في المعاشرة

فإذا جالستَه صدَّرتَه ... وتنحيتَ له في الحاشيهْ
وإذا سايرتَهُ قدَّمتَه ... وتأخرت مع المستأنيهْ
وإذا ياسرتَه صادفتَه ... سَلِسَ الخلق سليمَ الناحيهْ
وإذا عاشرتَه ألْفَيْتَه ... شَرِسَ الرأي أبيّاً داهيهْ
فأحمدُ اللهَ على صُحبته ... وأسأل الرحمن منه العافيهْ

سلامة الحج

وأتى رجلٌ الحجَّ فأتى شُعبة بن الحجَّاج فودَّعه فقال له شُعبة : أما إنك إنْ لَمْ تَرَ الحِلْم ذُلاً ، والسَّفَهَ أَنَفاً سَلِمَ حَجُّكَ .

وقال كُثَيِّر[1] :

كراهة ود الملول [٢٣ ب]

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ ... قليلٍ ولا راضٍ له بقليلِ/
وليسَ خليلي بالْمَلُولِ ولا الذي ... إذا غِبْتُ عنه باعَني بخليلِ
ولكنْ خليلي مَنْ يدومُ وِصَالُه[2] ... ويحفظُ سرّي عند كلِّ دخيلِ[3]

آخر :

نصح وتحذير

لا تثقنَّ بامرئٍ طويّتُه ... غِشٌّ ويُنْدي اللسان بالملقِ
فربما يلبس الجديد لأن يستر ما تحت من الْخَلَقِ

= « كان بذيء اللسان مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس ، وهجا الخلفاء الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق وممن دونهم ، وطال عمره فكان يقول : لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك ! » .

(١) هو كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي . شاعر غزلي مشهور ولد بالحجاز وأقام بمصر ، وفد على الخليفة عبد الملك بن مروان فأدنى مجلسه ، له أخبار ومغامرات عاطفية مع عزّة بنت جميل الضمرية حتى عرف بها . توفي في المدينة سنة ١٠٥ هـ . راجع أخباره في الأغاني ٣/٩ .

(٢) رواية حماسة البحتري ص ٧٠ : يديم .

(٣) رواية حماسة البحتري ص ٧٠ : ويكتم .

شاعر :

ولربَّما غَفَـل الفَتى عن نفسـه ... ولحـاظُ عين عـدوِّه تَرْعَـاهُ — حذر العدو

حتى إذا ظفرَ العـدوُّ بفرصـةٍ ... نَفَثَ الـذي في بُغضـه أرداهُ[1]

شاعر :

تغربتُ أسـألُ مَنْ قـد أرَى ... من النَّاس هَلْ من صديقٍ صَدوقِ — شيئان نادران

فقـالوا : عزيـزان لن يـوجـدا ... صديقٌ صَدوقٌ وبيضُ الأنوقِ[2]

وقال ثامسطيوس : الإنسان بلا أصدقاء كالشِّمال بلا يَمين . — شمال بلا يمين

وقـال أرسطوطـاليس : أخلصُ الإخوان مَودَّةً من لم تكن مـودَّتُـه عن رَغْبةٍ ولا رَهْبة . — أخلص الإخوان

وقال هرمس : القرابةُ تحتاجُ إلى المودَّة ، والمودَّة لا تحتاج إلى القَرابة . — القرابة والمودة

وقال سقراط : مما يدلُّ على عقل صديقـك ونصيحتِـه أنـه يـدلُّـك على عُيوبك ، ويَنْفيها عنك ، ويعظُكَ بالْحُسْنى ، ويتَّعِظُ بها منك ، ويزجُرُكَ عن السيئة ، وينزجرُ عنها لك . — عقل الصديق

وقـال خـالـدُ بن صَفْـوان يصف رجـلاً : ليس لـه صـديـق في السِّرّ ، ولا عدوّ في العلانية . — بين السّر والعلانية

شاعر :

ومـمـــا يسكِّن قلب الغريبِ ... رفيـقٌ تَطيبُ بـــه الصُّحْبَـــه — صديق الغربة

آخر :

---

(١) ج ق ـ واراه .

(٢) الأنوق : العُقاب . وفي الأمثال : أعزُّ من بيض الأنوق ، يضرب لما لا سبيل إليه .

صحبة الجاهل

فـلا تصحبْ أخـــا الجهـل ... وإيَّـــــاك وإيَّـــــاهُ
فَكَمْ من جـــاهــلٍ أردَى ... حليمـــاً حين آخـــاهُ
يُقـــاسُ المرءُ بـــالمرء ... إذا مـــا هُـو مَـــاشَـــاهُ
وفي الشيء من الشيء ... مقـــاييسٌ وأشْبـــاهُ

عبد الرحمن بن حسّان[1] :

عمل خائب

ومُتَّخـــذٍ وداً لمن لا يـــودُّه ... كمعتـذرٍ عُـذْراً إلى غيرِ عَـاذِرِ[2]

المتلمس[3] :

النصيحة والرأي

احفظْ نصيحةَ مَنْ بَدَا لك نُصحُه ... وكذاك رأيَ الحرّ جَهْدكَ فـاقْبَلِ

للقُطَامي[4] :

ردّ النصيحة

لعلَّـــك إنْ رددتَ عليَّ نُصحي ... سَيُنْدِمُـك الـذي عَمِلَتْ يَـدَاكا

وأنشدنـا [أبو الفتح بُنـدار بن غـانم الكاتب] ، وكان عـامل حلوان ، هذين البيتين :

---

(١) عبد الرحمن بن حسّان بن الشاعر حسّان بن ثابت ، اشتهر كشاعر في زمن أبيه ، توفي في المدينة سنة ١٠٤ هـ .

(٢) لم نعثر على هذا البيت في الديوان .

(٣) هو جرير بن عبد العزّى من ربيعة شاعر جاهلي من أهل البحرين ، وهو خـال الشـاعر طرفة بن العبد ، هجا عمرو بن هنـد ملـك العراق فعمل عمرو على قتلـه ففرّ إلى الشـام ولحق بـآل جفنـة ملوكهـا ومـات ببصرى من أعمـال حوران في سوريـة . وفي الأمثـال : « أشأم من صحيفة المتلّس » وهي كتاب حمله وفيـه الأمر بقتلـه فلمـا علم مـا فيـه أتلفـه ونجا . له ديوان شعر فيه مايقي من شعره ، مات المتلمس نحو ٥٠ ق هـ .

(٤) هـو عمير بن شُيَيْم بن عمرو من الشعراء الإسـلاميين يقـول عنـه ابن قتيبـة في الشعرَ والشعراء ص ١٧٠ : « وكان حسن التشبيب رقيقـه » ، ويقـول ابن سـلاّم الجمحي في طبقات فحول الشعراء ص ٤٥٢ : « وكان القطـامي شـاعراً فحلاً ، رقيق الحواشي ، حلو الشعر والأخطل أبعدُ منه ذكراً ، وأمتن شعراً » .

بين العداوة والسلم

يختارُ عمرٌو عَداوتي سَفَهاً وأبتغي سَلْمَهُ ويمتنعُ
كِلْهُ إلى بَغْيِهِ سَيَصْرَعُهُ والدهر بيني وبينه جَدَعُ

المعاشرة بالمعروف

كان يبلغُ محمد بن الحنفية عن عبد الله بن الزُّبَيْر ما يكره فقال له أصحابُه : إن إمساكك عنه يُجرِّئهُ[1] عليك ، قال : ليس بحكيمٍ مَنْ لم يُعاشر مَنْ لا يجد بُدّاً من معاشرته بالمعروف حتى يجعلَ اللهُ له منه فرجاً ومخرجاً ، وقد يدفع الله باحتمال المكروه مكروهاً أعظمَ منه .

أنشدنا أبو علي النحوي الشاعر :

زرع الودّ

كيفَ أصبحتَ كيفَ أمسَيْتَ مَّا يَزْرَعُ الودَّ في فؤاد الكريمِ

شاعر :

الصداقة والفلس

ومن النَّاسِ مَنْ يودُّك حقّاً صافِيَ الودِّ ليس بالتكديرِ
فإذا ما سألتَهُ دَفْعَ فَلْسٍ ألحقَ الودَّ باللطيف الخبيرِ

آخر :

الخليل عند النوائب

فلا تَغْرُرْكَ خلَّةُ مَنْ تُواخي فما لك عند نائبةٍ خليلُ

آخر :

إقبال واستغناء

ومن شيمتي أنّي إذا المرءُ مَلَّني وأظهرَ إعراضاً ومال إلى الغَدْرِ
أطلتُ له فيما يُحبُّ عتابَه وفارقتُه في حسن مَسٍّ وفي سَتْرِ
فإن عادَ في ودّي رجعتُ لودِّه وإن لم يعد أهملتُ ذاك إلى الحشرِ[2]

شاعر :

---

(١) ج ق ـ تجربة .
(٢) ج ق ـ ألغيت .

تجلد للشامتين

لولا شماتةُ أقوامٍ ذوي حَسَكٍ[1] ... أو اغتمامِ صديقٍ كان يرجُوني
لما خطبتُ إلى الدُّنيا مَطامِعَها ... ولا بذلتُ لها نفسي ولا ديني

آخر :

صديق نادر

أحبُّ من الإخوان كلَّ مؤاتٍ ... وكلَّ غَضيضِ الطَّرْفِ عن عَثَراتي
يُساعدني في كلِّ أمرٍ أُحبُّه ... ويحفظني حيّاً وبعدَ وفاتي
فمن لي بهذا ، ليت أنّي وجدتُهُ ... فقاسمتُه مالي من الحسناتِ

شاعر :

بين بعض وكل

كريم له من نفسه بعضُ نفسهِ ... وسائرُه للحمد والشكرِ أجْمَعُ

آخر :

فتى لا يفسد

لم يبق مما فاتني كسبُه ... إلاّ فتىً يَسلمُ لي قلبُه
ينأى فلا يُفْسده نأيُه ... عني ولا يُصلحه قربُه[2]
يكون حسبي من جميع الوَرَى ... وفي كل حالٍ وأنا حسْبُه

شاعر :

مقارنة العذر

عتبي عليك مُقارنُ العذر ... قد ذادَ عنك حفيظتي صَبْري
فمتى هفوتُ فأنت في سَعَةٍ ... ومتى جفوتُ فأنت في عذرِ
تَرْكُ العتاب إذا استحقَّ أخٌ ... منك العتابَ ذريعةُ الهَجْرِ

آخر :

خير القرينين

اقبلْ مَعاذيرَ مَنْ يَلْقَاكَ مُعتذِراً ... إن بَرَّ عندك فيما قال أو فَجَرا
خيرُ القرينَيْن من أغضَى لصاحبه ... ولو أراد انتصاراً منه لانتصرا

(١) حَسِك يحسَك حسكاً عليه : غضب ، والحسكة والحُساكة : العداوة والحقد .
(٢) ج ق - يسئه .

آخر :

صديقُك حين يَذْخَر عنك خيراً[1] وآخرُ لستَ تعرِفُهُ سَوَاءُ — إخفاء الخير

آخر :

فإنْ تَنْأَ عنَّا لا تضرُّنا وإن تَعُدْ تجدْنا على العهدِ الذي كنتَ تعلمُ — بقاء على العهد

آخر :

بلوتُ الناس قِرناً بعد قِرنٍ فلم أرَ غيرَ خلاّن المَقال/ — حصيلة التجارب
ولم أرَ في الخُطوبِ أشد هولاً وأصعبَ من مُعاداة الرجالِ [٢٤أ]
وذقتُ مرارة الأشياء طُرّاً فما طعمٌ أمرُّ من السؤالِ

آخر :

فإنك لن ترى طَرْداً لحرٍّ كإلصاقٍ به طرفَ الهوانِ — بين الطرد والجلب
ولم تجلب مودّة ذي وفاءٍ بمثل البذلِ أو لُطْفِ اللسانِ

وقال فيلسوف : من لم يرضَ من أخيه بِحُسْن النيَّة لم يرضَ منه بحسن العطيَّة . — النية والعطية

وقال أعرابي : الحِفاظُ عمودُ الإخاء . — عمود الإخاء

وقال فيلسوف : لكلِّ جليلةٍ دقيقة ، ودقيقةُ الموت الهجرُ . — دقيقة الموت

شاعر :

إذا أنت لم تَتْرُكْ أخاك لزلّةٍ إذا زلّها أوشكتما أن تَفَرّقا — الزلة والفراق

آخر[2] :

---

(١) ذخر الشيء : خبأه .

(٢) البيتان لكثيّر بن عبد الرحمن الخزاعي كما ورد في حماسة البحتري ص ٧٢ مع اختلاف في =

الإغضاء عن الذنوب

إذا أنت لم تغفر ذنوباً كثيرةً ... تُريبُك لم يسلمْ لَكَ الدهرَ صاحبُ
وَمَنْ لا يُغمِّضْ عينَه عن صديقِهِ ... وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتِبُ

آخر :

بين الكمال والنأي

أردت لكيما لا ترى ليَ زلةً ... ومن ذا الذي يُعْطَى الكمالَ فيكملُ
ومن يَسألِ الأيام نأى صديقه ... وصرف الليالي يُعْطَ ما كان يَسألُ

آخر :

وضع الزيارة

نضع الزيارة حيث لا يُزري بنا ... كرمُ الْمَزُور ولا يُعابُ الزُّوَّرُ

آخر[1] :

تلوّن ومراءاة

قُلْ للذي لستُ أدري مِنْ تلوُّنِهِ ... أناصحٌ أم على غشٍّ يداجيني
إنّي لأُكثر مما سُمتني عجباً ... يدٌ تشجُّ وأُخرى منك تأسُوني[2]
تغتابني عند أقوامٍ وتمدحُني ... في آخرين وكلٌّ عنك يأتيني
هذان أمرانِ شتّى بَوْنُ بينهما ... فاكفُفْ لسانَكَ عن ذمّي وتزييني

آخر :

ميل مع الرجحان

كلٌّ يُوازيكَ المودّة بالسوا ... يُعطي ويأخذ منك بالميزانِ
فإذا رأى رُجحانَ حَبَّةِ خَرْدَلٍ ... مالتْ مودَّتُه مع الرُّجْحَانِ

آخر :

= ترتيب الشطور والرواية :

ومن لم يغمّض عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمتْ وهو عاتبُ
ومن يتتبّع جاهداً كل عثرة ... يجدها ولا يسلم له الدهرَ صاحبُ

(١) الأبيات لصالح بن عبد القدوس الأزدي كما في حماسة البحتري ص ٥٩ .

(٢) ج ق ـ تشح .

الصدق والنفاق

والصدقُ أفضلُ ما لفظت به ... إنَّ النِّفاقَ سجيَّةٌ تُردي
إني وإن أظهرتُ شكركُم ... أُخفي وأُضمر غيرَ ما أُبدي
لا مَرْحباً بوصالِ ذي ملقٍ ... يُكدي مودَّته ولا يُجدي
وإذا الصديقُ ذممتُ خلَّته ... صيَّرتُ قطعَ حِبالهُ وكدي
حتى أرى رجلاً يُعاشرني ... بمودّةٍ أطرى من الوردِ

وله أيضاً :

عبد المودّة

فلو أن كفي غيرُ نافعتي ... لقطعتُها بالفأس من زَنْدي
عيني إذا قَذِيت ضحرتُ بها ... فأودُّ لو سالتْ على خدِّي
أنا عبدُ مَنْ أرضى مودَّته ... ثم الخليفةُ بعد ذا عَبْدي
وأفِرُّ مِمَّنْ خانَني فَرَقاً ... إنَّ الخيانةَ عِلَّةٌ تُعدي

الأخ والتابع

قال ديوجانس للإسكندر لما ملك : أيُّها الملكُ ، إني إلى اليوم كنتُ أخاً ، وأنا اليوم تابع ، وشَتَّان بين الأخ والتابع ، فقال الإسكندر : إن الأُخوّة قبل اليوم كانت أنعم بك ، وهذه الحال اليوم أرفعُ لك ، وإذا كنت تُباطنني على ما تعهدناه[1] قديماً لم يضرُّك أن يكون تظاهرُك[2] على ما نستديمُ به أُنسنا حديثاً .

شاعر :

ريح المودّة

لعمري لئن ريحُ المودَّة أصبحتْ ... شَمالاً لقد بدَّلت وهي جَنوبُ

آخر :

تكريم الكريم

وإني لمكرامٌ لمكرمِ نفسهِ ... وأبتذلُ المرءَ الذي لا يَصُونُها

---

(١) ج ق ـ عهدناه .
(٢) ج ق ـ ظاهرك .

متى ما تَهُنْ نفسي على مَنْ أودُّهُ أهُنْـهُ ولا يكرُم عليَّ مُهينُهـا

آخر :

النّمام

مَنْ نمَّ في الناس لم تُؤْمَنْ عقاربُه على الصَّديق ولم تُؤْمَن أفاعيهِ
فالويلُ للعهد منه كيف ينقضُهُ والويلُ للودِّ منه كيف يُفنيهِ

آخر :

نافذة الضمير

وعينُ الفتى تُبدي الذي في ضميره ويُعرف بالفحوى الحديثُ المغمّسُ

المعاشرة بالحسنى

وقال أعرابي : عاشر أخاك بالحسنى .

وقال أعرابي : أوحشْ قريبك إذا كان في إيحاشه أُنسُك .

شاعر[1] :

وفاء ومواساة

فلا أدَعُ ابنَ العمِّ يمشي على شفاً[2] وإنْ بَلَغتني من أذاهُ الْجَنادِعُ[3]
ولكِنْ أُواسيهِ وأنسَى ذنوبَهُ لتَرجعَهُ يوماً إليَّ الرَّواجِعُ
وحسبُك من ذلٍّ وسوءِ صنيعةٍ مناواةُ ذي القُرْبى وإن قيلَ قاطِعُ

آخر :

الاغترار بالمظاهر

فلا تغترر بِرُواء الرجال[4] وإن زَخْرَفُوا لكَ او موَّهُوا
فكم من فتىً يُعجب الناظرين له أَلْسُنٌ وله أوجُهُ

---

(١) الأبيات لمحمد بن عُبيد الأزدي كما في حماسة البحتري ص ٢٤٦ .
(٢) في الحماسة : فلا أدفع .
(٣) في ج ق الخنادع . الجنادع : الأحناش ، وجنادع الشر : أوائله ، والجنادع البلايا والآفات وما يسوءك من القول . وذات الجنادع : الداهية .
(٤) الرواء : المنظر وقيل حسنه .

يَنَـــامُ إذا حَضَرَ المكرمـــاتِ وعنـــد الـــدنـــاءة يَسْتَنْبِـــهُ[1]

الخليل النحوي :

رغبتُك في الزاهد فيك ذُلُّ نَفْسٍ ، وزهدُك في الراغب فيك قِصَرُ هِمَّة . بين الرغبة والزهد

شاعر :

تنكرت حالُ الصديق فبُعْدُهُ عني ومَحْضَرُه لـــديَّ ســواءُ التحمُّل والعزاء
وبدت عليَّ من الأعادي رِقَّةٌ ومن الصَّديق فَظَاظَةٌ وجَفَاءُ
وألفتُ ضَنْكَ العيش عندك فاستوتْ عندي بـه السَّرّاءُ والضَّرَّاءُ
وعلى الليـالي أن تلمَّ صُروفهـا وعلى الكريم تحمُّـل وعَـــزاءُ

قال مالك بن دينار[2] : ثِقْلُ الحجارة مع الأبرار أنفعُ لك من أكل الخبيصِ[3] مع الفجَّار . بين الأبرار والفجَّار

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « تهادَوا تحابُّوا » . التهادي والتحابّ

وقال الأوزاعيُّ[4] ، عن عبدة بن أبي لبابة قال : إذا التقى المسلمان فتصافحا وتبسَّم كلٌّ واحد منهما لصاحبه / تحاتتْ[5] خطاياهما كما يَتَحاتُّ ورقُ الشجر فقلت : إن هذا ليسير ، فقال : لا تقُلْ ذلك فإن الله يقول : عمل صعب [٢٤ ب]

(١) ج ق ـ يستنبسه .
(٢) هو أبو يحيى مالك بن دينار أحد كبار الزهّاد والوعّاظ ، روى عن أنس بن مالك وعن كبار التابعين كالحسن وابن سيرين . توفي سنة ١٣٠ هـ .
(٣) الخبيص : الحلواء المخبوصة معروف .
(٤) هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الشامي الفقيه ، ولد سنة ٨٨ هـ ، كان من فقهاء أهل الشام وقرائهم وزهادهم نزل بيروت فمات بها . وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأي الأوزاعي إلى زمن الحكم بن هشام . توفي الأوزاعي سنة ١٥٠ هـ .
(٥) حتَّ الورق عن الشجرة حتّاً : سقط . تحاتَّ تحاتّاً وانحتَّ انحتاتاً مطاوع حتَّ يقال : « حتَّ الشجر فتحاتَّ أو انحتَّ » وتحاتَّ الورق من الغصن : تناثر .

﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾[1] ، فعلمت أنَّه أفقهُ مني .

أهواء

قال ثابت البنَّاني : جالستُ الناس خمسين سنة فما جالستُ أحداً إلاَّ وهو يُحبُّ أن تَنْقادَ الناسُ لهواه ، وإن الرجل ليخطئُ فيحبُّ أن تخطئَ الناسُ كلُّهم .

آمن وقانط

التقى يحي بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام فتبسم يحي في وجه عيسى ، وقطَّب عيسى في وجه يحي [فقال عيسى ليحي] : أتبتسم كأنك آمن ، فقال له يحي : أتعبس كأنَّك قانط ، فأوحى الله : إن ما فعله يحي أحبُّ إليَّ .

شاعر :

ثمرة المعاشرة

عمرتُ مع الناس دهراً طويلاً ... وعاشرتُ شبَّانهم والكهولا
وجربتُ أحوالهم في الخطوب ... فشرّاً كثيراً وخيراً قليلا

آخر[2] :

ثلاث خلال

إلى اللهِ أشكُو من خليلٍ أوَدُّهُ ... ثلاثَ خِلالٍ كلُّها لي غائضُ[3]
فَمِنْهُنَّ ألاّ يجمَعَ الدهرَ تلعةٌ[4] ... بُيوتاً لنا يا تَلْع سَيلُك غامضُ[5]
ومنهنَّ ألا أستطيعَ كلامَه ... ولا وُدّهُ حتى يزولَ عوارضُ[6]

(١) القرآن الكريم : سورة الأنفال : الآية ٦٣ .
(٢) الأبيات للبُرْج بن مُسْهِر الطائي كما في حماسة أبي تمّام ١٧٤/٢ .
(٣) غائض : من غاض الماء إذا نقص . وغاضه غيره : نقصه ، أي كلها يحدُّ من عزيمتي .
(٤) التلعة : أرض مرتفعة يتردد فيها السيل إلى بطن الوادي . ويقال : « فلان لا يوثق بسيل تلعته » إذا كان غير صدوق في أخباره .
(٥) معنى الشطر أن السيل يأتي من حيث لا يتّقى وكذلك عداوات الأقارب .
(٦) عوارض : جبل .

ومنهُنَّ ألاّ يجمعَ الغزوُ بينَنا ... وفي الغزو ما يُلْقى العدو المباغضُ[1]
كفى بالفُتور صارماً لو رعيته ... ولكنَّ ما أعلنتَ بادٍ وخافضُ

وقال مبذولٌ العُذْريّ[2] :

وَمَوْلىً كضِرْسِ السَّوء يُؤْذيكَ مَسُّهُ ... ولا بدَّ إن آذاكَ أنَّك فاقِرُهْ[3] مولى السوء
دَوِي الْجَوْفِ إن يُنزَعْ يَسُؤْكَ مَكانُهُ[4] ... وإنْ يَبْقَ تُصْبِحْ كُلَّ يومٍ تُحاذِرُهْ
يُسِرُّ لكَ البَغْضاءَ وَهْوَ مُجَامِلٌ ... وما كلُّ مَنْ يَجْني عليكَ تُناكِرُهْ[5]
فَلا يَكُ أدْنَى النَّاسِ مِنْكَ مَحَلَّةً ... جوى الصدر يُخْفِي غِشَّهُ ويُكاشِرُهْ[6]
ومَا كُلُّ مَنْ مَدّدتَ ثوبَك دُونه ... لِتَسْتُرَهُ مِمَّا أتى أنْتَ سَاتِرُهْ

آخر :

فأبلغ مُصعباً عني رسولاً ... وقد يُلقى النصيح بكلِّ وادِ معرفة الأعادي
تَعَلَّمْ أن أكثر من تُناجي ... وإن ضحكوا إليك هُمُ الأعادي

آخر :

إنّما شيَّبَ الذُّؤابةَ منّي ... وبَرَاني مَقَاطِعُ الإخوانِ مقاطع الإخوان

---

(١) قال أبو هلال العسكري في تفسير البيت : أي لا نتقارب في غزو ولا سفر والمتباغضان ربما اجتمعا في سفر وضمهما غزو .
(٢) ج ق م ـ العدوي . وفي مجموعة المعاني ص ٦٥ : مبذول الغزي . الأبيات في وحشيات أبي تمام ص ٢٣٦ . والبيان والتبيين ٥٦/٤ .
(٣) ج ق ـ ناقره ـ فاقره : كاسره كما في البيان والوحشيات .
(٤) ج ق م ـ ذو الخوف وكذلك في البيان .
(٥) في البيان : تساوره .
(٦) في الوحشيات : دَوِي الصدر .

آخر :

مرض وصحة

عليك سلامُ الله أمَّا قلوبُنا ... فمرضى وأمّا ودُّنا فصحيحُ

آخر :

عودة إلى القلب

عزمتُ على هجرٍ فلما أبى الهوى ... رجعت إلى قلبٍ عليك شفيقِ
فلا يمكنُ الهجرانُ من ذات بيننا ... فيعيي صديق عن لقاء صديقِ

آخر[1] :

بغض متبادل

لَعَمْرُكَ إنَّني وأبا رِباحٍ ... عَلى طُول التَّجَاورِ مُنْذُ حين
لَيُبْغِضُني وَأُبْغِضُهُ وأيضاً ... يَرَاني دُونَهُ وأراهُ دُوني

آخر :

شهباء ماحض

وأصبح عمِّي بعد ودٍّ كأنّه ... إليَّ من البغضاء شهباء ماحض[2]

آخر :

متح وغفلة

مَتَحْتَ لنا سَجْلَ العداوة مُعرضاً[3] ... كأنَّك عما يُحدث الدهرُ غافلُ

آخر :

كرم وصبر

فتىً غيرُ محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهرُ الشكوى إذا النعلُ زلَّتِ

آخر :

---

(١) البيتان لمرداس بن عمرو كما ورد في وحشيات أبي تمام ص ٨٤ ، وقد نسبت لعلي بن بدال من سليم في الجمهرة ٣٠٣/٢ ، وخزانة الأدب ٣٥١/٣ ، وفي اللسان مادة (رمى) ، والجمهرة ٢٠٣/٢ ، والزجاجي ١٤ ، والمجتبى ٨١ .

(٢) شهباء : سنة مجدبة .

(٣) السجل : الدلو العظيمة فيها ماء قلَّ أو كثر .

إذا أقبلت منـه المـودةُ أقبلتْ وإن غُمزت منه القنـاةُ اكفهرّتِ إقبال وغمز

شاعر من الأعراب[1] :

إني وإن كان ابن عمي غائبـاً[2] لَمقـاذفٌ من دُونـه ووَرَائـه[3] وفاء وكرم
وأعدُّه نصري وإن كان امرءاً[4] مترجرجـاً في أرضـه وسمائـه[5]
ومتى أجِدْهُ في الشدائـد مُرملاً[6] ألقِ الذي في مِزْوَدي بوعائـه[7]
وإذا تتبَّعتِ الجلائفَ مـالـه[8] خُلطتْ صحيحتُنا إلى جَرْبائه[9]
وإذا أتى من وِجْهةٍ بطَريفةٍ[10] لم أطَّلِـعْ مِمَّـا وراءَ خبـائـه
وإذا اكتسى لوناً جميلاً لم أقـل يَـاليتَ أنَّ عليَّ حسنَ ردائـه
وإذا غدا يوماً ليركبَ مَركباً صعباً قعدتُ لـه على سِيسَائـه
وإذا استراش وفرتُه وحمدتُـه[11] وإذا تصعلكَ كنتُ من قرنائـه[12]

---

(١) الأبيات لسماك بن خالد الطائي كما في حماسة البحتري ص ٢٤٧ ، ونسبها أبو تمام في حماسته ٢١٣/٤ وكذلك صاحب مجموعة المعاني ص ٦٣ إلى الهذيل بن مشجعة البولاني .

(٢) في الحماسة : عانباً .

(٣) في حماسة أبي تمام : خلفه .

(٤) ج ق م ـ مفيده .

(٥) حماسة البحتري : متزحزحاً . وكذلك في حماسة أبي تمام .

(٦) أرمل القوم : نفد زادهم وافتقروا . وفي حماسة أبي تمام : أجئه .

(٧) المِزود والمزاد والمزادة : ما يوضع فيه الزاد . وفي حماسة أبي تمام : لوعائه .

(٨) في حماسة البحتري : وإذا تعرقت الشديدة ماله وفي حماسة أبي تمام : مالنا . الجلائف : مفردها جليفة وهي السنة الجديدة . والجلائف أيضاً : السيول .

(٩) الجربى : المصابة بالجرب . والمعنى : أنا ساويناه بأنفسنا . وهنا مثل معناه أنا نخلط فقره بغنانا وغثّه بسميننا .

(١٠) طريفة : مؤنث طريف ، وهو ما استطرفه من المال واستحدثه والقصد ما يستحسن من الأغراض .

(١١) استراش : جمع المال والأثاث واغتنى .

(١٢) تصعلك : افتقر .

السيساء : فقار [1] الظهر هكذا قال أبو سعيد السيرافي الإمام .

وقال آخر :

قيد الصداقة

حبـاك خليلُـك القَسْريُّ قيـداً ... لبئس على الصداقـة مـا حبـاكا

آخرُ [2] :

مولى السوء

ومَـوْلىً أمَتْنَـا داءَهُ تحت جنبـهِ ... فَلسنا نُجازيـه ولَسْنَـا نُعـاقِبـهْ
رأى اللهَ أعطاني فأغلق صـدرَه ... على حسدِ الإخوان فازْورَّ جانبهْ
فَـوَيْـلٌ لهـذا ثُمَّ وَيْـلٌ لأُمِّـهِ ... علينا إذا ما حَرَبتنا حوارِبُـهْ [3]

مُطيع بن إياس [4] :

مراء وانقطاع

ليس من يُظهر المـــودَّة إفْكاً ... وإذا قـالَ خـالَف القَـوْل فِعلُـهْ
وَصْلُـهُ للصَّـديقِ يومٌ وإن طـا ... لَ فيـومـانِ ثم يَنْبتُّ حَبْلُـهْ

وقال العَرْجي [5] :

وفاء وشهامة

ولا بُعْـدي يُغيِّرُ حـالَ وُدِّي ... عنِ العهدِ الكريمِ ولا اقْترابي [6]

---

(١) م - قردود وهو وسط ظهر الإنسان وأعلاه وكذلك القردودة .

(٢) الأبيات للأقرع بن مُعاذ القشيري كما ورد في كتاب الوحشيات لأبي تمام ص ١٦٨ .

(٣) الحرب : الهلاك والويل . وفي الوحشيات : حركته حواربه .

(٤) هو مطيع بن إياس الكناني شاعر مخضرم ولد ونشأ في الكوفة ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن المنصور ، ثم أقام ببغداد زمناً وولاه الخليفة المهدي الصدقات بالبصرة فتوفي فيها سنة ١٦٦ هـ . راجع أخباره في الأغاني ٢٧٤/١٣ ، والوحشيات ١٧٦-١٧٧ .

(٥) هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي ، شاعر غَزِلٌ من مدرسة عمر بن أبي ربيعة ، كان من الأدباء الظرفاء والفرسان المعدودين ، صحب مسلمة بن عبد الملك في وقائعه بأرض الروم . توفي سنة ١٢٠ هـ .

(٦) رواية الوحشيات : ولا اغترابي .

ولا عند الرَّخاء أخونُ يوماً[1] ولا في فاقةٍ دَنِسَتْ ثيابي[2]
ولا يَغْدو عليَّ الجارُ يَشكُو أذاتي ما بَقِيتُ ولا اغْتِيابي
وما الدُّنيا لصاحِبِها بحظٍّ سوَى حَظِّ البَنانِ مِن الخِضابِ
إذا ما الخَصْمُ جارَ فقُلْ صواباً فإنّ الْجَوْرَ يُدمغُ بالصَّوابِ
فإنّي لا يَغُولُ النأيُ وُدِّي[3] ولو كنَّا بِمُنْقَطَعِ التُّرابِ

وقال آخر :

فلولا أن فرعك حين يَنْمي وأصلَك مُنْتَمى فَرْعي وأصْلي لولا القرابة
وإني إن رَمَيْتُ رميتُ عَظمي ونالَتْني إذَا نالَتْكَ نَبْلي / [٢٥أ]
لَقَدْ أنكرْتَني إنكارَ خَوْفٍ يَضُمُّ حَشاكَ عن شَتمي وأكلي

المتلمّس[4] :

ولَوْ غَيْرُ أخْوالي أرادوا نَقيصَتي جَعَلتُ لهم فوقَ الْعَرانِينِ ميسَما[5] وفاء المتلمس
ومَا كنتُ إلاّ مِثلَ قاطِعِ كفِّهِ بكَفٍّ له أُخْرى فأصبَحَ أجْذَما[6]
يَداهُ أصابتْ هذِهِ حَتْفَ هذِهِ فلَمْ تَجِدِ الأخرى عليها مُقدَّما[7]

---

(١) رواية الوحشيات : أطوف .

(٢) رواية الوحشيات : دنس ثيابي .

(٣) غاله يغوله غولاً واغتاله : أهلكه وأخذه من حيث لا يدري .

(٤) هو جرير بن عبد العُزّى من ربيعة ، شاعر جاهلي من أهل البحرين ، وهو خال طرفة بن العبد ، هجا عمرو بن هند ملك العراق فأراد عمرو قتله فهرب إلى الشام ولحق بآل جفنة ومات ببصرى من أعمال حوران في سورية . وفي الأمثال : « أشأم من صحيفة المتلمس » ، وهي كتاب حمله وفيه الأمر بقتله فلما علم ما فيه أتلفه ونجا . توفي المتلمس نحو سنة ٥٠ ق. هـ .

(٥) العرانين : جمع عرنين وهو الأنف أو ما صلب من عظمه . الميسم : اسم لأثر الوسم .

(٦) الأجذم : المقطوع اليد .

(٧) ج ق ـ تجده .

فلَمَّا استقادَ الكفَّ بالكفِّ لم يَجِدْ ... له دَرَكاً في أن تَبينا فأحجَما[1]
فأطرقَ إطراقَ الشُّجاع ولوْ يَرَى ... مَساغاً لنابَيْه الشجاعُ لَصَمَّما[2]

آخر :

بين الحديث والصوت

وإذا شَنِئْتُ فتىً شَنِئْتُ حديثَه ... وإذا سمعتُ غناءَهُ لَمْ أطْرَبِ

آخر :

خلائق ثابتة

له خلائقُ بيضٌ لا يُغيِّرها ... صَرْفُ الزَّمان كما لا يَصدأُ الذهبُ

آخر :

خبث الحديد

سَبَكْناهُ وَنَحْسَبُهُ لُجَيْناً ... فأبدى الكِيرُ عن خَبَث الحديد[3]

النابغة :

أي الرجال المهذَّب

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلُمُّه ... على شَعَثٍ: أيُّ الرجال المهذَّبُ ؟

بكل واد

ولما جفت سعد سيدها الأضبط بن قُرَيع تحوّل عنهم إلى قبيلةٍ أُخرى فظلموه وآذوه فقال : « بكل وادٍ بَنُو سَعْد »[4] .

شاعر :

---

(١) ج ق ـ استفاد ـ تبين . استقاد الكف بالكف طلب إليها قطعها من استقدت الحاكم : سألته أن يقيد القاتل بالقتيل ، الدرك : اللحاق . تبينا : تنقطعا . أحجم : كفَّ .

(٢) ج ق ـ لا نياب . الإطراق : السكوت . الشجاع : نوع من الحيّات لطيف دقيق . المساغ : المدخل . صمّم الشيء : عضّه .

(٣) خبث الحديد : ما نفاه الكير ، وما لا خير فيه ، وما يكون في الذهب والحديد ونحوهما من الغش . الكير : زقّ ينفخ فيه الحداد ، وأما المبني من طين فهو الكور .

(٤) في مجمع الأمثال للميداني ٩٤ : هذا مثل قولهم : « بكلّ وادٍ أثر من ثعلبة » ، وهو قول ثعلبي رأى من قومه ما يسوءه فانتقل إلى غيرهم فرأى منهم أيضاً مثل ذلك .

إني لَيَرْدَعُني عن ظلمِ ذي رَحمٍ ... لُبٌّ أصيـلٌ، وحلمٌ غيرُ ذي وَصَمِ ردع وصفح
إنْ لانَ لِنْتُ وإن دبَّت عقاربُه ... ملأتُ كفيـه من صفحٍ ومن كرمِ

آخر :

ولو أخاصمُ أفعى نابُها لَبِقٌ ... أو الأساودَ من صُمِّ الأهاضيبِ مع الأفاعي
لكنتمُ معها إلْبـاً وكان لهـا[1] ... نابٌ بأسفل ساقٍ أو بعرقوبِ

آخر[2] :

أذِيتُم بقربي منكُمُ وَمَـودَّتي[3] ... فأغْتَيْتُ عنكم ما أذيتُم بـه مِنِّي استغناء
وأصبحتُ عنكم غانياً في عدوكم[4] ... وأغنـاكُم تقصيرُ رأيكُمْ عَنِّي

آخر :

لَعَمْرُكَ لـو أني أُخاصمُ حيَّـةً ... إلى فَقْعَسٍ مـا أنصفتْني فَقْعَسُ مخاصمة فقعس

آخر :

أفكِّرُ ما ذنبي إليكَ فلا أرى ... عليَّ سبيلاً غير أنَّك حاسدُ إخلاص وحسد
وإنّا لموسومانِ كلٌّ بوسْمةٍ ... أقَرَّ مُقِرٌّ أمْ أبى جاحِدُ

آخر[5] :

بني عمِّنا لا تقربوا البُطْلَ إنه ... يضيقُ وأن الحقَّ مأتاهُ واسعُ الباطل والحق
فلا الضَّيْمَ أُعطيكم لطُولِ وعيدكم ... ولا الحقَّ من بَغْضائكم أنا مانِعُ

(١) الإلب : القوم يجتمعون على عداوة إنسان . وتألب القوم : تجمعوا .
(٢) البيتان للربيع بن أبي الحُقَيْق كما جاء في وحشيات أبي تمام ٩٢ .
(٣) ج ق م ـ أدنتم .
(٤) ج ق م ـ غائباً .
(٥) المظنون أن الأبيات لكيت بن معروف راجع : وحشيات أبي تمّام ص ١٧ .

آخر[1] :

فخر شاعر

لقـــد زادني حُبّـــاً لنفسي أنَّني ... بغيضٌ إلى كل امرئٍ غير طائلِ
وأني شقيٌّ بـــاللئـــام ولا ترى ... شقيّـــاً بهم إلاّ كريمَ الشمائـــلِ
إذا مـا رآني قطَّـع الطرفَ بينـهُ ... وبيني فِعْلَ العـارفِ المتجـاهلِ
ملأتُ عليه الأرض حتى كأنَّهـا ... من الضِّيقِ في عينيه كِفَّـة حـابلِ
أكلُّ امرئٍ ألفى أبـــــاه مقصِّراً ... معـادٍ لأهل المكرمـاتِ الأوائلِ

آخر :

مولى الزبرقان

ومولىً كمولى الزِّبْرقان دَمَلْتُهُ[2] ... كما دملتْ ساقٌ يهاضُ بهـا كَسْرُ[3]
ترى الشَّرَّ قد أفنى دوائرَ وجههِ ... كضبِّ الكُدَى أفنى براثنهُ الحفْرُ[4]
تراه كأنَّ اللهَ يَجْـــدَعُ أنفَـــهُ ... وأُذنَيْـه إنْ مولاهُ نـابَ لَـهُ وَفْرُ

آخر :

بررة وذئاب

إخـوةٌ مـا شهـدتُ سَرُّونَ بَرُّونَ فـإن غبتُ فـالـذئـابُ الجيـاعُ[5]
لاَلِسُـــوء البَـــلاء مِنّي ولكنْ ... ظهرتْ نِعْمَـةٌ عليَّ فَـلاَعَـوا[6]

---

(١) الشعر للطرمـاح بن حكيم الطـائي المتوفى سنـة ٨٠ هـ . راجع : حمـاسـة البحتري ص ٢٥٠ ، البيان والتبيين للجاحظ : ٤٦/١ .

(٢) دمل : أصلح وأبرأ وداوى .

(٣) هاض فلان العظم : كسره بعد جبور ، وهاضه : كسره وفتره .

(٤) الكُدَى : جمع الكُدْية وهي الأرض الصلبة الغليظة . وكديت أصابعـه : كلّت من الحفر ونحوه .

(٥) يقال : رجل برّ سَرّ أي يبرّ ويُسرّ وكذلك : قوم برُّون وسرُّون .

(٦) لاع يلاع ويلوع لوعة : جزع وضجر أو احترق فؤاده من هم أو شوق . واللاع : الجزوع أو الجبان والجمع لاعون ولاعة .

آخر[1] :

ستعلمُ أيُّنـا أبْـذَى وأفْرَى[2] وأقْـوَل للعظيمِ ولا يُبـالي — معرفة الحقيقة
ومَنْ بتواتر السُّبَّات أحْرَى[3] إذا نحنُ ارتَمَيْنـا في النِّضـالِ
ومَنْ أخـلاقُـهُ قَـذَعٌ ولُـؤْمٌ[4] ومن يَرْمي بـأمثـالِ الجبـالِ

الْخَريميُّ[5] :

فلم أُجـزِه إلا المـودَّة جـاهـداً وحسبُـك مني أن أوَدَّ فـأجهـدا — جزاء المودة

مِسْكين الدَّارميّ[6] :

ولا تحمـدِ المرءَ قبـل البـلاء ولا يسبـقُ السيـلُ منـك المطرْ — المرء بعد التجربة
وإني لأعرفُ سيما الرجـالِ كما يَعْرفُ القـائفـونَ الأثر[7]

كتاب عمر بن الخطاب

وكتب عمر بن الخطَّاب إلى سعد[8] : إن الله إذا أحبَّ عبداً حَبَّبَهُ إلى خَلْقه ، فاعتبر منزلتَك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أنَّ مالك عند الله

(١) الأبيات لبعض المدنيين كما في وحشيات أبي تمّام ص ٢٣٩ .

(٢) ج ق م ـ أندى والتصحيح مأخوذ عن الأستاذ محمود محمد شاكر في الوحشيات ، أبذى إبذاءً : تكلم بالفحش . أفرى : من الافتراء وهو الكذب والاختلاق .

(٣) ج ق م ـ ومن بتوافر السوءات ، والتصحيح عن الوحشيات .

(٤) ج ق م ـ فزع .

(٥) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسّان بن قوهي الخريمي أصله من خراسان من بلاد السند وكان متصلاً بخريم بن عامر المرّي وآله فنسب إليه ، أورد له الجاحظ في البيان والتبيين شعراً وأخباراً .

(٦) هو مسكين بن أنيف الدارمي ومسكين لقب له واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . شاعر من أهل العراق كان معاصراً للفرزدق .

(٧) قيف أثره تقييفاً وتقيّفه تقيُّفاً : تتبعه . القِيافة : (بكسر القاف) : تتبُّع الأثر .

(٨) سعد بن أبي وقّاص .

مثلُ ما لله عندكَ . وقالوا : إذا أحبَّ اللهُ عبداً ألقى مودّته على الماء فلم يشرب منه أحد إلاَّ أحبَّه ، وإذا أبغض اللهُ عبداً ألقى بُغْضَهُ على الماء فلم يشربْ منه أحدٌ إلاَّ أبغضَهُ .

ابن سمعون

وسمعتُ ابن سَمْعُون الصوفي[1] يقول : ما يقفُ البشر على بعد غَوْر قول الله تعالى لكليمِه : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وِلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي ﴾[2] ، فإن في هاتين الكلمتين ما لا يُبلغ كُنْهُهُ[3] ، ولا يُنال آخرُه ، ولو أنّ أرقَّ الناس لساناً ، وألطَفَهم بياناً أراد أن يتوسط حقيقة هذا القول لم يستطع وعاد حَسيراً ، ونكَصَ بهيراً[4] ، وبقي عاجزاً . ثم قال : اللَّهُمَّ حَبِّبْ بعضَنا إلى بعض ، واجْمَعْ شملَنا إلى رضاك عنَّا مع إحسانك إلينا ، إنَّكَ أهلُ ذلك ، والجوادُ به .

خير الناس

وقال بعضُ السلف الصالح : خيرُ النَّاس خيرُ النَّاس للنَّاس .

حبّ الناس

وقال آخر : من أحَبَّ الناسَ صَنَع ما يُحبُّه الناس .

[٢٥ ب]
مخالطة الناس

وقال / رجل من قريش : خالطُوا النَّاسَ مُخَالطةً إن غِبْتُم حنُّوا إليكم ، وإن متُّم بكُوا عليكم .

---

(١) هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن سمعون ، زاهد واعظ يلقب (الناطق بالحكمة) ، ولد ببغداد سنة ٣٠٠ هـ وتوفي فيها سنة ٣٨٧ هـ . علت شهرته حتى قيل : « أوعظ من ابن سمعون » ، وقال الحريري في المقامة ٢١ الرازية في الكلام على واعظ : « ويحلون ابن سمعون دونه ! » جمع الناس كلامه ودوّنوا حكمه وقال الشريشي : كان وحيد عصره في الإخبار عما هجس في الأفكار » .

(٢) القرآن الكريم : سورة طه ، الآية ٣٩ .

(٣) الكنه : جوهر الشيء وقدره ووجهه وحقيقته وغايته ، تقول : « عرفت كنه المعرفة » .

(٤) ج ق - مبهوراً . بُهِرَ : (للمجهول) عدا حتى غلبه البُهر وهو تتابع النفس وانقطاعه من شدة الإعياء .

وقال بكر بن عبد الله المُزَني[1] : لو كان هذا المسجدُ ، يَعْني مسجدَ البَصْرة ، مُفْعماً بالرجال ثم قيل : مَنْ خيرُهم ؟ لقلت : أَخْيَرُهُمْ لَهُمْ . أخيرهم للناس

وقال مُعاذُ بن جَبَل[2] : خيرُ الرجال الألوف وشرُّهم العَزُوف . الألوف والعزوف

شاعر :

وما الودُّ إلاّ عند من هُوَ أهلُه ... وما الشَّرُّ إلاّ عند من هو حاملُه الودّ والشّرّ

وقال ابن دَارة[3] :

إذا أنت لم تَسْتَبْقِ يوماً صَحابةً ... على عتْبةٍ أكثرتَ بَثَّ المعاتبِ[4] بثُّ المعاتب

آخر :

أخي وصفيي فرّق الدهرُ بيننَا ... بكُرْهٍ ولكنْ لاعتابَ على الدهرِ فرقة وعتاب

تصبَّرْ على جَنْب الخؤون مُبصّراً ... تصبَّرْ بحاجاتِ الْمُجاور والصِّهْر

آخر :

---

(١) هو أبو عبد الله بكر بن عبد الله المزني البصري محدّث ثقة توفي سنة ١٠٦ .

(٢) معاذ بن جبل صحابي جليل وهو أحد من جمع القرآن على عهد الرسول ﷺ . شهد بدراً وهو ابن إحدى وعشرين ، وأمره الرسول ﷺ على اليمن وكتب إلى أهل اليمن : « إني بعثت لكم خير أهلي » ، وقدم من اليمن في خلافة أبي بكر وتوفي بالطاعون في الشام سنة ١٧ هـ .

(٣) هو سالم بن مسافع بن يربوع كان يهجو بني فزارة فقتله زميل الفزاري ، وفي البيان والتبيين ٣٨٩/١ بيت للكميت بن معروف يقول فيه :

ولا تكثروا فيه الضجاج فإنه ... محا السيفُ ما قال ابن دارة أجمعا

(٤) في مجموعة المعاني طبعة الجوائب ص ٦٣ بيتان آخران :

أخافُ كلاب الأبعدين ونبحها ... إذا لم تجاوبها كلاب الأقارب

وإني لأستبقي امرأ السوء عِدَّةً ... لعدو عريض من الناس عاتب

العَرِيض : الذي يتعرض للناس بالشر .

الإكثار من الأخلاّء

إذا أنتَ أكثرتَ الأخلاّء صادفتْ ... بهم حاجةَ بعض الذي أنتَ مانعُ
إذا أنتَ لم تَبْرَحْ تؤدّي أمانةً ... وتحمِلُ أخرى أفْدَحَتْك الودائعُ

آخر :

ضغن وشماتة

ومحتملٍ ضِغْناً عليَّ وشامتٍ ... شديدِ اللسان ودَّ لو أتضعضعُ
ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنما ... يَضيقُ عليه عَرْضُها حين أطلَعُ

آخر :

بين الودّ والمال

عجبتُ لبعض النَّاسِ يبذلُ ودَّهُ ... ويمنعُ ما ضُمَّت عليه الأصابعُ
إذا أنا أعطيتُ الخليلَ مودَّتي ... فليس لمالي بعد ذلك مانعُ

آخر :

فراق مفروض

وكم من أخٍ فارقتُ لو كان أمرُه ... إليَّ طَوالَ الدهر لم نتفرّقِ

آخر[1] :

ابن العم

أنا ابنُ عمِّكَ إنْ نابتْكَ نائبةٌ ... ولستَ ذاك إذا مانعتُك اعتدَلا

آخر[2] :

مؤاخاة الكريم

إذا شئتَ أن لا يبرحَ الودُّ دائماً ... كأفضلِ ما كانتْ تكونُ أوائلُهْ
فآخِ فتىً لا المُقرفاتُ وَلَدْنَهُ[3] ... كريماً كنصل السيف حلواً شمائلُهْ[4]

---

(١) البيت من أربعة أبيات للربيع بن أبي الحُقَيْق كما جاء في وحشيات أبي تمام ص ٩٢ ورواية البيت :

أنا ابن عمك ما نابتك نائبةٌ ... ولستَ منكَ إذا ما كعبُك اعتدلا

(٢) الشعر لعمرو بن مالك البَجَلي كما في حماسة البحتري ص ٥٧ .

(٣) ج ق ـ المقذفات . رواية الحماسة :

فآخ فتىً حرّاً كريماً عروقهُ ... حساماً كنصل السيف حلواً شمائلُه

(٤) المقرف : ما يداني الهجنة أي أمه عربية لا أبوه لأن الإقراف من جهة الفحل والهجنة من جهة الأم .

فذاكَ الذي يُرضيك صارمُ حدِّهِ[1] ويكفيكَ مِنْ لهو الكواعبِ باطلُهْ

آخر :

ومولىً كَدَاء البَطْن ليسَ بزائلٍ تَدِبُّ أفاعِيهِ لنا والعَقَاربُ مولى السوء
دملتُ على أشياءَ منه لوأنها[2] تنمُّ لم يَسْلَمْ عليهنَّ صاحبُ[3]
أمولايَ إنّي لا تكونُ عداوتي عليك ولكنّي بِوِتْرِكَ طالبُ[4]

آخر :

فَتُبْ واتّخِذْني جُنَّة تتّقي بها[5] عَدوّك إنْ نابتْ عليك النوائبُ اتّقاء الأعداء

آخر :

إني ليحمدُني الخليلُ إذا احتوَى مالي ويكرهُني ذوُو الأضغانِ بين الحمد والكره

آخر :

إنّي تـــودّكم نفسي وأمنحُكم حبِّي ورُبَّ حبيبٍ غيرِ محبوبِ حبيب غير محبوب

آخر :

---

(١) رواية الحماسة وم :
فذاك الذي يمنى لواشيك جدُّهُ
وفي الحماسة بيت رابع :
ويحمل ما حَمّلتَهُ من مُلِمّةٍ ويكفيكَ طلق الوجه ما أنت سائلُه

(٢) دمل الجرح : تماثل وتراجع إلى البرء . ويقال : دمل بين الرجلين . ودامل فلاناً : داريته لأصلح ما بيني وبينه .

(٣) نمّ الحديث : ظهر .

(٤) الوتر : الانتقام أو الظلم فيه ، والجمع أوتار .

(٥) الجنّة : كل ما وقى من السلاح ومثلها المجنّة والمجنّ .

مجاملة وضغينة

أُجاملُ ذا الضِّغن الْمُبينِ ضِغْنُهُ ... وأضحكُ حتى يبدوَ النابُ أجمعُ
وأهديه عمداً بالمقُول ولو يرى ... سريرةَ ما أُخفي لظلَّ يُفَزَّعُ

آخر :

المرء بإخوانه

وما المرء إلاّ بإخوانِهِ ... كما تقبض الكفُّ بالمعصم
ولا خيرَ في الكفِّ مقطوعةً ... ولا خير في الساعدِ الأجذَم[1]

آخر وهو جاهلي :

بذل المال

إني لأبذلُ للخليل إذا دنا ... مالي وأتركُ مالَهُ موفوراً
وإذا أردتُ ثوابَ ما أعطيتُه ... فكفى بذلك نائلاً تكديرا

آخر[2] :

مجانبة ابن عم السوء

تَبَغَّ ابنَ عمِّ الصِّدْقِ حيثُ لقيتَهُ ... فإنَّ ابنَ عمِّ السَّوءِ أوغرَ جانِبُهْ[3]
تَبَغَّيْتُهُ حتى إذا ما وجدتُهُ ... أراني نَهارَ الصَّيْفِ تَجْري كَواكِبُهْ[4]
وربَّ ابن عمٍّ تدّعيه ولو تَرَى ... خبيئتَهُ يوماً لساءَك غائبُهْ[5]
فإن يَكُ خيراً فالبعيدُ ينالُه ... وإن كان شرّاً فابنُ عمكَ صَاحبُهْ
ألا ربَّ من يَغْشَى الأباعدَ نَفْعُه[6] ... ويشقى به حتى الممات أقاربُهْ
فخلِّ ابنَ عمِّ السوءِ والدهرَ إنه ... ستدركُه أيامُه ونوائبُهْ

---

(١) الأجذم : المقطوع .

(٢) الأبيات لابن الدُّمينة الثقفي كما في حماسة البحتري ٢٤٣ ، وللحارث بن كلدة الثقفي كما في وحشيات أبي تمام ١٢٠ .

(٣) ج ق ـ أوعر . رواية الوحشيات : وجدته ، أوعرُ جانبه .

(٤) رواية الحماسة : القيظ .

(٥) رواية الحماسة : مغيِّبه ما يخفى ساءك غائبه .

(٦) رواية الوحشيات : وفي الناس من يغشى الأباعد نفعه .

آخر :

أواخي كرامَ القـــوم ثمَّ أحُـــوطُهُم — مؤاخاة ومسايرة
ولستُ بمذْق القول مستطرف الوصلِ[1]
ومـا لي من ذنبٍ إليـك فـلا تكُنْ — إليَّ بـلا شيءٍ كأنشوطـة الحبلِ[2]
فلا مَرْحباً بالسُّخط منك وبـالقِلَى — فكلُّ الذي يُرضيك بالرحْبِ والسهْلِ

آخر :

وإني أخـوهُم عنـــد كلِّ مُلمَّـــةٍ — إذا متُّ لم يلقـوا أخـــاً لهمُ مثلي — أخ في الشدائد
ومـولىً دفعت الـدرَّ عنـه تكرّمـاً — ولوشئتُ أمسى وهومُغْضٍ على تَبْلِ[3]

آخر :

تـواصلُ أحيـانـاً وتَصْرِمُ تـارةً — وشرُّ الأخـلاّء الحبيبُ الْمُمَـزّحُ — تقلب الخليل

آخر :

كَمْ مِنْ عَـدُوٍّ أخي ضِغْنٍ يُجـامِلُني — يُخفي عـداوتَـهُ أن لا يرَى طَمَعـا — إضمار العداوة

آخر :

وكَم تـورَّعتُ مِنْ مـولىً تعرَّضَ لي — رفَّهتُ عنـهُ ولـو أتعبتُـه ضَلَعـا[4] — تورّع ومداراة

---

(١) مذق اللبن : شابه بالماء ، مذق الودّ لم يخلص فيه ، المذّاق : من كان ودّه غير خالص . المستطرف : للول الذي لا يثبت على حال .

(٢) الأنشوطة : العقدة التي يسهل انحلالها . يقال : « ما عقالك بأنشوطة » أي ما موثقك بواهية ضعيفة كالأنشوطة . والجمع أناشيط .

(٣) التبل : الحقد والعداوة .

(٤) ج ق ـ وحدت عنه ولو ألفيته خرعا . ضلعا : مال وجنف وجار .

آخر :

حلاوة ومرارة

كالتمرِ أنتَ إذا ما حاجةٌ عَرَضَتْ ... وحَنظلٍ كلّما استغنيت للجاني[1]

تَنأى بودّكَ ما استغنيتَ عَنْ أحدٍ ... وما افتقرتَ فأنْتَ الواغِلُ الدّاني

آخر :

اصطناع ومنّ

فيا قَومَنا لا خيرَ في كلِّ صاحبٍ ... إذا اصطنَعَ المعروفَ منَّ وعدَّدا

آخر :

بين الصرم والغضب

مَتَى ما يَشَا ذو الوَصْلِ يَصْرِمْ خليلَهُ ... ويَغضَبْ عليهِ لا مَحالةَ ظَالِما

آخر[2] :

النجدة والحمية

أخوكَ الذي إن تَدْعُهُ لملمَّةٍ ... يُجِبْكَ وإن تَغضَبْ إلى السَيْفِ يَغْضَبِ

آخر[3] :

ملال وقطيعة

ألَم تَرَ ما بيني وبينَ ابن عامرٍ ... من الوُدِّ قَد بالَتْ عليهِ الثَّعالِبُ[4]

فأصبحَ باقي الوُدِّ بيني وبينَهُ ... كأن لم يكُنْ، والدَّهرُ فيهِ العجائبُ

فما أنا بالباكي عليهِ صَبابَةً ... ولا بالذي مَلَّتْكَ منهُ المثالِبُ[5]

إذا المرءُ لم يُجبْكَ إلاَّ تكرُّهاً ... بدا لكَ من أخلاقِهِ ما يُغالِبُ[6]

---

(١) الكلمة غير واضحة في المخطوطة .

(٢) من قصيدة لحجيّة بن المُضَرِّب راجع حماسة أبي تمام ١٦٨/٣ وروايته :

أخي والذي إن أدعُهُ لملمّةٍ ... يجبني وإن أغضبْ إلى السيف يغضب

(٣) الأبيات لأبي الأسود الدؤلي . الديوان ص ١٥٨ .

(٤) رواية الديوان : ما بالت . بالت بينهم الثعالب : تعادوا بعد الصداقة .

(٥) غير موجود في الديوان .

(٦) يغالب أخلاقه : ينازعها في كتمانها .

فدَعْهُ فصرمُ المرء أهونُ حادثٍ ... وفي الأرضِ للمرء الكريمِ مذاهِبُ [1]

آخر :

الأخ الصالح

فإن تترك يوماً أخاً لكَ صالحاً ... ففي الأرضِ منأىً عن بلادِكَ واسِعُ / [٢٦أ]

آخر :

ظلم وتجني

ولي ابنُ عمٍّ لو أنَّ الناسَ في كبدٍ ... لظلَّ مُحتجِراً بالنَّبْلِ يَرْميني [2]

إني لَعَمرُكَ ما بابي بذي غَلَقٍ ... عنِ الصَّديقِ ولا خيري بممنونِ

آخر :

حوّل وقلّب

إذا افتقرتَ نأى واشتد جانبُه ... وإن رآكَ غنيّاً لانَ واقتَربا

وإن أتاكَ لمالٍ أو لتنصرَهُ ... أثْنى عليكَ الذي يَهْوَى وإن كَذَبا

مدلي القرابة عندَ النَّيلِ يطلبُه ... وهو البعيدُ إذا نالَ الذي طَلَبا

حُلوُ اللسانِ بعيدُ القلبِ مشتمِلٌ ... على العداوةِ لابن العَمِّ ما اصْطَحَبا

آخر :

شكوى وبراءة

ويَزعمُ لي الواشُونَ أنيَ فاسدٌ ... عليكَ وإني لستُ مما عهدتُني

وما فسَدَتْ لي ـ يعلم الله ـ نيَّةٌ ... عليكَ بل استفسدتْني فاتهمتني

غدرتَ بودّي جاهداً فأخفتني ... فخفتُ ولو آمنتني لأمنتني

إلى اللهِ أشكو لا إليكَ وطالما ... شكوتُ الذي ألقاهُ منك فَزِدْتني

آخر :

---

(١) في الديوان :

فللنأي خيرٌ من دَنوٍّ على الأذى ... ولا خيرَ فيما يستغلّ المعاتب

(٢) احتجر : اتخذ حجرةً .

إخلاص وثبات

ولستُ بذي لونَيْنِ يَهْفو ولا الذي ... إذا ما خليلٌ بانَ منهُ تَقلَّبَا
ولكِنْ خليلي مَنْ يَدومُ وصالُهُ ... على كلِّ حالٍ إن نَأى أو تَقَرَّبا

آخر :

لين المعاملة

ألينُ لذي القُربى مِراراً وتَلتوي ... بأعناقِ أعدائي حِبالي فتمرُثُ[1]

قال قَعْنَب[2] :

عداوة وشماتة

ما بال قوم صديقاً ثم ليس لهم ... عَهْدٌ وليس لهم دينٌ إذا أُئتُمِنوا
إن يَسْمعوا رِيبَةً طاروا بها فرحاً ... مني وما سَمِعُوا من صالحٍ دَفَنُوا
صُمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكِرْتُ به ... وإن ذُكرتُ بسوءٍ عندهم أذِنوا[3]
وإن بَطنتُ أُرجِّي ودَّهم ظهروا[4] ... وإن ظهرتُ للقيا فيهمُ بطنُوا[5]
فَطانةٌ فطنوها لو تكون لهم ... مروءة أو تُقىً لله ما فطنُوا
وقد علمتُ على أني أعايشهم[6] ... لا تبرَحُ الدهرَ فيا بيننا إحَنُ
كلٌّ يُداجي على البغضاء صاحبَهُ ... ولن أعالنَهُم إلا كما علنُوا
شِبْهُ العصافيرِ أحلاماً ومقدرةً[7] ... لو يُوزَنُونَ بزِفِّ الريش ما وَزَنُوا[8]
جهلاً علينا وجُبْناً عن عدوِّهمِ ... لبئستِ الْخَلَّتانِ : الجهلُ والجبنُ

---

(١) مرث الشيء : ليّنه .

(٢) هو قَعْنَب بن أم صاحب . راجع : مختارات ابن الشجري ص ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٣) أذنوا : استمعوا .

(٤) ج ق ـ أواخي . بطن : خفي ، باطنه : سارّه وصافاه .

(٥) ج ق ـ كيدهم .

(٦) ج ق ـ أعاتبهم .

(٧) في مختارات ابن الشجري : مثل .

(٨) الزفّ : صغير الريش .

كغارزٍ رأسَهُ لم يُدْنِهِ أحَدٌ[1] بين القرينين حتى لـزَّهُ القَرَنُ[2]

آخر :

البس قَرينَك إنْ أخلاقُه فَحُشَتْ[3] فلا جديدَ لمن لا يَلْبَسُ الْخَلقا صبر وتغافل

وقال زياد الأعْجم[4] :

أخٌ لكَ لا تراه الدهرَ إلاّ على العلاّتِ بسّاماً جوادا إقبال وإخلاص

أخٌ لكَ ليس خُلَّتُهُ بمذْقٍ[5] إذا ما عَادَ فقرُ أخيهِ عَادَا

آخر :

احذرْ وصَالَ اللئيم إنَّ لَهُ عِضَهاً إذا حبلُ وصلهِ انقطَعا[6] وصال اللئيم

آخر[7] :

---

(١) ج ق م - يلجه .

(٢) القرينان : البعيران يشدّان أحدهما إلى الآخر . القرن : الحبل الذي يشدان به . الغارز : المثبّت .

(٣) لبَس يلبَسُ لُبْساً فلاناً : تمتّع بعشرته ومصاحبته مدة من الزمان . لبس فلاناً على ما فيه : قبله واحتمله ، ويقال : « لبستُ لفلانٍ أذنيّ » أي تغافلتُ له . ويقال : وألبس الناس على قدر أخلاقهم : عاشرهم .

(٤) هو زياد بن سليمان الأعجم ، مولى بني عبد القيس شاعر كانت في لسانه عُجْمة فلقب بالأعجم ، ولد ونشأ في أصفهان وانتقل إلى خراسان فسكنها ومات فيها حوالي سنة ٨٥ هـ ، قال عنه أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ٣٨٠/١٥ : « كان شاعراً جزل الشعر ، فصيح الألفاظ على لُكنة لسانه وجريه على لفظ أهل بلده » .

(٥) الخُلّة : الصداقة .

(٦) العِضَه : الكذب والبهتان والبيت للمتوكل الليثي كما في حماسة أبي تمام ١٧٦/٣ .

(٧) الأبيات للمقنّع الكندي كما جاء في حماسة أبي تمام ١٧١/٣ وحماسة البحتري ٢٤٠ وهي من قصيدة مطلعها : يعاتبني في الدّين قومي وإنما . وهو محمد بن ظفر بن عمير شاعر أموي كان سيداً في قومه . وزعموا أنه كان جميلاً يستر وجهه لجماله فقيل له المقنع ، راجع خبره في الأغاني ٢١١/٦ .

أبناء العمومة

وإنّ الـــــذي بَيْني وبين بَني أبي ... وبين بني عمّي لمختلفٌ جـــــدّاً
فـــإنْ أكلـوا لحمي وَفَرْتُ لحـومَهم ... وإن هدموا مَجْدي بَنَيْتُ لهم مَجْدا
وإن ضيَّعوا غيبي حفظتُ غيـوبَهم[1] ... وإن هم هووا غيّي هويتُ لهم رُشْدَا
وإن زَجَرُوا طيراً بِنَحْسٍ تمرُّ بي[2] ... زجرتُ لهم طيراً تمرُّ بهم سَعْـــدا
ولا أحمـلُ الحقْـدَ القـديم عليهمِ ... وليس رئيسُ القومِ مَنْ يحمل الحِقْدا
وإن أجمعـوا صَرْمي معـاً وقطيعتي ... جمعتُ لهم منّي مع الصِّلـةِ الـوُدَّا
أجـودُ بمـالي خَشيـة أن يعمّروا ... إذا مـاهم شدّوا على الصُّور العُقْدا
لهم جُـلُّ مـالي إنْ تتـابع لي غنىً ... وإن قَـلَّ مـالي لم أكلِّفْهُم رِفْـدا

العدل والمعرفة

وتقدم خصمان إلى الْمُغيرة بن شُعْبَةَ فقال أحدُهما : إن هذا يدِلُّ عليَّ بمعرفةٍ بك ، قال : صَدَقَ وإنها لتنفعُه . قال : كيف أتضلع[3] عليَّ في الحكم ؟ قال : لا ، ولكن أنظر فإن توجه الحق له أخذتُه منك بعنفٍ ، وإن توجَّه الحق لك عليه قضيتُ عنه إليك ، إنَّ المعرفة لتنفع عند الكلب العَقُور[4] فكيف عند الرجل الحرّ .

شاعر :

مودة وإساءة

لي صاحبٌ قد كنتُ آمل نَفْعَهُ ... سبقتْ صواعقُه إليَّ صَبِيبَـهُ
يَا مَنْ بذلتُ له المودّة مُخْلصاً ... في كلِّ أحوالي وكنتُ حبيبَـهُ
أيـامَ نسرحُ في مَرادٍ واحـدٍ[5] ... للعلم تنتجع القلـوبُ عريبَـهُ

---

(١) ج ق - عيني ، عيونهم .

(٢) ج ق م - طيري .

(٣) ضلع مع فلان : مال . الضِّلْع : الميل والعوج يقال : ضلعك مع فلان : أي ميلك وهواك .

(٤) عقر الكلب والفرس والإبل : قطع قوائمها بالسيف ، وقيل العقور للحيوان والعَقَرة للموات يقال : كلب عقور ، وشجرة عَقَرَة ، والجمع عُقُر .

(٥) المراد : مكان رِياد الإبل أي اختلافها في المرعى مقبلة ومدبرة ، ومراد الريح : المكان =

ونظـلٌ نشرع في غـديرٍ واحـدٍ نصفُ الصفاء لواردِيـه وطيبَـهْ
أيســؤُني مَنْ لم أكُنْ لأســوءه ويريبني من لم أكن لأريبَــهْ
ماهكذا يَرْعى الصديقُ صديقَه وحبيبَــهُ وقرينَــهُ ونسيبَــهْ

يمين المحبة

قال الفضلُ بن الربيع : احلفْ لأخيك أنَّك تُحبّه ، واجتهدْ في تثبيت ذلك عنده ، فإنه يستجدُّ لك حبّاً ، ويزدادُ لك ودّاً .

التودُّد إلى الناس

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « رأسُ العقل بعد الإيمان بالله التَّودُّدُ إلى النَّاس » .

وقال شاعر :

قرب الصديق

زادني قربُ صـديقي فَـاقـةً أورثتْ من بعد فَقْري مَسكَنَـهْ

آخر :

الكاره الودّ

وإنَّ أخـاك الكارهَ الـودّ واردٌ وأنت بمرأى من أخيـك ومَسْمَعِ

آخر :

خطب هيّن

اللهُ يعلمُ أنَّ فرقـةَ بيننـا فيما أرى خطبٌ عليّ يَهُـونُ

آخر :

[٢٦ب]

إلفَـانِ دامَـا على ودادهمـا قد أمكنا الحبَّ من قيادِهما/

إفساد الهوى

تحـالفـا إن صفـا الهَـوَى لهما أن يحفظـاه إلى معـادِهمـا
مـا مِنْ محبَيْن جـاهرا بهـوىً إلاّ سَعى النـاسُ في فسـادِهمـا

آخر :

استحياء من ثلاثة

وإني لأستحيي من الله أن أرى رديفـاً لـوَصْلي أو عليٍّ رديفُ

= الذي يذهب فيه ويجاء ، وكذلك المستراد : المكان الذي يجال فيه .

وإن أردَ الماءَ الموطأ وردَهُ[1] وأتبع ودّ المرء وهو ضعيفُ

بشّار :

الناس بالناس

وكاشحٍ مُعْرِضٍ عَنّي هممتُ بهِ ثم ارعويتُ وقلتُ: الناسُ بالناسِ

آخر :

شيئان محذوران

ولا خيرَ في قُرْبَى لغيرك نَفْعُها ولا في صَديقٍ لا تَزالُ تعاتِبُهْ

آخر :

هوى ورجاء وصبر

تبدَّلْ فمالي من هواكَ بديلُ ولا لك عندي في الأنام عديلُ
وكُنْ قاطعاً إن شئتَ أو كُنْ مُواصلاً فأنت هَوىً لي كيف شئتَ وسولُ
رجائي وإن قصَّرتُ فيك طويلٌ وصبري وإن أعرضتُ عنك قليلُ

آخر :

بغض المصطبر

إني لأبغضُ كلَّ مصطبرٍ[2] عن إلفهِ في الوصلِ والهجرِ

آخر :

غياب وتوق

فإن يكُ عن لقائك غابَ وجهي فلم تغبِ المودَّةُ والإخاءُ
ولم يغبِ الثناءُ عليك منّي بظهر الغيب يتبعُهُ الدعاءُ
وما زالتْ تتوقُ إليكَ نفسي على الحالاتِ يحدوها الوفاءُ[3]

آخر :

صدود وارتداد

من أين لي في سائرِ الناسِ صاحبٌ إذا صدَّ عنّي ردّه النظمُ والنثرُ

(١) م - طيبه .
(٢) ج ق - من يكون مقصراً .
(٣) ج ق - يحذوها .

آخر :

وإذا سمعتَ نميمةً فتعمّدها[1] وتحفظَّنْ منِ الذي أنباكَها — تعدّى النميمة
وذرِ النميمةَ لا تكن من أهلها وتجنَّبَنْ مَنْ صَاغها أو حاكها

وكتب ابنُ ثَوَابَة إلى ابن فِراس الكاتب : — كتاب ابن ثوابة إلى ابن فراس

بسم الله الرحمن الرحيم

عهدي بك يا سيدي يتطوّعُ بنافلة الابتداء ، فكيف تُخِلُّ بفريضة الجواب ، وهل يرضى الصديقُ منك أن تبرّه قريباً ، وتجفوهُ بعيداً ، وتُذيقه حلاوةَ الوَصْل دانياً ، وتجرّعه مرارة القطيعة نائياً ، وما عليك لو رضيت بالبَيْن فاجعاً ، واكتفيت بالدهر قاطعاً :

والدهر ليس بمُعْتِبٍ من يَجْزعُ والبينُ بالشَّمْل المجمَّع مُولَعُ

فما ظنُّك بمن يُجري ذوي المروءة مجرَى سائر مَنْ يرى باطنَه يخالفُ ظاهرَهُ ، وتأويلَه ينافي تنزيلَه ، وهذا هزلٌ يترجمُ عن جِدٍّ ، والضدُّ يُبرز حُسنَه الضِّدُّ ، أودعتني ، إذا ودّعتني :

شوقاً إليك تفيضُ منه الأدمعُ وجوىً عليك تضيقُ عنه الأضلُع

فكم أتلهّف على ما أنفدناه في حال الاجتماع من عيشٍ رَخيّ ، ويومٍ فتيّ ، وسرورٍ امتدتْ ظِلالُه ، وليلٍ غاب عُذّالُه ، فارغب إلى الله في إعادة تلك العهود ، إنه فعّال لما يريد .

شاعر :

ياذا الذي أَلِفَ القطيعةَ دهرَهُ إن القطيعةَ موضعُ الرِّيبِ
إن كان ودُّك كامناً في نيَّةٍ فاطلب صديقاً عالماً بالغيبِ

(١) عدّى عن الأمر : خلى الأمر وتركه . يقال : « عدّ عما ترى » ، أي اصرف بصرك عنه .

أوصل الناس

سمعتُ أبا سعيد السيرافي الإمام يقول : العربُ تقول : أوصلُ النَّاسِ أوْضَعُهُم للصَّرْمِ في موضعِهِ .

شاعر :

ظنون ونفي

وما كلُّ مَنْ يظنُّني أنا معتبٌ ... ولا كلُّ ما يُروى عليَّ أقولُ

آخر :

ابن العم

رُبَّ ابن عمٍّ ليس بابن عمٍّ ... داني الأذاةِ ضيِّق المجمِّ
وإن أتى يومٌ شديدُ الغمِّ ... لم يكُ قرنَ المقطع المهمِّ

وقال بشَّار[1] :

تغير

أراك اليومَ لي وغداً لغيري ... وبَعْدَ غدٍ لأقربنا إليْكا[2]
إذا آخيتَ ذا فَارقتَ هذا ... كأنَّ فراقَهُ حَتْمٌ عَلَيْكا
فأقدمهم أخسُّهم جميعاً ... وأحدثُهم أحثُّهم لديكا[3]
وكلُّهُمُ وإن طَرْمَذْتَ فيه[4] ... ستتركُه وَشيكاً من يَدَيْكا

أبو الأسود الدؤلي :

الحليم

وما ساسَ أمرَ النَّاسِ إلاّ مجرِّبٌ ... حليمٌ ولا صافيتَ مثلَ كريمِ
فما لحليمٍ واعظٍ مثلُ نفسهِ ... ولا لسفيهٍ واعظٍ كحليمِ

آخر :

---

(١) الأبيات منسوبة في حماسة البحتري ص ٧٠ إلى عبد الله بن عمرو القرشي .

(٢) ج ق ـ لذي قرب .

(٣) رواية الحماسة :

فأقربُهم أقلُّهم صفاءً ... وأبعدُهم أحبهم إليكا

(٤) طرمذ : صلف وكان مفاخراً ومباهياً بما ليس فيه فهو طِرْمَاذ وطِرْمِذان .

وأُعرضُ عن ذي المال حتى يقالَ لي ... قـدَ أحـدثَ هـذا جفوةً وتعظُّما تعفُّف
وما بي جفـاءٌ عن صـديقٍ ولا أخٍ ... ولكنَّـه فِعْلي إذا كنتُ مُعْـدِمـا

آخر[1] :

وإنَّ أمـــانتي لا يَحْتَـويهـــا ... خليـلٌ في زيـــالٍ واجتماعِ[2]
سأرعاهـا وإن هو غـاب عنهـا ... لكلِّ أمـــانـــةٍ بـــالغيب راعِ

آخر :

وذي حَسَـدٍ يغتـابُني حين لا يرى ... مكاني ويُثْني صـالحـاً حين أسمـعُ
تـورَّعتُ أن أغتـابَـهُ مِنْ ورائـه ... ومـــا هُـوَ إذْ يغتـــابُني متـورِّعُ

آخر :

وسـوءُ ظنِّـك بـالأدنينَ داعيـــةٌ ... بـأن يخونَـك من قـد كانَ مُؤْتَمَنـا

آخر :

احفظْ نصيحةَ مَنْ بـدا لـك نصحُـه ... ولرأي أهـل الخير جهدَك فـاقبـل

القُطامي :

لعلـــــك إنْ رددتَ عليَّ نُصْحي ... ستُنْـدِمُـك الـذي عملتْ يَـدَاكا[1]

أبو الأسود :

ألا رُبَّ نُصحٍ يُغلـق البـابُ دونَـهُ ... وغشٍّ إلى جنبِ السُّرورِ يقرِّبُ[4] / [٢٧أ]

---

(١) البيتان لنُفَيْل بن مرّة العبدي كما جاء في حماسة البحتري ٧٤ .
(٢) زايله : فارقه . تزايل القوم وتزيّلوا : تفرّقوا .
(٣) أندمه : جعله يندم .
(٤) لم نجد هذا البيت في الديوان .

عبد الرحمن بن حسّان[1] :

ومتّخـــــذٍ ودّاً لِمَنْ لا يـــودُّهُ كمعتـــذٍ عُـــذراً إلى غير عـــاذرِ
ومستـوقـدٍ حربـاً على غير ثروةٍ كمقتحمٍ في اليمِّ ليس بمـــــاهرِ
وعـاشٍ بعينيـــه لمن لا يبـــالـــه كســاعٍ برجليـــه لإدراك طـــائرِ

المدارة

وقال أعرابي : بالْمُداراة تَستخرجُ الحيَّة من جحرها ، وتستنزلُ الطائر من الهواء ، وتقتنص الوحشَ من البَيْداء .

شاعر :

فضل البشاشة

أخـو البِشْر محمـودٌ على حسن بِشْرِهِ ولن يعدمَ البغضاءَ مَنْ كانَ عابِسَا

وقال أسماءُ بن خارِجَة[2] :

إحسان بغير قصد

أرَدْتَ مَسـاتي فـاعتمـدتَ مسرَّتي وقد يُحسن الإنسانُ يوماً ولا يَـدْري

وقيل لقُسّ بن سَاعِدةَ[3] : صِفْ لنا صديقك فقال :

صديق شريف

رحيبُ الـذراع بـالـذي لا يَشينُـه وإنْ كانتِ الفحشاءُ ضاق بها ذَرْعا

---

(١) لم نجد هذه الأبيات في الديوان .

(٢) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري ، تابعي من رجال الطبقة الأُولى من أهل الكوفة ، كان سيد قومه جواداً مقدّماً عند الخلفاء توفى سنة ٦٦ هـ .

(٣) هو قسُّ بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك ، من بني إياد ، أحد حكماء العرب وكبار خطبائهم في الجاهلية ، كان أُسقف نجران ويقال : إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا ، وأول من قال في كلامه : « أما بعد » . طالت حياته وأدركه النبي ﷺ قبل النبوة ورآه في عكاظ وسئل عنه بعد ذلك فقال : « يُحشر أمةً وحده » . توفي قسّ حوالي سنة ٢٣ ق هـ .

وقال قَيْسُ بن الْخَطيم[1] :

فإن ضيَّع الإخوان سرّاً فإنّني ... كتُـــومٌ لأسرار العَشير أمينُ — كتمان السّر
وعندي له يوماً إذا ما ائتمنتُهُ ... مكانٌ بســـوداء الفــؤاد مكينُ

أوصاف صديق

وقيل للحرّاني : بينَك وبين سَهْل بن هارون صداقةٌ فانعَتْهُ لنا كي نعرفَ فقال : هو كالخير ، وازنُ العلم ، واسعُ الحِلْم ، إنْ فُوخِر[2] لم يكذب ، وإن مُـوزِحَ لم يغضب ، كالغيث أين وَقَـع نَفَـع ، وكالشمس حيث أوفتْ أحْيَتْ ، وكالأرض ماحمَّلتها حملت ، وكالماء طَهُورٌ للمتمسه ، وناقع لغُلَّة مَنْ احترَّ إليه[3] ، وكالهواء الذي نقطفُ منه الحياة بالتنسُّم ، وكالنار التي يعيشُ بها المقرور[4] ، وكالسماء التي قد حسُنت بأصناف النُّور .

شاعر :

ترف

غمَّسْتَ نفسَك في خضراءَ مُغْدقةٍ ... وغيَّرتْكَ على إخوانك النِّعمُ

آخر :

وشاة

لقد أتاكَ العِدَى عنّا بمنكرةٍ ... فردّوها بإسرافٍ وتكثيرِ
لا تسمعنّ بنا إفكاً ولا كذباً ... يا ذا الفواضلِ والنعماء والخِيرِ

آخر :

---

(١) هو أبو يزيد قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي شاعر الأوس وأحد أبطالها في الجاهلية ، له في وقعة (بُعاث) التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة ، أدرك الإسلام وتريث في قبوله فقتل قبل أن يدخل فيه ، ويقول ابن سلام في طبقات الشعراء ١٩٠ : « ومن الناس من يفضّله على حسّان شعراً » ، توفي سنة ٢ قـ هـ .

(٢) ج ق ـ حودث .

(٣) نقع الماء فلاناً : أرواه . الغُلّة : العطش وقيل شدته وقيل حرارته .

(٤) قرّ : برد وللقرور : البردان .

آخر :

كأنّي وشبلاً لم نَبِتْ ليلةً معاً ... ولم نصطحِبْ خِدْنين قبل التفرُّقِ
ولم نتماحضْ صادق الودِّ بيننا ... ولم نبتعِدْ يوماً لخيرٍ فنلتقي
حليم إذا ما الجهلُ أنْصَلَ نَبْلَه[1] ... وَحَصَّ أثيث الريش عن كل أفْوَقِ[2]
سجيَّةُ حلمٍ صاغَها الله شيمةً ... فتمَّت على ما قالَ غير التَّخلُّقِ

آخر :

ومن يتخذ جُلى إخائك جُنَّةً[3] ... ومُمْتَنَعاً لا تَلْقَهُ الدهرَ مَعْورا[4]

آخر :

وقد كنتُ جاراً للشباب وصاحباً ... فكيف ولم أغدِرْ به مِلءَ جانبي
وإنّي على ما فاتَ منه لقائلٌ ... عليك السلامُ من خليلٍ وصاحبِ[5]

آخر :

ذهب الرجالُ المُقتدى بفعالهم ... والمنكِرُونَ لكلِّ أمر مُنكَرِ
وبقيتُ في خَلَفٍ يزين بعضُهم ... بعضاً ليدفعَ مَعْوِراً عن مَعْورِ

آخر :

---

(١) نصل السهم وأنصله : جعل فيه نصلاً . ونصّله ركّب فيه النصل .

(٢) حصَّ الشعر حصّاً : حلقه وأذهبه . أثيث : كثير والجمع إثاث وأثائث ومنه نبت أثيث ، وشعر أثيث أي عظيم كثير ، ولحية أثّة وأثيثة أي كثّة . الأفوق : السهم الذي كُسِر فُوقه ، وهو شق رأس السهم حيث يقع الوتر ، ومنه قولهم : « رجع فلان بأفوق ناصلٍ » أي بسهم منكسر الفُوق لا نصل فيه يعني رجع بحظٍّ ليس بتام .

(٣) ج ق ـ حبلى . الْجُنَّة : كل ما وقى من سلاح .

(٤) رجل معور : قبيح السريرة .

(٥) ج ق ـ سلام .

ذهبَ الـذين إذا رأوني مُقبـلاً هَشُّوا وقالوا : مرحباً بـالمُقْبل
وبقيتُ في خلفٍ كأنَّ حـديثَهم وَلْغُ الكلابِ تهـارشت في منهلِ[1]

آخر :

ألا ريَّا كان الشفيـــقُ مَضَرَّةً عليكَ من الإشفـاق وهو وَدودُ

قـالت عـائشـة[2] : كنتُ أرى امرأةً تـدخـل على النبي صلى الله عليـه وآلـه ، وكان يُقبـل عليهـا بجفـاوةٍ فشقَّ ذاك عليَّ فعلم ذاك مني فقـال : يا عائشة هذه كانت تَغْشانا أيامَ خديجة ، وإنَّ حسن العهد من الإيمان .

وأروي هنا ذُرَاوَةً[3] من كلام أرباب الحِذْق والْخُرْق[4] فإن فيه فـائـدةً حسنة لا أرى الإضرابَ عنه ، والإخلالَ به .

سمعتُ ابن السَّرَّاج الصُّوفي يقـول : قلت لأبي الحسن البُـوشَنْجي : مَنْ أصحبُ ؟ قال : من يَصْفُو كدرُك بصفائهِ ، ولا يكدرُ صافيك بكدرهِ . من أُصاحب؟

وقلت لغلام ابن بابويـه القمّي : مَنْ أُعـاشرُ ؟ فقـال : مَن إذا أحسنتَ من أُعاشر؟

---

(١) ولغ يلغ ويولغ وولوغاً وولغاناً : شرب مـا فيـه بأطراف لسـانـه أو أدخل فيـه لسـانـه فحرّكه ، خاص بـالـذبـاب ومن الطير بـالسبـاع وفي الأسـاس للزمخشري : « ولغ الكلب الإناءَ وفي الإناء » .

(٢) هي أم المؤمنين عـائشـة بنت أبي بكر الصِّدّيق أفقـه نسـاء المسلمين وأعلمهن بـالـدين والأدب ، تـزوجهـا النبي ﷺ في السنـة الثـانيـة بعـد الهجرة فكانت أحب نسـائـه إليـه وأكثرهن روايـة للحـديث عنـه ، ولهـا خطب ومـواقف ، ومـا كان يحـدث لهـا أمر إلا أنشدت فيه شعراً ، وكان أكابر الصحابة يسـألونهـا عن الفرائض فتجيبهم ، روي عنهـا ٢٢١٠ أحاديث . توفيت السيدة عائشة في المدينة سنة ٥٨ هـ .

(٣) الذراوة : ما يسقط عند التذرية ، وما ذرّته الريح .

(٤) الخرق : ضعف الرأي ، وعدم إجادة الرجل العمل والتصرف في الأمور .

قال : الحمد لله الذي وفَّق هذا لما أرى ، وإذا أسأتَ قال : الحمد لله الذي لم نَبْلُه بأشدّ مما أرى .

لمن أخلص ؟

وقال أبو المتيّم الرَّقيّ : قلت لابن المولَّه : من أُخلصُ[1] إليه ، وأشتملُ بسرِّي وعلانيتي عليه قال : مَنْ إذا لم يكن لنفسك كانَ لك ، وإذا كنتَ لنفسك كان مَعَك ، يجلو صدأ جهلك بعلمِه ، ويَحْسِمُ مادة غيِّك برُشْده ، ويَنْفي عنك غِشّ صدرك بنُصْحه ، اصحب مَن إن قلتَ صدقك ، وإن سكتَّ عَذرك ، وإن بذلتَ شكرك ، وإن منعتَ سلم لك ، قلتُ يا سيدي مَنْ لي بمن هذا نعتُه ؟ قال : كن أنت ذاك تجدْك على ذاك ، ويجدك مثلُك على ذاك ، كأنَّك إنما تحب أن يكون غيرُكَ لك ، ولا تحبُّ أن تكونَ أنت لغيرك .

من الصديق ؟

وقيل لبُرهان الصُّوفي : مَن الصديقُ ؟ قال : يا هذا مَنْ بِضْعٌ[2] نصفه معدوم عليك فاطلب مَنْ يسعُك بخلقه ، ويؤنسُك بنفسه ، ويُواسيكَ من قليله ، إن رضي عنك لم يُغلظك ، وإن سَخِطَ عليك لم / يمقتْك ، يُبدي لك خيرَهُ لتقتديَ به ، ويُواري عنك شرَّهُ لئلا تستوحشَ منه ، فأما من تكونُ مثالَ نفسه في كل حالٍ تلون به الدهر ، وهَمَّ صدره في كل أمر ، يقلّب به الليل والنهار ، يقدّم حظّك على حظّه ، ولا يسارق النظر بلحظه ، ولا يُغلظ القول بلفظه ، ولا يتغيَّر لك في غَيْبه ، ولا يحولُ عما عهدته في شهادته ، يعانقُ مصلحتك بالاهتمام ، ويثبت قدمك عند الإقدام

[٢٧ ب]

---

(١) ج ق ـ اجلس .

(٢) البضع : ما بين الثلاث إلى التسع ، وبضع الشيء : قطعه ، والبضعة : القطعة من اللحم .

والإحجام فذاك شيءٌ قد سدَّ النـاسَ دونه كلَّ بـاب ، وقصَّر الطمعَ فيـه عن كلِّ قاب[1] ، فليس له شَبَحٌ إلاّ في الوهم ، ولا خيالٌ إلاّ في التمنِّي والسلام .

وقلتُ لجعفر بن حنظلة : مَنْ أصحب ؟ قال : أخطـأتَ ، قُلْ لي مَن لا أصحب ، فـإني إن حصرتُ لـكَ مَنْ لا تصحب فقـد أرشـدتُـك إلى من تَصْحب ، قـال : فَمَنْ لا أصحب ؟ قـال : لا تصحَبْني ولا تصحَبْ مَنْ كان مثلي ، وما زادني على هذا ، ولحقني من هـذا الكلام كُرْبٌ وصرفُ الزمـان ، فرأيتُه بمدينة السلام سنة ثمانٍ وخمسين وهو متوجّه إلى الحجّ فقلت له : أيهـا الشيـخ لقـد جرحت سرّي بكـلامـك في وقت كـذا وكـذا ، ولعلـك ذاكرٌ مـا كان هنـاك ، قـال : أردتُ بتنفيرك مني إغراءَك بي ، وهـذا من خِـدَع للمشايخ لِلْمُريدين .

وحدَّثني ابن السَّرَّاج الصُّوفي قـال : كنتُ بـالشـام عنـد الروذبـاري أبي عبـد الله ، فكتب إلى المهلَّبي ، وكان من مشـايخ الشـام ، كتـابـاً فيـه شوقٌ وعتبٌ يقول في فصلٍ منـه : أراحـك الله يـا سيـدي من شوقِ مَنْ لا تَشتـاقُ إليه ، وعَتْبِ من لا تغتابه ، فإنه إذا أجاب هذا الدعاء حرس وقتـك لـك ، وأفرغ بـالـك عليـك ، وكنت في زينـة حـالـك سـاعيـاً ، ولحقـائـق سرِّك وعلانيتـك راعيـاً ، ولكن لـو رحمت أصـدقـاءك في شـوقهم إليـك ، صُنْتهم وإياك عن عتبهم عليك ، وليس بضـائرٍ أن تجعلَ اهتمامـك بهم ، وطلوعَـك عليهم ، وتجديـدَك العهـد بمنـاسمتهم في عرض مـا تتقرَّبُ إلى الله بـه إن كان حسناً ، أو في جملة ما تستغفرُ الله منه إن كان قبيحـاً . وبعـدُ فليس كلٌّ من أُوتي الصبرَ ، وأُعين بالْجَلَد ، وكان له من نفسه داعٍ إلى الْجَفـاء ، ومجيبٌ إلى الهجر ، أكمل ذلك كلَّه في البُعدِ عن خلاّنـهِ ، والبراءةِ من خُلصـانـه ، ووالله

(١) قـابَ يقوبُ قَوْباً الرجل : قرب ، القاب : المقـدار ، يُقـال : « هو على قـاب قوسين » كناية عن القرب .

الذي هو مالكُ همِّنا ، والسابحُ في سرائرنا ، لولا أنَّك أحلى من زُلال الحياة إذا طابت ، وأطيبُ من العيشة إذا لذَّت ، وأعذبُ من الزُّلال على الحِرَّة[1] ، وأدَبُّ في الضمائر من الخواطر ، وأعلقُ بالعيون من النواظر ، ما اهتزَزْنا مُشتاقين إليك ، ولا التهَبْنا مُتهالكين عليك ، ولكنك الروح ، والصبرُ عن الروح مُعوز ، والحياة والبقاء مع فقد الحياة مُعجز ، فإن فاءَ بك رأيي في الانكفاء إلى أحداقٍ طامحةٍ نحوك ، وهممٍ طائحةٍ في الوجد بك ، ومجالسَ خضرةٍ نضرةٍ بأحاديثك ، ومَسامعَ صاغيةٍ إلى لذيذ لفظك ، وشهيّ جِدّك وهَزْلك ، فتصدَّق علينا بنفسك إن اللهَ يَجزي المتصدّقين .

سالمُ بنُ وَابِصَةَ[2] :

وَنَيْرَبٍ من مَوالي السَّوْء ذي حسدٍ[3] ... يقتاتُ لحمي ولا يَشْفيه من قَرَمِ
داويتُ صدراً طويلاً غِمْرُهُ حَقِداً[4] ... منه وقلَّمتُ أظفاراً بلا جَلَمِ[5]
كقُنفذِ الرمل ما تخفَى مدارجُه ... خِبٌّ إذا نام عنه البومُ لم ينمِ[6]
ملازمٌ لخداعٍ ما يُفارقُه ... يُبدي لنا الغشَّ والعوراء في الكلمِ
كأنَّ سَمْعي إذا ما قالَ محفظةً ... أصمَّ عنه وما بالسمع من صَممِ
حتى اطّبى ودَّه رفقي به ولقد ... نسَّيْتُه الحقدَ حتى عادَ كالْحُلمِ

---

(١) ج ق ـ الحر . الحِرَّة : العطش . يقال : « رماه الله بالحِرَّة تحت القِرَّة » أي أعطشه أوان البرد . الزُّلال : ماء عذب صاف يمر سريعاً في الحلق .

(٢) ج ق ـ بن رابضة . هو سالم بن وابصة الأسدي شاعر فارسٌ من شعراء عبد الملك بن مروان ، راجع المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٩٧ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٤٣ .

(٣) النَّيْرَب : النميمة والعداوة . أراد ؛ وذي نيربٍ .

(٤) ج ق ـ أذبتُ .

(٥) الجلم والجلّمان (بلفظ التثنية) : آلة كالمقص لجلم الصوف . وجلم الصوف : جزّه .

(٦) ج ق ـ عند النوم .

إنَّ من الحِلْمِ ذُلاً أنت عـــارفُـــه والحِلْمُ عن قُـدْرَةٍ صِنْفٌ من الكرمِ

آخر :

فمن شاءَ رام الصَّرم أو قالَ ظـالماً لذي ودِّه ذنبٌ وليس لـه ذنبُ

آخر :

وهَوَّنَ وَجْدي أنه ليس واجـداً من الناس إلاّ قد أُصيب بصـاحبِ

آخر :

وما زال يدعُوني إلى الهجر مـا أرى فـإني وتَثْنيني عليـك الحفـائـظُ
وأنتظرُ العُتبى وأُغضي على القَذَى وأصبرُ حتى أوْجعَتْني المغـائـظُ

آخر :

ولي صـديـقٌ عـــدمتُ عقلي إن قلتُ : إنّي لـه صـــديـقْ
مـــا نلتقي في الـزمـــان حتى يجمـعَ مـــابيننـــا الطريـقْ

آخر[1] :

نشدتُك بالبيت الذي طافَ حَوْلَـهُ[2] رجـالٌ بَنَوهُ من لُـؤيّ بن غـالب[3]
فـإنـك قـد جرَّبتني هـل وَجـدتني أُعينُك في الْجُلَّى وأحميكَ جـانبي[4]
وإنْ معشرٌ دبَّتْ إليـــكَ عـــداوةً عقـــاربُهم دَبَّتْ إليهم عَقـــاربي[5]

(١) نسبت هـذه الأبيات إلى أبي الأسود الـدؤلي الـديوان ١٨٥ . ونسبت في العقـد الفريـد ٣٢٧/٢ إلى أميّة بن الأسكر ، وكذلك في أمالي القالي ١٠٩/٣ .

(٢) رواية الديوان : بالذي حول بيته .

(٣) رواية الديوان : « بمكة حيّ من لؤي بن غالب » ولؤي بن غالب جد الرسول ﷺ .

(٤) رواية الديوان : « أعينك في الدنيا وأكفيك جانبي » .

(٥) رواية العقد الفريد :

وإن دبَّ من قومي إليك عداوةٌ عقـــاربهم دبَّت إليهم عقـــاربي

آخر :

استغناء متبادل

من لم يُرِدْكَ فـــــلا تُرِدْهُ لِتَكُنْ كَمَنْ لم تستفِـــــدْهُ

آخر :

إحصاء ونسيان

إذا كنت تُحصي ذنوبَ الصديق وتَنْسى ذنوبَك بالواحدهْ
فإنَّك أبْذَلُ أهل الزمانِ طُرّاً على هذه القاعدهْ

رسالة بعض آل ثوابة

وكتب بعض آل ثوابة إلى صديقٍ له :

بسم الله الرحمن الرحيم

فأمّا ما أشرتَ به من معاتبة أبي فلان ، واستقبحتَهُ من سيرته في بعض نقض العهد ، وتضييع الودّ فالنَّاسُ / يا أخي أصدقاءُ الحال يتصرَّفونَ [٢٨أ] بتصرُّفها ، ويَحُولُونَ[1] بِحَوْلها ، والحزمُ أن يُؤْخذَ صَفْوُهم ، ويقبلَ عفوُهم ، ولا يُعاتَبُوا على هفوتهم ، والله يعلمُ أني لكلِّ من واددتُ على حُبٍّ وافٍ ، ومَيْلٍ صافٍ ، وإخلاصٍ شافٍ .

رسالة أخرى

وكتب أيضاً هذا الكاتب إلى آخر :

بسم الله الرحمن الرحيم

وَدِدْتَنا أعزكَ الله ، فأحسنتَ ظاهرَ التودُّد ، ولاقَيْتَنَا فعمرت الحالَ بالتفقُّد ، ثم أخذتَ بوثائق الصُّرمة والْجَفْوة ، وخليتَ عن علائق الصِّلة والمبرَّة ، حتى كأن ما أسلفتَهُ كان حِلْماً ، وما استأنفتَهُ كان غُنْماً ، فإن قلت : إنَّ الشغلَ بالسلطان ، والتصرُّفَ مع الزمان ، عاقاك عن جميل العادة ، وقُضي حقُّ السلام والعيادة ، فقد كان لك في الرسول فُسْحة ، وبالكتاب

(١) حال يحول حولاً الشيء : تحوّل من حال إلى حال .

بالعُذر حُجَّة ، وكان الأوْلى أن تربطَ وَشَلَ[1] ثقتنا بك ، وتُميطَ[2] سيئَ ظَنِّنا عنكَ ، وتجعلَنا في حيِّزِ السُّكونِ إليك ، ونحن نرجو أن تستقيلَ الإعْتابَ ، وتستهجنَ هذا الكتابَ ، وتُراجعَ فينا ما أنت أوْلَى به من الصَّواب ، إنْ شاءَ الله .

رسالة ثالثة

وكتب أيضاً :

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوقُك مُفترَضة ، وثقتي بك مُستحكمة ، وربّما كانت الصِّلةُ في إظهار ضدِّها ، وكان بادئُ الجفْوَة أبقَى للحال ، وأعمرَ لها ، وما أحسبُني أحتاجُ إلى زيادةٍ في علمك بما أنت عليه قديماً وحديثاً من ودِّك ، زادَ الله في مِنَنِهِ ونِعَمِهِ عندك .

رسالة رابعة

وكتب أيضاً :

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا أجري مَجْرى أوليائك ، ومَنْ لبسَ الضَّافي من نَعمائك ، فإن زرتُك لم أُوجبْ عليك حقّاً بمواصلة ، وإن أغْبَبْتُكَ[3] ، لم أُخْفِ منك حَيْفاً ولا لائمَة ، فالحمد لله الذي جعلني بهذه المنزلة في المتحققين بك ، والثِّقة بفضلك .

---

(١) الوَشَل : الماء القليل يتحلّب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره ، وقيل : لا يكون إلا من أعلى الجبل .

(٢) أماط عني إماطة : بعد وتنحّى ، وأماط فلاناً : نحّاه وأبعده (لازم ومتعدٍ) ومنه إماطة الأذى عن الطريق وهي التنحية والإبعاد .

(٣) أغببته إغباباً : زرتُه غبّاً . غبَّ يغِبُّ غَبّاً وغِبّاً : جاء زائراً بعد أيام .

شاعر :

خشية القطيعة

أخشَى القطيعةَ بيننا وأظنُّها ستكونُ إن دُمْنا على الهجرانِ
وأرى اللجاجةَ غيرَ شكٍّ ربما قَطَعتْ شوابِكَ حُرْمةَ الخلّانِ

رسالة خامسة

وكتب الكاتب الأول أيضاً :

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا واحدٌ منكم أهلَ البيت ، داخلٌ في جُملتكم ، وجاري مجرى لُحْمتكم[1] ، فإن شملتكم نعمة ، شَرِكْتُكم في التَّجمُّل بها ، وإنْ تجدَّدتْ لكم دولةٌ تجاوزتكم[2] في الابتهاج بها ، وإن وقفتْ بكم حالٌ تصرَّفتُ معكم فيها ، ومن كان بهذه المنزلة في المُشابكة والمُمازجة لم يَخْشَ منكم إذا غابَ تِقْمةً[3] ، ولا إذا حضر جَفْوةً ، ولا إذا قصَّر مُحاسبةً ، فالحمد لله الذي أخلصني لكم ، وجعلني على ثقةٍ بكم ، لا يضيقُ بي عندكم عُذرٌ بما لا يجب لي عليكم شكر .

شاعر :

عدو عاقل

عدوُّك ذُو العقل خيرٌ لك[4] من الصديق الوامِقِ الأحمق[5]
فما أحكَم الرأيَ مثلُ امرئٍ يقيسُ بما قد مضى ما بقي

---

(١) اللحمة (بضم اللام وإسكان الحاء) : القرابة والجمع لُحَم .
(٢) ج ق - جاريتكم .
(٣) ج ق - تهمة .
(٤) ج ق - ذي .
(٥) ومِقَهَ يمِقُه وَمْقاً ومِقَةً : أحبه فهو وامق وذاك وميق وموموق ، وكذلك وامقه موامقةً ووماقاً : أحبّ كلاهما الآخر ، يقال : « إن لم يكن وماق فتعجيل فراق » .

آخر :

لا أسْمعُ، الدهرَ، جليسي الأذَى ... إنَّ لساني عن جليسي كليلْ — وجه واحد
إن خليلي واحدٌ وجهُهُ ... وليس ذو الوجهين لي بالخليلْ

شاعر :

أبُنَيَّ إنَّ سعادةً ... بالمرء طاعة ذي التجاربْ — وصية وتجربة
خُذْ من صديقك ما صَفَا ... لك لا تكن جمَّ الْمَعَاتِبْ
وإذا مُنيتَ بجاهلٍ ... فاحضر بِحِلْمٍ غيرِ عازِبْ
ما نال غنماً ذو السَّفاه ... ولا أخو حِلْمٍ بخائبْ
واشربْ على الأقذاء مُلتمساً بها صفوَ المشاربْ
واشكرْ فإنَّ الشُّكرَ محتومٌ على الإنسان واجبْ
ما خيرُ مَنْ لا يشكُر النُّعمى ويَنْصُرُ في النَّوائبْ ؟

آخر :

وإذا وصلتَ بعاقلٍ أمَلاً ... كانت نتيجَةُ قَوْلِهِ فِعْلا — عاقبة الأمل

آخر :

وكيفَ يسودُ المرءُ مَنْ هو مثلُه ... بلا مِنَّةٍ منه عليه ولا يَدِ — طريق السيادة
إذا لم يكن للمرءِ عقلٌ ولم يكن ... يُدافع عن إخوانه لم يُسَوَّدِ

آخر :

أعاتبُ إخواني وأُبقي عليهم ... ولستُ بمستبقٍ أخاً لا أُعاتِبُهْ — معاتبة الإخوان

آخر :

ولستُ برائي عيبِ ذي الودِّ كلِّه ... ولا بعضَ ما فيه إذا كنتُ راضيا — عين الرضا

فعينُ الرضا عن كل عيبٍ كَليلةٌ ... ولكنَّ عينَ السُّخْط تُبدي المساويا

آخر :

مصافاة ووداد

أُصافي خليلي ما استقامَ بودّه ... وأمنحُه ودّي إذا يتجنَّبُ
ولستُ ببادٍ صاحبي بقطيعتي ... ولا أنا مُفْشٍ سرَّه حين أغضبُ

آخر :

بين أطراف الرماح

فانظرْ لنفسك من يُحبُّك بين أطرافِ الرِّماحِ
من لا يسؤْك لسانه ... بالعيب أن يلحاك لاحِ

آخر :

رضا وحذر

أرْضى عن المرء ما أصفى مودّته ... وليس شيء مع البغضاء يُرضيني
ليس الصديقُ بمن تُخشى غوائلُه ... ولا العدوُّ على حالٍ بمأمونِ

آخر :

ملاقاة وبشر

ولاقِ بِبِشْرٍ من لقيتَ تَكُنْ له ... صديقاً وإن أمسى مُغبّاً على حقدِ

آخر :

بين اليسر والعسر

مالي صديق مَنْ يواصلني ... في اليسر ثم يصدُّ في العسرِ
اغفر ذنوبَ أخيك ما قصرت ... دون الحوائج فارْضَ باليُسْرِ

آخر :

إفشاء وحذر [٢٨ ب]

لا تفشِ سرّاً إلى غيرِ الصديق ولا ... إلى المُشِيع لهُ يوماً إذا عَتبا
قد يَحْقِرُ المرءُ ما يَهْوى فيركبه ... حتى يكونَ إلى توريطهِ سَبَبا/
شرُّ الأخلاّء مَنْ كانت مودَّته ... مع الزمانِ إذا ما خاف أو رَغِبا
إذا وترتَ امرءاً فاحذر عداوتَهُ ... من يزرعِ الشَّوكَ لا يَحْصُد به عِنَبا

آخر :

ليس الصديقُ الذي يُعطيكَ شاهِدَهُ ... شهد الودادَ وخان الغيبَ غائبُه[1] — بين الشاهد والغائب

وقال عبَيد بن الأبرص[2] :

قد يُوصَلُ النازحُ النائي وقد ... يُقطع ذو السُّهْمَةِ القريب[3] — وصل وقطع

آخر :

تلومُ على القَطيعة مَنْ أتاها ... وأنتَ شَبَبْتَها في الناس قَبْلي[4] — لوم وقطيعة

آخر :

قد فرَّقَ اللهُ بين شيمتنا ... في كلِّ أمرٍ فكيفَ نأتلفُ — تآلف واختلاف

قال جعفرُ بن محمد رضي الله عنهما : من أفطرَ مِنْ أجل أخٍ له ، ثم لم يَمْنُن عليه عدل له ذلك بصيام شَهْر . — المنُّ بالعطاء

وقال الْحَسَن البَصْري : لا ينظرُ الله إلى من بذل الودَّ لأخيه حتى ائتَمَنَهُ ثم انطوى له على غلٍّ . — بين الودّ والغلّ

شاعر :

وأخٍ إن جاءَني في حاجةٍ ... كان بالإلحاح مِنِّي واثقا — إلحاح وردّ

وإذا ما جئتُه في حاجةٍ ... كان بالرَّد بصيراً حاذقا

يُعمل الفكرةَ لي في الردِّ من ... قبلِ أن أبدأ فيها ناطقاً

---

(١) ج ق ـ صاب .

(٢) هنا البيت من مجهرة عبيد بن الأبرص التي مطلعها :

أقفرَ من أهلـه مَلْحُوبُ ... فالقُطَبِيَّاتُ فالذَّنُوبُ

(٣) يقطع : يعق ويطرد . السهمة (بضم السين) النصيب وهي هنا القرابة .

(٤) شبَّ النار شبّاً وشُبوباً : أوقدها ، وشبَّ الشيء : ارتفع ونما .

آخر :

حقد واستغناء

أراكَ مع الأعداء في كل موطنٍ وقلبُـك من ضِغْنٍ عليَّ مريضُ
ومـا بي من فَقْرٍ إلى أن تُحبَّني ومـا ضرَّني أنّي إليـكَ بغيضُ

العاقل والجاهل

وقـال ابنُ عبَّـاس : العـاقلُ الكريمُ صـديـقُ كلِّ أحـد ، إلاَّ من ضَرَّهُ ، والجاهلُ اللئيمُ عدوٌّ لكلِّ أحدٍ إلاَّ مَن نفعه .

وقال آخر :

مبغض للأدب

لنـا صـديـقٌ مُبْغِضٌ لـلأدبِ إخـوانُـه من جهلـه في تعب
يغضبُ حيناً عنـد حـدِّ الرضـا نَوكاً ويرضى عند حال الغضب[1]
كأنّـه من سـوء تـأديبـهِ أسلمُ في كتـاب سـوء الأدبِ

آخر :

عامل الصدقة

الحمـدُ لله عـامـلُ الصَّـدَقـه كان صـديقـاً فقـد لـوى عُنُقَـه

آخر :

صديق الزمان

يا صديقي ما كنتَ لي بصديقِ إنّما كنتَ للـزّمـان صَـديقـا

اتّقاء ثلاثة

قال بعضُ السلف : أحقُّ الناس بأن يُتّقى : العـدوُّ القوي ، والصـديقُ المُخادع ، والسُّلطان الغشوم[2] .

شاعر :

إظهار العداوة

إذا عـدوُّك لم يُظهر عـداوتَـهُ فمـا يضرُّكَ إنْ عـاداك أشرارُ

---

(١) النوك : الحماقة .

(٢) ج ق ـ الحاكم . الغشوم : فعول بمعنى فاعل . والغاشم : الظالم والغاصب .

إهداء العيوب

وقال رجل لعمر بن الخطّاب : واللهِ إني لأُحبُّك في الله ، قال : لو كنت كما تقول لأهديتَ إليَّ عيوبي .

أحد اللقائين

وقال أعرابي : السؤالُ عن الصديق أحدُ اللقائَيْن .

شاعر :

حلو العيش

من لم يَكُنْ ذا صديقٍ ... يُفضي إليه بسرّهْ
ويستريحُ إليه ... في خير أمرٍ وشرّهْ
فليسَ يعرفُ طَعماً ... لحلوِ عيشٍ ومرّهْ

آخر :

إقبال وإعراض

وأبيضَ قد صادفتُه فدعوتُه ... إلى بَدَوَات الأمر حلو شمائلُهْ[1]
أخي ثقةٍ إن أبتغِ الجدَّ عنده ... أجدْهُ ويلهيني إذا شئتُ باطلُهْ
وإني لمعراضٌ عن المرء بعدما ... يَبينُ وتبدو لوأشاءُ مقاتلُهْ

آخر :

مودة ثابتة

أغيبُ عنكم بودٍّ لا يغيِّرهُ ... طولُ البعاد ولا ضربٌ من المَلَلِ

آخر :

الحبل الضعيف

ولا يلبثُ الحَبْلُ الضعيفُ إذا التوَى ... وجادَ به الأعداءُ أن يتخذَّما[2]

الربح على الأخ

قال الحسنُ البَصْري : ليس من المروءة أن يربحَ الرجلُ على أخيه .

---

(١) البدوات : جمع بداة وهي ما بدا من الرأي ، والحوائج التي تبدو .

(٢) تخذّم الشيء : تقطّع .

كرم وإيثار

وقال الحسن : كان أحدهم يشقُّ إزارَه اثنَيْن ، ولا يستأثرُ دون أخيه بوَرِقٍ ولا عَيْن[1] .

قضاء الحاجات

وقال الحسن : لأن أقضي لأخٍ من إخواني حاجةً أحبُّ إليَّ من أن أُصلِّي ألفَ ركعة .

أسباب الفراق

وقال الحسن : ما تحابَّ اثنانِ ففرَّق بينهما إلاَّ ذنب يُحدثه أحدُهما .

مودة وعداوة

وقال الحسن : لا تشترِ مودَّة ألفٍ بعداوةِ واحد .

وقال الشاعر :

إدبار وهدر

إذا مـــا امرؤٌ ولَّى عليَّ بـودِّه وأدبرَ لم يهـدُرْ بـإدبـارِهِ ودِّي

تعريف الصديق

قيل لأعرابي : كيف ينبغي أن يكونَ الصديقُ ؟ قال : مثلُ الروح لصاحبه ، يُحييهِ بالتنفس ، ويُمتعه بالحياة ، ويُريه من الدنيا نضارتَها ، ويُوصل إليه نعيمَها ولذَّتها .

عداء وعتاب

وأخبرنا ابن مقسم العطار النحوي قال : أنشدنا ثعلب لأعرابي[2] :

---

(١) الوَرِق : الدراهم المضروبة والجمع أوراق ووراق . العين : الدينار والذهب المضروب خلاف الورق .

(٢) الأبيات لمعن بن أوس المزني كما ورد في حماسة البحتري ٢٤١ ، وهو معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، مدح جماعة من الصحابة ثم رحل إلى الشام والبصرة . له أخبار مع عمر بن الخطاب كان معاوية يفضله ويقول : « أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سُلمى وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس » وهو صاحب لامية العرب التي أولها :

لعمري لأدري وإني لأوجلُ على أيِّنا تعدو المنية أول

توفي معن سنة ٦٣ هـ . راجع أخباره في الأغاني ١٢/٥٤-٦٥ ، والإصابة ٨٤٤٥ ، ونكت الهميان ٢٩٤ ، والخزانة ٣/٢٥٨ .

وذي رحم قلّمتُ أظفار ضِغْنِه[1] بحِلْميَ عنه وهو ليس له حِلْمُ
إذا سُمْتُهُ وَصْلَ القرابة سَامَني قطيعتَها، تلك السَّفاهةُ والظُّلْمُ
ويسعى إذا أبْني ليهدمَ صالحي[2] وليس الذي يَبْني كمن شأنُهُ الهدْمُ
يُحاولُ رَغْمي لا يحاولُ غيره وكالموت عندي أن يَسُوغَ له الرَّغْمُ[3]
فإن أنتصرْ منه أكُنْ مِثْلَ رائشٍ سهام عدوٍّ يُسْتَهاضُ بها العظمُ[4]
وإن أُغْضِ عنه أُغْضِ عَيْناً على قذىً[5] وليس له بالصَّفح عن ذنبه عِلْمُ
فما زِلْتُ في لينٍ له وتَعَطُّفٍ عليه كما تحنّو على الولد الأمُّ
لأستلَّ ذاك الضِّغْن حتى استللتُهُ[6] وقد كان ذا ضغنٍ يَضيقُ له الحزمُ[7]
فداويتُ منه الحقدَ والمرءُ قادرٌ على سهمه ما دامَ في كفِّهِ السَّهْمُ

من الصديق؟

وقلت لابن برد الأبهري ، وكان من غلمان ابن طاهر : مَنِ الصَّديق ؟ قال : مَن سلَّم سرَّه لك ، وزيَّن ظاهره بك ، وبذل ذات يده عند حاجتك ، وعفَّ عن ذاتِ يدك عند حاجته ، يراك مُنْصفاً وإن كنت

---

(١) جاء في الأغاني ٦٠/١٢ : « قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عدة من أهل بيته وولده : ليقل كل واحد منكم أحسن شعر سمع به ، فذكروا لامرئ القيس والأعشى وطرفة فأكثروا حتى أتَوْا على محاسن ما قالوا . فقال عبد الملك : أشعرهم والله الذي يقول : وذي رحم ... » .

(٢) في الأغاني : فأسعى لكي أبني ويهدم صالحي .

(٣) اختلفت الروايات في هذا الشطر : ففي تاريخ ابن عساكر ٩٣/٤٣ نسخة المرحوم أحمد تيمور باشا ، وفي مجموعة شعر معن بن أوس المطبوعة في أوروبة « أن يعرّ به الرغم » وفي الأمالي للقالي ١٠٢/٢ « أن يحلّ به الرغم » وفي خزانة الأدب للبغدادي ٢٥٩/٣ « أن يحلّ به رغم » .

(٤) في حماسة البحتري ٢٤١ : العدو .

(٥) ج ق م ـ أغف .

(٦) رواية الأغاني والحماسة : « لاستلَّ منه الضغن حتى سللتُه » .

(٧) رواية الأغاني والحماسة : « وإن كان ذا ضغنٍ يضيق به الحزم » .

جائراً ، ومفضّلاً وإن كنت مُمانعاً ، رضاه مَنُوطٌ برضاك ، وهواه مَحُوط بهَوَاك ، إن ضللتَ هداكَ ، وإن ظمِئْتَ أرواك ، وإن عجزت آداك[1] ، يبين عنك بالجسم والرسم ، ويشاركك في القَسْم والوَسْم[2] . قلت : أما الوصفُ فحسن ، وأما الموصوفُ فعزيز ، قال : إنّما عزَّ هذا في زمانك حين خَبُثَتِ الأعراق ، وفَسَدت الأخلاق ، واستُعمل النِّفاق في الوفاق ، وخيفَ الهلاك في الفراق ، والله لقد شاهدتُ لشيخنا ابن طاهر أصدقاء ينطوون له على مودَّةٍ أذكى من الورد والعَنْبر ، إذا لَحَظَهم بطَرْفه تهلَّلوا ، وإذا ناقلهم بلفظه تدلَّلوا ، وإذا تحكَّم عليهم تعجَّلوا ، وإذا أمسك عنهم نوَّلوا وخوَّلوا ، وكان يجدونَ[3] به ما لا يجدون بأهليهم[4] وأولادهم ، رحمةُ الله عليهم ، فلقد كانوا زينةَ الأرض ، في كلِّ حالٍ من الشِّدَّة والْخَفْض[5] ، وإني لأذكرهم فأجد في روحي عَبَقاً[6] من حديثهم ، قلت : كيف كان انبساطُهم في الاجتماع ؟ قال : ما كانوا يتجاوزونَ الليلةَ الحلوةَ ، والمزحَ الخفيف ، واللفظ اللطيف ، والرمز الرشيق ، والتبسُّم المقبول ، وإذا افترقوا فإنما هم في اهتمامٍ يعود[7] بنظام عيشهم ، وتدوم لهم مسرَّةُ حياتهم ، الكلمةُ واحدةٌ ، والطريقةُ واحدةٌ ، والإرادةُ واحدةٌ ، والعادةُ واحدةٌ ، والوحدةُ إذا ملكت الكثرة نَفَت الخلاف ، وأورثتِ الائتلاف ، ثم تكلَّم في الوحدة والواحد والأحد بكلامٍ في غاية الرقة ، مع الإيضاح ، ولولا أن هذا الموضع يجفو

---

(١) آدى على فلان : أعداه وأعانه .

(٢) القسم : الخُلُق والعادة . الوسم : العلامة .

(٣) م - وكان . وَجَد به وَجْداً : أحبّه .

(٤) ج ق - بأهلهم .

(٥) الخفض : الدعة وسعة العيش .

(٦) ج ق - روحا . العبق : رائحة الطيب المنتشرة .

(٧) ج ق - بأن يعود .

عنه لرسمتُه فيه ، ولكن قد قيل : لكل مقامٍ مَقَـال ، ولكل فِعْلٍ أوان ، وفي حفظِ الحدود استمرار الموجود ، على ما هو به موجود .

وأنشد لعبد الله بن طاهر :

المرء اثنان

وما المرء إلا اثنـان هـذا مـوكّـلٌ ... بما يُعجب الإخوان إنْ قـالَ أو فَعَلْ
فينزلُ محمـــوداً إذا حـــلَّ منزلاً ... ويرحلُ مفقوداً إذا قيل قـد رَحَـلْ
فأمـا الـذي لا خيرَ فيـه فـإنّـه ... وإن أطعم السَّلْوى وألعقَ من عَسَلْ
يـذيّب عن لحم العـدوّ مخـافـةً ... ويـأكل من لحم الصـديق إذا أكَـلْ
ومـا قلبُـه إلاّ وعـاءٌ معطَّـلٌ ... من الودّ محشوٌّ من الغـلّ والـدَّغَـلْ
ومن قلّ منه الـودُّ للنـاس لم يَنَـلْ ... من النـاس إلاّ مثـلَ ذلـكَ أو أقـلْ

آفة الملال

قيل لأبي السائب : ماآفةُ الملال ؟ قال : كثرةُ الإدلال .

سبب الهجر

وقيل لابن أبي عتيق : ما يدعو المحبَّ إلى الهَجْر ؟ قال : إدمانُ المحبوب للغَدْر .

ابن المنجم وعبيد الله بن طاهر

لما انتقل ابن المنجّم عن جيرة عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر إلى دار إسحاق بن إبراهيم المَوْصلي كتب عبيد الله إليه أبياتاً :

مـا من تحوّل عنّـا وهو يـألفُنـا ... أبعدت عنا ولأياً صرت تلقانـا[1]
فاعلمْ بأنك مُذْ فـارقت جيرتَنـا ... بدّلت جاراً وما بـدّلتَ جيرانـا

فكتب إليه ابن المنجّم :

بعدتُ عنكم بداري دون خالصتي ... ومَحْض ودّي وعهدي كالذي كانا
وما تبدلتُ مُذْ فـارقتُ قربَكُم ... إلاّ هُمـوماً أُعـانيهـا وأحـزانـا

(١) ج ق ـ بعدت عنا أبعد الآن تلقانا .

وهـل يُسر بسُكْنَى دارهِ أحَدٌ وليسَ أحبابُه للدارِ جيرانـا

آخر :

التحفظ والحذر

كُنْ بـــــالتحفُّـــــظ من كلٍّ من عرفتَ حَقيقـــــا
فقـــــد يصيرُ عـــــدوّاً مَنْ كان يـومـاً صـديقـا

آخر :

يُخرج أسرارَ الفتى جليســـةُ ربَّ امرئٍ جاسوسَـةُ أنيسُـه

الصالح والطالح

وقال الحرّاني : الجليسُ الصالح ، كالسِّراج اللائح ، والجليسُ الطالح ، للمرءِ فاضح ، مجالسةُ الأشكال تدعو إلى الوصال ، ومجالسة الأضداد تُذيب الأكباد .

الأشكال والأضداد

وقال النبي صلى الله عليه وآله : مَثَلُ الجليسِ الصالح كمثل الداريّ[1] إن لا يجدك من عطره ، يعلقك من ريحه[2] ، ومثل الجليس السوء كمثل القَيْن[3] إن لا يُحرقك بشرَرَه ، يؤْذِك بدُخانه .

شاعر :

بين البغضاء والحب

خليلي للبغضاء حـالٌ مُبينـةٌ وللحبِّ آيـاتٌ تُرى ومَعَـارفُ

آخر :

تجني واستغناء

إذا كنت تغضبُ من غير جرمٍ وتعتبُ من غير عتبٍ عليّـا[4]
عـددتُـك ممَّن حَوَتـهُ القبـورُ وإن كنتُ ألقاك في النَّاسِ حيّـا

(١) الداريّ : العطار منسوب إلى دارين وهي فرضة بالبحرين يحمل إليها المسك من الهند .
(٢) ج ق ـ يعبق بك .
(٣) القين : الحداد .
(٤) ج ق ـ ذنب .

آخر :

إذا المرء أعراه الصديق بَدا له[1] بأرض الأعادي بعضُ ألوانها الرَّبْدُ[2] تباعد وكشف

آخر[3] :

أُحبُّ الفتى يَنْفي الفواحشَ سمعُهُ كأنّ به عن كلِّ فاحِشةٍ وَقْرا[4] صديق وأخلاق
سليمُ دواعي الصَّدْر لا ناشطاً أذىً[5] ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هُجْرا[6]
إذا ما أتتْ من صاحبٍ لك زَلَّةٌ فَكُنْ أنتَ مُحتالاً لزلّته عُذْرا[7]
غنى النَّفس ما يكفيكَ من سَدِّ خلةٍ فإن زادَ شيئاً عاد ذاك الغِنَى فَقْرا

آخر :

وأنت امرؤ إمّا ائتَمَنْتُك خالياً فَخُنْتَ، وإمّا قلت قولاً بلا علمِ خيانة وجهل
فأنتَ من الأمر الذي كان بيننا بمنزلةٍ بين الخِيانَةِ والإثمِ/ [٢٩أ]

آخر[8] :

لَعَمْرُكَ ما أدري وإني لأوجَلُ[9] على أيّنا تغدو المنيَّةُ أوّلُ صحة المودّة والإخاء

---

(١) أعرى فلاناً صديقه : تباعد منه ولم ينصره .

(٢) الربد : نبات ، والربدة : غبرة .

(٣) من قصيدة لسالم بن وابصة الأسدي : حماسة أبي تمام ١٤٥ .

(٤) وقرت أذنه تقر وقراً : ثقلت أو ذهب سمعه كله وصمّت .

(٥) رواية الحماسة : باسطاً .

(٦) الهجر : القبيح من الكلام والإفحاش في النطق والخنا .

(٧) سقط من الصداقة والصديق بيت :

إن شئت أن تدعى كريماً مكرّماً أديباً ظريفاً عاقلاً ماجداً حرّا

(٨) الشعر لمعن بن أوس راجع ديوان الحماسة لأبي تمّام ١٣٢ . وقد وردت أبيات من هذه القصيدة متفرقة في حماسة البحتري راجع : ٢٧ ، ٦٣ ، ٦٦ .

(٩) لأوجل : لخائف مترقب .

وإني أخوكَ الدائمُ العهدِ لم أخُنْ[1] إن ابْزَاكَ خصمٌ أو نبا بك منزلُ[2]
أحاربُ مَنْ حاربتَ من ذي عداوةٍ وأحبسُ مالي إن غَرِمْتَ فأعْقِلُ[3]
وإن سُؤْتني يوماً صفحتُ إلى غدٍ ليُعْقِبَ يوماً منك آخرُ مُقْبِلُ
كأنّك تشْفي منك داءَ مَسَاءَتي[4] وسُخطي وما في ريبَتي ما تعجّلُ[5]
وإنّي على أشياءَ منك تَريبُني قديماً لذو صَفْحٍ على ذاك مُجْمِلُ
ستقطعُ في الدنيا إذا ما قطعتني يمينَكَ فانظُرْ أيَّ كفٍّ تَبدّلُ[6]
وفي النّاس إنْ رَثَّتْ حبالُك واصلٌ[7] وفي الأرض عن دار القِلى مُتَحَوّلُ[8]
إذا أنتَ لم تُنْصِف أخاكَ وجدتَهُ على طرف الهجرانِ إنْ كان يَعْقِلُ
ويركبُ حدَّ السيف مِنْ أنْ تضيمَهُ إذا لم يكن عن شَفْرة السيف مَزْحَلُ[9]
وكنتُ إذا ما صاحبٌ رامَ ظِنّتي[10] وبدّلَ سوءاً بالذي كنتُ أفعلُ
قَلَبْتُ لـــه ظهر المجنّ فلم أدُمْ[11] على ذاكَ إلاّ ريث مـــا أتحـوّلُ

---

(١) ج ق م ـ أحل .

(٢) ج ق م ـ انـدال . أبزاك : أبزيت بفلان إذا بطشت به وقهرته . بزاه يبزوه بزواً : قهره .

(٣) ج ق م ـ عزمت .

(٤) أي مساءتك لي .

(٥) أي سخطك عليّ . السخط : نقيض الرضا .

(٦) تَبَدّل : أي تأخذ البدل . وقد ورد هذا البيت في الحماسة للبحتري كما يلي :

كأنك تشفي منك داءً مخامراً

(٧) رثت حبالك : خلقت أسباب وصلك .

(٨) متحول : موضع يتحول إليه .

(٩) مزحل : مبعد .

(١٠) ج ق م ـ طبتي .

(١١) أي تغيرت له وزلت عن مودته والأصل في ذلك أن المقاتل يكون ظهر مجنّه أي ترسه إلى أعدائه وبطنه إلى أوليائه ، فإذا صار مع أعدائه جعل ظهر مجنه مما يلي أصحابه . وقال أبو العلاء : هذا مثل ، يقال للرجل : قلب لنا ظهر المجن ، إذا تحول عن الصداقة إلى العداوة ، وأصل ذلك أن يكون معه مجن ثم استعمل ولا مجن هناك

إذا انصرفتْ نفسي عن الشيء لم تَكَدْ إليه بوجهِ آخرَ الدهرِ تُقبلُ

آخر :

فأكرمْ أخاكَ الدهرَ ما دمتَما معاً كفى بالمماتِ فُرْقةً وتَنائياً دعوة

آخر :

أفاطمُ أعرضي قبل المَنَايا كَفَى بالموت هَجْراً واجتنابا دعوة

آخر :

لا تطلبنَّ الودَّ من مُتباعدٍ ولا تنأ مِنْ ذي بغضةٍ إن تقرّبا تحذير واستغناء
فإن القريبَ من يقرِّبُ نفسه لَعَمْرُ أبيك الخير لا من تنسَّبا

آخر :

لعمرك ما أبقى ليَ الدهرُ من أخٍ حفيٍّ ولا ذي خلَّةٍ أُواصلُهْ شرُّ الأخلاء
ولا من خليلٍ ليس فيه غوائل وشرُّ الأخلاء الكثيرُ غوائلُهْ

النَّمِرُ بنُ تَوْلب :

أحبِبْ حبيبَكَ حبّاً رُويداً فقد لا يعولُك أن تُصْرَمَا التمهل في الحالين
وأبغضْ بغيضَك هوناً رويداً إذا أنت حاولت أن تَحْكُما[1]

آخر :

لقد عجبتُ وما بالدهرِ من عجبٍ يد تشحُّ وأُخرى منك تأسُوني[2] شحّ ومواساة

(١) في رواية : أبغض بغيضك بغضاً رويداً . حَكَمَ : صار حكيماً أي إذا أردت أن تكون حكيماً .

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا البيت ص ٨٦ وقائله الفضل بن العباس . وقد سقط البيت من ج ق . وفي رواية : تشجّ .

آخر :

جود الدهر

أتيتُ أُنادي الدهرَ جُدْ لي بصاحبٍ ... وخلٍّ طِلابَ الدَّهر ما أنا طالبُ
فما جاءَ لي منه بغير مُجانبٍ ... وآخر خيرٌ منه ذاك المجانبُ
أخلّائي أمثالُ الكواكب كثرةً ... وما كلٌّ ما يُرمى به الأفق ثاقبُ
بلى كلُّهم مثلُ الزمان تلوُّناً ... إذا سرَّ منه جانبٌ ساءَ جانبُ

آخر :

خيانة ونشب

ومن البلاء أخٌ خيانتُهُ ... عَلَق بنا ولغيرِنا نَشَبُهْ[1]

آخر[2] :

فساد الصداقة

ألَمْ تَرَ ما بيني وبين ابنِ عامرٍ ... من الودِّ قد بَالَتْ عليه الثعالبُ[3]
فأصبحَ نابي الودّ بيني وبينَهُ ... كأنْ لم يكنْ والدهرُ جمٌّ العجائبُ

آخر[4] :

مكاشرة ونفاق

تُكاشِرُني كُرْهاً كأنَّك ناصحٌ[5] ... وعينُكَ تُبْدي أنَّ صَدْرَكَ لي دَوِي[6]

---

(١) ج ق ـ علق . العلق : دويبة تمتص الدم . النشب : العقار أو المال الأصيل .

(٢) سقط هذان البيتان من ج ق . البيتان لأبي الأسود الدؤلي كما ورد في الديوان ١٥٨ . وقد وردت باء الرويّ مضمومة .

(٣) بالت عليه الثعالب : مثل يقال لقوم يقع بينهم الفساد .

(٤) البيتان ليزيد بن الحكم الثقفي كما جاء في الأمالي ٦٧/١ .

(٥) كاشره مكاشرةً : ضاحكه وحرّك عليه أسنانه كقوله : « أخوك أخو مكاشرة وضحك » . وفي ديوان المعاني ١٩٩/٢ تعاشرني .

(٦) دوي صدره : ضغن . الدوي (بتخفيف الياء) : المريض والفاسد الجوف من داء . وفي ديوان المعاني : أن صدرك .

لسانُك ماذِيٌّ وغيبُك عَلْقَمٌ[1] وشرُّك مَبْسوطٌ وخيرُكَ مُنْطَوي[2]

آخر :

كم من صديقٍ لنا أيامَ دولتنا قد كانَ يمدحُنا فصارَ يهجُونا — مراء وخديعة

آخر :

دَعْني أُواصِلُ من قَطعتَ تراهُ بي إذ لا يَرَاكا — مواصلة وتوزُّع
إنّي متى أحقِدْ لحقدك لا أضُرُّ بهِ سواكا
وإذا أطعتُك في أخيك أطعتَ فيه غداً أخاكا
حتى أُرى متقسِّماً يوماً لذا وغداً لذاكا

آخر :

يا صديقي بالأمس صِرْتَ عدوّاً سؤْتني ظالماً ولم تَرْسُوّا — تجني ونبو
كلّما ازددْتُ لك في الحبِّ تزيُّدتَ نَبْوةً وعُتُوّا

آخر :

ما لي بحائجةٍ أرادني الزمانُ بها يَدَانِ[3] — شكوى وعتاب
لمّا بلغتُ مكاني فيك بلغتَ فيَّ مدَى الزمانِ
ونصبْتني غرضاً يُبيحُ دمي ولحمي مَنْ رَمَاني
هذا جزاءُ مقدّماتي إذ أكونُ وليس ثاني
وَعَدا عليَّ بك الزمانُ مُذْرِباً نحوي لساني[4]

(١) الماذيّ : العسل أو الأبيض منه . العلقم : الحنظل وقيل إذا اشتدت مرارته ، وكل شيء مرّ . وفي ديوان المعاني : لسانك لي شهد .
(٢) ج ق ـ ملتو . وكذلك في ديوان المعاني .
(٣) حائجة : حاجة والجمع حوائج . على المبالغة .
(٤) ذَرَب السيف ونحوه ذرباً : أحدّه . ذَرِبَ اللسان : حديده .

آخر :

عاقبة الأخوة

هَبْني أسأتُ كما زعمتَ فأيْنَ عاقبةُ الأخوّه
فإذا أسأتَ كما أسأتُ فأين فَضْلُكَ والمروّه

تجنّب واستحلاء

أخبرنا المرزُباني ، حدّثنا الصُّولي ، حدّثنا أحمد بن يزيد المهلبي ، حدثنا هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدي قال : كتب أبي إلى بعض من عتب إليه في شيء : لوعرفتَ الحسنَ لتجنّبت القبيح ، ولو استحلَيْتَ الحِلْم لاستمرَرْتَ الْخُرُقَ[1] ، وأنا وأنت كما قال زهير[2] :

وذي خطلٍ بالقول يَحْسَبُ أنّه[3] مُصيبٌ فما يُلْمِمْ به فهو قائلُهْ[4]
عَبَأتُ له حِلْمي وأكرمتُ غيرَه[5] وأعرضتُ عنه وهو بادٍ مقاتلُهْ

وإن من إحسان الله إلينا ، وإساءَتك إلى نفسك أنّا أمسكنا عمّا تعلم ، وقلتَ ما لا تعلم ، وتركتَ الممكن ، وتناولتَ الْمُعْجز ، فالحمدُ لله الذي أوضح غَدْرَك ، وأبانَ أمرَك ، وقبّح عند الناس ذكرَك .

تأديب وتأنيب

وقال أعرابي : نُصْحُ الصديق تأديب ، ونُصْحُ العدوّ تأنيب .

شاعر :

طَرْف وإغضاء

وتطرفُ الكفُّ عينَ صاحبها فلا يَرَى قَطْعَها من الرُّشْد

---

(١) الخرق : أن لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور .

(٢) من قصيدة مطلعها : « صحا القلبُ عن سَلْمى وأقصَرَ باطِلُهْ » الديوان ١٣٩ .

(٣) الخطل : كثرة الكلام وخطؤه .

(٤) فما يلمم به فهو قائله : أي ما حضره من شيء فهو قائله .

(٥) عبأت : جمعت . أكرمت غيره : أكرمت نفسي أي بإعراضي عنه ويحتمل أن يريد : أكرمت بحلمي وعفوي عنه غيره ممن راعيت حقه فيه . بادٍ مقاتله : ممكنه ظاهرة لي .

قال أبو سعيد السِّيرافي فيما سمعتُه منه : الصديقُ يكون واحداً / وجمعاً ومذكراً ومؤنثاً . قال المرواني وكان حاضراً : هذا والله من شرف الصديق ، قلت : ما نزيغ[1] بهذا ، قال : أما ترى هذا المثال كيف عمَّ [هذه] الأشياء المختلفة حتى تكونَ صورةُ الصديق محفوظةً فيها ، وملحوظةً منها ولذلك قال الله تعالى : ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾[2] ، فأخرجه مخرج الواحد ، وهو يريد الواحد والجمع والمذكر والمؤنث . [٢٩ ب]

مخرج الواحد

أخبرنا أبو السائب القاضي عُتبة بن عبد الله ، حدَّثنا الحسن بن عُرْوة ، حدثنا محمد بن عبد الله القرشي ، حدّثنا محمد بن عبد الله الأشكري عن أبي حمزة الثُّمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر رضي الله عنهما قال : أوصاني أبي قال : يابُنيَّ لا تصحبْ فاسقاً فإنه بائعُك بأُكْلَةٍ فما دُونها ، قلت : وما هو دونها ؟ قال : يطمعُ فيها ثم لا ينالُها ، ولا تصحبْ بخيلاً فإنه يقطع بك في مالك أحوجَ ما تكون إليه ، ولا تصحبْ كذاباً فإنه بمنزلة السَّراب يُقرِّب منك البعيد ، ويُبعد منك القريب ، ولا تَصْحَب أحمقَ فإنهُ يُريد أن ينفعك فيضرّك ، ولا تصحَبْ قاطع رحم فإني وجدتُه ملعوناً في ثلاثة مواضع من كتاب الله : في سورة البقرة[3] ، وسورة الرَّعد[4] ، وسورة الذين كفروا[5] .

تجنّب صداقة خمسة

---

(١) زاغ يزيغ زيغاناً وزيغوغة : مال . وأزاغه عن الطريق : أماله . والزَّيغ : الشك والجور عن الحق .

(٢) القرآن الكريم ، سورة النور : ٦١

(٣) ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧/٢] .

(٤) ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرَّعد : ٢٥/١٣] .

(٥) هي سورة محمد عليه الصلاة والسلام والآية المشار إليها : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُم ﴾ [محمد : ٢٣/٤٧-٢٤] .

وقال ابن أبي خازم الشاعر الجاهلي :

وحشة الأنس

وَكُنْ من الإخوان مُستوحشاً وحشةَ إنسيٍّ بِجِنَّانِ[1]

خير الإخوان وشرّهم

أخبرنا الصّواف أبو علي ، حدّثنا ابن الْمُؤمّل ، قال : سمعتُ موسى بن جعفر يقول : خيرُ إخوانك الْمُعينُ لك على دَهْرك ، وشرُّهم مَنْ سَعَى لك بسوق يومه .

خير الإخوان

وقال بعضُ السّلف الصالح : خيرُ إخوانكَ مَنْ وعظك برؤيته قبل أن يَعِظَك بكلامه . قلت لبرهان الصُّوفي : ما تفسيرُ هذا ؟ قال : لأنك إذا رأيته رأيتَ هَيأتَه ، وشارتَه ، وحركتَه ، ونظرتَه ، وقومتَه ، وقعْدتَه ، وهذه كلُّها نواطقُ ، ولكن بلا حروف ، وشواهدُ ولكن بلا لفظ ، وإشاراتٌ ولكن بلا أدوات ، وأمّا إذا جاء الكلام فقد استوعب أقصى البيان ، وأتى على آخر الإرادة ، فأراد هذا القائل أنه إذا أراك نفسه فقد حضَّك على اتّباع أمره ، ودعاك إلى الاقتداء به ، وأن تحرّج من مُسْكه[2] ، وتبرّز من تبيانه[3] ، فهذا كلام في غاية الإيضاح .

عصيان وطاعة

قال محمد بن علي رضي الله عنهما : كَفَى بالله ناصراً أنْ تَرَى عدوّك يَعْصي الله فيك وتُطيعه .

أفضل الصديقين

قال أنَس : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : « ما تحابّ رجلانِ إلاّ كان أفضلُهما أشدّهما حبّاً لصاحبه ، هذا أخبرنا به المرزُباني عن ابن السّراج عن المبرّد عن الرّياشي عن أبي عاصم عن مبارك بن فَضَالة عن ثابت عن أنس .

---

(١) جمع جنّ .

(٢) المسك : العقل .

(٣) ج ق ـ بيانه .

الحب في الله

قال رجل من العُبّاد لعابدٍ آخر : إني لأُحبُّك في الله ، قال : أعوذُ بالله أن أكونَ ممن يُحَبُّ في الله واللهُ عليَّ ساخط .

طاعة ومحبة

وقالت امرأة لرابعة العدوية[1] : إني لأحبُّكِ في الله ، قالت : فأطيعي مَنْ أحببتني فيه ، قالت : مِنْ طاعتي له محبتي لمن أطاعه .

تلاد وبلاد وجار

أخبرنا ابن مقسم النحوي قال : حدّثنا أحمد بن يحيى ، حدثنا عمر بن شبّة ، حدثنا الأصمعي ، قال : وقف أعرابي يسألُ فقال : أخٌ في تِلاد الله وجارٌ في بلاد الله ، وطالبُ خيرٍ من فضل الله ، فهل من أخٍ يواسي في ذات الله ؟ قال ابن السَّرّاج : التِّلادُ : المال الذي لم يُكتسب ، سمعتُه من علي بن عيسى عنه .

محبة ومفارقة

قال أبو الدَّرداء : ما أنصفنا إخوانُنا ، يُحبوننا في الله ، ويُفارقوننا في الدُّنيا ، إذا لقيني قال : أحبُّك يا أبا الدَّرداء ، وإذا احتجتُ إليه في شيء امتنعَ مني .

أحب من أبيه وأمه

قيل للأوْزَاعي[2] : أيبلغُ من حبِّ الرجل لأخيه أن يكون أحبَّ إليه من أخيه لأمه وأبيه ؟ قالَ : نعم ومن أُمِّه وأبيه !

---

(١) رابعة بنت إسماعيل العدوية ، أم الخير إحدى صالحات البصرة الصوفيات وعابداتها وناسكاتها ، ولدت في البصرة وتوفيت بالقدس سنة ١٣٥ هـ ، ويقول ابن خلكان ١٨٢/١ : « وقبرها يزار وهو بظاهر القدس من شرقيه على رأس جبل يسمى الطور » .

(٢) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن يُحْمِد الأوزاعي من قبيلة الأوزاع ، إمام الشام في الفقه والزهد وأحد الكتاب المترسلين ، ولد في بعلبك سنة ٨٨ هـ وسكن بيروت وتوفي فيها سنة ١٥٧ هـ ، قال صالح بن يحيى في تاريخ بيروت ١٥ : « كان الأوزاعي عظيم الشأن في الشام ... ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها ، وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه إلى زمن الحكم بن هشام » .

شاعر[1] :

نكد الدنيا

ومن نَكَدِ الدنيا على الحرِّ أن يَرَى عدواً له ما من صداقته بُدُّ

سمعتُ العَسْجدي[2] يقول وقد أنشد هذا البيت : فالحيلةُ إذا كان المُخْلِصُ لا يوجد ، والمُرائي لا يُفقد ، والحاجةُ قائمة إلى التعاون ، والتعاونُ مُورِّثٌ للتهاون ، والتهاونُ باعثٌ على الكلام ، والكلامُ بين العتْب والاستزادة ، والتظلُّم والاستراحة ، ثم قال : لا حيلةَ إلاَّ الصبرُ فإن فسادَ
[٣٠أ] دخائل الإخوان مضموم إلى جميع حوادث الزمان / ، والله المُسْتَعان .

وقال المهلَّبي لبني أُميّة :

بنو أمية

مهلاً بني عمِّنا مَهْلاً موالينا امشُوا رويداً كما كنتم تكونُونا[3]
اللهُ يعلمُ أنَّا لا نحبّكُم ولا نلومكُم أن لا تُحِبُّونا

في الحضور والمغيب

وأنشدنا أبو السائب القاضي قال : أنشدني محمد بن يزيد لنفسه :

بنفسي أخي بِرٌّ شَدَدْتُ به أزْري فألفيتُه حُرّاً على العسرِ واليُسرِ
أغيبُ فلي منه ثناءٌ ومِدْحةٌ وأحضرُ منه أحسنَ القول والبِشْرِ

دعاء وسلوى

وكتب أبو النفيس إلى العَباداني : سبحانَ مَنْ لم يُغْنِك عنا حتى سَلانا عنك ، ولا شغَلَك بغيرنا حتى عوّضنا منك ، ولا خار[4] لنا في بُعدك ، حتى صنع لنا في فقدك ، ولا هوّن عليك الوجدَ بنا حتى خفَّف عنا

---

(١) البيت للمتنبي من قصيدة مطلعها :

أقلُّ فعالي بله أكْثَرُهُ مجدُ وذا الجدُّ فيه نلتُ أم لم أنَلْ جدُّ

(٢) ورد ذكره في رسالة (مثالب الوزيرين) لأبي حيان التوحيدي ٢٥٢ .

(٣) ج ق ـ تمشونا .

(٤) خار يخير خيراً : صار ذا خير . وخار الرجل على غيره : فضّله . وخار الشيء : انتقاه .

الْمَوْجدةَ عليك ، ولا حظَّر عليك وصلَنا حتى أباحَ لنا هجرَكَ ، ولا سهَّل عندك الرُّزْءَ بنا حتى رفعَ عنَّا المصيبةَ فيك .

دعاء وحمد وعزاء

وكتب أيضاً : أُختُ هذه الحمد لله الذي لم يزيِّن لَكَ الكفر بحرمتنا حتى حَسُن عندنا الشِّرْكُ في صحبتك ، ولا طَوَى عنا بساطَ قُربك حتى أسْبَل علينا سِجاف[1] بُعدك ، ولا علَّق حَبْلَك بغيرنا حتى كَفَانا مَؤونةَ عَتْبك ، ولا خوَّفك بالرَّغبة عنا حتى أمَّنَنا بالزهد فيك ، ولا دنَّسَ جَيْبك بالأسف علينا حتى طهَّر قلوبنا من الشوق إليك ، ولا سَقاك صفوَ الهَجْر حتى أروانا بزُلال الصبر ، ولا أوسعَ لك في الانحراف عنَّا حتى أوضح لنا العُذر في الانصراف عنك ، ولا أذكرك قُبْحَ الجفاء حتى أنسانا خالص الصفاء ، ولا عرَّاك من يُمْن الإجماع حتى ألبسنا حَبَرَةَ[2] الإفراق ، فَدُم على هجرنا فقد استبدلنا بك ، واسلُ عنا فقد تعزّينا عنك والسلام .

شاعر من بني أسد :

إنقاذ بعد الزلل

وأستنقذُ الْمَوْلَى من الأمر بعدما ... يَزِلُّ كما زَلَّ البعيرُ عن الدحضِ[3]

آخر :

احتمال الضغائن

وإنّي لأنْسى عند كلّ حفيظةٍ ... إذا قيلَ مولاك : احتمالَ الضغائنِ
وإن كان مَوْلى ليس فيما يَنوبُني ... من الأمر بالكافي ولا بالمعاونِ

آخر :

---

(١) السجاف والسجيف : الستر .

(٢) الحبرة (بالتحريك) : ضرب من برود اليمن .

(٣) دَحَضَ برجله دحضاً : فحص ، ودحضت رجله : زلقت ، ومكان دحض : زَلِق ويقال : « هذه مَدْحضة القوم » أي مزلّتهم .

عطف ومحبة

ومولىً خفتُ عنه الموالي كأنه ... من البُؤس مطليٌّ به القارُ أجْرَبُ

رَئِمتُ إذا لم ترأمِ البازلُ ابنَها[1] ... ولم يَكُ فيها لِلْمُبِسِّينَ مَحْلَبُ[2]

آخر :

تثاقل واستثناء

تثاقلتُ إلاّ عن يدٍ أستفيدُها ... وخلّةِ ذي ودٍّ أشدُّ بـه أزْري

أذى القول

وقال ساعدةُ الهُذَلي : ولا أوذي الصديقَ بما أقول .

الصديق الأخ

قال أبو زيد في الأمثال : ربَّ أخٍ لك لم تلِدْه أمُّك .

خذلة وعذلة

وقال أيضاً : أخي خُذَلَةٌ وأنا عُذَلَةٌ وكلانا ليس بابن أمه[3] .

الصبي أعلم

وقال أيضاً : الصبي أعلم بمبضعي جده[4] .

علم النفس

وقال أيضاً : النفسُ تعلم مَنْ أخُوها النافع .

وقال :

تفرق واجتماع

القومُ إخوانٌ وشتّى في الشِّيَمْ ... وكلُّهم يجمعُهم بيتُ الأدَمْ

علامات العاقل

وقال بعضُ السَّلف : من علامات العاقل بِرُّهُ بإخوانه ، وحنينُهُ إلى أوطانه ، ومداراتُه لأهل زمانه .

---

(١) رئم الشيء رأماً : أحبه وألفه ، ورئمت الناقة الولد رأماً ورئماناً : عطفت عليه ولزمته فهي رؤوم ورائمة ورائم والجمع روائم . البازل : الناقة إذا فطر نابها أي انشق بدخولها التاسعة . والبازل يستوي فيه المذكر والمؤنث .

(٢) بسّ الإبل : ساقها سوقاً ليناً بقوله بِسْ بِسْ ، وبسّ الحالبُ بالناقة : دعاها للحلب . والشطر الثاني من قصيدة للنابغة الذبياني في الاعتذار .

(٣) ج ق م ـ عناة . خذلة : الخاذل الذي لا يزال يُخْذَل . العَذلة : الكثير العذل للناس . والعذل : اللوم .

(٤) ق ج ـ بمبضع .

وقال شاعر :

لعمرُك إنّي بالخليل الذي له ... عليَّ دَلالٌ واجبٌ لمفجَّعُ — فجيعة وإمتاع
وإنّي بالمَوْلى الذي ليس نافعي ... ولا ضائري فقدانُه لمتَّعُ
أُولئك إخوانُ الصَّفاء رُزئتُهم ... وما الكفُّ إلاّ إصبعٌ ثم إصبعُ

والعرب تقول :

خلِّ طريقَ من وَهَى سِقاؤُه[1] ... ومن هُريق بالفَلاة مَاؤُه — عدم الاستقامة

وقال أعرابي :

الصديقُ للظهر سِنادٌ ، وللدَّهْر عَتَادٌ ، ولليوم جمالٌ ، وللغَد مالٌ . — صفات الصديق

وقال شاعر :

إن كنتَ تطلبُ في الزّمان مهذَّباً ... فنيَ الزمانُ وأنتَ في الطَّلَبَاتِ — طلب المهذب
خُذْ صفوَ أخلاقِ الصديق وأعطه ... صفواً وَدَعْ أخلاقه الكدِراتِ

قال ابن المعتز : إذا صحَّتِ النِّيَّةُ ، وتوكَّدت الثقةُ سقطت مَؤونةُ التَّحفُّظ . — صحة النيّة

أخبرنا ابن مقسم قال : قرأتُ على أحمد بن يحيى أنشدنا ابن الأعرابي :

إذا أحسن ابن العم بعد إساءةٍ ... فلست لشريّ فعلِهِ بِحَمُولِ — إحسان بعد إساءة

أي إذا أحسن وأساءَ لا أحملُ عنه الشَّرّ أي لم أُواخِذْهُ ، وأراد بالشَّر فِعْليْه فَقَلَب .

---

(١) رواية الأساس : خلّ سبيل . السقاء : وعاء من جلد للماء واللبن ونحوهما . ووهى الشيء : استرخى رباطه . خلى طريقه : أطلقه . ويضرب المثل لمن لا يستقيم أمره .

صحبة الأشرار

وقال آخر : صُحبةُ الأشرار ، تُورثُ سوءَ الظَّنِّ بالأخيار .

[سُدُوس بن ذهل اليربوعي] :

تولية وإدبار

إذا مـا امرؤ ولَّى غنيـاً بـودِّه ... وأدبرَ لم يصـدُرْ بـإدبـارِهِ وقرُ

كرم الإخاء

ولبني هُذَيْل مَثَلٌ وهو : هذا التَّصافي ، لا تَصافي المِحْلَبِ[1] ، أصلُهُ أن هُذَيْلاً أصابتْ دماً في بعض العرب ، فأسَر أصحابُ الدم رجلين من هُذيل متصادقَيْن ، فقالوا لهما : أيُّكما أشرفُ فنقتله بصاحبنا ؟ فقال كلٌّ واحدٍ منهما : أنا ابن فلان الحسيب النسيب[2] ، ذو الثأر المُنِيم[3] ، فاقتلوني دون صاحبي ، فكلٌّ بذل نفسَه للقتل دون صاحبه ، فعيوا بأمرهما لما رأوا من تأبِّيهما فقالوا : هذا التصافي ، لا تصافي المِحْلَب ، وصفحوا عنهما ، أي لا تصافي للنادمة على الشراب[4] .

وروى يعقوب قول نابغة بني جَعْدة[5] :

عهد الوداد

أدومُ على العهد مادام لي ... إذا كَذبتْ خلَّةُ المِحْلَبِ[6]

(١) العتاد : العدّة لأمر ما تهيئه له من عتَدَ الشيء عتادةً وعتاداً : تهيأ . يقال : « لكلّ حال عنده عتاد » أي ما يصلح لكل ما يقطع من الأمور ، والعتاد : ما أعد من سلاح ودوابّ وآلة حرب . والجمع أعتد وأعتدة .

(٢) مجمع الأمثال للميداني ٣١٣/٢ .

(٣) الثأر المُنيم : الذي إذا أصابه الطالب نام بعده ، يقال : « أصابَ الثأر المُنيم » إذا قتل شريفاً فيه وفاءً لطلبته .

(٤) في مجمع الأمثال : أي هذه المصافاة لا مصافاة المواكلة والمشاربة ويضرب في كرم الإخاء . المحلب : الإناء يحلب فيه . ويروى المِشعل : وهي المصفاة .

(٥) هو قيس بن عبد الله بن عُدَس الجعدي العامري ، شاعر صحابي اشتهر في الجاهلية ، وسمي النابغة لأنه مكث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقال ، وفد على النبي ﷺ وأدرك صفين وشهدها مع معاوية ، عُمِّر لزمن التابعين ومات سنة ٥٠ هـ .

(٦) رواية حماسة البحتري ص ٦٣ : فإن خان خنتُ ولم أكذب .

آخر :

أخٌ لي إمَّـا كلُّ شيءٍ سـألْتُـه فيُعطي وإمَّـا كلُّ ذنبٍ فَيَغْفِرُ — عطاء وغفران

آخر :

كان لنـا صـاحبٌ فبـانـا وحـادَ عن وصلنـا وخـانـا — قطيعة وهجر
تـاهَ علينـا وتـاهَ منّـا فمـا نراهُ ولا يَرانـا

وقال أعرابي : للودَّةُ قرابةٌ مُسْتفادة . — المودة قرابة

شاعر :

أخٌ لـك لا تغيِّره الليـالي ولا الأيامُ عن خُلُقٍ جديدِ — ثبات الخلق

وقال أعرابي : وَصُولٌ مُعْدِم[1] خيرٌ من جافٍ مُكثر . — وصول وجاف

وقال محمد بن سليمان لابن السَّمَّاك[2] : بلغني عنك شيءٌ فقال : لستُ أُبالي ، قال : وَلِمَ ؟ قال : فإن كان حقّاً غفرتَهُ ، وإن كان باطلاً رَدَدْتُه . — لا مبالاة

وقال أعرابي : اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من سلطانٍ[3] جائر ، ونديمٍ فاجر ، وصديقٍ غادر ، وغريمٍ ماكر ، وقريبٍ ناكر ، وشريكٍ خائن ، وحريفٍ مائن[4] ، وولدٍ جافٍ ، وخادمٍ هافٍ[5] ، وحاسدٍ محافظٍ ، وجارٍ مُلاحظٍ ، — دعاء أعرابي

---

(١) أعْدَمَ الرجل إعداماً وعَدْماً : افتقر فهو مُعْدِم وعديم .

(٢) هو أبو العباس محمد بن صبيح مولى بني عجل المعروف بابن السَّمَّاك ، نشأ بالكوفة وقدم بغداد زمن هارون الرشيد ، وكان يُبكي هارون بقوة موعظته . مات بالكوفة سنة ١٨٣ هـ .

(٣) ج ق ـ حاكم .

(٤) حَريف الرجل : معامله في حرفته والجمع حرفاء . مائن : المين الكذب .

(٥) الهافي اسم فاعل ورجل هافٍ : جائع .

ورفيقٍ كسلانَ ، وجليسٍ وَسْنانَ[1] ، ووكيلٍ ضعيفٍ ، ومركوبٍ قَطُوف[2] ، وزوجةٍ مبذِّرة ، ودارٍ ضيِّقة .

شاعر :

الطبع والأصل

فلا تعتقدْ خِلاًّ يَسُرُّك بَعْضُهُ ... وإن غابَ يوماً عنك ساءَك كلُّهُ

إذا شئتَ أن تبلوَ امرءاً كيف طبعُه ... فدعْهُ وسَلْ مِن قبلها كيف أصلُهُ

شاعر ، ويقال أنه لعُمَارَةَ بن عَقيل[3] :

عذل وعتاب

ألم تَرَني والمرءُ يَقْلي ابنَ أمِّهِ ... إذا ما أتت عَوْجاءُ لا تتقوَّمُ

ضممتُ جَناحي عن أبي النَّضْر بعد ما ... تلوَّمتُه ما كان لي مُتَلَوَّمُ

وقلتُ له لَمَّا التقينا وقال لي ... مقالةَ مُزْرٍ عائثٍ يتجرَّمُ

أتعذلُني في أن أبيعَكَ مثلَ ما ... بِه بِعْتَني والبادئُ البيعِ أظلمُ

وليس على ودِّ امرئٍ ليس عنده ... وفاءٌ ولا عهدٌ إذا غاب منـدمُ

وقال ابن المقفَّع : لا صديقَ لثلاثةٍ : للميِّت ، والفقير ، والمحبُوس .

---

(١) وَسِنَ الرجل يوسن وسناً ووَسنةً ووسْنة وسِنَةً : أخذه ثقل النوم أو أوّله أو النعاس أو كثُر نعاسُه . وفي اللسان : « وتوقظ الوسنان » أي النائم الذي ليس بمستغرق في نومه .

(٢) القطوف : الدابة التي تسيء السير وتبطئ ، وقد يستعمل في الإنسان والجمع : قُطُف .

(٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال التميمي ، شاعر فصيح من أهل اليمامة كان يسكن بادية البصرة ، ولد سنة ١٨٢ هـ ، وهو من أحفاد جرير الشاعر وجاء في طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣١٧ : « كان عمارة أشعر أهل زمانه ... ولا يأخذ في معنى من المعاني إلا استغرقه ، وكان نقي الشعر ، محكم الرصف ، جيِّد الوصف من أهل بيت الشعر ، وكان مداحاً للخلفاء والوزراء والأشراف والملوك ، فكسب مالاً عظيماً وانصرف إلى البادية » ، وتوفي عمارة سنة ٢٣٩ هـ .

وسُئل الْجُنيد الصُّوفي : مَنْ تصحبُ ؟ قال : من قدر أن يَنْسَى مَالَهُ ويقضي ماعليه . نسيان وقضاء

شاعر :

ليتَ شِعْري ما كانت الحالُ بعدي ... أعَلى العَهْد أم تكرَّهتَ ودِّي
أنا ذاك الْمُسِيءُ والذنبُ ذَنبي ... فاعفُ عني يا أكرمَ الناسِ عِندي
لا يكونُ الغفرانُ إلاَّ لمولىً ... وتكونُ الذنوبُ إلاَّ لعَبْدِ

تساؤل واستغفار

محمود الورّاق[1] :

لا تَحْسِدَنَّ أخاكَ وارعَ لهُ على الأيامِ عَهْدَهْ ... حسدُ الصديقِ صديقَهُ وأخاهُ من سُقم المودَّهْ

نصح وحكمة

شاعر :

وأوّلُ خيرٍ من صديقٍ أفدتُهُ ... رجُوعي بتسهيلِ الصديق حجابي
وأعرفُ ما لي عندَهُ بغلامِهِ ... وبالبِشْر منه عند رَجْع جَوابي

علائم الخير

آخر :

زرعتَ في القلب مني من مودّتكم ... زرعاً تمكَّن في الأحشاء والكبدِ

زرع المودّة

آخر :

جَزَى اللهُ عني صالحاً بوفائهِ ... وأضعفَ أضعافاً له في جَزَائه
أخاً لي إذا ما جئتُ أبغيه حاجةً ... رجعتُ بما أبغي ووجهي بمائه/ [٣٠ ب]
بلوتُ رجالاً بعده بإخائهم ... فما ازددتُ إلاَّ رغبةً في إخائه

دعاء وحرص

(١) هو محمود بن حسن الوراق ، شاعر أكثر شعره في المواعظ والحكم والأدب . وفي الكامل نتف من شعره . توفي سنة ٢٣٠ هـ ، راجع أخباره في طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٦٧ .

آخر :

تيه ودعاء

تَـاهَ على إخـوانـه قـاسمٌ ... فصـارَ مـا يَطْرِفُ من كِبْره
أعـادهُ اللهُ إلى حـالـه ... فـإنَّـه يحسنُ في فقره

آخر :

يأس من الناس

لم يَبْـقَ في النَّـاس حُرٌّ ... ولا صـديـقٌ يَسِرُّ
وكلُّ مَنْ ترتضيـه ... عنـد المـذاقـةِ مُرُّ

آخر :

جفاء وحمد

أكلُّ هـذا الجفـاء يـا حُكَمُ ... كـذا يكـونُ الإخـاءُ والكَرَمُ
الحمـدُ لله لا صـديـقَ لمن ... زلَّتْ بـه في زمـانـه القَـدَمُ

آخر :

جهل وهجران

إذا كنتَ تـأتي المرء توجب حقَّه ... ويجهلُ منك الودّ فالهجر أوسعُ

آخر :

تجربة ونصائح

تَكَثَّرِ الإخـوانَ مـالم يُخْبَروا ... وعلى الْخُبْر قليـلٌ في العـددْ[1]
لا تـودَّنَ امرءاً لم تبلُـهُ ... وانظرنْ بعـد ابتـلاء مَنْ تـودّ
خَـالِقِ النَّـاسَ على أحسابهم[2] ... لا يغرنَّـك ثيـابٌ وجَسَـدْ
ربَّ محمـودٍ على الصُّـورة قـد ... نـالَ ذَمّـاً ، وذميمٍ قـد حُمِـدْ
فـإذا الصـورةُ والحمـدُ معـاً ... جُمِعَا يـومـاً لإنسـانٍ سَعِـدْ

---

(١) خبر الشيء وخبر (بفتح الباء وضمها) خَبراً وخِبرةً علمه بكنهه وحقيقته ومنه قولهم : « وجدت الناس أخبَرَ تَقْلَهُ » والمعنى أن كل امرئ إذا جرَّبته وامتحنته أبغضته .

(٢) خالقهم مخالقة : عاشرهم بخلق حسن ، يقال : « خالصِ المؤمن وخالق الفاجر » .

قُـلْ بِحِلْمٍ[1] أو دَعِ القـولَ فَلَلْصَمْتُ خيرٌ من مَقـالٍ في فَنَـدْ[2]
وَدَعِ المـزحَ فيـا رُبَّ امرئٍ قـادَهُ المـزحُ إلى مـا لم يُرِدْ

شاعر :

إذا كان إعراضُ الفتى مثـلَ أكْلِـهِ فـذاك ضعيفُ الرأي مُستجهلُ العقلِ إعراض
ولَيسَ بمـوثـوقٍ بـه في مـودَّةٍ ولا حسنِ رأيٍ عنـد عقـدٍ ولا حـلِّ
فـآخِ صـديـقَ الصِّـدقِ إنّـك إنّـه[3] وإن هُوَ نَافَى بالتخطُّـط والشَّكْلِ[4]

يقال : أمورٌ ليست لها ثَبَـاتٌ منهـا : ظِلُّ الغَمام ، وخِلَّـةُ[5] الأشرار ، وثناءُ الكذّابين ، وللمالُ الكثير يَرِثُهُ الأحمق ، ومودَّةُ النِّسَاء . أمور غير ثابتة

قـال أكثمُ بن صيفي[6] : العيشُ في سبعـة أشيـاء : الـولـدُ البـار[7] ، والزوجة الصالحة ، والأخُ المُساعد ، والخادمُ العاقل ، والعـافيـةُ السـابغـة ، والقوتُ الكافي ، والأمْنُ الشامل . سبعة أشياء

شاعر :

---

(١) ج ق ـ بعلم .

(٢) فَندَ الرجل فَنَداً : خرف وأنكر عقله لهرم أو مرض ، وفند في القول والرأي : أخطأ .

(٣) ج ق ـ عينه .

(٤) ج ق ـ لم تكنه .

(٥) الخلّة : المصادقة والإخاء ، يقال : « فلان كريم الخِلّ والخُلّة » .

(٦) هـو أكثم بن صيفي بن رباح التميمي حكيم العرب في الجاهليـة ، أدرك الإسـلام وقصـد المدينة مع قومه يريدون الإسلام فمات في الطريق وهو المعني بالآيـة الكريمـة : ﴿ ومَن يَخرُجْ مِن بَيتِـهِ مُهـاجراً إلى اللهِ ورَسولِـهِ ، ثمَّ يُـدرِكْـهُ الموتُ فقَـد وَقَعَ أجرُهُ على اللهِ ﴾ وأخباره كثيرة وتوفي أكثم سنة ٩ هـ .

(٧) بَرَّ والده بِرّاً ومَبَرَّةً : أحسن الطاعة إليه ورفق به وتوقّى مكارهـه فهو بَرٌّ بـه وبـارٌّ وجمع الأول أبرار والثاني بَرَرَة .

ماء وتحذير

إذا رأيتَ امرءاً في حال عُسْرته ... مُصافياً لَكَ ما في وُدِّه دَخَلُ
فلا تَمَنَّ لَهُ أنْ يَسْتفيدَ غِنىً ... فإنه بانتقال الحالِ يَنْتَقِلُ

آخر :

تحذير وابتلاء

لا تحمدنّ على الإخاء مؤاخياً ... حتى تبيَّن قدرَ غَوْر إخائه[1]
فَتَذُمَّ أو تختصَّه مِنْ بَعْدِما ... تبلُو سريرته وصدقَ وفائهِ

شاعر :

مشاجرة ولين

إذا أنتَ شَاجرتَ الرفيق فَلِنْ لَهُ ... ومنْ خير مَنْ رافقتَ مَن لا تشاجرُهْ

تنصُّل وتجني

كاتب : اشتريتُك بالتَّنَصُّل إذْ بِعْتَني بالتَّجني .

تحوُّل الأصدقاء

فيلسوف : لا تعدنَّ مَنْ آخاك في أيام مقدرتك للمقدرة ، واعلم أنه ينتقلُ عليك في أحوالٍ ثلاثةٍ : يكونُ صديقاً يومَ حاجتهِ إليك ، ومعرفةً[2] يوم استغنائهِ عنكَ ، ومُتجنِّياً[3] ذنباً يومَ حاجتكَ إليه .

شاعر :

دوام الشّر

وشرُّكَ عن صديقكَ غيرُ نابٍ ... وشرُّك عند مُنْقطع التِّراتِ

شاعر :

الصحيح والأجرب

فانظُرْ لنفسكَ مَنْ تصاحبُ منهمُ ... ليسَ الصحيحُ داؤهُ كالأجربِ

شاعر :

عديم النفع

إذا غبتَ لم تنفعْ صديقاً وإن تَقُمْ ... فأنتَ على ما في يديْك ضَنينُ

(١) الغَوْر : القعر من كل شيء .
(٢) ج ق ـ معرفته .
(٣) تجنى على فلان : ادّعى عليه ذنباً لم يفعله .

آخر :

أبـــا هـــاشمٍ لا فرَّقَ اللهُ بيننَـــا ففي قربكم أُنسي، وفي بُعـدكم حَتْفي دعاء لطيف

شاعر :

الأخـلاءُ في الرَّخـــاء كثيرٌ فإذا مـا بَلَوْت كانـوا قليـلا[1] أخلاء الرخاء
وإذا مـا أصبت خـلاًّ حفيظـاً راعيـاً لـلإخـاء بَرّاً وَصُـولا
فتمسَّـكْ بحبلـه أبـدَ الـدهر وأكرِمْ بـه أخـاً وخليـلا

قال الراجز :

إني وإن عيَّرتني نحـــولي أو ازدريتَ عَظْمي وطُـولي شكل ونبل
لأعجفُ النفس على خليلي[2] أعرّض بـالودّ وبـالتنويـلِ

قال أبو زيد الأنصاري : يقال عجفت نفسي على المريض[3] إذا صبرت عليه .

شاعر :

مُـذْ بـدا يخطُرُ مـا لم يَرَني وإذا يخلـو لـه لحمي رَتَـعْ خطران ونمية

آخر[4] :

---

(١) بلا يبلو : اختبر ، والبلاء : الاختبار يكون بالخير والشّر . كقول زهير :
« أبلاهما خير البلاء الذي يبلُو »

(٢) عَجَف فلانٌ نفسه عن الطعام عَجَفاً وعجوفاً : حبسها عنه وهو له مُشتهٍ ليؤثر به جائعاً أو ليشبع مؤاكله . عَجف نفسه على فلان : إذا آثره بالطعام على نفسه ، وعجف نفسه على المريض : صبَّرها على تمريضه والقيام به ، وعجف نفسه على فلان : احتمل غيْبه ولم يؤاخذه . وفي أساس البلاغة واللسان : « وعجفتُها على أذى الخليل إذا لم تخذله » .

(٣) ج ق م ـ المرض .

(٤) البيت لعبد الله بن همام كما في حماسة البحتري ١٧٥ .

نصح وأمانة

ورُبَّ امرئٍ تَغْتشُّه لك ناصحٍ[1] ... ومُؤْتَمَنٍ بالغَيْبِ غيرِ أمينِ

قال أبو زيد العُذري[2] :

نصيحة عن تجربة

وابْلُ الرجالَ إذا أردتَ إخاءَهم ... وتوسَّمَنَّ أمورَهُم وتفقَّدِ
فإذا ظفِرْتَ بذي اليانة والتُّقى ... فبهِ اليدَيْنِ قريرَ عين فاشدُدِ
ومتى يزلَّ، ولا محالة، زَلَّةً ... فَعَلى أخيكَ بفضل حلمك فاردُدِ

آخر :

تجني وعتاب

أحينَ تناهتْ بك المكرماتُ ... رميتَ بحبْلي على غاربي[3]
فما بالُ عينِكَ مطروقةً ... إذا ما رميتَ بها جانبي

شاعر :

مع الأعداء

أراكَ مع الأعداء في كلِّ موطنٍ ... وقلبُك من ضغنٍ عليَّ مريضُ
وما لي من فقرٍ إلى أن تُحبّني ... وما ضرَّني أنّي إليك بغيضُ

شاعر :

المزاح والمراء

أما المُزاحَةُ[4] والمراءُ فَدَعْهُما ... خُلُقانِ لا أرضاهُما لصديقِ
إنّي بلوتُهما فلم أحْمَدْهُما ... لمجاورٍ جاراً ولا لرفيقِ

(١) رواية الحماسة : ألا رُبَّ . اغتشّه واستغشّه : ضد انتصحه واستنصحه ، أو ظنّ به الغش ، أو عدّه غاشّاً .

(٢) ج ق - عروة بن حزام العذري ، راجع أخباره في الأغاني ١٥٢/٢٠ ، وذيل الأمالي للقالي ١٥٧ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٥٣٣/١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٥١٩/٢ .

(٣) الغارب : الكاهل وقيل ما بين السنام والعنق وهو الذي يلقى عليه خطام البعير إذا أرسل ليرعى حيث شاء ، ثم استعير للمرأة وجعل كناية عن طلاقها فقيل لها : « حَبْلك على غاربك » أي اذهبي حيث شئت أي أنت مرسلة مطلقة غير مشدودة ولا ممسكة بعقد الزواج .

(٤) المزاحة : الهزل والمداعبة .

أشياء وأضدادها

قال ابنُ عبَّاس : ما من غُرَّة إلاَّ وإلى جانبها عَرّة[1] ، وما الذئبُ في فريسته بأسرعَ من ابن عمٍّ دَنِيّ ، في عرض ابن عمٍّ سري .

الطعن في الغيب

قال الأصمعي : وقفَ أعرابي على قومٍ يَعيبونَ رجلاً من إخوانه . فقال : أبطئوا عن عَيْب مَنْ لوكان حاضراً لسارعتُم إلى مدحه .

شاعر :

الامتناع عن الغيبة

إن شرَّ النـــاس من يَكْثِرُ لي ... حين يَلقـــاني وإن غبتُ شَتَمْ
وكـــلامٌ سيئٌ قـــــد وَقَرَتْ ... عنه أُذنـايَ ومـا بي من صَمَمْ
لا تَراني راتعـــــاً في مجلسٍ ... في لحوم الناس كالسَّبُع الضِّرِمْ[2]

توبة وبلاء

قال المدائني : يُقال : من رمى أخاه بذنبٍ قد تاب منه ابتلاه الله به .

عيوب الصديق

وقال عمر بن الخطَّاب : كفى بك عَيْباً أن يبدوَ لك من أخيك ما يُغني عليك من نفسك ، أو تؤذي جليسَك .

الأخطل :

تغير ووفاء

إنّي تدومُ لذي الصفاء مودّتي ... وإذا تغيَّر كنتُ ذا ألـــوانِ
وأصدُّ عن عَيْب الصديق تكرُّماً ... عَمْداً وما دهري له بهَوانِ
وأُفارقُ الخِلاَّن عن غير القِلى ... وأميتُ بعضَ السِّرّ بالكتمانِ

قبول وتستُّر

كاتب : ولَعَمْري إن في الحق أن يُقبلَ الاعتذار ، مالم يكن معه الإصرار ، وأن لا تحملَ المتستّر بالصَّداقة على المُكاشفة بالعداوة ما صلح ظاهرُه ، وتصنَّعت سرائره .

---

(١) العَرّة : الخلة القبيحة ، العيب .

(٢) الضِّرم : الجائع .

إخوان الشر

وقال آخر : إخوانُ الشَّرِّ كشجرة النار يَحْرُقُ بعضُها بعضاً .

الصدق والعدو

وقال آخر : إنما سُمي الصديقُ صَديقاً بصدْقه لك ، وسُمي العدوّ عدوّاً لعدوه[1] عليك لوظفر بك .

امتحان وثقة

وقال أيضاً : مَنْ لم يقدّم الامتحانَ قبل الثقة ، والثِّقة قبل الأنس ، أثمرت مودتُه نَدَماً ، ليكنِ الأنسُ أغلى أعلاق[2] مودّتك ، وأبطأها عَرْضاً على صديقك .

علامة الصديق

وقال : علامةُ الصديق إذا أراد القطيعة أن يؤخِّر الجواب ، ولا يبتدئ بكتاب .

إخوان السوء

وقال : إخوانُ السُّوء يتفرَّقون عند النكبة ، ويُقبلون مع النِّعمة ، ومن شأنهم التوصُّل بالإخلاص والمحبة إلى أن يظفروا بالأنس والثقة ، ثم يوكِّلون الأعينَ بالأفعال ، والأسماعَ بالأقوال ، فإن رأوا خيراً سَتَروه ، وإن رأوا شرّاً أو ظنُّوه أذاعُوه ونشرُوه .

مساعفة الإخوان

وقال آخر : إنَّما تطيبُ الدنيا بمساعفة الإخوان ونفعِ بعضِهم بعضاً في كلِّ باب ، وإلاَّ فعلى الصَّداقة الدمار ، وما أرجو إذا كانت تنقطع في الدُّنيا ، ولا تتصل بما أحِبُّ في الدنيا .

شاعر :

غش وحسد

أنت امرؤ قصَّرتْ عنه خليقتُه ... إلاَّ من الغشِّ للأدنين والحسدِ

ثمرة المودّة

حدّثنا ابن مسرف قال : كان بين محمد بن السَّمّاك وبين رجلٍ مؤاخاةٌ

---

(١) عدا يعدو عَدْواً وعدواناً عليه : وثب .

(٢) ج ق ـ وأغلى . العلق (بفتح العين وكسرها وإسكان اللام) النفيس من كل شيء لتعلق القلب به والجمع أعلاق وعلوق .

فانقطع عنه الرجل فكتب إليه ابن السَّمّاك : أما بعد : فإنَّ لكلِّ شيء ثمرةً ، وثمرةُ المودَّة الزيارة والسلام . وكتب إليه في آخره :

لقد ثَبَتَتْ في القلب منكَ مودَّةٌ كما ثَبَتَتْ في الراحتين الأصابعُ

فأجابه الرجل : أما بعدُ يا أخي فقد زرعتَ في قلوبنا مودَّتك ، فتعهدْ زرعَكَ بسقي الماء وإلاَّ فلا تأمَنْ والسلام . تعهُّد المودَّة

شاعر :

صديقُك حين تَسْتَغني كثيرٌ وما لَكَ عند فقرِكَ مِنْ صديقِ
فلا تغضب على أحدٍ إذا ما طَوَى عنك الزيارةَ عند ضيقِ

أصدقاء الغنى

آخر :

إذا المرءُ لم يَبْذُلْ لك الودّ مُقْبِلاً مدَى الدهر لم يَبْذُلْ لك الودَّ مُدْبِرا

إقبال وإدبار

آخر :

أقام معي من لا أُحبُّ جِوارَهُ وجارايَ، جارا الصِّدقِ مُرتحلان
ولا يَسْتوي الجارانِ جارٌ مكارمٌ وجارٌ طويلُ العمر دون مجاني[1]

جاران

آخر :

أعاتبُ لَيْلى إنَّما الصَّرمُ أن ترى خليلَك يأتي ما أتى لا تُعاتِبُهْ
وما أهلُ ليلى من خليلٍ فينفعوا وما أهلُ ليلى من عدوٍّ نُجانِبُهْ

عتاب ليلى

قيل للإسكندر : بما نلتَ هذا المُلْك على حداثة السِّن ؟ قال : باستمالة الأعداء ، وتعهُّد الأصدقاء .

استمالة وتعهُّد

---

(١) م ـ والألحان ـ المجاني : جمع مجنى وهو ما يجنى من الثمار .

وصف العتاب

وقال آخر : العتابُ حدائقُ المتحابين ، وثمار الأوداء ، ودليلٌ على الضَّنّ بالصَّفاء ، وحَرَكات الشوق ، ومُسْتراح الواجد ، ولسانُ الإشفاق .

مساوئ التَّجني

وقال آخر : التَّجنِّي رسولُ القطيعة ، وداعي القِلَى ، وسببُ السلوّ ، وأولُ التجافي ، ومنزلُ التهاجر .

المعاشرة بالمسامحة

وقال آخر : من عاشر الناس بالمسامحة دام استمتاعُه بهم .

شاعر :

مصاحبة ومسامحة

وكنتُ إذا صحبتُ رجالَ قومٍ ... صحبتُهُم وثبَّتني الوفاءُ
فأحسن حين يُحسنُ محسنُوهم ... وأجتنبُ الإساءة إن أساؤوا
وأُبصرُ ما يعيبُهم بعينٍ ... عليها من عيونهم غِطَاءُ

آخر :

زر غبّاً

إنّي رأيتُك لي مُحبّاً ... وإليَّ حين أغيبُ صَبّا
فهجرتُ لا لملالةٍ ... حدثَتْ ولا استحدثتَ ذَنْبا
لكنْ لقولٍ قد مضى ... من زار غِبّاً زاد حُبّاً
اللهُ يعلمُ أنّني ... لَكَ أخلَصُ الثَّقلَيْنِ قَلْبا[1]

وقال جَحْظَة[2] فيما حدثنا ابن سيف ، كتب رجلٌ إلى صديقٍ له :

---

(١) الثَّقَلان : الإنس والجن .

(٢) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر البرمكي البغدادي ولد سنة ٢٢٤ هـ ، نديم ، أديب ، مغن من بقايا البرامكة ، كان في عينيه نتوء فلقبه ابن المعتز بجحظة فلزمه اللقب ، وكان راوية للأخبار متصرفاً بفنون العلم كاللغة والنجوم ، مليح الشعر حاضر النادرة عارفاً بالموسيقى ، مقدماً في فن الغناء ، له ديوان شعر وأخباره كثيرة ، توفي في قرية جيل من أعمال بغداد سنة ٣٤٤ هـ .

جفاء وسعي

لله أنتَ على جفـــائـــكْ ... مـــاذا أُؤمـلُ من وفـــائـــكْ
فكّرتُ فيمَ هَجَرْتني ... فـوجـدتُ ذاكَ لسوء رأيـك
فرأيتُ أن أسعى إليـــك وأن أُبـــادرَ في لقـــائـــك
كيما أُجـــدِّدَ مـــا تغيَّر لي وأخْلَـــقَ من إخـــائـــك

الموصلي وأبو دلف

لإسحاق بن إبراهيم الموصلي[1] في أبي دُلَف العِجْلي[2] :

اجعـلْ أبـــا دلفٍ كَمَنْ لم تعرفِ ... واهجرْهُ مُعترفـــاً وإن لم يُخلفِ
آخِ الكرامَ المنصفين بـــوصلهم ... واتركْ مـــودَّةَ كلِّ مَنْ لم يُنصفِ
لا خَير في صـدقِ الإخـاء موكّـل ... بأذى الصـديق مَلُولـةٍ مُستطرِفِ[3]/ [٣١أ]

شاعر :

يأس ووفاء

سـأحبسُ نفسي إذْ كرهتَ مـودّتي ... وأكْسِرُ قلبي منـك بـاليـأسِ والصَّبرِ
وأذكرُ ودّاً كان مني تكرُّمـــاً ... وإن حُلتَ عن وَصْلي ومِلْتَ إلى الهَجْرِ
فَشُكْري لمـــا أوْليتني لَـــكَ دائمٌ ... وحبي جديدٌ ليس يَنْقُصُ في الدَّهْرِ
فمـــا زلتُ أبكيكُمْ بعينٍ سَخينـــةٍ ... كما كانت الْخَنْســاءُ تَبكي على صَخْرِ

---

(١) هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الأرجاني الموصلي ، نديم الخلفاء وأحد المتفردين في صناعة الغناء ، كان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ، راوياً للشعر حافظاً للأخبار ، شاعراً من نوابغ الدهر أدباً وظرفاً وعلماً ، ولد ببغداد سنة ١٥٠ هـ ، نادم الرشيد والمأمون والواثق وألف كتباً كثيرة ذكرها ابن النديم في الفهرست ٢٠١-٢٠٢ ، وتوفي سنة ٢٣٥ هـ .

(٢) هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل من بني عجل بن لجيم ، أمير الكرخ وأحد الأمراء الشجعان الأجواد الشعراء ، كان من قادة جيش المأمون ثم المعتصم من بعده ، وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة ومأثورة ، وللشعراء فيه أماديح ، وصنف كتباً منها (سياسة الملوك) و (البزاة والصيد) و (السلاح) ، وتوفي في بغداد سنة ٢٢٦ هـ . راجع أخباره في وفيات الأعيان ١/٤٢٥-٤٢٧ .

(٣) الطرف والمستطرف : المتقلب الذي لا يثبت على حال .

آخر :

أربعة خصال

إذا نائباتُ الدهر يَسَّرْنَ للفتى ... أربعَ خِصالٍ قلَّما تَتَيسَّرُ
كَفَافٌ يصونُ الْحُرَّ عن بَذْل وجهه ... فيُضحي ويُمسي وهو حرٌّ مُوَقَّرُ
وكأسٌ يُسَلِّيه إذا الهمُّ ضافَهُ ... ومُحْسنةٌ إحسانُها ليس يُنْكَرُ
ورابعةٌ عزَّت وقَلَّ حُصُولُها ... صديقٌ على الأيَّام لا يتغيَّرُ
فذاك الذي قد نالَ مُلكاً بلا أذَى ... وأُسعدَ بالخيرات إنْ كان يَفْكِرُ

أخبرنا المرزُباني ، أخبرنا القراطيسي قال : أخبرنا أبو العَيْناء[1] قال :

صداقة في محلها

كتب رجلٌ إلى صديقٍ له : أما بعدُ فإني ما اتهمتُ حسنَ ظني بك حين توجَّه إخائي نحوك ، ولا تجدَّد أملي باعتمادي عليك ، ولا استدعتْني رغبةٌ فيك إلى مَنْ سِواك ، ولا أراني اختياري غيرَك عِوضاً منك .

مباثثة لطيفة

وحدثني أبو طائع الطَّلْحي قال : كتب الجراحي إليَّ مرةً : اللهُ يعلمُ أنَّك ما خطرتَ ببالي في وقتٍ من الأوقات إلاَّ مَثَل الذكرُ منك لي محاسنَ تزيدُني صَبَابةً إليك ، وضنّاً بك ، واغتباطاً بإخائك .

شاعر :

عداوة وتهديد

لئن جدَّ أسبابُ العداوة بيننا ... لَتَرْتَحِلَنْ مني على ظهر شَيْهَمِ[2]

والشيهم ذَكَر القنافذ ، وإنما يُريد لتصيبك مني داهيةٌ ، هكذا حفظتُ عن ابن الأعرابي ، وكان كبيراً .

---

(١) هو محمد بن القاسم بن خلاّد بن ياسر الهاشمي الضرير ، ولد سنة ١٩١ هـ بالأهواز ، أديب ظريف بنوادره ، شاعر مليح الكتابة والترسل ، خبيث اللسان ، كان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناً وكان « من ظرفاء اللسان » له أخبار كثيرة ، راجع وفيات الأعيان ٥٠٤/١ ، ونكت الهميان ٢٦٥ ، توفي أبو العيناء في البصرة سنة ٢٨٣ هـ .

(٢) الشيهم : الدُّلدُل وهو القنفذ ، وقيل العظيم منه والجمع شَيَاهِم .

حذر السلطان

قال جميل بن الصريري[1] لابنه : يابُنيَّ اصحب السُّلطان[2] بشدّة التوقّي كما تصحب السَّبُعَ الضاري ، والفيل المُفْتَلِم[3] ، والأفعى القاتلة ، واصحبِ الصديقَ بلين الجانب والتواضع ، واصحبِ العدوَّ بالإعذار إليه ، والحجة فيما بينك وبينه ، واصحب العامةَ بالبِرِّ ، والبِشْر ، واللُّطف باللسان .

صحبة الصديق والعدو والعامة

شاعر :

بين الكريمين

إنَّ الكريم الذي تبقى مودّتُه ... ويحفظُ السرَّ إن صَافَى وإن صَرَما
ليس الكريمُ الذي إنْ ذلَّ صاحبُه ... بَثَّ الذي كان من أسراره عَلِمَا

اعتزال وحذر

قال فيلسوف : اعتزلْ عدوّك واحذرْ صديقك .

الكريم واللئيم

وقال عمرو بن العاص : الكريمُ يلينُ إذا استُعطف ، واللئيمُ يقسُو إذا لُوطف .

وصف صديق

وقال خَلَف الأحمر : وَصَف لي رجلٌ أخاً له فقال : كنتَ لا تراه الدهرَ إلاَّ وكأنه لاغنى به عنك ، وإن كنتَ إليه أحوْج ، وإن أذنبتَ غَفَرَ ذنبَك ، وكأنه المُذنب ، وإن أسأتَ إليه أحسن وكأنه المُسيء .

شاعر[4] :

مولى السوء

إذا أنا لم أُجْزِ الصَّديقَ بنُصْحِه ... وأُقصِ الذي تَسْري إليَّ عَقَارِبُهْ

---

(١) ج ق - نصير .

(٢) ج ق - الحاكم .

(٣) اغتلم الرجل : غلب شهوة فهو غِلِيم وغَلِم ومُغتلم وهي غِلِّيم وغِلِّيمة وغَلِمة ومُغتلمة .

(٤) نسبت الأبيات السبعة إلى أبي الأسود الدؤلي ما عدا البيتين الأول والثاني ، الديوان ص ٢٤٧ ، وكذلك وردت أبيات في القصيدة لم يذكرها أبو حيّان . ويقول الأُستاذ أحمد محمد شاكر في هامش كتاب ابن منقذ : « وهذه القصيدة اختلفت فيها الرواية عندي =

فمن يتّقي يومي ومن يرتجي غَدي ... لنـائبـةٍ ، والـدهرُ جَمٌّ نـوائبُـهْ
لحى اللهُ مولى السّوء لاأنْتَ راغبٌ ... إليـه ولا رَامٍ بـه مَنْ تُحـاربُـهْ
وما قُرْبُ مَوْلَى السّوء إلاّ كَبُعْدِهِ[1] ... بـلِ البعدُ خيرٌ من عـدوٍّ تقـاربُـهْ
من النّاسِ مَنْ يُدْعَى صديقاً ولوترَى ... خَبيئَةَ جنبَيْـهِ لَسَـاءَكَ جـانِبُـهْ
يَمُنُّ ولا يُعطي ويـزعمُ أنـه ... كريمٌ ويـأبى لـؤمُـه وضَرَائبُـهْ
وإنّي وتـأميلي جَـذيمـةَ كالـذي ... يؤمّلُ ما لا يُدرك ـ الدهرَ ـ طـالبُـهْ
فـأمّـا إذا استغنيتمـو فعـدوُّكُمْ ... وأُدعى إذا مـا غصّ بـالماء شَـاربُـهْ
ومـا تركتْ أحـلامُكم من صـديقكم ... لكم صَاحباً إلاّ قـد ازورّ جَـانبُـهْ[2]

آخر :

الإعراض عن الحقد

إذا أنتَ لم تُعْرض عن الحقد لم تَفُزْ ... بذكرٍ ولم تَسْعَدْ بتقريظِ مـادحِ

آخر :

الحذر من النّمّام

مَنْ نَمّ في النّاس لم تُؤْمن عَقَاربُـه ... عن الصديق ولم تُؤْمن أفـاعيـهِ
كالسَّيْل بالليل لا يَدري به أحـدٌ ... من أين جاءَ ولا من أين يأتيهِ

آخر :

معاملة الناس

عـاملِ النـاس بِخُلُـق رفيـقٍ[3] ... والـقَ من تَلْقى بـوجـهٍ طليـقِ
فـإذا أنتَ قليـلُ الأعـادي[4] ... وإذا أنت كثيرُ الصـديـقِ

= فـالبيتـان الأولان أي الثـالث والرابـع رواهـا البحتري في الحماسـة ص ٢٤٤ ونسبها إلى أبي الأسود الدؤلي ، وكذلك صاحب الأغـاني ٢٩٧/١٢ ، والبيت الأخير منسوب لعمر بن لبيد مع اختلاف بسيط .

(١) ج ق ـ لبعده .

(٢) تزاور عنه وإزْوَرّ وإزْوارّ : عدل وانحرف .

(٣) ج ق ـ رقيق .

(٤) ج ق ـ العدى .

الأصدقاء والأزمان

وقيل لفيلسوف : مَنْ تُحِبُّ أن تُصادق ؟ فقال : أما في الدهر الصالح فالحسيبُ ، اللبيبُ ، الأديبُ ، فإنك تستفيدُ من حسَبه كرَماً ، ومن أدبه علماً ، ومن لُبّه رأياً ، وأما في الزمان السوء فارضَ بالْمُكاشر الذي يُعطيك بعضَهُ بالحياء ، وبعضَهُ بالنِّفاق ، ويُمتعك ظاهرُه ، وإن ساءَك باطنُه ، ولكلِّ زمانٍ حُكْم ، ولكل ظهر عُكْم[1] .

وقالت أعرابية :

شكوى أعرابية

يادهرُ لا عُرّيت من آبدَهْ[2] ... ما أنا في فعلك بي حامدَهْ
صاحبتُ إخوانك طُرّاً فما ... حمدتُ منهم خَلّةً واحدَهْ
وكنتُ من كلّهم حَاضِنَه ... في كل يوم بيضةً فاسدَهْ

وقيل للواسطي المتكلم : كيف ترى أبا عبد الله البَصْري ؟ فأنشد :

بغض وصفاء

حرجُ الخليفة بغضُه لعدوّه ... وصفاؤه لصديقه سيّانِ

رسالة ابن أكمل [٣١ ب]

وكتب ابنُ أكْمَل إلى ابن سورين ، وكان بينهما ودٌّ مُتوارث : إنْ رأيتَ أن ترويَ ظَمأ أخيك بغُرّتك ، وتبرّدَ غليلَهُ بطَلْعتك / وتؤنسَ وحشته بأنس قُربك ، وتجلوَ غِشاء ناظره بوجهك ، وتزيِّنَ مجلسه بجمال حضورك ، وتجعلَ غداءك عنده في منزلك الذي هو فيه ساكنك ، وتَهَبَ له السرورَ بك باقيَ يومه ، مُؤْثراً له على شُغلك فعلتَ إن شاء الله .

جواب ابن سورين

فأجابه : كيف أروي ظمأك إليَّ مني ، وأنا أشدُّ ظمأً إليك منك إليَّ ، وعلى حَيْلولة ذاك فالتلاقي أبردُ لغليل النفس ، وأجلبُ لما شَرَدَ من الأنس ، وها أنا قد هيّأتُ كلّي لطاعتك ، وبشّرتُ روحي بالاستماع بحديثك ،

---

(١) العكم : العِدل والعكام ومنه يقال في المثل : هما « عكما بعير » أي عدلاه . والعُكْم جمع عكام (بكسر العين) ما عكم به أي شدّ من ثوبٍ أو خيط .

(٢) الآبدة : الداهية الخالدة الذكر والأمر العظيم تنفر منه وتستوحش والجمع أوابد وأبْد .

وأخذتُ عِياذَ الاستفادة منك ، وَصُلْتُ على الدهر وأبنائه بما ملكتَه من تشريفك والسلام .

ودّ ثابت

قال أعرابي لآخر : ودُّك لا يَنْضى ملبوسَه[1] ، ولا يَتْوى[2] محروسَه ، ولا يَذوي[3] مغروسُه .

وأنشدنا أبو سعيد السيرافي قال : أنشدنا قُدامة بن جَعْفر[4] الكاتب لشاعر :

فتيان صدق

وفتيانِ صِدْق ثابتين صَحِبْتُهم ... يزيدُهُم هولُ الجناب تآسيا
فإن يَكُ خيراً يُحسنوا أمَلاً به ... وإن يَكُ شَرّاً يشربوه تحاسِيا[5]

محاسبة واحتساب

واعتذر رجل إلى أبي أيوب سليمان بن وهب الكاتب وأطال فقال له : أقللْ فإن الوليّ لا يُحاسب ، والعدوّ لا يُحتسب له[6] .

حبّة النفس

قال ابن السِّكّيت[7] : العرب تقول : أنت من حُبّة نفسي أي ممن تُحِبُّه نفسي .

---

(١) نضاه من ثوبه ينضوه نضواً : جرّده . ونضا الثوب عنه : خلعه وأنضى الثوب : أخلقه وأبلاه . والنِّضْو : الثوب الْخَلَق والجمع أنضاء .

(٢) تَوِيَ يتوى تَوىً المالُ : هلك فهو توٍ وتاوٍ . يقال : « لا توى عليه » أي لا ضياع ولا خسارة . وفي مثل آخر : « أتوى من دَيْن » .

(٣) ذوى يذوي ذويَ وذوياً : النبات : ذبل ونشف ماؤه .

(٤) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي أحد الكتاب المشهورين في العصر العباسي والبلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة ، له كتب عديدة أشهرها نقد الشعر ونقد النثر . توفي سنة ٣٣٧ هـ .

(٥) حسى يحسو حسواً واحتسى المرق : شربه شيئاً بعد شيء . وتحاسيا : أشرب المرق أحدهما الآخر .

(٦) احتسب عليه الأمر : أنكره عليه .

(٧) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السِّكّيت إمام اللغة والأدب . أصله من =

صفيّ وسجير

وقال : يقال : هو صفيّي ، وسَجيري[1] ، وهم أصفيائي وسُجَرائي .

وحكى أبو عمرو اللفيف في معنى السجير ، وهو خُلصاني ، وهم خُلْصَاني[2] .

آخى وواسى

ويقال : آخيتُ الرجل وواخيتُ ، يقلبون الهمزة واواً ، كما يقال : آسيتُه وواسيته ، وهو خلّي وهم أخلاَّئي[3]

الشجير

فأما الشَّجير[4] بالشين فهو الغريب .

مدح صديق

قال أعرابي لصاحبٍ له : إني لأصْقُلُ[5] بلقائك عقلي ، وأشْحَذُ بمحادثتك ذِهْني ، وأطوي بذكر محاسنك أيّامي ، وأرجعُ من طويّتك إلى أكرم موثوقٍ به لرعاية عَهْدٍ ، وأفضل متّكلٍ عليه لمحافظةٍ على ودّ .

مدح صديق

وقال آخر لصاحبٍ له : ما زلتُ أعلم أنَّك للسر ملءُ الصدر ، وأنك في المساعدة أذْكى من الجمر[6] ، وأرقُّ من عتيق الخمر ، ظريفُ المخاطبة ، عَذْبُ

= خوزستان ، اتصل بالخليفة المتوكل فعهد إليه بتأديب أولاده ثم قتله سنة ٢٤٤ هـ ، له كتب كثيرة ذكرها ابن النديم ، وأشهرها (إصلاح المنطق) و (الألفاظ) و (الأضداد) و (القلب والإبدال) و (شرح ديواني عروة بن الورد وقيس بن الخطيم) .

(١) ساجره : صاحبه وصافاه ، وساجرته مساجرة وهي المخالّة والمخالطة ، وهو سجيري وهم سجرائي لأن كل واحد منها يسجُر إلى صاحبه أي يحنّ .

(٢) في الأساس : هو خالصتي وخلصاني .

(٣) ج ق م ـ خلمي وهم أخلامي . وفي الأساس : هو خلي وخليلي وخلتي وهم أخلائي وخلاّني .

(٤) الشجير : الغريب من الإبل ومن الناس ، والصاحب الرديء . وفي الأساس : « فلان شجير وشطير » غريب . وتقول : ما رأيت شجيريْن إلاّ سجيريْن أي صديقين .

(٥) صقل صقلاً وصقالاً الشيء : جلاه وملّسه وكشف صدأه .

(٦) ذكت النار تذكو ذكُواً : اشتدّ لهبها ، وأذكى النار إذكاءً : أوقدها .

المواصلة ، لذيذُ المجالسة ، هنيءُ العشرة ، مقبولُ الظاهر ، سليمُ الباطن ، منشورُ للطاوي ، عارٍ من للساوي .

تحذير من صديق

قال أعرابي لرجل : إنّ فلاناً وإنْ ضحك لك فإنّه يضحك منك ، فإن لم تتخذْهُ عدوّاً في علانيتك فلا تجعله صديقاً في سريرتك .

ذكر وشكر

وكتب آخرُ إلى صديقٍ له : إنّما قلبي نجيٌّ ذكرك ، ولساني خادمُ شكرك .

عتاب ودعاء

وكتب آخر في بعض العتاب : قد طالت علّتُك أو تعالُلُك[1] ، واشتدّ شوقُنا إليك ، فعافاكَ الله مِمّا بك من مرضٍ في بدنك ، أو إخائك ، ولا أعْدمْنَاكَ .

رائد المحبة

قال إسحاق : قلت للعبّاس بن الحسن : إني لأحبُّك ، فقال : رائدُ ذاكَ معي .

طعم فراق

قال : وذكرتُ له رجلاً فقال : دَعْني أتذوق[2] طعم فراقه فهو والله الذي لا تَشْجى[3] به النَّفْسُ ، ولا يكثُر في إثره الالتفات .

فراغ واكفهرار

سئل أعرابي عن صديقٍ له فقال: صَفِرَتْ عِيابُ[4] الودّ بيني وبينه بعد امتلائها ، واكفهرتْ وجوهٌ كانت بمائها .

إبراهيم بن العباس الصُّولي[5] :

---

(١) ج ق ـ تعلك .

(٢) ج ق ـ أذوق .

(٣) شجي : حزن وطرب (من الأضداد) .

(٤) عياب : مفردها عيبة وهو الزنبيل من أدم أو ما تجعل فيه الثياب كالصندوق . صفرت : خلت .

(٥) راجع : الطرائف الأدبية ص ١٦٤ .

تقلّب وتساؤل

يـا أخـاً لم أرَ في النـاس خِـلاً ... مثلَـهُ أسرعَ هجراً وَوَصْـلا [1]
كان لي في صَدْر يومي صديقاً [2] ... فَعَلى عَهْـدك أمسيتَ أمْ لا ؟

صراحة متبادلة

روى المدائني عن عبد الله بن سلم الفِهْري قال : غاب مولى الزُّبَيْر بن العَوّام عن المدينة حيناً ، فلما آبَ قال له رجل من قريش : أما والله لقد أتيت قوماً يُبغضون طَلعتك ، وفارقت قوماً لا يحبُّون رَجْعَتك ، قال : أنعمَ الله بمن قدمت عليه عَيْناً ، ولا خلف الله على من فارقته خيراً .

لعلي بن جعفر

وقرأتُ لعلي بن جعفر الكاتب ، كاتب الطابع ، رقعةً له إلى صالح بن مسعود الكاتب النصراني لم تكن بذاك قلة مالم أروها ، لكني وجدت شُعَيْراً نقلته إلى هذا الموضع وهو :

بل عشتَ لي وبقيتُ منك ممتّعاً ... في صالح الإخوان والأهْلِ
حتى إذا نزل الحِمامُ بواحدٍ ... منّا ليأخذَهُ على مَهْلِ
متنا جميعاً لا يُفرّق واحدٌ ... فيذوق فيه مرارةَ الثُّكْلِ

الانبساط إلى العامة

وقال بعضُ السلف : الانبساطُ إلى العامة مَكْسَبَةٌ لقرين السوء ، والانقباض مَجْلبةٌ للمقْت ، فإمّا اقتديتَ من قرناء السوء باعتقاد المَقْت / ، وإمّا ابتغيت أسر الإخوان بالصبر على المكروه . [٣٢أ]

بقايا اللذات

قال عبدُ الملك بن مروان لرجل : مابقي من لديك ؟ قال : جليسٌ يقصرُ معه طولُ الليل مع العلّة ، ودابّة أشتهي معها طول السفر . وأنشد لأعرابي :

من أين ألقى صاحباً مثلَ عُمَرْ ... يزداد طيباً كلما طالَ السَّفَرْ

---

(١) رواية الطرائف : أعجب .

(٢) رواية الطرائف : كنت في أول يومي صديقاً .

الحذر من رجال

قال بعضُ السلف : توقَّ من الرجال مَنْ إنْ أنعمت عليه كَفَرك ، وإن أنعم عليكَ مَنَّ عليك ، وإن حدثته كذَّبك ، وإن حدَّثك كَذَبَكَ ، وإن ائتمنتَهُ خانك ، وإن ائتمنك اتَّهمَكَ .

لأبي الأسود[1] :

صداقة خائبة

أَرَيتَ امرءاً كنتُ لم أبلُه ... أتاني فقال : اتَّخذْني خَليلا
فَخاللتُهُ ثم صافيتُه[2] ... فلم أستفدْ من لَدُنْهُ فَتيلا[3]
فألفيته غيرَ مُستعتبٍ ... ولا ذاكرَ الله إلاّ قليلا[4]
ألستُ حقيقاً بتودِيعهِ ... وأُتْبِعُ ذلك هَجْراً جميلاً[5]

إصفاء الودّ

قال عمر بن الخطَّاب : ممَّا يُصفي لك ودّ أخيك أن تبدأهُ بالسلام ، وتوسِّع له في المجلس ، وتدعوه بأحبِّ الكُنى إليه .

محمد بن عبد الملك الزيَّات :

بغيض وسمج

أقولُ إذا ما بَدَا طالعاً ... وقد كادَ أو همَّ أو قد وَلَجْ
من النـاس من ليس حتى الممات منه ... ولا من أذاهُ فَرَجْ
ولو كنتَ تأمَنُه ليلةً ... إلى الصبح لم يرض أو يدَّلجْ
ولو كان ذا من أحبِّ العباد إليك لكان بغيضاً سَمِجْ
فكيف إذا كان ممن يكاد صدرُك من بغضه ينفرجْ

---

(١) الديوان : ٢٠٢ . بلاه الله ، وابتلاه ، وأبلاه : امتحنه .

(٢) رواية الديوان : ثم أكرمته .

(٣) الفتيل : السحاة أي القشرة في شق النواة . ويقال : ما أغنى عنك فتيلاً أي شيئاً .

(٤) في الموشح للمرزباني ٩٥ : فحذف التنوين من ذاكر لأنه أراد أن يحرِّك لالتقاء الساكنين فحذف . استعتبه : طلب منه العتبى أي استرضاه . يقال : استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني .

(٥) رواية الديوان : « واتباع ذلك صرماً طويلاً » .

آخر :

تريك أعينُهم ما في صُدورهمِ إن الصدورَ يؤدّي غشَّها البصرُ — العيون والصدور

آخر :

متى تك في صديقٍ أو عدوٍّ تُخبّركَ العيونُ عن القلوبِ — العيون والقلوب

أنشدنا المبرّد فيما حدثنا به أبو سعيد السيرافي عن ابن السَّرّاج عنه :

كيف العزاءُ لمن يَعِنُّ له شربُ المُدام ولذةُ الخمرِ — عزاء وحنين
وحديث فِتيانٍ غَطارفةٍ[1] وفوارسٍ كالأنجم الزُّهرِ
إنْ جئتهم سرّوا وإن نزحتْ داري فإنّ حديثهم ذكري
يا ليتني أحْيا بقربهمِ فإذا فقدتُهم انقضى عمري
فتكون داري بين دورهم ويكون بين قبورهم قبري

قال حاتِم الأصَمّ[2] : أربعةٌ تُذهب الحقد بين الإخوان : المعاونةُ بالبَدَن ، واللطفُ باللسان ، والمواساةُ بالمال ، والدُّعاء في الغَيْب . — إذهاب الحقد

كتب سَهْلُ بن هارون الكاتب إلى جعفر بن يحيى :

إذا ما أتى يومٌ يفرّق بيننا نموتُ فَكُنْ أنت الذي يتأخرُ — أمنية غالية

وقال الجمّاز[3] فيما حدّثنا ابن المرزُباني عن الصُّولي عن أبي العَيْناء عنه يصف صديقاً : لم أر في الناس وفيّاً بعد واحدٍ كان أصْفى لي مودّته ، وبذلَ — رثاء صديق

(١) غطارفة : مفردها غطريف وهو الشاب الظريف .

(٢) هو أبوعبد الرحمن حاتم بن عنوان المعروف بالأصم ، اشتهر بالزهد والورع والتقشف له كلام مدوّن في الزهد والحكم ، زار بغداد واجتمع بالإمام أحمد بن حنبل وكان يقال : « حاتم الأصم لقمان هذه الأمة » توفي سنة ٢٣٧ هـ ، راجع تاريخ بغداد ٢٤١/٨ .

(٣) هو محمد بن عمرو بن عطاء بن ريسان الملقب بالجماز ومعناه العدّاء ، شاعر أديب من =

لي مُهجتَـه ، كان أطـوعَ لي من كفّي ، وكنتُ أذلَّ لـه من نَعْلـه ، أتكلم بكلامه فَيَنْطِقُ بلساني ، إن قلت خيراً أعانني ، وإن مِلْتُ إلى سيئ رَدَعني ، كان والله إذا قال فعل ، وإذا حدَّث صَدَق ، وإذا أؤتمن لم يَخُن ، ضاحكَ السِّن ، مُسفرَ الوجه ، كان إذا غاب فكأنه شاهدي ، وإذا غبتُ عنه فكأنه يَراني ، لا ينطِقُ لسانه بخلاف ما يُضمر جَنَانُه[1] ، لا يدري أيّنا أسرّ بصاحبه ، ولا أيّنا أصدق مودة بخليطه ، آنسُ ما كنّا إذا اجتمعنا ، وأوحشُ ما كنّا إذا افترقنا ، ما تفرّقنا طول صحبتنا إلاّ يوماً حسبناه حَوْلاً ، أغبط ما كنّا إذ رمى الدهر فلم يُشق إذ رمى من كان روحه روحي ، ونفسُه أعزُّ عليَّ من نفسي ، فليته أصابني وأخطأه ، وإذا لم يُخطئه أصابني معه ، فيكون موتُنا معاً كما كان عيشُنا معاً ، مات فمات الوفاء بعده ، خاب الرجاءُ فما أَلَذُّ بعده طعاماً ، ولا أسيغُ شراباً ، غمّاً له ، واكتئاباً عليه ، وشوقاً إليه ، فلو كنتُ أقول الشعر لرثيتُه آخرَ الدهر ، ولأتْعَبْتُ بالقوافي الكاتبين ، فبُليتُ بعده بمن إذا أحببتُه أبغضني ، وإن وددتُه عاداني ، وإن أقبلتُ نحوه ولّى عني ، فهو كالذئب والغراب ، ما للذئب ينالُه الغراب ، وما للغراب فالذئب لا يطمع فيه ، حسبُك به غادراً ، تراه عن الوفاء مُبْطئاً ، وإلى الخيانة مُهملجاً[2] .

تعهد الإخوان

قال أرسطوطاليس في رسالة أفدناها أبو سليمان : تعهَّدِ الإخوان بإحياء الملاطفة ، فإن التاركَ مَتروك ، ثم تعهَّدْ إخوان الإخوان ، فإن

= البصرة ، كان ماجناً خبيث اللسان ذا نادرة ، دخل بغداد في أيام الرشيد والمتوكل وقد أعجب به المتوكل فأمر له بعشرة آلاف درهم فأخذها وانحدر فمات بها فرحاً ، راجع : تارخ بغداد ١١٤٣ .

(١) الجنان : القلب .

(٢) هملج هملجة البرذون : مشى مشية سهلة في سرعة . حسن سيره . ودابة هملاج : حسنة السير في سرعة وبخترة .

إخوان الإخوان من الإخوان ، وهم بمنزلة العَلَم المُسْتَدَلّ [به] على الوفاء ، ثم تعهّد أهل المكاشرة المتشبهين بالإخوان بالصبر عليهم ، إمّا طمعاً في تحويل ذلك منهم صدقاً ، وإمّا اتّقاء كلمة فاجر وقعت في سمع مائق[1] ذي دَوْلة .

وصف مودة

وذكر أعرابي مودّةَ رجل فقال : مودّةٌ رثّة العُقال ، وسماءٌ قليلةُ البلال ، وأرضٌ دائمةُ الإمحال ، هو اليد الحذّاء ، والأزمة الحصْداء ، أبعدُ مقاله قريب ، وأقرب فعاله بعيد ، يقولُ ما لا يفعل ، ويفعلُ ما لا يقول .

شاعر :

تناسي ونسيان

أتناسيتَ أم نَسيتَ إخائي ... والتناسي شرٌّ من النسيانِ

عبد الصَّمَد بن المُعَذَّل[2] :

[٣٢ب]

هي النَّفْسُ تجزي الودَّ بالودّ مثله ... وإن سُمتها الهجرانَ فالهجرَ دينُها /

سلوان النفس

إذا ما قرين بتَّ منها حِبالَه ... فأهونُ مفقودٍ عليها قرينُها

لبئس مُعارُ الودّ من لا يودُّه ... ومستودعُ الأسرار مَنْ لا يصونُها

لما تباعد بين يحيى بن خالد وعلي بن عيسى بن ماهان وجّه عليّ أبا نوح ليتعرفَ ما في نفس يحيى ، فكتب يحيى على يد أبي نُوح :

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة يحيى بن خالد

عافانا الله وإيّاك ، كُنْ على يقين أنّي بك ضَنين ، وعلى التمسُّك بما بيني وبينك حَريص ، أُريدُك ما أرَدْتني ، وأُريدُك أن تنوبَ عني ما كان

---

(١) المائق : الأحمق . يقال : « هو أحمق مائق » أي شديد الحماقة والجمع مَوْق على وزن حمقى .

(٢) هو عبد الصمد بن المعذّل بن غيلان شاعر عباسي ، ولد ونشأ في البصرة ، وكان هجّاءاً شديد العارضة ، توفي سنة ٢٤٠ ، راجع أخباره في فوات الوفيات ٢٧٧/١ .

ذلك بي وبك جميلاً ، فإن جاءت المقادير بخلاف ما أُحب من ذلك لم أعْدُ ما يُحمد ، ولم أتجاوزْ إلى شيءٍ مما يُكره ، هاجني على الكتاب إليك مسألة أبي نوح إياي ، وإعلامُك رأيي وهوايَ ، فما تبدّلت ، ولا حُلْت ، فجمعنا اللهُ وإيّاكَ على طاعته وأنشد :

صورة الزمان

لكلِّ أديبٍ تَرَى هيئةً ... وهذي تَدُلُّ على هِمَّتهْ
ولم أرَ مثل فتىً ماجدٍ ... يُداري الأمورَ على فطنتهْ
يُجازي الصديقَ بإحسانه ... ويُزجي العدوَّ إلى غفلتهْ
ويلبسُ للدهر تُبَّانَهُ[1] ... ويخضع للقِرْدِ في دولتهْ
بلوتُ الرجالَ وجرّبتهُم ... فكلٌّ يدورُ على لذّتهْ

سفيان بن عيينة

قال سُفيان بن عُيَيْنَة[2] : صحبتُ الناس خمسين سنة ما ستر لي أحدٌ عَوْرة ، ولا ردّ عني عَيْبَة[3] ، ولا عَفا لي عن مَظْلمة ، ولا قطعته فوصلني ، وأخَصُّ إخواني لو خالفتُه في رُمَّانةٍ فقلت : هي حامضة ، وقال : هي حلوة لسعى بي حتى يَشيط[4] دمي .

وصف صديق

وقال أعرابيٌّ في صاحبٍ له : أفصحُ خلق الله كلاماً إذا حَدَّث ،

---

(١) التُّبّان : سراويل صغيرة . وتبّنه : ألبسه .

(٢) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي محدّث الحرم ، كان حافظاً ثقة واسع العلم كبير القدر . قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز . ولد سفيان بالكوفة سنة ١٠٧ هـ ، وتوفي بمكة سنة ١٩٨ . وكان علي بن حرب يقول : « كنت أحب أن لي جارية في غنج ابن عيينة إذا حدّث ! » .

(٣) العيبة من الرجل : موضع سرّه .

(٤) شاطَ دمُهُ : ذهب وبطل ، ويقول الأعشى :
« وقد يَشيط على أرماحنا البطلُ »
وأشاط السلطان دمه : أهدره .

وأحسنُهم استماعاً إذا حُدِّث ، وأكفُّهم عن الملاحاة[1] إذا خُولف ، يعطي صديقه النافلة[2] ، ولا يسأله الفَريضة ، له نفسٌ عن العوراء مَحْصُورة ، وعلى المعالي مَقْصُورة ، كالذهب الإبريز[3] الذي يَعِزُّ كلَّ أوَان ، والشمسِ التي لا تَخْفى بكل مكان ، هو النجمُ المضيء للجيران ، والباردُ العذْب للعَطْشان .

تواصل الأرواح

كتب أبو الدَّرداء[4] إلى سَلْمَان الفارسي[5] يدعُوه إلى الأرض المقدَّسة فكتب إليه سَلْمَان : إن بَعُدتِ الدار من الدار فإنَّ الروح مع الروح قريب ، وطائر السماء على إلفه من الأرض يَقَع .

قال مَعْبَد بن مُسْلم :

تجني الموالي

جَزَى اللهُ المَوالي عن أخيهم ... وكلُّ صحابةٍ لهمُ جزاءُ

---

(١) الملاحاة : المنازعة ومنه المثل : « من لاحاك فقد عاداك » .

(٢) النافلة : ما تفعله مما لم يُفرض ولم يجب عليك فعله . يقال : هو كثير النوافل أي كثير العطايا والفواضل .

(٣) الإبريز من الذهب : خالصه .

(٤) هو عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي صحابي من الحكماء الفرسان القضاة ، كان قبل البعثة تاجراً في المدينة ثم انقطع للعبادة ، ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك . وفي الحديث : « عويمر حكيم أمتي » و « نعم الفارسُ عويمر » ، وولاّه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب وهو أول قاضٍ بها ، قال ابن الجزري : « كان من العلماء الحكماء وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد الرسول ﷺ بلا خلاف » مات أبو الدرداء بالشام سنة ٢٣ هـ وروى عنه أهل الحديث ١٧٨ حديثاً .

(٥) سلمان الفارسي صحابي جليل أصله من مجوس أصبهان ، رحل إلى الشام فالموصل فنصيبين فعمورية وقصد بلاد العرب وسمع بالإسلام فقصد الرسول ﷺ وسمع كلامه ولازمه أياماً ثم أسلم حتى قال الرسول ﷺ : « سلمان منّا أهلَ البيت » . روى له البخاري ومسلم ٦٠ حديثاً ، توفي سلمان سنة ٣٦ هـ .

بمـــا فعلُـــوهُ إن خيراً فخيراً ... وإن شرّاً كما امتثـل الحـذاءُ[1]
فمـــا أنصفتم والنَّصفُ يَرضَى[2] ... بـه الإسـلامُ والرحِمُ البَـوَاءُ[3]
لـــزدتهم النصيحـــة من لـــدُنّي ... فمجّـوا النُّصْحَ ثم ثنـوا فقَـاؤا
وقلت : فدىً لكم عمي وخـالي ... فمـــا قُبـلَ التـودُّد والفـــداءُ
فكيف بهم وإن أحسنتُ قـالوا ... أسأتَ ، وإن غفرتُ لهم أساؤا

قال لنا المرزُباني : حدثنا القراطيسي قال : أنشدنا أبو العَيْنـاء قـال : أنشدنا السَّدْري :

حالات متناقضة

وإني لأهـوى ثم لا أتبـعُ الهـوى ... وأُكرِمُ خـلاّني وفيَّ صُـــدُودُ[4]
وفي النـاس عن بعض التضرّع غِلْظـةٌ ... وفي العين عن بعض البُكاء جُمـودُ

سرور وابتئاس

قـال أبـو العَيْنـاء : قلتُ لأعرابي : كيف أنت ؟ قـال : كما يسرُّك إن كنتَ صديقاً ، وكما يسوءُك إن كنت عدواً .

صداقة ثابتة

وكتب ابنُ ثَوابة إلى صـديقٍ لـه : مـا انفككتُ عن ودِّك ، ولاانفركتُ عن عَهْدك .

شاعر :

بين التجني والملل

إذا كَثُرَ التَّجنّي من خليـــلٍ ... بـلا ذنبٍ فقـد مَـلَّ الخليـلُ

---

(١) الحذاء : النعل ، وامتثل : احتـذى ، وفي المثل في هـذا المعنى : « حـاذيتُـه حَـذْوَ النعل بالنعل » يضرب في المكافاة ومساواتها .

(٢) النصف والنصفة : الإنصاف والعدل .

(٣) الرحم : القرابة . البواء : السواء والكفؤ والمعادل . يقال : الناس في الأمر بَوَاء أي أكفاء نظراء . وفي الحديث : « الجراحاتُ بَوَاءٌ » يعني أنها متساوية في القصاص وأنـه لا يقتص المجروح إلا من جارحه الجاني ولا يؤخذ إلا مثل جراحته سواء .

(٤) ج ق ـ علي .

كتاب للحسن بن وهب

كتب الحسنُ بن وهب إلى صديق له يُعلمه صَبابته إليه ، ووَحشته لفراقه فقال : وقد قسمك الله بين طَرْفي وقلبي ، ففي مشهدك أنسُ قلبي ، وفي عينيْك لَهْوُ طرفي ، فأجابه الصديق : وقفتُ على الفضل الذي أخبرتَ به بما أخبرت ، فسيَّان عليك رأيتَني أمْ لم تَرَني إذا كان بعضُك يؤنس بَعضاً فتسلوعني ، ولكني أراك فيخشعُ قلبي ، وأغيبُ عنك فتدمعُ عيني ، فسيَّان بين من سَلا أبده ، ومن حزن أمده .

جواب

فكتب إليه الحسن : يا حانقاً على الجِرّة[1] ، ثم تمثل :

أُعلِّمُه الرمايةَ كلَّ يومٍ ... فلما اشتدَّ ساعدُه رماني

هكذا أنشدنا علي بن عيسى الرُّمّاني[2] بالشين وردّ السين .

مسالمة الناس

قال يُونُس النَّحْوي[3] : لا تعادينّ أحداً وإن ظننتَ أنه لا يضرُّك ،

---

(١) حنق الرجل : حقد حقداً لا ينحلّ ومنه الحديث : « لا يصلح هذا الأمر إلاّ لمن لا يحنَق على جِرّته » أي لا يحقد على رعيته .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمّاني من أئمة اللغة والأدب والمتكلمين على طريقة المعتزلة ، « جمع بين علم الكلام والعربية » ، ويعدُّ في طبقة أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي ، وكان مشاركاً في جميع العلوم ذكر له ياقوت في إرشاد الأريب ٧٥/١٤ ثبت تصانيفه المتنوعة إلا أن الرُّماني كان أميل للنحو والمنطق منه إلى بقية العلوم حتى إنه كان « يمزج النحو بالمنطق » فيبلغ حدّ الغموض حتى قال أبو علي الفارسي عنه : « إن كان النحو ما يقول الرماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء ، وقد أثر الرُّماني في تلميذه التوحيدي من الناحيتين العقلية والمنطقية فقال هنا يصف أستاذه : « ... لم يرَ قط مثله علماً بالنحو وغزارة في الكلام ، وبصراً بالمقالات ، وإيضاحاً للمشكل مع تأله وتنزه ودين ويقين وفصاحة وفقاهة وعفافة ونظافة » ، توفي الرُّماني سنة ٣٨٤ هـ .

(٣) هو أبو عبد الرحمن يونس الضبيّ بالولاء إمام نحاة البصرة ، أعجمي الأصل من أهل جَبّل ، أخذ عنه سيبويه والكسائي والفرّاء وغيرهم من الأئمة ، قال ابن النديم في الفهرست ٦٣ : « كانت حلقته بالبصرة ينتابها طلاب العلم وأهل الأدب وفصحاء =

ولا تَزْهَدنّ في صداقة أحدٍ وإن ظننت أنّه لا ينفعك ، فإنك لا تدري متى تخافُ عدوّك ، وترجو صديقَك ، ولا يعتذرُ أحد إليك إلاّ قبلتَ عُذره وإن علمتَ أنه كاذب ، وليقِلَّ عتبُ الناس على لسانك .

بين الجوارح والسوانح

وقال جعفر بن يحيى لصديق له : أنت من جوارحي يميني ، ومن سوانحي يَقيني .

[٣٣أ]

قوم فاسدون

وذكر أعرابي قوماً فسد مابينهم / بعد صلاح ومودة : والله مازالت عيونُ العداوة تنجم من صدورهم فتجُّها أفواهُهم ، وأسباب المودة تخلقُ في قلوبهم وتخرسُ عنها ألسنتهم حتى ما تجد للشرّ مَزيداً ، ولا للخير مُريداً .

خير الجلساء

وقال أعرابي : خيرُ الجلساء من إذا عَجَّبْتَهُ عجب ، وإذا فكّهته طرب ، وإذا أمسكتَ تحدّث ، وإذا فكّرتَ لم يلمك .

شاعر[1] :

مساعدة الصديق

وخلٌّ كنتُ عينَ النُّصح منه[2] إذا نظروا ومستمعاً سَميعاً[3]

= الأعراب ووفود البادية » . وقال أبو عبيدة : « اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحي من حفظه » ، ذكر له ابن النديم كتاب (معاني القرآن) وكتاب (اللغات) وكتاب (النوادر الكبير) وكتاب (الأمثال) وكتاب (النوادر الصغير) . توفي يونس سنة ١٨٣ هـ بعد أن جاوز المائة .

(١) الأبيات للصولي كما في الطرائف الأدبية ص ١٦٠ ، ونسبت في ديوان المعاني للعسكري لعمر بن أبي ربيعة ص ١٢٢ ، وكذلك في الشعر والشعراء ص ١٣٢ ، وعيون الأخبار ١٥/٣ .

(٢) رواية الطرائف : عين الرشد . وفي ديوان المعاني :

وذي ودٍّ أملتُ إليه نصحاً وكان لما أشيرُ به سميعاً

(٣) رواية عيون الأخبار والشعر والشعراء : إذا نظرت ، رواية الطرائف : « ومستمعاً إذا ذكروا » .

أطاف بغَيَّةٍ فنهيتُ عنها[1] وقلتُ له أرى أمراً شنيعاً[2]
أردتُ رشادَه جُهدي فلَمّا أبى وعَصَى أبيناه جميعاً[3]

كتاب لبعض الهاشميين

كتب بعضُ الهاشميين إلى يحيى بن خالد : علمي بمودّتك يمنعُني من استحثاثك ، ووصلةُ إخائي تشكو إليك تقصيرك ، وأملي فيك يصبّرني على تأنّيك .

شاعر :

على العلات

إني لألبسكم على عِلّاتكم[4] لبسَ الشفيقِ على العَتيقِ المُخلقِ
ولقد أرى ما لو أشاء عتبتُه وأصدُّ عنه ببُغْيَتي وترفّقي[5]
ليَرَى العدوُّ قَناتَنا لم تنصدعْ ويكونَ ذاك كأنه لم يُخلقِ
وإذا تُتُبِعتِ الذنوبُ فلم تَدَعْ ذنباً قطعتَ قوى القرينِ المُشفقِ
وسمعتَ أو نُقِلَتْ إليك مقالةٌ عوراءُ نُطْقَتُها صموتُ المنطقِ

أهل الديانة والمروءة والعلم

وقال ابنُ عائشة[6] : مجالسةُ أهل الدِّيانة تجلُو عن القلوب صدأ الذُّنوب ، ومجالسةُ أهل المروءات تدلُّ على مكارم الأخلاق ، ومجالسةُ العلماء تُزكي النفوس .

---

(١) في ديوان المعاني : بغيه .

(٢) رواية ديوان المعاني : « وقلت تجنّب الأمر الفظيعا » .

(٣) رواية عيون الأخبار والشعر والشعراء : أتيناها . وفي ديوان المعاني : ركبناها .

(٤) العلات : الحالات المختلفة ، والشؤون المتنوعة و « جرى على علاّته أي كل حال أو قَبل على ما فيه من الأحوال والشؤون .

(٥) ج ق - برقة وترفق .

(٦) هو إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ، أمير عباسي ثار على المأمون وسعى في البيعة لإبراهيم بن المهدي فطلبه المأمون فاستتر فقبض عليه وضربه بالسياط وحبسه ثم قتله وصلبه سنة ٢١٠ هـ ، وقال ابن الأثير في الكامل ١٦٠/٦ : « وابن عائشة أول عباسي صلب في الإسلام » .

شاعر :

الكريم واللئيم

إن الكريم أخُـــو الكريم وإنّما ... يَصِـلُ اللئيمُ حِبَـالَـــهُ بلئيمِ

كتاب للصولي

كتب إبراهيم بن العباس الصُّولي إلى صديقٍ له : أنصفَ الله شوقي إليك من جَفائك ، وأخذ لبريّ[1] من تقصيرك ، ولا سلط الدهر على حسن ظني بك كما سلّطه على لطيف محلي منك .

رأي لديوجانس

وقيل لديوجانس : لِمَ لا يشتدُّ فرحُك بأخيك في حياته كشدّة حزنك عليه بعد وفاته ؟ قال : لأني كنتُ أعلمُ في حياته أنه يموتُ ، والآن أعلم أنه لا يعيشُ !

شاعر :

عهد الودّ

أُصـــافي المرءَ يـــألفُني فيجري ... جميعـاً بـاختـلافٍ واتّفـاقِ
وعهـدُ الـودِّ محفـوظٌ إذا مـا ... أمِنّـا في الـوِدادِ من النِّفـاقِ
وأقطـــعُ كلَّ ذي برٍّ وَصـــولٍ ... إذا مـزجَ الخليقـةَ بـاختـلاقِ
وكم من مُعْقبٍ حسن اجتماعٍ ... لتنـــويـــــهِ بسرِّ الافتراقِ

شاعر جاهلي :

عداوة أبناء العمومة

ليَ ابنُ عَمٍّ لوأنَّ المزن طاعَ لـه ... ما نالني منه مـا يروى بـه الثغرُ
يـودّ لـو أنني أُرمى بمنـدَبـةٍ[2] ... من الشواجبِ لا يعفُـو لهـا أثرُ[3]
إذا رآني أبـــــدى لي مُكاشرةً ... وتحتَهـا لهبُ الأحقـادِ يستَعِرُ
فلو ذُبحنا على صَراءِ صَردحةٍ[4] ... تـزايـلَ الـدَّمُ منّـا حين ينهمِرُ

(١) ج ق ـ ليرى .
(٢) المندبة : من ندب الميت : بكاه .
(٣) الشواجب : شجبه أهلكه . وشجَبَ شجباً وشجوباً : هلك ومات .
(٤) صخرة صرّاء : ملساء ، وفي القاموس « صمّاء » وفي التكملة : حجر أصَرّ : صُلب صردحة : (بكسر الصاد وفتحها) المكان المستوي .

إذا رآني خـالَ الشَّمسَ طـالِعَـةً ... من نَحوِ وَجهي إليهِ حينَ يبتـدرُ
لا يحملني على حدباءَ جائحةٍ[1] ... مَهلاً أبا الجهلِ لا يطمحُ بكَ الأشرُ
إني ومن وخدت تدمى مناسمُها ... إليهِ ينكبُها الحِزّان والطُّرَرُ[2]
لـولا وشـائـجُ أرحـامٍ مـؤكَّـدةٍ ... لقـد تبيّنتُ مـا آتي ومـا أذرُ[3]

شاعر :

ومُكاشِرٍ مـازالَ يَمْـذُقُ لي ... مَـذْقاً وأمحضُه الهـوى مَحْضَـا
يرضى ويُسخطني وأحسبُـهُ ... أني متى أرضيتُـهُ يرضَى
جَعَـلَ النَّميمـةَ شيمـةً خلقـاً ... فرفضتُـهُ عن سـاحتي رفضَـا
وتـزايـدتْ عنـدي مثـالِبُـه ... حتى لأشبـهَ بعضُـه بعضـا
فهجرتُـه وتركتُ صحبتُـه ... إنَّ النَّمائمَ تُـورثُ البُغضـا

خليقة المكاشر

شاعر :

هـوِّنْ عليـك فمـا أرتضي ... قطُّ الصـديق على للبـاحث

لجاجة الصديق

وقال كَعْبُ الأحبار[4] لرجل أراد سفراً : إن لكلِّ رفقةٍ كلباً فلا تكنْ كلبَ أصحابك .

كلب الأصحاب

---

(١) حدباء : السنة الشديدة والأمور الشاقة ، وناقة حدباء : بدت حراقفها من الهزال ، والحدباء : النعش . أشر : بطر . وخد البعير : أسرع وقيل : رمى بقوائمه كمشي النعام . وقيل : هو سعة الخطو .

(٢) الطرّة : شفير النهر والوادي وطرّت الإبل الجبال والآكام : قطعتها سيراً . نكبت : جرحت وخدشت . الحزان : الغليظ من الأرض .

(٣) وذر ، يذر : ترك .

(٤) هو أبو إسحاق كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري ، تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن وأسلم في زمن أبي بكر الصديق ، وقدم المدينة زمن عمر بن الخطاب فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة وخرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي فيها سنة ٣٢ هـ .

إنكار الجميع

وقال محمد بن يوسف[1] : قلت للجوري : إني أُريد الشام فأوْصِني ، قال : إن قَدِرْتَ أن تُنكر كلَّ مَنْ تعرف فافعلْ ، وإن استطعت أن تستفيدَ مائة أخٍ إذا خَلُصوا لك ، فتُسقط تسعةً وتسعين وتكون في الواحد شَاكّاً فافعلْ !

شرط الوجود

وقال علي بن عُبيدة : لا حياءَ لمن لا وفاءَ له ، ولا وفاءَ لمن لا إخاءَ له ، ولا إخاءَ لمن يريد أن يجمع هوى أخلاّئه حتى يُحبُّوا ما أحبَّ ، ويكرهُوا ما كرِهَ ، وحتى لا يرى منهم خَلَلاً ولا زَلَلاً .

إخوان الطريق

وقال يحيى بن مُعاذ : من لم يَزُرْكَ ، ولم يواسِك ، ولم يُتحفْك[2] فهو من إخوان الطريق .

الحمل على الذلّ

حدثنا العَسْجدي[3] قال : جاءَ رجلٌ إلى أبي إسحاق الكِسَائي ليلاً فقال : ما جاءَ بك ؟ قال : ركبني دَيْن ، قال : كم هو ؟ قال : أربعمائة درهم ، فأخرج كيساً فأعطاه ، فلما رجع عنه بكى فقال له أهلُه : ما يُبْكيك ؟ قال : بُكايَ أني لم أبحث عن حاله وألْجَأتْهُ إلى الذُّلّ !

طبيعة الحسد

[٣٣ ب]

قال ابن السَّمّاك الواعظ : الحسدُ ألأمُ الطبائع ، فمن ثمَّ وُكِّلَ بالأقرب فالأقرب ، واعلم أن العدوَّ يعودُ بالملاطفة صديقاً / ، والظالمُ بالإنصاف

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن يوسف العامري النّيسابوري أحد معاصري التوحيدي ، عالم بالمنطق والفلسفة اليونانية ، من أهل خراسان ، أقام بالرّيّ خمس سنين واتصل بابن العميد فقرأا معاً عدة كتب ، وأقام ببغداد مدة وعاد إلى بلده ، له شروح على كتب أرسطو وكتب أخرى .

(٢) أتحفه : أهداه ، والتُّحْفَة والتُّحَفَة : الهدية ، ومن معانيها أيضاً اللطف والبرّ ، والجمع تُحَف .

(٣) ورد ذكره في (الإمتاع والمؤانسة) لأبي حيان التوحيدي ٤٨/١ ، وفي مثالب الوزيرين ص ٢٥٢ .

مُحسناً ، والعاتبُ بالعُتْبى[1] حبيباً ، والحاسد بمنزلةِ البغل الشَّموس[2] يُطيعك في تناول مُراده ، ويكلفك أرضاً بعيدةَ الطلب ، و [كذلك الحاسد] يُدنيهِ منك سوءُ الطَّمع ، ويُبعده منك سوءُ الطبع .

وقال أبو زافر يعاتب أخاه نوحاً :

معاتبة أخوية

جرّبتُ من نوحٍ أموراً كثيرةً ... وطيَّبْتُ من نفسي وما كدتُ أفعلُ
فلما أبى إلاَّ اعوجاجاً تركتُه ... وبعضُ انتهاء النفس أبقى وأوصلُ
فأيُّ أخٍ يا نوحُ يوماً علمتَني ... إذا كان أمرٌ يُوبِسُ الريقَ مُعضلُ[3]

وقال أيضاً :

إذا ما قلتُ نوحٌ مستقيمٌ ... أبتْ أخلاقُه إلاَّ اعوجَاجَا
فأيُّ أخٍ علمتَ أخاكَ يوماً ... إذا ما اللُّدُّ أكثرت الضَّجَاجا[4]
فأنت مُخَيْلةٌ لا شكَّ فيها[5] ... فلَمَّا أمطرتْ كانت عَجاجَا[6]

---

(١) العتبى : الرضى .

(٢) الشموس : الشامس من الخيل الذي لا يمكن أحداً من ظهره ولا إسراجه ولا إلجامه ، ولا يكاد يستقر .

(٣) أيبس يوبس إيباساً : جفّف .

(٤) لدّه لدّاً : خصمه أو شدّد خصومته فهو لدّ ولادّ ولدود . والألد : الخصم الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق ، والمرأة لدّاء والجمع لدّ ولداد ، وفي القرآن الكريم : ﴿ تُنْذِرَ بِهِ قَوماً لُدّاً ﴾ ، قيل معناه : خصماء عوج عن الحق ، وقيل : صمّ عنه . وقال عمر بن الخطاب : « أنا منهم بين ألسنة لداد ، وقلوب شداد ، وسيوف حداد » . الضجاج : الصياح والجلبة .

(٥) المُخيلة (بضم الميم وفتحها وتشديد الياء وإسكانها) والختالة : السحابة تحسبها ماطرة لرعدها وبرقها . يقال : السماء مخيلة للمطر : متهيئة له ، وقد أخالت السماء وخيّلت وتخيّلت وخايلت ، وسحابة مخايلة : إذا رأيتها خلتها ماطرة .

(٦) العجاج : الغبار والدخان .

شاعر :

خيبة مريرة

رُبَّ صـديـقٍ كنتُ أدعُـو لـه ... أن يجعلَ الـدُّنيـا كالاً لـدَيْـهِ[1]
حتى إذا صـار إلى حـاجتي ... حقّاً وصارتْ حاجتي في يدَيْـهِ
حَـالَ عن الـودِّ وعن عهـدنـا ... وأظهرَ الشُّـحَّ على درْهَمَيْـهِ
فـا مضى بعـد دُعـائي لـه ... يومـانِ حتى صرتُ أدعو عليْـهِ

شاعر :

طلب الأمان

خُذْ لقلبي من التَّجنّي أمـانـاً ... واكفني أن أذمَّ فيـك الـزّمـانـا
أنت صيَّرتَ في فـؤادي مكانـاً ... لك فاحفظْ بـالودِّ ذاك المكانـا
كن لودّي على إخـائـك عَوْنـاً ... من زمـانٍ يُغيِّرُ الإخـوانـا

أقل الأشياء

قيل ليحيى بن خالد : أيُّ شيءٍ أقل ؟ قال : قناعةُ ذي الهمَّة البعيدة بـالعيش الـدون ، وصـديقٌ قليلُ الآفـات كثيرُ الامتنـاع يضبّ[2] مـواضـع المدح .

الأخ التالد

وقـال أخـو ثقيف : مـودّةُ الأخ التـالـد وإنْ أخلـق ، خيرٌ من مـودّة الطَّارف ، وإن ظهرت بَشَاشتُه وراعتْك جِدَّتُه .

شاعر :

إخوان الثقات

لعمرُك ما مـالُ الرجـال ذخيرةً ... ولكنَّ إخـوانَ الثِّقـاتِ ذخـائرُ

آخرُ[3] :

---

(١) ج ق ـ تماماً .
(٢) ضبَّ : شدَّ القبض على الشيء .
(٣) الشعر لأبي عِلاَقة التغلبي كما جاء في الوحشيات ص ٢٦٤ .

وكنتُ جليسَ قَعْقَاع بنِ شَوْرٍ[1] ... ولا يَشْقى بقَعْقَـــاعٍ جَليسُ — جليس قعقاع
ضحوكُ السِّنِّ أمَّـار بعُرفٍ[2] ... وعنـــد النُّكر مِطْراقٌ عَبُـوسُ

بشَّار :

فدعِ التبحّث عن أخيـك فـإنّـه ... كسبيكةِ الذهب الـذي لا يَكْلَفُ[3] — ترك التبحث

آخر :

إنِ القـومُ غَطّـوني تغطيتُ عنهمُ ... وإن بحثـوا عني ففيهم مَبَـاحثُ — معاملة بالمثل
وإن نَبَشـوا بِئْري نبشتُ بئـارهم ... وأخرجتُ ما تُخفيه تلك النَّبـائثُ[4]

أبو العَتَاهية[5] :

يدلُّ على الإنسان ظاهرُ فِعلـه ... ولا علمَ لي بـالبـاطن المتغيِّبِ — ظاهر الأفعال

آخر :

---

(١) القعقاع بن شور الربعي الذُّهلي ، شاعر كوفي من كبار الأمراء في عهد بني أمية ، ذكره المرزباني في معجم الشعراء ص ٣٣٠ ، وفي القاموس أن القعقاع بن شور تابعي راجع ترجمته في لسان الميزان ٤٧٤/٤ .

(٢) رواية الوحشيات : إن أمروا بخير .

(٣) كلف الوجه : تغيّرت بشرته بلون علاه أو علته حمرة كدرة فهو أكلف ، والكلف : السواد في الصفرة أو بين السواد والحمرة .

(٤) نبث البئر : نبشها وأخرج ترابها فهو نبيث ومنبوث ، ونبث عن الأمر والسر : بحث عنه وهو مستعار من نبث البئر ، والنبيثة : تراب البئر والنهر أو ما حولها من التراب والجمع نبائث .

(٥) هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سُويد العيني الشهير بأبي العتاهية كبير شعراء المولدين ، ولد في عين التمر بالقرب من الكوفة سنة ١٣٠ هـ ، كان شاعراً مكثراً سريع النظم ، أكثر شعره في الزهد والمديح ، لقي حظوة عند خلفاء العباسيين ونظم مدائحه فيهم ، توفي سنة ٢١١ هـ ، راجع أخباره في الأغاني ١/٤ ـ ١١٢ .

جهل دائم

بلغتَ من السنين مدىً طويلاً ... ولم تعرفْ عدوَّك من صديقك
فسرتَ على الغُرور ولستَ تدري ... شرابٌ أم سَرابٌ في طريقك

وأنشد ابنُ حبيب[1] :

ترك المغيبة

أيُّها الفارغ المُريد لغيب الناس مَهْلاً عن المغيبة مَهْلا
إن في نفسك التي في جنبَيْك عن الناس لو تفكرت شُغْلا
عجباً منك في ثنا ياك لحمي ... فإذا ما رأيتني قلتَ أهلاً
إن ذا الفضل والمروءة لا يقبلُ قولاً يخالفُ القول فِعلا

كشف الستر

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري : من وجد دون أخيه ستراً فلا يكشفْه .

صديق

وقال : ربّ أخٍ لَكَ لم تلدْهُ أُمك .

صحبة الناس

وقال : اصحبِ النَّاسَ بما شئتَ ، يصحبُوك بمثله .

بين الثقة والمكاشرة

وقال : الإخوانُ إخوانُ الثقة ، وإخوان المكاشرة ، فإخوان الثقة أهلُ بسط الكف ، ولين الجَنَاح وهم أقلُّ في الناس من الكبريت الأحمر[2] ، وإخوان المكاشرة فابذلْ لهم حلاوةَ المنطق ، وطلاقةَ الوجه ، وإذا كنت من أخيك على ثقةٍ فابذلْ له نفسَك ومالَك ، وصافِ مَنْ صَافاه ، وعادِ مَنْ عَاداه .

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي بالولاء من موالي بني العباس ، عالم بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل ، ولد في بغداد وتوفي في سامراء سنة ٢٤٥ هـ ، كان مؤدباً قال ابن النديم في الفهرست ١٥٥ : « وكان مؤدباً وكتبه صحيحة » وذكر له ثلاثة وعشرين كتاباً .

(٢) من الأقوال الشائعة عند القدماء « أعزّ من الكبريت الأحمر » للدلالة على الندرة وهو كقولهم « أعزُّ من بيض الأنوق » ، والأنوق : العُقاب . ومن معاني الكبريت : الياقوت الأحمر والذهب الأحمر ، ويقال : « ذهب أو فضة كبريت » أي خالص .

الرقعة في القميص

وقال علي بن حمّاد : قال الحسن : مثل الصاحب مثل الرقعة في لقميص ، فلينظر امرؤ بأيّ شيء يَرْقَعُهُ .

وقال الحسن : إن المؤمن شعبة من المؤمن ، يحزنُ لحزنه ، ويفرح لفرحه ، وهو مرآة أخيه ، إنْ رأى منه ما لا يعجبه قوّمه وسدّده ، ووجّهه ، وحاطه في السر والعلانية ، إنّ لك من خليطك نصيباً ، وإن لك نصيباً من ذكر مَنْ آخيت ، فاختاروا الإخوان والأصحاب والمجالس .

وقيل لعدي بن حاتم : ما أثقلُ الأشياء عليك ؟ قال : اختيارُ الصديق ، وردُّ السائل ، ومسألةُ اللئيم . فقيل له : فما أضرُّ الأشياء للرجل ؟ قال : كثرة الكلام ، وإفشاء السّر ، والثقة بكل أحد .

جديد وقديم

وقال يونس بن عبيد : ليس لملولٍ صديق .

وقال الشاعر :

البسْ جديدَك إني لابسٌ خَلَقي ولا جديد لمن لا يلبس الْخَلَقا

قال النمري : الجديد هاهنا الصديق الحديث العهد كأنه استجده بالصداقة . والْخَلَق الصديق القديم الصداقة . يقول على وجه التوبيخ : عليك بالإخوان الجدد فإني متمسك بإخواني القدماء ، ثم قال : لا جديد لمن لا يلبس الْخَلَق ، أي من لم يقم على مودة الصديق القديم لم يقم على مودة الصديق الجديد .

قال : ومثله قول العَرْجي[1] :

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي المكي ولقب بالعرجي لسكناه العرج في الطائف ، أحد شعراء الغزل في العصر الأموي ، كان ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة ، وكان من الأدباء الظرفاء والفرسان المعدودين صحب مسلمة بن عبد الملك =

الجديد والقديم

سميتني خَلَقـاً لحلـةِ قَـدمَتْ ولا جـديـد إذا لم يُلبس الْخَلَقُ

قال : والناس يظنون أن الجديد والخلق هاهنا ثوبان .

[٣٤أ] وقال العرْجي : /

ثبات الفؤاد

لا يحـولُ الفـؤادُ عنـكَ بـودٌ أبـداً أو يحـولُ لـونُ الغراب

وقال رُبَيْعَةُ الأسدي[١] :

صداقة بالية

إن المـودّة والهـوادة بيننـا خَلَقٌ كَسَحْقَ اليَمْنَةِ المنجاب[٢]

آخر :

أين الصديق ؟

مـا سمعنـا بـاسم الصـديـق فطـالبنـا بمعنـاه فـاستفـدنـا الصـديقـا
أتراه في الأرض يـوجـدُ لكن نحن لا نهتـدي إليـه طريقـا
أم ترى قـولهم صـديـق مجـاز لا ترى تحت لفظهم تحقيقـا

شاعر :

خيبة ووحشة

ذهبَ الـذين أحبُّ قربهم وبقيت كالمقمـور في خلفِ[٣]

= في حروبه مع الروم . سجنه والي مكـة محمـد بن هشـام في تهمـة فـات في السجن سنة ١٢٠ هـ .

(١) هو ربيعة (بضم الراء) بن أسعد بن جذيمة . من شعراء بني أسد ذكره المرزباني في معجم الشعراء ص ١٢٥ .

(٢) رواية معجم الشعراء :

إن البقيـة والهـوادة بيننـا شمل كسَحْـق الرَّيْطـة المنجاب

السحق : الثوب البالي ، يقال : رأيت عليه سَحْق بُرْدٍ وسَحْق عمـامـة . اليمنـة : برد يمني يقال : لبس اليمنة . الشَّمَل : القليل من الناس وغير ذلك يقال : رأيت شملاً من النـاس والإبل أي قليلاً .

(٣) المقمور (اسم مفعول) من الخاسر في القمار .

من كل مطـــويٍّ على حنـــقٍ مُتصنّـــــعٍ يُكفى ولا يكفي

المتلمّس :

على كلهم آسى ولـلأصـل زُلْفَـــةٌ فزحـزح عن الأدنين أن يتصـدعـوا — أسى ووحشة
وقـد كان إخـواني كريـماً جـوارهم ولكن أصـل العـود من حيث يُنزعُ

وقال المُقنّع الكندي[1] :

وصـاحبُ السـوء كالـداء العَيَـاء إذا ما ارفضّ في الجلد يجري ها هنا وهنـا — صاحب السوء
يجري ويُخبر عن عَوْراتِ صـاحبـه ومـا يرى عنـده من صـالحٍ دفنـا
كَمُهْر سـوءٍ إذا رفّعت سيرتـــه رام الجمـاحَ وإن خفّضتـهُ حَرَنـا
إن يحي ذاك فكن منـه بمعـزلـةٍ وإن يمتْ ذاك لا تشهد لـه جَنَنَـا[2]

آخر :

رأيت مـواليّ الأُلى يخـــذلـونني على حـدثـان الـدهر إذ يتقلّبُ — خذلان الموالي
فهـلا أعـدُّوني لمثلى تفـاقـمـدوا وفي الأرض مبثوثـاً شجـاعٌ وعقربُ

الحارث دعيّ الوليد :

فـإن أنت أقررت العـداة بنسبتي عُرفت وإلاّ كنت فَقْعاً بفَـدْفَـدِ[3] — انتساب إلى شريف

---

(١) هو محمد بن ظفر بن عميرة ، شاعر مقلّ أموي وكان لـه محل كبير وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته ، ويقول الجاحظ : « كان الدهرَ مقنّعاً ، والقناع من سيا الرؤسـاء » ، ويزعم المؤرخون أن العلة في لزومه القناع ما كان يخاف على نفسـه من العين ، فقـد كان أحسن الناس وجهاً ، وأمدّهم قامة ، وأكملهم خلقاً ، فكان إذا سفر أصـابتـه أعين النـاس فيمرض ويلحقه عنَت ، راجع أخباره في الأغاني ١٥/١٥١ .

(٢) الجَنَن : القبر والميت والكفن والجمع أجنان .

(٣) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة ويقال للـذليل : « هو أذل من فقع بقرقرة أو بقرقر » =

ويشمتُ أعداءٌ ويُخذل كاشحٌ عمرتُ لهم سُمّاً على نابِ أسود[1]

شاعر :

حقد وقهر

ومعشرٍ منقعٌ لي في صدورهم سمُّ الأساود تغلي في المواعيدِ
وسمتُهم بالقوافي فوق أعينهم وَسْمَ المعيدي أعناق المقاحيدِ[2]

آخر :

ترك الضغينة

وإني لتَرّاك الضغينة قد بدا تراها من المولى فما أستثيرها

مخالطة ومرابدة

قال بعض السلف : خالطوا الناسَ ورابدوهم[3] .

وقال أبو العيال الهُذَلي[4] :

مؤاخاة وعطف

وأخاك إن آخاكَ وعتابَه إذ جاءكم بتعطفٍ وسكون

ثَعْلَبَةُ بنُ صُعَيْر[5] :

استغناء وهجر

وإذا خليلُك لم يَدُمْ لك وصلُه[6] فاصرم لبانته بحرفٍ عاقرِ[7]

= أي أذلّ من كأة في أرض منخفضة ، لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، وقيل لأنه يداس بالأرجل . الفدفد : الفلاة ، والأرض المستوية .

(١) الأسود : العظيم من الحيّات والجمع أساود .

(٢) ناقة قَحِدة ومِقْحَاد : عظيمة السنام . المقحدة أصل السنام .

(٣) رَبَد في المكان : أقام .

(٤) هو أبو العيال الهذلي أحد الشعراء المخضرمين ، عمر إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان .

(٥) ج ق ـ صغير ، هو ثعلبة بن صُعير بن خزاعيّ المازني ، شاعر جاهلي قديم .

(٦) من قصيدة في المفضليات ١٢٦/١ .

(٧) رواية المفضليات : « فاقطع لبانته بحرفٍ ضامر » .
الحرف : الناقة الماضية . الضامر : يعني للنجابة لا للهزال . ومعنى الشطر : فاقطع حاجتك إليه وارتحل عنه على هذه الناقة ولا تلتفت إلى مودته .

وقال ذو الإصبع العَدْوانيُّ[1] :

لِيَ ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ ... مخالفٌ ليَ أقليه ويقليني[2]
أزْرَى بنا أنّنا شالَتْ نعامتُنا ... فَخالَني دونه بل خِلْتُه دُوني[3]

وقال أُسامة بن الحارث الهُذَلي :

تذكر الإخوان

تذكرتُ إخواني فبتُّ مسهّداً ... كما ذكرت بوّأ من الليل فاقد

وقال عَبَدَةُ بن الطَّبيب :

حذر النِّمام

واعصَوا الذي يُبدي النميمةَ بينكم[4] ... متنصّحاً وهو السِّمام المنقعُ[5]
يُزْجي عقاربَهُ لتبعثَ بينكم[6] ... حَرْباً كما بَعَث العُرُوقَ الأخْدَعُ[7]
حَرّانَ لا يَشفي غليلَ فؤاده ... عَسَلٌ بماءٍ في الإناء مُشَعْشَعُ[8]
لا تأمنُوا قوماً يَشِبُّ صبيُّهُمْ ... بين القوابل بالعداوة يُنْشَعُ[9]

---

(١) اسمه حُرثان ، شاعر فارس قديم جاهلي له وقائع مشهورة ، وهو أحد الحكماء ، عمّر دهراً طويلاً . ولما احتضر أوصى ابنه أسيداً وصية جميلة مذكورة في الأغاني ٨٩/٣ . توفي نحو سنة ٢٢ ق هـ .

(٢) رواية المفضليات ١٥٨/١ « مختلفان فأقليه ويقليني » قلاه : أبغضه .

(٣) أزرى به : قصّر به ، وزرى عليه : عابه . شالت نعامتنا : خلت منازلنا أو ارتحلنا أو تفرقنا أو تفرقت كلمتنا .

(٤) رواية المفضليات ١٤٤/١ : النائم .

(٥) رواية المفضليات : ذاك السمام . يزجي : يسوق . المتنصّح : المتشبه بالنصحاء . السمام : جمع سم . منقع : معتّق ، من قولهم أنقع السم : عتقه ، وأنقعته الحية : جمعته .

(٦) رواية المفضليات : ليبعث .

(٧) الأخدع : عرق في العنق إذا ضرب أجابته العروق .

(٨) الحران : الشديد التلهب ، يغلي جوفه من حرارة الغيظ ، وأصله العطشان . الغليل : لهبان من الغيظ ومن العطش ، والغلّة بالضم شدة العطش ، والمراد شدة الغيظ . مشعشع : ممزوج .

(٩) ج ق ـ يبشع . القوابل : مفردها قابلة وهي التي تستقبل المولود . ينشع من النشوع =

الناس نوعان

وقيل لعبد الله بن عُرْوَة[1] ، وكان خطيباً : تركتَ المدينة ولو رجعتَ إليها لقيتَ الناس ، فقال : وأين الناس ؟ إنما الناسُ رجلان : شامِتٌ بنكبةٍ ، أو حاسدٌ لنِعْمة .

شاعر :

أخاك أخاك

أخاكَ أخاكَ إنَّ من لا أخاً لـه ... كَسَاعٍ إلى الهَيْجَا بغير سلاحِ

وأنشدَ يُونس بن فَرْوَة[2] :

معرة الإخاء

فلقد رضيتَ بعُصْبةٍ آخَيْتَهم[3] ... وإخاؤهم لَكَ بالمَعَرَّة لازمُ

= (بفتح النون) وهو الوجور (بفتح الواو) الدواء الذي يُصَبُّ في الفم ، وكذلك نشغ ومنها النشوغ وهو للسعوط ، والوجور للصبي والمريض .

(١) هو عبد الله بن عروة بن الزبير بن العوّام الأسدي ، تابعي من الخطباء الشجعان ، كان يتشبه بعبد الله بن الزبير في فصاحته وشجاعته ، توفي سنة ١٢٦ هـ .

(٢) هو يونس بن محمد بن كيسان الملقب بأبي فروة أو ابن فروة كما جاء في كتاب الحيوان للجاحظ ، كاتب زنديق ، كان جدُّه أبو فروة مولى للخليفة عثمان بن عفان ، ونشأ يونس على أخلاق الشطّار ، والشاطر كما يقول الجهشياري : من أعيى أهله ومؤدبه خبثاً ومكراً ، ويقال إنه لحق بالخوارج الشراة في العراق ثم صار كاتباً للأمير العباسي عيسى بن موسى ابن أخي السفاح ، ويقول الجاحظ (أمالي المرتضى ١٣١/١) : « كان مُنقذ بن زيد الهلالي ، ومُطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد ، وحفص بن أبي ودّة ، وقاسم بن زُنْقُطة ، وابن المقفع ، ويونس بن أبي فروة ، وحمّاد عجرد ، وعلي بن الخليل ، وحمّاد بن أبي ليلى الراوية ، وحمّاد بن الزبرقان ، ووالبة بن الحباب ، وعُمارة بن حمزة بن ميمون ، ويزيد بن الفيض ، وجميل بن محفوظ المهلبي ، وبشّار بن بُرد المرَعِّث ، وأبان اللاحقي ، يجتمعون على الشرب وقول الشعر ويهجو بعضهم بعضاً وكلٌّ منهم متّهم بدينه » . ويقول المرتضى : « وعمل يونس بن أبي فروة كتاباً في مثالب العرب وعيوب الإسلام بزعمه وصار به إلى ملك الروم فأخذ منه مالاً » . توفي يونس سنة ١٥٠ هـ .

(٣) البيتان لحمّاد عجرد في هجاء يونس كما ورد في كتاب الحيوان ٤٤٦/٤ وقد سبقها الأبيات الأربعة الآتية : =

فَعَلِمْتَ حين جعلتهم لـك دُخلـة[1] أنّي لعِرضـك في إخـائـك ظـالمُ

نسيب الجسم والروح

وقـال بعضُ الحكمـاء : إنّ الأخ إذا لم يكن صـديقـاً فهو نسيبُ الجسم ، والصديقَ وإن لم يكن أخاً فهو نسيبُ الرّوح .

بين أعرابيين

أخبرنا ابن مقسم ، حدثنا ثَعْلَب ، حـدثنـا عبـد الله بن شبيب قـال : سمعت العتّـابي يقول : سمعتُ أعرابيـاً يقـول لصـاحبٍ لـه : لا تنكرْني لـك فأعرفُ نفسي بك ، ودَعْ سَرْحَ القلب[2] محميّاً ، وثمر الفؤاد مجنيّـاً فيوشـك أن تبعد الطِّيَّة[3] على غير أُهبَةٍ[4] ولا أوبة[5] .

شاعر :

أخو الخفض

وكنّـا كغصنَيْ بـانـةٍ ليس واحـدٌ يزولُ على الحالاتِ عن رأي واحـدِ
تبـدّل بي خـلاً فخـاللتُ غيره وخلّيتـه لَمّـا أراد تَبَـاعـدي
ألاَ قَبّـح الرحمنُ كلَّ ممـاذقٍ يكونُ أخاً في الْخَفْض لا في الشدائدِ[6]

= أمـا ابن فروةَ يـونسٌ فكأنّـه من كبره أيرُ الحمـارِ القـائمُ
ما الناسُ عندك غيرُ نفسك وحدها والخلقُ عنـدك مـا خـلاك بهـائمُ
إنّ الـذي أصبحت مفتونـاً بـه سيزولُ عنـك وأنفُ جـارك راغمُ
فتعضُّ من ندم يديك على الذي فرّطتَ فيـه ، كما يَعَضُّ النـادمُ

(١) دخلة (بتثليث الدال) بطانته .

(٢) سرح ما في صدره : أخرجه وباح به .

(٣) الطِّيَّة : الجهة التي إليها تطوى البلاد ، قال الخليل : الطِّيَّة تكون منزلاً وتكون منتأى تقول منه : مضى لطيّته أي لنيّته التي انتواها ، وبعدت عنه طيّته وهو المعتزل الذي انتواه ، وسمي المنزل طيّة لأن الرجل يقصده و يطوي نفسه إليه .

(٤) الأهبة : العدّة ، يقال : أخذ للسفر أهبته أي عدّته .

(٥) الأوبة : العودة .

(٦) الخفض : الدعة وسعة العيش .

فساد الناس

وكتب أحمد بن إسماعيل الكاتب[1] إلى مَيْمُون بن هارون[2] : أعلمني رسولي أنك سألتَه عمن آنسَ به في ناحيتي ، ومَنْ في الناس اليوم يُؤانَس أو يُجالَس ؟ نحن إلى الأُنس منهم أحوجُ منَّا إلى الأُنس بهم ، وصورة الأمر في فسادهم أنه لما كان الدينُ عمودَ المحاسن ، ونظامَ الفضائل ، وعَصْمَ الأخلاق ، وكان الناسُ قد خلوا أو أكثرُهم منذ صاروا يتعاطونه مع المِراء من الدين في معاملاتهم ومودَّاتهم ، مدخولاً من جوانبه ، مختلاً من أوساطه وأطرافه فلن ترى إلاَّ ذَامّاً / مذموماً ، زارياً مَزْرِياً عليه ، حالفاً بالقبيح ، مَحْلوفاً به . [٣٤ب]

وصية سفيان

وحُدثت أن رجلاً قال لسُفيان الثوري[3] : أوصني ! فقال : أقِلَّ معرفةَ الناس ، وأنكِرْ مَنْ تعرفه منهم ، وابدأ بي ، وأغْضِبْ مَنْ شئت ، ودُسَّ مَنْ يسألُه ، فوالله لو لاحَيْتُ[4] رجلاً في زمانه فغضب لما أمنتُ أن يترامى به غضبه إلى سفك دمي ، وأفرط أعزّك الله مفرط في هذا الزمان

---

(١) هو أحمد بن إسماعيل بن الخصيب الأنباري المعروف بنطّاحة ، أديب من كبار الكتاب المترسلين ، كان كاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وقتله محمد بن طاهر . له كتب منها (ديوان رسائل) في ألف ورقة و (طبقات الكتّاب) و (صفة النفس) ، توفي سنة ٢٩٠ هـ .

(٢) هو أبو الفضل ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان البغدادي ، كاتب ، صاحب أخبار وآداب وأشعار أخذ عن الجاحظ ومعاصريه ، وأخذ عنه قدامة بن جعفر وآخرون . توفي سنة ٢٩٧ هـ .

(٣) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أمير المحدّثين وسيد أهل زمانه في علوم الدين . ولد في الكوفة سنة ٩٧ هـ ونشأ بها ، وأراده المنصور على أن يلي الحكم فخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة ، ثم طلبه المهدي فتوارى ، وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً سنة ١٦١ هـ .

(٤) لاحاه ملاحاةً ولحاءً : نازعه . وفي المثل : « من لاحاك فقد عاداك » . وتلاحى القوم تلاحياً : تلاعنوا وتلاوموا .

فقال : لا أقول كما قال سُفيان لنقصان دهرنا عن دهره ، ولكني أقول : أرْضِ مَنْ شئت ، ودَعْ من يسأله عنك ، وما أنكر لكثرة الشر في الناس أن يكون جواب كثير ممن يرضى مثل جواب من يغضب ، إلاّ أني أرجو أن لا تكون هذه القضيّة عامة .

وأنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه :

جليس الخير

وحدةُ الإنسان خيرٌ من جليس السوء عندَهْ
وجليسُ الصدقِ خيرٌ من جلوس المرء وحدَهْ

وهذا لعَمْري كما قال ، ولكن كيف لنا بجليس الصدق ؟ ولربما نفع قربُ العدو ، وضرّ قربُ الصديق ، وهذا كلام يُنكر ظاهرُه إلى أن يَظهر تفسيرُه ، أما العدوُّ الذي ينفع قربُه فهو الذي مقدار ضرّه أن يَثْلِبَ ويعيبَ ، ويجد مَطْعناً ليُذيع ويُشيع ، فإذا قرب هذا صورته ممن يعاديه وكَّله بحراسة نفسه ، ومراعاة أموره ، وتحصين تدبيره ، وتحسين أفعاله ، وكان برصده له رقيباً عليه ، وإذا رامَ تحفظ الإنسان بهذا الرصد وترقيه هذه الرتبة صَلُحَتْ أموره ، وكان سببَ صلاحها قربُ هذا العدو منه ، وإنما صار للعرب مآثر تُنْشَر ، ومفاخرُ تُذكر ، بتوقّيهم للعاير[1] والمعايب ، في المقاوم[2] والمجامع ، ولم يخلُ أحد قط من وليٍّ مؤدِّب ، أو عدوٍّ مؤنِّب ، أو تقريع بخطأ أو تَهجين[3] بنقص إلاّ من أهمل نفسه ، ومن عادة الإهمال الهَلاك ، وقلّ من تحفّظ فسلم من إضاعةٍ ، فكيف به إذا أضاع التحفظ من نفسه ، وأمنه من غيره .

---

(١) العاير : المعايب .

(٢) المقاوم : مفردها قوم ، وقوم : الإقامة .

(٣) هجّن الأمر : قبّحه وعابه .

صلاح الملك

وقال بعضُ المتقدمين : لا صلاحَ لِلْمَلِك إلاّ بنفسه ووزرائه وأعداءٍ يخرجونَ عليه فيُصْلح نفسَهُ من أجلهم .

واجبات العاقل

ومِمَّا دوّنوه من الكلام : أنه يجب على العاقل أن يتَّخذ أبَوَيْه أصدقاءَ ، وإخوانَه رفقاء ، وأزواجَه ألّافاً ، وبنيه ذُكَراء ، وبناتِهِ خُصماء ، وأقاربَه غُرماء ، والعلماء أولياء ، والجيران رُقباء ، ويعدُّ نفسه فرداً وحيداً ، فذكروا رُقْبَة[1] الجيران ، وحضُّوا على توقِّيها ، فكيف بالجار العدوّ ، وأما الصديقُ الذي يضرُّ قربُه فهو الذي إذا قرب توصل بصداقته إلى معرفة الأسرار ، وعَلِمَ الأخبار ، ثم تحفظ الزَّلل ، والتقط الْخَلَل ، وأحصي الفَلَتات ، وعدَّ الهفَوات ، وراعى عَثَرات الألسن ، وبوادرَ القول والعمل ، عند الغضب والرضا ، وفي أوقات الاسترسال التي لا يخلو الإنسان فيها من إغفال ، ثم جعل ذلك سلاحاً معداً يحمله على صديقه وقت العداوة وقد قيل في ذلك :

يُحصي العيوبَ عليكَ أيامَ الصداقة للعداوَهْ[2]

ونحن لم نخالف في ما عمَّمنا به من الذَّمّ في باب الإخاء والأُنس قول النابغة :

أيّ الرجال ؟

ولستُ بمستبقٍ أخاً لا تلمّه ... على شعثٍ : أيُّ الرجالِ للهذّبُ

وقول الآخر :

الأخ المهذب

هم الناسُ والدنيا ولم يزلِ القَذَى ... يُلِمُّ بعينٍ أو يكدّر مَشْرَبَا

ومن قلّةِ الإنصاف أن تطلب الأ ... خ المهذّب في الدنيا ولستَ مُهذَّبَا

(١) الرقبة (بكسر الراء) : الحراسة والتحفظ .

(٢) في ديوان المعاني ٢٠٠/٢ بيت قبل هنا :

احذَرْ مودّة ماذقٍ ... شابَ المرارةَ بالحلاوَهْ

وقال آخر :

كظم وخوف

وكنتُ إذا الصديق نبا بأمري ... وأشرقني على حَنَـــقٍ بريقي
غفرتُ ذنوبه وكَظَمْتُ غيظي ... مخافةَ أن أعيشَ بلا صديقِ

هؤلاء إنما أوجبوا الإغضاءَ والاحتمالَ والصبرَ والكَظْمَ مع سلامة الإخاء ، وإنما وقفوا بالصَّفح والعفو على ما لا يخلو الإنسان يأنس به من مثله ، ألا ترى النابغة يقول : أيّ الرجال للهذَّبُ ؟ والآخر يقول : مخافةَ أن أعيشَ بلا صديق ، والآخر يقول : ومن قلّة الإنصاف أن تطلبَ الأخ للهذَّب في الدنيا ولستَ مهذّباً ، تقول كما قالوا ، ونغفر كما غفروا لو وجدنا من يسلم لنا جملة إخائه ، وإنما نشكو فَقْدَ عمودِ الإخاء الذي حُصُولُه يغفر ما دونه ، وحيث بلغنا من هذه الشكوى ، وهذا الذَّم ، فلسنا نجحدُ النعمة في بقيّةٍ جميلةٍ في هذا الزمان من أحرار الإخوان قد قدمك الله فيهم فضلاً وبرّاً ، وهمّةً عليّةً ، وأخلاقاً رضيّة ، ومع ذلك فإنّ على العاقل في شريطة الإخاء إذا وجد موضع الدين والوفاء أن يقتصدَ / في المؤاخاة ، ويقتصرَ من [٣٥آ]
العدّة على من تَفي طاقتُه بما يجب لهم ، فإن حقوقهم إذا زادت على وُسعه[1] لحقته الإضاعة لبعضها ، وجنت الإضاعةُ عليه العداوة ممن أضاع حقّه ، ولذلك قيل : كثرةُ الأعداء من كثرة الأصدقاء ، وانتظم في هذا المعنى :

اتساع الإخاء

إذا اتّسع الإخاءُ عَرَتْ حقوقٌ ... مُراعيهـــا مُقيمٌ في مَضيقِ[2]
فإن خصَّت رعايتُه فريقاً[3] ... أخلَّ بما عليه في فريقِ
وإن رامَ القيامَ لهم جميعاً ... بشرط الودّ لم يَكُ بالمُطيقِ

(١) الوسْع (بتثليث الواو) : الجدة والطاقة ، وفي القرآن الكريم : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها ﴾ .

(٢) المضيق : ماضاق من الأماكن والأمور والجمع مضايق .

(٣) خصّ الشيء خصوصاً : ضدّ عمّ ، وخصّ فلان لنفسه شيئاً : اختاره .

وأوحش بعضهم فأفاد منه[1] عدواً كان في عَدَدِ الصديقِ
فخُذْ مِمَّنْ تؤاخيه بقصْدٍ وقدّرْ فتحَ أبوابِ الحقوقِ

وقال :

الكثرة والوحدة

إذا كَثُرَ الإخوانُ للمرء وابتغوا معونَتَهُ في صَرْف دهرٍ وغدره[2]
فوحدتُه لا تستقلُّ بحقّهم وكثرتُهم لا تستقلُّ بضُرّه

وكنت أعلمتني أنك استحسنتَ مني البيتين في ذكر العدوّ والصّديق وهما :

خليل وعبد

إن كنت تطلب فضلاً إذا ذكرتَ وَمَجْدا
فَكُنْ لعبدك خِلاًّ وكُنْ لِخِلّك عَبْدا

وكان سببهُما أن صديقاً لي ضرب عبداً له فحضره صديق له فمنعه الصديق فلم يمتنع ، فكتبتُ إليه بهذين البيتين أذكّره بحقّ الصديق في عبودية الطاعة ، وأُخوة العبد في حقّ الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[3] ، هذا مع ما في التسلُّط على المماليك من الدناءة !

أحوال الزمان

ولأحمد بن إسماعيل أيضاً إلى إسحاق بن سعد : وكأنَّ الزمان يخصّ الإخاءَ وأهلَه من كدره ونكَدَه بما لا يعمُّ به غيرهم ، فما تشاء أن ترى ذَوَيْ صفاءٍ قد فرّقتْ بينهما[4] نوىً فحصلا من التزاور على التكاتب ، ومن أُنس

---

(١) أوحش فلاناً : جعله يستوحش ، واستوحش الرجل استيحاشاً : وجد الوحشة ضد استأنس ، واستوحش منه : لم يأنس منه ، واستوحش المكان : صار وحشاً وذهب الناس عنه .

(٢) صرف الدهر : نوائبه وحدثانه .

(٣) القرآن الكريم : سورة الحجرات ١٠ .

(٤) ج ق - بينهم .

الاجتماع على وَحْشة الافتراق ، ومن بهجة اللقاء على لَذْعة الشوق وكثرة التَّوْق[1] ، ومن راحة المباوحة والمفاوضة على ضيق الصدور بالأسرار ، وكَرْب النفوس بالكتمان إلاّ وجدتها ، ولا تشاء أن تجدَ أمثالها قد جمعتها الديار ، واعترضت بينها الأحداث ، فاجتماعها في معنى التفرّق ، وقربها في صورة البعد ، إلاّ أن شوقَها أبرح ، ونزاعَها إلى اللقاء أشدّ ، وحسرتها على ما يفوت منه أكثر إلاّ رأيتها ، فأما إخوانُ اللقاء ، وعبيدُ العيون الذين تجمعهم الرَّغبة والرَّهبة ، ويتزاورون في المواصلة من العهدة إذا ولّت مُطعمة ، وأخلفت مُخيّلة[2] ، أو نابت نائبة ، فاكتراثهم لأعراض الدهر بينهم تستُّر ، لأن الحاضرَ منهم لا تُزعجه من أخيه الغيْبة ، والغائب لا تَقِرُّ[3] عينه بالأوْبة ، فالفُرْقة لا تورثهم وحشةً ، والاجتماع لا يجدّد لهم أَنَسَةً[4] ، وربما وجدت تراضيهم بمخالفة ظاهرهم باطنَهم ، قد أُتيح لهم متعة بعشرتهم لأن كلاً منهم قد قدم التحرُّز من صاحبه ، واستشعر الاحتراس منه ، فليس يستودعه ما يخاف ضياعَه ، ولا يأمنُه على ما يحتاج إلى الاهتمام به ، وأعطاه مقداراً من ظاهره ، وقفتْ عليه عادته ، وأسقطت مؤونة التحصيل عنه ، ولبسته على علمٍ به ، فإن أظهر له جميلاً لم يغترَّ بظاهره ، وإن وقف على غِلٍّ أو غِشٍّ لم يجدّد له علماً بباطنه ، فليس يبدو له من أفعاله ما ينفّره فيقطعه ولا يغيب عنه منها ما يأمنه فيسكن إليه ، ويخاف جنايةَ[5] الاسترسال عليه ، ولا يُبقيه في مشهده ومغيبه منه ما لا يعرفه ، فيجريان

---

(١) تاق إليه تَوْقاً وتؤوقاً وتياقة وتوقاناً : اشتاق إليه .

(٢) المُخيّلة والمخيّل : السحابة التي تحسبها ماطرة . وكذلك المخايل من السحب المنذرة بالمطر كقول مروان بن أبي حفصة : « إن أخلف الغيث لم تخلف مخايلُه » .

(٣) قرّت عينه : بردت سروراً وجفّ دمعها ، أو رأت ما كانت متشوقة إليه .

(٤) ج ق ـ أنسه .

(٥) ج ق ـ جنانه .

في مثل هذا الميدان مدةً طويلة متمتعَيْن بالمؤاكلة ، والمشاربة ، واللقاء والمحادثة ، وأخو الثقة يرمق الحركة ، ويراعي اللحظة ، ويتأول اللفظة ، وإن ظهرت منكرة وقف عندها ، وتعرّف سببها ، وتبيَّن موقعها من العَمْد[1] والخطأ ، ومقدارها في الصِّغَر والكِبَر ، وهل يقلُّ صغيرُها عن المُعاتبة ، أو يبلغُ كبيرُها تركَ المراجعة ، ويُنزل الأمور بين هذين الطرفين منازلَها ، ويعمل في ما يستقرُّ عليه بما هو أصونُ لعقدته[2] وإن كانت نفيسة ، لأن [أخا] الثقة من الإخوان يمنح الأنس ، ويبثّ ذاتَ النفس ، ويُظهر العُجَر والبُجَر[3] ، ويكشف الأسرار ، ويخصُّ بخواص الأخبار ، ويُدَّخر[4] للنوازل ، ويُفزع إليه[5] في النوائب ، فيعدُّ لِلْمَشْهد والمغيب ، واليوم والغد ، والْمَحْيا والْمَمَات ، والنفس والعَقِب ، ويُستظهر بإخائه على الزمان ، ويُعتضد به في الحدثان ، وإنَّما يستحقُّ ذلك ما نقيَ جيبُه ، وسلم غيبُه ، وخَلَص قلبُه ، وصحَّ لُبُّه ، ولوقوفه على هذه الغاية من الاستحقاق يراعيه من أودعه أجلَّ ودائعه ، وجعله أفضلَ عدده ، والحمدُ لله الذي جعلك مقدَّماً في إخوان الصفاء ، يثقُ بك الصديق ، وتخفُّ المِحْنة عليه في مراعاة طويتك بصحة عقدك ، وكرم عَهْدك ، وتمسكك في وِرْدِك[6] وصَدَرك بعِصَم الدين التي تشتمل على المناقب ، وتنفي المقابح

---

(١) فعله عمداً وعن عمد : قصداً لا خطأ .

(٢) ج ق ـ لعهدته .

(٣) العُجر مفردها عُجرة وهي العقدة في الخيط والعصا وعروق البدن . البُجر : مفردها بجرة وهي السُّرّة ويقال : ذكر عجره وبجره : أي عيوبه .

(٤) ج ق ـ يدحر .

(٥) ج ق ـ إليها .

(٦) ورد يرد وروداً الماء : أشرف على الماء خلاف صدر ، والمصدر الوِرْد .

والمعايب ، وتؤدي صاحبها إلى فوز الأبد ، وتحوز له النعيم المقيم ، فتم الله نعمه ، وأوزعك[1] شكره ، وأمدّك بمزيده :

تنازعنا الوداد وكنتُ أجري ... إذا بلغ المدى جرَيَ السَّبُوقِ / [٣٥ ب]
فحازَ السَّبْقَ إسحاقُ بن سَعْدٍ ... وخلَّفني بقارعةِ الطَّريقِ

الاستزادة على حسب الحرية ، ومن لم يجد ألم الجفوة لم يعرف موقع المبرّة ، وأيام السلطان والقدرة غنيمة ذي النُّبل والهمّة ، تُعتقد بها المِنَن ، وتُرعى فيها الْحُرَم ، وتُبْنى المكارم لليوم والغد ، والنفس والعقب ، ولي ما شهدته من مودةٍ صحيحة موروثة ، وأسباب شابكة متقدمة ، ورغبة متجددة ، وأمل متأكد ، ولكلٍّ من ذلك حق وحرمة ، وأنا شريك في النعمة بالهوى والنيّة ، مطلق اللسان بوصف فضائلك في محافل ذي الشرف والحرية ، كَبْتاً لعدوك الذي ليس بينه وبين الله عصمة ، ونصراً لوليّك وليِّ الدين والمروءة ، ومعي معاضدة الأخ ، وخدمة العبد ، وطاعة اليد والسلام .

وقال أيضاً في فصل آخر : وإذا سلمت لي الحال القديمة بيننا التي كان العهد فيها باللقاء يتراخى ، فإذا التقينا وجدناه على جِدَّته ، وأعطى المفضول منا ـ أعني نفسي ـ من آتى فاضلاً ـ أعنيك ـ من الإعظام والإجلال حقه ، وسلك الفاضل بالإنصاف والتواضع سبيل فضله ، لم أحفل بما يحدث بعد ذلك من إدراك أمل وفَوْته ، ونيل طَلِبة وتعذرها .

وكتب عبدُ الله بن المعتز إلى أحمد بن يحيى الشيباني[2] أبياتاً منها :

ابن المعتز

إنَّا على البعاد وللتفرُّقِ ... لَنَلْتقي بالذِّكْر إنْ لم نلتقِ

(١) أوزع فلاناً بالشيء إيزاعاً : أغراه به .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء المعروف بثعلب إمام =

الشيباني فأجابه : لم تَعْدُ ما في النفس ، بلَّغَكَ الله أملَك ، ونحن وإن لم نَلْتَقِ كما قال رُؤْبَة[1] :

إنّي وإن لم ترني فـــــإنَّني أراكَ بـــــالغيب وإن لم تَرَني
أخوك والراعي لِمَا استرعَيْتَني

ولكني أحذر عليك ، فإنه لا تخفى محبَّتي إليك ، ومن لم يحذر فقد ضيَّع الْحَزْم ، وأنا أسأل الله أن يجعل عليك واقيةً برحمته .

وكتب آخر :

المحاورة والمكاتبة مَنْ عَاقَتْهُ العوائقُ عن المحاورة ، عوَّلَ على المكاتبة ، وأنا آنسُ بذكرك فضلاً عن مكاتبتك ، وبمكاتبتك فضلاً عن رؤيتك ، ولو تقاربتِ المنازلُ كتقارب القلوب لأحبت داعيَ الشوق إليك في [الحذاء والرداء] ، والضياء والدجى . وأنشدني مُنشد :

مقدار الشوق كُنَّا نزوركم والدارُ جامعةٌ في كلِّ حالٍ فلَمَّا شطَّت الدارُ
صِرْنا نقدِّرُ وقتاً في زيارتكم وليس للشوق في الأحشاء مِقْدارُ

= الكوفيين في النحو واللغة ، كان راوية للشعر محدثاً ، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة ، ثقة ، حجة ، ولد في بغداد عام ٢٠٠ هـ ، وتوفي فيها عام ٢٩١ هـ ، له كتب أهمها : (الفصيح) ، رسالة في قواعد الشعر (شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى) ، (شرح ديوان الأعشى) ، (مجالس ثعلب) .

(١) هو أبو الجحّاف رؤبة بن عبد الله العجّاج بن رؤبة التميمي السعدي أحد الرُّجّاز والفصحاء المشهورين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان أكثر مقامه في البصرة وعنه أخذ أهل اللغة ، وكانوا يحتجون بشعره ويقرون بإمامته في اللغة ، مات رؤبة في البادية عام ١٤٥ هـ ، وله ديوان رجز مطبوع ، ولما مات قال الخليل : « دفنَّا الشعر واللغة والفصاحة » .

ولربَّ منازل متقاربة لقلوبٍ متباعدة ، يجمعهم النِّفاق ، وتفرِّق بينهم الأخلاق !

قريب وبعيد

وكنتُ كتبتُ إلى صديقٍ يمرح في بعض ما يستهدي :

لا تجعلن بُعدَ داري مخسّساً لنصيبي[1]
فربَّ شخصٍ بعيدٍ إلى الفؤادِ قريبِ
وربَّ شخصٍ قريبٍ إليكَ غيرِ حبيبِ
ما البعدُ والقربُ إلاَّ ما كانَ بين القلوبِ

بين العين والقلب

لابن ثَوابَةَ : فلبثتُ بعدك بقلبٍ يودُّ لو كان عَيْناً فيراك ، وعينٍ تودُّ لو كانت قلباً فلا تخلُو من ذكراك .

هجاء رجل

وقَّع أحمد بن صالح بن شيرزاد إلى رجل : أنتَ ضعيفُ الإخاء ، قليلُ الوفاء ، معاملُك معك في عَناء ، ومعاشرُك منك في بَلاء .

إلى صديق

وكتب إلى صديقٍ له : وصل كتابُك مخبراً بعافيتك ، مُبشِّراً بسلامتك ، مُذكِّراً بلذيذ عشرتك ، وطيبِ أُلفتك ، ناطقاً بصحيح ودِّك ، وكريم عهدك ، وإني لآنسُ بذكرك ، فضلاً عن مكاتبتك ، وبمكاتبتك فضلاً عن رؤيتك ، إلاَّ إني في ذلك كما قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

إنَّ ما قلَّ منك يكثرُ عندي وكثيرٌ من الحبيبِ القليلُ[2]

رسالة ودّيّة

عيسى بن فرخانشاه[3] : اعتقدتُ ودّك ، وأوجبتُ حقَّك ، واعتددتُ بشكرك ، ولحفظ حالك عندي رقيبٌ من عنايتي لا يفتُرُ فيك لفظُه ،

(١) خسّس وخسّ نصيبه خَسّاً : جعله خسيساً أي دنيّاً حقيراً .

(٢) ج ق ـ قليل .

(٣) هو أبو موسى عيسى بن فرخانشاه وزير المتوكل العباسي ثم المعتز من بعده ، روى له التوحيدي كلاماً في رسالة (مثالب الوزيرين) ص ٣٢ .

ولا يُصْرف عنك لحظُه ، وذكر السيد استيحاشَه لقَصْدي ، وحنينَه إلى لقائي ، والأنسُ آخِرُ ما يُبذلُ من ذات النفس ، وأجلُّ ما تخصُّ به السادةُ أولياءَهم ، والإخوانُ إخوانَهم ، وبه تُنال راحةُ المفاوضة والْمُباثَّة ، وعليه تُبنى الثقةُ والمشاورةُ ، وإليه ينتهي إخاءُ المودة ، فإذا بلغه أهلُها قضوا حقوقَها ، واستوفوا شروطَها ، والسيد ممن لا يَخُصُّ بأنسه إلاَّ من ترتضي أخلاقه ، وتحمد مذاهبه ، وكفى بذلك فضلاً لمن ناله ، فأين يبلغ شكري ماقضى به من ذلك لي .

رسالة أخرى

وكتب أيضاً : وأنا ـ والله ـ أيها السيد مازلت[1] كاتباً ، وممسكاً ، وفائزاً ، ومثابراً ، الوالي المخلص ، والوادُّ المصحح ، ومَنْ إذا شدَّ عُرْوَةً أوثقها ، وإذا عقد مودّةً صدقها ، ولا خير في الْمَذْق والشوْب ، والْمُماذِقُ أخو المنافق ، والشائب هدف العائب ، والرجل بمواقع اختياره إذا مال ووالى ، وإذا انحرف وعادى ، وإذا اجتنب واجتبى ، يدل على خطره وقدره ، ويُقوِّم نفسه قيمةً يرجعُ إليها مَنْ عامله وعدل عليه .

رسالة أخرى

محمد بن بَحْر : وثل كتابُك فنابَ عن زهر الرياض حسناً ، وأخبر عن فتيق المسك عَرْفاً ، لما جمع من غريب المعنى ، وبديع اللفظ ، وتصرف كاتبه ـ لاعدمته ـ في برِّ جدَّده ، وتفضل وكّده .

رسالة أخرى

القاسم بن محمد الكَرْخي : قد واصلتُ أياماً تباعاً ، غدوّاً إليك ورَواحاً ، حتى ملَّني البُكُور[2] ، وسئمني التهجير[3] ، وشكاني الطريق ، ولَحَاني الصديق ، وفي كل ذلك أُعاقُ عنك بالْحُجَّاب :

(١) سقطت من م .

(٢) بَكَرَ بكوراً : أتاهُ بُكْرة أي باكراً .

(٣) التهجير من هجَّر القوم : ساروا في الهاجرة وهي نصف النهار في القيظ خاصة عند زوال الشمس مع الظهر أو من عند زوالها إلى العصر لأن الناس يستكنُّون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا ، والهاجرة » شدّة الحر .

ولا خيرَ في ودِّ امرئٍ متكارهٍ عليك، ولا في صاحبٍ لا توافقُهْ/ [٣٣أ]

هذا طَرَفٌ من عتابٍ جاش به الصَّدْرُ، وقلَّ عن كتمانه الصبر، فإن عطفك حفاظٌ فأهلُ البرِّ والفضل أنت، وإلاَّ فإني على العهد ولا أقول:

فَمَا ملَّني الإنسانُ إلاَّ مللتُه ولا فاتني شيءٌ ظللتُ له أبكي

رسالة أخرى

كاتب: أطال الله بقاءَك، والمخاطبة بكل دعاء تخاطب به إخوان الصفاء وإن ضعفت اليد عن استقصائه، وضاق ما يكتب فيه عن استيفائه.

رسالة أخرى

للحسن بن مُسْلم: زاد اللهُ من عمري في عمرك، ورفعك إلى الدرجة الموازية لقَدْرك، وضاعف الكرامةَ والنعمةَ والسعادةَ لك، وقدَّمك في المحبوب قَبْلي، وقدَّمني للمحذور قَبْلك، [إنّي] - وجعلني الله فداءك - وإن كنتُ آنسُ بك في الْحَوْل وقتاً، وأغبر في بقيته خِلْواً مستوحشاً، فإنّ موقع وقتك عندي منه، كموقع ربيعهِ من سائر شهوره، لما يبهجني من السرور بك، ويُونِقُ بصري من بهيِّ منظرك، ويرتعُ فيه لُبي من رياض علمك وأدبك، ويجدّد لي من يوافع[1] فوائدك، وملذوذ ثمار ودّك، ما يروقُ به الربيع العيون من بهيج زينته، ويجودُ به على الأرض من غيوثه، ويلبسها من زخارفه، وينشر عليها من موشى حُلله، ويملأها من خِصْبه وبركته، ولْشبّه مغيبك - جُعِلتُ فداك - بأضداد هذه الصِّفات، غير أنّي أحيا بالتذكُّر والرجاء[2] مدى النأي إلى اللقاء، وأجدُ عقلي بما أفدتُ في ساعةٍ منك متقوتاً زمناً طويلاً كقول أنوشروان الملك: قُوتُ العقول الحِكَم، وقوتُ الأجساد الْمَطْعَم، فلا زِلْتُ من نورك مُقتبِساً،

---

(١) اليافع: العالي وما أشرف من الأمكنة.

(٢) ج ق م - الرخاء.

ولإخوانك في القرب والبعد مُؤنساً ، ولا زالت الأقدار تُسعفنا فيك ببلوغ أملٍ ، ودنوّ محلٍّ ، حتى تطولَ العشرة ، وتدومَ الغبطة والمسرَّة .

رسالة أخرى

كاتب : لئن بَعُدَ ـ أسعدك الله ـ مزارُنا بعد قرب ، لما باعد ذلك ، بحمد الله ، قلباً من قلب ، ولا حلَّ مما بيننا عقداً من ودّ ، ولا منع من محافظةٍ على غَيْب وعَهْد ، وإن انقطعت منَّا المكاتبة أحياناً لاعتناق علّةٍ أو شغل ، فتواصل التشاكل لا ينقطعُ لانقطاع الكتب ، وقد جعل الله ـ وله المنُّ والطَّوْل ـ نعمتَنا عند بعض بنجوةٍ من التقصير ، وفي حالٍ غنيَّةٍ عن المعاذير ، فجعل الله ما عراك تمحيصاً ، وعقباه تخليصاً ، وأعادك إلى أحسن ما عوَّدك ، وما لم تجري به آلاؤه عندك .

رسالة أخرى

وكتب آخر : إن لم يكن جَمَعَنا ـ أسعدك الله ـ تلاقٍ يأنسُ فيه بعضُنا ببعض ، وتتصل به أسباب البرِّ بيننا في القرب والبُعد ، فكفى بالْمُشاكلة مؤانسة ، وبالْمُشاكهة مواصلة ، تثبت علائق الثقة ، وتدفع عوارض الحشمة ، وتزين استعمال الدَّالّة .

رسالة لليزيدي

لليزيدي[1] : فأمَّا ما عندي مما أبذلُه لك رغبةً ، وأرضى بقبولك إياه مثُوبَةً فمودَّةٌ أُقيم عليها بقيَّةَ عمري ، وأستوفي لك حقوقها على نفسي ، وطاعةً أُصححُ فيها سِرّي وعَلَني ، وأتبع شروطها فيما وافقَني وخالفَني ، وشكرٌ أُشغلُ به خاطري وعَقْلي وأُعمل فيه لساني ، وثناءٌ حَسَنٌ أسعى فيه وأجتهد ، وذكرٌ جميلٌ أقومُ به وأقعُد ، وأن أُوالي بك وأُعادي ، وأُصافي وأُصادي[2] ، ولو ملكتُ غيرَ ذلك لبذلته ، ولو علمتُ وراء ما أنا عليه مكاناً لبلغتُه .

---

(١) هو أبو عبد الله بن العباس بن محمد أحد كبار علماء العربية والأدب (٢٢٨ هـ ـ ٣١٠ هـ) .

(٢) صاداهُ مصاداةً : داجاه وداراه وساتره وعارضه يقال : « من صاداك فقد صادك » .

رسالة أخرى

وكتبَ آخرُ : وما أعلمني أن في سَعة صدرك ، وفضل رأيك ، وعلوّ قدرك ، ويُمْن تدبيرك ، وشدّة تحصيلك ، وما مكّن الله لك من سُلطانك ما أغنى عن مسألتي عما أراه في أمري ، فوالله ما حُلْتُ لك عن عَهْد ، ولا [من] موالاة إلى عداوة ، ولا عن وفاء إلى غدر[1] ، ولا عن شكر إلى كفر ، ولا قصّرتُ فيما ظننتُ إنه يقضي عني الحق بما بلغتْهُ الطاقةُ والوُسْع ، فإن تكنِ الدُّنيا بلغتني ما لا يُجدي معه سَعْيٌ ، فذلك على الزمان لا عليَّ :

ما كلَّف اللهُ نفساً فوقَ طاقتها ولا تجودُ يدٌ إلاّ بما تَجِدُ

فواللهِ ما كنتُ بذميم العهد لك في شدّةٍ ولا رَخاء ، ولا في حال سَرّاءٍ ولا ضَرّاء ، على قدر ما تبلغه طاقتي وتنالُه يدي ، وليس من قصّر به القَدَر بملومٍ على تقصير ، ولا من نصح بالنيَّة إذا أعجزه الفعل بمعدودٍ في أهل الغش .

رسالة أخرى

كاتب : وإن الذي ﴿ يعلمُ السِّرَّ وأخْفَى ﴾[2] ليعلمُ أني لم أحُلْ لك عن عَهْد ، ولا رجعتُ لك عن ودّ ، ولا انطويتُ لك على غلّ ، في وقت رخاء ، ولا شدّة ، ولا نعمة ، ولا مِحْنة ، ولا خلفتك بقبيح في نفسٍ ، ولا مالٍ ، ولا عَرَضٍ من الأعراض ، اللهمّ إلا أن تكون تعتدُّ عليَّ بعتابٍ أجريتُه بيني وبينك في بعض ما يُعاتب الصديقُ صديقه ، وما ظننتُ / أن [٣٦ب] ذلك يخرج عن طريق المودّة ، ولا يوجب العداوة والجفوة ، لأنه أمر سلكت فيه سبيل نصيحةٍ لم أمِلْ فيه إلى غشٍّ لك ولا خيانة ، وربما احتملت للناصح الكلمة المُرّة ، ولم تُخرجه عن حدّ الأمانة والثّقة ، وإن كان مخطئاً في المشورة ، لأنه قد اجتهد عند نفسه ولم يُرد سوءاً ولا غائلة[3] .

---

(١) ج ق ـ عذر .

(٢) القرآن الكريم سورة طه ٧ .

(٣) الغائلة : الداهية والفساد والشر والمهلكة تقول : « أخاف غائلته » أي عاقبة شره .

رسالة أخرى

كاتب : وقد هيَّأ اللهُ لك دولةً لست تغبى[1] فيها عن الإحسان إلى المُحسن جزاءً له ، والتغمُّد[2] للمسيء احتجاجاً عند الله ، وطلباً للفضل الذي لا يُذمّ الآخذُ به ، فإنَّ مُدَدَ الأعمار ، فضلاً عن الدول ، قصيرة ، وأيامُ العزّ ، وإن طالت يسيرة ، وإن اعتقدت فيها المِنن اتبعتها أيام الشكر ، وهي أحسنُ منها عاقبةً وأحمدُ مَغَبَّةً ، وشراءُ الصديق صعبٌ عَسير ، وبيعُه سَهْلٌ مُمكن ، وحيث وجّهت المعروف فهو عائدٌ بثناءٍ جميلٍ ، أو ثوابٍ جزيلٍ ، وقليلُ البِرِّ يستعبدُ لك الْحُرَّ ، ويسترُ الهوانَ بصرف وجوه الآمال :

ومن يسألِ الأيامَ نأيَ صديقه ... وصرفَ الليالي يُعْطَ ما كان يَسألُ

لإسماعيل بن عبّاد

أحمد بن إسماعيل بن عبَّاد : فما كان أولاكَ أن تحميني من سوء الظن بك ، وألاَّ تجعل من مصائبي المصيبةَ بمودّتك ، وأن أعجب عندي من إمساكك عن مكاتبتي إمساكُك عن ذكري في كتبك إلى قومٍ قد علمت أنهم لا يخفون عني مكاتبتكَ إياهم ولكني مع هذا أقول :

أترسل بالسلام وصدرعيسى ... يشدّ على عدوّي بالحزامِ
فلولا أن يكون العهدُ منكم ... لما أرسلتُ نحوكُم سلامي
ولكنَّ الفتى ليست عليه ... تمائمُ قد علمتَ من الحِمامِ

---

(١) غبي الشيء وعنه يَغْبَى غبّاً وغباوةً : لم يفطن له ، وغبي منه الشيء : خفي ، وفي الأساس : « لا يغبى عليَّ ما فعلت أي لا يخفى ، وادخل في الناس فإنه أغبى لك أي أخفى » .

(٢) غمد الشيء : ستره ، وتغمده : ستر ما كان منه .

ولا أقول فيك كما قال إبراهيم بن المهدي[1] لعمرو بن بانة[2] ودعاه يوماً فامتنع من المصير إليه لسخط السلطان عليه فكتب إليه : ليس يخلو أميرُ المؤمنين أن يكون ساخطاً عليَّ أو راضياً عني ، فإن كان راضياً فما يأبى أن يسرَّني ، وإن كان سَاخطاً فما يأبى أن يغرِّني ، وإنك لموقوف بينهما بحمد الله ، فأمَّا فلانٌ فلو كان الصديق إذا نزلت به نائبة ، أو نالته نكبة ، أو نَبَا به الدهرُ نَبْوةً استوى عدوُّه وصديقُه في الجفاء به ، والاحتراس من خَلطته وعِشْرته ، وترك معونته على دهره ، لكان اسم الصديقُ اسماً معلَّقاً على غير مَعْنى ، ولكانت حُرمة مودّته ، واعتقاد إخائه في أيام الرخاء وزمانه ضياعاً لا حظَّ فيه ، كلا والله إن الرجل ليبذلُ لأخيه في النكْبة ماله ، وقد أعفى الله مالك وإنه ليحظر نفسه في معونته ، وقد صانَ اللهُ نفسك لك ، وإنه ليفارق الأوطان والأهلين في إيثار موافقته ، ولقد أعفاك الله من أن ترد عليك مسألة في ذلك ، وما أردت إلاَّ أن أعلم أنَّ لي صديقاً قد أبقى لي الدهر منه مثل الذي أخذ ، وأنفس منه ، وأن الأيام لم تبلغ من مساءتي كلّ ما أحذره ، ولله روحٌ منتظر ، وفرجٌ مأمول ، وصنعٌ متوقع ، ولنا ذنوب ما نتّهم غيرها ، ورحمة الله أكثر منها .

رسالة ابن أبي البغل

كتب ابن أبي البغل[3] إلى النعمان بن عبد الله أبي المنذر : كتابي ـ أدام

---

(١) هو إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي أخو هارون الرشيد ، ولد ونشأ في بغداد عام ١٦٢ هـ ، تولى الخلافة مدة عامين (٢٠٢ ـ ٢٠٤ هـ) وتغلب على الكوفة والسواد والمأمون بخراسان وبقي مستتراً حتى عام ٢١٠ هـ ومات في سُرَّمَنْ رأى عام ٢٢٤ هـ .

(٢) عمرو بن محمد بن سليمان شاعر وعالم بالغناء ، كان نديم المتوكل وتوفي بسامراء عام ٢٧٨ هـ .

(٣) ج ق ـ النعل . هو أبو الحسين محمد بن يحيى بن أبي البغل ، استدعي من أصفهان وكان يلي الوزارة في أيام المقتدر ، وكان بليغاً ، مترسلاً ، فصيحاً ، من أهل المروءات ، وكان =

الله عزك ـ من أصفهان ، وعادة الله عندي جميلة ، والحمد لله ربِّ العالمين ، ولم تتأخر كتبي عنك ـ جعلني الله فداءَك ـ مع ما ألزمه نفسي من الحقوق المعترضة للمتقدمين في المنزلة المرعيَّة بين المتخالصين في المودَّة ، لا إغفالاً للحق ، ولا إضاعةً للحظ ، لكن عرضت لي أحوالٌ وأشغالٌ وأسفارٌ ورجوتُ أن تُزيلَ عني الاستزادة تمحلك[1] لي عذراً كعذرك في تأخر كتبك فتقع مُتاركة أو مُسَامحة ، ثم جرتْ خطوبٌ تكشَّفت عما ساءَني منك ، وخفت أن يُغني العتاب من إعتابك في سَوْرتك[2] ، فأمهلتُ توقعاً إلى الغاية ، ومؤملاً منك عند بلوغها حسن المراجعة ، وأن تتأمل فتعلم أني ما حُلْتُ عن عهدك ، ولا زُلْتُ عن ودِّك ، ولا جنيتُ بيدٍ ولا لسان عليك فتتوكل لي على نفسك ، وتتعطف بجميل أخلاقك ، وترعى مني ما يرعاه الحرُّ من صديقه ، وتبقي عليَّ مما أجريت إليه ، فاستمرَّ بك اللجاجُ ، ووصلت ما أتيته في أمر فلان بإدامة النبوّ[3] عني ، والوضع مني ، وجعلتَ ذكري باللقب دون الاسم ، وبالاسم دون الكُنية ، وبالكُنية دون الدعاء ، وما هكذا أفعلُ عند ذكرك ، ولا أخللتُ بما يجب عليَّ من تعظيمك ووصف فضلك ومحاسنك ، ولولا الرغبةُ فيك ، والضنُّ بك لوجدت عن هذا القول مذهباً ومُنْتَدَحاً[4] ، ولكني ملَّكتك مني رقّ المودَّة فقلَّ صبري على سوء الملكة !

= شاعراً أيضاً مجوداً مطبوعاً فله ديوان رسائل وكتاب رسائله في فتح البصرة (الفهرست ١٩٧) .

(١) تمحَّل الشيء : طلبه بحيلة وتكلف ، وتمحل له : احتال .

(٢) السَّوْرة : الحدَّة . (سورة الخمر وغيرها) حِدتها ، وسورة المجد : أثره وعلامته وارتفاعه ، وسورة البرد : شدته ، وسورة السلطان : سطوته واعتداؤه .

(٣) ج ق ـ النبوة .

(٤) المنتدح : المكان الواسع . الندحة (بفتح النون وضمها وإسكان الدال) : ما اتسع من الأرض ومنه يقال : « لك عن هذا الأمر مُنْتَدَح ومندوحة أي سعة وفسحة وجِدّ » .

للقاسم الكرخي

القاسم بن محمد الكرخي : لو كنتُ أعلمُ أنك تعتب إذا عاتبت لشدوت من ذلك في مذهب لا أبلغ بك فيه القصوى ، ولا أقتصر منه على الأدنى ، ولا أُخليك من الاستزادة في غير شكوى ، والتعريف في غير تعنيف ، والاحتجاج في غير تبكيت[1] / ولا توقيف ، ولكنَّ شرَّ القول ما لم يسمع ، ولم يكن لقائله فيه مُنتفع[2] ، وأشبهُ البرِّ بالعقوق ما استُكْرِهَتْ عليه النفوس ، ولم يكن له باعث من النِّيّة والضمير : [٣١أ]

وليس بمغنٍ في المودَّة شافعٌ إذا لم يكنْ بين الضلُوع شَفيعُ

وما آمَنُ أن أكون قد عزرت بمن كتبت له إليك فإن كنت قد حلت عن كل جهة فهنيئاً لك سوء العهد .

فائدة الرسائل

وله : الكتب تُحْيي ما أماتَ الفراق ، وتجدِّدُ من عهد المودة ما أخلقَهُ الزمان ، وقد انقطعتْ بيننا انقطاعاً كاد يعرضُ الشك معه في اليقين المعتمد عليه ، والصحيح الموثوق به من إخائك ، على أني لا أصرف شيئاً من العتاب إليك إلاَّ عدتُ على نفسي بأمثاله لك ، واستوفيتُ عليها استيفاءً غيرَ مسامحٍ لها في المعذرة ، ولا معذرٍ في المعاتبة ، فإنَّ الحقوق بيننا توجب من التواصل ما نحن على ضدّه في ظاهر التعامل ، فأما ما تنطوي عليه النيَّات ودّاً وإخلاصاً فأرجو أن أكون فيه على منزلةٍ تُعجزُ المجتهد ، وأن تكون على مثلها ، وذلك هو الغرض المقصود ، والمغزى المأمول ، فإنَّ الواصلَ بنيّة وإن انقطعت كتبُه واصلٌ ، والواصلَ بنفسه إذا مَذَق ودَّه قاطعٌ .

رسالة أخرى

كاتب : أنت ـ أعزَّك الله ـ واجدٌ عندي مودةً غيرَ مَدْخُولةٍ[3] ، وعشرةً

(١) التبكيت : التقريع والتعنيف .

(٢) م ـ مستنقع .

(٣) للدخول : للعيب الفاسد وللؤنث مدخولة ، قال علي بن أبي طالب : « وأحلُّ حلالاً غير مدخول » ، ونخلة مدخولة : عفنة الجوف .

غيرَ مملولة ، ودوامَ عهدٍ على طُول المودة ، وحسن احتمال للصنيعة ، واستقلالاً يشكر العارفة[1] ، مع سعة العذر ، ولين المطالبة ، والتغمُّد بالصَّفْح عند الزَّلَّة ، والصبر على الجفوة في غير ذلَّة ، والتغابي الذي يجلب الغَفْلة ، واستفراغ المجهود في تحرِّي الموافقة ، ولست مسؤولاً إلاَّ ما تتعاطاهُ ممكناً ، وتبذله عفواً ، وتَنْهدُ له[2] مسرعاً ، وتأتيه مُختاراً ، فإن تقبل مابذلنا ، وتوجب ماسألنا فالفضلُ معك ، والرغبةُ إليك ، وإلاَّ فَحُطَّ ماأضعت ، ويسِّر ما مَنَعْتَ ، على ظننا يتجاوز حدَّ الظنون ، تشبيهاً بالعيان ، وقريباً من اليقين ، ألاَّ نفنّد رأيك ، ولا نسوء اختيارك إن شاء الله .

الحث على المواصلة

سعيد بن عبد الملك[3] في الحثِّ على المواصلة : أكرهُ أن أصفَ لك ولنفسي موضع العذر والقبول ، فيكون أحدنا مُعتذراً مُقصِّراً ، والآخر مُقبلاً[4] متفضِّلاً ، ولكني أذكرك ما في التلاقي من تجديد البرّ ، وفي التخلُّف من قلة الصبر ، واللهَ أسألُ أن يوفِّقك وإيَّانا لما تكون معه عُقبى شُكْر ، لا عُقبى صبر .

رسالة أخرى

كاتب : أخبرني ـ جعلني الله فداءَك ـ أحصلنا منك على اعتلالات تتحلَّلها ، ومعاذير نتخيَّلها ، في هجرٍ تُظهره ، وتدَّعي أنك لا تستشعره ،

---

(١) العارفة : العطية والمعروف ، فاعلة بمعنى مفعولة . والجمع عوارف .

(٢) نهد الرجل : نهض ومضى على كل حال بخلاف النهوض فإنه يكون عن قعود ومنه : « دخل المسجد فنهد الناس يسألونه » ، ونهد لعدوه وإلى عدوه نَهْداً ونَهَداً : صمد لهم وأسرع في قتالهم .

(٣) هو سعيد بن عبد الملك بن مروان الأموي الدمشقي ، كان حسن السيرة متعبداً ، وليَ الغزو في خلافة أخيه هشام ، وولي فلسطين للوليد وكان عاملاً على الموصل . قتل عام ١٣٢ هـ ، وكان يلقب بسعيد الخير (المعارف لابن قتيبة ١٥٧) .

(٤) ج ق ـ متقبلاً .

وجفاء تُبديه ، وتزعم أنك لا تنويه ، لا كانَ مَنْ قَبِلَ هذا ولا أفلح ، لأني إنّما أحبُّ اعتقاد الصديق لي الخير لتولينيه ، وأكره انطواء العذر لي على القبيح خوفاً من أن تبلينيه ، وإذا كان فعلاهما بي سِيّين[1] لم أعرف بهما فاصلاً ، لأن السرائر مُغيَّبة عن العِيان ، ولو لطَّلع عليها لما كان في صافيها نفعٌ ، ولا في دخل دخيلها ضرر ، ما لم يَبْدُ من أهل السوء والشر ، بل [لكان] العدو الذي أحذره ويسرُّني ، أحبُّ إليَّ من صديقٍ آمنه ويغرّني ، وأسكن إليه ويضرّني ، ولهذه العلة تراني أخالفُ أكثر الناس في هذا الباب وأقول : إن الواجب أن تردّ باطن الناس إلى ظاهرهم ، وتستشهدَ أفعالهم على سرائرهم ، إذ كانت الأفعال نتائجَ النيّات وثمراتِها ، وأسلك مع إخواني في هذا السبيل وأسألهم أن يُجْروني على مثل هذه الوتيرة ، ويعفوني من سريرة لا تُعلم مصدوقتها ، ولا تُعرف حقيقتها ، وأجريهم على ذلك فليس من العدل أن يطالب المرء لنفسه بما لا يبذله منها ، وإذا عاملتَ الصديق الذي تصافيه بالجفاء ، فقد حملتَه على السيرة في الأعداء ، وهذا فاحش الخطأ ، وأفحشُ منه أن تمنح العدو من الصلة تصنُّعاً ، ما تمنعه الصديق تطوُّعاً ، والله للمستعانُ وللمستودَعُ لما لديك ، والمُستزاد في الإحسان إليك .

من رسالة أخرى

كاتب : وليس يضيق بيننا أمر من جهة الحجة إلاّ اتّسع من قبل المودّة ، والحرمة ، والأسباب المتصلة .

من رسالة أخرى [٣٧ ب]

آخر : وأنت أيها الأخ في حال الجفوة إذا اعتمدتها أبرُّ من غيرك في حال / الصلة إذا توخّاها وقصدها .

رسالة أخرى

آخر : ولولا أنك قلتَ فقلت ، وكتبتَ فأجبت ، لكان ما عندك من المعرفة بموقعي منك في هذا وغيره مُغنياً عن الإفصاح ، ونائباً عن

---

(١) السِّيُّ : المساوي والمثل وهما سيّان أي مثلان والجمع أسواء .

الإيضاح ، وليس ينبغي لنا أن نتنازع فضلاً متى تفرّد به أحدُنا فهو شائعٌ بيننا ، إذ كان ما خصَّك فقد خصَّني ، وما شملَكَ فقد شمَلَني وأنا أسألُ الله إذا مَنَّ بالنعمة أن يجعلك المقدَّم فيها ، وإذا امتحن بمحنةٍ أن يجعلني وقايةً لك منها .

من رسالة لسعيد بن عبد الملك

كاتب : أنت تُعرض عني إعراضَ المتجرّم ، وترجع إذا رجعت رجوع المتذمّم[1] ، فأما ما سبق إلى قلبك من التهمة فكيف أُطنب في مساءتك ، وعلى قلبي من هواك رقيب يحجرُه أن يتصرّف إلاّ في إرادتك .

سعيد بن عبد الملك : أولُ أسباب المودّة ما أنت به عارف ، وله آلف ، وإن كنتُ لا أعتدُّ به برّاً ، بل أرى لك فيه منَّةً وحقّاً إذ صدقت المخيلة ، وخلصت على المحبَّة[2] ، ولست أستريب بما توجبه على حال من الأحوال ، بل أشكرك على النيَّة دون الفعل ، وتلك إرادة مثلي ومثلك ، وعندي مزيدٌ لكل ما تُحب ، وإسراعٌ إلى كل ما تهوى وتريد .

من رسالة أخرى

كاتب : والله لا قابَلَ إحسانَك مني كفرٌ ، ولا تبع إحساني إليكَ مَنٌّ ، ولك عندي يد لا أقبضها عن نفعك ، وأُخرى لا أبسطها إلى ظلمك ، فتجنَّب ما يسخطني فإني أصونُ وجهك عن ذلِّ الاعتذار .

لحمد بن مهران

حمد بن مِهْران : لي ـ أعزَّك الله ـ سابقُ حُرْمةٍ يحفظها مثلُك ولو اجترمتُ ، ومتقدَّمُ حقٍّ يرعاه كرمك ولو اقترفَت ، وسالفٌ لا ينقضه وفاؤك ولو اجترحت ، وخالص مودَّة لا يضيعه حياؤك ولو زَلَلْت .

لجعفر بن يحيى

جعفر بن يحيى[3] : عندنا الاغتفارُ لما اقترفت ، وتصديقُ كل ما قلت

(١) تنمم الرجل : استنكف يقال : « ولو لم أترك الكذب تأثماً تركته تذمماً » أي مجانبة للذّم .

(٢) ج ق ـ المحنة .

(٣) هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد العباسي ، ولد عام =

واحتججت بذكره ، واعتذرت بوصفه ، والإسقاط لما جحدته ، والإكذاب لِلْجَوْر الذي اقترفته ، والرجوع عما أنكرته ، والزيادة فيما اخترته ، استدعاءً لك وإن انصرفت ، وحياطةً لما قدمت وإن ذممت ، وإيثاراً للإغضاء والاحتمال فإنها أبلغُ في الإصلاح ، وأنجعُ في الاستنجاح ، وأبلغُ في التعليم ، وأكبرُ في التقويم ، وإن احتيج إليه في مثلك ممن تؤمن عليه قريحتُه ، وترده إلى الاستقامة تجربتُه .

لسليمان بن وهب

سليمان بن وَهْب[1] : من انصرفَ عن الحجَّة إلى الإقرار بما يُلزمه وإن لم يكن لازماً فقد لَطُف للاستعطاف ، واستوجب الْمُسَامَحَةَ والإنصاف .

لابن ثوابة

لابن ثوابة : وصل إليَّ كتابٌ مخالفٌ لما كنتُ أعرفُك به من الصَّفْح[2] ، والفضل ، والأخذ بمحاسن الأمور ، فإن كنتَ شفيتَ به غيظاً ، وبرَّدتَ به غليلاً فما أسهَلَهُ ، وإن كنتَ لم تندم عليه نَدَمَ المتنزّه عن سوء المجازاة ، ولم تراجع الجميل بعده فما أشَدَّه ، وأيُّ ذنب كان فأرجو أن لا يجتمع على عبدك الخطأ والإصرارُ على الذَّنْب ، ولا أفارق استصلاح رأيك ، وارتجاع ودّك ما حييت ولن لم أصل إلى حيازة ما كان لي منه ، فإني قانعٌ ببعضه ، ما استقلّ شيئاً من أقسامه ، ولا أيأسُ فيك من عُقْبى الأيام ، وحسن مراجعة الدهر حتى يكون هذا الذي حدث بيننا من ظلم وعتب منك نافياً

= ١٥٠ هـ ، ونكب مع البرامكة عام ١٨٧ هـ وكانت له توقيعات جيلة ، وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول وكرم اليد والنفس . قالوا في وصف حديثه : « جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة ، وإفهاماً يغنيه عن الإعادة » .

(١) هو سليمان بن وهب بن سعيد عمرو الحارثي الوزير ، كان من كبار الكتّاب من بيت كتابة وإنشاء في الشام والعراق ، ولد ببغداد وكتب للمأمون وهو ابن ١٤ عاماً ، وولي الوزارة للمهتدي بالله ثم للمعتمد على الله ، ونقم عليه للوفق بالله فحبسه فمات في حبسه عام ٢٧٢ هـ ، وله (ديوان رسائل) ، وكان من مفاخر عصره أدباً وعقلاً وعلماً ، ولأبي تمام والبحتري مدح به وبأهله .

(٢) ج ق ـ أتصفح .

لكل وحشة ، ومؤكداً لكل ثقة ، فلست فيما أنكرته بواجد[1] ، ولا الفضل في أخلاقك وشيمك بمستغرب .

لابن ثوابة أيضاً

وله : فإن رأيت أن أصفح[2] مستأنفاً ، كما صفحت متقدّماً ، وتتفضل عائداً كما كان الفضلُ منك بادئاً ، فإني قاطعٌ كلَّ سبب إلاّ ما وصلني بك ، وتاركٌ مكاتبة الناس جميعاً إلاّ مَنْ أجرى لي ذكراً عندك ، واستدعى إحساناً ورِفْداً منك .

لمحمد بن مكرم

لمحمد بن مُكرم : وخاتمةُ الأعذار بيني وبينك صدقي إياك عما عندي أنك لا تُحدث نَبْوةً ، إلاّ أحدثت لي عنك سَلْوة ، ولا يزدادُ أملي في إثابتك ضعفاً ، إلاّ ازدادت مُنَّتي في قطيعتك قوةً ، حتى لا أقبل العُتبى ، ولا أختار المراجعة ، وحتى يُسلمني لليأس منك إلى العزاء عنك ، فإنْ تَرْعَ فصفح لا[1] تثريب فيه ، وإن تمادیت فهجر[3] لا وصل بعده والسلام .

لمحمد بن مكرم أيضاً

وله : ما زالت نيّتي وسريرتي الحِفاظَ الحرَّ ، والوفاءَ المرَّ لإخواني عند النكبات كما قال حمّادُ عَجْرَد[4] :

أنا عبدُ الوفاء لا أطلب الدهرَ من الرقّ ما حييتُ فَكَاكا
وصل اللهُ لك بالصُّنع صُنعاً ، وبالمزيد مَزيداً

---

(١) واجد : غاضب .

(٢) ج ق ـ فتصفح فلا . التثريب : التقبيح .

(٣) ج ق ـ فتهجر فلا .

(٤) هو أبو عمرو وقيل أبو يحيى حماد بن عمر بن يونس المعروف بعجرد ، شاعر مشهور من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في العباسية ، ونادم الوليد بن يزيد الأموي ، وقدم بغداد في أيام المهدي ، ويقول ابن خلكان في الوفيات ١٦٥/١ : « وحماد عجرد من الشعراء المجيدين وبينه وبين بشار بن برد أهاج فاحشة » توفي حمّاد عام ١٦١ هـ .

للبصير

البصير[1] : من ذممتَ عهدَهُ ، واستقصرتَ فعلَهُ ، أو لبسته على التجاوز له عمَّا أنكر فأنت الأخُ المرضيُّ إخاؤه ، والمحمودُ عندي بلاؤه ، المخالطُ أمري بأمره ، في عُسره ويُسره ، الباذلُ ما لا أسأله ، والحاملُ لي على نفسه فوق ما أحمله ، ومن لا يُخلفني عدَّة المثابرة عليه ، ويخلُّ بموضعي عند إغبابي[2] إياه .

[٣٨أ] للبصير أيضاً

وله : فأما من احتج في إساءته وأغضبه على أخيه أن يستعتبَهُ / فقد جعل العقلَ خصمَه ، وظلمَ الإخاءَ حقَّه ، وما ساهلناك فيه ، أو حادثناك إياه فلفرطِ الضَّنِّ بك ، والمحاماةِ عن ودِّك ، والله يَقيني فيك ، ويدفع لي عنك .

شاعر :

وإذا ينوبُك والحوادث جَمَّةٌ حدثٌ حَداك إلى أخيك الأوثقِ[3]

طلب إخاء

كتب عُمَارة بن حمزة[4] إلى محمد بن زياد الحارثي يطلب إخاءه[5] :

أما بعد فإنَّ أهل الفضل في اللُّبِّ ، والوفاء في الودِّ ، والكرم في الحق لهم من الثناء الحسن في الناس لسانُ صدقٍ يُشيد بفضلهم ، ويُخبر عن صحة

(١) ورد ذكره في رسالة (مثالب الوزيرين) لأبي حيّان التوحيدي ٢٦٦ .

(٢) أغبّ الزائر القوم : جاءهم يوماً وترك يوماً ومنه : « فلان لا يُغبّنا عطاؤه » أي لا يأتينا يوماً دون يوم بل يأتينا كل يوم ، وأغبّته الحمى : أخذته يوماً وتركته آخر .

(٣) حدا يحدو حدواً وحُداءً وحِداءً الليلُ النهار ، تبعه ، وحدا الريح السحاب : ساقته .

(٤) هو عمارة بن حمزة بن ميمون من ولد عكرمة مولى ابن عباس ، كاتب من الولاة الأجواد الشعراء الصدور ، كان المنصور والمهدي العباسيان يرفعان قدره ، وكان من الدهاة وجمع له بين ولاية البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين . وفيه تيه شديد يضرب به المثل : « أتيه من عُمارة » . وله (ديوان رسائل) و (الرسالة الماهانية) و (رسالة الخميس) ، توفي عام ١٩٩ هـ .

(٥) ج ق ـ أخاه .

ودّهم ، وثقة مؤاخاتهم ، فتجوز لهم بذلك رعيّة الإخوان ، وتُصطفى لهم سلامة الصدور ، وتُجتنى لهم ثمرة القلوب ، ولقد لزمت من الوفاء والكرم فيما بينك ، وبين الناس طريقةً محمودةً نُسبت إلي مرتبها في الفضل ، وجَمُل بها ثناؤك في الذكر ، وشهدَ لك بها لسان الصدق ، فعُرفتَ بمناقبها ، وَوُسِمْتَ بمحاسنها ، وأسرع إليك الإخوان بمحبتهم مُسْتَبقين ، وبرغبتهم فيك متقاطرين ، يَبْتَدِرُونَ[1] ودّك ، ويَصِلُون حبلَك ، فمن أثبت الله عندك وداً فقد وضع خلته عندك موضع الحِرْز والثِّقة ، وملأ به يديه من أخي وفاءٍ وصلة ، واستنام بك إلى شِعبٍ مأمون ، وعهدٍ محفوظ ، وصار مغموراً بفضلك عليه في الود ، يتعاطى من مكافأتك ما لا يستطيع ، ويتطلب منه ما لا يلحق ، ولو كنت لا تؤاخي إلاّ من كان في وَزْنك ، وبلغ من الخلال مَبْلغَ حدّك ، ما آخيتَ أحداً ، ولكنتَ من الإخوان صِفْراً ، وقد رأيت أن آخذ بنصيبي من ودّك ، وأصِلَ وثيقةَ حَبْلي بحبلك ، وعلمت أن تركي ذلك غبنٌ ، وإضاعتي إياه جهل .

لعمارة بن حمزة أيضاً

وله : غير أنّي إنْ كنت مقصّرَ القوة ، فلست بمقصّرِ النيّة ، وإن كنت مقصّر الرأي ، فلست بمقصّر الرغبة .

لعمارة بن حمزة أيضاً

وله أيضاً : أما بعدُ فإن خير الإخوان من عَظُمَ حِلْمه ، وحَسُن لفظُه ، وشرُّهم من عجلتْ بادرتُه ، وساءتْ مقالتُه ، وقد عرفنا فضلك ، وعدنا إلى موافقتك ، فَصِلِ الأول من طَوْلك ، بالآخر من مراجعتك .

لعمارة بن حمزة أيضاً

وله : [لا تكن] كمن يرى الْحَسَن من نفسه ، ويتغابى عن الجميل من غيره ، وإني المأمونُ اليوم في إخائه ، المداومُ لمن عاهد بوفائه ، والغالبُ على الأكثر مَلَقُ النطق ، والتلافي بالظنون .

---

(١) بدر إلى الشيء بدوراً وبادر إليه مبادرة : أسرع وبدر إليه وبادره وابتدره : عاجله .

لابن المقفّع

ابن الْمُقفَّع[1] : أما بعدُ : أصلحنا الله وإياك صلاحاً دائماً يجمع لنا ولك به الفضيلة في العاجلة ، والكرامة في الآجلة ، فإني لا أعرف أمراً أعظم عند أهل منفعةٍ من أمر ترك ذكره لفضله ، ولا أعلم أمراً أحقّ بأن يستغني أهله بفضله عندهم عن ذكره فيما بينهم من أمرٍ أوشج[2] الله بيننا وبينك في الدنيا أسبابَه ، وثبّت حقوقه ، وعظّم حرمته فأبقى الله لنا ولك ما أحرزه بيننا وبينك في الدنيا حتى نكون إخواناً في الآخرة حين تصير الخلّة عداوة بين أهلها إلاّ خلّةَ المتّقين .

من رسالة لكاتب

كاتب : لا تجمعنّ دعوى السّراة ، وتكبُّر الولاة ، وتحكم القضاة .

من رسالة لكاتب

كاتب : لا تدعوكَ قوةُ ملكك لفضلك في صلة إخوانك إلى استصغار ما يتخلصون إليه من صلتك ، فإنك إن قايستهم بتفضلك عليهم قلّ كثيرُهم في جنب ما يأتيه إليهم .

من رسالة لكاتب

كاتب : إنا ـ حفظك الله ـ لو كنا قطعناك ثم كافأتنا بقطيعتك إيانا ما كان لك أن تُفْردنا بالذنب دون نفسك إذ صرت فيه نظيراً ، لأنك أنكرت علينا ما ركبته ، وطلبت منا ما تركته ، وقد علمت أن المكافئ لم يدع وراء ما فعل ، ولا يستوجب تقاصي ما جهل ، فاحكم لنا عليك بمثل ما تحكم به علينا لك .

لجرير بن يزيد

جرير بن يزيد[3] : أما بعدُ : فإنه لولا خلق الله له الناس من تقلّب

---

(١) هو عبد الله بن المقفّع إمام الكتّاب وللترجمين ، وواضع أسس الكتابة الفنية ، ولد عام ١٠٦ هـ ، وقتل في البصرة عام ١٤٢ هـ . ومن آثاره المشهورة : « كليلة ودمنة » و « الأدب الكبير » و « الأدب الصغير » و « اليتيمة » .

(٢) ج ق ـ أرسخ ، وشجت : اشتبكت ، وأوشج : شبك وألف وخلط ومنها : رحم وشيجة : مشتبكة متصلة .

(٣) ورد ذكره في كتاب الحيوان للجاحظ ٨٤/٧ ، وفي البيان والتبيين ٢٠٦/٣ .

قلوبهم ، وتصرُّف حالاتهم ونيَّاتهم واختلافهم ، لَمَا تشعَّبوا من أصلهم ، ولا ائتلف منهم اثنان بعد تشعبُّهم ، ولا بدَّ فيما يحدث بين الناس من علل الوحشة ، وأسباب العداوة والفُرقة ، ويجري بينهم من المودة ودواعي الصلة من سابقٍ ومسبوقٍ ، وداعٍ ومُجيبٍ ، فسابقٌ إلى قطيعة يجتني بها من صاحبه الوحشة ، ومبتدئٌ بصلةٍ يجتلبُ بها من صاحبه الثقة ، ويزرع بها في قلبه المِقة[1] ، وقد بلغني عنك في وفائك وفضلك ما حرَّكني لودّك ، ورغَّبني في خلّتك ، ودَعاني إلى طلب فضلك ، فأجبت دعاءك إلى الصلة والملاطفة بما أحسستُ لك من الثقة ، وحدث لي فيك من الرغبة ، فاقبل ما بدا لك من ودّنا ، وأحسنِ الإجابةَ إلى ما دعوناك إليه من إخائنا ، واتبعْنا بإحسان إذ كان الابتداءُ منا ، فإن المجيبَ إلى الجميل شريكُ الراغب فيه / وإن المكافِيءَ به شكلٌ لِمُسْديه ، ولا تكرهنَّ أن تكون لنا إذ دعوناك مُجيباً ، وإذ سبقناك بالفضيلة تابعاً ، فإنّا قد أحسنّا إجابة فضلك ، واعلم أنك لو كنت سبقتنا إلى الصلة ، وتقدمتنا إلى الرغبة ، وطلبت فضلنا عليك بالمودة كنت بذلك للطَّوْل أهلاً ، وبه جديراً ، لأن مثلَك في فضلك عطفَ نفسه على نفسه ، ومثلَنا رَغِبَ في صلته . [٣٨ ب]

للحسن بن وهب إلى أبي صالح

الحسَن بن وَهْب[2] إلى أبي صالح : لولا اتِّكالي عليك ، لكثرتْ كُتُبي إليك ، وإذا استحكمت الثقةُ نقص البِرُّ ، لما يدخل النفوس من الكسل عن العمل ، والاسترسال إلى الاتِّكال .

جواب أبي صالح

فكتب إليه أبو صالح وكتب في آخره :

يا مُشفقاً حذراً على ودِّي له ... كُنْ كيف شئتَ فإنني بك واثقُ

(١) ومقه يمقُه وَمْقاً ومَقَةً : أحبّه فهو وامق وذاك وميق ومومق .

(٢) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين كاتب وشاعر ، كان معاصراً لأبي تمّام وله معه أخبار . مات عام ٢٥٠ هـ .

من رسالة لكاتب

كاتب : صمتتْ مخاصمةً نفسي لك بلسان عذرك ، فأنا وكيلُك على ما أصلح من قلبي لك ، وأمينُك على القيام على نفسي بحجّتك .

لسعيد بن حميد

سعيد بن حَميد[1] : أنا ـ جُعلتُ فداءَك ـ أعتذر إليك بالشغل ، وأعذرك به ، وأرى أن من سلمت نيّتُه ، وصحّت علانيتُه ومودّته ، لم يقدح في الثقة به ، ولم يكن في تأخير كتبه ورسله ما يُزيلُ إخاءه عن عهد ، والله يديم نعمه لك ، ويقدمني قبلك .

لحمد بن مهران

حمد بن مهران : وأما فلان فهو والله النفيسُ وُدّاً ، والوفيُّ عَهْداً ، والبعيدُ من الأذى ، الصافي من القذى ، المتوطئُ سرّاً وإعلاناً في إعظامك ، وشكر إنعامك ، والابتهاج بأيامك ، وأكره حثّك على زيادته فيكون قدحاً في رعايتك الذمام لأهله ، وسوء ظن بما توجبه لمثله ، وكتابك إذا ورد آنسَ وسرَّ ، إلى أن نستغني بالنظر عن الخبر ، وعن التكاتب بالتزاور .

من رسالة لكاتب

كاتب : تفضلُك يا أخي ـ أدام الله عِزَّك ـ في وقتٍ يتظاهر عليَّ ، وبرّك يتوالى ويتضاعف لديّ ، وإن كان شكري دون ما تستحقه ، فقد جلَّ ما أوليتنيه عن الشكر ، وأنت الذي بلّغتني ما أردتُه ، وأوطأتني خدّ الزمان على قَسْر ، وما زلتُ ـ يعلمُ الله ـ قبل للمشاهدة ، أعِدُ نفسي منك بجميل المساعدة ، وعظيم المعاضدة ، ثم وقع الالتقاءُ فصدق مخايل الفراسة ، وبيَّن آثار النَّفاسة ، وقد ـ والله ـ استخلصتني أخاً صادقَ الإخاء ، خالصاً من الأقذاء ، يتّصل شكره واعتداده ، وتدوم محبتُه وودادُه ، فإن كان سيدُنا عظيمَ الرعاية ، كثيرَ الإيجاب والعناية ، فالمنّة فيما ألفيته عليه من

(١) هو أبو عثمان سعيد بن حميد بن سعيد كاتب مترسل ، من الشعراء ، أصله من النهروان الأوسط من أبناء الدهاقين ومولده بغداد ، قلّده المستعين العباسي ديوان رسائله . أكثر أخباره مناقضات له مع فضل الشاعرة ، وشعره رقيق ، وكان ينحو فيه منحى ابن أبي ربيعة . توفي عام ٢٥٠ هـ .

ذلك لك ، لأنك جدّدت ما دَرَس ذكرُه ، وأحييت ما تقادمَ عهدُه ، ووكّدت اليد عند من تنمى عنده ، وأنا أسأل الله أن يُعلي يدك بالمكارم والفضائل ، ويبسطها بالعُرْف والنائل ، ولا يُخليك من جميل أقسامه ، وجزيل مواهبه وإنعامه ، ومهما شككتُ في شيء أو ارتبتُ به فما يتخالجني[1] شكٌّ ولا لرتيابٌ في أنه لامزيد في نيّتك ، ولا عناية فوق عنايتك ، وإلى هذا اليقين قد سكنتْ نفسي ، وبقوة الأمل فيك قويتْ مُنّتي ، وبحمايتك إياي استدركني ، وبإزالتك ما أحذر زالت الفكرةُ عني ، فلا أعدمنيك اللهُ ، وبلّغك أمانيك ، وبلّغني غاية المحابّ فيك .

شاعر :

وحشة الدار

أجيرانَنا ما أوحشَ الدارَ بعدكم ... إذا غبتمُ عنها ونحن حُضُورُ

من رسالة لكاتب

كاتب : أنا أخوك للشاركُ لك في نعمتك الذي ـ يعلم اللهُ ـ إنك تضعه بحيث يريد لنفسه من قلبك ونظرك ، وأنت الذي لا أستزيد ولا أحتاج إلى كدّه لاكتفائي بعفوه وحسن ظني به لمن ليس مثلي من أهله .

من رسالة لكاتب

كاتب : قد فتحت عليَّ بابَ المعتبة ، وأحْوجتَني إلى أن أغلقه عني بالمعذرة والحجّة ، وكلّفتَني من ذلك مالم يكن لي خُلُقاً ولا عادةً ، ورأيتك عجلت فقبلت صيغة لسان كاذب ، واستعملت مقالةَ بائر فاجر ، فاستمع وأنصف ، ولا يذهبنّ بك هوىً مُسرف ، ولا يغلبنّ عليك شيء سبق إلى أُذنٍ أو قلبٍ ، فليس لك أن تغفل ولا تتغافل ، ولا تجعل توهماً كحق ، ولا يقيناً كشك .

من رسالة لكاتب

كاتب : أنا من الشوق إليك على ما يستوي في العجز عن وصفه

---

(١) تخالج في صدره شيء : شك فيه .

الخطيب المِصْقَع[1] ، والعيّ المُفْحَم ، وحقٌ لمن فقدك ألا يقنع ، بغيرك ، ولا يسكن قلبُه دونك ، لأن الله جعلك صفواً لا كدَرَ فيه ، ووفاء لا غَدْر معه ، فأمّا ما ذكرت مما توجبه لي وتتحرّاه فيّ ، فتفضُّلك الذي سبق استيجَابي ، وبرُّك الذي تقدم استحقاقي ، وحقيقٌ من جمع اللهُ له خصال الفضل ماجمع لك بربّ[2] معروفٍ أسداه ، وإتمام جميلٍ ابتداه .

من رسالة لكاتب

كاتب : لو اعتصم شوقي بمثل سُلُوّك عن صلتي ، لم أبتذل لك وجه الرغبة فيك ، ولا تحسَّيت مرارة تماديك ، ولكن استَخفَّتْني صَبَابةً إليك ، فاحتملتُ صعبَ قسوتك ، لعظيم قدر مودتك ، وأنت أحقُّ من انتصر لصلتي مِنْ جفائه ، ولشوقي مِنْ إبطائه .

لإبراهيم بن المدبّر [٣٩أ]

إبراهيم بن المُدَبِّر[3] : ذكرتَ ـ جعلني اللهُ فداءَك ـ خوفَك إملالي ، والزيادة في إشغالي بكثرة / كتبك ، فأقول أخي قدمت قبلك ، لم أُرزق فيما قلته عدلك ، هل يملُّ الروح جسده ، والجسدُ جوارحَه ، والجوارحُ سلامَتها ، والسلامةُ دوامَها ؟ ظلمتني عفا الله عنك ، فأما الشغلُ فيك ولك ، فإنه غيرُ منقطع بذكرك والفكر فيك ، والشوق والنزاعُ إليك ، والخوضُ والإفاضة في محاسنك ، والله وليُّ جمعنا سريعاً بما هو أهلُه ، وقد كان والله قلبي شديد التَّطلُّع إلى ورود خبرك ، وعلم وصول كتابي إليك لما كان يتصورُ لي من ابتهاجك به وأُنسك بقراءته ، قياساً غيرَ فاسد على موقع كتابك مني ، وجلالته في نفسي ، واغتباطي به ، وسكوني إليه ، وسروري به ، فالحمد لله الذي تفضَّل من ذلك بما هو أهله ووليّه .

---

(١) للصقع : البليغ ، العالي الصوت ، من لا يرتج عليه في كلامه .

(٢) ربٌ : جمع وزاد ولزم ، وربَّ الأمر : أصلحه .

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبّر ، وزير من الكتّاب المترسلين الشعراء من أهل بغداد استوزره المعتمد العباسي لما خرج من سامراء يريد مصر عام ٢٦٩ هـ ، وتوفي ببغداد متقلداً ديوان الضياع للمعتضد عام ٢٧٩ هـ .

لإبراهيم بن المدبّر أيضاً

وله : إني ـ لا أفقدني اللهُ فائدةَ ودّك ـ لَمَّا فقدت ما كنت تطالعني به من كتبك التي كانت مُنتزهات بصري ، ومراتعَ لُبّي ، ومسارَّ قلبي ، وكنتَ لا تُخليني منها ، مُبتدئاً أو مُجيباً ، ولا تحوجُني إلى التحريك فيها مستطبباً أو مستزيداً ، أعملتُ الفكر في ذلك فقلت : أجفوةٌ ؟ فكيف يجفُو من ليس الجفاءُ من طبعه ، أم نَبْوَةٌ ؟ فكيف ينبُو الشَّكْل عن شَكْله ، أم شغلٌ ؟ فهلاَّ جعلني من شغله ، أم عِلَّةٌ ؟ فكانت أحْرى للنادرة بخبره ، أم فرطُ ثقة منه بي ؟ فذلك لَعَمْري أشبهُ به ، فلما كانت هذه الخلَّة أثبتَ في الوهم ، وأغلبَ في الظنّ سَكَنَتْ نفسي إليها ، وأتت مع سكونها إلاَّ ماعودتها من النعمة بالمكاتبة ، والإيناس بخبر السلامة .

لسعيد بنَ حميد

سعيد بن حَميد : ولكنك ـ واللهُ يتولى عونَك ـ لا تضعف عن حقٍّ وإنْ عَرضتْ دونه العلل ، ولا يتسهَّل لك سبيل إلى التقصير وإن سهَّلها العُذْر .

لسعيد بن حميد أيضاً

وله إلى محمد بن عيسى : فأمَّا الوحشةُ لفراقك فعلى حسب الأنس بقربك ، والسرور بمكانك ، وما وهب اللهُ منك لإخوانك فإنك بحمد الله ممن لا يدخر بودهم مودّة[1] ، ولا ينفردُ عنهم بنعمة ، ولا يُؤْثِرُ نفسَهُ عليهم في فائدة ، ولا يُسلمهم عند ثُلْمَةٍ[2] ، ولا يُخليهم من محافظة ورعاية ، ولا أدري أأدعو لك بدوام الحال التي أنت فيها فأعقّ نفسي ، وأوثر برّك ، إلاَّ أنني أسألُ اللهَ أن يُحسن لك الاختيار حيث استقرَّتْ بك الدارُ ، وتصرفت بك الحالُ ، وأن يَقِيَنا فيك نوائبَ الأقدار ، وحوادثَ الأيام ، بمنِّهِ وطَوْله .

---

(١) ج ق ـ عنهم بوده .

(٢) ثَلم الحائط وغيره ثَلْماً : أحدث فيه خللاً ، وثلم الإناء : كسره من حافته . ومن المجاز : « هذا مما يكلم الدين ، ويثلم اليقين ، وموت فلان ثلمة في الإسلام لا تسدّ » .

لسعيد بن حنيف

سعيد بن حنيف : يا سيِّدَ أخيه ، ومولى عبده ، ونسيجَ وحده ، وقريعَ زمانه ، ومالكَ قلوبِ إخوانه ، أطالَ اللهُ بقاءَك ، وقفتُ من رقعتك ـ أعزَّك الله ـ على ما أذكرني الفراقَ قبل وقته ، وعجَّل لي الاستيحاش ولم يَحُنْ حينُه ، وهيَّج ـ والله ـ عليَّ أحزاناً قد كان متقادمُها دفيناً يُرجى زوالُه ، فعلا مكيناً يُحْذَرُ استفحالُه ، وأخطرَ ببالي ذكرَ أبياتٍ ودَّعتُ بها أخاً فارقنا مرتحلاً من طرسوس إلى الرملة ، وكان كثيرَ الإخوان ، فودعه كلُّ مَنْ شيَّعه من المنادمين بكلامٍ منثورٍ ، وشعرٍ مأثورٍ ، ونحن إذ ذاك أحداثٌ وأترابٌ فكتبتُ إليه :

أبا بكرٍ لئن صَرَفَتْكَ عنَّا ... تصاريفُ الحوادثِ والدُّهُورِ
لقبلكَ نحنُ للشام ارتحلنا ... وإن كنَّا أقمنا بالثُّغورِ
فلم نرحلْ بأنفسنا ولكن ... بمَحْضِ الشَّوقِ عن مُهَجِ الصُّدورِ
فَقَدْتُ بفقدك الودَّ المصفَّى ... وأخلاقاً تكشفتْ عن بُدُورِ
أُشيِّعُه إلى سَفَرٍ كأنِّي ... أُشيِّعُ والديَّ إلى القُبُورِ
وما ودعتُه إلاَّ ونفسي ... تودِّعني بتوديعِ السُّرورِ
ولا أتبعتُه باللحظ إلاَّ ... رَدَدْتُ اللَّحْظَ عن طَرْفٍ حَسيرِ
أُدافع عن مفارقتَيْه جهدي ... وكيف دفاع مقدُور الأمورِ
وكان الشهرُ قبل اليوم يوماً ... فصار اليومَ بعدك كالشُّهورِ
إذا ما الليلُ أخلصني محبّاً ... وأسلمني إلى طَرْفٍ سَهُورِ
أُناجي فكرةً أدنو وتنأى ... وتنطقُ حين أسكتُ عن ضميري
تسافرُ وهي لو صدقت مناها ... تمنَّت صدق ها ذاك المسيرِ
إذا لم أستطعْ بالدمع حُزناً ... على يوم الفراق فمن مُجيري ؟
أما حكم قضى حكم افتراقٍ ... على جمع الأحبَّة بالقَديرِ

لأحمد بن سعد

أحمد بن سعد : ومهما أنكرت على نفسي ثباتاً على عهدك ، ومقاماً على طاعتك ، تحسن لي القبيح من فعلك ، وتتخطّى بي في مقابلة العَتْب إلى العُتْبى ، والسُّخط إلى الرِّضا ، وتقرب عندي من أسباب عذرك ما بَعُد ، وتوضّح من غامضه ما أشكل ، حتى إذا أغناني الإنصافَ منك لم تَنُبْ عنك منزلةُ الاعتراف التي تقتضيك الصفحَ عن الذنب ، فكيف البراءة والعذر / فإن كنت محقّاً فالحجّةُ معي ، وإن كنت جانياً فهذا عُذري . [٣٩ ب]

وله : فكيف صرت تعذرُ نفسك وتعذلُني ، وتُعفيها وتطالبني ، وكان الحقُّ عليك في تعهدي أوجبَ منه عليَّ لفراغك وشغلي ، وتمهلك وعجلتي ، واستقرارك ووقاري ، وأنت تعلم أني لم أقرأ لك كتاباً إلاّ هذا الكتاب المشحون بالعتاب ، فإن شئت الآن أن تستعمل المسامحة فإنّما تخص بذلك نفسك ، وإن شئت أن تستقصيَ المحاسبة فما أراك تتعداها بالحجّة إلى غيرك ، وجملة الأمر عندي بذلُ العتبى ، وَوَقْفُ نفسي على طاعتك .

كاتب : ووجدتُ استصغارَك لعظيم ذنبي ، أعظم لقدر تجاوزك عني ، ولعمري ما جلَّ ذنبٌ يُقاس إلى فضلك ، ولا عَظُمَ جرمٌ يُضافُ إلى صفحك ، ويعول فيه على كرم عفوك ، وإن كان قد وسعه حلمُك ، فأصبح جليلُه عندك مُحتقراً ، وعظيمُه لديك مُستصغراً ، إنه عندي لفي أقبح صُور الذُّنوب ، وأعلى رتب العيوب ، غير أنه لولا بوادر السُّفهاء ، لم تُعْرف فضائل الحلماء ، ولولا ظهورُ نقص بعض الأتباع لم يَبِنْ جمالُ الرؤساء ، ولولا إلمامُ الملمّين بالذنب لبطلَ تطولُ المتطولين بالصفح ، وإني لأرجو أن يمنحك اللهُ السلامة بطلبك لها ، ويُقيلك العثرات بإقالتك أهلها ، وما علمت أني وقفت منك على نعمةٍ أتدبرها إلاّ وجدتُها تشتمل على فائدة فضل ، تتبعُها عائدةُ عقل .

رسالة لكاتب

كاتب : وفضل مُلك الإنعام ألزم[1] من مُلك الرِّق ، ورقُّ الحر أفخرُ من رِقّ العبد ، والعبدُ يُعطيك طاعته طَوْعاً ، وقد حُزْتَ مني طاعة العبد بنعمتك ، وشكر المعتقِ بمنّتك ، ولا تزالُ دواعي الحِفاظ تقتضيني الكتابَ إليك بما انطوى عليه لك ، فأكتبُ إليك إذا كتبتُ متعهداً بالخدمة ، وأتركُ إذا تركتُ إجلالاً ومهابةً ، فإن أنزلتَ ذلك مني منزلته عندي جريتُ على سبيلي فيه ، فإن مثلت لي غيره صِرْت إليه إن شاء الله .

لسعيد بن حميد

سعيد بنَ حميد : ولو قلتُ إن الحق مُسْقط عني عيادتك لأني عليل بعلتك لصدقني الشاهدُ العَدْلُ من ضميرك ، والأبرّ البادي من حالي لعينك ، وأصحُّ الخبر ما حققه الأثر ، وأفضلُ القول ما كان عليه دليلٌ من الفعل .

من رسالة لكاتب

كاتب : وحضرتُه في مواطن العفو والعقوبة ، فرأيتُه لا يتوخّى لعفوه إلاّ من يرجُو نزوعَه عن الذنب ، ولا يتجاوزُ بعقوبته إذا عاقب قدرَ مبلغ الجرم ، ولا يؤاخذ بالإساءة من لم يتعمدها ، ولا يحرم العائدة من استحقها ، قد شاورتُه في أمور ، فجمع لي العلمَ والنصيحةَ ، واستعنتُه على دهري فجمع لي لُطْف المكيدة ، وبَسَالَةَ النَّجدة ، واستودعتُه سري فوليه بالحِفاظ والأمانة ، ووقفتُه على ما أهوى فحطَّ إليه بالاجتهاد والمُسَارعة ، وعرَّفته ما أكرهُ فأدبر عنه بالتَّوقي والهيْبَة ، ورأيتُه مضطلعاً بالنوائب ، صَبوراً على الحق الواجب ، مُحافظاً على الحقائق ، لازماً لعُرى الوثائق ، يقفُ عند الشُّبهة ، ولا يُخشى إقدامه قبل التثبُّت ، وأحزم عند المعرفة فلا يخاف بصنعه للتقدم بالحزم ، يتغالبى عن كثيرٍ مما يكره من رأي الإخوان والخلطاء ، إمَّا إغضاءً من كرم يكره التوقيف على التقصير ، وإمَّا محاجزةً من أريبٍ يكره المكاشفة فلا يعجل إلى العتاب حتى ينظر في مواقع العذر ، ولا يلوم اللائمة حتى يبلغ غاية الفحص ، ورأيت أحبَّ الأمور إليه

(١) م - ألوم .

أوسطها ، وأخفُّ الحالات عليه أقصدها ، من غير أن يدع الاستكثار من الإحسان بجهده ، والتحفظ من الإساءة بمبلغ رأيه ، لا غاية لحرصه على اعتقاد الفصل ، ولا نهاية لرغبته في مجانبة التقصير ، لا يستخفُّه السرور ، ولا يضعضعه المكروه ، ولا تزدهيه الحاجة ، ولا تمهله الضرورة ، قد قدّر أموره على الصدق ، ونزَّهَ نفسه عن الكذب ، مُعظماً لكل ما يُسدى إليه من الجميل ، مُجتهداً لنفسه في أداء ما يجبُ عليه من الشكر ، لا يقتصر من المكافأة على السواء دون أن يتجاوزه إلى الإفضال ، لا يُتبع صنيعتَهُ منّاً ، ولا يلتمس منها عِوَضاً ، ولا يُلْزِم أهلها بها مكافأةً ولا شكراً ، إنَّما غايتُه في الإحسان احترازُ الفضل ، واكتسابُ الحمد ، واحتسابُ الأجر ، قد حطَّه التدبيرُ عن التبذير ، ورَدَعَه الجورُ عن التقدير ، فهو الذي لا تجاوزه همَّتُك في فضل ، ولا يقصر عنك رأيك في اختبار ، بل أعظم الحاجة إليه من إخوانك ، وعندهم به أعظمُ الغنى / عنك في نوائب دهرك ، وتنقُّل الحالات [٤٠أ] بك ، قد كفيناكَ خبرته ، واعتقدنا لك إخاءه وثقته ، فالقه بألطفِ بِشْرك ، وأحسنِ قبولك ، واخفضْ له كنَفَك ، وأخلص بينه وبينك مودّتك ، واسترسل إليه بذات نفسك ، واسكُنْ إليه بمكنُون سرِّك ، وأدْخِلْهُ معك في مُهمِّ أمرك ، فإنك تبلغ بيسير خلطته من معرفة فضله ، وكرم إخائه ، وصحة وفائه ، ونُبل رأيه ما يكتفي به دليلاً على كل ما تحبّ علمه من أمره .

لكلثوم بن عمرو العتّابي

كلثوم بن عمرو العتّابي كتب إلى ريطة عن حفصةَ ابنته :

إنَّ أول حاجتي إليكِ أن تتدبري كتابي إليكِ تدَبُّرَ إنصافٍ ، ثم تُجيبني عنه جوابَ متثبِّتٍ ، فإنَّ أخفى الْجَوْر جَوْرُ الاستماع ، وأنفعَ العدل عدلُ الجواب ، وليس فيما بين هاتين موضعُ قدم لواحدٍ من الأمرين ، وأصلُ

اختلاف العباد في جميع الأمور من علّتين : إمّا جهل بما يدّعون ، وإمّا جَحْدٌ لما يعرفون ، والجاهل بما يدّعي أرجى رَجْعَةً من الجاحد لما يعرف ، وإن كان لاعذرَ له في ترك علم ما يجهل ، كما لاعُذْرَ لأحدٍ في جحد معروف ، ولستُ أدري إذا ناضحت حجّته أيّ حاليْه أوْلى بالتعانيف ، أجَهْلُه من جميلٍ كنتُ أفعلُه ؟ أم جحدَه بعد تعريف وتوقيف ؟ وما اقتصرت بك على أدنى حال الإنصاف ألاّ أكون راجيةً أن أجدك في أفضلها ، ولكني نهضتُ إلى الانتصاح من لا يميل بواضح يُغنيني عن شبه المعاذير ، ولم آمن مع ذلك أن تظنّني أني إلى مشكلات الأمور مضطرةً ، ولم أكن لأقدم الوهن ، وأخلف القوة ، ومع ذلك فإنّ من الحق ما يُخْبِئُ نارَ اللجاجة ، ومنه ما يُذكيها ، فأتيتك من أقرب مأتاكِ ، فلا يكُونَنّ ما أفدت به رضاك علةً لمنعه فإن هذه التي انتصلت علتها قبل اللجاجة والأراجيف ابتدأت في مقارعة القطيعة والصِّلة ووقفت بينهما موقف المراهنة ، ولكِ ، أصلحكِ الله ، طَوْلٌ على العَتْب وعلى ذلّ الاعتذار ، فلا يطمسُ ذلك نورَ ما يرد عليكِ فإني أعتدُّ عليك خصالاً في كلّها ضُربت الأمثال منها قول أكثم بن صيفي : الجودُ بالمجهودُ مُنْتهى الجود ، وأنتِ تعلمينَ أن مجهودي كلّه كان لكِ ، ومنه قول النابغة :

إذا كان مجبولاً على النُّصح صاحبي عَفَا النصح عما زَلّ من حيثُ لا يَدْري

وما استزدتني نصيحة قط ، ولا اتّهمْتني على غش ، ومنه قول طَرَفة :

مالي إليك شفيعٌ أستعينُ به إلاّ رجائي وإفراديك بالأمل

وما استبطأتكِ في أمرٍ قط ، ولا أشرتُ بأملي إلى سواكِ ، فأيُّ مدخلٍ للتهمة مع هذه الحال ، وإن أجمع لصفةِ ما بيننا كقول الأعْشى :

وما تفيأتُ من سرورٍ فتمّ إلاّ بكم سُروري

هذه أعيانُ وسائلي التي نافرتُ إليها عَتْبك ، واستعفيتُ من جحدها علمك ، فأما ما يأخذه التخلُّق ويكون مثله على بعض الإخوان من بعض الشبهة من إيثار الهوى ، وتحرّي للموافقة ، والصبر على الجَفْوة ، فذاك الذي إن ضرب لي سهم في إنصافكِ فقد ينال ذلك بأقلَّ مما كنت تدَّعينَهُ ، وأمّا الغَيْبَةُ فيما بيني وبينكِ ، فقد أمكنكِ من ذلك الاعتدادُ به ، ومحاكمتكِ إلى ما هو أرجى منه .

من رسالة لكاتب

كاتب : واعلم أنَّ الشجر يتفاضل في الثمر ، فربَّ شجرةٍ طيبةِ الْحَمْل قليلتُه ، وأُخرى خبيثةِ الحمل كثيرتُه ، وكذلك العُلماء ، فلا يمنعك من عالم قلةُ علمه إذا كان نافعاً ، ولا يَدعونَّك إلى عالمٍ كثرةُ علمه إذا كان ضارّاً ، وعليكَ بحسن الاقتباس ، والصبر على الناس ، فإنك إن كنتَ لا تصحب إلاَّ المهذَّبين من أهل العقول ، ولم تصبر من الناس على الفضول ، عدمتَ الحِلْم ، ونسيتَ العلم ، واعلمْ أن في الناس حكمة ، ومجالستهم تجلو بعض الظلمة ، فاحتملهم على المخالفة وتمويه المصادقة ، واقتبس منهم المحاسن ، وتجافَ عن المساوئ ، واعلم أن الأخلاَّءَ ثلاثةُ أصناف : فرع بائن من أصله ، وأصل متصل بفرعه ، وفرع ليس له أصل ، فأما الفرعُ البائن من أصله فإخاءٌ بُنِيَ على مودّة ثم انقضت فحافظ على ذِمام الصُّحبة ، وأما الأصل المتصل بفرعه فإخاءٌ / أصله الكرم ، وأغصانه الهوى ، وأما الفرع الذي ليس له أصل فالمموّه الظاهر الذي ليس له باطن ، ولهذه الصنوف علامات تدلُّ عليها هذه الحالات .

أصناف الأخلاء

[٤٠ ب]

أنواع الإخوان

ومن الإخوان كالجوهر ، منه مموّه مَصْنُوع ، وبعضُه خالصٌ مطبوع ، فاعْرِفِ الرجالَ بالْخَبَر ، كما تسبر الجوهر بالبَصَر ، واعلم أن ثِقات الإخوان ، بقدر ما يستوجبون من الائتمان ، فإن ميزان الكرام عادل ، وصَاعَهم كامل ،

يوفّيان الحالات فروضها ، ولا يَبْخَسانِها حقوقَها ، فلو بلغت لرجل فوق قسطه في الإخاء خفَّت على ذي الفضل ، أو قصَّرت بآخر عن الوفاء ، وأزرت بأهل العدل ، واعلم أن لأهل الفضل حظوظاً مقسومة ، ومنازلَ معلومة ، بعضُها أشرفُ من بعض ، ولكل منزلةٍ حِمَاها ، لهم الفعال فليست تصلح إلاَّ لهم ، واعلم أن أبناء الكرام بمنزلة سيل الغمام ، يُنسبون إلى الكرم مالم يبلهم الخبر ، كما يُنسب الغَيْثُ إلى المنفعة مالم يُبْدُ له ضرر ، فإذا بلوا حُمد المحمود ، وذُمَّ المنكود .

لأبي الربيع

أبو الربيع[1] : ما إن بلوتُ أحداً إلاَّ ردَّني إليك ابتلاؤه ، ولا قفوتُ أثراً إلا عطفني عليك اقتفاؤه ، ولئن امتحنتَ سريرة قلبي بالشكر على إحسانك ، كما امتحنت عزيمة رأيي بالصبر على حِرْمانك ، لتهجمن بك شهود من ظاهر فعال على عيونٍ تُبصرُ بها باطنَ وفاءٍ ، وأن تحملني حفاظك ، وتلبسني ذمامك ، ويشتمل عليَّ وفاؤك ، وينفعني اليوم ما سلفت فيك بالأمس أكن وكيلاً لسمعك في قلبي ، وأميناً لعَيْنك عليَّ ، فإني خفيفُ المؤونة ، لطيفُ المعونة ، لا قابل غنماً ، ولا سائل[2] أكلاً ، ولا ساخط منك منزلة فُوَيْق العامة ، ودُوَيْن الخاصة ، مالم ترفعْني فوقَها ، وتوجبْ لي ضعفها .

---

(١) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع أديب ، كان من رجال المعتصم العباسي ، ولد عام ٢١٨ هـ وتوفي عام ٢٧٢ هـ ، له تصانيف منها : (سلوك المالك في تدبير الممالك) .

(٢) ج ق ـ سأل .

من رسالة لكاتب

كاتب : ما إن يكلفني على معروفه من الثمن ، إلاّ الإقرار له بالمِنَن ، وله عليّ المِنَّةُ والنِّعْمَةُ ، والطَّوْل والحجَّة ، فيما ترك وصَنَع ، وأعطى ومَنَع ، والله لقد بذل فكان بذلُه طويلاً يُرْبي على حقي ، ومَنَع فكان منعُه أدباً يعطفني على حظّي ، وعاتب فكان عتابُه تجديداً لنعمهِ عندي ، وتحضيضاً على تقوية نيّته في نَفْعي .

ليوسف بن القاسم

يوسف بن القاسم بن صبيح[1] إلى محمد بن زياد : حفظك اللهُ وحاطك ، رأيتُك ـ أكرمك اللهُ ـ في خرجتك هذه رغبتَ عن مواصلتنا بكتبك ، وإبلاغنا طيِّبَ خبرك ، وقطعتنا قطع ذي السلوة ، أو أخي المَلّة[2] ، حتى كأنك كنتَ إلى مفارقتنا مُشتاقاً ، وإلى البعد منا تَوّاقاً ، فوقع بعدك بحيث توخَيْت من جهتين : إحداهما حلاوة الولاية ، والأخرى لذة الراحة ، فإن يكن ذلك كما رجمناه قاطعناكَ مُجْملين ، أو لبسناك على يقين ، وإن يكن إدلالاً بهدية أعددتها لنا من ناحية عملك ، فليس قَدْرُ الهدايا وإن كثُرت ، ولا الفوائد وإن جلَّت احتمالَ لؤم الإخوان إذا كانت الهدايا إنما تُراد لهم ، والفوائد إنما تُنال بهم ، والمباهاة بأعراض الدنيا تؤثر بخلطائهم ، وما أدري ما أقولُ في اختيارك ترك المكاتبة المحدّثة عن الغيب بالأسرار المكتومة ، والرسائل المعلومة ، والأمور المفهومة ، حتى كأنها محادثة والحضور ، على تنائي الدور ، والقلوب بها مُشاهدة ، وإن كانت الأبدان

---

(١) هو أبو القاسم يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء كاتب ، من أهل سواد الكوفة من بيت بلاغة وفضل ، كان من كتّاب بني أمية ، ولما آلت الدولة إلى بني العباس استكتبه عبد الله بن علي (عم المنصور) فكان من خاصته . واستمر في خدمة العباسيين ، توفي عام ١٨٠ هـ .

(٢) رجل مَلّة وذو مَلّة : إذا كان يملّ إخوانه سريعاً .

مُتباعدة ، ولئن كذب فيك الرجاء ، لقد نمى عن الوفاء ، وقد أصبتك من مرارة العتاب بما لا يقيم بعده على قطيعة ولا جَفاء ، فلا تتوهمن أني أردتُ إعتابَك لعتابي ، ولا إزراءَك بكتابي ، فإن وصلتَ فشكورٌ ، وإن قطعتَ فمعذورٌ .

الأحوص : للأحوص

فإنّي للمودّة ذو حفاظٍ أُواصل مَنْ يَهشُّ إلى وصالي

وقال الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي[1] : للفضل بن عبد الرحمن الهاشمي

لستُ أُصفي الودّ منّي فاعلمي من إذا راجعه حتى اعترضْ
كم سقيم الودّ قد أبرأته وعرفتُ الداء من عِرْقٍ نبضْ

آخر : صون الودّ

عجبتُ لصون الودّ في مُضْمَرِ الْحَشَا لمن هو فيما قد بدا لي وَاتِرُ
ومن طلبي بالودّ تبلى ولم يكن لِيُدرك تبلاً بالمودة ثائرُ

ابن الدُّمَيْنَة[2] : لابن الدمينة

ولقد منحتك لو جزيت مودّةً[3] وخلائقاً ليست بذات غوائلِ

---

(١) هو الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب شيخ بني هاشم في وقته وشاعرهم وعالمهم . وشعره حجّة احتج به سيبويه . توفي عام ١٧٣ هـ .

(٢) هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد ، والدمينة أمه ، شاعر رقيق له شعر في الغزل والنسيب والحنين والفخر . وهو من شعراء العصر الأموي والعباسي قتل عام ١٣٠ . جمع ديوانه وطبعه محققاً الأستاذ أحمد راتب نفاخ عام ١٩٥٩ م .

(٣) رواية الديوان ص ٧٠ : ولقد صحبتك .

لعبد الله بن معاوية

عبد الله بن معاوية :

أكافي خليلي ما استقامَ بودّه ... وأمنحُه ودّي إذا يتجنَّبُ

فما الحِبُّ إلاّ من لك ودُّه ... ومن هو ذو نصحٍ وأنت مُغَيَّبُ

لكثيّر عزّة

كُثَيِّر :

وقد أصفيتُ سعدى طَريفَ مودَّتي[1] ... ودام على العهد الكريم تَليدُها

آخر :

ودّ اللسان

لعمرُك ما ودُّ اللسان بنافعٍ ... إذا لم يكن أصلُ المودّة في الصَّدْرِ

للأحوص

الأحْوَص :

وقد ثَبَتَتْ في الصدر منها مودّةٌ ... كما ثبتَتْ في الراحتَيْن الأصابعُ

آخر :

ودّ مع الخوف [٤١أ]

لا خير في وُدِّ مَنْ تواصلُه ... وأنت من ودّه على وَجَلِ/

آخر :

الودّ المضاعف

أيجزُون بالودِّ المضاعفِ مثلَهُ ... فإنَّ الكريم من جَزَى الودَّ بالودِّ

لجميل بثينة

جميل :

إن المودة مني غيرُ زائلةٍ ... عن حالها فقفي إن شئتِ أوسيري

للفضل بن عبد الرحمن الهاشمي

الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي :

فإلاّ تجازيني بمثل مودّتي ... فما أنا من حبٍّ بأول هالكِ

---

(١) ج ق ـ حفظت .

آخر :

أنّى تـــــودّكم نفسي وأمنحكم ... ودّي وَرُبَّ محبٌّ غيرِ محبـــوبِ

محب غير محبوب

وللفضل :

للفضل بن عبد الرحمن

لقـــــد أعطيتُكم ممنـــوعَ ودٍّ ... وصفـــواً لم أُكـــــــدرْهُ بِمَنِّ

أنشد ثعلب :

لثعلب

ولقـد بلـوتُ النـاس ثم خبرتُهم ... وعلمتُ مـا فيهم من الأسبـابِ
فـإذا القرابـةُ لا تقرّب قـاطعاً ... وإذا المـودّةُ أشبـكُ الأنسـابِ

آخر :

صديق المصادفة

كم صـديـقٍ عرفتُـه بصـديـقٍ ... كان أحظى من الصديق العتيقِ
ورفيـقٍ صحبتُـه في طريـقٍ ... صـارَ بعـد الطريق خيرَ رفيقِ

لابن دريد

وقال ابن دُرَيْد فيما روى لنا المرزباني عنه قـال حكيم : المودّة تعـاطف القلـوب ، وائتـلاف الأرواح ، وحنين النفـوس إلى مبـــاثّـــة السرائر ، والاسترواح[1] للمستكنّات في الغرائـز من وحشة الأشخـاص عنـد تبـاين الالتقاء ، وظاهر السرور بكثرة التزاور .

لبكر بن النطّاح

بكر بن النطّاح[2] :

بعثتُ إليـك نصـائحي ومودّتي ... قبـل اللقـاء مشاهـد الأرواحِ

---

(١) استروح : وجد الراحة .

(٢) هو أبو وائل بكر بن النّطّاح الحنفي شاعر غزل من فرسان بني حنيفـة من أهل اليمامـة ، انتقل إلى بغداد في زمن الرشيد واتصل بأبي دلف العجلي فجعل له رزقاً سلطـانيـاً عـاش به إلى أن توفي عوم ١٩٢ هـ ، ورثاه أبو العتاهية بقوله :

مـات ابن نطـاح أبـو وائـل ... بكر ، فأضحى الشعر قـد مـاتـا

للحارث بن خالد — الحارث بن خالد :

ووجدي بالأحبَّة يومَ بانُوا — كوجد الصَّاد بالماء النُّقَاخِ[1]
وَوَجْدي دائمٌ وعَهْدي — متينٌ ما يعودُ إلى انفساخِ

آخر :

عتاب صديق — ترى حَرّمت كتْب الأخلاَّء بينهم — ابنْ لي، أمِ القِرْطاسُ أصبحَ غاليَا
فما كان لو راعيتنا كيف حالنا — وقد دهمْتَنا نَكْبَةٌ هي ما هِيَا
فهَبْك عدوي لا صديقي فربما — رأيت الأعادي يرحمونَ الأعاديَا

آخر :

ترك المواساة — وتركي مُواساةَ الأخلاَّء بالذي — تنالُ يدي ظلمٌ لهم وعُقوقُ
وإني لأستحيي من الله أن أُرى — بحالِ اتساعٍ والصديقُ مضيّقُ

أعرابي يصف — وقال أعرابي في وصف آخر : لسانه سلم موادع ، وقلبه حرب منازع .

لسويد بن منجوف — كتب سويد بن منجوف إلى مُصْعب بن الزبير :

فأبلغ مُصعباً عني رسولاً — وهل يُلْقى النصيح بكلِّ وادِ
تعلَّم أن أكثر من تُناجي — وإن ضحكوا إليك هُمُ الأعادي

للعنبري — العَنْبري[2] :

ما أبالي إذا حملتُ عن الإخوان ثقلي ودنتُ بالتخفيفِ
ورفضتُ الكثيرَ من كلِّ شيءٍ — وتقنَّعت بالقليل الطَّفيفِ

(١) النقاخ : الماء البارد الصافي .

(٢) هو أبو عبد الله العنبري سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة ، قاض له شعر رقيق وعلم بالفقه والحديث ، سكن بغداد وولي بها قضاء الرصافة ، توفي في بغداد عام ٢٤٥ هـ .

ورآني الأنـــــامُ طرّاً بعيني زاهـــدٌ في وضيعهم والشريفِ
كيف كانت حـــالي إذا كان لا يعرف ميلي الرجـــالُ من تثقيفي
أنـا عبـد الصـديـق مـا صَـدَق الـودّ وبعضُ الأقـوام عبْـدُ الرغيفِ

قال أبو العيناء : مودّة الكريم غِراس ، وشكرُ الشريف أحسنُ لباس . مودّة وشكر

شاعر :

تُـدلي بودّي إذا لاقيتني كـذبـاً وإن أغيب فأنت الهامزُ اللُّمَزهْ[1] الهامز اللمزة

آخر :

أعـــاذِلتي كَمْ من أخٍ لي أودُّه كريمٍ عليَّ لم يلـــدْني والـــدُهْ ربّ أخ لك
إذا مـا التقينَـا لم يريني وكـده ولكنني مُثنٍ عليـــه وزائـــدُهْ
وآخرَ أصْلي في التنـاسب أصلُـه يُبـاعـدني في رأيـه وأُبـاعـدُهْ
يودُّ لو أنّي فقـدت أول فـاقـدٍ وأيضـاً أودُّ الـودّ أني فـاقـدُهْ

آخر :

إذا كان في صَدْر ابن عمك إحْنةٌ فلا تَسْتَثِرْها سوفَ يبدُو دفينُها استثارة الإحنة

طرَفة : لطرفة بن العبد

وصـاحبٍ قـد كنتُ صـاحبتُـهُ لا تَركَ اللهُ لـــه واضِحَـــهْ
فكلُّهم أروغُ من ثعلبٍ مـا أشبـهَ الليلـة بـالبـارحـهْ

شاعر :

خيرُ الصديق من الصدوق مقالُه وكـذا شرّهُمُ الْمَنُـونُ الأكـذبُ مقال الصديق

(١) لمزه لمزاً : عابه ، وأشار إليه بعينه ونحوها بكلام خفي ، واللّماز واللُّمَزة : العيّاب للناس أو الذي يعيبك في وجهك ، والهُمَزة من يعيبك في الغيب .

فإذا غدوتَ له تريد نِجازَهُ بالوعد راغَ كما يروغ الثعلبُ

آخر :

مغايظ أقوام احذر مغايظ أقوامٍ ذوي أنَفٍ إن المغيظ جهول السيف مجنون

آخر :

صحبة الأخيار اصحب الأخيارَ وارغب فيهمِ ربَّ مَنْ صاحبته مثلُ الْجَرَبْ

للحسن بن وهب وقال الحسن بن وَهْب :

ما أحسنَ العفوَ من القادر لا سيّما عن غير ذي ناصرِ
إن كان لي ذنبٌ ولا ذنبَ لي فما له غيرُكَ مِنْ غافرِ
أعوذُ بالودِّ الذي بيننا أن يُفْسَدَ الأولُ بالآخرِ

لابن عباس قال ابن عبَّاس : إنَّ الذُّباب لَيَقعُ على صَديقي فَيَشُقُّ عليَّ .

لابن سيرين وقال ابن سيرين : لا تَلْقَ أخاكَ بما يكره .

لحبيب بن أبي ثابت وقال حبيب بن أبي ثابت : ليس من الأخوة أن يُسِرَّ الرجلُ عن أخيه الحديث .

لأعرابي وقال أعرابي : آخِ منيعاً يكنْ عدوُّك صريعاً .

لأعرابي وقال أعرابي : الصاحبُ كالرُّقعة في الثوب فلينظر الرجلُ بما يرقعُه .

لبعض السلف وقال بعضُ السَّلَف : شرُّ الإخوان مَنْ تتكلَّف له .

شاعر :

ابن العم جناح وإنّ ابن عمّ المرء فاعلمْ جناحُه وهل ينهضُ البازي بغير جناحِ ؟

لبعض السلف وقال بعضُ السلف : روحُ العاقل في لقاء الإخوان .

وقال أعرابي : اعتبرِ الناس بإخوانهم . لأعرابي

وقال مَعْنُ بن أوس : لمعن بن أوس

ألا من لمولى لا يزالُ كأنّه صفا فيه صَدْعٌ لا يُدانيه شاعِبُ[1]
يدبُّ دبابَ الغشّ تحت ضلوعه لأهل الندى من قومه والعقاربُ

أنشد ابن الأعرابي : لابن الأعرابي

يا رُبَّ مولىً حاسدٍ مباغضٍ عليَّ ذي ضغنٍ وضبٍّ قارضِ / [٤١ ب]
له قرؤٌ كقروء الحائضِ[2]

أبو دَهْبَل الْجُمَحي[3] : لأبي دهبل الجمحي

وأعلم بأني لمن عاديتُ مضطغنٌ ضبّاً وأنّي عليك اليومَ محسودُ

كاتب : عرّفني وقتك أُوافقك فيه خالياً ، لا تزاحمني الألسن فيه على محادثتك ، ولا الأعين عن النظر إليك لأقضيَ حقَّ المودّة ، وآخذَ بثأر الشوق . موعد مناسب

الأخطل[4] : للأخطل

---

(١) ج ق ـ شاغب .

(٢) القرء (بالفتح والضم) الحيض والطهر (من الأضداد) وجمعها أقراء وقروء وأقرؤ ، أو جمع الطهر قروء وجمع الحيض أقراء ، وأقرأت المرأة حاضت وطهرت .

(٣) هو وهب بن زمعة من أشراف بني جمح أحد الشعراء العشاق المشهورين من أهل مكة ، قال المرتضى في أماليه : « هو من شعراء قريش وممن جمع إلى الطبع التجويد » ، له مدائح في معاوية وعبد الله بن الزبير ، توفي عام ٦٣ هـ .

(٤) من قصيدة يمدح بها الأمويين ومطلعها :
خفَّ القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى في صرفها غِيَرُ

بني أُميَّـــة إني نـــاصـحٌ لكُم ... فـلا يبيتنّ فيكم آمنـــاً زُفَرُ[1]
واتخـذوه عـدواً إن ظـــاهره ... ومـا يغيَّبُ من أخـلاقـه دَعَرُ

لمسكين الدارمي

مِسْكين الدَّارمِيّ[2]:

إذا مـا خليلي خـانني وائتمنتُـه ... فـذاك وداعيـه وذاك وداعُهـا
رددتُ عليـــه ودّه وتركتـــه ... مطلقـةً لا يستطـاعُ رجـاعُهـا
وإني امرؤ مني الحياءُ الـذي ترى ... أعيش بـأخلاقٍ قليلٍ خـداعُهـا

لقيس بن الخطيم

قَيْس بن الْخَطيم[3] :

إذا ضيَّع الإخـوانُ سرّاً فـإنَّني ... كتـــــومٌ لأسرار العَشيرِ أمينُ
يكونُ له عندي إذا مـا ائتمنتـه ... مكانٌ بســـوداء الفـــؤاد مكينُ

شاعر :

عند الحاجة

أرى قـومـاً وجـوهُهم حسـانٌ ... إذا كانت حـوائجُهم إلينـــــا
فـإن كانت حـوائجنـــا إليهم ... تغيَّر حسن أوجههم علينـــــا
ومنهم مَنْ سينـعُ مـالـديـه ... ويغضبُ حين نمنعُ مـالـدينـا
فـإنْ يـكُ فعلهم سمجـاً وفعلي ... قبيحـاً مثلـه فقـد استـوينـا

لأعرابي بين شرّين

قيل لأعرابي : كيف أصبحتَ ؟ فقال : أصبحتُ بين حاذف وقاذف ، وبين ستّوق وزائف .

---

(١) زفر بن الحارث الكلابي زعيم القيسيين .

(٢) هـو ربيعـة بن عـامر بن أُنَيْف بن شريـح الـدارمي التميي شـاعر عراقي من أشراف تميم ، لقب مسكيناً لأبيات قال فيها : « أنا مسكين لمن أنكرني » . وله بيت متداول :

أخاك أخـاك إن من لا أخـاً لـه ... كسـاعٍ إلى الهيجـا بغير سـلاح

توفي مسكين سنة ٨٩ هـ .

(٣) هو أبو يزيد قيس بن الخطيم بن عديّ الأوسي شاعر الأوس وأحد أبطالها في الجاهليـة ، ولد سنة ٢ ق هـ . راجع أخباره في الأغاني ٣/١ـ٢٦ .

شاعر قديم :

لشاعر قديم

أُناجي أخي في كل حقٍّ وباطلٍ ... وأُرغمُهُ حتى يملَّ ملائلي
فإنْ رامهُ بالظلم غيري وجدتني ... له باذلاً من ذاك نفسَ مقاتلي
فأظلمُه جهدي وأمنعُ ظلمه ... بجهدٍ ولا أُخليه شحمة آكلِ[1]
فإنْ سِيمَ خَسْفاً أو هواناً تربَّدت ... قسائمُ وجهي واعترتني أفاكلي[2]
وخضتُ غمار الموت دون مناله ... حفاظاً ولم أُسلم أخي للمناضلِ

وهذه أبياتٌ تصلح للحفظ لما فيها من شرف اللفظ ، وحسن الرَّوْنق ، وصحة المعنى ، وطرازُ العرب غيرُ طراز المتشبهين بهم ، ولعمري إن حَسبية الطبع أكثرُ ماءً ، وأبهى نضارة من مثقف التكلُّف ، والجواهرُ تَشْرُفُ بمعادنها ، والفروع تزدهي بأُصُولها ، والنجوم بأفلاكها ، ومن الغيِّ أن يُقال : الأفلاك بنجومها .

قال عبد الله بن طاهر :

لعبد الله بن طاهر

طلبتُ أخاً مَحْضاً صحيحاً مُسلَّماً ... نقيّاً من الآفات في كلِّ مَوْسِمِ
لأمنَحَهُ ودّي فلم أجدِ الذي ... طلبتُ، ومَنْ لي بالصحيح الْمُسَلَّمِ
فلما بدا لي أنني غير مبتلىً ... من الناس إلاَّ بالمريض الْمُسْقمِ
صبرتُ ومَنْ يصبرْ يجِدْ غِبَّ ضرّه ... ألذَّ وأشهى من جنى النحل في الفم
ومن لم يطبْ نفساً ويَسْتَبْقِ صاحباً ... ويغفرْ لأهل الودِّ يُصْرَمْ ويَصْرِمِ

---

(١) يكنى عن المستضعف باللحم والشحم فيقال : « تَرك فلان لحماً على وضم » و « فلانٌ شحمٌ للمبتلع » .

(٢) الأفْكَل : الرعدة ، يقال : أخذه أفكلٌ : إذا ارتعد من برد أو خوف ، وفي الحديث : « وَجَدَتني أفْكَلُ » أي ترتعد فرائصي من الأفكَل وهو الرعدة ، والمفكول : المصاب بالأفكل أي بالرعدة ، وفي أساس البلاغة : « يقال : به أفكل وهو مفكول » .

تفقّد هذا النحت لهذا المحدّث من ذلك النحت لذلك الأعرابي[1] ، فإنك تجد بين الديباجتين ، بالحس الصحيح ، فرقاً يشهد لك بتقدم الدعيّ على الصريح .

اعتذار المؤلف

قد تكرّر اعتذاري من طول هذه الرسالة ، [هذا] وكان ظنّي في أولها أنها تكون لطيفةً خفيفةً ، يسهل انتساخُها وقراءتُها ، فاجَتْ بشجون الحديث ، وروادفَ من الطيِّب والخبيث ، فاقبلْ حاطك الله هذا العذر الذي قد بدأتُه وأعدتُه ، ونشرتُه وطويتُه ، على أنك لوعلمتَ في أيّ وقت ارتفعتْ هذه الرسالة ، وعلى أي حال تَمّت ، لتعجّبتَ ، وما كان يقلُّ في عينك منها ، يكثُرُ في نفسك ، وما يصغرُ منها بنقدك ، يكبرُ بعقلك ، واللهَ أسألُ خاتمةً مقرونةً بغنيمة ، وعاقبةً مُفْضيةً إلى كرامة ، فقد بلغت شمسي رأس الحائط ، واللهَ أستعين على كلِّ ما هَمَّ النفس ، ووزَّعَ الفكر ، وأدنى من الوسواس ، إنه نعمَ المعين ، على أُمور الدنيا والدين ، والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلواته على نبيِّه المصطفى محمد وآله الطيبين ، الطاهرين أجمعين ، وحسبُنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) ج ق ـ لهذا المحدث من ذلك لأعرابي المحت .

الفهارس

١ ـ الأعلام	٣٥٩
٢ ـ الأماكن والبلدان	٣٧٣
٣ ـ الأمم والقبائل والطوائف	٣٧٧
٤ ـ أسماء الكتب المذكورة في الكتاب	٣٧٩
٥ ـ القوافي	٣٨٣
٦ ـ موضوعات الكتاب	٣٩٦

١ ـ فهرس الأعلام

ـ أ ـ

إبراهيم بن أدهم ٤٧
إبراهيم بن سنان ١٠٩
إبراهيم بن العباس الصولي ٩٠، ٩١، ٩٢، ١٠٩، ١٤٥، ١٥٤، ١٦٤، ٢٨٢، ٢٩٤
إبراهيم بن المدبّر ٣٣٧، ٣٣٨
إبراهيم بن المهدي ١٨٩، ٢٩٣، ٣٢٣
د. إبراهيم الكيلاني ٢٥
ابن أبي البغل ٣٢٣
ابن أبي خازم ٢٥٦
ابن أبي دؤاد ٤٤، ٤٦، ١٦١، ١٧٥
ابن أبي الأزهر ١٧٥
ابن أبي ربيعة ٣٣٥
ابن أبي طاهر ١٧٥
ابن أبي عتيق ٢٤٧
ابن أبي فنن ١٦٧
ابن أبي كانون ٦٥
ابن أبي ليلى ٥٩
ابن الأثير ٨٧، ١١٧، ٢٩٣
ابن الأعرابي ٤٢، ٤٨، ٦٦، ١٠٧، ١٥٧، ٢٧٦، ٣٥٣
ابن أكمل ٢٧٩
ابن بابويه القمّي ١٦٩، ٢٣١
ابن برد الأبهري ٢٤٥
ابن البقّال الشاعر ١٨١
ابن الجزري ٢٨٩
ابن الجمل الكاتب ٨٤، ٨٥، ١٣٣
ابن الجلاء الزاهد ٩٢، ١٧١
ابن الحارث الرازي ١٦٩
ابن الحجّاج ١٧، ٧٥، ٧٦، ٧٧
ابن الحشرج ٤٣
ابن خلكان ٨٨، ١٨٩، ١٩١، ٢٥٧، ٣٣٠
ابن دارة ٢١٣
ابن الدبيّة الثقفي ٢١٦
ابن دريد ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٥١، ٥٥، ٧٣، ١٤٧، ٣٤٩
ابن الدمينة ١٤١، ٣٤٧
ابن رائق ٥
ابن الرازي ٦٥
ابن الأزرق ١٦٠
ابن زرعة ١٧
ابن الزيّات (محمد بن عبد الملك) ٩٠، ٩٢، ١٥٠، ٢٨٤
ابن سحرة ١٧٦
ابن سحيم (عبد بني الحسحاس) ١٢٦
ابن سلام الجمحي ٤٧، ٢٢٩
ابن سيف ١٣٠، ٢٧٤
ابن السرّاج الصوفي ١٦٩، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٨٥

ابن السرّاج (محمد بن السري) ٢٥٦، ٢٥٧
ابن سعدان (الوزير) ١٤، ١٧، ٣٥، ٧٤، ٧٧، ١٨٦
ابن سكرة ٧٦
ابن السماك ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٩٦
ابن السكن (أبو علي) ١٨٨
ابن السكيت ١٥٥، ١٧٥، ٢٨٠
ابن سلاّم ١٩٤
ابن سمعون الصوفي ٢١٢
ابن سورين ٢٧٩
ابن سيرين ٢٠١، ٣٥١
ابن سيف ١٣٠
ابن سيّار القاضي ٢١، ٣٠، ٣٢
ابن شبّة ٤٦
ابن شاهويه ٧٥، ٧٩
ابن شاهين ١٠٥، ١٨١
ابن الشجري ١٣٨، ٢٢٠
ابن طاهر (عبد الله) ٢٤٦، ٢٤٧
ابن طاهر (محمد) ٢٤٥
ابن عائشة ٥١، ٢٩٣
ابن عباس ٢٤٢، ٢٧١، ٣٣١، ٣٥٢
ابن عبدان أو عبدك ٨٨
ابن عبيد الكاتب ١٧، ٧٥، ٧٦، ٨٤
ابن عروس ١٧٤
ابن عطاء ٦٨، ٨٧
ابن العميد (أبو الفضل) ١٧، ٧٦، ٧٨، ٨٠، ٨٩، ١٥١
ابن العميد (أبو الفتح ذو الكفايتين) ١٧١، ١٨٦، ٢٩٦
ابن عون ٩٥، ١٧٧، ١٧٨
ابن فارس (أبو الحسين أحمد) ١٨٦
ابن الفرات ـ الوزير ٨
ابن فراس ٢٢٥
ابن قتيبة ٤٧، ١٥٨، ١٨٩، ١٩٤، ٢٧٠، ٣٢٦
ابن قريعة ٩
ابن قيس الرقيّات ٤٧، ١٤٧
ابن كعب الأنصاري ٣٦، ١١٥، ١٣٢، ١٤٩، ١٥١
ابن المبارك ٦٧، ١١٤
ابن مجاهد (أبو بكر أحمد) ١٥٨
ابن المرزبان الكاتب ١٦٩
ابن المرزباني ٢٨٥
ابن مسرف ٢٧٢
ابن المعتز ٤٩، ٦٥، ١٢١، ١٤٥، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٤، ٣١٥
ابن معروف ٩، ٨٢، ٨٣
ابن المولّه ٢٣٢
ابن حبيب (أبو جعفر محمد) ٣٠٠
أبو الحسن البوشنجي ٢٣١
أبو حنيفة ٣٢
أبو الحوراء ١٧٦
أبو حيّان التوحيدي ٥، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣٠، ٣٥، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٨، ٩٥، ١٠٠، ١٠٥، ١٠٩، ١١٢، ١٨٦، ١٨٧، ٢٥٨، ٢٧٧، ٢٩١، ٢٩٦، ٣٣١
أبو الخطاب الصابي ٩٢
أبو داود السجستاني ٤٢، ٤٣
أبو الدرداء ٤٨، ٢٥٧، ٢٨٩
أبو دلف الخزرجي ١٤٢
أبو دلف العجلي ٢٧٥، ٣٤٩
أبو دهبل الجمحي ٣٥٣
أبو داود الطائي ١٧٧
أبو الربيع (شهاب الدّين أحمد) ٣٤٥

أبو زياد الكلابي ١٥٠
أبو زبيد الطائي ٤٢
أبو زيد عمرو بن شيبة ٦٦
أبو إسحاق إبراهيم بن علي الهجيمي ١٧٧
أبو إسحاق السبيعي ١٥٨
أبو إسماعيل الحريمي ١٧٦
أبو الأسود الدؤلي ١١٩، ١٢٦، ٢١٨، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٥٢، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٤
أبو بكر محمد بن علي القفال الشاشي ١٢
أبو السائب ٨١، ١٠٤، ١٥٣، ١٧٥، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٥٨
أبو السائل (مولى بني كهلان) ١٨٢
أبو سعد بهرام بن أردشير ٧٥
أبو سعيد السيرافي (الحسن بن عبد الله) ١٠، ١١، ٣٩، ٥١، ٧٨، ٧٩، ٨١، ١٢٠، ١٢٨، ١٣٠، ١٧٧، ١٩١، ٢٠٦، ٢٢٦، ٢٥٥، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٩١
أبو سليمان السجستاني (محمد بن طاهر بن بهرام) ١٠، ١٢، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٦٣، ٦٨، ٦٩، ٧٢، ١٠٠، ١٢٥، ١٧١، ٢٨٦
أبو الشهم الحرمي ١٠٤
أبو طائع الطلحي ٢٧٦
أبو الطيب الحرّاني ٩٢
أبو عاصم ٢٥٦
أبو عامر النجدي ١٣٦
أبو عبد الله البصري ٢٧٩
عبد الله النمري ١٥٤
أبو عبيدة ٢٩٢
ابن معروف ٨٣
ابن المنجّم ٢٤٧
ابن المقفّع ٤١، ٤٥، ٩٣، ١٧٨، ٢٦٤، ٣٠٦، ٣٣٣
ابن مقسم النحوي ٦٦، ١٧٠، ١٧٤، ٢٤٤، ٢٥٧، ٢٦١، ٣٠٧
ابن مناذر ٥٥
ابن المؤمل ٢٥٦
أبو إسحاق الصابي ١٧١
أبو حمزة الثمالي ٢٥٥
أبو الجوراء ١٧٦
أبو خازم المدني ١٧١
أبو زافر ٢٩٧
أبو زكريا يحيى بن عدي النصراني ١٢، ١٨
أبو زيد الأنصاري ٢٦٩
أبو زيد العذري ٢٦٠، ٢٧٠
أبو عبيدة ١٠١، ١١١
أبو الفرج المُعافى بن زكريا النهراوني ١٢
أبو المتيم الصوفي الرقي ٩٤، ٢٣٢
أبو مخلّد ٦٠
أبو مسلم الخراساني ١٢٧
أبو المطيع القرباني ٩٩
أبو النفيس ١٤٢، ٢٥٨
أبو نواس (الحسن بن هانئ) ٤٩، ٩٣
ابن ناصر الدين ١٨٨
ابن النديم (صاحب الفهرست) ٩٦، ١٥٨، ٢٧٥، ٢٨١، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٠٠
ابن نصرويه ٥٩
ابن هبيرة (أبو المثنى عمر) ١٢٥، ١٨٩
ابن همّام السلولي (عبد الله) ١٨٦
أبو بكر الصّدّيق ٥٤، ٥٧، ٦١، ٦٢، ١٠٥، ١١٩، ١٢١، ١٤٩، ١٧٢، ٢١٣، ٢٣١، ٢٩٥
أبو بكر القومسي ١٠، ٧٨

أبو تمام الزينبي ٨٢
أبـو تمـام الطـائي ١٥٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٨، ٢٤٩، ٣٢٩، ٣٣٤
أبو جعفر الشاشي (محمد بن علي) ١٠٥
أبو جعفر (محمد بن علي الباقر) ٢٥٥
أبو جعفر المنصور (الخليفة) ٥١
أبو حاتم ٣٩، ١١٤
أبو حامد العلوي ١٣٩، ١٤١
أبو حامد المروروذي ١١، ٤٦، ٥٩، ٦٠، ٨٨
أبو العتاهية ٦٤، ١٢٦، ٢٩٩، ٣٤٩
أبو عثمان (أحد الخالديين) ٦٤
أبو عثمان النصيبي ١٧١
أبو عثمان النيسابوري ٥٥
أبو العريب المصري ٩٩
أبو علاقة التغلبي ٢٩٨
أبو علي الصوّاف ٢٥٦
أبو علي الفارسي ٢٩١
أبو علي عيسى بن زرعة ٧٥
أبو علي (محمد بن عبد الوهاب الجبائي) ٨٠
أبو علي النحوي ١٩٥
أبو علي النصير ٧٦، ٨٧
أبو عمر الجرمي ١٠٤، ١١١
أبو عمرو اللفيف ١٤٣، ٢٨١
أبو العيال الهذلي ٣٠٤
أبـو العينـاء (محمـد بن القـاسم) ٤٦، ٤٩، ٨٦، ١٥٤، ١٧٥، ٢٧٦، ٢٨٥، ٢٩٠، ٣٥١
أبو غسان غناة بن كليب ١١٣
أبو الفرج الأصفهاني ٤٧، ٢٢١
أبو الفضل العباس بن الحسين ١٥٤
أبو القاسم الأهوازي ٧٥
أبو كعب ٩٢، ١١٦
أبو لبابة ٢٠١
أبو هاشم (عبد السلام بن أبي علي الجبائي) ١٧، ٨٠
أبو هاشم الحرّاني ١٤٨
أبو هريرة ١٢٠، ١٢١
أبو هلال العسكري ١٨٠، ٢٠٣
أبو الوفاء المهندس ١٠، ١٧، ٧٥، ٧٧
أبو يعقوب ٩٩
أبان اللاحقي ٣٠٦
أبا رينوس ١٨٥
أحمد بن أبي دوّاد ٤٤
أحمد بن إسماعيل الكاتب ٣٠٨، ٣١٢
أحمد بن إسماعيل بن عبّاد ٣٢٢
أحمد تيمور باشا ٢٤٥
أحمد بن حنبل (الإمام) ٢٨٥
أحمد بن سعد ٣٤٠
أحمد بن صالح بن شيرزاد ٣١٧
أحمد بن أبي طاهر ١٥٣
أحمد بن أبي فنن ٥٠
أحمد راتب نفاخ ٣٤٧
أحمد محمد شاكر ٢٧٧
أحمد بن محمد الكاتب ١١٠
أحمد بن يحيى ١٧٠
أحمد بن يحيى الشاعر ١٧٤، ٢٥٧، ٢٦١
أحمد بن يزيد المهلبي ٢٥٤
أحمد بن يحيى (أبو العباس) ٤٨، ١٧٠، ١٧٤
أحمـد بن يحيى الشيبـاني (ثعلب) ٦٦، ١٥٥، ٢٤٤، ٢٥٧، ٣٠٧، ٣١٥، ٣٤٩
أحمد فارس الشدياق ٢٤
الأحنف ٤٩، ٥٤، ٩٥، ٩٩، ١٨٥

الأحوص المدني ١٤٧، ١٨١، ٣٤٧، ٣٤٨
الأخطل ١٩٤، ٢٧١، ٣٥٣
الأصمعي (أبو سعيد عبدالملك بن قريب) ٤٦، ٥١، ٥٥، ١٠٤، ١١١، ١٣٨، ١٤٧، ١٤٨، ٢٥٧، ٢٧١
الأضبط بن قريع ٢٠٨
الأعشى ٢٤٥، ٢٨٨، ٣٤٣
الأعمش (أبو محمد سليمان بن مهران) ٩٨
الأقرع بن معاذ القشيري ٢٠٦
الأهوازي ٧٨
أرسطاطاليس ١٧، ٦٩، ٧٦، ١٩٣، ٢٨٦
أرسطو ١٨، ٢٣، ٢٩٦
أسامة بن الحارث الهذلي ٣٠٥
إسحاق بن سعد ٣١٢، ٣١٣
إسحاق بن إبراهيم للوصلي ١٨٩، ٢٤٧، ٢٧٥، ٢٨٢، ٣١٧
الإسكندر ٥٩، ٦٩، ٧١، ١٩٩، ٢٧٣
أسماء بن خارجة ٢٢٨
إسماعيل بن يسار النسائي ٧٤
أسود بن يعفر ١٠٧
الأشنانداني الشاعر ٤٣
أفلاطون ١٧، ١٨، ٧٦، ١٨٤، ١٨٥
إقليدس ٧٧
أكثم بن صيفي ٢٦٧، ٣٤٣
امرؤ القيس ١٤٤، ٢٤٥
الأمين (الخليفة) ١٧٧
أمية بن الأسكر ٢٣٥
أنس بن مالك ٢٠١، ٢٥٦
أنكساغورس ٧١، ١٨٥
الأندلسي (أبو محمد عبدالله بن حمود) ٤٨، ٨٨
الأوزاعي ٢٠١، ٢٥٧
أيشوع ١٣٤

- ب -

بجكم التركي ٧، ٨
البحتري ١٣٨، ١٥٩، ١٨٧، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٩، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٧٨، ٣٢٩
البخاري (الإمام) ٢٨٩
البديع الهمذاني ٢٩
البرج بن مسهر ٢٠٢
برهان الدين الصوفي ٧٢، ٢٣٢، ٢٥٦
البريدي ٥
بزرجمهر ٥٤، ٦٣، ٦٤، ١٣٥
بشار بن برد ١١٠، ١١٥، ١٨٥، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٩٩، ٣٠٦، ٣٣٠
البصير ٣٣١
بطليوس ٧٧
بقراط ١٧، ٧٦
بكر بن عبدالله المزني ٦٧، ٢١٣
بكر بن النطّاح ٣٤٩
بلال بن سعد ٩٩
بندار (أبو الفتح بن غانم) ١٧٥، ١٩٤
البنوي ١٣٦

- ت -

التنوخي - القاضي ٩

- ث -

ثابت البنّاني ٢٠٢، ٢٥٦
ثابت بن قرة ١٠٩
ثامسطيوس ١٩٣

الثعالبي ٩، ٤٠
ثعلبة بن صعير ٣٠٤
ابن ثوابة (أبو العباس) ١٠٢، ٢٢٥، ٢٩٠، ٣١٧، ٣٢٩
الثوري ٢٠، ٣٦، ١١١
ثيفانوس ٧١، ١٨٥

- ج -
الجاحظ (أبو عثمان) ٤٦، ٤٧، ٨٨، ١٤٦، ٢١٠، ٢١١، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٣٣
جحظة (أبو الحسن أحمد بن جعفر) ٢٧٤
الجراحي (أبو طالب) ١٤٧، ٢٧٦
جرير بن يزيد ٣٣٣
جرير ١٤٧، ١٦٦، ٢٦٤
ابن الجزري ٢٨٩
جعفر بن حنظلة ٢٣٣
جعفر بن سليمان الهاشمي ١٤٩
جعفر بن محمد ٣٩، ٤١، ٤٨، ١٦٩، ٢٤١
جعفر بن المنصور ٢٠٦
جعفر بن يحيى ٨٦، ٢٨٥، ٢٩٢، ٣٢٨
الجمّاز (عمرو بن عطاء) ٢٨٥
الجمحي ١٨٩
جميل بثينة ١٤٧، ٣٤٨
جميل بن الصريري ٢٧٧
جميل بن محفوظ المهلبي ٣٠٦
جميل بن مرة ٢٠، ٣٦
جميل بن معمر ١٤٧
الجنيد (الصوفي) ٧٢، ٨٧، ٢٦٥
الجهشياري ٣٠٦
الجوري ٢٩٦

- ح -
حاتم الأصم (حاتم بن عنوان) ٢٨٥
حاتم طيء ١١٨
الحاجب النيسابوري ١٥١
الحارث بن خالد ٣٠٣، ٣٥٠
الحارث بن كلدة الثقفي ٢١٦
حبيب بن أبي ثابت ٣٥٢
الحجّاج بن يوسف ١٠٨، ١٢٥
حجية بن المضرّب ٢١٨
الحرّاني ٩٢، ١٠٩، ٢٢٨، ٢٢٩
حرملة بن المنذر الطائي (أبو زبيد) ٤٢
الحريري ٢١٢
حسان بن ثابت ١٩٤، ٢٢٩
الحسن البصري ٢٤١، ٢٤٣، ٣٠٠
الحسن بن علي ٤٥، ٢٠١، ٢٤٤، ٣٠١
الحسن بن عروة ٢٥٥
الحسن بن سهل ٤٧
الحسن بن مسلم ٣١٩
الحسن بن هانئ (أبو نواس) ٤٩
الحسن بن وهب ٥٢، ١٥٠، ٢٩١، ٣٣٤، ٣٥٢
الحسين بن علي ٩٨
الحسين الباقر (محمد بن علي) ٤٤
حفص بن أبي ودّة ٣٠٦
حفصة بنت كلثوم بن عمرو العتابي ٣٤٢
الحكم بن هشام ٢٠١، ٢٥٧
حمّاد بن أبي ليلى الراوية ٣٠٦
حمّاد بن الزبرقان ٣٠٦
حمّاد بن زيد ١٧٧
حمّاد عجرد ٣٠٦، ٣٣٠
حمد بن محمد (كاتب ركن الدولة) ٨٩

حمد بن مهران ٣٢٨، ٣٣٥
حمدان قرمط ٦

- خ -

خالد بن صفوان ٥٨، ١٩٣
خديجة أم المؤمنين ٢٣١
خريم بن عامر المري ٢١١
الخريمي (أبو يعقوب إسحاق بن حسان) ٢١١
خلف الأحمر ٢٧٧
الخليع (أبو علي الحسين بن الضّحاك) ١٧٧
الخليل بن أحمد ٤٥، ٥٥، ١٠٤، ١٢٩، ٢٠١، ٣٠٧، ٣١٦
الخوارزمي (أبو بكر محمد بن العباس) ٢٩

- د -

دعبل (ابن علي بن رزين) ١٥٠، ١٩١
ديوجانس ٧١، ١٣٢، ١٨٥، ١٩٩، ٢٩٤
ديوفانتوس ٧٧

- ذ -

الذهبي ١١٧
ذو الشامة ١١٧
ذو الأصبع العدواني (حرثان) ٣٠٥

- ر -

رابعة العدوية ٢٥٧
راتب النفاخ ١٤١
الراضي (الخليفة) ١٨٨
ربيعة بن مقروم الضبي ١٥٩
ركن الدولة البويهي ٨٩، ١٥٢، ١٨٦
روح بن زنباع ٥٢، ٧١
روح أبو همام ١٨٨
رؤبة ٣١٦
ربيعة الأسدي ٣٠٢
الربيع بن أبي الحقيق ٢٠٩، ٢١٤
ريطة ٣٤٢
الروذباري (أبو عبد الله) ٢٣٣
رويم ٨٧
الرياشي ١٠١، ٢٥٦

- ز -

الزبرقان بن بدر ١٧٨، ٢١٠
الزبيري ١٤٩
الزبير بن بكار ١٧٠
الزبير بن العوام ٢٨٣
زفر بن الحارث الكلابي ٣٥٤
زهير بن أبي سلمى ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٦٩
الزمخشري ١٤٨، ٢٣١
زميل الفزاري ٢١٣
الزهري ١١٩
الزهيري (أبو بكر) ٧٣، ٧٤، ١٦٠، ١٨٨
زياد بن سليمان الأعجم ٢٢١
زياد بن أبيه ٨٧
زيد بن رفاعة (أبو الخير) ٣٥، ٧٥، ٨٠

- س -

ساربور بن أردشير ٧٦
ساعدة الهذلي ٢٦٠
سالم بن وابصة الأسدي ٢٣٤، ٢٤٩
السجستاني (أبو حاتم) ٣٩
سدوس بن ذهل اليربوعي ٢٦٢
السدري ٢٩٠
السريّ الكندي ١١٥
سعد بن أبي وقّاص ٢١١

سعيد بن جبير ١٧٠
سعيد بن حنيف ٣٣٩
سعيد بن حميد (أبو عثمان) ١٠٢، ١٠٣، ١٢٢، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٤١
سعيد بن عبد الملك (سعيد الخير) ٣٢٦، ٣٢٨
سعيد بن سلام ٥٠
سعيد بن ميمون ١٣٥
سعية بن عريض اليهودي ٥٣
السَّفاح ٣٠٦
سفيان الثوري ٣٠٨، ٣٠٩
سفيان بن عيينة ٢٨٨
سقراط ١٧، ٧٦، ١٨٤، ١٩٣
سلمان الفارسي ٢٨٩
سلمة بن دينار ١٧١
سليمان بن عبد الملك ١٨٦
سليمان بن وهب ٢٨٠، ٣٢٩
سماك بن خالد الطائي ٢٠٥
السموأل ٥٣
سنان بن ثابت ١٠٩
السندوبي (حسن) ٦٩، ١٠١
سهل بن هارون ٨٦، ١٤٦، ١٥٠، ٢٢٩، ٢٨٥
سويد الصامت ٩٧
سويد بن منجوف ٣٥٠
سيبويه ٧٩، ١١١، ٢٩١، ٣٤٧
سيف الدولة ٤٠، ١٦٢

- ش -

الشابشتي ١١٧
شبيب بن شيبة ٥٦، ١٢٤
الشبلي (أبو بكر دلف بن جحدر) ٩٠
شريح القاضي ٤٩
الشريشي ٢١٢
الشافعي (الإمام) ٢٨٨
شعبة بن الحجاج ١٩٢
الشعبي ٥٣

- ص -

الأصبهاني (صاحب محاضرات الأدباء) ١١٣
الصابي (إبراهيم بن هلال) ٣٦، ٣٧
الصاحب بن عبّاد ١٧، ٣٧، ٧٦
صالح بن عبد القدوس ٣٨، ١٢٧، ١٩٨
صالح بن مسعود ٢٨٣
صالح بن يحيى ٢٥٧
صخر ٢٧٥
صعصعة ٤٩
صمصام الدولة البويهي ٣٥، ٣٧، ٧٩
الصنوبري (أبو بكر أحمد) ١٦٢
الصولي (إبراهيم بن العباس) ٧، ١٠٤، ١٧٥، ١٨٠، ٢٥٤، ٢٨٥، ٢٩٢
الصيمري (أبو جعفر محمد) ١٥٤

- ض -

ضيغم العابد ٣٩

- ط -

طاهر بن عبدالله بن طاهر بن الحسين ١١٨، ١٢١
الطبراني ٤٩
الطبري ١٢
طرفة بن العبد ١٩٤، ٢٠٧، ٢٤٥، ٣٤٣، ٣٥١
الطرمّاح بن حكيم الطائي ٢١٠
طلحة بن عبد الله ٤٩، ٥٢

- ع -
عائشة (أم المؤمنين) ٢٣١
عامر بن قيس ٦٨
العباداني ١٨٧، ٢٥٨
العباس بن الأحنف ١٧٥
العباس بن الحسن العلوي ٤٠، ١٤٩، ٢٨٢
العباس بن الحسين ١٥٤
العباس بن محمد ١٥٠
عبد الأول ٧٣
عبدة بن أبي لبابة ٢٠١
عبدة بن الطبيب ١٥٧، ٣٠٥
عبد الحميد الكاتب ٧٥
عبد الرحمن الأموي = الملك الناصر ٦
عبد الرحمن بن حسان ٥١، ١٤٧، ١٩٤، ٢٢٨
عبد الصمد بن المعذّل ٢٨٧
عبد الله بن أبي بكرة ١١٤
عبد الله بن جعفر ٤٤، ٤٧، ١٩١
عبد الله بن الزبير ٤٧، ١٩٥، ٣٠٦، ٣٥٣
عبد الله بن سلم الفهري ٢٨٣
عبد الله بن شبيب ٣٠٧
عبد الملك بن صالح ٦٤
عبد الله بن طاهر بن الحسين (أبو العباس) ١١٧، ١١٨، ٢٤٧، ٣٥٥
عبد الله بن العباس بن الحسن العلوي ١٤٩
عبد الله بن عروة ٣٠٦
عبد الله بن علي ٣٤٦
عبد الله بن عمرو القرشي ٢٠٦، ٢٢٦
عبد الله بن قيس الرقيّات ٤٧
عبد الله بن المبارك ١١٣، ١٣٤
عبد الله بن محمد الأوسي ١٨١
عبد الله بن مسعود ٤٠
عبد الله بن مصعب الزبيري ١٤٩
عبد الله بن معاوية ١٢١، ١٢٧، ١٣٧، ١٤٩، ١٨٧، ٣٤٨
عبد الله بن مطيع ١٨٧
عبد الله بن المقفع ٤١
عبد الله بن همام ٢٦٩
عبد الملك بن مروان ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٧٤، ١١٨، ١٢٧، ١٩٢، ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٨٣
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٧٦، ٢٤٧، ٣٠٨، ٣٠٩
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ١٣٥
عبيد بن الأبرص ٢٤١
العتّابي (أبو عمرو كلثوم) ٤٤، ٥٠، ١١٠، ١٢١، ١٨٦، ٣٠٧، ٣٤٢
العتبي ٥٩، ٩٥
عثمان بن عفان ٤٢، ٥٥، ١٢٦، ٣٠١، ٣٠٦
العجير ٤٣
عدي بن حاتم ٣٠١
عدي بن زيد ٨١، ١٢٤
العرجي (عبد الله عمر) ٢٠٦، ٣٠١، ٣٠٢
العروضي (أبو محمد المقدسي) ٩٥
عروة بن الزبير ٧٤، ٩٧
عروة بن الورد العبسي ١١٨، ٢٨١
عزة بنت جميل المضرية ١٩٢
عز الدولة بختيار ٣٧
العسجدي ٣٧، ١٢١، ٢٥٨، ٢٩٦
عضد الدولة البويهي ٣٧، ٧٧
العطافي ١٤٣
العطوي (أبو عبد الرحمن) ١٦١

عكرمة (مولى ابن عباس) ٣٣١
أبي علافة التغلبي ٢٩٨
علويّة (المغنّي) ٦٦
علي بن أبي طالب ٨، ٤٢، ٤٥، ٦١، ١٢١، ٣٢٥
علي بن بدال ٢٠٤
علي بن ثابت ١٢٦
علي بن جعفر الكاتب ٢٨٣
علي بن حرب ٢٨٨
علي بن الحسين العلوي ١٣٦
علي بن حمّاد ٣٠١
علي بن الخليل ٣٠٦
علي بن عبيدة الريحاني البصري ٣٩، ١١٢، ١٥٣، ١٥٤، ٢٩٦
علي بن عيسى النحوي ٤٣، ٧٣
علي بن عيسى (أبو الحسن) ٤٤، ١٤٧
علي بن عيسى الرمّاني ١١، ٢٩١
علي بن عيسى (الوزير) ٩٥، ٩٦، ١٥٨، ٢٥٧، ٢٨٧
علي بن القاسم ١٥١، ١٥٣
علي بن هارون ١٨٨
علي بن الهيثم ٦٤
عمارة بن حمزة بن ميمون ٣٠٦، ٣٣١
عمارة بن حمزة ٣٣١، ٣٣٢
عمارة بن عقيل ٢٦٤
عمر بن أبي ربيعة ٢٠٦، ٢٩٢، ٣٠١
عمرو بن بانة ٣٢٣
عمر بن شبّة ٤٦، ٢٥٧
عمر بن عبدالعزيز ٦٢
عمر بن الخطاب ٤٩، ٦١، ١١٩، ١٧٨، ٢١١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٧١، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٥، ٢٩٧
عمر بن هبيرة ١١٥
عمرو بن سعيد بن سلام ٥٠
عمرو بن العاص ٥٤، ٢٧٧
عمرو بن العلاء ١٥٧
عمرو بن لبيد ٢٧٨
عمرو بن مالك البجلي ٢١٤
عمرو بن هند ١٨١، ١٩٤، ٢٠٧
عمير بن حباب ٩٨
العنبري (أبو عبدالله سوار) ٣٥٠
العوامي ٥٨، ٧٣، ٧٤، ١٥٨
عيسى بن فرخانشاه ٣١٧
عيسى بن مريم (عليه السلام) ١٣٣، ١٣٤، ٢٠٢
عيسى بن موسى ٣٠٦

- غ -

غسّان بن عبدالحميد المدني ١٤٩

- ف -

الفارابي ١٧، ١٨
فاطمة الزهراء ٥
فخر الدولة البويهي ١٦٩
الفراء ٢٩١
فرار بن سيار ١٠٧
الفرزدق ١٤٧، ١٨٩، ٢١١
فضل الشاعرة ١٠٣، ٣٣٥
الفضل بن الربيع ٢٢٣
الفضل بن سهل (ذوالرئاستين) ١٤٦
الفضل بن يحيى ٤٠، ١٧١
الفضل بن العباس ١٢٧، ٢٥١
الفضل بن عبدالرحمن الهاشمي ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩
الفضيل بن عياض ٦٧، ١١٣

- ق -

قاسم بن زنقطة ٣٠٦

القاسم بن محمد الكرخي ٣١٨، ٣٢٥
قتادة ١٢٥
قدامة بن جعفر ٢٨٠، ٣٠٨
القرباني (محمد بن يوسف) ١١١
القراطيسي ٢٧٦، ٢٩٠
قس بن ساعدة الإيادي ٢٢٨
القطامي (عمير بن شييم) ١٩٤، ٢٢٧
قعنب بن أم صاحب ١٠٨، ٢٢٠
القعقاع بن شور ٢٩٩
القفطي ٧٥
قيس بن الخطيم ٢٢٩، ٢٨١، ٣٥٤
قيس بن سعد بن عبادة ٤٥
قيس بن عاصم المنقري التميمي ١٥٧
قيس بن عبدالله بن عدس الجعدي العامري ٢٦٢

- ك -

كثيّر عزّة (عبدالرحمن بن الأسود) ١٩٢، ١٩٧، ٣٤٨
الكسائي ١٢٥، ٢٩١، ٢٩٦
الكسعي ١٠٧
كعب الأحبار (أبو إسحاق كعب بن ماتع) ٢٤٤، ٢٩٥
الكميت بن معروف ٥٢، ٢١٠، ٢١٣
الكندي العباس ١٧٥، ١٧٦

- ل -

لقمان الحكيم ٦٧

- م -

مالك بن أنس ٢٨٨
مالك بن دينار ٩٩، ٢٠١
ماني الموسوس (أبوالحسن محمد بن القاسم) ١٦٨
المأمون (الخليفة) ٤٦، ٥٠، ٦٦، ٩٣، ٩٦، ١١٢، ١١٧، ١٤٦، ١٧٢، ١٧٧، ١٩٢، ٢٧٥، ٢٩٣، ٣٢٣، ٣٢٩
مبارك بن فضالة ٢٥٦
مبذول العذري ٢٠٣
المبرد ٤٧، ١٠٤، ٢٥٦، ٢٨٥
المتنبي (أبو الطيّب) ١١٤، ٢٥٨
المتلمس (جرير بن عبدالعزى) ٤٣، ١٩٤، ٢٠٧، ٣٠٣
المتوكل الليثي ٢٢١
المتوكل (الخليفة) ٤٦، ٩٠، ١٦١، ١٦٨، ٢٨١، ٢٨٦، ٣١٧، ٣٢٣
المثقب العبدي (عائذالله بن محصن) ١٨١
المثنى بن حارثة ١٥٧
محمد (عليه الصلاة والسلام) ٤١، ٤٥، ٧٤، ٨١، ١٠٥، ١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ١٢٦، ١٥٣، ١٨١، ٢٠١، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٨٩، ٣٥٦
محمد بن بحر ٣١٨
محمد بن الحنفية ٦٢، ١٩٥
محمد بن زياد الحارثي ٣٣١، ٣٤٦
محمد بن سليمان ٢٦٣
محمد بن عبدالله الأشكري ٢٥٥
محمد بن عبدالله القرشي ٢٥٥
محمد بن عبيد الأزدي ٢٠٠
محمد بن علي ٤٤، ٢٥٦
محمد بن عيسى ٣٣٨
محمد بن مكرم ٣٣٠
محمد بن النَّضْر الحارثي ١١٣، ١١٤
محمد بن واسع ١٧٠

محمد بن هشام ٣٠٢
محمد بن يزيد ٢٥٨
محمد بن يوسف ٢٩٦
محمود محمد شاكر ٢١١
محمود الورّاق ١١٣، ٢٦٥
المدائني ٤٧، ٢٧١، ٢٨٣
المرتضى ٣٠٦، ٣٥٣
مرداس بن عمرو ٢٠٤
المرزباني (أبو عبدالله) ٤٧، ٥٥، ١٠٤، ١٤٣، ١٥٤، ١٧٥، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٧٦، ٢٨٤، ٢٩٠، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٤٩
مروان بن أبي حفصة ٣١٣
مروان بن محمد ١٢٧
المرواني ٢٥٥
المستعين (الخليفة) ١٠٣، ٣٣٥
مسلم (الإمام) ٢٨٩
مسكين الدارمي (ربيعة بن عامر) ٢١١، ٣٥٤
مسلمة بن عبدالملك ٢٠٦، ٣٠١
مسكويه (أبو علي أحمد بن يعقوب) ١٧، ٧٥، ٧٧
مسوّر بن مخرمة الزهري ٥٥
مصعب بن الزبير ٤٧، ٣٥٠
المطيع لله العباسي (الخليفة) ٣٧، ٨٢، ١٦٩
مطيع بن إياس ٤٨، ٦٦، ٢٠٦، ٣٠٦
معاذ بن جبل ٢١٣
معاذ بن سعيد الحميري ١٩١
معاوية بن أبي سفيان ٤٥، ٤٦، ٥٣، ٦٤، ١٤٣، ١٧٨، ١٨٦، ٢٤٤، ٢٦٢، ٢٨٩، ٣٠٤، ٣٥٣
معبد بن مسلم ٢٨٩
معز الدولة الديلمي البويهي ٣٧، ٦٠، ٨٠
المعتصم (الخليفة) ٤٦، ٩٠، ١١٨، ١٧٧، ١٩٢، ٢٧٥، ٣٤٥
المعتضد (الخليفة) ٣٣٧
المعتمد (الخليفة) ١٠٤، ٣٢٩، ٣٣٧
معمر (صاحب عبدالرزاق) ٩٥
معن بن أوس المزني ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٩، ٣٥٣
المغيرة بن حبناء ١٣١
المغيرة بن شعبة ٢٢٢
المفضّل الضبي ٤٨
المقتدر (الخليفة) ٩٥، ١٤٥، ٣٢٣
المقنّع الكندي (محمد بن مظفر) ٢٢١، ٣٠٣
منقذ بن زيد الهلالي ٣٠٦
المنصور (الخليفة) ٣٠٨، ٣٣١، ٣٤٦
المنصوري (أبو العباس أحمد بن محمد بن صالح) ٨٨
المهتدي بالله (الخليفة) ٣٢٩
المهدي (الخليفة) ٣٨، ١٥٠، ٢٠٦، ٣٠٨، ٣٣٠، ٣٣١
المهلبي (الوزير) ٨، ٩، ١٧، ٧٦، ٧٨، ٨٠، ١٥٤، ١٨١، ٢٣٣، ٢٥٨
الموفق بالله (الخليفة) ٣٢٩
مؤيد الدولة البويهي ١٨٦
الميداني ٢٠٨، ٢٦٢
موسى بن جعفر ٤٢، ٢٥٦
ميمون بن هارون ٣٠٨
ميمون بن مهران ٤٣

- ن -

النابغة الذبياني ٥٠، ٨٠، ١٦٨، ٢٠٨، ٢٦٠، ٣١٠، ٣١١، ٣٤٣
الناقط ١٧٦
النعمان بن المنذر ١٠٧، ١٢٠، ١٨١، ٣٢٣
نفيل بن مرة العبدي ٢٢٧
نصر الدولة ساشنيكير ٨٤
نُصيب الشاعر ١٤٧

النضر بن الحارث ١١٣
النصير ١٤٧
النمر بن تولب (الكلبي) ١٢٦، ٢٥١
النمري ٣٠١
نهار بن توسعة ١١٩

- هـ -

الهائم أبو علي ١٣٥
هـارون الرشيـد ١٢١، ١٣٨، ١٤٩، ١٩٢، ٢٦٣، ٢٧٥، ٢٨٦، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٤٩
هبة الله بن إبراهيم المهدي ٢٥٤
الهذيل بن مشجعة اليولاني ٢٠٥
هرمز الفارسي ١٥٧
هرمس ١٩٣
هشام بن عبدالملك ٣٢٦
هلال بن العلاء الرقي ٥٢

- و -

الواثق (الخليفة) ٤٦، ٩٠، ١٧٧، ١٩٢، ٢٧٥
الواسطي ٢٧٩
والبة بن الحباب ٣٠٦
الوليد بن يزيد ٣٢٦، ٣٣٠

- ي -

ياقوت الرومي ٤، ١٣٦، ٢٩١
يحيى بن أكثم ٩٦، ٩٧
يحيى بن برمك ٤٨
يحيى بن خالد ٢٨٧، ٢٩٣، ٢٩٨
يحيى بن زكريا ٢٠٢
يحيى بن زياد ٤١، ٣٠٦
يحيى بن معاذ ٩٨، ١٠٠، ٢٩٦
يزيد بن جرير ١٤٩
يزيد بن الحكم الثقفي ٢٥٢
يزيد بن عبدالملك ١٢٥، ١٨٩
يزيد بن الفيض ٣٠٦
يزيد بن معاوية ١٨٦
اليزيدي ١٣٠، ٣٢٠
يعقوب ٢٦٢
يوسف بن سيبويه ٧٩
يوسف بن القاسم بن صبيح ٣٤٦
يونس بن عُبيد ٩٥، ٣٠١
يونس بن أبي وفرة ٣٠٦، ٣٠٧
يوسف بن النحوي (أبو عبدالرحمن يونس الضَّبيّ) ٢٩١، ٢٩٢

٢ ـ فهرس الأماكن والبلدان

ـ أ ـ

أرّجان ٧٧
أرض الروم ٢٠٦
إستانبول ٢٥
أصفهان ٢٢١، ٢٨٩، ٣٢٣، ٣٢٤
إفريقية ٥
أنطاكية ١٦٢
الأندلس ٦، ٢٠١، ٢٥٧
الأهواز ٥، ٩٠، ١٣٦، ١٤٦، ١٨٨، ٢٧٦، ٣٣١
أوروبة ٢٤٥

ـ ب ـ

البحرين ٦، ١٩٤، ٣٣١
بدر ٢١٣
البصرة ٥، ٣١، ٤٦، ٨٠، ٨٣، ١٢٤، ١٣٨، ١٤٦، ١٦١، ١٧٧، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٤٤، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٧٦، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩١، ٣٠٨، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٣١، ٣٣٣
بصرى ١٩٤، ٢٠٧
بعلبك ٢٥٧
بغداد ٥، ٧، ٨، ١١، ١٤، ٣٧، ٤٦، ٧٧، ٨٧، ٩٠، ٩٦، ١٢١، ١٣٦، ١٤٥، ١٥٠، ١٥٨، ١٦٨، ١٧٧، ١٨٨، ٢٠٦، ٢١٢، ٢٦٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٩، ٣٥٠
بلاد العرب ٢٨٩
بلعنبر ١٧٣
بيروت ٢٠١، ٢٥٧

ـ ج ـ

جبّل ١٣٦
الجبل ١٢٧، ٢٩١
الجبل (ديار) ١٢، ٣١
جيل (قرية) ٢٧٤
الجزيرة ٥

ـ ح ـ

الحجاز ١٢، ١٣٩، ١٩٢، ٢٨٨
حلب ١٦٢
حلوان ١٩٤
حمص ٢٩٥
حوران ١٩٤، ٢٠٧
الحيرة ٨١

ـ خ ـ

خراسان ٥، ٩٠، ٩٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٧، ١٣٦، ١٦٩، ٢١١، ٢٩٦، ٣٢٣
الخليج العربي ١١٣
خوارزم ٢٩
خوزستان ٥، ٣١، ١٣٦، ١٩١، ٢٨١

- د -

دارين ٢٤٨
دجلة-نهر ١٠، ١٨٩
دستميسان ١٤٦
الدسكرة (قرية) ١٣٦
دمشق ١٦٢، ٢٨٩
دهلك ١٨٢

- ر -

الرصافة ٣٥٠
رضوى (جبل) ٧٤
الرملة ٣٣٩
الريّ ٨٠، ١٦٩، ١٨٦، ٢٩٦

- ز -

زبالة (منزل) ٩٦

- س -

سابور (كورة) ١٤٨
سامراء ٩٠، ٣٠٠، ٣٢٣، ٣٣٧
سجستان ٢٢، ٣١
سرّمن رأى ٩٠، ٣٢٣
السند ٢١١
السواد ٣٢٣، ٣٤٦
سورية ١٩٤، ٢٠٧
سويقة (محلة) ٤٤

- ش -

الشـــام ٥، ١١١، ١٣٩، ١٨٩، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٣٣، ٢٤٤، ٢٥٧، ٢٨٩، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٢٩، ٣٣٩
الشرق ٦
شهرابان ١٣٦
شيراز ١٣

- ص -

صفين ٤٥، ٢٦٢
الصيمرة ٢٢، ٣١

- ط -

الطائف ٣٠١
طرسوس ٣٣٩
الطور-جبل ٢٥٧
الطيّب (بلدة) ١٩١

- ع -

عبادان (مدينة) ١١٣
العراق ٨٠، ٩٠، ١١٥، ١٨٩، ١٩٤، ٢٠٧، ٢١١، ٣٠٦، ٣٢٩
العراقان ٥، ١٢، ١٨٩
العرج (محلة) ٣٠١
العقيق ٩٧
عكاظ ٢٢٨
عمورية ٢٨٩
عين التمر (محلة) ٢٩٩

- غ -

الغرب ٦

- ف -

فارس ٥، ١٢، ٧٧، ١٤٨، ٣٣١
الفرات ٧٧، ١٨٩
فلسطين ٣٢٦

- ق -

القادسية ١٥٩
القاهرة ٢٤
القدس ٢٥٧

القسطنطينة ٢٤
قُم ١٦٩
قنّسرين ٤٦

- ك -

الكرخ ٢٧٥
الكـوفـة ٤٧، ٧٧، ٩٦، ١٢٧، ١٩١، ٢٠٦، ٢٢٨، ٢٦٣، ٢٨٨، ٢٩٩، ٣٠٨، ٣٢٣، ٣٤٦

- م -

ما وراء النهر ٥
المدينة ٤٥، ٤٧، ٧٤، ٩٧، ١٤٩، ١٩٢، ١٩٤
مـدينـة السـلام ١٤، ٢٩، ٩٦، ١٣٩، ١٨٦، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٦٧، ٢٨٣، ٢٨٩، ٣٠٦، ٣٠٨
مصر ٤٥، ١٦٨، ١٨٨، ١٩٢، ٣٣٧
مصوّع ١٨٢
معقل (نهر) ٣١
المغرب ٥
مكة ٩٢، ٩٥، ٩٦، ١٧١، ١٧٧، ٢٣٥، ٢٨٨، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣٥٣
الموصل ٥، ٢٨٩، ٣٢٦

- ن -

نجد ١٤١
نجران ٢٢٨
نصيبين ٢٨٩
النهروان الأوسط ٣٣٥
نيسابور ٩٨
النيل (قرية) ٧٧

- هـ -

هجر ٦
الهند ٢٤٨

- و -

واسط ٥، ٧، ١٤٦، ١٩١

- ي -

اليمامة ٦، ٢٦٤، ٣٣١، ٣٤٩
اليمن ١٤٩، ٢١٣، ٢٩٥

٣ ـ فهرس الأمم والقبائل والطوائف

ـ أ ـ

إخوان الصفاء ٨٠
الأمويون ٣٥٣
الأنصار ٤٥
الأوزاع (قبيلة) ٢٥٧
الأوس ٢٢٩، ٣٥٤
أسد (بنو) ١٢٦، ٢٥٩، ٣٠٢
الأعاجم ٧
الأمم ٧
أميـــة (بنـــو) ٤٥، ١٢٤، ١٢٥، ٢٥٨، ٢٩٩، ٣٤٦، ٣٥٤
إياد (بنو) ٢٢٨

ـ ب ـ

البرامكة ١٢١، ٢٧٤، ٣٢٩
البهشمية (فرقة) ٨٠
بويه (بنو) ٥، ٧٦

ـ ت ـ

التصوف ٦، ١٠، ١١، ١٣، ١٤، ١٧، ١٨، ٨٧
تغلب بن وائل (بطن) ٥
تميم (بنو) ٧٣، ٣٥٤
التوكل ١٠

ـ ث ـ

ثعل (بنو) ١٤٤
ثعلبة ٢٠٨
ثقيف ٢٩٨
ثوابة (آل) ٢٣٦

ـ ج ـ

الجبّائية (فرقة) ٨٠
جعدة (بنو) ٢٦٢
جفنة (آل) ١٩٤، ٢٠٧
جمح (بنو) ٣٥٣

ـ ح ـ

الحسحاس ١٢٦
حمدان (بنو) ٥
حنيفة (بنو) ٣٤٩

ـ خ ـ

الخزرج ٢٢٩
الخوارج (فرقة) ٨٢، ٣٠٦

ـ د ـ

الديلم ٥

ـ ز ـ

الزندقة ٦، ١٠، ٣٨، ١٢١، ١٢٧
الزهد ١٨

ـ ر ـ

الروم ١٢٥، ٣٠٢، ٣٠٦

- س -

الساسبانيون ١٣
الساسانيون ١٣
سعد (قبيلة) ٢٠٨

- ش -

الشراة (فرقة) ٨٢، ٣٠٦
الشيعة ٥، ١٦٩

- ص -

الصحابة ٢٩٥

- ع -

عامر بن كلاب (بنو) ١٥٠
العباسيون ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٤٦
عبد القيس (بنو) ٢٢١
العبيديون ٥
عجل (بنو) ٢٦٣، ٢٧٥
العجم ٥، ٤٢
العرب ٧، ١٨، ٤٢، ٤٥، ٧٤، ١١١، ١٢٠، ١٢٦، ١٢٨، ١٤٦، ١٧٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٨٠، ٣٠٦، ٣٠٩

- غ -

غطفان ١١٨

- ف -

الفاطميون ٥
فزارة (بنو) ٢١٣
فلاسفة اليونان ١٨

- ق -

القرامطة الباطنيون ٥
قريش ٤٧، ١٣٤، ١٨١، ٢١٢، ٢٨٣، ٣٥٣
القيسيون ٣٥٤

- ل -

لؤي بن غالب ٢٣٥

- م -

مضر ١٥٩
المعتزلة ١٧، ٤٦، ٧٩، ٨٠، ٢٩١
المناطقة ١٠

- ن -

نهشل بن دارم (بنو) ١٠٧، ١٩١

- هـ -

هاشم (بنو) ١٢٧، ١٤٥، ١٦٧، ٢٩٢، ٣٤٧
هذيل (بنو) ٢٦٢
هلال (بنو) ١٣٩

- ي -

اليهود ٢٩٥

٤ ـ فهرس أسماء الكتب المذكورة في الكتاب

ـ أ ـ

الآداب للعتّابي ١٢١
الإبل لأبي زياد الكلابي ١٥٠
الأجواد للعتابي ١٢١
أخبار الراضي والمتقي ٧
الإخوان لسهل بن هارون ١٤٦
الأدب الكبير لابن المقفع ٣٣٣
الأدب الصغير لابن المقفع ٩٣، ٣٣٣
إرشاد الأريب ٣٧، ٢٩١
أساس البلاغة للزمخشري ١٤٨، ٢٣١، ٢٦٩، ٣٥٥
الاشتقاق لابن دريد ٤٢
إصلاح المنطق ٢٨١
العسقلاني ٢٤٤
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٤٢، ٤٧، ٧٤، ٩٠، ١٠٣، ١٠٨، ١٢٦، ١٢٧، ١٤٧، ١٦٧، ١٧٧، ١٩٢، ٢٠٦، ٢٢١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٧٠، ٢٧٨، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٥٤
الألفاظ للعتابي ١٢١، ٢٨١
أمالي للمرتضى ٢٣٥، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٧٠، ٣٠٦، ٣٥٣
الإمتاع والمؤانسة لأبي حيّان التوحيدي ٣٥، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٧، ٩٢، ٩٦، ١٠٩، ١٣٣، ١٤٢، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٩، ١٨٦، ١٨٨، ٢٩٦
الأوراق للصولي ٧

ـ ب ـ

البديع لابن المعتز ١٤٥
البصائر والذخائر ١٤٢
البيان والتبيين للجاحظ ٩٨، ١٤٦، ١٤٩، ١٨٩، ٢٠٣، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٣٣٣

ـ ت ـ

تاريخ ابن عساكر ٢٤٥
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢٨٥، ٢٨٦
تاريخ الحكماء للقفطي ٧٥، ٨٨
التبيان لابن ناصر الدين ١٨٨

ـ ث ـ

ثعلة وعفرة لسهل بن هارون ١٤٦

ـ ج ـ

جمهرة أشعار العرب ٢٠٤

ـ ح ـ

الحضارة الإسلامية آ. متز ٤
حماسة ابن الشجري ١٣٨
الحيوان للجاحظ ٣٠٦، ٣٣٣

ـ خ ـ

خزانة الأدب للبغدادي ٢٠٤، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٧٠
خلق الإنسان لأبي زياد الكلابي ١٥٠

الخيل للعتابي ١٢١

- د -

ديوان الحماسة لأبي تمام ١٥٩، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٢١، ٢٤٩

ديوان الحماسة للبحتري ٦٣، ١٢٧، ١٣٨، ١٥٩، ١٨٧، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٧٨

الديارات للشابشتي ١١٧

ديوان رسائل لأحمد بن إسماعيل ابن الخطيب الأنباري ٣٠٨

ديوان المعاني ١٨٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣١٠

- ر -

الرّد على الخليل لعلي بن هارون ١٨٩

- س -

سلوك المالك في تدبير الممالك لابن أبي الربيع ٣٤٥

سيبويه (كتاب) ٧٩

- ش -

شرح شواهد المغني للسيوطي ٢٣٤

الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٩٤، ٢٧٠، ٢٩٢، ٢٩٣

شهر رمضان لعلي بن هارون ١٨٨

- ص -

الصاحبي لابن فارس ١٨٦

صفة النفس لأحمد بن إسماعيل بن الخطيب الأنباري ٣٠٨

صوان الحكمة لأبي سليمان السجستاني ١٠٠

- ط -

طبقات الشعراء لابن المعتز ١٢١، ١٤٥، ٢٦٤، ٢٦٥

طبقات الشعراء لابن سلام ٢٢٩

طبقات فحول الشعراء للجمحي ١٨٩، ١٩٤

الطرائف الأدبية للميمني ٩١، ٩٢، ١٠٩، ١٦٤، ١٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٢

طبقات الكتاب لأحمد بن إسماعيل بن الخطيب الأنباري ٣٠٨

- ع -

عيون الأخبار لابن قتيبة ٤٢، ٥٠، ٦٣، ٧٣، ٩٣، ٩٨، ١٠١، ١٢٤، ١٢٩، ١٥٨، ١٦٧، ٢٩٢، ٢٩٣

العقد الفريد لابن عبد ربه ٢٣٥

- ف -

الفرق بين إبراهيم وإسحاق ١٨٩

الفرق لأبي زياد الكلابي ١٥٠

فنون الحكم للعتّابي ١٢١

الفهرست لابن النديم ٨٨، ٩٢، ٩٦، ١١١، ١١٢، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٤، ٢٧٥، ٢٩١، ٣٠٠، ٣٢٤

فوات الوفيات للصفدي ١٦٨، ٢٨٧

- ق -

القاموس المحيط للفيروزابادي ٢٩٩

- ك -

الكامل لابن الأثير ٢٩٣

كليلة ودمنة لابن المقفع ٥٤، ١٤٦، ٣٣٣

- ل -

لسان الميزان للعسقلاني ٢٩٩

اللغات ليونس النحوي ٢٩٢

- م -

مثالب الوزيرين لأبي حيّان التوحيدي ١٤٨،

١٥١، ١٨٧، ٢٥٨، ٢٩٦، ٣١٧، ٣٣١
مجالس ثعلب ٣١٦
مجمع الأمثال للميداني ٢٠٨، ٢٦٢
المجمل لابن فارس ١٨٦
مجموعة المعاني ١٣٨، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١٣
محاضرات الأدباء للأصبهاني ١١٣، ١١٥
مختارات ابن الشجري ٢٢٠
المخزومي والهذلية لسهل بن هارون ١٤٦
المسائل لسهل بن هارون ١٤٦
المعارف لابن قتيبة ١٨٩، ٣٢٦
معاني القرآن ليونس النحوي ٢٩٢
معجم الأدباء لياقوت الرومي ٤، ٧٨، ٩٠، ١٥١
معجم البلدان لياقوت الرومي ٣١، ٤٤، ٩٦، ١٣٦
معجم الشعراء للمرزباني ٤٧، ٢٩٩، ٣٠٢
المفضليات للضبّيّ ١٥٩، ١٨١، ٣٠٤، ٣٠٥
المقابسات لأبي حيان التوحيدي ٢٣، ٦٩، ٨٨، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠١، ١٠٩
المؤتلف والمختلف للآمدي ٢٣٤

- ن -

نكت الهميان للصفدي ٢٤٤، ٢٧٦
النوادر الصغير ليونس النحوي ٢٩٢
النوادر الكبير ليونس النحوي ٢٩٢
النوادر لأبي زياد الكلابي ١٥٠
النوروز والمهرجان لعلي بن هارون ١٨٩

- هـ -

الهوامل والشوامل لأبي حيّان التوحيدي ٧٧

- و -

الوحشيات (ديوان) لأبي تمام ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٤، ٢١٦، ٢٩٨، ٢٩٩
وفيات الأعيان لابن خلكان ٨٩، ٩٠، ١٨٩، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٣٠

- ي -

اليتيمة لابن المقفع ٣٣٣
يتيمة الدهر للثعالبي ٩، ٤٠، ٧٦، ٨٩

٥ ـ فهرس القوافي

قافيته	قائله	الصفحة
	الألف المقصورة	
قلى	سعية بن عريض اليهودي	٥٣
القلى	شاعر	١٢٨
	ـ ء ـ	
وبناء	العتبي	٥٩
يشا	شاعر	٢٣، ٦٩
غلوائكا	الصولي	٩٢
الجوزاء	شاعر	١٠٥
وسماؤه	شاعر	١٩٠
سواء	شاعر	١٩٧
سواء	شاعر	٢٠١
وورائه	سماك بن خالد	٢٠٥
الإخاء	شاعر	٢٢٤
ماؤه	شاعر	٢٦١
جزائه	شاعر	٢٦٥
إخائه	شاعر	٢٦٨
الوفاء	شاعر	٢٧٤
وفائك	جحظة	٢٧٥
جزاء	معبد بن مسلم	٢٨٩
	ـ ب ـ	
يغضب	العجير	٤٣
استحبابا	شاعر	٤٣
ومرحبا	شاعر	٤٣
بجنبي	شاعر	٥٦
تعاتبه	شاعر	٥٨
خطب	شاعر	٦٢
بعازب	شاعر	٦٣
المهذب	النابغة الذبياني	٨٠
الصاحب	شاعر	٨١
ويُجْتنب	شاعر	٨٩
قلّب	شاعر	٩٣
يضرب	شاعر	٩٤
مرغب	سعيد بن حميد	١٠٣
حبيب	شاعر	١٠٥
وقارب	شاعر	١٠٦
كذبوا	شاعر	١٠٨
تعاتبه	شاعر	١١٥
الصاحبا	شاعر	١١٤
فتعتبا	شاعر	١١٥
تعاتبه	بشار بن برد	١١٥
متعب	شاعر	١١٦
أعاتبه	شاعر	١١٧
كذبه	شاعر	١١٧
أعتبا	شاعر	١١٩
غبّا	شاعر	١٢١
واجتناب	سعيد بن حميد	١٢٢

العتاب شاعر ١٢٣
يغالبه شاعر ١٢٦
راكب شاعر ١٢٩
مستعتب شاعر ١٣٠
أحرب شاعر ١٣٠
بالسبّ شاعر ١٣١
بالسب شاعر ١٣٦
حسابك شاعر ١٤٢
عيوب شاعر ١٤٣
العتاب العطّافي ١٤٣
كاذبه شاعر ١٤٤
انقلاب شاعر ١٤٨
يعاتب شاعر ١٥٨
الغلابا ربيعة بن مقروم الضبّي ١٥٩
الخطوب شاعر ١٦٢
قرابه شاعر ١٦٢
غلبا إبراهيم بن العباس ١٦٤
جانبه إبراهيم بن العباس ١٦٥
كالأجبّ إبراهيم بن العباس ١٦٧
الخطب شاعر ١٦٨
أعاتبه شاعر ١٦٩
تريب أحمد بن يحيى ١٧٤
وتطيب ابن عروس ١٧٤
يعتب ابن السكيت ١٧٦
خطوبها شاعر ١٨٠
أقاربه شاعر ١٨٣
بالعتاب شاعر ١٨٤
القلب علي بن هارون ١٨٨
العجيب رجل من بني نهشل ١٩١
الصحْبة شاعر ١٩٣
قلبه شاعر ١٩٦
صاحب كثيِّر عزّة ١٩٨
جنوب شاعر ١٩٩
تعاقبه الأقرع بن معاذ ٢٠٦
اقترابي العرجي ٢٠٦
أطرب شاعر ٢٠٨
الذهب شاعر ٢٠٨
المهذب النابغة الذبياني ٢٠٨
الأهاضيب شاعر ٢٠٩
المعاتب ابن دارة ٢١٣
العقارب شاعر ٢١٥
النوائب شاعر ٢١٥
محبوب شاعر ٢١٥
جانبه ابن الدبيّة الثقفي ٢١٦
يغضب حجيّة بن المضرّب ٢١٨
الثعالب أبو الأسود الدؤلي ٢١٨
واقتربا شاعر ٢١٩
تقلبا شاعر ٢٢٠
صبيبه شاعر ٢٢٢
تعاتبه شاعر ٢٢٤
الريب شاعر ٢٢٥
يقرب أبو الأسود الدؤلي ٢٢٧
جانبي شاعر ٢٣٠
ذنب شاعر ٢٣٥
بصاحب شاعر ٢٣٥
غالب أبو الأسود الدؤلي ٢٣٥
التجارب شاعر ٢٣٩
أعاتبه شاعر ٢٣٩
يتجنب شاعر ٢٤٠
عتبا شاعر ٢٤٠

غائبه شاعر ٢٤١
القريب عبيد بن الأبرص ٢٤١
تعب شاعر ٢٤٢
اجتنابا شاعر ٢٥١
تقربا شاعر ٢٥١
طالب شاعر ٢٥٢
الثعالب أبو الأسود الدؤلي ٢٥٢
تشبه شاعر ٢٥٢
أجرب شاعر ٢٦٠
المحلب النابغة الجعدي ٢٦٢
حجابي شاعر ٢٦٥
كالأجرب شاعر ٢٦٨
غاربي شاعر ٢٧٠
تعاتبه شاعر ٢٧٣
صبّا شاعر ٢٧٤
عقاربه أبو الأسود الدؤلي ٢٧٧
القلوب شاعر ٢٨٥
المتغيب أبو العتاهية ٢٩٩
الغراب العرجي ٣٠٢
المنجاب ربيعة الأسدي ٣٠٢
يتقلب شاعر ٣٠٣
المهذب النابغة الذبياني ٣١٠
مشربا شاعر ٣١٠
لنصيبي شاعر ٣١٧
يتجنب عبدالله بن معاوية ٣٤٨
محبوب شاعر ٣٤٩
الأسباب ثعلب ٣٤٩
الأكذب شاعر ٣٥١
الجرب شاعر ٣٥٢
شاعبُ معن بن أوس ٣٥٣

- ت -

العداوات هلال بن العلاء الرقي ٥٢
أشتات شاعر ١١٠
الممات شاعر ١٣٣
وأموات شاعر ١٧٨
عثراتي شاعر ١٩٦
زلّت شاعر ٢٠٤
اكفهرّت شاعر ٢٠٤
الطلبات شاعر ٢٦١
الترات شاعر ٢٦٨
همته شاعر ٢٨٨

- ث -

الحوادث شاعر ١٢٢
فترث شاعر ٢٢٠
المباحث ٢٩٥
مباحث شاعر ٢٩٩

- ج -

مخدج شاعر ٣٩
سمج شاعر ٣٦
ولج محمد بن عبدالملك الزيات ٢٨٤
اعوجاجا أبو زافر ٢٩٧

- ح -

فيصلح شاعر ٤٨
ملحاحا شاعر ٥٠
المجارح شاعر ١٥٣
صالح شاعر ١٥٩
مازح شاعر ١٨٣
فصحيح شاعر ٢٠٤
المزّح شاعر ٢١٧

الرماح شاعر ٢٤٠
مادح شاعر ٢٧٨
سلاح شاعر ٣٠٦
الأرواح بكر بن النطاح ٣٤٩
واضحة طرفة بن العبد ٣٥١
جناح شاعر ٣٥٢

- خ -

باذخ الصولي ٩١
النقاخ الحارث بن خالد ٣٥٠

- د -

تلادي ابن الحشرج ٤٣
معدّه شاعر ٤٦
العهد ثعلب ٦٧
مقتدي عدي بن زيد ٨١
باد أسود بن يعفر ١٠٨
وسادي أسود بن يعفر ١٠٨
الأبد شاعر ١٠٨
بدٌ شاعر ١١٤
جدٌ المتنبي ١١٤
تستجده شاعر ١٢٠
ولد شاعر ١٢٣
المهند عدي بن زيد ١٢٤
بقعدد شاعر ١٢٨
عادا شاعر ١٣٤
الواحد شاعر ١٣٥
والوجد شاعر ١٤١
تجدي شاعر ١٤٤
جديد شاعر ١٦٣
ترده شاعر ١٦٦
الأكباد شاعر ١٦٩
زادي شاعر ١٧٢
الود شاعر ١٧٣
البعيد العباس بن الأحنف ١٧٥
بالزاهد إبراهيم بن العباس الصولي ١٨٠
الواحد شاعر ١٨١
زادا شاعر ١٨٣
والودّ الزهيري ١٨٨
الودّ شاعر ١٩٠
تردي شاعر ١٩٩
زندي شاعر ١٩٩
وادِ شاعر ٢٠٣
الحديد شاعر ٢٠٨
حاسد شاعر ٢٠٩
فأجهدا الخريمي ٢١١
عدّداً شاعر ٢١٨
جوادا زياد الأعجم ٢٢١
جدّا المقنع الكندي ٢٢٢
ودود شاعر ٢٣١
تستفده شاعر ٢٣٦
بالواحده شاعر ٢٣٦
يد شاعر ٢٣٩
حقد شاعر ٢٤٠
ودّي شاعر ٢٤٤
الرّبْد شاعر ٢٤٩
الرشد شاعر ٢٥٤
بدٌ شاعر ٢٥٨
جديد شاعر ٢٦٣
ودي شاعر ٢٦٥
عهده محمود الورّاق ٢٦٥

الكبد شاعر ٢٦٥
العدد شاعر ٢٦٦
تَفقّد أبو زيد العذري ٢٧٠
الحسد شاعر ٢٧٢
حامده أعرابية ٢٧٩
صدود السدري ٢٩٠
لديه شاعر ٢٩٨
بفدفد الحارث دعي الوليد ٣٠٣
المواعيد شاعر ٣٠٤
فاقد أسامة بن الحارث ٣٠٥
واحد شاعر ٣٠٧
عنده عبيدالله بن عبدالله ٣٠٩
مجدا شاعر ٣١٢
تجد شاعر ٣٢١
تليدها كثيّر عزّة ٣٤٨
بالود شاعر ٣٤٨
واد سويد بن منجوف ٣٥٠
والده شاعر ٣٥١
محسود أبو دهبل الجمحي ٣٥٣

- ر -

سمّاري شاعر ٣٨
صفر شاعر ٤٣
عاقره أعرابي ٤٤
عذرا شاعر ٥٨، ١٠٢
فأكثر شاعر ٦٣
بسروره شاعر ٦٥
يُسر رجل من بني تميم ٧٣
المشير شاعر ٨١
يفري سويد بن الصامت ٩٧
وظهور محمود الورّاق ١١٣
النبر شاعر ١١٤
السفر شاعر ١١٧
الغدر سعيد بن حميد ١٢٢
الصدر شاعر ١٢٨
فداره شاعر ١٢٩
كبير شاعر ١٢٩
كبر شاعر ١٤٣
أثره امرؤ القيس ١٤٤
النّزر شاعر ٩٨، ١٥٤
والآخر شاعر ١٦٢
الغدر شاعر ١٦٥
فتعذرا شاعر ١٦٨
تضير شاعر ١٦٨
بالهجر رجل من بلعنبر ١٧٣
البائر شاعر ١٧٤
الدهر عبيدالله بن طاهر ١٧٦
بشر الخليع ١٧٧
النَّضْر الزبرقان ١٧٨
صبر شاعر ١٧٩
شررا شاعر ١٨٦
عاذر عبدالرحمن بن حسان ١٩٤
بالتكدير شاعر ١٩٥
الغدر شاعر ١٩٥
صبري شاعر ١٩٦
فجرا شاعر ١٩٦
الزّور شاعر ١٩٨

فاقره مبذول العذري ٢٠٣
كسر شاعر ٢١٠
المطر مسكين الدارمي ٢١١
الدهر شاعر ٢١٣
موفوراً شاعر جاهلي ٢١٦
الهجر شاعر ٢٢٤
النثر شاعر ٢٢٤
عاذر عبدالرحمن بن حسّان ٢٢٨
يدري أسماء بن خارجة ٢٢٨
تكثير شاعر ٢٢٩
معورا شاعر ٢٣٠
منكر شاعر ٢٣٠
العسر شاعر ٢٤٠
أشرار شاعر ٢٤٢
بسرّه شاعر ٢٤٢
وقرا سالم بن وابصة ٢٤٩
اليسر محمد بن يزيد ٢٥٨
أزري شاعر ٢٦٠
وقر سدوس بن ذهل اليربوعي ٢٦٢
فيغفر شاعر ٢٦٣
كبره شاعر ٢٦٦
يسرّ شاعر ٢٦٦
تشاجره شاعر ٢٦٨
مدبرا شاعر ٢٧٣
والصبر شاعر ٢٧٥
تتسير شاعر ٢٧٦
السفر أعرابي ٢٨٣
البصر شاعر ٢٨٥
الخمر ابن السراج ٢٨٥
يتأخر سهل بن هارون ٢٨٥

الثغر شاعر جاهلي ٢٩٤
ذخائر شاعر ٢٩٨
أستثيرها شاعر ٣٠٤
عاقر ثعلبة بن صُعير ٣٠٤
وغدره شاعر ٣١٢
الدار شاعر ٣١٦
حضور شاعر ٣٣٦
الدهور سعيد بن حنيف ٣٣٩
يدري النابغة الذبياني ٣٤٣
سروري الأعشى ٣٤٣
واتر شاعر ٣٤٧
الصدر شاعر ٣٤٨
سيري جميل بثينة ٣٤٨
ناصر الحسن بن وهب ٣٥٢
زفر الأخطل ٣٥٤

- ز -

عوز الأندلسي ٤٨
عجزا شاعر ٥٦
حازا شاعر ١٢٣
كنزا شاعر ١٩٠
اللمزة شاعر ٣٥١

- س -

أنسا شاعر ١١٢
المغمّس شاعر ٢٠٠
فقعس شاعر ٢٠٩
يالناس بشار بن برد ٢٢٤
عابساً شاعر ٢٢٨
جليس غلاقة التغلبي ٢٩٩

- ص -

النصّ شاعر ١٠٣
حريص شاعر ١١٧
مخلص شاعر ١٧٩
القميص الفرزدق ١٨٩

- ض -

عرضي شاعر ١٣٧
ينقضا عبدالله بن معاوية ١٤٩
ممضّ شاعر ١٥٢
فرضا شاعر ١٨٢
غائض برج بن مسهر الطائي ٢٠٢
ماحض شاعر ٢٠٤
مريض شاعر ٢٤٢
الدحض شاعر من بني أسد ٢٥٩
مريض شاعر ٢٧٠
محضا شاعر ٢٩٥
اعترض الفضل الهاشمي ٣٤٧
قارض ابن الأعرابي ٣٥٣

- ظ -

الحافظ شاعر ١٦٣
الحفائظ شاعر ٢٣٥

- ع -

لينفعك المأمون ٥٠
أتجرع شاعر ٦٤
الأربع شاعر ٧١
شفيع شاعر ١١٥
قطعا شاعر ١١٦
تنفع شاعر ١٢٠
موضعا شاعر ١٣١
يصدّع شاعر ١٣٧
طباعه شاعر ١٤٧
تصرعوا عبدة بن الطبيب ١٥٧
مستتع عبدة بن الطبيب ١٥٧
نافع شاعر ١٦٤
وأشيع الأحوص ١٨٢
ويمتنع أبو الفتح بندار ١٩٥
أجع شاعر ١٩٦
الجنادع محمد بن عبيد الأزدي ٢٠٠
واسع الكيت بن معروف ٢٠٩
الجياع شاعر ٢١٠
مانع شاعر ٢١٤
أتضعضع شاعر ٢١٤
الأصابع شاعر ٢١٤، ٢٧٣
أجع شاعر ٢١٦
طمعا شاعر ٢١٧
ضلعا شاعر ٢١٧
واسع شاعر ٢١٩
انقطعا شاعر ٢٢١
ومسمع شاعر ٢٢٣
مُولع شاعر ٢٢٥
الأضلع شاعر ٢٢٥
واجتاع نفيل بن مرة ٢٢٧
أسمع شاعر ٢٢٧
ذرعا قس بن ساعدة ٢٢٨
لمفجّع شاعر ٢٦١
أوسع شاعر ٢٦٦
رتع شاعر ٢٦٩
سميعاً إبراهيم بن العباس الصولي ٢٩٢
يتصدعوا المتلمس ٣٠٣

المنقع عبدة بن الطبيب ٣٠٥
شفيع القاسم بن محمد الكرخي ٣٢٥
الأصابع الأحوص ٣٤٨

- غ -

فرّغا شاعر ١٧٩

- ف -

معارف شاعر ٤٠
نتعارف بعض السلف ٥٦
حرفا مطيع بن إياس ٦٦
تعترف شاعر ١٠٩
أحرفا شاعر ١٥٨
تخفى شاعر ١٦٣
خلفا ذو الشامة ١٧٢
زادي شاعر ١٧٢
واصف أبو السائل ١٨٢
رديف شاعر ٢٢٣
نأتلف شاعر ٢٤١
معارف شاعر ٢٤٨
حتفي شاعر ٢٦٩
يخلف إسحاق بن إبراهيم الموصلي ٢٧٥
يكلف بشار بن برد ٢٩٩
خلف شاعر ٣٠٢
بالتخفيف العنبري ٣٥٠

- ق -

بصديق أبو إسحاق الصابي ٣٧
للمتقي صلح بن عبد القدوس ٣٨
فرق سيف الدولة ٤٠
الوثيق أبو زبيد الطائي ٤٢
صديق شاعر ٤٤
بربقي شاعر ٥١
مضيق شاعر ٥٧
بالمذق عمر بن عبد العزيز ٦٢
رفيق شاعر ٧٣
الغبوق ابن سعدان ٧٤
صديق أبو نواس ٩٣
الطرق الأعمش ٩٩
الملق شاعر ١٠٦
بالإحراق شاعر ١١٦
توافقه شاعر ١١٦
الصديق شاعر ١٢٠
الصديق علي بن ثابت ١٢٦
الشفق شاعر ١٢٨
وأوراقه شاعر ١٣٠
صديق شاعر ١٣٥
مفارقه شاعر ١٣٥
رقيق شاعر ١٤٨
حقوق ابن كعب الأنصاري ١٥١
صديق شاعر ١٥٣
الصديق شاعر ١٦٠
صديقه الصنوبري ١٦٢
الصديق العباس بن الأحنف ١٧٥
شفيقاً شاعر ١٦٧
خلائقه شاعر ١٨٢
والنفاق شاعر ١٨٣
بالملق شاعر ١٩٢
صدوق شاعر ١٩٣
تفرّقا شاعر ١٩٧
شفيق شاعر ٢٠٤
تتفرق شاعر ٢١٤

الخلقا شاعر ٢٢١
التفرق شاعر ٢٣٠
صديق شاعر ٢٣٥
الأحمق شاعر ٢٣٨
واثقا شاعر ٢٤١
صديقا شاعر ٢٤٢
عنقه شاعر ٢٤٢
حقيقا شاعر ٢٤٨
لصديق شاعر ٢٧٠
صديق شاعر ٢٧٣
طليق شاعر ٢٧٨
الخلق شاعر ٢٩٣
اتفاق شاعر ٢٩٤
الخلقا شاعر ٣٠١
الخلق العرجي ٣٠٢
الصديقا شاعر ٣٠٢
بريقي شاعر ٣١١
مضيق شاعر ٣١١
السبوق شاعر ٣١٥
نلتق عبدالله بن المعتز ٣١٥
توافقه شاعر ٣١٩
الأوثق شاعر ٣٣١
واثق أبو صالح ٣٣٤
العتيق شاعر ٣٤٩
عقوق شاعر ٣٥٠

- ك -

عناكا شاعر ٦٢
بأمثالكا أبو عبيدة ١٠٢
خبرك شاعر ١٠٩
مساويكا الزهيري ١٦٠
هواكا ماني المسوس ١٦٨
يداكا القطامي ١٩٤
حباكا شاعر ٢٠٦
إليكا بشار بن برد ٢٢٦
يداكا القطامي ٢٢٧
يراكا شاعر ٢٥٣
صديقك شاعر ٣٠٠
أبكى شاعر ٣١٩
فكاكا حماد عجرد ٣٣٠
هالك الفضل بن عبدالرحمن الهاشمي ٣٤٨

- ل -

آكله شاعر ٤١
يقول الأصمعي ٥١
سؤول شاعر ٥١
الأدغال شاعر ٥٢
ودغل الكميت ٥٢
يعقل شاعر ٥٨
يقال ابن نصرويه ٥٩
حال ابن أبي كانون ٦٦
حمله شاعر ٩١
العقول شاعر ٩٥
تقولوا شاعر ١٠٠
ويميلُ سعيد بن حميد ١٠٢
المواليا فرار بن سيار ١٠٧
الخليل شاعر ١٢٠
الملال شاعر ١٢١
أمثل سعيد بن حميد ١٢٢
بالملول سعيد بن حميد ١٢٣
أواصله شاعر ١٢٦، ٢٥١

الوهل ابن سحيم ١٢٧
زله عبدالله بن معاوية ١٢٧
مثله عبدالله بن معاوية ١٢٧
طائل الطرماح بن حكيم ٢١٠
فأقبل شاعر ١٩٤
بالمقبل شاعر ٢٣١
شمائله شاعر ١٢٧
سبيل اليزيدي ١٣٠
قليل عبيدالله بن عبدالله ١٣٥
الحيل شاعر ١٣٥
حاله عبدالله بن جعفر ١٣٨
جميل الأصمعي ١٣٨
العالي سهيل بن هارون ١٥٠
نعله شاعر ١٥٤
أبدال العطوي ١٦١
الرجل شاعر ١٦٣
منتقل شاعر ١٦٣
تزول شاعر ١٦٤
وصلا شاعر ١٦٥
يتبدل شاعر ١٦٦
مملوك شاعر ١٧٣
سبيلاً شاعر ١٧٥
فالوا شاعر ١٧٧
حاله عبدالله بن معاوية ١٨٧
الفضل شاعر ١٩٠
بقليل كثيّر عزّة ١٩٢
فاقبل المتلمس ١٩٤
خليل شاعر ١٩٥
المقال شاعر ١٩٧
فيكل شاعر ١٩٨
الكهولا شاعر ٢٠٢
غافل شاعر ٢٠٤
فعله مطيع بن إياس ٢٠٦
وأصلي جساس بن بشر ٢٠٧
يبالي بعض المدنيين ٢١١
حامله شاعر ٢١٣
اعتدلا الربيع بن أبي العقيق ٢١٤
أوائله عمرو بن مالك البجلي ٢١٤
الوصل شاعر ٢١٧
مثلي شاعر ٢١٧
عديل شاعر ٢٢٤
أقول شاعر ٢٢٦
فاقبل شاعر ٢٢٧
كليل شاعر ٢٣٩
فعلا شاعر ٢٣٩
قبلي شاعر ٢٤١
شمائله شاعر ٢٤٣
الملل شاعر ٢٤٣
أوله معن بن أوس ٢٤٤
فعل عبدالله بن طاهر ٢٤٧
أول معن بن أوس ٢٤٩
قائلهْ زهير بن أبي سلمى ٢٥٤
بحمول ابن الأعرابي ٢٦١
كله شاعر ٢٦٤
العقل شاعر ٢٦٨
دخل شاعر ٢٦٨
قليلاً شاعر ٢٦٩
طولي شاعر ٢٦٩
وصلا إبراهيم بن العباس الصولي ٢٨٣
والأهل علي بن جعفر الكاتب ٢٨٣

خليلا أبو الأسود الدؤلي ٢٨٤
الخليل شاعر ٢٩٠
أفعل أبو زافر ٢٩٧
مهلا ابن حبيب ٣٠٠
القليل إسحاق بن إبراهيم الموصلي ٣١٧
يسأل شاعر ٣٢٢
وصالي الأحوص ٣٤٧
غوائل ابن الدمينة ٣٤٧
وجل شاعر ٣٤٨
ملائلي شاعر ٣٥٥

- م -

تعظّما شاعر ٤١
شتم المتلمس ٤٣
الكريم شاعر ٥٧
الأدم شاعر ٧٥
ندم شاعر ٨٩
وكرم شاعر ١١٤
ألاما شاعر ١١٦
تلومُ عروة بن الورد ١١٨
سلم نهار بن توسعة ١١٩
الأيام العتابي ١٢١
تحكما النمر بن تولب ١٢٦
وأيامي الخليل بن أحمد ١٢٩
مقسّما شاعر ١٤٤
والمنام شاعر ١٥٧
سنام النابغة ١٦٨
تهدما عبدة بن الطبيب ١٥٧
سليم شاعر ١٧٢
تعمى روح أبو همام ١٨٨
الكريم أبو علي النحوي ١٩٥
تعلم شاعر ١٩٧
ميسما المتلمس ٢٠٧
وصم شاعر ٢٠٩
بالمعصم شاعر ٢١٦
ظالما شاعر ٢١٨
المجم شاعر ٢٢٦
كريم أبو الأسود الدؤلي ٢٢٦
تعظما شاعر ٢٢٧
النعم شاعر ٢٢٩
قرم سالم بن وابصة ٢٣٤
يتخذّما شاعر ٢٤٣
حلم شاعر ٢٤٥
تصرما النمر بن تولب ٢٥١
علم شاعر ٢٤٩
الأدم شاعر ٢٦٠
تتقوّم عمارة بن عقيل ٢٦٤
الكرم شاعر ٢٦٦
شتم شاعر ٢٧١
شيهم شاعر ٢٧٦
صرما شاعر ٢٧٧
بلئيم شاعر ٢٩٤
لازم يونس بن فروة ٣٠٦
القائم حمّاد عجرد ٣٠٧
بالحزام أحمد بن إسماعيل بن عباد ٣٢٢
موسم عبد الله بن طاهر ٣٥٥

- ن -

رآني شاعر ٥١
إخواني شاعر ٥١
أوطاني شاعر ٥٩
الحدثان شاعر ٦٢

كفاني	شاعر	٦٥	مستأصلينا	شاعر	١٩١
يقودوني	إسماعيل بن يسار	٧٤	يرجوني	شاعر	١٩٦
عوانا	الصولي	٩١	الهوان	شاعر	١٩٧
السمن	أبو الخطاب الصباحي	٩٢	يداجيني	صالح بن عبد القدوس	١٩٨
أينا	شاعر	٩٤	بالميزان	شاعر	١٩٨
متين	شاعر	١٠٦	الإخوان	شاعر	٢٠٣
ودين	شاعر	١٠٧	حين	مرداس بن عمر	٢٠٤
دفنوا	قعنب بن أم صاحب	١٠٨	منّي	الربيع بن أبي الحقيق	٢٠٩
مجّانا	الصولي	١٠٩	الأضغان	شاعر	٢١٥
الميزان	بشار بن برد	١١٠	للجاني	شاعر	٢١٨
ابتدانيا	شاعر	١١٤	يرميني	شاعر	٢١٩
آمن	السري الكندي	١١٥	عهدتني	شاعر	٢١٩
الإخوان	شاعر	١٢٣	ائتمنوا	قعنب بن أم صاحب	٢٢٠
تأسوني	الفضل بن العباس	١٢٧	مسكنه	شاعر	٢٢٣
يداجيني	الفضل بن العباس	١٢٧	يهون	شاعر	٢٢٣
فخانا	شاعر	١٢٨	مؤتمنا	شاعر	٢٢٧
ملتقيان	شاعر	١٣٧	أمين	قيس بن الخطيم	٢٢٩
القيان	شاعر	١٤٣	الهجران	شاعر	٢٣٨
عدوانا	شاعر	١٤٣	يرضيني	شاعر	٢٤٠
كانا	للأصمعي	١٤٨	كانا	ابن المنجّم	٢٤٧
ودين	شاعر	١٦٤	تلقانا	عبد الله بن طاهر	٢٤٧
شاني	شاعر	١٦٥	تأسوني	شاعر	٢٥١
نسيانا	شاعر	١٧٠	يهجونا	شاعر	٢٥٣
بالدون	شاعر	١٧٣	يدان	شاعر	٢٥٣
الإنسان	شاعر	١٧٤	بجنّان	ابن خازم	٢٥٦
هجران	ابن السكيت	١٧٥	تكونونا	المهلّبي	٢٥٨
رعاني	شاعر	١٧٨	الضغائن	شاعر	٢٥٩
سميني	المثقب العبدي	١٨١	وخانا	شاعر	٢٦٣
فعاداني	شاعر	١٨٢	ضنين	شاعر	٢٦٨
والإحن	شاعر	١٨٤	أمين	عبد الله بن همام	٢٧٠

ألوان	الأخطل	٢٧١
مرتحلان	شاعر	٢٧٣
سيان	الواسطي	٢٧٩
النسيان	شاعر	٢٨٧
دينها	عبدالصمد بن المعذل	٢٨٧
رماني	شاعر	٢٩١
الزمانا	شاعر	٢٩٨
هنا	المقنع الكندي	٣٠٣
سكون	أبو العيال الهذلي	٣٠٤
يقليني	ذو الأصبع العدواني	٣٠٥
ترني	رؤبة بن العجاج	٣١٦
بمنّ	الفضل بن عبدالرحمن الهاشمي	٣٤٩
مجنون	شاعر	٣٥٢
أمين	قيس بن الخطيم	٣٥٤
إلينا	شاعر	٣٥٤

- هـ -

عليه	شاعر	٦٦
نعماه	المأمون	١١٧
فحباكها	شاعر	١١٩
تأبيّه	شاعر	١٧٣
ترعاه	شاعر	١٩٣
وإياه	شاعر	١٩٤
يصونها	شاعر	١٩٩
أفاعيه	شاعر	٢٠٠
موهوا	شاعر	٢٠٠
قيادها	شاعر	٢٢٣
أنباكها	شاعر	٢٢٥
أنيسه	شاعر	٢٤٨
أفاعيه	شاعر	٢٧٨
دفينها	شاعر	٣٥١
وداعها	شاعر	٣٥٤

- و -

بالحلاوة	شاعر	١٠٣
عدواً	شاعر	١٥٣
عدوّ	شاعر	١٧٠
والمروة	شاعر	١٧١
سوّا	شاعر	٢٥٣
الأخوّة	شاعر	٢٥٤
للعداوة	شاعر	٣١٠

- ي -

المساويا	عبدالله بن جعفر	١٢١
باقياً	شاعر	١٣١
أخاليا	عبدالله بن جعفر	١٣٧
بالراضية	محمد بن عبدالملك الزيات	١٥٠
ماليا	جرير	١٦٦
عليّا	ابن أبي قنن	١٦٧
وماليا	شاعر	١٧٨
الحاشية	دعبل	١٩٢
راضيا	شاعر	٢٣٩
عليّا	شاعر	٢٤٨
تنائياً	شاعر	٢٥١
دوي	يزيد بن الحكم الثقفي	٢٥٢
تآسيا	شاعر	٢٨٠
غاليا	شاعر	٣٥٠

٦ ـ فهرس موضوعات الكتاب

الموضوع	ص
مقدمة المحقق	٥
أبو حيان التوحيدي	٥
لمحة عن حياة أبي حيان التوحيدي	١١
الصداقة والصديق	١٣
كتاب الصداقة والصديق	١٤
تحقيق الرسالة	٢٤
صور من المخطوطة	٢٦
مقدمة المؤلف	٢٩
تأليف الرسالة	٢٩
دعاء الخوارزمي	٢٩
دعاء التوحيدي	٣٠
صداقة عجيبة	٣٠
ابن سيّار القاضي	٣٢
الصداقة في نظر أبي سليمان	٣٢
صداقة الملوك	٣٢
صداقة التّناء	٣٢
صداقة التجار	٣٣
صداقة أهل الدين	٣٣
صداقة الكتّاب	٣٣
صداقة أهل المذاب	٣٣
اعتذار التوحيدي وشكواه	٣٣
تمجيد الصمت	٣٤
إنشاء رسالة الصداقة والصديق	٣٥
جميل بن مرّة	٣٦
ابن كعب	٣٦
الصابي وإخوان الزمان	٣٦
العسجدي والصداقة	٣٧
حديث الصداقة	٣٧
صالح بن عبدالقدوس	٣٨
شكوى وحنين	٣٨
الصبر على الصديق	٣٩
موت الصديق	٣٩
بين اليأس والرجاء	٣٩
صحبة عشرين يوماً	٣٩
صداقة مدخولة	٣٩
ذنب وعفو	٣٩
الغريب	٣٩
أكرم الناس عشرة	٣٩
الصبر على الصديق	٤٠
دلالة	٤٠
تضحية	٤٠
وصف جليس	٤٠
أخلاق الناس	٤٠
الإخاء رقّ	٤١
صداقة وأنفة	٤١
خلق كريم	٤١
اللين والصفاء	٤١

حق الصديق ٤٢
أبو زيد الطائي ٤٢
خير الإخوان ٤٢
حكمة ٤٢
مولى عدو ٤٣
عطاء ومنع ٤٣
شذوذ ٤٣
أخوك ٤٣
نفع وضرر ٤٣
شدة ولين ٤٤
كمال الرجل ٤٤
صديق العدو ٤٤
الصداقة والكلفة ٤٤
مزيّة سويقة ٤٤
صفات الصديق ٤٤
نقص الصديق ٤٥
استفساد أم استصلاح ٤٥
الصديق أم القريب ٤٥
استحياء الإخوان ٤٥
محادثة الإخوان ٤٥
صداقة ونفع ٤٦
عمل ظالم ٤٦
أسبابه ودواعيه ٤٦
قرض البخيل ٤٦
دفائن النفوس ٤٦
عشر الصداقة ٤٧
جزاء المكر ٤٧
قول الحق ٤٧
أسود وثعالب ٤٧
جسم واحد ٤٧
عداوة ابن برمك ٤٨
خطبة المودة ٤٨
المعاتبة خير من الفقد ٤٨
الصديق الحميم ٤٨
عوز من سداد ٤٨
الجليس المصلح ٤٨
الصديق ولو في الحريق ٤٨
نار وماء ٤٩
إخوان الزمان ٤٩
الناس خنازير ٤٩
تنازع ٤٩
الخليط والشفيع والجار ٤٩
دلائل ٤٩
مودة ومثوبة ٤٩
الإخوان كالنار ٤٩
محض ومذق ٤٩
بديهة وكرم ٥٠
طريف وتالد ٥٠
استبقاء الودّ ٥٠
بين الصديق والعدو ٥١
بين الكريم واللئيم ٥١
جزع وصبر ٥١
مكافأة الجميل ٥١
لئيم وكريم ٥١
الحرص على الصديق ٥١
رصد الغرّة ٥٢
فائدة التقية ٥٢
صداقة وعلاقة ٥٢
كشف الدغل ٥٢
معنى الصديق ٥٢
مداراة وحذر ٥٢

تعايش متنوع ٥٣
صداقات زائفة ٥٣
صديق ٥٣
ظلم ثلاثي ٥٤
قرناء السوء ٥٤
فوائد المقاربة ٥٤
ترك القطيعة ٥٤
ظلم فاحش ٥٤
بعض وكل ٥٤
الأخيار والأشرار ٥٤
بين الصالحين والأشرار ٥٤
ملك الرفيق ٥٥
أوهام الصداقة ٥٥
أعجز الناس ٥٥
مواساة بالحفاء ٥٥
كره الإخوان ٥٦
مكاسب الصداقة ٥٦
في منزلتين ٥٦
مفاجأة وخيبة ٥٦
ندم وعجز ٥٦
معاملة الصديق ٥٦
تضحية وأخلاق ٥٧
ترك التعهد ٥٧
نظرة الحاسد ٥٧
غفران الذنب ٥٧
فرصة التحيل ٥٧
عرض وإعراض ٥٧
بين الفضل والثقة ٥٨
عتاب ٥٨
غسل الدرن ٥٨
الإنصاف والهجران ٥٨
فوق الإنصاف والهجران ٥٨
ازورار الصديق ٥٩
بين الهدم والبناء ٥٩
فوات البر ٥٩
بين الكذب والغضب ٥٩
عداوة ٥٩
أبو بكر وعمر ٦١
شر الإخوان وخيرهم ٦١
أمان الإخوان ٦٢
العرق نزّاع ٦٢
رتبة الود ٦٢
شرط الصديق ٦٢
المراء مفسدة ٦٢
المعاشرة بالمعروف ٦٢
حق الجليس ٦٢
دعاء ٦٢
شروط الإخاء ٦٣
سهولة المعاداة ٦٣
رأي السجستاني ٦٣
شكوى ولوم ٦٣
المودة ميراث ٦٤
واجب الصديق ٦٤
مشاهدة الإخوان ٦٤
الإخوان سلاح ٦٤
شكوى ٦٤
إذا عزّ أخوك ٦٤
العيارون ٦٤
الفتوة ٦٤
الدين ٦٤
قول لابن المعتز ٦٥

فضيلة الصبر ٦٥
أحوال الزمان ٦٥
ضرر المعارف ٦٥
ابتغاء السلامة ٦٥
نبذ الصداقة وغيرها ٦٦
رأي المأمون في الناس ٦٦
صديق سوء ٦٦
تجنٌ وزهد ٦٧
صاحب الصلاح والسوء ٦٧
مجالسة العلماء ٦٧
تغير الأحوال ٦٧
واجب الصحبة ٦٧
توسم الرفاق ٦٨
طول السفر ٦٨
السكون إلى الصديق ٦٨
تعريف الصديق ٦٨
تفسير السجستاني لعبارة أرسطو ٦٩
الصديق لفظ بلا معنى ٧١
الصديق عند الضيق ٧١
بين الحسد والمكر ٧١
قضاء الحاجة ٧١
الحسرة على الصديق ٧١
تحليل العبارة ٧٢
فاجر وعابد ٧٢
الكلام عن الأخلاق ٧٢
كبد حرّى ٧٣
صديق الرخاء ٧٣
نفس أبيّة ٧٤
مداراة الناس ٧٤
في ثياب صديق ٧٤
الناس أخياف ٧٥
ابن زرعة ٧٥
ابن عبيد ٧٦
ابن الحجاج ٧٦
أبو الوفاء ٧٧
مسكويه ٧٧
أبو بكر ٧٨
الأهوازي ٧٨
أبو سعيد السيرافي ٧٨
ابن شاهويه ٧٩
أصحاب الصاحب ٨٠
الخدن والمشير ٨١
الاستدلال بالصاحب ٨١
الاقتداء بالمقارن ٨١
الصاحب كالرقعة ٨١
أبو السائب ٨١
كتاب الزينبي ٨٢
جواب ابن معروف ٨٣
كتاب ابن عبيد إلى ابن الجمل الكاتب ٨٤
جواب ابن الجمل ٨٥
ثراء الصداقة ٨٦
حساب واحتساب ٨٦
بين الولاء والمراء ٨٦
الصديق والحقنة ٨٧
شواهد قلبية ٨٧
اتخاذ الأصدقاء ٨٧
اليأس من وجدان الصديق ٨٧
نصف الصديق ٨٧
بين التعريض والتصريح ٨٧
لفظ الصديق ٨٨

صفات محبوبة ٨٩
كتاب لأبي الفضل بن العميد ٨٩
خديعة ووشاية ٨٩
تعريف الصديق ٩٠
الرفيق ٩٠
الشفيق ٩٠
الوافي ٩٠
الصاحب ٩٠
النديم ٩٠
كتاب ابن الزيات إلى الصولي ٩٠
جواب الصولي ٩١
إصرار الصولي ٩١
جواب ابن الزيات ٩٢
فوارق الصداقة ٩٢
طلب الخلة ٩٢
تصنيف الناس ٩٢
الأنس بالصديق ٩٣
حال الدنيا ٩٣
درس وعبرة ٩٣
نصيحة ثمينة ٩٤
خير الإخوان ٩٤
التداوي بالرياء ٩٤
لذّات الدنيا ٩٥
وفاء ومخبر وورع ٩٥
استخارة واستشارة واجتهاد ٩٥
الوثوق بالمودة ٩٥
المودة أصل ٩٥
قصة للمأمون ٩٦
كلام لعروة بن الزبير ٩٧
وجها الصديق ٩٧
بئس الصديق ٩٨
تغير الأصدقاء ٩٨
برهان المحبة ٩٩
بين الصدق والتقصير ٩٩
أخوة هذا الزمان ٩٩
خير الإخوان ٩٩
تبدل المواساة ٩٩
التذكير بالرَّب ٩٩
بين العفو والكفاية ١٠٠
الفرق بين الصداقة والعلاقة ١٠١
العلاقة ١٠١
غض الطرف ١٠٢
تحول الأزمان والأحوال ١٠٢
التماس العذر ١٠٣
خيبة الفحص ١٠٣
مودة ماذق ١٠٣
سقيم الود ١٠٣
كثرة العتاب ١٠٤
الصديق المطلوب ١٠٤
الدنيا لا تسع متباغضين ١٠٤
بين الناصح والشانئ ١٠٥
تعليق الشاشي ١٠٥
الأشرار والأخيار ١٠٥
عطارديون ١٠٥
خلان عجيبان ١٠٥
العيب والملق ١٠٦
ذو اللونين ١٠٦
معاشرة وحذر ١٠٦
بلاء غريب ١٠٧
خيانة الأصدقاء ١٠٧

عداوة ومعاكسة ١٠٨
إخفاء وإذاعة وكذب ١٠٨
أخلاق الناس ١٠٨
نفس مثالية شريفة ١٠٨
الأرواح أجناد ١٠٩
إخاء تحمد ١٠٩
سؤال عن دوام العهد ١٠٩
كتاب الحرّاني ١٠٩
الجليس الثقيل ١١٠
بكاء وفراق ١١٠
الكلام عن الصداقة ١١١
وصية ثمينة ١١١
تعليق التوحيدي ١١٢
شرط الوجود ١١٢
نعلان للذكرى ١١٣
الحث على الإكثار من الأصدقاء ١١٣
لو تكاشفتم ١١٣
قلة الخلاف ١١٣
إلف الهموم ١١٤
أمتع الأشياء ١١٤
الناس سباع ١١٤
البدء بالعطاء ١١٤
صداقة العدو ١١٤
معاتبة الخليل ١١٥
العتاب مذلّة ١١٥
الحفاظ على الصديق ١١٥
خيانة ومداهنة ١١٥
هجوم وجحود ١١٦
إطفاء الجوى ١١٦
عدم الانسجام ١١٦
الود الحقيقي ١١٦
واحدة بواحدة ١١٦
تعليق ابن كعب ١١٧
صديق مثالي ١١٧
صداقة ناصعة ١١٧
ظاهر وباطن ١١٧
الرفيق أخ ١١٧
بين الصدق والكذب ١١٧
لوم اللائم ١١٨
من المعتصم إلى قائده ١١٨
عظمة الراشدين ١١٩
الصديق أم العشيق ١١٩
عتاب وندم ١١٩
نصف العقل ١١٩
نصيحة ١١٩
عداوة وقرابة ١٢٠
رزء الخلان ١٢٠
تغير الصديق ١٢٠
المؤمن مألفة ١٢٠
تفسير السيرافي ١٢٠
إلف الناس ١٢٠
الإقلال من الزيارة ١٢٠
زُرْ غبّاً ١٢٠
تعليق العسجدي ١٢١
إقلال الزيارة ١٢١
عين الرضا ١٢١
واحدة بواحدة ١٢١
بين وصل واجتناب ١٢٢
تغير حارث ١٢٢
وفاء وتساهل ١٢٢

مقابلة بالمثل ١٢٢
شكوى من جفاء ١٢٣
بداية الهجر ١٢٣
جدوى العيش ١٢٣
اصطلاح الناس ١٢٣
غدر الإخوان ١٢٣
مجاراة القلوب ١٢٤
الأرواح جنود ١٢٤
إخلاص ومودة ١٢٤
ظلم الأقارب ١٢٤
رأي أبي سليمان ١٢٥
دعاءان لابن هبيرة ١٢٥
تأدية الحق ١٢٦
عصف الدهر ١٢٦
حب معتدل ١٢٦
تصنع مكشوف ١٢٦
عند الشدائد ١٢٧
بين الشح والمواساة ١٢٧
غفران الزَّلَّة ١٢٧
انسجام ومطابقة ١٢٧
بين الجد والهزل ١٢٧
مضمون الصدر ١٢٨
تلبية الدعوة ١٢٨
لا حنين ولا تصدع ١٢٨
تقادم العهد ١٢٨
شكوى من خيانة ١٢٨
قطيعة وانتخاب ١٢٩
الصاحب المتروك ١٢٩
ثمن الصداقة ١٢٩
وفاء ورعاية ١٢٩
تبدل العتاب ١٣٠
نبل وصراحة ١٣٠
قلة الإخوان ١٣٠
الصديق المثالي ١٣٠
الإغضاء على الأذى ١٣١
رياء وإغضاء ١٣١
مقابلة بالمثل ١٣١
تعليق ابن كعب ١٣٢
ود العاقل والجاهل ١٣٢
صداقة العقل ١٣٢
وصية مؤثرة ١٣٣
علامة الإخاء ١٣٣
بين محبتين ١٣٤
مغبة عدم الإنصاف ١٣٤
النفاق والرياء ١٣٤
ندرة الأصدقاء ١٣٥
حرمان الصديق ١٣٥
قلة الثقات ١٣٥
سياسة الناس ١٣٥
نكران وثبات ١٣٥
رفض ومماذقة ١٣٥
وكيل لا صديق ١٣٥
صفات مطلوبة ١٣٦
الصديق هو الصادق ١٣٦
أليف لا صديق ١٣٦
رياء وصفح ١٣٦
ترك الشر ١٣٧
لقاء وشكوى ١٣٧
حياء ونفاق ١٣٧
صديق عند الحاجة ١٣٧

إجمال الصد ١٣٨
إساءة وصفح وعطاء ١٣٨
حنين أعرابي ١٣٩
حقد ووجد ١٤١
صبا نجد ١٤١
إرجاء النوى ١٤١
رأي لأبي دلف ١٤٢
كتاب أبي النفيس ١٤٢
لبث الهموم ١٤٣
حتمية العيوب ١٤٣
لذة طرح الحشمة ١٤٣
رفق وعدوان ١٤٣
عنف العتاب ١٤٣
كبرياء والتواء ١٤٣
صبر وجلد ١٤٤
زهد بالصداقة ١٤٤
نهب مقسَّم ١٤٤
بغض وظنّة ١٤٤
كتاب لابن المعتز ١٤٥
دعوة إلى الاعتدال ١٤٥
اعترافات وليّ ١٤٥
بين التوبيخ والتأنيب ١٤٦
جزاء الموبِّخ ١٤٦
العفو الصحيح ١٤٦
اغتفار الزلّات ١٤٦
تعريف الودود ١٤٧
ذكريات ثمينة ١٤٧
استحقاق الأنس ١٤٧
بين الجود والجفاء ١٤٧
استبقاء واستقصاء ١٤٧
دعاء وتعوذ ١٤٧
رجاء ١٤٧
بحث وتبيّن ١٤٧
ثبات وتقلب ١٤٨
تعبير العين ١٤٨
طباع الكريم ١٤٨
العهد المزدوج ١٤٩
انقطاع العروة ١٤٩
حق الصديق ١٤٩
لقاء الأخ ١٥٠
شوق شديد ١٥٠
بين المداجاة والمصافاة ١٥٠
وفاء وهجران ١٥١
ابن العميد والنيسابوري ١٥١
المقابلة بالمثل ١٥٢
الفرار من الشر ١٥٣
ابن العميد والفلسفة ١٥٣
عدو وصديق ١٥٣
أمنيات مرجوة ١٥٣
كسب وحذر ١٥٣
كره وعداء ١٥٤
غفران وقناعة ١٥٤
عتاب وقطيعة ١٥٤
كتاب المهلبي إلى العباس بن الحسين ١٥٤
جواب العباس ١٥٦
مع الزمان ١٥٧
نصيحة وتحذير ١٥٧
إصفاء الود ١٥٨
أخلاق عالية ١٥٨
معاتبة الملول ١٥٨

المقلي لا يعاتب ١٥٨
تلون وهجران ١٥٩
تصنع وإخلاص ١٥٩
استغناء ويأس ١٦٠
الصديق الشفوق ١٦٠
رسالة الصداقة والصديق ١٦٠
الإنسان مدني بالطبع ١٦١
عزاء واستغناء ١٦١
لا عزاء ولا سلوى ١٦٢
عتاب وتساؤل ١٦٢
وهم وخيبة ١٦٢
مشاركة عاطفية ١٦٢
تحذير من الغادر ١٦٣
تساؤل مؤلم ١٦٣
وجه جديد ١٦٣
ثقل وإملال ١٦٣
ملاحظة ونبوّ ١٦٣
صحبة الملول ١٦٤
عتاب وشفاعة ١٦٤
معاتبة وأمل ١٦٤
ظن بيقين ١٦٤
غدر واستغناء ١٦٥
حفاظ وتساهل ١٦٥
هجران وتسليم ١٦٥
تملق وإطراء ١٦٥
سلوك ونصيحة ١٦٦
التعلل بالمنى ١٦٦
ملالة وتجني ١٦٦
استغناء وقناعة ١٦٧
تغير الصديق ١٦٧
حرمة الصداقة ١٦٧
خطب الفراق ١٦٨
بعد وتباعد ١٦٨
عزلة اختيارية ١٦٨
بغض ويأس ١٦٨
صديق وعدو ١٦٩
أعداء ١٦٩
المعشوق والصديق ١٦٩
كتاب ابن السراج إلى ابن الرازي ١٦٩
نكر الصديق ١٧٠
ثبات ووفاء ١٧٠
فضيلة الحذر ١٧٠
محبة في الله ١٧٠
بين المسلم والفاجر ١٧١
وجود وانقضاء ١٧١
إساءة ومسامحة ١٧١
بين النصحين ١٧١
بين صبرين ١٧١
بين الإنشاء والتربية ١٧١
رثاء أخ ١٧٢
خير الإخوان ١٧٢
بعد الموت ١٧٢
طاعة وإخلاص ١٧٢
بين التنائي والتداني ١٧٣
ضعف وحرمان ١٧٣
عواقب الإملال ١٧٣
مسايرة وامتياز ١٧٣
الهجر المحمود ١٧٣
صفاء وعتاب وسماح ١٧٤
مناجاة حبيب ١٧٤

الصبر على النفس ١٧٤
شواهد التجني ١٧٥
ألم الهجر ١٧٥
أبلغ وأحسن ١٧٥
قريب وبعيد ١٧٥
مودة وتجني ١٧٦
من كتاب ١٧٦
مع الدهر ١٧٦
مع الدهر ١٧٧
الضمير والنظر ١٧٧
وصية ثمينة ١٧٧
نوعا الموالي ١٧٨
مولى كالداء ١٧٨
رعاية الغائب ١٧٨
بين أحياء وأموات ١٧٨
علامات الأخ ١٧٨
شغل وفراغ ١٧٩
شوق وإخلاص ١٧٩
مكروه وإغضاء ١٧٩
صداقة بالمزاد ١٨٠
إخاء وشمائل ١٨٠
مصارحة واستغناء ١٨١
كلهم شرّ ١٨١
التصافح والتهادي ١٨١
السحر الثلاثي ١٨١
ملال متبادل ١٨٢
وجوب الكتابة ١٨٢
عداء وندم ومنّ ١٨٢
تناقض وزيف ١٨٢
وداد وأذى ١٨٢
نفس شريفة ١٨٣
سواء وزيادة ١٨٣
التعايش الملفق ١٨٣
عداء وحنين ١٨٣
خير الأصحاب ١٨٣
مصاحبة الكذاب ١٨٣
عدوك في قدرتك ١٨٣
القطيعة والتجارب ١٨٣
المودة والثقة ١٨٤
إخوان السوء ١٨٤
أمل أليف ١٨٤
الصديق والعدو ١٨٤
مقياس الكمال ١٨٤
قصر العمر ١٨٤
إرضاء وإسخاط ١٨٥
الحسد والمكر ١٨٥
أخلاق الأشرار ١٨٥
إقبال وإدبار ١٨٥
تعريف الصديق ١٨٥
محنة المرء ١٨٥
تمني المساواة ١٨٥
رأي في العتاب ١٨٥
مساوئ العتاب ١٨٥
مغبة العتاب ١٨٥
تجربة العتاب ١٨٦
التلطف بالعتاب ١٨٦
الحمل على الهجر ١٨٦
شروط في الصداقة ١٨٦
لؤم أم كرم؟ ١٨٧
تعريف الصديق ١٨٧

إجمال الصّد ١٨٧
ثبات الود ١٨٨
حاضر بالفكر والقلب ١٨٨
عين الرضا ١٨٨
دعاء لابن هبيرة ١٨٩
مشاركة الرفيق ١٩٠
إذا قلّ ١٩٠
سوء الجزاء ١٩٠
الأخ المخلص ١٩٠
شأفة الصديق ١٩٠
انتخاب الصاحب ١٩٠
السر في المعاشرة ١٩٢
سلامة الحج ١٩٢
كراهة ودّ الملول ١٩٢
نصح وتحذير ١٩٢
حذر العدو ١٩٣
شيئان نادران ١٩٣
شمال بلا يمين ١٩٣
أخلص الإخوان ١٩٣
القرابة والمودة ١٩٣
عقل الصديق ١٩٣
بين السر والعلانية ١٩٣
صديق الغربة ١٩٣
صحبة الجاهل ١٩٤
عمل خائب ١٩٤
النصيحة والرأي ١٩٤
ردّ النصيحة ١٩٤
بين العداوة والسلم ١٩٥
المعاشرة بالمعروف ١٩٥
زرع الودّ ١٩٥
الصداقة والفلس ١٩٥
الخليل عند النوائب ١٩٥
إقبال واستغناء ١٩٥
تجلد للشامتين ١٩٦
صديق نادر ١٩٦
بين بعض وكل ١٩٦
فتى لا يفسد ١٩٦
مقارنة العذر ١٩٦
خير القرينين ١٩٦
إخفاء الخير ١٩٧
بقاء على العهد ١٩٧
حصيلة التجارب ١٩٧
بين الطرد والجلب ١٩٧
النية والعطية ١٩٧
عمود الإخاء ١٩٧
دقيقة الموت ١٩٧
الزلة والفراق ١٩٧
الإغضاء عن الذنوب ١٩٨
بين الكمال والنأي ١٩٨
وضع الزيارة ١٩٨
تلوّن ومراءاة ١٩٨
ميل مع الرجحان ١٩٨
الصدق والنفاق ١٩٩
عبد المودة ١٩٩
الأخ والتابع ١٩٩
ربح المودة ١٩٩
تكريم الكريم ١٩٩
النّمام ٢٠٠
نافذة الضمير ٢٠٠
المعاشرة بالحسنى ٢٠٠

وفاء ومواساة ٢٠٠
الاغترار بالمظاهر ٢٠٠
بين الرغبة والزهد ٢٠١
التحمل والعزاء ٢٠١
بين الأبرار والفجار ٢٠١
التهادي والتحاب ٢٠١
عمل صعب ٢٠١
أهواء ٢٠٢
آمن وقانط ٢٠٢
ثمرة المعاشرة ٢٠٢
ثلاث خلال ٢٠٢
مولى السوء ٢٠٣
معرفة الأعادي ٢٠٣
مقاطع الإخوان ٢٠٣
مرض وصحة ٢٠٤
عودة إلى القلب ٢٠٤
بغض متبادل ٢٠٤
شهباء ماحض ٢٠٤
متح وغفلة ٢٠٤
كرم وصبر ٢٠٤
إقبال وغمز ٢٠٥
وفاء وكرم ٢٠٥
قيد الصداقة ٢٠٦
مولى السوء ٢٠٦
مراء وانقطاع ٢٠٦
وفاء وشهامة ٢٠٦
لولا القرابة ٢٠٧
وفاء المتلمس ٢٠٧
بين الحديث والصوت ٢٠٨
خلائق ثابتة ٢٠٨
خبث الحديد ٢٠٨
أي الرجال المهذب ؟ ٢٠٨
بكل واد ٢٨
ردع وصفح ٢٠٩
مع الأفاعي ٢٠٩
استغناء ٢٠٩
مخاصمة فقمس ٢٠٩
إخلاص وحسد ٢٠٩
الباطل والحق ٢٠٩
فخر شاعر ٢١٠
مولى الزبرقان ٢١٠
بررة وذئاب ٢١٠
معرفة الحقيقة ٢١١
جزاء المودة ٢١١
المرء بعد التجربة ٢١١
كتاب عمر بن الخطاب ٢١١
ابن سمعون ٢١٢
خير الناس ٢١٢
حب الناس ٢١٢
مخالطة الناس ٢١٢
أخيرهم للناس ٢١٣
الألوف والعزوف ٢١٣
الود والشر ٢١٣
بثّ المعاتب ٢١٣
فرقة وعتاب ٢١٣
الإكثار من الأخلاّء ٢١٤
ضغن وشماتة ٢١٤
بين الود والمال ٢١٤
فراق مفروض ٢١٤
ابن العم ٢١٤

مؤاخاة الكريم ٢١٤
مولى السوء ٢١٥
اتّقاء الأعداء ٢١٥
بين الحمد والكره ٢١٥
حبيب غير محبوب ٢١٥
مجاملة وضغينة ٢١٦
المرء بإخوانه ٢١٦
بذل المال ٢١٦
مجانبة ابن عم السوء ٢١٦
مؤاخاة ومسايرة ٢١٧
أخ في الشدائد ٢١٧
تقلب الخليل ٢١٧
إضار العداوة ٢١٧
تورّع ومداراة ٢١٧
حلاوة ومرارة ٢١٨
اصطناع ومنّ ٢١٨
بين الصرم والغضب ٢١٨
النجدة والحمية ٢١٨
ملال وقطيعة ٢١٨
الأخ الصالح ٢١٩
ظلم وتجني ٢١٩
حوّل وقلّب ٢١٩
شكوى وبراءة ٢١٩
إخلاص وثبات ٢٢٠
لين المعاملة ٢٢٠
عداوة وشماتة ٢٢٠
صبر وتغافل ٢٢١
إقبال وإخلاص ٢٢١
وصال اللئيم ٢٢١
أبناء العمومة ٢٢٢
العدل والمعرفة ٢٢٢
مودة وإساءة ٢٢٢
يمين المحبة ٢٢٣
التودد إلى الناس ٢٢٣
قرب الصديق ٢٢٣
الكاره للودّ ٢٢٣
خطب هيّن ٢٢٣
إفساد الهوى ٢٢٣
استحياء من ثلاثة ٢٢٣
الناس بالناس ٢٢٤
شيئان محذوران ٢٢٤
هوى ورجاء وصبر ٢٢٤
بغض المصطبر ٢٢٤
غياب وتوق ٢٢٤
صدود وارتداد ٢٢٤
تعدّي النميمة ٢٢٥
كتاب ابن ثوابة إلى ابن فراس ٢٢٥
أوصل الناس ٢٢٦
ظنون ونفي ٢٢٦
ابن العم ٢٢٦
تغيّر ٢٢٦
الحليم ٢٢٦
تعفف ٢٢٧
المداراة ٢٢٨
فضل البشاشة ٢٢٨
إحسان بغير قصد ٢٢٨
صديق شريف ٢٢٨
كتمان السر ٢٢٩
أوصاف صديق ٢٢٩
ترف ٢٢٩

وشاة ٢٢٩
من أصاحب ٢٣١
من أعاشر ٢٣١
لمن أخلص ٢٣٢
من الصديق ٢٣٢
استغناء متبادل ٢٣٦
إحصاء ونسيان ٢٣٦
رسالة بعض آل ثوابة ٢٣٦
رسالة أخرى ٢٣٦
رسالة ثالثة ٢٣٧
رسالة رابعة ٢٣٧
خشية القطيعة ٢٣٨
رسالة خامسة ٢٣٨
عدو عاقل ٢٣٨
وجه واحد ٢٣٩
وصية وتجربة ٢٣٩
عاقبة الأمل ٢٣٩
طريق السيادة ٢٣٩
معاتبة الإخوان ٢٣٩
عين الرضا ٢٣٩
مصافاة ووداد ٢٤٠
بين أطراف الرماح ٢٤٠
رضا وحذر ٢٤٠
ملاقاة وبشر ٢٤٠
بين اليسر والعسر ٢٤٠
إفشاء وحذر ٢٤٠
بين الشاهد والغائب ٢٤١
وصل وقطع ٢٤١
لوم وقطيعة ٢٤١
تآلف واختلاف ٢٤١
المنّ بالعطاء ٢٤١
بين الود والغلّ ٢٤١
إلحاح ورد ٢٤١
حقد واستغناء ٢٤٢
العاقل والجاهل ٢٤٢
مبغض للأدب ٢٤٢
عامل الصدقة ٢٤٢
صديق الزمان ٢٤٢
اتّقاء ثلاثة ٢٤٢
إظهار العداوة ٢٤٢
إهداء العيوب ٢٤٣
أحد اللقائين ٢٤٣
حلو العيش ٢٤٣
إقبال وإعراض ٢٤٣
مودة ثابتة ٢٤٣
الحبل الضعيف ٢٤٣
الربح على الأخ ٢٤٣
كرم وإيثار ٢٤٤
قضاء الحاجات ٢٤٤
أسباب الفراق ٢٤٤
مودة وعداوة ٢٤٤
إدبار وهدر ٢٤٤
تعريف الصديق ٢٤٤
عداء وعتاب ٢٤٤
من الصديق ٢٤٥
المرء اثنان ٢٤٧
آفة الملال ٢٤٧
سبب الهجر ٢٤٧
ابن المنجّم وعبيدالله بن طاهر ٢٤٧
التحفظ والحذر ٢٤٨
الصالح والطالح ٢٤٨

الأشكال والأضداد ٢٤٨
بين البغضاء والحب ٢٤٨
تجني واستغناء ٢٤٨
تباعد وكشف ٢٤٩
صديق وأخلاق ٢٤٩
خيانة وجهل ٢٤٩
صحة المودة والإخاء ٢٤٩
دعوة ٢٥١
دعوة ٢٥١
تحذير واستغناء ٢٥١
شرء الأخلاّء ٢٥١
التمهل في الحالين ٢٥١
شحّ ومواساة ٢٥١
جود الدهر ٢٥٢
خيانة ونشب ٢٥٢
فساد الصداقة ٢٥٢
مكاشرة ونفاق ٢٥٢
مراء وخديعة ٢٥٣
مواصلة وتوزّع ٢٥٣
نجنّي ونبوّ ٢٥٣
شكوى وعتاب ٢٥٣
عاقبة الأخوة ٢٥٤
تجنُّب واستحلاء ٢٥٤
تأديب وتأنيب ٢٥٤
طرف وإغضاء ٢٥٤
مخرج الواحد ٢٥٥
تجنب صداقة خمسة ٢٥٥
وحشة الإنس ٢٥٦
خير الإخوان وشرهم ٢٥٦
خير الإخوان ٢٥٦
عصيان وطاعة ٢٥٦
أفضل الصديقين ٢٥٦
الحب في الله ٢٥٧
طاعة ومحبة ٢٥٧
تلاد وبلاد وجار ٢٥٧
محبة ومفارقة ٢٥٧
أحب من أبيه وأمه ٢٥٧
نكد الدنيا ٢٥٨
بنو أمية ٢٥٨
في الحضور والمغيب ٢٥٨
دعاء وسلوى ٢٥٨
دعاء وحمد وعزاء ٢٥٩
إنقاذ بعد الزلل ٢٥٩
احتمال الضغائن ٢٥٩
عطف ومحبة ٢٦٠
تثاقل واستثناء ٢٦٠
أذى القول ٢٦٠
الصديق الأخ ٢٦٠
خُذَلة عُذَلة ٢٦٠
الصبي أعلم ٢٦٠
علم النفس ٢٦٠
تفرق واجتماع ٢٦٠
علامات العاقل ٢٦٠
فجيعة وإمتاع ٢٦١
عدم الاستقامة ٢٦١
صفات الصديق ٢٦١
طلب المهذّب ٢٦١
صحة النيّة ٢٦١
إحسان بعد إساءة ٢٦١
صحبة الأشرار ٢٦٢

تولية وإدبار ٢٦٢
كرم الإخاء ٢٦٢
عهد الوداد ٢٦٢
عطاء وغفران ٢٦٣
قطيعة وهجر ٢٦٣
المودة قرابة ٢٦٣
ثبات الخلق ٢٦٣
وَصول وجافٍ ٢٦٣
لامبالاة ٢٦٣
دعاء أعرابي ٢٦٣
الطبع والأصل ٢٦٤
عذل وعتاب ٢٦٤
نسيان وقضاء ٢٦٥
تساؤل واستغفار ٢٦٥
نصح وحكة ٢٦٥
علائم الخير ٢٦٥
زرع المودة ٢٦٥
دعاء وحرص ٢٦٥
تيه ودعاء ٢٦٦
يأس من الناس ٢٦٦
جفاء وحمد ٢٦٦
جهل وهجران ٢٦٦
تجربة ونصائح ٢٦٦
إعراض ٢٦٧
أمور غير ثابتة ٢٦٧
سبعة أشياء ٢٦٧
صفاء وتحذير ٢٦٨
تحذير وابتلاء ٢٦٨
مشاجرة ولين ٢٦٨
تنصل وتجني ٢٦٨
تحول الأصدقاء ٢٦٨
دوام الشر ٢٦٨
الصحيح والأجرب ٢٦٨
عديم النفع ٢٦٨
دعاء لطيف ٢٦٩
أخلاّء الرخاء ٢٦٩
شكل ونبل ٢٦٩
خطران ونمية ٢٦٩
نصح وأمانة ٢٧٠
نصيحة عن تجربة ٢٧٠
تجني وعتاب ٢٧٠
مع الأعداء ٢٧٠
المزاح والمراء ٢٧٠
أشياء وأضدادها ٢٧١
الطعن في الغيب ٢٧١
الامتناع عن الغيب ٢٧١
توبة وبلاء ٢٧١
عيوب الصديق ٢٧١
تغيُّر ووفاء ٢٧١
قبول وتستُّر ٢٧١
إخوان الشُّر ٢٧٢
الصدق والعدو ٢٧٢
امتحان وثقة ٢٧٢
علامة الصديق ٢٧٢
إخوان السوء ٢٧٢
مساعفة الإخوان ٢٧٢
غشّ وحسد ٢٧٢
ثمرة المودة ٢٧٢
تعهد المودة ٢٧٣
أصدقاء الغنى ٢٧٣

إقبال وإدبار ٢٧٣
جاران ٢٧٣
عتاب ليلى ٢٧٣
استمالة وتعهد ٢٧٣
وصف العتاب ٢٧٤
مساوئ التجني ٢٧٤
المعاشرة بالمسامحة ٢٧٤
مصاحبة ومسامحة ٢٧٤
زُرْ غبّاً ٢٧٤
جفاء وسعي ٢٧٥
الموصلي وأبو دلف ٢٧٥
يأس ووفاء ٢٧٥
أربع خصال ٢٧٦
صداقة في محلها ٢٧٦
مباثثة لطيفة ٢٧٦
عداوة وتهديد ٢٧٦
حذر السلطان ٢٧٧
صحبة الصديق والعدو والعامة ٢٧٧
بين الكريمين ٢٧٧
اعتزال وحذر ٢٧٧
الكريم واللئيم ٢٧٧
وصف صديق ٢٧٧
مولى السوء ٢٧٧
الإعراض عن الحقد ٢٧٨
الحذر من النّمام ٢٧٨
معاملة الناس ٢٧٨
الأصدقاء والأزمان ٢٧٩
شكوى أعرابية ٢٧٩
بغض وصفاء ٢٧٩
رسالة ابن أكمل ٢٧٩
جواب ابن سورين ٢٧٩
ودّ ثابت ٢٨٠
فتيان صدق ٢٨٠
محاسبة واحتساب ٢٨٠
حبّة النفس ٢٨٠
صفيّ وسجير ٢٨١
آخى وواسى ٢٨١
الشجير ٢٨١
مدح صديق ٢٨١
مدح صديق ٢٨١
تحذير من صديق ٢٨٢
ذكر وشكر ٢٨٢
عتاب ودعاء ٢٨٢
رائد المحبة ٢٨٢
طعم فراق ٢٨٢
فراغ واكفهرار ٢٨٢
تقلُّب وتساؤل ٢٨٣
صراحة متبادلة ٢٨٣
لعلي بن جعفر ٢٨٣
الانبساط إلى العامة ٢٨٣
بقايا اللذات ٢٨٣
الحذر من رجال ٢٨٤
صداقة خائبة ٢٨٤
إصفاء الود ٢٨٤
بغيض وسمج ٢٨٤
العيون والصدور ٢٨٥
العيون والقلوب ٢٨٥
عزاء وحنين ٢٨٥
إذهاب الحقد ٢٨٥
أمنية غالية ٢٨٥

رثاء صديق ٢٨٥
تعهُّد الإخوان ٢٨٦
وصف مودة ٢٨٧
تناسي ونسيان ٢٨٧
سلوان النفس ٢٨٧
رسالة يحيى بن خالد ٢٨٧
صورة الزمان ٢٨٨
سفيان بن عيينة ٢٨٨
وصف صديق ٢٨٨
تواصل الأرواح ٢٨٩
تجني الموالي ٢٨٩
حالات متناقضة ٢٩٠
سرور وابتئاس ٢٩٠
صداقة ثابتة ٢٩٠
بين التجنّي والملل ٢٩٠
كتاب للحسن بن وهب ٢٩١
جواب ٢٩١
مسالمة الناس ٢٩١
بين الجوارح والسوانح ٢٩٢
قوم فاسدون ٢٩٢
خير الجلساء ٢٩٢
مساعدة الصديق ٢٩٢
كتاب لبعض الهاشميين ٢٩٣
على العلاّت ٢٩٣
أهل الديانة والمروءة والعلم ٢٩٣
الكريم واللئيم ٢٩٤
كتاب الصولي ٢٩٤
رأي لديوجانس ٢٩٤
عهد الود ٢٩٤
عداوة العمومة ٢٩٤
خليقة المكاشر ٢٩٥
لجاجة الصديق ٢٩٥
كلب الأصحاب ٢٩٥
إنكار الجميع ٢٩٦
شرط الوجود ٢٩٦
إخوان الطريق ٢٩٦
الحمل على الذُّلّ ٢٩٦
طبيعة الحسد ٢٩٦
معاتبة أخوية ٢٩٧
خيبة مريرة ٢٩٨
طلب الأمان ٢٩٨
أقل الأشياء ٢٩٨
الأخ التالد ٢٩٨
إخوان الثقات ٢٩٨
جليس قعقاع ٢٩٩
ترك التبحث ٢٩٩
معاملة بالمثل ٢٩٩
ظاهر الأفعال ٢٩٩
جهل دائم ٣٠٠
ترك المغيبة ٣٠٠
كشف الستر ٣٠٠
صديق ٣٠٠
صحبة الناس ٣٠٠
بين الثقة والمكاشرة ٣٠٠
الرقعة في القميص ٣٠١
جديد وقديم ٣٠١
الجديد والقديم ٣٠٢
ثبات الفؤاد ٣٠٢
صداقة بالية ٣٠٢
أين الصديق ؟ ٣٠٢

خيبة ووحشة ٣٠٢
أسى ووحشة ٣٠٣
صاحب السوء ٣٠٣
خذلان الموالي ٣٠٣
انتساب إلى شريف ٣٠٣
حقد وقهر ٣٠٤
ترك الضغينة ٣٠٤
مخالطة ومرابدة ٣٠٤
مؤاخاة وعطف ٣٠٤
استغناء وهجر ٣٠٤
تذكر الإخوان ٣٠٥
حذر النّام ٣٠٥
الناس نوعان ٣٠٦
أخاك أخاك ٣٠٦
معرّة الإخوان ٣٠٦
نسيب الجسم والروح ٣٠٧
بين أعرابيين ٣٠٧
أخو الخفض ٣٠٧
فساد الناس ٣٠٨
وصية سفيان ٣٠٨
جليس الخير ٣٠٩
صلاح الملك ٣١٠
واجبات العاقل ٣١٠
أي الرجال ؟ ٣١٠
الأخ المهذّب ٣١٠
كظم وخوف ٣١١
اتّساع الإخاء ٣١١
الكثرة والوحدة ٣١٢
خليل وعبد ٣١٢
أحوال الزمان ٣١٢
ابن المعتز ٣١٥
الشيباني ٣١٦
المحاورة والمكاتبة ٣١٦
مقدار الشوق ٣١٦
قريب وبعيد ٣١٧
بين العين والقلب ٣١٧
هجاء رجل ٣١٧
إلى صديق ٣١٧
رسالة ودّيّة ٣١٧
رسالة أخرى ٣١٨
رسالة أخرى ٣١٨
رسالة أخرى ٣١٨
رسالة أخرى ٣١٩
رسالة أخرى ٣١٩
رسالة أخرى ٣٢٠
رسالة أخرى ٣٢٠
رسالة لليزيدي ٣٢٠
رسالة أخرى ٣٢١
رسالة أخرى ٣٢١
رسالة أخرى ٣٢٢
لإسماعيل بن عبّاد ٣٢٢
رسالة ابن أبي البغل ٣٢٣
للقاسم الكرخي ٣٢٥
فائدة الرسائل ٣٢٥
رسالة أخرى ٣٢٥
الحث على المواصلة ٣٢٦
رسالة أخرى ٣٢٦
من رسالة أخرى ٣٢٧
من رسالة أخرى ٣٢٧
رسالة أخرى ٣٢٧

من رسالة أخرى ٣٢٧
من رسالة لسعيد بن عبدالملك ٣٢٨
من رسالة أخرى ٣٢٨
لمحمد بن مهران ٣٢٨
لجعفر بن يحيى ٣٢٨
لسليمان بن وهب ٣٢٩
لابن ثوابة ٣٢٩
لابن ثوابة أيضاً ٣٣٠
لمحمد بن مكرم ٣٣٠
لمحمد بن مكرم أيضاً ٣٣٠
للبصير ٣٣١
للبصير أيضاً ٣٣١
طلب إخاء ٣٣١
لعمارة بن حمزة أيضاً ٣٣٢
لعمارة بن حمزة أيضاً ٣٣٢
لعمارة بن حمزة أيضاً ٣٣٢
لابن المقفع ٣٣٣
من رسالة لكاتب ٣٣٣
من رسالة لكاتب ٣٣٣
من رسالة لكاتب ٣٣٣
لجرير بن يزيد ٣٣٣
للحسن بن وهب إلى أبي صالح ٣٣٤
جواب أبي صالح ٣٣٤
من رسالة لكاتب ٣٣٥
لسعيد بن حميد ٣٣٥
لمحمد بن مهران ٣٣٥
من رسالة لكاتب ٣٣٥
وحشة الدار ٣٣٦
من رسالة لكاتب ٣٣٦
من رسالة لكاتب ٣٣٦
من رسالة لكاتب ٣٣٦
من رسالة لكاتب ٣٣٧
لإبراهيم بن المدبّر ٣٣٧
لإبراهيم بن المدبر أيضاً ٣٣٨
لسعيد بن حميد ٣٣٨
لسعيد بن حميد أيضاً ٣٣٨
لسعيد بن حنيف ٣٣٩
لأحمد بن سعد ٣٤٠
رسالة لكاتب ٣٤١
لسعيد بن حميد ٣٤١
من رسالة لكاتب ٣٤١
لكلثوم بن عمرو العتّابي ٣٤٢
من رسالة لكاتب ٣٤٤
أصناف الأخلاّء ٣٤٤
أنواع الإخوان ٣٤٤
لأبي الربيع ٣٤٥
من رسالة لكاتب ٣٤٦
ليوسف بن القاسم ٣٤٦
للأحوص ٣٤٧
للفضل بن عبدالرحمن الهاشمي ٣٤٧
صون الود ٣٤٧
لابن الدمينة ٣٤٧
لعبدالله بن معاوية ٣٤٨
كثيِّر عزّة ٣٤٨
ودّ اللسان ٣٤٨
للأحوص ٣٤٨
ودّ مع الخوف ٣٤٨
الودّ المضاعف ٣٤٨
لجميل بثينة ٣٤٨
للفضل بن عبدالرحمن ٣٤٨

محب غير محبوب ٣٤٩
للفضل بن عبدالرحمن ٣٤٩
لثعلب ٣٤٩
صديق المصادفة ٣٤٩
لابن دريد ٣٤٩
لبكر بن القطاع ٣٤٩
للحارث بن خالد ٣٥٠
عتاب صديق ٣٥٠
ترك المواساة ٣٥٠
أعرابي يصف ٣٥٠
لسويد بن منجوف ٣٥٠
للعنبري ٣٥٠
مودة وشكر ٣٥١
الهامز اللمزة ٣٥١
رب أخ لك ... ٣٥١
استثارة الإحنة ٣٥١
لطرفة بن العبد ٣٥١
مقال الصديق ٣٥١
مغايظ أقوام ٣٥٢
صحبة الأخيار ٣٥٢
للحسن بن وهب ٣٥٢
لابن عباس ٣٥٢
لابن سيرين ٣٥٢
لحبيب بن أبي ثابت ٣٥٢
لأعرابي ٣٥٢
لأعرابي ٣٥٢
لبعض السلف ٣٣٥٢
ابن العم جناح ٣٥٢
لبعض السلف ٥٢
لأعرابي ٣٥٣
لمعن بن أوس ٣٥٣
لابن الأعرابي ٣٥٣
لأبي دهبل الجمحي ٣٥٣
موعد مناسب ٣٥٣
للأخطل ٣٥٣
لمسكين الدارمي ٣٥٤
لقيس بن الخطيم ٣٥٤
عند الحاجة ٣٥٤
لأعرابي بين شرّين ٣٥٤
لشاعر قديم ٣٥٥
لعبدالله بن طاهر ٣٥٥
اعتذار المؤلف ٣٥٦
الفهارس ٣٥٧
١ ـ الأعلام ٣٥٩
٢ ـ الأماكن والبلدان ٣٧٣
٣ ـ الأمم والقبائل والطوائف ٣٧٧
٤ ـ أسماء الكتب المذكورة في الكتاب ٣٧٩
٥ ـ القوافي ٣٨٣
٦ ـ موضوعات الكتاب ٣٩٦

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولا :المصادر

1. **أبو حيان التوحيدي، أخلاق الوزيرين،** تح: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر العربي، دمشق، سوريا، 1961

2. ـــــــــــــــ، **الإشارات الإلهية،** تح: وداد قاضي، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، ط2، 1951.

3. ـــــــــــــــ، **الإشارات الإلهية،** تح: عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الاول، مصر 1950.

4. ـــــــــــــــ، **الإمتاع والمؤانسة،** تح: أحمد أمين وأحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1939.

5. ـــــــــــــــ، **البصائر والذخائر**،تح: وداد قاضي، دار صادر، بيروت، ط1،1988.

6. ـــــــــــــــ، **ثلاث رسائل (رسالة الحياة، رسالة في علم الكتابة، رسالة السقيفة)**، تح ابراهيم الكيلاني ، المركز الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق، سوريا، دط، 1952.

7. ـــــــــــــــ، **الصداقة والصديق،** تح ابراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، سوريا،ط2، 1996.

8. ـــــــــــــــ، **الصداقة والصديق**، مطبعة الجوائب، القسطنطينية،ط1، 1301 هـ.

9. ـــــــــــــــ، **المقابسات**، تح: حسين السندوبي، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1، 1929

10. ـــــــــــــــ، **الهوامل والشوامل**، تح: احمد أمين، والسيد احمد صقر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، دط،1951.

11. ـــــــــــــــ، **الهوامل والشوامل**، الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، الامارات العربية المتحدة،الاصدار الثالث، 2003.

12. **أبو الحسن بن فارس**،مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون،مج 5، دار الجيل، بيروت، دط.

13. **أبو إسحاق الحصري**، زهر الآداب وثمر الأواب، شرحه زكي مبارك، مج 1، دار الجيل بيروت، ط5، 1999.

14. **أبو الفضل جمال الدين ابن منظور**، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، دت.

15. **أبو فرج الأصفهاني**، الأغاني، ج10، دار الثقافة، بيروت، دط، 1962.

16. **أبو القاسم جار الله الزمخشري**، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت،دت.

17. **أبو عباس القلقشندي**،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطبع، دط، دت.

18. **أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ** :البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950.

19. ـــــــــــــــــــــ،الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1965.

20. ـــــــــــــــــــــ،رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط،1964.

21. **أبو فداء اسماعيل بن عمر بن كثير**، تفسير القرآن العظيم،تح: سامي بن محمد بن السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1999.

22. **أبو هلال العسكري**، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981 .

23. **ابن الأثير**، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، القاهرة، ط2،د ت.

24. **ابن خلدون**، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

25. **ابن رشيق القيرواني**، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج2، مطبعة السعادة القاهرة، دت.

26. **ابن سنان الخفاجي**، سر الفصاحة، المجمع الثقافي، الامارات العربية المتحدة، الاصدار الثالث، 2003.

27. **ابن عبد ربه بن محمد الاندلسي**، العقد الفريد، مطبوعات دار الكتاب العربي، بيروت دط، 1956.

28. **ابن وهب**،البرهان في وجوه البيان، تح: حقي محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، 1969.

29. **شهاب الدين ياقوت الحموي**، معجم الأدباء (إرشاد الأديب في معرفة الأريب)، تح: إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1،1993.

30. **عبد الله بن المقفع**، الأدب الكبير ، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت .

31. ـــــــــــــ، الدرة اليتيمة، تح: شكيب ارسلان، المكتبة المحمودية التجارية، بيروت، دط،دت.

ثانيا : المراجع

1. **ابتسام أحمد حمدان**، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط1، 1997.

2. **ابراهيم الكيلاني**، ابو حيان التوحيدي،دار المعارف، مصر، ط1،دت.

3. **إحسان عباس، التوحيدي**، دار بيروت للنشر والطباعة، دط، 1956 .

4. **أحمد حسن الزيات**، تاريخ الادب العربي،دار نهضة مصر الفجالة،القاهرة، ط2، دت .

5. **أحمد محمد الحوفي**، أبو حيان التوحيدي، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة .

6. **أحمد أمين**، فجر الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط10، 1969.

7. ـــــــــ،ضحى الإسلام، ج1، مكتبة النهضة المصرية .دط، دت.

8. ـــــــــ، ظهر الاسلام،ج2،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط،دت .

9. **أحمد زكي صفوت**، جمهرة رسائل العرب،المكتبة العلمية، بيروت، لبنان،دط،دت.

10. **أدونيس**، الثابت والمتحول، ج3، دار العودة، بيروت،ط4، 1983.

11. **جرجي زيدان**، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1 . جمعها وعلق عليها شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، ط2، دت .

12. **جمال الغيطاني**، خلاصة التوحيدي، مختارات من نثر أبي حيان، المجلس الاعلى للثقافة،القاهرة، دط، 1995.

13. **حبيب مونسي**،نظرية الكتابة في النقد العربي القديم، دار الغرب للنشر، ط1، 2001.

14. **حسن الملطاوي**، الله والإنسان في فلسفة التوحيدي، مطبعة الأطلس، القاهرة،دط، 1989.

15. **حسين الصديق**، فلسفة الجمال ومسائل الفن، دار القلم العربي ودار الرفاعي، حلب، سوريا،دط، 2003.

16. **حسين نصار**، في النثر العربي، مكتبة الأسرة، القاهرة، دط، 2000.

17. **حميد لحميداني**، شعرية النص الموازي، عتبات النص الادبي، شبكة الالوكة، ط2، 2016 .

18. **حنا فاخوري**، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الادب القديم) منشورات ذوي القربى، ط3، 2006.

19. **رفيق خليل عطوي**، فن النثر في العصر الاموي، الأكادمية اللبنانية للكتاب، بيروت، ط1، 2002.

20. **زاهر بن مرهون الداودي**، الترابط النصي بين الشعر والنثر، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2010.

21. **زكريا ابراهيم**، أبو حيان التوحيدي، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، سلسلة أعلام العرب 35، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة،دط،دت .

22. **زكي مبارك**، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ج1،مكتبة السعادة، مصر،ط2، 1957 .

23. **سعيد يقطين**،انفتاح النص الروائي، النص والسياق،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،ط2، 2001.

24. **شوقي ضيف**، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط12، دت .

25. ـــــــــ، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، ط17، دت .

26. ـــــــــ،تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، دار المعارف، القاهرة، ط11، دت.

27. ـــــــــ،تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الأول) دار المعارف، القاهرة، ط2، دت.

28. ـــــــــ،تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني) دار المعارف، القاهرة، ط8، دت.

29. ـــــــــ، تاريخ الأدب العربي(عصر الدول والإمارات)، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت .

30. **صالح بن رمضان،** الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم،منشورات كلية الاداب، تونس، ط1، 2001 .

31. **طه حسين،** في الأدب الجاهلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1973.

32. ـــــــــ،حديث الشعر والنثر، دار المعارف القاهرة، ط1، دت .

33. **عبد الأمير الأعسم،** أبو حيان التوحيدي، سيرته وحياته في كتاب المقابسات، دار الأندلس، بيروت،، ط2، 1980.

34. **عبد الحكيم بلبع،** النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، مكتبة وهبة، القاهرة،ط3، 1975.

35. **عبد العزيز شبيل،** نظرية الأجناس في التراث النثري، جدلية الحضور والغياب ، دار محمد علي حامي، تونس، ط1، 2001.

36. **عبد الله التنطاوي**، مستويات الحوار في فنون النثر العباسي، دار غريب للطباعة والنشر،دط،دت.

37. **عبد الفتاح الجحمري**، عتبات النص، البنية والدلالة، منشورات الرابطة البيضاء، المغرب،1996.

38. **عفيف بهنسي**، الفكر الجمالي عند التوحيدي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر دط، 1999.

39. **عثمان موافي**، في نظرية الأدب (من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم)، ج1، دار المعرفة الجامعية،دط، 2002.

40. **علي دب**، الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، ط3، 1980.

41. **عمر الدقاق**، مواكب الأدب عبر العصور، دار طلاس، دمشق، سوريا، ط1، 1988.

42. ـــــــــ،أعلام النثر الفني في العصر العباسي، دار القلم العربي،دار الرفاعي، سوريا، ط1، 2004.

43. **عمر فروخ**، تاريخ الادب العربي (من مطلع الجاهلية الى سقوط الدولة الاموية)،دار العلم للملايين،ط4، 1981.

44. **مارون عبود** أدب العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،ط2،دت .

45. **محمود إبراهيم**، أبو حيان التوحيدي في قضايا الإنسان واللغة والعلوم، الدار المتحدة للنشر، بيروت،دط،دت.

46. **محمد زغلول سلام**،الأدب في عصر العباسيين (من بداية القرن الرابع إلى نهايته)،ج2، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، 1999 .

47. **محمد عبد الغني الشيخ**، أبو حيان التوحيدي، رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب والنقد،ج1، الدار العربية للكتاب، 1983.

48. **محمدعبد المنعم خفاجي**، الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام،دار التأليف، القاهرة، ط1،1952 .

49. ـــــــــــــ، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار الجيل بيروت، دط، 1990.

50. ـــــــــــــ، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي،دار الجيل،بيروت،دط، 1990.

51. **محمد عزام**، النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،دط،2001 .

52. **محمد علي الصباح**،أبو حيان التوحيدي (فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة)،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1970 .

53. **محمد قاضي**، الخبر في الأدب العربي، دار الغرب الإسلامي،بيروت، دط، 1998.

54. **محمد كرد علي**، أمراء البيان، ج2،المكتبة الثقافية الدينية،القاهرة، ط1، 2012.

55. ـــــــــــــ، كنوز الاجداد،أضواء السلف، غوطة دمشق، سوريا،دط،1950.

56. **محمد مشبال**، البلاغة والسرد،جدل التصوير والحجاج في الجاحظ، منشورات كلية الآداب، تطوان،ط1،2010.

57. ـــــــــــــ، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مقاربة بلاغية حجاجية،دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2015.

58. **محمد مفتاح**، التشابه والاختلاف،نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

59. **محمد نبيه حجاب**، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، دراسة تحليلية لتطور الاساليب، مكتبة الاسكندرية مصر، ط2، 1986.

60. **مصطفى سلوي**، عتبات النص، المفهوم والموقعية والوظائف،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الوحدة 71،بحوث ودراسات 22،ط1، 2003.

61. **نبيل خالد رباح أبو علي**، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي 656هـ، الهيئة العامة للكتاب، مصر،دط، 1993.

62. **نهلة فيصل أحمد**، التفاعل النصي، التناصية، النظرية والمنهج،الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،ط1، 2010.

63. **هشام مشبال**، بلاغة الخبر، تقاطع التخييلي والتداولي في اخبار الامتاع والمؤانسة، ضمن كتاب " البلاغة والخطاب " إعداد محمد مشبال،دار الامان، الرباط، المغرب ومنشورات الاختلاف، الجزائر،ومنشورات ضفاف،بيروت،ط1، 2014 .

64. ـــــــــــ،البلاغة والسرد والسلطة، في الامتاع والمؤانسة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن،ط1، 2015 .

65. **وسيم ابراهيم**، نظرية الاخلاق والتصوف عند ابي حيان التوحيدي، مطبعة جوهرة الشام، دمشق، سوريا، ط1، 1994.

ثالثا : المراجع المترجمة

1. **أدم ميتز**، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1967.

2. **أرسطو طاليس**، الأخلاق، ترجمة إسحاق بن حنين،، تح وشرح عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1979.

رابعا :المقالات والدوريات

1. **احمد عبد الفتاح البريء**، التوحيدي بين العلم والمعرفة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج 14، العدد 3، خريف 1995.

2. **أحمد كمال زكي**، في الصداقة والصديق،مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،مج 14، العدد 4،شتاء 1996.

3. **أسامة سعد أبو سريع**، الصداقة من منظور علم النفس، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،العدد 179، 1993.

4. **حمادي صمود**، المشافهة والكتابة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد 14، العدد 4، 1996.

5. **حسن محمد حسن حماد**، الاغتراب عند التوحيدي،مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج 14، العدد 3، خريف 1995.

6. **سالم حميش**، تجربة الوجود والكتابة، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،مج 14، العدد 3، خريف1995 .

7. **سمر العطار**، التوحيدي ومعضلة الصداقة، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مج 14، العدد 3، خريف 1995.

8. **صالح بن رمضان**،معنى الأخوة والصداقة في النثر العربي،حوليات الجامعة التونسية، العدد 30، **1989** .

9. **صالح بن رمضان**، التداخل بين الأجناس الأدبية في المقامات، مجلة جذور، السعودية، ج4، مج2،العدد 4، سبتمبر، 2000.

10. **صالح بن رمضان**، الأدب عند التوحيدي بين أسر الكاتب وتحرر الناشر، حوليات الجامعة التونسية، العدد 49،2005.

11. **عصام بهي**، الكلام على الكلام، قراءة في فكر أبي حيان التوحيدي، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب القاهرة، مج 14، العدد 3، 1995 .

12. **عمر الدقاق**، الأداء الفني في نثر أبي حيان التوحيدي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا العدد 13و 14، 1984.

13. **كمال إسماعيل**، الكتابة في أدب أبي حيان، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب القاهرة، مج 14، العدد3، خريف 1995.

14. **ماجدة محاينة**، مفهوم الإنسان عن أبي حيان التوحيدي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب،دمشق، العدد 73، اكتوبر 1998.

15. **محمد بنيس**، تمارين الصداقة ومسارات الخطاب، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مج 14، العدد 4، شتاء 1995.

16. **محمد إبراهيم حور**، الصداقة والصديق في تراث أبي حيان، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مج 14،العدد 3، خريف 1995.

17. **مصطفى ناصف**، محاورات مع النثر العربي،سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1999.

18. **والترج، اونج**، الشفاهية والكتابية، ترجمة عز الدين حسن البنا، سلسلة المعرفة، الكويت،فبراير 1996.

خامسا– المواقع الالكترونية

1. شبكة الألوكة :www.alukah.com.

2. شبكة الكتب:www.alkottob.com.

الفهرس

الفهرس

كلمة شكر

إهداء

مقدمة.....أ

الفصل الأول

بلاغة الخطاب النثري ما قبل التوحيدي

تمهيد.....**3**

أولا– ماهية النثر.....**4**

1- لغة.....4

2- اصطلاحا 5

3-نشأة النثر الفني.....12

3-1 النثر الفني في العصر الجاهلي.....12

3-2 النثر الفني في صدر الإسلام.....17

3-3 النثر الفني في عصر بني أمية.....21

ثانيا– بلاغة الخطاب النثري في العصر العباسي.....**24**

ثالثا– الكتابة الفنية في العصر العباسي.....**31**

- الرسائل الديوانية والتوقيعات.....35

- الرسائل الاخوانية (الشخصية).....37

- الرسائل الأدبية.....37

- القصص والمقامات.....38

رابعا–خصائص النثر الفنية.....**40**

خامسا– مدارس النثر الفني.....**42**

1-مدرسة الترسل الطبيعي.....43

2- مدرسة التفريع والتحليل والاستطراد 46
3- مدرسة السجع والبديع 48

الفصل الثاني

بلاغة الخطاب النثري في كتابات التوحيدي

تمهيد.....53
أولا- عصر التوحيدي.....54
1- ظروف العصر.....**54**
2-النثر الفني في القرن الرابع هجري **56**
ثانيا- التوحيدي الأديب والفيلسوف.....61
ثانيا-شروط الكتابة الأدبية عند التوحيدي 66
1- تفاعل البديهة والصناعة **66**
2- الروية بلا تكلف.....**69**
3- التناسب بين اللفظ والمعنى.....**72**
4- البلاغة في النثر **75**
5- ذاتية الإبداع **79**
رابعا- خصائص النثر الفني في كتابات التوحيدي.....82
1- الترادف والتقابل في موازنة المعاني.....**84**
2- السجع والازدواج **89**
3- الإطناب والاسترسال.....**92**
خامسا- التوحيدي وأسلوب الجاحظ.....97

الفصل الثالث

بلاغة الخطاب النثري في رسالة الصداقة والصديق

أولا-ماهية الصداقة.....103
1- الصداقة في التراث اليوناني.....**103**

2- الصداقة في التراث العربي والإسلامي.....105
ثانيا–التعريف بالمدونة.....109
1- تحقيق الرسالة 109
2- تاريخ تأليف الرسالة.....109
ثالثا– من المشافهة إلى الكتابة 114
رابعا– بلاغة العتبات في رسالة الصداقة والصديق.....123
1ـ خطاب العنوان.....124
2- خطاب المقدمة / الاستهلال.....126
خامسا– تشكل الخطاب في متن الرسالة.....137
1 – خطاب النفي: انعدام وجود الصديق.....139
2 – خطاب الإثبات: حقوق الصديق.....139
سادسا– التداخل النصي بين الأجناس الأدبية.....140
1- القرآن الكريم.....145
2- الحديث الشريف.....148
3- الشعر 151
4- الأخبار.....157
5- الرسائل والتوقيعات.....159
6- الأمثال وأقوال الفلاسفة والحكماء والعلماء 162
سابعا– الازدواج وإيقاع النثر في الرسالة.....167
خاتمة.....175
الملاحق.....179
قائمة المصادر والمراجع.....613
الفهرس.....627

الملخص:

الرسالة بعنوان "الخطاب النثري عند أبي حيان التوحيدي-رسالة الصداقة والصديق أنموذجا-" تتضمن مقدمة وثلاثة فصول، الأول منها حول ماهية النثر الفني وتطوره وأبرز أمرائه حتى العصر العباسي، والثاني يتناول أسلوب التوحيدي والمعايير الفنية التي انتهجها في كتاباته الأدبية والفلسفية، أما الفصل الأخير فقد كان دراسة تطبيقية لواحدة من مؤلفاته النفيسة في الأدب وهي رسالة الصداقة والصديق، دراسة تكشف عن المواطن الأدبية في خطاباته النثرية ثم الخاتمة. وأخيرا اتبعت المتن بملحقين الأول لحياة التوحيدي والثاني للرسالة نفسها.

الكلمات المفتاحية:

النثر الفني، الكتابة الأدبية، الرسالة، التداخل الأجناسي، العتبات، الإيقاع النثري.

Résumé :

La thèse intitulée « la rhétorique en prose d'Abi Hayan El Tawhidi-lettre modèle d'amitié et d'ami », elle contient une introduction et trois chapitres : le premier chapitre traite la nature de la prose et son développement pendant la période Abassi, le second chapitre traite la méthode du monothéisme et des normes techniques qu'il a poursuivie dans ses écrits littéraires et philosophiques. Le dernier chapitre c'était une étude pratique et d'application de sa précieuse œuvre littéraire « la lettre d'amitié et d'ami » cette étude relève ses caractéristiques de la rhétorique littéraire dans ses discours. A la fin, on a suivi sa précieux œuvre par deux annexes : le premier sur la vie d'El Tawhidi et ses effets et la seconde sur la lettre elle-même.

Mots clé :

Prose littéraire, écriture littéraire, la lettre, le chevauchement épisodique, seuils et le rythme de la prose.